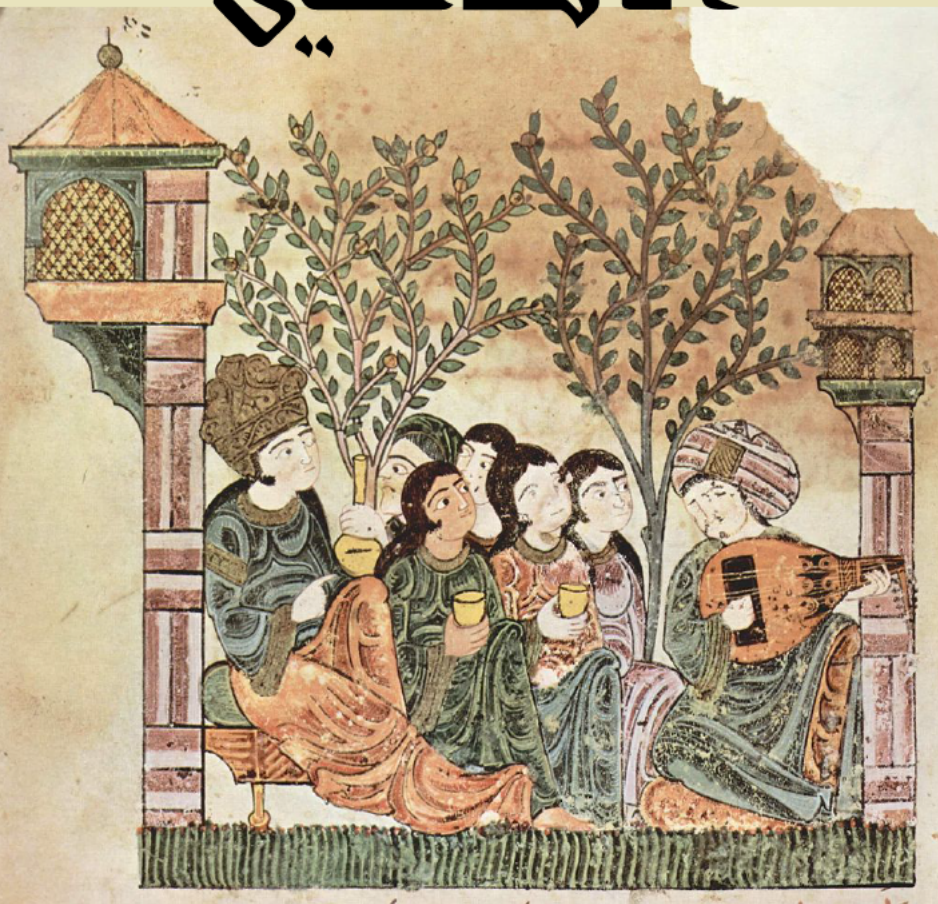


تاريخ الفكر الأندلسي



أنجل جنثالش بالنتيا

ترجمة : حسين مؤنس

آنجيل جناتك بالنيا

تاريخ الفكر الاندلسي

نقله عن الإسبانية

حسين مؤنس

أستاذ بكلية الآداب بجامعة القاهرة

مكتبة الثقافة الدينية

الإهداء

إلى ذكرى صديقٍ آنَحِلْ جُنُثَالِثٍ بِالنِّثْنِيَا ، مؤلف هذا الكتاب .
آية تقدير من المدرسة الأندلسية المصرية إلى مدرسة المستشرقين الإسبان
ذات التقاليد الجليلة الباقية .

(المترجم)

الأصل الإسباني لهذا الكتاب :

ÁNGEL GONZÁLEZ PALENCIA

Historia de la Literatura Árabe-Española

(Colección Labor no. 164-165) 2ª edición. Madrid 1945.

وقد لاحظنا أن المؤلف أسقط من هذه الطبعة — بدافع الإيجاز — فقرات
لها قيمتها كانت في الطبعة الأولى التي صدرت سنة ١٩٢٨ ، فأثبتنا في هذه الترجمة
بعضها وأشرنا إلى ذلك في مواضعه .



سَمِعْتُمْ بِنْدًا بِنْدَعْمَ الْهَرَوِيَّ قَالَتْ لَهُمْ وَرَسُولَهُمْ قَرْنَكُمُ
 وَالَّذِينَ عَلَيْهِمْ فَعَالٌ يُؤْتِيهِمْ نَوْنًا لِيَسْتَعْرِضُوا مِنْكُمْ قَالَتْ لَهُمْ

صفحة من كتاب « السوان » لمحمد بن علي بن ظفر (انظر ص ٥٧٨) وهو مخطوط
 مزين بتصاوير موريكية ترجع إلى القرن السادس عشر محفوظ بمكتبة الإسكريال بإسبانيا

مقدمة

هذا كتاب حفزنى على نقله إلى العربية أكثر من حافز : فقد أقدمت على ذلك عن إعزاز عميق للأندلس وتاريخه وحضارته ، وعن إجلال صادق لمؤلفه ، وعن رغبة في أن أقدم للقارىء العربى صورة عامة شاملة للفكر الأندلسى وفتوحه فى كل ميدان ، وعن إحساس بأن هذا الكتاب لم يلق نصيبه من التقدير والإنصاف ، وأخيراً عن شعور بأن الأيام — والموت العاجل — قد شغلت صاحبه عن أن يخرج به فى الصورة التى ارتسمت فى ذهنه ، وأن يبدأ صديقةً معاونةً ينبغى أن تمتد فتكبل ما فات ، وتضع الكتاب فى المكان الذى ينبغى له من مراجع الفكر الأندلسى ، بل العربى عامة ، بل الإنسانى إطلاقاً .

ذلك أن آنخيل جنثالث بالثيا صنف هذا الكتاب ليضيفه إلى ما جمعه يمينه من آثار كفاحه العلمى ، يوم تقدم لامتحانات أستاذية كرسى اللغة العربية بجامعة مدريد ، عقب تنازل شيخ المستشرقين الإسبان خيليان ريبيرا عن ذلك الكرسى مختاراً لينقطع إلى أبحاثه ودراساته عام ١٩٢٧ . وقد حشد بالثيا بين دفتيه مادة لو فصلت بعض الشيء لملاّت مجلدات ، ولكنه ألزم نفسه من الإيجاز ما جاوز المألوف ، وجمع فى نيب وثلاثمائة صفحة أهم ما كان الناس يعرفونه فى أيامه عن الفكر الأندلسى ، وأهم ما ألفه — بالعربية أو بغيرها — غير المسلمين من أهل الأندلس ما بين نصارى ويهود ، وأضاف إلى ذلك خلاصة طيبة جداً لكل الدراسات التى تعرضت لآثار الفكر الأندلسى فى الفكر الأوروبى . وإن من يعرف الأمانة البالغة التى اتصف بها جنثالث بالثيا ليتصور الجهد الذى احتمله حتى يضم ذلك كله فى غير حيز !

وإن تبلغ ثلاثمائة صفحة (من قطع صغير) من ميدان رحب خصب كيدان .

الفكر الأندلسي؟ أين هي من الشعر الأندلسي وحده؟ أين هي من الفلسفة أو من التصوف؟ أين هي من الطب والفلك والرياضة والنبات وما إلى هذه من فروع الفكر؟ وأين تبلغ وهي لا تكفي لدراسة علم واحد من أعلام الفكر الأندلسي كابن حزم أو ابن قزمان أو للمعتد أو ابن عربي أو ابن حيان؟ كم للشعر وكم للنثر؟ كم للغة وكم للتفسير؟ كم للتاريخ وكم للجغرافية؟ كم للفلسفة وكم للتصوف؟ كم للطب وكم للنبات؟ إلى آخر هذه الأسئلة التي تبدو وكأنها معضلات أمام من يتعرض لمثل هذا التأليف.

ولكن الله أعانه، واستطاع أن يجمع بين الإيجاز والشمول على نحو قلما يجد الإنسان له مثيلاً، وجاء الكتاب فريداً في بابه، فما نظن أن لدينا كتاباً يقاربه في تاريخ الفكر الإسلامي المشرق مثلاً، بل ما نظن أن أحداً أقدم على مثل هذه المحاربة.

بيد أن الإيجاز الشديد لم يلبث أن أضر بالكتاب، فإن الإشارات القصيرة لا تقنع، والاكتفاء بالضرورة عن الأهم، وبالأمم عن المهم، كل ذلك انتهى بأن جعل الكتاب خلاصة جافة عسيرة على القارىء، عسيرة على الباحث. ثم إن عدم ذكر المراجع، وإيراد النصوص دون إشارة — ولونقر بيئية — إلى أصلها، والاكتفاء بالدحات عن العبارات، وافتراس المعرفة السابقة عند القارىء، كل ذلك وقف بالكثيرين عن الاستمانة بالكتاب — على عظيم قدره — وصرّفهم عن ذكره بين مراجعهم، رغم اعتمادهم عليه.

لهذا كله رأيت ألا أقصر في نقل الكتاب على الترجمة سطرًا بسطرًا — فالكتاب كالروحة الطاوية، كلما فتحها تبدت رسومها وزادت تفصيلًا وحسنًا — ولا بد إذن من تفصيل وبيان. ولكن كيف؟ إن المؤلف نفسه لم يذكر مرجعاً ولم يشر إلى أصل إلا إشارة العابر المعجل، فهو يقول: قال ابن حزم كذا؛ أو قال ابن عربي كيت، دون أن يذكر أين، والفتوحات للمكية وحدها في نيف وألني

صفحة . . أو يقول إن « الخزرجي » ألف كتاباً في الحديث : أى خزرجي ، وم فى الأندلس ألوف والوف ؟ وما إلى ذلك مما أزمه به ظرف خاص ، هو نشر الكتاب فى سلسلة من كتب المعارف العامة ذات الحجم الواحد الصغير ، الذى يحمته ويقنع به القارىء المطالع أو ملتصق الفائدة اليسيرة .

كان لا بد من منهج خاص لتقيام بهذه الترجمة ، منهج يتلخص فى الأناقل فقرة إلا والأصول التى أخذ المؤلف عنها بين يدي ، فإذا كان هذا الأصل إسبانياً أو فرنسياً أو إنجليزياً لم أطمئن حتى أجد بين يدي أصوله العربية بدورها ، ثم أطلع هذا كله حتى أعرف على وجه التحديد ما أراد المؤلف قوله فى عبارته للموجزة ، فإذا كان قد استغنى عن أشياء على اعتبار أن القارىء الإسبانى يعرفها ، أو ضرب صفحاً عن أخرى لأن هذا القارىء الإسبانى لا يحتاج إليها ، أو استعرد عن أشياء ثالثة لأن الحيز لا يسمح ، فإننى لم أر بأساً فى إيراد أطراف من هذا كله بين أقواس مربعة ، وفاء لمتضى الكلام أو زيادة فى الإيضاح والبيان .

ومن هنا لم يكن الأمر ترجمة فقط ، بل هو ترجمة وتفسير . وقد رأيت ذلك حقاً للقارىء العربى عندى ، إذ أن ميدان الأندلسيات ميدان بكر ، وخاصة فى فروع الفلسفة والتصوف والطب والنلك والرياضيات ، والقارىء لن يفيد كثيراً من كتاب بالغ الإيجاز ، وهو لن يقنع بإشارات عابرات ، إذا نعت طالب الاطلاع المجرد ، لم تنفع من طلب شيئاً وراء ذلك .

وقد وجدت بعض المشقة فى ترجمة عنوان الكتاب وهو Historia de la Literatura Arábigo Española ، لأن لفظ Literatura يعنى عندنا الأدب بمعناه المحدد الآن ، ولكن الكتاب لا يقتصر على الأدب بل يتناول التاريخ والرحلات والفلسفة والتصوف والطب والنبات والفلك والرياضيات ، أى نواحي الفكر كلها . وقد اقترح بعضهم أن أقول : الآداب العربية ، ولكنى رأيت الآداب لا تشمل العلوم ، واستقر رأى آخر الأمر على أن أجعله « تاريخ الفكر

الأندلسي ، ، وبدالى أن تلك هي أقرب لفظة عربية تعبر عن معنى الكتاب

* * *

ولقد تكلفت هذا العناء المحبب ، رغبةً منى في أن أسد فراغاً ظاهراً في مكتبة العربية ، وهنايةً بكتاب أعتقد أنه من أحسن وأنفع ما صنّف المستشرقون ؛ فهو يمتاز — علاوة على الشمول — باعتدال في الرأي وإنصاف في الحكم وُبُعدٍ عن الهوى والعصبية يجعلك تتصور في بعض الفقرات أنك تقرأ لكتاب عربي منصف ، وإنصافه لا يقوم على الألفاظ بل على عرض الحقائق ، لا يقوم على الحماس ، بل على الجهد والعمل والصدق والتحقق ، وهي صفات امتياز بها هذا الملامة الإسباني الذي عاش عمره كله قارئاً كاتباً باحثاً محققاً ، واتممت حياته بعيد الستين وهو على قمة مجد علمي لا تحقّقه جماعة كاملة من الباحثين . . . ولقد لقيته وعرفته ، وكانت بيننا مودة لم تنسأ في أجلاها الأيام ، و «أجاز» لي نقل هذا الكتاب وروايته عنه ، على مذهب أجدادنا في تقاليدهم الخليفة في العلم وشمّله والدرس ونقله .

وقد كنت أردت أن أضيف ما يقتضيه المقام من التعليقات في الهوامش ، ولكنني وجدتها زادت واتسعت حتى أصبحت تعدل الأصل بزياداته معاً ، ففضلت أن أجمعها في كتاب قائم بذاته يكون كالذيل على هذا الكتاب ، ولم أر بأساً في إفرادها ، لأنها مستقلة عن الكتاب تماماً . ومن أراد الاكتفاء بما هنا فهو حسبه ، ومن طلب ما وراء ذلك فلينظر في « الصلة » ، أعاننا الله على إخراجها في القريب .

* * *

وحقيق لي — قبل أن أفرغ من كلمة التقديم هذه — أن أتقدم بالشكر إلى كل من تفضل بمعاونتي في إنجاز هذا العمل .

أشكر أستاذي المرحوم أحمد أمين ، فهو الذي رحب بفكرة نقل الكتاب
 بجملة ضمن مختارات الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية ، وأشكر أصدقائي
 زملائي : الدكتور عبد الحلیم محمود ، وعبد العزيز الإهواني ، ومحمد عبد الهادي
 أبي ريدة ، ومحمود الخضيرى ، والأستاذ مصطفى عبد المجيد صالح ، والآنستين
 سيلفيا لامفوس ومرثيديس جنثالتماس ، والدكتور خايمة أوليفر آسين .

وأشكر الصديق الكريم الأستاذ إميليو غوسية غومس على ما تفضل به
 من تقديم الكتاب إلى غير العرب من القراء .
 والحمد لله أولاً وآخراً .

عيسى مؤنسى

القاهرة ، مايو ١٩٥٥

مقدمة تاريخية

ف ١ :

لا تكاد توجد آثار لأى لون من الحياة الفكرية فى الأندلس خلال السنوات الأولى التى أعقبت الفتح الإسلامى لإسبانيا على يد طارق وموسى ؛ بل إن الشعب الإسبانى الذى دخل فى طاعة المسلمين — نتيجة لهذا الفتح — لم يخلف لنا آثاراً تدل على حياته الفكرية طوال عصر الولاية^(١) (٧١٠ — ٧٥٥ م) . ذلك أن الظروف التى أحاطت به لم تكن مواتية لشؤون الدرس والفكر ، فقد شغل الفاتحون بما وقع بين بعضهم وبعض من مخاصمات وحروب ، وثارَت العداوات بين قبيلة وقبيلة ، وبين البربر والعرب ، وبين القيسية واليمنية ، وبين الشامية والمدنية . ثم إن الفاتحين — جميعاً — كانوا من المحاربين ؛ وهذا وحده يكفى لتعميل انصرافهم عن الآداب وشؤون الفكر .

ولم يكن أهل البلاد — الذين دخلوا فى الإسلام ، وارتبطوا مع الفاتحين بروابط المصاهرة — فى حاجة أول الأمر إلى شىء ذى بال من الثقافة الإسلامية ؛ لأن الدخول فى الإسلام لم يكن يتطلب منهم إلا النطق بالشهادتين (وحرى بنا ألا ننسى — فى تعليل نشاط المصاهرة بين الفاتحين وأهل البلاد — أن المسلمين دخلوا إسبانيا جيوشاً منظمة ، ولم يدخلوها دخول البرابرة أفواجاً وقبائل بنسائها وأطفالها ، ومن ثم لم يكن لهم بد من اتخاذ النساء من أهل البلاد ، ومن ثم أصبح التزاوج من الجانبين أسراً لا مفر منه) . ولا بد أن أولئك الإسبان — الذين دخلوا الإسلام — لم يندموا على فراقهم دينهم الأول وانتقالهم إلى العقيدة الجديدة ، فقد تحسنت ظروف حياتهم من الناحيتين القانونية والاجتماعية :

إذ انتقلوا من الرق إلى الحرية ، ولما كان المسلم الحر يكاد يكون معقياً من الضرائب والجبايات في العرف الإسلامي ، فقد كان هذا وحده عاملاً على سرعة تحول أهل الجزيرة إلى الإسلام .

وقد كان القرآن في الأندلس — كما كان في غيره من البلاد الإسلامية — المصدر الوحيد للتشريع ، ولم تمس الحاجة إلى اللجوء إلى الاستعانة بسنن الرسول إلا بعد أن احتك أهل الإسلام بنظم الشعوب المفتوحة في المشرق والمغرب ، ووجدوا أنفسهم — نتيجة لهذا الاحتكاك — أمام مشاكل تشريعية وقانونية شديدة التعقيد . ونشأت عن تلك الاستعانة بالسنة في حل هذه المشاكل المذاهب الفقهية المختلفة .

وقد دخل عبد الرحمن بن معاوية (٧٥٥/١٣٨ — ٧٨٨/١٧٢) الأندلس في لحظة أشرف أمر الإسلام فيها على الانتثار والضياع ، وكان هو نفسه من القلائل الذين أفلتوا من أيدي العباسيين الذين انتزعوا الخلافة من الأمويين وتعقبهم بالقتل ، فقد رله — وهو الناجي بنفسه من الخوف — أن يستنقذ الإسلام من الزوال من الأندلس : فقد اشتدت حروب العرب ومنازعاتهم بين بعضهم وبعض ، وحجى نزاع الرؤساء على الولاية حتى حازها منهم أربعة وعشرون والياً في خمس وأربعين سنة . وبدخول عبد الرحمن [وقيام دولته الأموية] أتيحت للإسبان الظروف المواتية للاتصال بالثقافة الإسلامية الشرقية اتصالاً منتظماً . وليس إلى الشك سبيل في أن أهل البلاد قد اهتموا بتعلم اللغة العربية ، لغة الدولة والدين في الإسلام ، ولا بد كذلك أن نفرأ منهم ذهب إلى مكة حاجاً وعرف — عن طريق الحج — المراكز الشرقية ؛ ولكن أولئك الوافدين من الأندلسيين لا يمكن أن يكونوا قد أفادوا كثيراً من زيارتهم لهذه المراكز ، لأن الحركة الأدبية كانت إذ ذاك في أوائل أمرها فيها .

وكان الأمير عبد الرحمن يقول الشعر بين الحين والحين ، ولدينا كذلك أسماء

شعراء عاشوا في بلاطه ، منهم أبو الخشبي [عاصم بن زيد بن حنظلة التميمي] ، الذي بكى في أبيات مؤثرة بصره الذي أمر بإطفاء نوره أمير أموى عقاباً للشاعر [على ميلة لأخى الأمير] . ويذكر لنا المؤرخون — من بين الثورات والمؤامرات الكثيرة التي تجرد عبد الرحمن للقضاء عليها بيد حازمة — أخباراً فتنه قام بها بربر الأندلس يقودهم معلمٌ صبيان يسمى شقيا ، جمع بين الحماس الدينى والشهيدة وزعم أنه ينسب إلى على وفاطمة ، فكانه ردد في جوانب إسبانيا صدى الخلاف الكبير الذى صدع الإسلام من أول الأمر صدعاً عميقاً ، وهو الخلاف حول الخلافة ، فقد تحزب نفر كبير من المسلمين لأبناء فاطمة بنت الرسول ، فنشأت عن ذلك طائفة الشيعة السياسية الدينية .

وكان من الطبيعى أن يكون تصادم هذه الآراء السياسية والدينية مجدياً على الثقافة ، وأن يكون باعثاً للمسلمين على تعرف الإسلام الذى يدينون به وتعمقه . ومن هنا لم تلبث المذاهب الفقهية أن ظهرت بين المسلمين [واتبع كل واحد منها نفرٌ منهم] . وقد كان أهل الأندلس أول الأمر أوزاعية ثم تحولوا إلى مذهب مالك ، وقد حمله إليهم شبطون [بن عبد الله] ^(٢) ، أو الغازى بن قيس — الذى يؤكد ابن القوطية أنه أدخل «الموطأ» إلى الأندلس فى عهد عبد الرحمن الداخل ^(٣) — أو على يد نفر من الفقهاء ، وهو الأقرب إلى الاحتمال . وقد جرى الأمير هشام بن عبد الرحمن (٧٨٨/١٧٢ — ٧٩٦/١٨٠) على اختيار قضائه وأصحاب الوظائف الدينية فى دولته من بين فقهاء المالكيين ، فكانت النتيجة أن انتشر هذا المذهب وثبتت قدمه فى الأندلس . وسنرى فى سياق هذا التاريخ الأثر الحاسم الذى كان لمذهب مالك على تطور الثقافة فى الأندلس ، بسبب اتساع مدى انتشاره المستقر ، وما اتصف به من عداء لسكل تجديد ، مما أثار الفتن والقتال : وما «فتنة النصارى» فى قرطبة ، و«وقعة الحفرة» فى طليطلة ، و«هَيْجِج الربض» ^(٤) المروع الذى اضطر الحكم بن هشام الأول المعروف

بالربضي (٧٩٦/١٨٠ - ٨٢١/٢٠٦) إلى القضاء عليه بإغراقه في الدماء ، ما هذه كلها إلا نتائج لتشدد فقهاء المالكية وعنادهم : فلم يكن الحكم هذا زنديقاً ولا خارجاً على الدين ، ولكن الفقهاء سخطوا عليه إذ لم يعجبهم خلقه - وكان يغلب عليه الاستهتار والخفة - ولم يرضهم منه إقباله على الصيد والنبيد ، وأنكروا منه أنه لم يطلق يدهم في الأمور كما كانوا يشتهون . وكان الحكم شاعراً ، وكذلك كان غريب [بن عبد الله]^(٥) رأس ثوار طليطلة يقول الشعر . ورغم ذلك كله فإن أثر الحكم في تطور الثقافة العربية الأندلسية لا يعدل أثر خليفته عبد الرحمن الثاني الأوسط (٨٢١/٢٠٦ - ٨٥٢/٢٣٨) .

كان عبد الرحمن الأوسط محباً للشعر ، وكان ضعيف الشخصية : ترك عنانه بيد الفقيه يحيى بن يحيى ، وطروب أحب نسائه - أي نساء عبد الرحمن - إليه ، وزرياب المغنى . وكان زرياب رجلاً فذاً ، فكان إقباله على بلاط عبد الرحمن الأوسط إيذاناً بتحول هذا البلاط [من خشونته] إلى ترف قصور الحكام وأصحاب السلطان في المشرق . ذلك أن زرياباً لم يستهو أفئدة أهل قرطبة بصوته وجمال أغانيه فحسب ، بل بأدابه الاجتماعية ، وملابسه ، وطريقته في إرسال شعره ، ولألمه البديعة التي كان يتفنن في ترتيبها ، فأخذ الناس عنه ذلك كله ، وأصبح ذوقه مقياس الذوق لأهل قرطبة ، وأصبحت ملابسه النموذج الذي يحتذيه القرطبيون في إعداد ملابسهم^(٦) . ومن ذلك الحين اجتهد حكام الأندلس في أن يكون لقصورهم مجد أدبي يحاكي ما كان لقصور خلفاء المشرق ، فاهتموا برعاية الآداب والعلوم والفنون ، حتى تصل قرطبة إلى مستوى يضاها ما وصلت إليه دمشق وبغداد . ومن هنا تألق في بلاط عبد الرحمن الأوسط شعراء مثل يحيى بن الحكم بن الغزال ، الذي وصفه ابن حيان بأنه « حكيم الأندلس وشاعرها وعرفائها » ، والذي كان عبد الرحمن يندبه ليسفر بينه وبين غيره من الملوك^(٧) ، فكان يقوم بهذه السفارات وينشئ الأشعار متغزلاً فيمن يلقى

من النساء ، بل لقد أنشد الغزال أهل بغداد بضعة أبيات من شعره وزعم أنها لأبي نواس فلم يشك الناس في أنها للحسن بن هاني^(٨). [ومن شعراء بلاط عبد الرحمن الأوسط تمام بن علقمة ، الذي أنشأ أرجوزة طويلة نظم فيها تاريخ افتتاح المسلمين للأندلس^(٩) ، وحسانة التميمية بنت الشاعر أبي الحسين]^(١٠) (*) .

ونبع كذلك فقهاء كبار ذوو علم واسع ، مثل عبد الملك بن حبيب وابن الماجشون ، وأصبغ بن الفرج ، ومحمد بن مزين — وكلهم مالكيون^(١١) .

وفي ذلك الحين كان عنصر المستعربين على وشك أن يتلاشى ويختفي في العنصر العربي ، وهذا هو أقل ما نخرج به من عبارات التعجب والاستفكار التي سجلها « آلبرو القرطبي » في كتاباته ، وهي عبارات معروفة ذائعة ، صور لنا فيها شبان النصارى من أهل بلده متضلعين في لغة العرب وشعرهم ، مفضلين ذلك على النزر اليسير من العلم والأدب الذي كان قد بقي إلى أيامهم من العصر الزاهر للآداب اللاتينية في إسبانيا ، كما تتجلى في كتابات إيزودور الإشبيلي ، ولم يبق في أذهان الناس من هذه الآداب اللاتينية بعد أيام يولوجيوس وآلبرو القرطبيين إلا معالم قليلة غير واضحة ، هي التي تسمى بآداب المستعربين . وقد ضاع أدب للمستعربين هذا كله على وجه التقريب ، ولم يبق لنا منه إلا نماذج قليلة جداً ، كتلك الأبيات التي نظمها الأسقف بنجنشيس^(١٢) ليقدّم بها كتاب من تأليفه إلى الأسقف عبد الملك ، ومثل « تقويم الأسقف ريكييموندو » .

وعبرت بالإمارة الأموية ، بعد ذلك ، أيام عصبية : ذلك أن الأمير محمد ابن عبد الرحمن (٨٥٢/٢٣٨ — ٨٨٦/٢٧٣) — وكان أنانياً بخيلاً^(١٣) — استعان بالفقهاء ، واستطاع أن يرهب البائسين من رعاياه من النصارى ويخضعهم لسلطانه . أما المسلمون من الإسبان فقد كان من بينهم نفر من الشيوخ والرؤساء لم يدعنوا بالطاعة لسلطان أمير قرطبة : من أمثال بني قسي سادة أرغون ، وعبد الرحمن بن مروان الجليلي المنتزى في ماردة وبطليوس ، وعمر بن حفصون الذي

(*) أسقط المؤلف الفقرة الواردة بين الحاصرتين من الطبعة الثانية من كتابه .

تولى قيادة المستعربين في جنوب الأندلس من معقله حصن مِبَشْتَرُ في ناحية رُنْدَة ، وأولئك كلهم كانوا خارجين على سلطان إمارة قرطبة . فلجأ الأمير محمد إلى شيوخ قبائل العرب ورؤسائهم يستعين بهم على محاربة أولئك الخارجين على سلطانه ، وكان من الطبيعي أن يحاول أولئك العرب استغلال هذه الفرصة ، فسكنوا لأنفسهم في نواحيهم ، وانزواهم الآخرون بها ، وأنشأوا فيها سلطاناً منافهاً لسلطان الأمير . واشتد النزاع بين هذه الطوائف من عرب الأندلس وبين الإمارة القرطبية ، وطال هذا النزاع واشتد أمره حتى كاد يقضى على إمارة قرطبة ، خاصة في أيام الأمير عبد الله (٢٧٥/٨٨١ - ٣٠٠/٩١٢) .

وشاع بين الناس الميل إلى الشعر الجميل ، وشاركهم فيه الأمراء أنفسهم [مثل الأمير عبد الله]^(١٤) ، وظهر شعراء بلاط كثيرون لم يفوزوا من إعجاب جمهور الناس بنصيب كبير ، مثل القلقاط [محمد بن يحيى] وعبيديس [بن محمود]^(١٥) ، وابن عبد ربه^(١٦) ، وغيرهم . وظهر كذلك رجال يمثلون الفروسية العربية بأكل معانيها ، مثل سعيد بن جودي^(١٧) المقدم الذي قاد جماعات العرب في صراعها مع عمر بن حفصون ، وكان ينشد الأشعار متغنياً بحبه الميثوس منه لجيجان جارية الأمير عبد الله ومغنيته .

ولقد بلغ من غرام أهل الأندلس بالشعر في ذلك الحين أن ظهر بينهم فن شعري جديد أقبل الناس عليه فيما بعد إقبالاً عظيماً ، هو فن الزجل والموشحة الذي ابتكره مقدم بن معافى القبرى الضرير الذي توفي قبل سنة ٩١٢/٣٠٠ ، ويصاغ على نظام جديد للقوافي والأوزان ونسق جديد كذلك للأبيات . وكلا الموشحة والزجل يختلفان اختلافاً ظاهراً عن نظام القصيدة العربية ، فهما يستعملان اللغة الدارجة ويمزجان العربية في بعض الأحيان بعبارات من اللهجات الرومانسية .

أما في بقية صنوف الآداب فقد مضى الناس على ما قرره السلف من مناهج : ففي دراسة الفقه مضى الناس على الأسلوب التقليدى ولم يشذ عن ذلك إلا المحاولة

الجريئة التي قام بها بَيْقِي بن مخلد عندما أراد أن يلحق الناس أصول مذاهب قهية أخرى غير المالكية ، كالذهب الشافعي مثلاً . وقد كادت جراته تلك أن تكلفه حياته ، ولولا أن تدخل الأمير محمد بنفسه في الأمر — استجابة لشكوى تقدم بها الفقهاء إليه في أمر بقي — لما نجا هذا الأخير من هلاك محقق ، فقد أقر الأمير بَيْقِيًا على التدريس كما يريد ، وأتاح الفرصة بذلك للذهب الشافعي لينتشر في الأندلس ويظل مذكوراً فيه حتى سقوط الخلافة^(١٨) .

* * *

بيد أن عبد الرحمن الناصر (٩١٢/٣٠٠ — ٩٦١/٣٥٠) وفق إلى إنقاذ الحضارة الإسلامية الأندلسية الزاهرة مما كان يتهددها من الأخطار الخارجية والخلافات الداخلية . فقد كان ذا سياسة حازمة مكنت له من أن يخضع جماعات العرب لسلطانه ، وأعانتته على القضاء على قوة عمر بن حفصون (الذي كان قد فقد الكثير من جاهه بسبب ارتداده عن الإسلام واعتناقه النصرانية) ، وهاجم الناصرُ ممالك النصارى في الشمال ، وتدخل بمهارة فائقة في الخصومات التي كانت قائمة بين الليونيين والقشتاليين والنبريين ، واجتهد في إضعافهم وتمكين سلطانه عليهم من هذا السبيل ، وناجز الفاطميين الذين سادوا المغرب وصقلية ، واستطاع أن يضع حداً لمطامع الشيعة في إنشاء دولة عالمية وإخضاع الناس جميعاً للمهدى أو الإمام المستتر . وكان أساس القوة التي أقام عبد الرحمن عليها سلطانه تلافية ناحية النقص التي كانت تضعف كيان جيوش الدولة الأموية الأندلسية : وهي تكوينها من قبائل منفصل بعضها عن بعض ، تحضر المواقع بأعلامها وألويتها ، فأنشأ طائفة جديدة ممتازة مخلصه لشخصه وحده ، وأضاف إلى عداد الجيش جماعات من « الموالى » الجدد كونها من عناصر ذات أصول نصرانية ، وهم المسمون « بالصمالة » الذين كان معظمهم يجلب من بلاد أوربا الوسطى ومن بلاد النصارى في شمال إسبانيا . وقد وصف أهمية هذه الطائفة « پَرِيْتُو بيبيس » في كتابه عن

« ملوك الطوائف » بقوله : « ولما كانوا يربون منذ نعومة أظفارهم في قصر الخلافة ، وتُبدل العناية في تأهيلهم بعلم طيب ، فقد انفتح أمامهم الطريق وأصبحوا يكوّنون صفة الموظفين الإداريين ، وتولوا القيادات العسكرية . وكان عددهم وثروتهم في ازدياد ، وأصبحوا يكوّنون طائفة متميزة في كيان المجتمع الإسلامي الأندلسي »^(١٩) . أضفى عبد الرحمن الناصر على الأندلس النظام والرخاء في الداخل ، وهياً له الاحترام والتقدير في الخارج ، وزاد في موارد الثروة بتشجيع الزراعة والتجارة والصناعة والفنون والعلوم حتى بلغت كلها أوجها على أيامه ، واهتم بتجميل قرطبة حتى أصبحت تضاهي بغداد بهاء وجمالاً .

وطبيعي أن يصاحب هذا التحليق السامق بعناصر الحضارة المادية تطور في نواحي العلم والأدب ، فظهر في عصره شعراء كابن عبد ربه ، وابن هاني ، والزبيدي ؛ ومؤرخون من طبقة الرازي ، وابن القوطية ، وصاحب « أخبار مجموعة » ، وألخشي . ولم يعدم نوع التأليف الموسوعي — المحجب إلى نفوس المسلمين والذي يعرف عادة « بالأدب » — ناساً يمثلونه في الأندلس ويبرزون فيه ، كابن عبد ربه صاحب « العقد الفريد » ، وهو أشبه بموسوعة أدبية ، تاريخية ، فلسفية . وظهرت البوادر الأولى للفلسفة على يد ابن مسرة (٨٨٣/٢٧٠ — ٩٣١/٣١٩) الذي أذاع بين مسلمي إسبانيا مبادئ المشبه بأبناذقليس (وهو مذهب أفلوطيني يقول بوجود مادة روحية) على الرغم من معارضة الفقهاء التي لم يكن منها مفر ، ولكن هذه البذرة الأفلوطينية قدر لها أن تثمر مع الزمن وتظهر آثارها في تفكير ابن جبيرول وابن عربي .

كذلك أقبل نفر من الأندلسيين على دراسة الرياضيات والفلك ، ولكن هذه الدراسات كانت تجري في دوائر ضيقة وفي معزل وستر عن الناس ، لأن الفقهاء وجمهرة المسلمين كانوا يحرمون تعاطيها . أقبل أولئك نفر على هذين الفنين دون نفر ، وكان أول من عنى بهما أحمد بن نصر ومسلمة بن القاسم ، فكانا

بذلك واضع البذرة التي ستزهر إزهاراً وارفاً في عهد الحكم المستنصر . كذلك خطت دراسة الطب خطوة حاسمة في الأندلس بعد ما تُرجم كتاب « ديوسقوريدس » الذي كان الإمبراطور البيزنطي قد أهداه إلى الخليفة . هذا وقد كانت دراسة الطب محل عناية الناس في الأندلس قبل ذلك بزمان ، إذ أن يونس الحرائي كان قد وفد على الأندلس من المشرق حاملاً ذلك العلم الجليل في عهد الأمير محمد .

وطبيعي أن لا تكون عناية الأندلسيين بالعلوم الدينية قد قلت عن عنايتهم بغيرها من فروع المعرفة : كانت دراسة الحديث موضع العناية البالغة ، فظهر محدثون فقهاء متحققون بالحديث من أمثال محمد بن واضح ، وابن القوطية ، وقاسم بن أصبغ ، وابن أيمن — وغيرهم كثيرون — أقبلوا على المسانيد المتواترة كسندی البخارى ومسلم ، وأكثروا من التأليف في شرحها . وبرع في القراءات والتفسير مسكي بن أبي طالب . وأما الفقه المالكي فقد برع فيه عدد لا يحصى ، نذكر منهم قاسم بن أصبغ وابن أبي زمنين . وظهر في الفقه الشافعي نفر كبير من تلاميذ بقي بن مخلد نذكر منهم أبا أمية الحِجاري ؛ بل كان الأمير عبد الله ابن الناصر نفسه قد بلغ من ميله إلى الفقهاء أن تأمر على أبيه مع نفر منهم مما سار به إلى حتفه مع اثنين من أعلامهم^(٢٠) . وكان الخليفة يرعى بعنايته منذر بن سعيد البلوطي الظاهري المذهب الذي مهد طريق الظاهرية لابن حزم ، وكان تسامح عبد الرحمن من السعة بحيث كان يُحضر مجالسه الخاصة الطيب اليهودي الذائع الصيت حسداى بن شَبْرُوط . وكان من نتائج هذه الرعاية التي أضفاها الناصر على حسداى أن بدأت الدراسات اليهودية في إسبانيا ، ولم تلبث هذه البلاد أن أصبحت مركز الدراسات العبرية ؛ وكان من نتائج عناية حسداى بهذه الدراسات العبرية أن تحسن حال إخوانه في الدين ، مما أتاح لليهود — فيما بعد — أن يقوموا بنصيب كبير في الثقافة الأندلسية .

وكانت مكتبة القصر التي عني بها الناصر دليلاً واضحاً على الدرجة العالية التي بلغتھا الثقافة الأندلسية في عصره ؛ وقد تكونت منها ومن مكتبتي الأميرين محمد والحكم مجموعة الكتب العظيمة التي كانت موضع فخر الحكم المستنصر .

وكان الحكم الثاني (المستنصر ٣٥٠/٩٦١ - ٣٦٦/٩٧٦) أكثر الخلفاء الأندلسيين تسامحاً وحرية فكر . قال دوزي : لم يحكم إسبانيا يوماً من الأيام حاكم على هذه الدرجة من العلم ، نعم إن كل من جاء وا قبله من أمراء الأندلس وخلفائها كانوا رجالاً ذوي علم وولع بجمع الكتب ، ولكن أحداً منهم لم يطلب الكتب القيمة والنادرة بهذه المهمة : فكان له في القاهرة وبغداد ودمشق والإسكندرية عمال مكلفون باستنساخ كل الكتب القيمة قديمة كانت أو حديثة ، وكان قصره حافلاً بالكتب وأهلها حتى بدا وكأنه مصنع لا يرى فيه إلا نساخون ومجلدون ومزخرفون يحملون الكتب بالمنمنات والرسوم الجميلة . وكان فهرست مكتبته يقع في أربع وأربعين كراسة في كل منها عشرون ورقة — على قول ، وخمسون على قول آخر — « ليس بها إلا أسماء الدواوين لا غير ، وأقام للعلم والعلماء سوقاً نافقة جلبت إليها بضائعه من كل قطر » . وقد قدر بعض المؤرخين عدد مجلداتها بما يربو على أربعمائة ألف كتاب ، قرأها الحكم كلها ، وعلق على معظمها ، وكان يكتب في أول كل مجلدة أو في آخرها « نسب المؤلف ومولده ووفاته ، ويأتي من بعد ذلك بفرائب لاتكاد توجد إلا عنده لعنايته بهذا الشأن » (٢١) .

وكان الحكم أعلم الناس بتاريخ الأدب ، وكانت إشاراتہ وتعليقاته حجة يرجع إليها علماء الأندلس ، بل كانت أخبار الكتب المؤلفة في فارس والشام كثيراً ما تتصل بعلمه قبل أن يخرجها أصحابها . وقد انتهى إلى علمه مرة أن عالماً من علماء العراق — هو أبو الفرج الأصفهاني — معنى بجمع أخبار وأشعار لشعراء العرب ومغنيهم ، « فأرسل إليه بألف دينار من الذهب العين فبعث إليه بنسخة منه قبل

أن يخرجوه في العراق] وكذلك فعل مع القاضي أبي بكر الأبهري المالكي في شرحه مختصر ابن عبد الحكم وأمثال ذلك^(٢٢) ، وقد بعث الأصفهاني مع نسخة كتابه بقصيدة يمدح بها الخليفة وأردفها بمؤلف له في نسب بني أمية ، فكانأه الحكم بمنحة أخرى . وعلى الجملة فقد كان كرم الحكم على علماء الأندلسيين لا يعرف حدوداً ، وكان لهم كذلك أثر ملحوظ في بلاطه ، إذ كان يقدمهم على كل من عداهم ويشملهم برعايته ، وشمل بفضلله هذا الفلاسفة أيضاً^(٢٣) .

وأطلق الحكم للرياضيين والفلكيين الحرية في إذاعة علومهم في الناس ، ومن هنا ظهرت إلى الوجود مدرسة مسلمة الجريطي في مدريد ؛ ومسألة هذا هو الذي أدخل رسائل إخوان الصفاء في الأندلس . ولقيت دراسة الطب عناية عظيمة بفضل أبي القاسم الزهراوي . وكذلك نهضت دراسة النبات على يد سليمان بن جُلجل . وكان الخليفة يُحضر مجالسه ابن صلاح الله القرطبي [أحمد بن عبد الوهاب ابن يونس] المعروف بأرائه المعتزلية المنحرفة ، بسبب ما كانت تذهب إليه من تحكيم العقل في مسائل الشرع والمقيدة . كذلك كان الحكم يظلل بحمايته نفراً من الشافعيين تحولوا إلى مذهب الاعتزال ، وكان يحتفظ في مكتبته بنسخة من « كتاب الأم » للشافعي ، وعليه وفد الأديب العالم المشرقي النابه أبو علي القالي ، وكان رجلاً فذاً ذا أثر ملحوظ فيمن عاصره أوجاء بعده من أهل الأندلس

وإلى جانب شخصية المنصور بن أبي عامر تلاشت شخصية الضعيف المتطامن هشام بن الحكم — الملقب بالمؤيد — الذي خلف أباه على عرش الأندلس (٩٧٦/٣٦٦ — ١٠٠٥/٣٩٦) . وقد اقتضت سياسة المنصور ورغبته في تأييد مركزه أن يضيف إلى من كان يؤازره من عناصر جيش الخلافة من المولدين والصقالبة عنصراً جديداً عظيم الخطر شديد التأييد له ، فكون جيشاً من البربر الذين جلبهم من إفريقية وجمع أزمة قيادتهم بيده وحده ، وتمكن بفضل هذا الجيش الجديد من أن يوقف كل تقدم للتصاري جنوبى نهر دُويره ، وتمكن

من الاستيلاء على ليون و شنت ياقب و برشلونة . واستبد بالأمر وحده ، وقهر الأندلسيين على الطاعة لحكومة استبدادية عسكرية ، فكانت النتيجة أن اضطرت نيران الفتنة التي قصمت ظهر الأندلس بعهد وفاته و بعد أن تراخت يده الحديدية . وكان من نتائج استبداده كذلك أن تعثرت الحضارة الأندلسية في سيرها على أيامه . ولقد كان المنصور أول أمره شغوفاً بالفلسفة ، فأفكر منه الفقهاء ذلك ، واستطاعوا أن يثيروا عليه غضب العامة ، فرأى — وهو السياسي الكيس البعيد الطامح — أن يضحى بشعنه في سبيل غاياته ، وأمر بإحراق كل ما كان في مكتبة القصر من كتب الفلسفة والفلك وغيرها من العلوم التي لا يرضى عنها الفقهاء^(٢٤) ، حتى يستعيد حب الناس له . وهكذا أعاد إلى الفقهاء ما كان لهم من قوة وسلطان ، فكان ذلك خطوة إلى الوراء (ومن نتائجه أن اضطر المهندس النابه الذكر عبد الرحمن بن إسماعيل بن زيد — الملقب بـ «إقليدس الأندلس» أو الإقليدسى — إلى أن يهجر وطنه) ، ولكن الفقهاء رغم ذلك لم يستطيعوا اعتراض طريق الحركة العلمية التي عظم نشاطها على عصر ملوك الطوائف . وكان الشعر الغنائى هو اللون الأدبى الذى غلب على غيره فى بلاط المنصور . وقد بلغ من غلبته أن أنشئ ديوان خاص للشعراء ، جعلوا فيه طبقات ، وقدرت جوائزهم على قدر مراتبهم ، فكانوا ينالون أجزل الصلات على ما ينشئون من شعر غالبه المديح . وكان أبرز شخصيات هذه الدائرة الأدبية التي أحاط المنصور بها نفسه صاعد البغدادي ، والرمادي ، والوزير أبو المغيرة بن حزم . وكان بينهم كذلك شعراء يتحدث شعراً عن تشاؤم وسوء ظن بالدنيا ، مثل ابن أبي زمنين . بل ظهر شعراء من بين الصقالبة ، وهم طبقة اجتماعية سيكون لها فى تاريخ الأندلس بعد سقوط الخلافة شأن عظيم . وإذا استثنينا بضعة فقهاء مالكيين من طبقة ابن الحداد [محمد بن يحيى بن أحمد] وبضعة مؤرخين من طراز ابن الفرضى ، الذى كان أول من وضع معاجم الرجال بالأندلس ، فإن عصر المنصور لا يمتاز بأى

شخصية من الطراز الأول في ميدان العلوم والفنون .

كانت ثورة قرطبة على أولاد المنصور والفتنة الكبرى التي أعقبتها قاضيتين على الخلافة . وقد تطاحت على دفة الأمور خلال هذه الفتنة المبيرة طوائف شتى كان كل منها يحسب أنه قادر على قطع دابر الفتنة وإعادة الدولة وتسيير الأمور ، فقامت عقب سقوط الخلافة حكومة في قرطبة أشبه بحكومات البلديات (عام ٤٣١ / ١٠٣١) ؛ وانتهى تطاحن الطوائف إلى تحزبها خلال أدوار الفتنة الأهلية في طوائف ثلاث متعادية فيما بينها : البربر وقد استولوا على الجزء الجنوبي من الأندلس ، والصقالبة وقد انحازوا إلى شرقه واستبدوا به ، والأندلسيين وقد أقاموا دولهم فيما بقي للمسلمين من الجزيرة .

ولم يلبث بعض هذه الدويلات الناجمة أن صارت إلى جيرانها واختفت دون أن تخلف أى أثر يذكر في التاريخ الأدبي ، بينما استطاع بعضها الآخر البقاء في الميدان ، وقامت بينها منافسة حامية في ميادين العلوم والآداب . ونشأ عن هذا التنافس أن نهضت الآداب نهضة بلغت بها أقصى درجات ازدهارها في تاريخ الأندلس الإسلامي . وقد كان هذا الازدهار نتيجة لعوامل أخرى كثيرة ، أهمها أن عصرى الإمارة والخلافة كانا بمثابة فترة إعداد طويلة تجمعت خلالها مواد وافرة غزيرة في كل فرع من فروع الدراسات واختمرت اختماراً طويلاً ، وثانيها أن علماء قرطبة غاثروها أثناء الفتنة وانتشروا في شتى نواحي الأندلس ، وكذلك تفرقت في كل ناحية مجموعات الكتب التي كانت مخترزة في مكتبات قرطبة ، وثالثها تلك الحرية التي أباحها ملوك الطوائف في شتى نواحي الحياة الاجتماعية بما فيها الناحية الدينية . وليس معنى هذا أن الفقهاء انصرفوا عما كانوا يتمسكون به من سلطان ، ولكنهم لم ينفكوا للأمر كثيراً في ذلك العصر المضطرب ؛ ولم يكن يخطر لهم ببال أن المقادير ستفتح لهم من جديد فرصة الأخذ بالنار في ظلل المرابطين ، فينزلون بخصوصهم أشد الانتقام .

ففي قرطبة — حيث صارت مقاليد الحكم إلى الوزير الشاعر أبي الحزم بن جهور — ظهر ابن حزم صاحب التوالمف الكنتيرة في كل فن ، وهو من أفذاذ الأعلام المعدودين في تاريخ الأندلس . وإن التأمّل في مؤلفاته وما تحويه من مادة غزيرة ليرى بوضوح أن ذلك الإنتاج الحافل لا يمكن أن يصدر إلا عن حضارة بانفت من التمدد مباهناً عظيماً . فذلك التحليل النفسى الدقيق الذى يتجلى في كتابه « طوق الحمامة » ، وهذه للملاحظات الشخصية النافذة على الرجال وأخلاقهم التى يبديها في كتاب « الخصال » ، ذلك كله يتحدث عن بيئة ذات حضارة عالية . فأما تاريخ الأديان الذى ألفه باسم « الفصل فى الملل والنحل » فقد سبق به أوروبا النصرانية ببضعة قرون — كما يقول بحق أستاذى ميغيل آسين پلاثيوس — لأن التاريخ للأديان لم يعرف فى الغرب إلا فى منتصف القرن التاسع عشر . أما مذهبه الفقهى « الظاهرى » الذى يقوم على التفسير الحرفى للقرآن ، فلم يجد عند فقهاء عصره قبولاً ، بل تعقبوه فى عنف وضيعوا عليه الخناق ، ولكن ابن حزم كان قد بعث فيه من الحيوية ما يمكن له من البقاء دهنراً طويلاً ، رغم إنكار الفقهاء له . وكانت لابن حزم مساجلات ومجادلات حامية اضطر إلى خوضها مع الفقهاء دفاعاً عن آرائه ، ونخص بالذكر مجالس الجدل التى دارت بينه وبين أبى الوليد الباجى الفقيه الأشعري المعروف ، فقد ظل صداها يتردد فى جوانب العالم الإسلامى دهنراً طويلاً ؛ وهى تدل على مواهب ابن حزم ولسانه الحاد اللاذع .

وأخمل ابن زيدون — ذلك النريد الموله فى ولادة — ذكر الكثرين من معاصريه ممن كانوا أقل شأنًا منه كالحيدى ؛ وظهر مؤرخون مثل ابن حيان المحقق ذى الأسلوب القوى الجميل . ولم ينبج الأندلس بعد هذين من أربى عليهما فى ميدانها . كذلك دام للمالكية جاهها فى الأندلس بفضل فقهاء من طبقة ابن الطّلاع .

ولم يتح للأدب أن يصل إلى مستوى رفيع في غرناطة ، لأن أصحاب الأسر فيها كانوا من طوائف البربر ؛ ومع ذلك فقد ظهر في سماءها من أعلام الأدب والعلم غرباء عن الأندلس — مثل المغامر المشرق أبي الفتوح الجرجاني ، وكان شاعراً فيلسوفاً فلكياً — ورجال من جنس ولغة آخرين — مثل اليهودي صمويل بن النّفدلة ، الذي ارتقى بالدراسات العبرية في الأندلس إلى أوج بعيد — وأندلسيون مثل الفقيه أبي إسحاق الإلبيري الذي دفع أهل زمانه إلى خلق نيريوسف بن صمويل بن النّفدلة . أما الشعراء والكتّاب ذوو المواهب العالية من أهل غرناطة فقد اضطروا إلى اللجوء إلى بلاط المرية .

وعاش في المرية في أول عصر الطوائف الوزير أحمد بن عباس ، وكان رجلاً فذاً معنياً بالعلم وأهله ، وكانت له مكتبة تضم أربعاً ألف مجلد . وقد أدركت المرية أوجها الأدبي في عصر أميرها المعتصم بن صمّاح (١٠٥٦ / ١٠٥١ — ١٠٩١ / ٥٨٧) ، الذي كان راعياً صادقاً للأدب والفنون والعلوم ، فالتف حوله شعراء مثل ابن شرف البرنجي ، وابن أخت غانم ، وابن الحداد الوادي آشي والسميسر الإلبيري . وكان أولاد المعتصم هذا — وهم أبو جعفر ، وعز الدولة ، ورفيع الدولة ، وأم الكرام — شعراء كلهم . كذلك عاش في بلاطه علماء مثل أبي عبيد البكري الأديب ، وكان من طلائع الجغرافيين المسلمين .

وكان الحال في إشبيلية شبيهاً بما كان عليه في « المرية » إذ طغى الشعر فيها على ما عداه من أضرب الأدب في ظل بني عباد . ولقد كان المعتضد والمعتمد من أعلام الشعراء ، ومن ثم لا نستغرب أن يكون بلاطهما مدرسة تخرج فيها أهل الآداب . وقد وصلت الحمريات وشعر النسيب والغزل أعلى درجات الكمال في ذلك البلاط المصقول ، حيث عجز شعراء مجيدون — من طبقة حلي بن حصن ، وابن حمديس الصقلي ، وأبي بكر بن زيدون ، وأبي بكر بن اللبانة ، وغيرهم كثيرون — عن إدراك ما وصل إليه ابن عمار وزير المعتمد النابه الذكر المنكود

الحظ ، من تخليق بعيد في سماء الشعر . وقصروا كذلك في ملاحقة « اعتماد » نفسها — زوج المعتمد وجارية رميك القاجر الإشبيلي قبله — فضلا عن مجارة الملك الشاعر المعتمد فيما أبدعه من رائع القصيد . والحق أن المعتمد وفق — في أيام سعوده ومجده — إلى درجة من التجويد مكنت له من أن يصل بشعره — في أبواب الغزل ، ووصف مجالس السرور ، ووصف الحرب والنصر — إلى آفاق استدرت إعجاب البدو أنفسهم . فلما تنكرت له الأيام ، وعانى أوصاب السجن والهوان ، أخذت نفسه الفنانة تجود بدرر من الشعر لا زالت تثير في أنفسنا — إلى اليوم — الإجلال لهذا الملك الفارس الشهم الكريم .

أما بنو الأفطس ، أصحاب بطليوس ، فقد استطاعوا هم الآخرون أن يرتفعوا بالثقافة في قطرم إلى أوج رفيع ؛ وتمكن المظفر بن الأفطس أن يجمع من مكتبته الخاصة مواد موسوعته « المظفرية » الذائعة الصيت . وقد ضم ديوان المظفر هذا ابن عبد البر أعلم أهل غرب الأندلس في زمانه بالحديث ، وكان إلى ذلك شاعرا قادرا على نهج القدماء . وفي بلاط بنى الأفطس عاش عبد المجيد بن عبدون الشاعر ، ومن مآثره تلك القصيدة التي رثى فيها بنى الأفطس لما أصابهم على أيدي المرابطين ، وهي قصيدة رصينة الصياغة إلا أنها فاترة الروح مدرسية المنهج .

وأما في طليطلة ، حيث نشر بنو ذى النون سلطانهم ، فقد طغى التأليف العلمى على ما عدها . ففي هذا البلد عاش الزرقالى ، أبرع من أنجب الأندلس من علماء الفلك ، ووضع نظرياته العلمية . وكان أبو عثمان سعيد بن محمد بن البغوش فيلسوفا رياضيا . أما ابن وافد (Eben Guefet) عند مترجميه إلى العبرية واللاتينية) فكان من أوسع أطباء أهل زمانه علما بالطب . وقد مارس هذا الفن كذلك محمد التميمى ، وكان يلقنه لطلبته بطريقة عملية تجريدية (إكلينيكية) . وكان من نابهي شعراء هذه المملكة « ابن أرفع رأسه » وعاش في طليطلة كذلك نحويون مجيدون كأبى الوليد الوقيسى ، وأصحاب وثائق وشروط متمكنون من

تحرير العقود ، كابن مغيث . وأطاعت طليطلة إلى جانب هؤلاء مؤرخين نابيين ، مثل صاعد الطليطلى والحجاري .

وكان الحال في سرقسطة شبيهاً بذلك : إذ كان المقتدر والمؤمن — من بني هود — من أنصار العلوم ومن المتجردين لرعايتها في تحمس ، وخاصة الفلسفة والرياضيات والفلك . وقد ألف « المؤمن » كتاباً في هذا العلم الأخير علق عليه موسى بن ميمون . وهى سرقسطة وفد فلاسفة كابن جبيرول وابن باجة ؛ ولقيت رسائل إخوان الصفاء إقبالا عظيماً من أهلها ، وكان الكرمانى قد حملها من المشرق ؛ وفي ربوع سرقسطة عاش أبو بكر الطرطوشى صاحب الكتاب اللطيف المسمى « سراج الملوك » .

وساد الشعراء في بلنسية ومرسية على من عداهم من أهل العلم والأدب ؛ فكان منهم عبد الجليل بن وهبون المرسي صاحب القصيدة المعروفة عن وقعة الزلاقة ، وأبو عيسى بن ليون الأديب صاحب بلدة مريبطر ، والوقشي الذي صور الدمار الذي أنزله السيد « القمبيطور » ببلنسية ، وابن خفاجة صاحب الحمريات الطائرة الصيت والمبدع في شعر الغزل ووصف مجالس الأنس والسرور . ولم يخل هذا الإقليم كذلك من رجال متضلعين في فنون أدبية أخرى ، مثل أبي الحسن علي بن إسماعيل المعروف بابن سيده صاحب « المختص » المعروف .

بيد أن انتشار عقد الأندلس وتفرق أمره في دول الطوائف ، كان في ذاته سبب ضياع أمره . لأن هذه الدويلات الصغيرة كانت على حال من الضعف لم تستطع معها أن تثبت لهجات النصارى الذين اتهجوا خطة تختلف عما كان عليه المسلمون إذ ذاك ، واتجهوا إلى توحيد قواهم أمام المسلمين الذين لم يتوقف

المقصومات بينهم أبدا؛ بل لقد أصبح ألفونسو السادس بعد استيلائه على طليطلة (٤٧٨ / ١٠٨٥) في مركز مكنّ له من أن يعين بعض ملوك الطوائف على بعض ، ويتدخل في شؤون مملكة بلنسية ، وعظمت قوته واشتد خطره على المسلمين حتى خافه المعتمد ودخل في ولائه وزوّجه إحدى بناته^(٢٥) . وكان الفقهاء يعتقدون أن سبب اضمحلال البلاد إنما هو انصراف أمراء الطوائف عن الدين وحدوده ، فأملوا — لهذا — أن تصلح الحال إذا استعانوا بالمرابطين . وعارض الأمراء في الاستعانة بهم ما استطاعوا المعارضة ، إذ أنهم توجسوا شرا من مزاحمتهم لهم على السلطان في الأندلس ، ولكن الغالب أن جمهور الناس ألحوا في استقدام المرابطين ، وتوجه بالفعل وقد مؤلف من قضاة بطليوس وغرناطة وقرطبة ووزير إشبيلية أبي بكر بن زيدون إلى إفريقية وقابلوا يوسف بن تاشفين واستبصرخوه لنجدة الأندلس ، فأجابهم إلى ما طلبوا .

وعبر يوسف إلى إسبانيا ثلاث مرات ، وأخذت تنعقد حوله وهو منصرف إلى الحرب في الأندلس شباك تديرين في وقت واحد : الأول دبره ملوك الطوائف للإيقاع به وأذاه ؛ وعقد أطراف الثاني الفقهاء ورموا من ورائه إلى إسلام الأندلس جملة إلى يوسف بن تاشفين . واجتهد الفقهاء في ذلك ، وسعوا بأمراء الطوائف ، وتكلموا مع الأمير في خلعهم ؛ وانتهى الأمر باقتناعه برأيهم ، وعقد الفية على استئزال أمراء الطوائف الأندلسيين عن عروشهم ، إذ تبين عجزهم عن مقاومة النصارى . ووجد أن جمهوراً كبيراً من الناس يؤيده في هذا العمل ، فاستصدر من الفقهاء فتوى بعدم صلاحية ملوك الطوائف للحكم وضرورة عزلهم ، ولم يلبث الأندلس جميعه أن دخل في دولة المرابطين .

كان إعجاب دوزي بملوك الطوائف لا يكاد يعرف حداً ، بل بلغ به الإعجاب
 ببني عباد أصحاب، إشبيلية مبلغ الوله الشديد ، ومن ثم صور استيلاء المرابطين على
 ممالك الطوائف تصويراً حالاً السواد : فجعل هؤلاء الأفاقة متبررين أغاروا
 على البلاد وقضوا على الأزهار الحضارى الفكرى الذى تمتعت به فى عصر الطوائف .
 وقد استند دوزي إلى عبارة قصد بها عبد الواحد المرأكشى المؤرخ على بن يوسف
 وحده ، ولكن دوزي عممها فجعلها تشمل المرابطين أجمعين ، وهذه العبارة هى :
 « واختلت حال أمير المسلمين [على بن يوسف بن تاشفين] رحمه الله بعد
 الخمسةائة اختلافاً شديداً ، فظهرت فى بلاده مناكر كثيرة : وذلك لاستيلاء أكابر
 المرابطين على البلاد ، ودعواهم الاستبداد ، وانتهوا فى ذلك إلى التصريح ، فصار
 كل منهم يصرح أنه خير من أمير المسلمين وأحق بالبلاد منه . واستولى النساء
 على الأحوال ، وأسندت إليهن الأمور ، وصارت كل امرأة من أكابر لمثونة
 ومثوفة مشتملة على كل مفسد وشريير ، وقاطع سبيل ، وصاحب خمر وماخور ،
 وأمير المسلمين — فى ذلك كله — يتزيد تغافل ، ويقوى ضعفه ؛ وقنع باسم إمرة
 المسلمين وبما يُرفع إليه من الخراج ، وعكف على العبادة والتبتل ، (فكان يقوم
 الليل ، ويصوم النهار مشتهراً عنه ذلك ، وأهل أمور الرعية ضاية الإهمال) :
 فاختل عليه — لذلك — كثير من بلاد الأندلس ، وكادت تمود إلى حالها
 الأولى ، لاسيما بعد أن قامت دولة الموحدين بالسوس » (٢٦) .

وقد كانت مبالغات دوزي السبب الذى دفع أستاذ المستعربين الإسبان
 « فرانسيسكو قديره » إلى أن يرد عليه ويستخرج — بدقته المهودة — العدد
 الضخم من العلماء ، وأهل الآداب ، الذين تألق نورهم فى هذه الفترة ، ويثبت بهذا
 خطأ وصف هذه الفترة بأنها فترة متبربرة (٢٧) .

وإليك نص ما يقوله دوزي عن الشعر (فى هذه الفترة) : « وإن أشد

ما يصدمننا في ذلك الشعر ما يسوده من روح الاستسلام الديني ، مع ما كان عليه الشعر الأندلسي من القوة والحيوية قبل ذلك حين كان دنيويا خالصاً يتحدث عن متاع الدنيا كله ، ولم تكن لتخالطه أفكار أخروية ، وكان الشعراء يتغنون بالخر وألوان اللهو دون أن يحفلوا للدين وأهله . فكان شعرهم حياً لا يعجب إلا بالنشاط والحركة ، وكان الشاعر فخوراً بموهبته ، مدركاً لخطورة شأنه ، فكان يتعرض لأخطاء الأمراء بالنقد دون خوف . وكان يستثير حرارة كل تلك الخصال التي كان العرب يرون فيها نبلاً وجمالاً . وكان الحال على العكس من ذلك في حكم علي المرابطي : ففي ظل هذا الرجل التافه حلت النساء والفقهاء محل كبار الناس وأشرفهم . وكان الشعر صورة صادقة للعصر ، فانتقل من القوة وخلو البال والخفة واللهو إلى الجبن والجفاف والحزن والتدين . وكانت هذه الأزمان من السوء بحيث أخذت العيون ترتفع عن الأرض إلى السماء . كان أهل هذا الزمان يقاسون ويستسلمون ، في حين كان أهل العصر الذي سبقه يغالبون المقادير ؛ واخفت — لهذا — الصور الشعرية الجميلة . فإذا تصدى الشعراء للصور القديمة يحاولون تقليدها لم يلبثوا أن يتخبطوا في السخف والابتذال ، ولم تعد نسمع غير مدائح عقيمة لصاحب الأمر الذي كان معتبراً رمزاً للألوهية ولروح التقى المتصنع المبالغ فيه ، وصاحب هذا — جنباً إلى جنب — فساد شامل للعادات وانقلاب كامل للنظام الاجتماعي » (٢٨) .

ونبيين مبالغة دوزي [في تشويه صورة العصر المرابطي] إذا عرفنا أن من أبناء هذا العصر ابن قزمان أجزأ شعراء الأندلس ، وحينما نرى أن ابن قزمان لم يتفرد وحده بتلك الجرأة ، بل كان له تلاميذ وأتباع عديدون . ونستطيع أن نعارض كلام دوزي بكلام أستاذي خُليان ريبيرا في مقاله عن ابن قزمان ؛ قال : « استقرت في عقول الناس [عن العصر المرابطي] صورة خيالية (أي غير

واقعية) لشعب متعصب ، عدو للفلسفة ، منحرف إلى اضطهاد الناس ؛ وذلك نتيجة لما تعود الناس أن يقرأوه من أوصاف لتاريخ هذا العصر وأحوال الدين فيه ، كتبها فقهاء . ولكن هذا الشعر (أى شعر ابن قزمان) يحمل إلينا نسماً جديداً ، فهو غريب في روحه يحمل إلينا نفحات من أجواء المجتمع العليا والدنيا . ونحن نظفر فيه بأوضح الإشارات عن هذا المجتمع الذي كان مدركاً لنفسه ، فخوراً بثقافته الأدبية المهذبة ، رغم تفرق أمره وضياع وحدته . ولقد توافق على ذلك الزمان الأوج الثقافي الأدبي وأقوى درجات الاضمحلال السياسي والاجتماعي . وإن تأمل أحوال الأندلس — إذ ذاك — ليجى إلينا بكثير من الخواطر : إذ أنه من الصعب أن نجد فترة من التاريخ الإسباني تألق فيها مثل هذا العدد من عباقرة عظماء من هذا الطراز : مفكرين وشعراء وأهل أدب ورجال علم . ويصعب جدا — كذلك — أن نجد فترة تضارع هذه في التفكك السياسي ، وفي الأهمية الاجتماعية . فهذا الشعب ، الذي بلغ هذا المبلغ من الثقافة ، قد ترك قياده السياسي والدفاع عن أرضه إلى جموع من الأفارقة هم المرابطون .

« في ذلك العصر وصل الإسبان من أهل الجنوب^(٢٩) (أى الأندلسيين) إلى أعلى درجات الإزهار الأدبي ، بل كان لهم أدب شعبي يجرى على أساليب أوروبية : كانوا يلبسون أزياء أوروبية ، ويحتفلون بأعياد غير إسلامية — « كهيد يناير » و « عيد القديس يوحنا » — ويسيرون أعمال زراعتهم وغيرها مما تمس إليه حاجاتهم بمقتضى التقويم الأوروبي . ثم إنهم كانوا — كما رأينا — يتحدثون لغة أوروبية ، ويديرون أغانيهم حول مواضيع أوروبية ، ولما كانوا هم الشعب الأوروبي الوحيد الذي أزهرت عنده الفنون بشق صنوفها ، والآداب والفلسفة وغيرها إزهاراً عظيماً ، فقد أصبحوا — بهذا — المثل الذي يُحتذى ، وسوق ثمرات الفكر المقصود . وحينما نهضت أوروبا نهضتها الفلسفية والفنية والعلمية والأدبية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر ، كان الأندلسيون من أكبر شعوب

أوروبا أترأ في الفلسفة والفلك والطب والقصاص وشعر الملاحم وما إلى ذلك . ولم تزل الآثار العميقة التي خلفتها هذه النهضة إلا حينما ترددت في جوانب أوروبا هتئات النهضة الإغريقية»^(٢٠) .

والتحليل (العلمى) يؤيد ريبيرا فيما يذهب إليه . نعم إن الواقع أن شعراء هذا العصر لم يتفوقوا على غيرهم ، ولكن الواقع كذلك أن فنوناً أدبية كبرى وصلت إلى أرفع درجات تطورها خلاله . ونستطيع أن نذكر من نبغ في النقد الأدبى أبا الفتح بن خاقان وأبا الحسن بن بسّام ، اللذين درسا شعر عصرهما وشعر القرن الذى سبقه ، دون أن يعرضا للتيار الشعري الشعبي الدارج الذى يمثله ديوان ابن قزمان وجميع الزجالين الآخرين الذين لا يحصيهم العدد . وظهرت في ميدان التاريخ مؤلفات ابن بشكوال والضبى ، ومؤلفات أخرى كثيرة في تواريخ النواحي . ويمكننا أن نذكر من بين كتّاب التراجم الكثيرين ابن خير . وأما الجغرافية فقد اتسعت ثروتها بما انضاف إليها من مؤلفات أبى حامد الفرناطلى والإدريسى . وفي ميدان الفلسفة بدأ ابن باجة دراسات أرسططاليس . وبرع في الرياضيات ابن مسعود وابن سهل الضرير وجبر بن أفلح الإشبلى . وفي ميدان الطب نبغ أبو الصلت الدانى وابن باجة ومعاونه سفيان الأندلسى . وفي ذلك الوقت بدأ نجم ابنى زهر — أبى سروان وأبى العلا — يظهر . أما فى عالم الفقه فقد ظهر ابن أبى الخصال والقاضى عياض بن موسى . وظهر فى دراسات الحديث الرشاطى ، وفى النحو ابن الباذش وفى علوم الدين أبو بكر بن العربي تلميذ الفزالى الذائع الصيت .

* * *

وكانت الأسباب السياسية والاجتماعية التى أدت إلى النزوة الموحدية شبيهة بتلك التى سببت ذهاب دول الطوائف ، وقد قلنا فى موضع آخر إن « الأندلسيين حينما وجدوا أنفسهم حيال حكومة ضعيفة فاسدة وقوة حررية تضعضعت وانكسرت شوكتها ، وحينما رأوا كساد تجارتهم وصناعاتهم وأحسوا أنهم فريسة

الغلاء وغزوات النصارى ، أخذوا يلعنون هؤلاء المرابطين الذين كانوا قد رجوا الخلاص على أيديهم ، وبلغ بهم الأمر أن سألوا سيف الدولة — آخر بني هود وحليف الإمبراطور ألفونسو السادس — في سنة ١١٣٥/٥٣٠ أن يتفق مع ملك قشتالة على أن يعينهم على التخلص من المرابطين ، لقاء جزية ثقيلة يؤدونها له « (٣١) .

وحوالى منتصف القرن الثاني عشر ، كان الموحدون قد أصبحوا سادة لجزء كبير من سراكش ، يقودهم محمد بن تومرت الذى تسمى بالمهدى — أى « المسيح » الذى وعد النبي محمد بظهوره^(٣٢) . وفى ذلك الحين كانت نيران الثورة على المرابطين تتأجج فى نواحي الأندلس جميعها ، وكان يقودها ابن قسى المر تلى تعيينه طائفة من المتصوفة يسمون « المر يدين » ، كان قد أنشأها أبو العباس بن العريف فى المرية ، فاستنجد ابن قسى بعبد المؤمن بن على أول خلفاء الموحدين وحصل على معاونته . ولم يلبث الموحدون أن احتلوا ما بقى فى أيدي المسلمين من الأندلس . ولم يقوقف تقدم الآداب فى أثناء ذلك كله ، بل بلغ من كثرة الشعراء الذين هنأوا أبا يوسف يعقوب المنصور بقصائد من الشعر النصيح أو الزجل الدارج أن أسمر بالأآ ينشدوه إلا البيتين الأولين من قصائدهم . ومن ظهر فى هذا العصر أبو جعفر ابن سعيد صاحب النسب المعروف فى حفصة الركونية ، وعبد الرحمن الشهبلى ، وأبو الحسين محمد بن جبير ، وأبو البقاء الرندى ، وابن الأبار ، وكلهم شعراء لهم مقامهم فى الشعر الأندلسى . وقام عقيل بن عطية ، وأبو العباس أحمد الشريشى بشرح مقامات الحريرى . ونبغ فى التاريخ ابن الأبار ، وفى الجغرافية ابن جبير ، وفى الفلك البطروجى (Alpetragius)^(٣٣) ، وفى الطب بنوزهر . وبرع ابن البيطار [ضياء الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد] فى النبات ، وابن قرقل [أبو إسحاق إبراهيم] وابن الأقلشى [أحمد بن معد بن عيسى بن وكيل التجيبى الزاهد] — وغيرهما كثيرون — فى علوم الشرع ، وأبو على الشلوينى وابن السيد البطليوسى فى

النحو . وكانت الفلسفة أوفر نواحي الثقافة الإسلامية حظاً من العناية في عصر الموحدين^(٣٤) . وقد غلب على هذه الفلسفة طابعان : الأول أرسطى يمثله ابن باجه وأبو بكر ابن طفيل وأبو الوليد بن رشد خاصة ، وهذا الأخير هو صاحب الفضل فيما عرفته معاهد الدرس في أوروبا النصرانية من كتابات أرسطو ، وكان — أى ابن رشد — رجلاً متديناً صرف همه إلى التوفيق بين الدين والفلسفة ؛ والثانى أفلاطونى حديث يمثله يحيى الدين بن عربى المتصوف « الخائر الجوال » الذى ترك آثاراً فى داخل العالم الإسلامى (نلاحظها عند ابن سبئين مثلاً) وخارجه (نلاحظها عند دانتى ورايموندو لؤلؤ) . ولسكى نستوفى الكلام عن ارتفاع شأو العلوم فى الأندلس فى القرن الثانى عشر الميلادى لا بد لنا من الإلمام بذكر يحيى (يهودا) بن ليثى الذى انتفع بالفلسفة فى تفهم العقيدة الموسوية وشرح أصولها ، وموسى بن ميمون الذى اجتهد فى أن يؤدى للدين اليهودى مثل ما أداه ابن رشد للإسلام فيما يختص بعلاقتهما بالفلسفة . ولنذكر كذلك أن مؤانسات مفكرى المسلمين كانت تترجم إلى اللاتينية إذ ذاك فى طليطلة ، وكان هذا هو الطريق الذى انتقلت عن سيده علوم اليونان وثورتها الفكرية إلى مدارس الغرب . وقد استمر هذا التأثير الإسلامى حياً فعالاً حتى عصر الفونسو العاشر ، الذى يدين للثقافة الإسلامية بالشىء الكثير .

ومن منتصف القرن الثانى عشر الميلادى انكشفت دولة الإسلام فى الجزيرة واقترنت على مملكة غرناطة ، وكان استغلاب النصارى للعجائب الأكبر من الأندلس الإسلامى قد دفع علماءه — بصورة عامة — إلى الهجرة إلى مراكش وبلاد المشرق ، حيث استقروا ومضوا يذشرون علومهم ، وطار صيتهم . وهكذا رد الأندلس إلى المشرق ما أسلف إليه فى الأعصر الخالية .

ظل مستوى الثقافة رفيعاً فى مملكة غرناطة حتى القرن الخامس عشر الميلادى ، فعاش فى بلادها شعراء من طراز ابن سعيد المغربى ، وأثير الدين أبى

حيان ، ولسان الدين بن الخطيب يسترجعون ذكريات الأزمن الزاهرة الخوالى
 ويميدون إلى نفوسنا ذكراها . ونيفغ فيها مؤرخون كابن الخطيب وابن خلدون ،
 ورحالون كالعبدري [رزين بن معاوية] وابن رُشيد [أبى عبد الله محمد بن عمر] ،
 ورياضيون كابن البناء [أبى العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي] الذى لازال
 كتابه « التلخيص فى أعمال الحساب » متدارساً فى جامعة فاس إلى اليوم ،
 أو كارقوطى [أبى بكر محمد بن أحمد] الذى قبس ألفونسو الحكيم من معارفه
 الشىء الكثير . وظهر فيها نحويون مثل أثير الدين أبى حيان ، الذى هجر إلى
 المشرق وأقام فيه بقية حياته ينشر علومه : فقد كان إلى جانب نبوغه فى النحو
 متعمقاً بطائفة كبيرة من علوم الإسلام . وتجلى فى غرناطة كذلك علماء فى الشرع
 مثل محمد بن أحمد بن حرب وأبى بكر محمد بن عاصم ، الذى لازال كتابه
 « التحفة » متدارساً متداولاً فى فاس إلى اليوم كذلك . وظهر فيها محدثون مثل
 ابن سيد الناس وعمر بن نور الدين الأنصارى الذى انتقل إلى القاهرة وصار
 أستاذاً بها . هؤلاء جميعاً كانوا أعلاماً على قوة الحيوية التى كانت تتوفز فى كيان
 الثقافة الأندلسية الإسلامية ، فقد استطاعت هذه الآداب البقاء رغم قلة ما كانت
 تستطيع دويلة غرناطة الصغيرة أن تهينته لها ولأصحابها من ظروف ملائمة للانتعاش ،
 بسبب ما كانت فيه من كفاح دائم مع النصارى .

وبعد سقوط غرناطة ، يتجلى لنا شقاء الموريسكيين الاجتماعى فيما خلفوه لنا
 من أدب قليل فقير ، لا يحد من العربية إلا أحرف مهاجها : إذ أنهم جهلوا العربية ،
 ولم يعمودوا يعرفون غير الإسبانية ، فكتبوا بها ما عن لهم تدوينه ، وسجلوه
 بحروف عربية ؛ وهذا ما يعرف بالأدب الخميادى أى المستعجمى . ومعظم ما لدينا
 من هذا الأدب مؤلفات دينية ، وكتب خرافات ، وكتب فى الشرع ؛ ولم يخل هذا
 الأدب من شعر مثل « فصيحة يوسف » و « تاريخ نسب الرسول » ، ولكن
 أهم عناصره كانت الأساطير والقصص ، مترجمة أو مقتبسة من أصول عربية .

وكان هذا من غير شك هو السبيل الذي انتقلت به إلى إسبانيا النصرانية ثروة
تصصية شرقيه كبرى ، نرى أوضح نماذجها في قصص ألف ليلة .

وقد بلغ من صدق الأدب الإسباني العربي الباهر أن تأثيره لم يقف عند
الحدود السياسية لدولة الإسلام في الأندلس ، ولهذا لم يقتصر على المسلمين وحدهم ، بل
كان له أثر بعيد عند المستعربين واليهود . فلم تسكد أسس الدراسات التلمودية
تستقر في الأندلس — بفضل ذلك الجهد الوافر الذي بذله حسداى بن شبروط
(٣٣٤ / ٩٤٥ — ٣٦٠ / ٩٧٠) — حتى أخذ الشعر العبرى الحديث يظهر
إلى الوجود ويفصح عن نفسه مقلداً للنماذج من الشعر العربى ، وحتى نجد أوائل كتب
الفحو العبرى الرئيسية تظهر مكتوبة بالعربية (كما نجد فى مؤلفات أبى زكريا
حيوج) ، ونجد كذلك ابن جبيرول ، أول فيلسوف يهودى ، يؤلف كتابه المسمى
« ينبوع الحياة » بالعربية ويقتبس مادته عن أصل عربى ، بل إننا نجد أنه كان
يقلد شعراء العرب فيما نظم من الشعر . وبلغت العرب كذلك كتب بجميا بن فاقوذا
رسالته فى الأخلاق والتصوف المسماة « الهداية إلى فرائض القلوب » . وبها ألف
أبو عمر يوسف بن صديق ، وكتب يهودا هاليثى كتابه المسمى « الخزرى » ،
واستعملها إبراهيم بن داود الطليطلى ، وإبراهيم بن عزرا^(٣٥) ، وموسى بن ميون ؛
بل إن الأفكار التى تدور حولها كتابات هؤلاء كلها عربية . وظل اليهود —
بعد زوال سلطان العرب عن البلاد بزمان طويل — يتدارسون الكتب العربية ،
ويترجمونها إلى العبرية فى همة يتجلى فيها إعزازهم العميق لها ، فاستطاعوا بذلك
الجهد أن يحتفظوا لنا فى أحيان كثيرة بترجمات عبرية للكثير مما ضاعت أصوله
من آثار الأندلسيين . بل إن أسراً يهودية — كبنى طيبون اللونانيين (نسبة إلى
لونل Lunel ، بلدة بجنوب فرنسا) — كرست جهودها كلها لذلك العمل
الحمود ، ألا وهو إذاعة الكتب العربية بين الناس .

وكان للأدب العربي الأندلسي في النصرارى نفس الأثر الذى كان له في اليهود ، إذ كان أوائلك النصرارى خيرانا للمسلمين الأندلسيين ر بطنهم بهم الأسباب المتصلة زمانا بعد زمان ، ولم تقتصر علاقتهما على الحرب بل قامت بينهما صلوات سلمية أيضاً . وعن طريق هذه العلاقات عرف نصرارى الشمال ما كان للمسلمين في الجنوب من نظم سياسية وإدارية ودينية وتجارية ، وتنبهوا إلى قدرها ، وكان من الطبيعى أن يميلوا إلى النسيج على منوالها . وعند ما كتب للنصرارى التوفيق في حربهم الطويلة مع المسلمين — التى يسميها كتابهم بحرب الاسترداد La Reconquista — وتمكنوا من احتلال طليطلة عام ١٠٨٥/٤٧٨ وتقرير مصير الجزيرة بذلك ، أخذ ملوك قشتالة يعملون على رفع مستوى الثقافة بين شعبهم ، بنقل كنوز الثقافة الإسلامية إلى لغاتهم ؛ ومن ثم ظهرت في طليطلة « مدرسة المترجمين » المشهورة ، التى نقلت العلوم الإغريقية وما أضافه العرب إليها من شروح وتعليقات إلى المدارس الأوروبية . وقد كان دافع النصرارى إلى تدارس كتب العرب في بعض الأحيان هو الدفاع عن النصرانية ، أى الرغبة في تعرف آراء خصومهم من المسلمين لكي يستطيعوا مجادلتها وإظهار فضل عقيدتهم عليها . ومن هذا الفريق من النصرارى — الذين اهتموا بدراسة لغة العرب وعلومهم — رايغونديو مارتين ، ورايمونديو لوليو ، والقديس پدرو بشكوال ، وغيرهم كثيرين من المتصدين للزيادة عن المسيحية من كتاب الإسبان . وفي أحيان أخرى ، نجد أثر العرب عند كتاب النصرارى أعق وأوسع مدى : فنجد في كتاباتهم طابع الفكر العربى وروحه ، دون أن نستطيع أن نتعرف أسلوبهم في المحاكاة على نحو واضح ملموس . ومن هذا الطراز دانتي اللجييرى الذى انتفع انتفاعا عظيما بالأساطير الإسلامية المتعلقة بقيام الساعة وأوصاف الدار الأخرى في إنشاء الكوميديا الإلهية الخالدة .

وبلغ الاهتمام بدراسة علوم العرب — من فلك ورياضيات وطب — أوجه

في إسبانيا النصرانية في عهد ألفونسو العاشر ، فترجموا « القرآن » و « التلمود » و « القبالة » ، وتداولت أيديهم كتباً عربية في الحكم والألغاز نقل أصحابها فيها حشداً من آراء فلاسفة العرب ومفكرهم ، (كما نجد في كتابي بونيوم و بوريدات) .
ونقلت عن العربية كتب في الألعاب — كالشطرنج — واستعمات الموسيقى الأندلسية في صياغة الأغاني الإسبانية المعروفة بالكنتيجات ، وذاعت بينهم ترجمات لكتب عربية مشرقية في الحكمة (مثل كليلة ودمنة) ، والقصص (مثل السندباد) عرفها الناس عن طريق صورها العربية ، وأنشئت مدرسة للدراسات العليا في مرسية ثم أخرى في إشبيلية ، واجتمع في هاتين المدرستين أعلام العلماء من المسلمين والنصارى واليهود ؛ وكان يشرف على هذا العمل الضخم ذلك الملك الذي استحق من التاريخ لقب « السائبو » ، أي العالم .

وانتشرت الأساطير والقصص الشرقية على مجل : فتجد إلى جانب « ألف ليلة وليلة » و « السندباد » كتاب « سلوك رجال الدين » *Disciplina Clericalis* لبيدرو ألفونسو Pedro Alfonso ، وصوراً مختلفة لقصة بوذا (نجد نموذجاً منها في برلام و يوسافات) ، وكلها انتشرت وذاعت في أوروبا عن طريق ترجماتها العربية . وإن أسماء مثل خوان مانويل ، و (رايغونديو) لوليو ، وتورميديا ، لتشهد بأجلى بيان على ما ساهم به العرب في تكوين القصص الإسباني . ويكاد يكون من المحقق أن مجموعة حكايات ألف ليلة وليلة العربية قد أخذت سبيلها إلى الغرب عن طريق إسبانيا ، بدليل ما كان متداولاً منها بين مسلمى الأندلس ، وما أخذه نصاراهم عنهم منها . وكانت هناك كذلك قصص عربية فياضة بالحياة كقصة « حى بن يقظان » لابن طفيل ، التي تعتبر نموذجاً للقصة الفلسفية ، وكالفصول الأولى من كتاب « الكريتيكون » لبلتازار جراثيان .

ومن الثابت أن المسلمين الأندلسيين تداولوا قصصاً ذا طابع غنائى ضاع كله ، فكانت لهم أغنيات وأساطير لها أثر ملحوظ في نشأة شعر الملاحم الإسباني .

والفرنسى ، بدليل ما نجد من شواهد على وجود ذلك القصص الأندلسى فى بعض كتب التاريخ العربية ككتاب « اففتاح الأندلس » لابن القوطية . وقد كشف ريبيرا هذا القصص وانتهى إلى هذه الحقائق كلها ، وأذاعها .

وكذلك صيغت كل الأشعار الغنائية — التى نجدها فى اللغات الرومانية فى العصور الوسطى — فى أوزان وبحور مشتقة من أوزان فن شعرى ابتكره الأندلسى مُقَدِّم القَبْرِى فى القرن العاشر الميلادى ، وهو فن الزجل والموشحة الذى انتقل مع الموسيقى الأندلسية ذات الأصل الشرقى إلى فرنسا وإنجلترا وألمانيا ، وطال بقاؤه فى إسبانيا بعد انقضاء عصور المسلمين حتى لنجد نماذج منه فى مطلع القرن السابع عشر (٣٦) .

الشعر

الشعر في الجاهلية — الخصائص العامة للشعر الأندلسي

ظهرت خلال الفترة التي انقضت بين صدور الطبعة الأولى من هذا الكتاب عام ١٩٣٨ وإعداد هذه الطبعة الثانية، دراسات قيمة مشرقة عن الشعر الأندلسي. فقد نشر غرسية غومس — حين كان أستاذاً بجامعة غرناطة — كتابه المسمى «قصائد عربية أندلسية Poemas Arábigo-Andaluces» (*) فأعطانا صورة تشوق النفس عن نواحي الجمال الأدبي التي يضمها هذا الشعر. ثم أخرج للناس عام ١٩٤٠ كتيبته المسمى «قصائد الأندلس Qasidas de Andalucía» ترجم فيه إلى شعر إسباني رصين أطرافاً من أشعار ابن زيدون وابن عمار والمعمد بن عباد صاحب إشبيلية. ثم نشر أبحاثاً متفرقة عن نواحٍ مختلفة من الأدب الأندلسي من بينها ترجمته البديعة «لرسالة» الشقندي في فضل الأندلس بعنوان :

Elogio del Islam Espanol por el Secundi

وفي عام ١٩٤٠ أخرج الطبعة الثانية من كتابه «قصائد عربية أندلسية» منقحة معدلة. وبعد ذلك بعامين، أي في ١٩٤٢، نشر «كتاب رايات المبرزين وشارات المميزين» لابن سعيد المغربي مع ترجمة إسبانية كاملة وتعليقات ضافية بعنوان :

El Libro de las Banderas de los Campeones

وهذا الكتاب مجموع من أشعار أهل الأندلس، استعمله غرسية غومس كأساس

(*) نقلنا هذا الكتاب إلى العربية ونشرناه بعنوان «الشعر الأندلسي» —

لكتابه « القصائد » ، ثم نشر نصه كاملاً بعد ذلك . وعند ما انتخب عضواً في « المجمع الملكي الإسباني للتاريخ » في سنة ١٩٤٣ ، ألقى في حفل استقباله بحثاً ضافياً عن ابن زمرك ، آخر شاعر فحل أطلعه الأندلس .

ومن الكتب الجليلة التي ظهرت في هذا الميدان مؤلف هنري پيريس أستاذ جامعة الجزائر المعروف : « الشعر الأندلسي الفصيح في القرن الحادى عشر ، خصائصه العامة وقيمه التاريخية » :

Henri Pérès: La Poesie Andalouse en Arabe Classique au XI Siècle. Ses Aspects Gènèraux et sa Valeur Documentaire (Paris, 1937)
درس فيه حشداً عظيماً من أشعار الأندلسيين و بوبها بحسب موضوعاتها ، وجعلها في متناول الباحثين .

وقد رأيت أن أعيد كتابة هذا الباب الثانى من كتابى حتى أضمنه نتائج هذه الدراسات الجديدة ، فحذفت معظم ما كنت أوردته في الطبعة الأولى من النصوص ، واستبدلت بها أخرى أوردتها بترجمة غرسية غومس . وإننى لأنتهز هذه الفرصة لأعرب لصديقى وزميلى العزيز عن أصدق شكرى على ما تفضل به من الإذن لى فى الاقتباس من كتبه ، وإن القراء ليشاركوننى فى إجزاء هذا الشكر .

ف ٢ — الشعر فى الجاهلية :

اتخذ الشعراء فى الأندلس الإسلامى قصائد العرب الجاهليين نماذج ينظّمون على منوالها ، كما حدث فى غير الأندلس من بلاد الإسلام . وقد كانت محاكاة هذا الشعر الجاهلى ميسورة ، أما الإتيان بأحسن منه فى بابها فقد كان عسيراً .

وكانت قصائد الجاهليين تُتناقل أول الأمر عن طريق الرواية الشفوية ، وكان أول من دونها حماد الراوية فى القرن الهجرى الثانى ، إذ دون سبعاً من غرر الشعر الجاهلى سميت « المعلقات » ، وأصحابها هم : امرؤ القيس ، وزهير بن أبى سلمى ،

والنابغة الذبياني ، وأعشى قيس ، ولييد بن أبي ربيعة ، وعمرو بن كلثوم ، وطرفة ابن العبد . ويُجمع نقاد الأدب جميعاً على هذه المعلقات السبع ، ويجعل بعضهم معلقتي الحارث بن حلزة وعنترة مكان معلقتي النابغة والأعشى .

وقد وضع بعض كتاب العصور المتأخرة حكاية جعلوها أصلاً للفظ « معلقة » — ومن هؤلاء السيوطي (١٤٤٥ / ٨٤٩ — ١٥٠٥ / ٩١١) — ذهبوا فيها إلى أن معنى اللفظ : « القصائد المعلقة » ، وقالوا إن تنافس الشعراء في إنشاد قصائدهم في سوق عكاظ هو الأصل في ظهور هذه المعلقات ، فكان الناس إذا أقروا فضل قصيدة علقوها في عكاظ أو في الكعبة . وليس لدينا عن منافسات الشعراء هذه إلا فكرة غير واضحة ، وذهبوا كذلك إلى أن هذه القصائد إنما ظهرت في مكة (لا في عكاظ) . وزعموا أنه كان على الشعراء — قبل الإسلام — أن يعرضوا ثمار قرانهم على رجال قريش ليقتضوا قضاءهم فيها ، فكان أولئك القضاة إذا أجمعتهم قصيدة أذنوا لصاحبها في أن يعلقها في الكعبة تشریفاً له ، كما كان الإغريق يتوجون رأس الشاعر السابق بإكليل من الغار^(١) ، وتضيف هذه الأسطورة أن لييداً — حينما اعتنق الإسلام — نزع معلقته من الكعبة ومزقها إرباً .

أما أبو زيد محمد بن علي الكرخي النحوي فقد اختار طائفة من عيون القصائد وجعلها سبع طبقات ، أولها المعلقات ، وسمى رابعها « المذهبات » . ثم اختلطت هاتان الطبقتان إحداهما بالأخرى ، ومن هنا فقد قرر بصورة قاطعة أن « هذه المعلقات كانت مدونة بحروف من ذهب على قطعة من فاخر النسيج عقلت على أستار الكعبة » .

وقال محمد بن أبي الخطاب القرشي في كتابه المسمى « بجمهرة أشعار العرب » في سياق كلامه عن أصحاب المعلقات : « والقول عندنا ما قال أبو عبيدة : امرؤ القيس ثم زهير والنابغة والأعشى ولييد وعمرو وطرفة . وقال المفضل : هؤلاء أصحاب السبع الطوال التي تسميها العرب « السموط » ، فن قال إن السبع لغيرهم فقد

خالف ما أجمع عليه أهل العلم والمعرفة « (*) » ، فأسقط المفضل من أصحاب المعلقات عنقرة والحارث بن حلزة وأثبت الأعشى والنابغة .

وكانت المعلقات تسمى المذهبات ، وذلك أنها اختيرت من سائر الشعر فكتبت في القباطى بماء الذهب وعلقت على الكعبة ، فلذلك يقال : مذهب فلان ، إذا كانت أجود شعره ؛ ذكر ذلك غير واحد من العلماء . وقيل بل « كان الملك إذا استجيدت قصيدة يقول : « علمتوا لنا هذه » ، لتكون في خزائنه » (٢) .

بيد أن عدم ورود هذه الأخبار عند أوائل المؤرخين والشرح (كالأزرقي صاحب « تاريخ مكة » وابن هشام صاحب « سيرة النبي » ، وقد سجل لنا فيها كل ما كان في الكعبة تسجيلًا دقيقًا) ، وورودها أول مرة في إشارة لأحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس أبي جعفر من أهل مصر ، المتوفى في منتصف القرن الرابع الهجرى (٣) ، يذهب فيها إلى أن تلك الأخبار حكايات موضوعة لا أساس لها من الصحة ، ثم ظهورها بعد ذلك في عصور متأخرة كعصرى ابن خلدون (٧٢٢ / ١٣٣٢ — ٨٠٩ / ١٤٠٦) والسيوطى (١٤٤٥ / ١٤٤٥ — ٩١١ / ١٥٠٥) — كل أولئك حجج دامغة نحدونا إلى رفضها . هذا وقد أثبت بوكوك Pococke ورايشكه Reiske ، ودى ساسى Sylvestre de Sacy بطلانها ببرهان ظاهر الوجاهة : هو ندرة استعمال الكتابة بين العرب حتى على عهد الرسول . وإذا كان القرآن نفسه لم يدون إلا على قطع من الجلد وبسبغ النخل والحجارة للساء ، فإنه لمن المستبعد أن تكون القصائد الوثنية قد دونت على نسيج فاخر بحروف من ذهب .

والحقيقة أن لفظ « معلقة » يعنى معلقة فعلاً ، ولكنه يعنى كذلك « عقداً » .

(*) أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشى : كتاب « جهرة أشعار العرب » ، ص ٣٤ — ٣٥ ؛ الطبعة الأولى ، بولاق ١٣٠٨ هـ .

(*) حلال الدين السيوطى : « كتاب المزهرفى علوم اللغية وأنواعها » ، القاهرة ١٢٨٣ هـ ، ج ٢ ، ص ٢٤٠ .

(+) انظر عنه « معجم الأدباء » لياقوت ، ج ٤ ، ص ٢٢٤ — ٢٣٠ ، طبعة مريد رفاعى .

وقد استعمله الزمخشري بهذا المعنى عنواناً لمجموع من مختاراته الشعرية ، ويؤيد ذلك أن حماداً الراوية جمع مختاراً من القصائد وجمله في كتاب سماه « الأسماط » أى « المقود » ، مما يجعلنا نتطعم بأن المعنى الحقيقي للفظ الملققات هو المقود . تصور قصائد الجاهليين حياة عصرهم بخيرها وشرها ، وذلك أمر طبيعي . ولقد أخذ الشعراء بنصيب فيما وقع بين قبائلهم من خصومات وحروب لا آخر لها ، تدور كلها حول الازدياد عن شرف القبيلة والانتصاف لها إذا مس اسمها ما يشين ، أو قتل من أفرادها أحد . وقد برز الشاعر عنتر في الحروب التي ثارت بين قبيلتي عبس وذبيان . أما امرؤ القيس الكندي فقد جَوَّب في آفاق جزيرة العرب كلها طالباً أعداءه بثار أبيه المقتول ، وبلغ به الأمر أن قصد القسطنطينية راجياً الحصول على العون من إمبراطورها ، فمات في عودته منها عند أنقرة . وحلف الشنفرى ليقتلان مائة رجل من عبس ثاراً لصهره . وقضى عمرو بن هند ملك الحيرة أن يدفن طرفة وخاله المُتمسِّس حين عقاباً لها على ما قاله فيه . وسفك عمرو بن كلثوم دم هذا الملك في سورة غضب لأن أم ابن هند أهانت أمه .

وفي مقابلة هذه الخصلة الرعاء ، نجد العربي يمتاز بكرم ذهب مضرب الأمثال هند أهل الغرب . وقد جبل العربي على ذلك الندى بسبب ما يسود الصحراء من مخاوف . ومن مآثر ذلك الكرم العربي التي نضربها مثلاً ما ينسب إلى « مَرَّار القَقَّسِي » الذي يروى له أبو تمام في « الحاسة » أبياتاً يقول فيها :

آلَيْتُ لَا أَخْفِي إِذَا اللَّيْلُ جَنَّنِي	سَنَا النَّارِ عَنِ سَارٍ وَلَا مَعْتَوِرِ
فِي مَوْقِدِي نَارِي أَرْفَعُهَا لِمَلْهَا	تَضِيءُ لِسَارٍ آخَرَ اللَّيْلِ مُقْتَرِ
وَمَاذَا عَلَيْنَا أَنْ يُوَاجِهَ نَارَنَا	كَرِيمُ الْهَيْمَى شَاكِبُ الْمُتَحَسَّرِ
إِذَا قَالَ : « مَنْ أَنْتُمْ ؟ » لِيَعْرِفَ أَهْلَهَا	رَفَعْتُ لَهُ هَامِسِي وَلَمْ أَنْفَكِرْ
فَبِتْنَا بِخَيْرٍ مِنْ كَرَامَةِ ضَيْفِنَا	وَبِتْنَا نَهْيِي طُعْمِهِ غَيْرَ مَيْسِرِ ^(٢٢)

ومنها ما يروى عن حاتم طيِّبٍ ، الذي طلق زوجته لأنها كانت دأمة الخوف

من أن يجر كرمه الخراب عليهما . ويقول ابن قتيبة في كتاب « الشعر والشعراء » أنه « حدث -- بعد وفاة حاتم -- أن رجلاً يعرف بأبي خيبري مر بقبر حاتم ، فنزل به وبادت يناديه : يا أبا عدى . أقر أضيافاك ! فلما كان في السحر وثب أبو خيبري يصيح : وراحلتاه ! فقال له أجدابه : ما شأنك ؟ فقال : خرج حاتم والله بالسيف حتى عقر ناقتي وأنا أنظر إليه ؛ فنظروا إلى راحلته فإذا هي لا تنبث ، فقالوا : قد والله قرأك ! فنحروها وظلوا يأكلون من لحمها ، ثم أردفوه وانطلقوا . فبينما هم كذلك في مسيرهم طلع عليهم عدى بن حاتم ومعه جمل أسود قد قرنه ببعيره ، فقال : إن حاتمًا جاءني في المنام فذكر لي شتمك إياه وأنه قرأك وأصحابك راحلتك ، وقد قال في ذلك أبيانا ورددها على حتى حفظتها :

أبا خيبري وأنت امرؤ حسود العشيرة لوامها

فاذا أردت إلى رمة بداوية صخب هامها

تبغى أذاها وإعسارها وحولك عوف وأنعامها

وأسرنى بدفع جمل مكانها إليك ، فخذ ، ، فأخذه (*) .

وكان امرؤ القيس قبل توجهه إلى القسطنطينية قد استودع السموأل عادية : خمسة دروع فاخرة من الزرد ؛ فلما مات امرؤ القيس أقبل أعداؤه يطلبون إلى السموأل أن يسلمهم الدروع ، وهددوه بأن يقتلوا ابنه إذا هو لم يسلمها ، فأبى أن يفعل رغم إلحاح امرأته ، مفضلاً فقد ابنه على أن يخون الأمانة .

وكان النغنى بالشجاعة من أحب المواضع إلى الشعراء والعرب عامة ، وإليك

مثال من شعر عنقرة :

وحايل غانية تركتُ مُجْدَلًا تَمَكُّوْ فَرِيصَتُهُ كَشِدْقِ الْأَعْمَلِ

(*) أخذ المؤلف كلامه هذا عن :

René Basset : La Poésie Arabe Anté-islamique (Paris, 1880) p. 23 sqq.

وانظر : « كتاب الشعر والشعراء » لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة . طبعة دي خويه ،

لايدن ١٩٠٤ ، ص ١٢٩ --- ١٣٠ .

سبقت يداى له بعاجل طعنة ورشاش مافدة كلون القندم
هلا سألت الخليل يا ابنة مالك إن كنت جاهلة بما لم تعلم
] إذ لا أزال على رحالة ساجح نهدي تعاوره الحكمة مكمم
طوراً يجرّد للنطاس وتارة يأوى إلى حصدي القسي عمرهم (٣)

وبقول غرسية غومس : « إن القصيدة الجاهلية كانت تتألف من ثلاثة أقسام : مدخل غزلي يسمى « النسب » ، ووصف رحلة الشاعر خلال الصحراء ويسمى « الرحيل » ، ثم مدح الشخص الذي تقال فيه القصيدة ، ويسمى « المديح » .

وكان وصف الأسفار المخوفة بالمخاطر من المواضيع المطروقة الشائعة في قصائد الجاهليين ؛ وكذلك وصف العواصف ، والليل ، والجمال ، والغزلان ، وبعض أنواع السلاح ، وما إلى ذلك .

ولم يجعل الله الشعر في طبع محمد (صلعم) ، وإن كان قد وهب بلاغة فياضة وأسلوباً أدبيّاً رائعاً . وفي القرآن آيات تغض من قدر الشعر والشعراء ، كقوله (تعالى) : « والشعراء يتبعهم الغاؤون » ؛ ولكن محمداً أجاز قول الشعر واستمع إليه ، لأنه رأى فيه وسيلة لتقويم اللسان وتعلم البيان . وجعل شعراء المسلمين يدفعون بشعرهم ما عسى أن يوجهه شعراء خصوم الإسلام إليه من النقد والهجاء . ويقول ابن قتيبة — موجزاً — إنه بعد أن جاء الإسلام تغير الروح والعادات والحضارة والدين ، واختلقت عما كان الحال عليه في الجاهلية ؛ ومع هذا فقد احتفظ الشعر بنفس قواعده ، وظل خاضعاً لقواعد لا يمكنه الفكك منها ... فكان على الشاعر الذي ينظم قصيدة — اتباعاً للقواعد القديمة — أن يبدأ بذكر المنازل التي ظمن عنها أهاها ، ثم يتحسر ، ويرجو أصحابه الوقوف معه ، بينما يمضي هو مع ذكريات من رحلوا عن هذه الديار إلى منازل أخرى ومياه أخرى ، ثم يدخل بعد ذلك في قسم النسب من قصيدته : فشكوا آلام الهوى . وهكذا

يستلفت الاهتمام نحو شخصه ، ثم يصف رحلاته المجهدة الفياضة بالمتاعب في ربوع الصحراء ، ثم يتحدث عن تحول دابته من طول السرى ، ويمتدحها ، ويطنب في وصفها . ثم يتحتم بمدح الأمير أو الحاكم الذي ينشده قصيدته ، حتى يفوز منه بما يسمح به جوده^(٤) .

واستمر ذلك التقليد المطلق على رغم سخريه نفر من نقاد الأدب منه — ومن أولئك خلف الأحمر — مضوا يأخذون على شعراء بغداد والبصرة ودمشق انصرافهم إلى ذكر محاسن الجمال بينما لم تغب عن أبصارهم مآذن المدائن التي كانوا ولدوا فيها ، أو تغنيهم بذكر الآبار وعميون المساء وبين أيديهم الأنهار وبحار الماء ، أو سكوتهم عن محاسن الرياض الخضراء يزيناها الورد والزرجس والآس ، لجرد أن العرب لم يعرفوا هذه الأشياء . وهذا هو الذي جعل ابن بسام يقول في شأن الأندلسيين : « ... وقد تجت الأسماع « يادار مية بالعلياء فالسند » ، وملت الطباع « خلوة أطلال بريقة تهدي » ، وحثت « ففنا نبتك » في يد المتعلمين ، ورجعت على ابن حنبل بلأمة المتكلمين ؛ فأما « أمن أم أوفى » فعلى آثار من ذهب العفا . . أما أن أن يصم صداها ، ويسأم مداها ؟ وكم من نكتة أغفلتها الخطباء ، ورب متردّم غادرته الشعراء ، والإحسان غير محصور ، وليس الفضل على زمن بمقصور ، وعزيز على الفضل أن ينكر ، تقدم به الزمان أو تأخر ، ولحى الله قولهم : الفضل للمتقدم ! فكم دفن من إحسان ، وأخمل من فلان . ولو اقتصر النأخرون على كتب المتقدمين لصاع علم كثير ، وذهب أدب غزير^(٥) .

ثم إن الشعر العربي — كما يقول ريبيرا — أصبح « وسيلة قوية من وسائل تمثيل الشعوب في كيان الأمة العربية ، ومصدراً من مصادر قوتها : استعمله العرب اشد عزائم الجنود في ميادين القتال ، وفي بث الحمية في قلوب الجماهير بذكر الوقائع الحربية في أشعار كان القصاص يرددونها في الطرقات والميادين والشوارع . وكان ذلك يثير إعجاب الجمهور »^(٦) .

ف ٣ - الشعر العربي بعد الإسلام :

على الرغم من التغيير الكامل الذى شمل حياة العرب بعد الإسلام . ظل الشعر العربي خامساً لقيود لم تتغير ، وفى ذلك يقول غرسية غومس : « ولقد فقد الشعر علة وجوده الأولى عندما انتقل القالب النابض الإسلام من جزيرة العرب إلى دمشق القريبة من الصحراء ، وبعد أن غادر الشعر العربي هذه الأخيرة إلى بغداد ليستمر وتهدأ روحه فيها ، إذ طغت عليه العناصر الأسوية . وتأكد ذلك عندما انتقلت الخلافة من أيدي الأمويين - ذؤابة الشرف البدوى القديم ، الذين كان حب البداوة يعمر قلوبهم - إلى العباسيين الذين لبسوا ثياب المستقبلين من عواهل الشرق القديم . هنالك احتبس فى الخلق ذلك الصوت الجهير العميق الذى كان يصدر عن قلب الطبيعة النابض ، وحُرْم الشاعر من اللذة التى كان يجدها فى وصف الجمل وشياته ، وتصوير شجيرات الخزامى والبهار والعرار النابتة بين كشبان الرمال ، أو فى تصوير الوقائع الدامية التى كانت تثور بين البدو بعضهم وبعض ، ولم يعد يستطيع الحديث فى حرية وانطلاق عما كان يعانىه فى صحرائه من مشاق وجوع . ولم يعد الشاعر كذلك لسان القبيلة السيامى ، المتحدث بمنافخها ، المهاجم لخصومها ، المنادى بطلب ثأرها ، وإنما أصبح مداحاً مأجوراً أو هاجماً مثيراً للاسداوات والأحقاد . ولم تعد حبيبته تلك البدوية الحرة البارعة الجمال ، على الرغم مما كان يشوب حسناتها من سذاجة وبداعة ، لأنها حجبت عن الناس والتور خلف جدران الحریم اعترف على عودها فى عزلة عن الحياة ، وعاشت فى جو مثقل مظلم .

ثم إن الشاعر لم يعد يعيش فى جو الصحراء لرحب الطلق تحت أشعة الشمس الصاحية ، وإنما أصبح يتمثل فى أزقة المدن بين المكتبات والقصور ومجالس الأنس والأدب والاهو ، حيث يلتمس إعجاب فتية مترفين أقدم نعيم الحضارة . وكان بعضهم ينشد الناس شعره على هيئة شاذة تبعث على العجب ، كهذا الشاعر الموصلى

الذي حدثنا الشابشتي أنه « دخل على بعض الولاة وقد طين وجهه بطين أحمر ولبس لباداً أحمر وعمامة حمراء وأمسك عكازاً أحمر ولبس في رجله خفين أحمرين » (*). وكان لا بد للشعر من أن يتطور في الظروف الجديدة ، وثارت الخصومة بين الفدائي والمحدثين . وفيما بين أواخر القرن الثامن وأوائل العاشر طرقت شعراء من طبقة بشار بن برد وأبي العتاهية وأبي نواس وابن المعتز ونفر كثير غيرهم بموضوعات جديدة « مامرت قط بخاطر جاهلي ولا مخضرم ولا إسلامي » (†). وجاء بعدهم جميل جديد — كاتب بكر بن أحمد الصنوبري وأبي عبد الله بن الحسين بن أحمد بن الحجاج — أبدعوا وأغربوا في اختيار الموضوعات ، فتحدثوا في شعرهم عن أزهار الرياض والبساتين وبرك الماء والأسماك والتلج والغراميات العسيرة أو المبتذلة ومجالس الشراب والجواري الغلاميات . وأغرب بعضهم في اختيار الموضوعات حتى قال بعضهم المراني في القطط (***). وانصرفت هم الشعراء إلى البحث عن كل غريب مسرف في الغرابة ، وطلب كل ما هو متصنع ظاهر الابتكار ، كقول أحد الخالديين :

ومدامة صفراء في قارورة زرقاء تحملها يد بيضاء

فأراح شمس والحباب كواكب والسكف قطب والإناء سماء (†)

وكان الشعراء يتنافسون في أن يحشدوا في أشعارهم أكبر قدر من المعاني .

وعلى الرغم من أن هذا التطور مس روح الشعر بصفة خاصة دون ظاهره —

(*) « كتاب الديارات » للشابشتي ، ص ٨٦ ب .

(†) « العمدة » لابن رشيق ، ج ٢ ، ص ١٨٥ .

(**): الإشارة هنا إلى ما فعله ابن علاف المتوفى ٣١٨/٩٣٠ ، وقد ذكر ذلك الدميري

في « حياة الحيوان » ، ج ٢ ، ص ٣٢١ . انظر لإشارة آدم ميتز إلى ذلك وتعليقه عليه . انظر

الترجمة العربية لكتابه « الحضارة الإسلامية في القرن الرابع » ، ترجمة الدكتور عبد الهادي

أبو رييدة ، القاهرة ١٩٤٠ ، ج ١ ، ص ٤٢١ — ٤٢٢ .

(†) « بتيمة الدهر » للتمالي ، ج ١ ، ص ٥١٩ . والخالديان هما أبو بكر محمد وأبو عثمان

سميد ، ابنا هاشم . انظر « الحضارة الإسلامية في القرن الرابع » ، ج ١ ، ص ٤٢٨ .

فبقيت الأبحر والأوزان القديمة على حالها لم تمس ، وبقيت القوالب العامة المعقدة دون تغيير — إلا أن هذا التطور أسفر عن ظهور المخريات الخالصة ومقطعات النسيب القصيرة أو قصائد التأملات وشعر الحكمة ، وأخذت القصيدة تتحول إلى قطعة وصفية .

بيد أن المُحدِّثين لم يوقفوا إلى إدراك النصر الكامل الذي سعوا إليه . إذ أن للتقديم سلطاناً عظيماً على نفوس العرب خاصة ، ومن ثم كان للتراث الشعري القديم قيمة كبرى في تاريخ الآداب العربية ، والفصيحة(*) منها بصورة خاصة ، ذلك أنه « ديوان العرب » الذي تتبين به الأصول القديمة وتُعرف الأنساب ، بل أوصاف الطرق والمجالات النابذة ، وما كان لها من خصائص جغرافية وما كان يفتت فيها من نبات . وكان الناس جميعاً يحفظون هذا الشعر القديم ، وكان النحويون ينظرون إليه في إجلال عميق بالغ ، وينسجون حوله الحكايات ويمارضون قصائده وأبياته في مهارة ظاهرة .

وفي أثناء القرن العاشر الميلادي ظهرت حركة قصدت إلى إحياء الشعر القديم وتجديده نستطيع أن نسميها « حركة القديم المحدث » Neoclàsica (تزعمها أبو تمام والبحترى والمعري) . أما الذي وصل بهذه الحركة إلى أوجها فهو أعظم شاعر أطلعت عليه العربية بعد الإسلام ، وهو أبو الطيب المتنبي (٢٩٣/٩٠٥ — ٣٥٥ / ٩٦٥) . كانت تعمر نفس المتنبي روح متوثبة تفيض حمية ، وربما حامت حول صدق إيمانه الشكوك . وكان فخوراً بنفسه عظيم الاعتداد بها ، ولهذا كان من العسير عليه أن يقسر نفسه على ما فرضه الظروف عليه من التكسب بالشعر ، وتقلت به صروف الأيام من ممدوح لممدوح ، إذ لم يقدر له الاستغناء عنهم جملة . ومن هنا كان المتنبي جوَّاب آفاق لا يكمل ، عارفاً بقنون الشعر كلها قديمها وجديدها ،

(*) المراد بالفصيح هنا الشعر الذي صيغ في اللغة الفصحى ، تمييزاً له من الشعر الدارج الذي صيغ في اللهجات الدارجة المستعملة ، كالزجل .

ومن ثم أتيح لشعره أن يكون جُماعاً لمذاهب الشعر العربي جميعاً ، وأتيح له أن يملك نواصيها كلها في توفيق نادر وملسكة طيّعة . وقد تناول المتنبي ألوان التجديد والإغراب التي أسرف المحدثون فيها واستعملها عن قدرة وتمكن ، فسامها إلى الأوج الذي كان لها فيما سبق . وشعره يحمل بكهر بائية عبقرية ، حافل بالعواطف والأحاسيس التي يشوب بعضها الإبهام ، غنى بما يثير النفس ويحرك العواطف ، كل ذلك في قالب جميل موفق مما جعل شعره سيفاً من سيوف الحق لا أداة من أدوات العبث . ولم يعرف العرب قط الشعر القصصي أو شعر الملاحم ، ولكن المتنبي في تمنيه بوقائع سيف الدولة مع الروم — وهي صليبيات سبقت زمانها بوقت طويل — استطاع أن يُعَمِّل شعره رنيناً ووقعاً قرييين من رنين الملاحم وأوقاعها ، وإن كنا لا نظفر فيه بتلك القوة الطبيعية الجماعية (الشعبية) التي نجدناها في ملاحمنا القديمة . وسرقة شعر المتنبي هذه الحكمة العميقة التي ضمنها شعره ، وذلك القالب الغنائى الفلسفى الذى صاغ أبياته فيه ، وهذا لا يمنعنا من القول بأن صياغة شعره الرائعة قد تضم أفكاراً عادية شائعة . بيد أن ولع المتنبي بالشعر القديم فاق ولعه بأى شىء آخر ، وقد صدر هذا الشعر عن أعماق نفسه العربية . ومن ثم كان قديراً على تصوير النفس العربية وعالمها فى أحسن صورة تصورتها العروبة ، ومن هنا أيضاً لم تكن « بدوية » المتنبي رجماً إلى القديم وإنما كانت صدى للوعى النفسى العربى الخالد .

فلما استقامت قواعد القصيدة القديمة من جديد ، وحرص الشعراء على أن يقولوا شعرهم فى حدودها ، انحصر الشعر العربى بين أسوار عالية أضاعت أفعه ضيقاً شديداً ، وإن ضم هذا الأفق أطرافاً كثيرة مما استحدثه المحدثون ، ودرج الشعر بعد ذلك بين هذه القيود ، وانحدر فى طريق اضمحلال طويل ، وغدا متشابهاً مُعاداً متعباً مجهداً .

ف ٤ - الخصائص العامة للشعر الأندلسي :

يقول غرسية غومس : « وقد نبع الشعر الأندلسي من بحر الشعر المشرق ، وتاريخه بصور لنا التطورات التي ألمنا بذكرها . فلقد كان شعراء الأندلس ولع بدراسة الشعر الجاهلي ، ولسكنهم كانوا يرون فيه شيئاً أثرباً قديماً ، فلم يكن له في نفوسهم أثر فعال ، وكذلك « المحدثون » لم يكن لهم عند شعراء الأندلس أثر بعيد ، فيما خلا بدوات نبعها بين الحين والحين ، وبلاحظها في الناحية الجمالية التي ظهرت مع الشعر القديم المحدث . وعلّة ذلك أنه في الوقت الذي ظهر فيه شعر جديد بهذا الاسم في الأندلس ، كان الشعر القديم المحدث في أوجه في المشرق .

ولا بد أن ننبه من أول الأمر إلى أن الشعر الأندلسي عامة — فيما خلا بضع شواذ — فقير جداً من الناحية الذهنية التفكيرية . ومن دلائل ذلك أن الناحية التي تأثروا بها من المتنبّي كانت ناحية البراعة لا ناحية التفكير . وعاشوا أعمارهم كلها مكبلين بقيود القوالب الشكلية الجامدة ، ومن ثم لم يستطيعوا أن يدخلوا على الشعر من التغيير إلا أشياء تمس المعاني ، مثلهم في ذلك مثل أتربهم من المشاركة ، فحاولوا أن يعطوا هذه المعاني صوراً جديدة عن طريق تقطيرها في أنابيب بلاغية ، وأوغلوا في ذلك حتى استخرجوا منها تلك الزخارف الشعرية الأرابيسكية(*) التي تشبه أن تكون « قصور حراء » لفظية . فإذا كانت القصائد الأندلسية المنمقة المترفة المعقدة المثقلة على هذه الدرجة من البعد عن الترتيب الذهني ، بل من الإحساس الإنساني في أحيان كثيرة ، فمن الطبيعي أن تنقصها تلك المرونة السائغة التي نجدها في الشعر القديم . ولم يكن هذا الشعر الأندلسي مترعاً بالأخيلة

(*) أرابيسك Arabesque كله إفريقية نجدها في اللغات الأوروبية كلها ، ومعها عربي الروح . ولكنها لا تستعمل إلا في مواضع الفن ، ويراد بها الزخرفة الهندسية المتشابهة التي نعرفها في الزخارف الإسلامية ، وقد رأيت أن أستعملها في صورتها الأوروبية احتفاظاً بمعناها الحاس قياساً على قولنا : « مورسكي » .

فحسب ، بل كان مثقلاً بها حُمِّلَ منها فوق ما يطيق . بل بلغ من حشد المعاني فيه أن استعصى معظمه على الحفظ والبقاء ، وكاد يعسر على الفهم الكامل . وكما يحدث اشجرة مثقلة بالثمار إذ تسقط عنها الثمرات واحدة فواحدة ، فكذلك وقع للشاعر الأندلسي : لم يبق لنا منه إلا ما اقتطفه مصنفو كتب المختارات من تشبيهاته ومعانيه . وإذا نحن استثنينا بضعة دواوين وقصائد مشهورة وصلت إلينا كاملة ، فإن ما لدينا من الشعر الأندلسي قد وصل إلينا مقطّماً مبتسراً ، بل مطحوناً يتأق شبه الدقيق ببريق المس .

ف ٥ — موضوعات الشعر الأندلسي :

يقول غرسية غومس — في مقاله الذي أشرنا إليه في هذا الباب — إن الشعر الأندلسي طرق فنون الشعر كافة : من الزهد إلى الهجاء ، ونظم شعراء الأندلس قصائد الحماسة ، والنسيب ، والمديح ، والرثاء ، والوصف بصفة خاصة . وذهب إلى أن هذا الشعر كان — بصفة عامة — فقيراً من الناحيتين الفكرية والعاطفية ، تغلب عليه قلة الصدق .

فأما فيما يتصل بما فيه من نسيب ، فإننا نظفر فيه بأبيات تتحدث عن « الحب العذرى » ، وهو ضرب من الهوى اشتهرت به طائفة من القبائل البدوية ومنها « بنو عذرة » ، ووضع فيه ابن داود الظاهري (المتوفى ٢٩٧ / ٩٠٩) « كتاب الزهرة » الذي يعتبره ماسنيون « أول محاولة لوضع منهج شعري للحب الأفلاطوني » ، ونجد نماذج أخرى من هذا النظر إلى الحب فيما كتبه ابن فرج الجياني وابن حزم القرطبي وصنفوان بن إدريس المرسي . وهناك — إلى جانب ذلك — قصائد أخرى يعرض الشعراء فيها مشاهد مفصلة من الحب الحسي ، يصفون فيها ما يقع بينهم وبين المحبوب وصفاً مطوّلاً متتلاً ، وهم يرسلون هذه الأبيات على العادة بعد مهر عمريد مسرف في الاستمتاع ، ويلجأون إليها في

أوصاف ليالى الأانس التي يقضونها مع عشاقهم على ضفاف الأنهار ، متماسكين وإيام كما يحيط السوار بالمعصم ، ويتحدثون فيها عن مجالس السرور في مواضع اللهو — « كحور مؤمل » في غرناطة — تغنيهم البلايل وتسطلع عليهم النجوم .

« ولقد كان التباين الظاهر بين الردف الثقيل والحصر النحيل أكبر مواضع جمال الجسد الأنثوى عند شعراء الأندلس ... وكان الوضع الخاص للمرأة في المجتمع الإسلامى سبباً في قلة فهم الناس للجانب النفسى من حياتها وخصائصها . فلم يعد المحبون منهم يستشعرون من جمالها إلا الحسى للموس ، أى الصورة البدنية ، فاندفعوا في الإعجاب بها اندفاعاً عنيفاً لا يُرد ، ولم يجدوا ما يبررون به هذا الاستمرار في الكلام في هذه الأوصاف المملة إلا بتنميقها وإرسالها في أساليب موقنة متنوعة مزينة بالزهور مرصعة بالدرر والياواقيت ، وأضفوا على الجسد الجميل ثوباً بديعاً نسجوه من كل ما عثروا عليه في الرياض » ؛ ويضم هذا الشعر كذلك آياتنا كثيرة تتحدث عن الميل إلى الغلمان وحب المذكر .

وكانت الخمريات أكثر فنون الشعر ذيوغاً بين شعراء الأندلس . وكانت عادة الشرب أن يجتمعوا على الكؤوس في البيوت أو الرياض أو على ضفاف الأنهار ، كالوادى الكبير وإبزرّة . ولم تكن مجالسهم مجرد اجتماعات للشراب ، وإنما اجتماعات أدبية شعرية كذلك . و « كان المجلس ينقض بين تقارض الشعر وارتجاله ، يتخلل ذلك — بين الحين والحين — شذو جارية مغنية يصاحبها عزف العود والطنبور والقيثارة ، وتتوزع أحاسيس الشّمار بين زهر الأحلام وشطحات السكر ومشاعر الهوى » .

وكان ولع شعراء الأندلس بالوصف عظيماً ، وهم يبدون لنا في أوصافهم وكأنهم يتأملون ما حولهم في فتور وبطء وإسهاب ، كل ذلك في أسلوب رخو بالغ الليونة . ومن أمثلة ذلك وصف أبى الحسن على بن حصن لفرخ حمام في بطء واتناد يذكرنا بصبر نقاشى المنمنات :

وما حاجني إلا ابن ورقاء هانف
مستق طوقٍ لا زوردي كل كل
أدار على الياقوت أجفان لؤلؤ
حديد شبى المنقار داج كأنه
توسد من فرع الأراك أريكة
ولما رأى دمعي مُسرافاً أرابه
وحت جناحيه وصنق طائراً
على فنن بين الجزيرة والنهر
موشى الطلى أحوى القوادم والظهر
وصاغ من العقيان طوقاً على الثغر
شبي قلم من فضة مُدّ في حبر
ومال على طيّ الجناح مع النحر
بكأني فاستولى على العنصن النضر
وطار بقلبي حيث طار، ولا أدري (*)

وقول أبي جعفر بن عثمان المصحفي في سفرجلة :

ومصفرة تحتال في ثوب نرجس
لها ريح محبوب وقسوة قلبه
فصفرتها من صفرتي مستعارة
فلما استتمت في القضيبي شبابها
مددت يدي باللفظ أبغى اقتطافها
وكان لها ثوب من الزغب أغبر
فلما تعرت في يدي من لباسها
ذكرت بها من لا أبو ح بذكره
وتعبق عن مسك زكي التنفس
ولون محب حلة السقم مكثي
وأنفاسها في الطيب أنفاس مؤنس
وحاكت لها الأنواء أبراد سندس
لأجلها ربحانتي وسط مجلسي
يرف على جسم من التبر أملس
ولم تبق إلا في غلالة نرجس
فأذبلها في الكف حر تنفسي (**)

بيد أن هذا التباطؤ المترسخ في التعبير لم يحل دون شعرائهم وبين أن يبعثوا
في تراكيهم التشبيهية حيوية وسرعة غير عاديّتين ، فنجدهم ينتقلون بأذهانهم
انتقالات سريعة يجمعون فيها بين المتباعدات ، فيشبهون شيئاً صغيراً بشيء كبير
(الإبرة الدقيقة بالشهاب أو الكشتبان مخوذة من غير ريشة) ، أو يفعلون العكس

(*) ابن سعيد : « الرايات » ، ص ١١ .

() ابن اذرناز : « الحلة » ، ص ١٤٤ .

فيشبهون شيئاً كبيراً بشيء صغير (ككتشبيه مجاديف القارب بأهداب العين ، أو أطاب الساقية بالجفون) ... ولم يغادر أولئك الشعراء شيئاً دون أن يشبهوه بشيء ، ففي عالم النبات مثلاً لم يقف الشعراء عند دائرة الزهور العليا ، بل وضعوا الثيلوف ، والخرشف جنباً إلى جنب ، ولم يروا بأساً في أن يقتزن الباذنجان بالزردس . وهكذا كانت كل الأشياء عتدهم سواء ، يستعملونها في تكوين صور نباتية . جمال تذكرنا بالزخارف المتشابهة التي تنقش في المرمر أو الرخام أو الجص على السواء ؛ كل شيء يصلح أن يكون مادة للفن في أيديهم . ويجمع شعرهم أصداء الصحراء البعيدة — جنباً إلى جنب — مع ما كان يحيط بالشعراء في البيئة الأندلسية الزاهرة ، كالسواقي وشجر البرتقال .

ولم يظهر الأندلسيون براعة ذات بال في الشعر السياسي أو الحماسي ، ولم يوقفوا كثيراً في شعر الحكمة والتهديب ، أما شعرهم الديني فتنقصه حرارة العاطفة ، وهم ينتقلون فيه من الوعظ المبثذل إلى وجد الصوفية ، أو الثيوصوفية ، دون تدرج أو تمهيد .

ومضى الأندلسيون في المدائح على نهج من تقدمهم من الشعراء ، فأسرفوا وبالغوا . وخلت أشعارهم في هذا الباب مما يربطها بشخص المقولة فيه ، بحيث يُستطاع أن توجه إلى أي إنسان إذا استبدلنا اسمه باسم المدوح ، ونظم الأندلسيون كذلك الأهاجي — العنيفة في الغالب — والمرائي التي تتفاوت في الروح وصدق الإحساس فنجدها تارة فاترة متكلفة كما نرى في رائية ابن عبدون في رثاء بنى الأفطس ، وتارة صادقة مؤثرة ، كما في نونية أبي البقاء الرندي في بكاء الأندلس وما أصاب بلاده على أيدي النصارى ، وأصدق ما لدينا من هذا الضرب ما قاله المعتمد في منغاه يبكي نفسه وما أصابه من زوال ملك ونفى .

وقد قال البارون فون شاك : « إن أشعار الأندلسيين تمتاز — بصفة عامة

بجزالة الألفاظ ، وجمال رنينها ، وإبداع الأخيطة ، وبعده مداها . وبدلاً من أن يجعلوا الألفاظ سراكب للأفكار ، وبدلاً من أن يدعوا القلوب تعبر عن أحاسيسها في فيص طبيعي ، نجدهم يبدون علينا طوفاناً من الألفاظ الرينة والأخيطة البراقة . وكأنما لم يمتنعوا بتحريك عوادلفنا وطلبوا إعشاء أبصارنا . وإن أشعارهم لأشبه بأعاب نارية تومض ثم تتلاشى في الظلام ، فتبهر العقول لحظة بوميضها ، ولكنها لا تترك في النفس أثراً دائماً ؛ وذلك بسبب ما تحويه هذه الأشعار من الألوان المختلفة وصور التشبيهات يتوالى بعضها في إثر بعض دون هواة . وقد كان ترى كثير من الشعراء على التفوق ، ورغبتهم في الإتيان بأحسن مما أتى به من سبقهم أو نافعهم من مشاهير الشعراء ، سبباً في إسراف الكثير من أشعارهم في ذلك التكلف إسرافاً أدى إلى ضياع قيمتها ، إذ أصبحت مجرد إيماض عابر لا يترك في النفس أثراً . أما نحن فنزن شعرهم بميزان يخالف ما اتخذوه ، ومن ثم فإن تقديرنا لأشعارهم يزداد بقدر ما يقل تكلفهم في الغوص وراء المعاني البعيدة ، وبقدر ما يطامنون من طموحهم إلى الإتيان بما لم يسبقوا إليه ، لأنهم في هذه الحالة يعبرون عن مشاعر صادقة في عبارات غير متكلفة .

« أما المواضيع التي تدور حولها أشعارهم فن أنواع مختلفة : فهم يتغنون بمباهج الحب الموصول ، ويصفون آلام الهوى الخائب ، ويصورون بألطف الألوان هناء لقاء رقيق ، ويبكون في لهجة مشبوبة آلام الفراق . وقد حرك مشاعرهم جمال الطبيعة الأندلسية ، فضوا يمتدحون غاباتها وأنهارها وحقولها الخصبية . ودفهم ذلك الجمال إلى تأمل ضياء الشمس البهيج وصفاء الليالي الساجية تنيرها النجوم . وكانوا — إذا أشرفت نفوسهم بنور الإلهام — تداعت إلى أذهانهم من جديد ذكريات المواطن الأولى التي أقبل منها قومهم ، حيث كان أسلافهم يضربون في الفيافي والقفار تحت شمس لاحقة ، فكانت تصدر عن نفوسهم — بين الحين والحين — نغاث فياضة بعصية جنسية غريبة . كانت تنبعث من

أفواههم عنيفة كأنها أعاصير صحراء . وكان لهم — إلى جانب ذلك — شعر ديني زهدى عامر بالتقى العميق والشوق إلى الله وكانوا تارة يدعون ملوكهم وشعوبهم إلى الجهاد في سبيل الله بعبارات تتوفز حمية ، وتارة أخرى يرثون أولئك الذين استشهدوا ، ويتحسرون على المدائن التي استغلبها العدو ، والمساجد التي حولها النصرارى إلى كنائس ، ويبكون بالدمع السخين مصير أسرام التعماء الذين يعانون آلام الأسرى في بلاد النصرارى العاتية ، ويتشوقون — على غير أمل — إلى ضفاف « شذيل » الزاهرة . وكان أولئك الشعراء يتغنون بما كان لأسراهم من أريحية وجاه ، ويطنبون في وصف بهاء قصورهم ورواء حدائق تلك القصور . وكانوا يصحبون أولئك الأسراء إلى ميادين القتال ، ويصفون طعان الأسنة ، والحراب الخضبة بالدماء ، والخليل التي تسبق الريح في عدوها . ويتوارد في أشعارهم كذلك ذكر الكؤوس المترعة بالخر تدور على الشمار ، والنزهات الليلية في زوارق تتهادى على صفحات الماء على ضوء المشاعل ، ويصفون في هذه الأشعار تعاقب فصول السنة ، فصلاً بعد فصل ، وما يطرأ على الطبيعة أثناء ذلك من تطور . ويذكرون نوافير الماء ذات الخريز العذب ، وغصون الشجر يصلحها النسيم فيميل بعضها على بعض ، وقطرات الندى المتأتفة على الأزهار ، وأشعة القمر المنعكسة على الأمواج . ويصورون — في شعر رقرق — جمال البحر ، والقبه الزرقاء ، والنجوم ، والورود ، والنجس ، وزهر الرمان . وأبدع أولئك الشعراء قصائد صوروا فيها الطرف التي كانت تضيء على قصور السادة حوا من الترف المصقول : كتأثيل البرونز ، والعنبر ، وأواني الزهر الفاخرة ، والحمامات ، وناפורات الماء المرمرية ، والأسود التي تلمج الماء من أفواهها .

« أما شعرهم في الحكمة والفلسفة فيدور كله حول زوال هذه الحياة الدنيا ، وقصر أجلها ، وتقلب أحوالها ؛ ويتحدث عن القضاء الذي لا مفر لإنسان منه ، وقلة غناء خيرات هذه الدنيا ؛ ويتغنى بذكر الفضائل الخلقية والعلوم ويقدرها

حق قدرها . وكان شعراؤهم يستحبون الإسلام في أبياتهم بذكر لحظات العيش
الهنئية : فيصفون لقاء الحبيب في الليل ، أو ساعة راحية في صحبة شاديات حسناوات .
وربما صوروا جارية تقطف ثمرأ من فنب ، أو غلاما جميلاً يسقى الشرب ، وما
أشبه ذلك . كما أكثروا في التغنى بأوصاف مدائن إسبانيا وكوزها ، وما فيها من
مساجد وقناطر ومسقايات وريف نضر ، وغير ذلك من منشآت باهرة . ثم نجد
هذا الشعر — آخر الأمر — مرتبطاً في الغالب أشد الارتباط بحياة الشاعر نفسه :
فهو صادر عن وحى إحساس اللحظة التي قيل فيها ، وهو إنما كان يرسل ارتجالاً
على المألوف من صور الشعر السامى القديم » (٧) .

ونحب الآن أن نضع بين يدي القارئ بعض نماذج الإنتاج الشعري
للأندلسيين ، ذا كرين المقدمين من الشعراء مرتبين على حسب عصورهم . وينبغي
أن ننبه إلى أنه من غير الميسور أن نلم بذكر الشعراء الأندلسيين جميعاً ، لأنهم
لا يحصون كثرة . هذا ، والكثير من أولئك الشعراء أدركوا شهرة طائفة لجرد
أنهم أسهموا في بعض كبار الحوادث التاريخية ، لأنهم شعراء مبرزون . بينما
ظل كثيرون آخرون لا يكاد يعرف من شعرهم شيء ، على الرغم من امتيازهم
وتجويدهم . وإلى أن يدرس هذا الفن من الأدب الأندلسي دراسة تحليلية شاملة ،
لن يكون من الميسور وضع مؤلف شامل عنه ؛ ومن ثم فإن الصفحات التالية
ليست إلا مختارات من بين الشائع المعروف من هذا الشعر .

وإننا نلرجو القارئ أن يقدر — وهو يقرأ نصوص الأشعار العربية
مترجمة إلى الإسبانية — أنها أشعار منقولة تفقدها الترجمة جانباً عظيماً من بهائها
وقيمتها ، شأنها في ذلك شأن كل شعر ينقل من لغة إلى لغة ؛ بل ينبغي أن يذكر
أن لهذا الشعر في أصوله العربية قواعد المتعارف عليها بين أهله ، وهي قواعد
تجعل القالب اللفظي الذي يصاغ فيه الشعر أول خصائص هذا النوع من القريض ،

ومن ثم فإننا نجد بمض المنظومات — التي اعتبرها نقاد الأدب العربي ومؤرخوه ممتازة في وقتها — جامدة وخالية من الجمال .

وقد فضلنا — في بعض الأحيان — أن نورد الترجمة الإسبانية التي قال بها خوان دي فاليرا الكتاب البارون دي شاك « شعر عرب إسبانيا وصقلية وفهم » *Poesía y Arte de los Árabes de Espana y Sicilia* ، لأن هذه الترجمة — على قلة دقتها — أجمل بكثير من ترجمة الشعر نثراً ؛ وهي — على كل حال — تحمل إلى القارئ الفكرة الأساسية . وقد أتينا — في أحيان أخرى — بالأبيات مترجمة بأقلام دوزي أو پونس بويجس أو ريبيرا أو غيرهم ، أو قمنا بالترجمة بأنفسنا .

يتبين الإنسان في تطور الشعر الأندلسي اتجاهين أساسيين :

(١) فصيح و(ب) شعبي دارج^(٨) .

(١) الشعر الفصيح

١ — عصر الإمارة

عبد الرحمن الداخل — أبو الخنسي — ابن حبيب — الحكم الرضوي —
زرياب وابتكاراته — يحيى الفزال وتمام بن علقمة — الأمير عبد الله —
سميد بن جودي — شعراء البلاط .

ف ٦ — ملائع شعراء عصر الإمارة :

لا نجد بين أيدينا مجموعاً شاملاً لشعر هذا العصر ، على الرغم من أن شيئاً من ذلك قد وجد بالفعل . فقد وصل إلينا عنوان مؤلف للأشستين (المتوفى سنة ٩١٩/٣٠٧) — عتيق الأمير المنذر — هو : « طبقات كتاب الأندلس »^(٩) . ومن المؤكد أن هذا الكتاب كان يضم شعراً ، ووصلت إلينا كذلك أسماء شعراء

— مثل قرلمان^(١٠) ، وغريب بن عبد الله^(١١) — يطنب الناس في مدح شعرم وما يمتاز به من طابع قومي وكان الأمراء أنفسهم يقولون الشعر ، ومن أمثلة ذلك أن عبد الرحمن الداخل (٧٥٥/١٣٨ — ٧٨٨/١٧٢) — مؤسس الدولة الأموية الأندلسية — رأى نخلة في حديقة قصر « الرصافة » — ولا بد أنها كانت أول نخلة زرعت في أوربا فهيجت شجونه ، فقال :

يا نخل ، أنت غريبة منلى في الغرب ، نائية عن الأصل

فابكى ، وهل تبكى مكبسة عجماء لم تطبع على خبلى ؟

لو أنها تبكى ، إدا لبكت ماء القرات ومنبت النخل

لكها ذهلت ، وأذهلتى بغضى بنى العباس عن أهلى^(١٢)

وقال عبد الرحمن — ردًا على قرشى استقل العطاء الذى منحه إياه — أحياناً

أشار فيها إلى الصعاب التى أقيها فى حياته :

اشتان من قام ذا امتعاض مُتَضَى الشفرتين نصلا

فجاب قفراً ، وشق بجرأ مسامياً لجة ونحلا

دبر مُسكاً ، وشاد عزاً ومنبراً للمخطاب فصلا

وجنّد الجند حين أودى ومصر المبر حين أخلى

ثم دعا أهله إليه حيث اتأوا ، أن : هم أهلا

فجاء هذا طريد جوع شريد روع يخاف قتلا

فنال أمنا ، ونال شعباً ونال مالاً ، ونال أهلا

ألم يكن حق ذا على ذا أعظم من منعم ومولى؟^(١٣)

وعاش — فى أيام الأمير عبد الرحمن هذا — أبو الحشى : عاصم بن زيد

التميمى الشاعر ؛ وكان منضوباً إلى الأمير سليمان — أكبر أبناء عبد الرحمن —

فقد عليه بعض أصحاب هشام — ثانى أولاد عبد الرحمن — « فدح سليمان

ابن عبد الرحمن بشعر ، وتوهم عليه فيه أنه عرض بهشام أخيه — وكانت بينهما

مباعدة — فسلم عينيه ؛ فقال في العمى شعراً حسناً ، ثم قصد به عبد الرحمن بن معاوية ، فأنشده إياه ، فرق له واستعبر ، ودعا بألفي دينار فأعطاه ، وضاعف له دية العييين . وهو الشعر الذي أوله :

خضعت أم بناتي للعبدى أن قضى الله قضاءً فضى
ورأت أعمى ضرباً إني مشيه في الأرض لمسٍ بالعصا
فاستكانت ، ثم قالت قولة — وهى حرّى — بلغت منى المدى
قفواذى قريح من قولها : « ما من الأدواء دالاً كالعمى ا »^(١٤)

وقال الحكم الربضى^(١٥) ، بعد أن أخذ ثوبة أهل ربض قرطبة :

رأبتُ صدوع الأرض بالسيف راقما وقد ما لأمتُ الشعب مذ كنت يافما
فسائلُ ثغورى : هل بها الآن تُغرة أبادرها مستنضى العزم دارعا
وشافه على الأرض القضاء جماجا كأخفاف شريان الهبيد لوامعا
تنبئك أنى لم أكن عن قراعهم بيوان ، وأنى كنت بالسيف قارعا^(١٦)
فإنى إذا حادوا جزاعا عن الردى فلم أك ذا حديد عن الموت جازعا
حميتُ ذمارى وانتهكت ذمارهم ومن لا يحامى ظل خزيران ضارعا
ولما تساقينا سجال حروبنا سقيتهم سما من الموت ناقما
وهل زدت أن وقيتهم صاع قرضهم فوافوا منايا قُدّرت ومصارعا
فهاك بلادى إننى قد تركتها مهاداً ولم أترك عليها منازعا

ف ٧ — زرياب وابتكاراته :

يحتل عبد الرحمن الأوسط (٨٢١/٢٠٦ - ٨٥٢/٢٣٨) في تاريخ الشعر الأندلسى مكاناً يفوق مكانة أسلافه . ولا يرجع السبب في ذلك بحال إلى المقطعات التي نظمها في جاريته طروب ، أو ردّاً على أبيات أخرى قالها الشاعر عبد الملك ابن الشَّمر ممتدحاً الأمير وشاكرآله عطايه^(١٧) ، بل لأنه اجتذب إلى الأندلس

زرياباً المغنى (والزرياب طائر أسود غرد) الذى أدخل إلى الأندلس الموسيقى والغناء العربيين المشرقين ، وهما فنان نهج عرب المشرق فيهما على أصول قديمة . كان زرياب تلميذاً لإسحاق الموصلى فى بغداد . ثم وقعت بينهما مجافاة ، لأن زرياباً أبدى من المهارة فى حضرة الرشيد ما فاق به أستاذه ، « فسقط فى يد إسحاق ، وهاج به من داء الحسد ما غلب على صبره » ، فرأى زرياب الأمان من الخروج عن العراق . فخرج إلى الغرب ناجياً بنفسه من غضب أستاذه ، وعرض خدماته على الحكم الرضى ، فدعاه إلى القدوم عليه فى قرطبة ، فسار زرياب حتى بلغ الجزيرة الخضراء ، وهناك بلته موت الحكم ؛ فلما ولى عبد الرحمن بن الحكم أدخله فى خدمته .

فرض له عبد الرحمن عطاء قدره مائتا دينار فى الشهر ، وقرر له ثلاثة آلاف دينار فى كل من العيدين ، وفرض له كذلك مائتى مئة من الشعير ، ومثلها من القمح ، هذا إلى حدائق وقصور وهبه إياها تقدر قيمتها بأربعين ألف دينار ؛ فأقبل زرياب وأصبح موسيقى الأمير .

كان زرياب يدعى « أن الجن كانت تعلمه كل ليلة ما بين نوبة إلى صوت واحد ، فكان يهب من نومه سريعاً فيدعو بجاريته غزلان وهنيدة ، فتأخذان عوديهما ويأخذ هو عوده فيطارحهما ليلته ، ثم يكتب الشعر ، ثم يعود هجلاً إلى مضجعه » (١٨) . وقد أضاف إلى العود وترأ خامساً — وكان إلى أيامه أربعة أوتار فحسب تقابل الطبائع البشرية الأربع — عُرف بالوتر الأوسط الدموى الأحمر ، ووضعه تحت المثلث وفوق المثني . « وذلك أن « الزير » صبغ أصفر اللون وجعل فى العود بمنزلة الصفراء من الجسد ؛ وصنع الوتر الثانى بده أحمر وهو من العود بمكان الدم من الجسد ، وهو فى الغالب ضعف الزير ، ولذلك سمي « مثني » ؛ وصنع الوتر الرابع أسود ، وجعل من العود مكان السوداء من الجسد وسمى « البم » وهو أعلى أوتار العود ، وهو ضعف المثلث الذى عطل من الصبغ وترك أبيض

اللون ، وهو من العود بمنزلة البلغم من الجسد وجعل ضعف المثني في الفاظ ولذلك سمي « الثالث » ؛ وقام الخامس المزيدي مقام النفس من الجسد^(١٩) ، (كذا الأصل) .

« وهو الذي اخترع بالأندلس مضراب العود من قوادم النسر — معتاضاً بها من مضراب الخشب — فأبدع في ذلك ، لاطب قشر الريشة ، وقمانه وخفته على الأصابع ، وطول سلامة الوتر على كثرة ملازمته إياه »^(٢٠) .

وكان زرياب شاعراً مجيداً ، ومتضلماً في فنون مختلفة « كالنجرام ، وقسمة الأقاليم السبعة ، وتصنيف بلادها وسكانها » والطبيعة ، والسياسة ، والتنجيم . وكان يحفظ عشرة آلاف مقطوعة من الأغاني بألحانها . وكان سلوكه معتبراً نموذجاً يحتذىه الناس . وكان الناس يتبعونه فيما يتخذ من ثياب وما يعمل من زينة (تصنيف الشعر والملابس والمطور والمآكل وأسلوب ترتيب المائدة ، وما إلى ذلك)^(٢١) .

وقد أدخل زرياب إلى الأندلس صنع الألحان على طريقة أهل الموصل ، فغلبت على طريقة أهل الحجاز التي كان الناس يمجرون عليها في الأندلس قبل ذلك^(٢٢) ، وكان يمثلها في بلاط عبد الرحمن ثلاث من المغنيات هن : « فضل » و « علم » و « قلم »^(٢٣) .

وقد اجتهد زرياب في تكوين مدرسته الموسيقية ، مستعيناً في ذلك بأبنائه وبناته^(٢٤) وجاريتيه « متعة » ، وانتهى الأمر بأن أصبحت الطريقة الأندلسية التقليدية ، على رغم ما كان زرياب يلقي من سخرية يحمي الغزال وتعريض ابن عبد ربه به . وكان من تلاميذ زرياب جارية تسمى « مصابيح » ، أنى مولاها أن يدعها تغني للشاعر أبي عمر بن عبد ربه ، فصنع هذه الأبيات وبعث بها إليه :

يا من يضمن بصوت الطائر الفرد ما كنت أحسب هذا الضن من أحد
لو أن أسمع أهل الأرض قاطبة أصفت إلى الصوت لم ينقص ولم يزد

وكان رجال الدين لا ينظرون إلى الموسيقى بعين الرضا، وكان الفقهاء يمتدحون الاشتغال بها أمراً محطاً لا يليق إلا بالموالي والإماء وذوى السمعة السيئة . ولم يكونوا يقبلون شهادة المغنى أو المغنية أو النادبة ، ولم يسمحوا بأن تباع كتب الموسيقى والأناشيد علناً ، بل كان القضاة المقشدون يأمرهم بكسر آلات الموسيقى التي توجد مع المغنين فى الطرقات . ولكن سوق الفن الموسيقى نفقت فى الأندلس — على رغم ذلك كله — وذاع أمره بين الناس ذيوماً واسعاً . وكانت فرق الموسيقيين والمغنين أمراً شائعاً فى قصور الخلفاء فى عهد بنى أمية، وفى حكم المنصور، وعصرى المرابطين والموحدين . وكان أولئك الخلفاء والأمراء يشترجون الجوارى ذوات الصوت الحسن بمبالغ لا تصدق . وكان الموسيقيون يشربون الخمر فى طول الأندلس وعرضه ، تدلنا على ذلك تلك الثروة الضخمة من الخمرات التي خلفها شعراء الأندلس ، والأخبار الكثيرة المتواردة فى الخمر ومجالس الشراب فى كتب التاريخ والأدب .

ونبغ من أهل البلاد موسيقيون وضعوا ألحاناً مبتكرة على الطريقة المشرقية ، نذكر منهم عبد الوهاب بن الحسين بن جعفر الحاجب — وكان شاعراً حسناً يقيم فى بيته ومع أهله حفلات موسيقية — وأباً جعفر الوقشى ، الوزير الطليطلى الذى يبدو أنه اخترع عوداً يعزف من تلقاء نفسه بلا ضرب (٢٥) .

ف ٨ — يحيى النزال وتعام بن علقمة :

وفى نفس العصر الذى عاش فيه زرياب عاش يحيى بن الحكم البكرى (٧٧٠/١٥٤ — ٨٦٤/٢٥٠) ، وكان رجلاً من طراز آخر غير طراز زرياب . وكان أصله من جيان ، وكانوا يلقبونه بالنزال لجماله . وكان رجلاً حكيماً أرسله عبد الرحمن الأوسط فى سفارة إلى بلاط ملك الترمانيين ، فاستمال قلوب الناس هناك بظرفه ، وأعجبت به الملكة « تود » ونساء حاشيتها خاصة ، فكانت —

أى اللسكة — لا تصبر عنه يوماً حتى توجه فيه . وقد ألهمته هذه السفارة وغيرها إلى بلاطات أخرى نصرانية أشعاراً لطيفة جميلة . وقد نفاه عبد الرحمن الأوسط من الأندلس بسبب هجائه المقذع لزرياب ، فذهب إلى العراق بُميد وفاة أبي نواس شاعر الخمر ولذا ذات العيش في بلاط هارون الرشيد . « وجلس يوماً مع جماعة منهم فأزروا بأهل الأندلس واستهجنوا أشعارهم ، فتركهم حتى وقعوا في ذكر أبي نواس ، فقال لهم : من يحفظ منكم قوله :

ولما رأيت الشرب أكدت سماؤم
فما أتيت الحان ناديت ربه
قليل هجوع العين إلا تعلقة
فقلت : أذقيها ! فلما أذاقها
وقلت : أعزني بذلة أستترجها
فوالله ما برت يميني ولا وقت
فأبت إلى صبحي — ولم أك آتياً —

تأبطلت زقي واحتبست عنائي
فشاب خفيف الروح نحو ندائي
على وجل مني ومن نظرائي
طرحت إليه ربيطتي وردائي
بذلت له فيما طلاق نسائي
له غير أني ضامن بوفائي
فكل يفديني وحق فداي

فأعجبوا بالشعر وذهبوا في مدحهم له ؛ فلما أفرطوا قال لهم : « خفضوا عليكم

فإنه لى ا » فأنكروا ذلك ، فأنشدهم قصيدته التي أولها :

تداركت في شرب النبيذ خطائي
وفارقت فيه شيمتي وحيائي

فلما أتم السورة بالإنشاد خجلوا واقترقوا عنه « (٢٦) .

وقد نظم الغزال أرجوزة في « فتح الأندلس » قال فيها ابن حيان إنها « كانت جميلة طويلة ، عرض فيها أسباب الفتح والوقائع التي جرت بين المسلمين والنصارى . وأطال الحديث عن أسراء هذا الصقع في أسلوب جميل فيه عمق ، وكانت شائعة متداولة بين أيدي الناس . وقد ضاعت هذه الأرجوزة » (٢٧) .

وقد نظم تمام بن عامر بن علقمة (١٨٤/٨٠١ — ٢٨٣/٨٩٦) « الأرجوزة

للمشهوره في ذكر افتتاح الأندلس ، وتسمية ولايتها والخلفاء فيها ، ووصف حروبها

من وقت دخول طارق بن زياد مفتتحها إلى آخر أيام الأمير عبد الرحمن بن الحكم . وكان عالماً أديباً ، ذكر ذلك ابن حيان ^(٢٨) . أى أنه فعل ما فعله يحيى الغزال قبله .

وعاشت في عصرى الحكم الرضى وعبد الرحمن الأوسط (القرن التاسع الميلادى) حسانة التيمية ، وكانت يتيمة استصفت أملاك أبيها فتقدمت بشكواها إلى الأمير الحكم بن هشام ، فأمر عامل « إلبيرة » برد أملاك أبيها إليها . ومات الحكم بعد ذلك بقليل ، فانتهاز العامل الفرصة ولم يرد إليها أموالها ؛ فازالت تلح على عبد الرحمن الأوسط حتى أجاب مطلبها .

ف ٩ — الأمير عبد الله — سعيد بن جودي — شعراء البلاط :

من المعروف أن النصف الثانى من القرن التاسع الميلادى فى التاريخ السياسى للأندلس يتميز بوهن سلطان الأمراء (محمد والمنذر وعبد الله) ، وبازدياد نشاط حركة القومية الإسبانية (عمر بن حفصون وبنوقسى) من ناحية ، ومن ناحية أخرى بزيادة قوة جماعات العرب المستقرة فى النواحي ، وتمكن هؤلاء جميعاً من تحويل الأندلس الإسلامى إلى مجموعة كبيرة من النواحي المستقلة بالفعل عن سلطان أمير قرطبة .

وكان الأمير عبد الله يقول فى الغزل أحياناً من طبقة عالية ، مثل قوله :

ويحى على شادن كحيل فى مثله يخلع العذار
كأنما وجنتاه ورد خالطه النور والبحار
قضيب بان إذا ثنى يدير طرفاً به احوار
فصفو ودى عليه وقف ما اطرد الليل والنهار ^(٢٩)

يبد أن أحسن شعراء هذه الفترة هو من غير شك سعيد بن جودي ^(٣٠) ، النموذج الصادق للفارس العربى . وكان يمثل العصبية العربية فى بعض أدوار

صراءها ، مع عمر بن حفصون . وقد حفظ لنا الرواة من شعره أبياتاً فالها في صدد
وقعنى شاد والمدينة ، وصف فيها سوء حاله في أسر عمر بن حفصون ؛ وأبياتاً
أخرى ذات عاطفة مشبوبة ، قالها بعد أن فك أمره في سنة ٢٧٧/٨٩٠ يتنزل
في « جيجان » مغنية عبد الله الذي أصبح بعد ذلك بقليل أميراً على الأندلس .
ولقد ، بنى سعيد بن جودي ابن حزم في التغنى بالهوى العذرى الليثوس منه ، ومن
ذلك تلك الأبيات التي بلغت أعلى درجات الرقة :

سمى أبى أن يكون الروح فى بدنى فاعتاض قلبى منه لوعة الحزن
أعطيت جيجان روى عن تذكرها هذا ولم أرها يوماً ولم ترنى
كأننى واسمها والدمع منسكب من مقاتى راهب صلى على وثن^(٣١)

ونجده فى أبيات أخرى ط. وبأ للحياة مستغرقاً فى لذات العيش :

لا شيء أملح من ساق على عنق ومن مناقلة كأساً على طبق
ومن مواصلة من بعد معتبة ومن مراسلة الأحباب بالحدق
جريت جرى جموح فى الصبي طلقاً وما خرجت لصراف الدهر عن طلقى
ولا انشيت لداعى الموت يوم وغى كما انشيت وحبل الحب فى عنقى^(٣٢)

وفى هذا العصر كذلك عاش شعراء لا يرى فيهم فرسية غومس إلا « نظامين
لا يمتازون ببراعة » : مثل بكر الكفانى ، وعباس بن ناصح ، وغربيب بن عبد
الله ، وقرأمان ، وعبيدليس بن محمود ، وابن سمزة ، والقلماط ، وأبى الجحشى ،
وابن كلثوم ، وحسانة النيمية ، وعباس بن فرباس ، تتجلى لنا فى بعض شعرهم
القيمة السياسية للشعر ، كالذى نعره فى الشعر الجاهلى ؛ وبعضهم الآخر شعراء
بلاط لا يلقى شعرهم من جمهور الناس إقبالاً ولا ذيوماً بينهم^(٣٣) .

٢ - عصر الخلافة

- ابن عبد ربه - منذر بن سعيد البلوطي - ابن هاني - الزيدي -
 شعراء المنصور - صاعد البغدادي - الرمادي - الوزير أبو المعيرة -
 ابن أبي زمنين - ابن الهندي - الفرضي - حبيب الصقلي -
 الشعراء - ابن حزم القرطبي .

ف ١٠ :

قال غرسية غومس في أسلوبه الشعري الجميل ، متحدثاً عن الأدب الأندلسي في هذا العصر :

« لم يصل الشعر الأندلسي إلى أوجهه الكامل وسمته الجمالي إلا في القرن العاشر الميلادي الذي يقترن بقيام الخلافة الأموية الأندلسية عام ٣١٧/٩٢٩ . فلقد انتصرت السياسة الأموية الحكيمة على الأزمان كلها : فلم يوفق القديس يولوجيوس إلى استشارة أهل الدين من المستعربين ، ولم يلهب حماسهم النسر الأندلسي الذي اعتصم بوكنته في بُبَشْتُرُ (يشير إلى عمر بن حفصون) . لقد اختلطت بالتربة الأندلسية القديمة العناصر الجديدة التي حملها العرب معهم من فارس وبيزنطة . وقد شجع عملية المزج هذه ، وعمل على تقويتها ، عامل على أكبر جانب من الأهمية وقف محايداً بعيداً عن التيارات المتضاربة كلها : ذلك هو البيت الأموي . نعم إنه كان عربياً صرفاً — ومن ثم لم يكن إسبانياً — ولكن خصومته العنيفة مع العباسيين المشاركة خففت من عصبية العربية ، وجعلته لا يميل إلى العرب وحفزه على التقرب من غيرهم . ولقد كانت قرطبة بلداً نصف عربي ، يتحدث أهلها العربية وعجمية أهل الأندلس ، ويختلط فيه رنين الأجراس بأذان المؤذن . وكان بعض شعراء الأندلس يفيثون إلى ظلال البَيْعِ المستعربية الصغيرة ليصيبوا شيئاً من النيذ ، فجددوا بذلك ما عرفه شعراء البدو من شرب

النبيد في ديور الصحراء المتأبدة في القفر . وتجلى اختلاط الأجناس بعضها ببعض ،
وتجاور الديانات بعضها لبعض ، عن جو سمح جميل إنسانى شفاف : نفس الجو
الحضارى الذى نعرفه في بغداد أيام ألف ليلة ، خالصاً من كل ما يرتبط بالشرق
في أذهاننا أبداً من جلالة يشوبها الغموض . لقد قبس طابع الغرب من نسائم
سيرامورينا الرقيقة الريفية . كانت قرطبة تقبل كل شيء وتمثله وتحوله إلى شيء
آخر بعد تصفيته : فلقد كانت الرايات وملابس الحداد سوداء في بغداد ، فأصبحت
بيضا في الأندلس . وفي تلك الأعصر كانت الممالك النصرانية في الشمال تعيش
في جو قروى فقير ، أما ملوك إسبانيا الحقيقية فكانوا سادة قرطبة : عبد الرحمن ،
والحكم ، والمنصور . وبين أيدينا مصاديق ذلك لأئمة للعيان . فهذه أفواس المسجد
الجامع ساجية في شبه ظل يروع النفس ، وتلك خرائب مدينة الزهراء الرائعة
تحولت اليوم إلى ملاعب لمصارعة الثيران ، وتضم الكنائس الجامعة والمتاحف
قطعا من بديع النسيج وصناديق العاج تتحدث كلها عن تلك الأجداد التى لا يخبو
ضياؤها ، ويتحدث عنها كذلك — بأجلى بيان — الشعر الكثير الذى أثر
عن أزمانها .

ولقد عرف الأندلس على أيام الناصر (٩١٢/٣٠٠ — ٩٦١/٣٥٠) دواوين
المتنبى وغيره من أئمة القريض العربى الفصيح المجدد ، وعلى قصور ذلك الخليفة
العظيم وابنه الحكم المستنصر العالم الجماع للكتب (٩٦١/٣٥٠ — ٩٧٦/٣٦٦)
والوزير الخطير العظيم السلطان المنصور بن أبى عاصم (توفى عام ١٠٠٢/٣٩٣) وفد
سفراء الثقافة المشرقية : من أبى على القالى (دخل الأندلس عام ٩٤١/٣٣٠) ،
إلى صاعد البغدادى (وفد عام ٩٩٠/٣٨٠) . وعلى هذه القصور الزاهرة وفدت
كذلك سفارات نصرانية من الغرب ، ومن بيزنطة البعيدة ، حاملة معها أطافاً
بديعة من الفسيفساء وكتب ديوسقوريد التى وضعت في الأندلس بذور نهضة
العلوم الطبيعية التى بلغت أوجها في القرن الثالث عشر الميلادى . كان حشداً

جامعاً من الثقافة الجديدة يعتمل ويختمر في قرطبة . وفي ظلال جيوش الخلفاء المظفرة وأستها المشرعة التي لا تغلب كان الكتاب ينشئون ، والعلماء يحاضرون إلى حوار عمد المسجد الجامع ؛ وانصرف الأغنياء إلى التنافس في جمع الكتب ، وغنى القيان ، ونظم الشعراء ، وعكف العلماء على تصنيف طلائع مجموعات النظم والنثر .

وإذا نحن استثنينا من استأخر من شعراء عصر الإمارة وعاش ردحاً من عصر الخلافة ، ونقرأ من الوشاحين ، وجدنا في طليعة شعراء هذا العصر ابن عيدر به (توفي عام ٩٣٩/٣٢٨) صاحب «العقد الفريد» الذي بهر العيون بمدائحهم ، وابن هاني^{*} الإليبري (توفي عام ٩٧٢/٣٦٢) الذي لم يلبث أن غادر الأندلس ولحق بملوك المغرب والذي شبه المعري شعره «برحى تطحن قروناً» (*) والزيبيدي (المتوفى عام ٩٨٩/٣٧٩) ، وابن أبي زمين (توفي ١٠٠٧/٣٩٨) ، وأولئك الشعراء الذين ذكرهم ابن حزم في «رسالته» ، والمصحفي (توفي عام ٩٨٢/٣٧٢) الذي جرده المنصور من طارفه وتليده وحبسه ، وابن فرج الجلياني (توفي عام ٩٧٦/٣٦٦) صاحب «كتاب الخدائق» الذي ضامى به «كتاب الزهرة» لابن داود الأصفهاني ، والشاعر الرقيق «الأمير الطليق» (توفي عام ١٠٠٩/٤٠٠) الذي أودع الحبس لقله أباه ، وكان يغار منه ، وابن شخيص ، والرماذي ، (توفي ١٠٢٢/٤١٣) ، وابن إدريس الجزري (توفي ١٠٠٣/٣٩٤) ، وابن دراج القسطلي (توفي ١٠٣٠/٤٢١) ، وكان شاعراً معقداً عسير الفهم مثل جُجُجُرة الشاعر الإسباني ، وابن ورد (توفي ١٠٥٣/٤٤٥) ؛ وغيرهم كثيرون . ولا بد أن نذكر من بين الكثيرين الذين ظهروا بعد ذلك بقليل في أيام عبد الرحمن الخامس المستظهر بالله — الذي لم يطل حكمه (توفي ١٠٢٤/٤١٥) — فقد أحاطت به هالة من أهل الأدب ، وكان هو نفسه أديباً .

(*) ابن خلكان : «وفيات الأعيان» ، رقم ٦٤٠ — ترجمة ابن هاني^{*} .

وقد نظم الأندلسيون في كل فن وباب : من الزهديات والتاريخيات إلى التوريات التي أكثر الناس منها على عصر المنصور^(٣٤).

ولابن فرج الجياني (توفي ٩٧٦/٣٦٦) صاحب « كتاب الحدائق » أبيات جميلة تعتبر نموذجاً للنزل العذري عند شعراء العرب ، وقد ترجمها غرسيه غوهس وجعل عنوانها : « عفة » ، وهي التالية :

وطاعة الوصال عفت عنها	وما الشيطان فيها بالمطاع
بدت في الليل سافرة فباتت	دياجي الليل سافرة القناع
فمكّكت النهى جمحات شوق	لأجرى في العفاف على طباعى
وبت بها مبيت السّتبِ يظا	فيمنعه الكعام من الرضاع
كذاك الروض ما فيه لمثلى	سوى، نظر وشم من متاع
ولست من السوائم مهملات	فأتحذ الرياض من المراعى ^(٣٥)

وأروع ما وصل إليه الشعراء في الوصف وصل إليه أبو جعفر المصحفي (توفي ٩٨٢/٣٧٢) — وزير الحكم المستنصر وهشام المؤيد — في تلك القطعة التي قالها في وصف سمرجلة (ص ٤٥) (٣٦).

ف ١١ — ابن عبد ربه — سعيد بن منذر البلوطي :

ومن المذكورين النابيين من شعراء هذا العصر أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه (١٦٠/٢٤٠ — ٩٣٩/٣٢٨) مولى بني أمية — وكان شاعر بلاط صرف — وستحدث عنه فيما بعد (ف ٥٤) . ولم يكن ذا شاعرية بمتازة سواء في قصائده الظوال التي تحدث فيها عن الحملات السنوية التي قام بها الناصر أو في مقطعاته التي قالها في مدح بني أمية ، مثل قوله :

بالمندّر بن محمد شرفت بلاد الأندلس
فالطير فيها ساكن والوحش فيها قد أس^(٣٧)

و بعض أشعار ابن عبد ربه الغزالية تنبئ عن ذوق وحساسية تفوق ما يبدو في مدائحهم . وقد جمع أشعاره في ديوان سماه « المحصنات » أتبع فيه كل قطعة غزلية بأخرى ، في الحكمة أو الزهد ، حتى يدفع شعر الزهد أوزار الأفكار الدنيوية . ومن نسيبه قوله :

ما إن رأيت ولا سمعت بمثله درًا يعود من الحياء عقيماً
وإذا نظرت إلى محاسن وجهه أبصرت وجهك في سناه غريقاً^(٣٧)

ومن أحسن ما قال عبد الملك بن جهور — وزير عبد الرحمن الناصر — تلك الأبيات التي قالها في النرجس :

قد بثنا إليك بالنرجس الـ ض حكي لون عاشق معمود
فيه ريح الحبيب عند التلاقى واصفرار الحب عند الصدود^(٣٨)

ف ١٢ — ابن هاني — الزبيدي :

عاش محمد بن هاني^{*} الإشبيلي (يكنى أبا القاسم وأبا محمد ، توفي ٩٧٢/٣٦٢) حياة استهتار ، وكان « متهماً بمذهب الفلاسفة . ولما اشتهر عنه ذلك فقم عليه أهل إشبيلية ، وساءت المقالة في حق الملك بسببه واتهم بمذهبه أيضاً ، فأشار الملك عليه بالغبية عن البلد مدة ينسى فيها خبره ، فانفصل عنها وعمره يومئذ سبعة وعشرون عاماً ... وخرج إلى المغرب ، ولقي جوهرًا القائد مولى المنصور فامتدحه ، ثم ارتحل إلى جعفر ويحيى ابني علي — وكانا بالمسيلة وهي مدينة الزاب ، وكانا واليها — فبالغا في إكرامه والإحسان إليه . فدمى خبره إلى المعز أبي تميم معد بن المنصور العميدى . ثم توجه المعز إلى الديار المصرية فشيعة ابن هاني^{*} ورجع إلى المغرب لأخذ عياله والحقاق به ، واسكنه لقي حنفة عند « برقة » على صورة غامضة في سنة ٩٧٢ : فن قائل إنه لما وصل إلى برقة أضافه شخص من أهلها فأقام عنده أياماً في مجلس الأنس ، فيقال إنهم عر بدوا عليه فقتلوه . وقيل :

خرج من تلك الدار وهو سكران فنام في الطريق وأصبح ميتاً، ولم يعرف سبب موته. وقيل إنه وجد في ساقية من سواقي برقة منحوقاً بشكة سراويله، وكان ذلك بكرة يوم الأربعاء لسبع ليال بقين من رجب سنة ٣٦٢ هـ^(٤٠).

ويرجع ابن الخطيب الرواية الأولى. ويرى ابن خلكان أن القصيدة الذونية التي قالها ابن هاني* في المزمع الفاطمي تعد من «غرر المدائح ونخب الشعر»، ويقول ابن خلكان إنه لولا غلوه في المدح وإفراطه الفضي إلى الكفر لكان ديوانه من أحسن الدواوين. «وليس في الغاربة من هو في طبقتة — لا من متقدميهم ولا من متأخريهم — بل هو أشعرهم على الإطلاق، وهو عندم كالمناجبي عند المشاركة؛ وكانا متعاصرين». أما المعري فقد شبه شعره الرائع الفخم «برحى تطحن قروناً»، كما قال غرسية غومس. وقصيدته في وصف النجوم مشهورة^(٤١).

وعلى الضد من استهتار ابن هاني* بنجد الزبيدي (أبا بكر محمد بن الحسن بن عبد الله ٩١٨/٣٠٦ — ٩٨٩/٣٧٩) رجلاً جاداً. كان مؤدباً للخليفة هشام المؤيد في صباه، فكان الذي علمه الحساب والعربية ونفعه نفعاً كبيراً، وألف في النحو والتاريخ كتباً لها قدرها (ف ٦٠ و ٦١)، وكان شاعراً يميل في شعره إلى الحكمة والزهد: فيذكر الخوف من الله، وخلود الروح، وثواب الآخرة وعقابها، كقوله:

أيا مسلم إن التقى بجنانه ومِقْوَلِهِ لا بالمراكب واللبس
وليس ثياب المرء تنفي قلامته إذا كان مقصوراً على قصر النفس
وليس يفيد العلم والحلم والحجى

— أيا مسلم — طول التعمود على الكرسي^(٤٢)

وله كذلك نسيب يصور آلام بعد الحبيب على نحو لطيف رقيق.

ف ١٣ — شعراء المنصور :

كان المنصور يرمى أهل الأدب . ولقد أغرم زماناً بالفلسفة ، ثم وجد أن الفقهاء يجدون في هذا ما يثيرون به مشاعر الناس عليه ، فأمر بإخراج كتب الفلسفة والفلك من بين غيرها من الكتب من مكتبة القصر وأحرقها بيده أمام نفر من العلماء الموقرين كالأصيلي وابن ذكوان والزيدي ، ليظهر للناس غيرته على الدين^(٤٣) . وقد كان لهذا العمل وقع طيب في قلوب الناس ، غير أننا لا نشك في أن المنصور فعل ذلك وهو راغم ، لأن ميله إلى الأدباء — والشعراء خاصة — كان عظيمًا طول حياته .

وقد قال ريبيرا : « إن المنصور أنشأ بين دواوين الدولة ديواناً خاصاً سمي «ديوان الندماء» مهمته ترتيب الشعراء طبقاتٍ وبذل العطاء لهم على أقدارهم في الشعر ، وكان على رأس هذا الديوان واحد من كبار نقدة الأدب^(٤٤) . ولقد صعب المنصور في بعض غزواته أربعون شاعراً من كل طبقة ليقولوا الشعر في غزواته .

ومن الطبيعي ألا يخلو رجل من طراز المنصور من أعداء يتفسون عليه طامحه البعيد وتوفيقه في درك غايته ، ومن ثم كثرت الأشعار في هجائه المقذع . ومن اشهد في هجائه الوزير المصحفي الذي أوقع به^(٤٥) ، وإبراهيم بن إدريس الحسني الشاعر . بيد أن المدائح التي قيلت في هذا القائد العظيم ووزير هشام المؤيد الخطير تربو بكثير على ما قيل فيه من هجاء . ومن أكثر في مدحه ابن درّاج القسطلي (من قسطة في الجوف في البرتغال الحالية ٩٥٨/٣٤٧ — ١٠٣٠/٤٢٢) ، وكان كاتباً للحكم المستنصر والمنصور — وله مدائح ومراث طيبة ، كتلك التي قالها في صبح البشكنسية — ثم خدم بعد ذلك عبد الرحمن بن أبي عامر المعروف بشيخول ، ومحمد بن عبد الجبار المهدي ، وسليمان المستعين ، وعلي بن حمود الحسن ، والمرتضى ، وكلهم خلفاء ؛ ثم توجه بعد ذلك إلى بلنسية وسرقسطة حيث تكونت حوله حلقة من الشعراء وأهل الأدب . وأبياته تنم عن ملكة ذهنية فقيرة ،

وتكلف زائد ، وتعقيد يشبه تعقيد جنجرة الشاعر الإسباني . وإيغال أولئك المحدثين وإسرافهم في تقليد القدماء يفسر لنا إقبال الناس على الموشحات الشعبية ، التي يعد ظهورها رد فعل لهذا الشعر القديم المجدد « (٤٦) » .

ف ١٤ — صاعد البغدادي :

كان صاعد البغدادي المتوفى سنة ١٠٢٦/٤١٧ أحد كبار شعراء بلاط المنصور . أقبل إلى قرطبة حوالي سنة ٩٩٠/٣٨٠ ميلادية واستطاع أن يحظى بعطف المنصور بسبب تضلعه في علوم اللغة والتاريخ ، وبسبب ذكائه وطلاوة حديثه وطيب معاشرته وبتدبيره وجوابه وحضوره وبراعته في الارتجال . وقد أكل ابن بسام هذا الوصف بقوله إنه كان « ممتعاً محسناً للسؤال ، حاذقاً في استخراج الأموال » (٤٧) .

وقد أدخل صاعد إلى الأندلس طريقة جديدة في درس الشعر الجاهلي تتلخص « في أن يقرأ الطالب القصيدة ، ثم يسأله الأستاذ عن معاني الألفاظ ، فيقوم بالشرح معتمداً على قائمة من المعاني يكون قد استخرجها من المعجم العربية » (٤٨) .

وكان أبو علي مدعياً ذا براعة بالغة في هذا الباب ، وكان لا يتخرج من شيء في هذا السبيل ، حتى لقد زعم أنه قرأ جميع الكتب المعروفة . وتحكى المراجع عن جرأته في ذلك الصدد أن نفرأ من خصوم صاعد « سألوا المنصور في تجليده كراريس بياض تزال جدتها حتى تومم القدم ، وترجم عليه « كتاب النكت » تأليف أبي الثوث الصنعاني ، فترامى إليه صاعد حين رآه وجعل يقبله وقال : « إي والله ! قرأته بالبلد الفلاني على الشيخ أبي فلان . . » ، فأخذ المنصور من يده خوفاً من أن يفتحه وقال : « إن كنت قد قرأته كما تزعم فعلام يحتوى ؟ » فقال : « وأبيك بعد عهدي به ولا أحفظ الآن منه شيئاً ، ولكنه يحتوى على لغة منثورة لا يشوبها شعر ولا خبر » فقال له المنصور : « أبعد الله مثلك ، فما

رأيت أ كذب منك ا ، وأمر بإخراجه ^(٤٩) .

وتصدي صاعد لتأليف كتاب يفوق « الأمالى » لأبي على التالى ، وزعم المنصور أنه يملئ « على كتاب دولته كتاباً أرفع منه وأجل لا يورد فيه خبراً مما أورده أبو على ، فأذن له المنصور فى ذلك . وجلس بجامع مدينة الزاهرة يملئ كتابه المترجم « بالفصوص » ، فلما أكمله تتبعه أدباء الوقت فلم تمر فيه كلمة صحيحة عندهم ولا خبر ثبت لديهم » ، فأمر المنصور بأن يقذف كتاب الفصوص فى النهر ، فقال بعض الشعراء :

قد غاص فى الماء كتاب الفصوص وهكذا كل ثقل يغوص . .
فأجابه صاعد :

عاد إلى معدنه ، إنما توجد فى قعر البحار الفصوص ! ^(٥٠)

ونظر صاعد إلى وردة بيد المنصور فى غير وقتها لم يستم فتح ورقها فقال مرتجلاً :

أتتك أبا عامر وردة يذكر المسك أنفاسها
كعذراء أبصرها مبصر فنظت بأكامها رأسها ^(٥١)

وتقدم صاعد إلى المنصور يوماً بأيل فى قيده وكتب معه بأبيات متوسطة الجودة جاء فى بعضها :

مولاي ، مؤنس غربتي ، متخطني من ظفر أيامي ، مُنَّعَ مَعْقِلِي
عبد جَذَبْتَ بضعه ورفعت من مقداره أهدى إليك بأيل
سميته غَرَسِيَّةً وبمئته فى حبله ليُتَاحَ فيه تَفَاوُلِي
[فإئن قبلت فتلك أنفَسِ مِنِّي أَسْدِي بها ذو منحة وتطوُل
صحبتك غاديةُ السرور وجُلَّتْ أَرْجاءُ رَبِّعِكَ بالسحابِ الْمُخْضِلِ]

فقضى الله فى سابق علمه أن غرسية بن شانجه (صاحب نبره) من ملوك الروم — وكان أمنع من النجم — أسر فى ذلك اليوم بعينه الذى بعث فيه صاعد

بالأيل وسماء غرسية متفانلاً ، فزاد حب المنصور لصاعد بسبب هذا التوافق الغريب . ولم يكن صاعد ليدع فرصة تفلت إلا أظهر للمنصور شكره ، ومن ذلك أنه بعث إلى المنصور غلاماً له أسود يسمى كافور ، وقد ألبسه قيصاً كالمرقعة حاكه من خرق الأكياس والصرر التي كان يقبض فيها صلوات المنصور ؛ فلما مثل بين يدى المنصور عجب من فعل صاعد بغلامه وسأله في ذلك فقال : « يا مولانا ، هنالك الفائدة . اعلم يا مولاي أنك وهبت لى اليوم ملء جلد كافور مالاً » فتهلل وقال : « لله درك من شاكر مستنبط لغوامض معانى الشكر » ، وأمر له بمال واسع وكسوة ، وكسبا كافوراً أحسن كسوة^(٥٢) .

ف ١٥ — الرمادى :

وأهم من صاعد — من الناحية الأدبية — يوسف بن هارون الرمادى . والرمادى ليس نسبة إلى بلد يسمى رمادة — كما يحسب البعض — وإنما هو الصورة العربية لكينته بالإسبانية الدارجة وهى « أبو جنيس » ، والجنيس cenisa فى الإسبانية هو الرماد ، وترجمة « الرمادى » بالإسبانية على هذا El Ceniciento . وقد اتهم الرمادى بالاشتراك فى مؤامرة اشترك فى تديرها على المنصور جماعة من أهل الأدب — ربما كان دافعهم إلى ذلك الحسد له — فحكم للمنصور عليه بأن يقاطعه الناس ولا يبادلوه الكلام منهم أحد . فمضى المسكين يهيم بين الجموع الذين كانت تزخر بهم طرقات قرطبة « وكأنه ميت » . ثم عفا عنه المنصور بعد ذلك ، لأننا نجد بين الشعراء الذين رافقوه فى حملته على برشلونة فى سنة ٩٨٦/٣٧٦ (انظر ققرة ٥٠) .

ويحكى ابن حزم عن الرمادى قصة حب رومانتيكى رائعة الجمال ، فيقول إن الشاعر كان مجتازاً عند « باب العطارين » فى قرطبة — وهذا الموضع كان مجتمع النساء — فرأى جارية مليحة « أخذت بمجامع قلبى ، وتخلل حبها جميع أعضائى » . فتبعها حتى عبرت عن طريق الجامع ، وجعل يتبعها وهى ناهضة نحو

القنطرة ، فجازها إلى الموضع المعروف بالربض ، فلما صار بين رياض بنى مروان — رحمه الله — المبنية على قبورهم في مقبرة الربض خلف النهر ، نظرتُه منفرداً عن الناس لا هم له غيرها ، فانصرفت إليه فقالت له : « مالك تمشي ورأى ؟ » فأخبرها بمعظم بليته بها ، فقالت له : « دع عنك هذا ولا تطلب فضيحتي ، فلا مطمع لك في البتة ولا إلى ما ترغبه سبيل » ، فقال : « إني أقنع بالنظر » ، فقالت : « ذلك مباح لك » ، فقال لها : « يا سيدتي ، أحرّة أم مملوكة ؟ » فقالت : « مملوكة » ، فقال لها : « ما اسمك ؟ » ، قالت : « خلوة » ، فقال لها : « ولن أنت ؟ » ، فقالت : « عليك والله بما في السماء السابعة أقرب إليك مما سألت عنه ، فدع الحال » ، فقال لها : « يا سيدتي ، وأين أراك بعد هذا ؟ » ، فقالت : « حيث رأيتني اليوم ، في مثل تلك الساعة من كل جمعة » ، ثم قالت له : « إما تنهض أنت وإما أنهض أنا » ، فقال لها : « انهضني في حفظ الله » ، فنهضت نحو القنطرة . ولم يمكنه اتباعها ، لأنها كانت تتلفت نحوه لترى أيسارها أم لا . فلما تجاوزت باب القنطرة أتى يقفوها ، فلم يقع لها على مسألة . قال أبو عمر ، وهو يوسف بن هارون : « فوالله لقد لازمت باب العطارين والربض من ذلك الوقت إلى الآن فما وقعت لها على خبر ، ولا أدري أسماءاً لحسّنها أم أرض بلعتها . . إن في قلبي منها لأحرّ من الجرا » . وهي « خلوة » التي يتغزل بها في أشعاره ، ثم وقع بعد ذلك على خبرها بعد رحيله في سبيلها إلى سرقسطة في قصة طويلة^(٥٣) .

ف - ١٦ الوزير أبو المغيرة بن حزم :

وكانت للمنصور جارية جميلة مغنية تسمى « أنس القلوب » ، وكان ذا غرام بها ، غير أنها كانت مولعة بالوزير أبي المغيرة بن حزم . فحدث ذات مرة أن كان المنصور في رياض الزاهرة وفي صحبته أبو المغيرة ، فعمّت الجارية :

قَدِمَ اللَّيْلُ عِنْدَ سَيْرِ النَّهَارِ وَبَدَأَ الْبَدْرُ مِثْلَ نِصْفِ سَوَارِ

فكأنَّ النهارَ صفحَةٌ خد وكانَ الظلامَ خطُّ عذارِ
 وكانَ الكؤوسَ جامدُ ماء وكانَ المدامَ ذائبُ نارِ
 نظرى قد جفى على ذنوباً كيف مما جنته عيني اعتذارى
 يا لقومى ، تعجبوا من غزال جائر فى محبتى ، وهو جارى
 ليت لو كان لى إليه سبيل فأقضى من حبه أوطارى
 قال أبوالمغيرة بن حزم : فلما أكملت الغناء أحسست بالمعنى فقلت :

كيف ، كيف الوصول للأقمار بين سمر القنى وبيض الشفارى ؟
 لو علمنا بأنَّ حبِّك حقٌّ لطلبنا الحياةَ منك بشارِ
 وإذا ما الكرام هموا بشيء خاطروا بالنفوس فى الأخطارِ

قال : فعند ذلك بادر المنصور لحسامه ، وغلظ فى كلامه وقال لها : « قولى واصدقى ، إلى من تشيرين بهذا الشوق والحنين ؟ » فقالت الجارية : « إن كان الكذب أنجى فالصدق أحرى وأولى ، والله ما كانت إلا نظرة ولدت فى القلب فكرة ، فتكلم الحب عن لسانى ، وبرح الشوق بكتمانى ، والعمو مضمون لديك عند المقدرة » . ثم بكت فكأن دمعها در تناثر من عقد ، أو طل تساقط من ورد ؛ وأنشدت :

أذنبتُ ذنباً عظيماً فكيف منه اعتذارى ؟
 والله قدَّر هذا ولم يكن باختيارى
 والعمو أحسن شيء يكون عند اقتدار

فلم يلبث المنصور أن عفا عنها وعنه ، ووهبه الجارية^(٥٤) .

وقد نقش على قبر المنصور فى « مدينة سالم » هذان البيتان :

آثاره تنبئك عن أخباره حتى كأنك بالعيان تراه
 تالله لا يأتى الزمان بمثله ولا يحمى الثغور سواه^(٥٥)

وهذان البيتان يناقضان مناقضة ظاهرة تلك العبارة التى نقرؤها فى « مدونة

برغش Chronicon Burgense « ونصها : « في سنة ١٠٠٢ توفى المنصور ، وألحد في جهنم » .

ف ١٧ — ابن أبي زمنين — ابن الرهنرى — حبيب الصقلي :

ونذكر ممن ظهر في عصر المنصور كذلك ، أو خلال الفترة التي تلتها إلى سقوط الخلافة ، أبا عبد الله محمد بن أبي زمنين (٩٣٥/٣٢٤ — ١٠٠٧/٣٩٨ أو ١٠٠٨ م) الذي نبع في دراسة الفقه وألف « مدونته » المشهورة ، وشهرته بتصانيفه في الوعظ والزهد وأخبار الصالحين أكبر . وقد أجمع الناس على الإعجاب بشعره الذي يغلب عليه طابع الدين وشيء من التشاؤم ؛ وإليك نموذجاً من هذا الشعر صاغه في قالب أسئلة ، وهو طراز شائع معروف :

الموت في كل حين ينشر الكفنا ونحن في غفلة عما يراد بنا
لا تطمئن إلى الدنيا وبهجتها وإن توشَّحت من أثوابها الحسنأ
أين الأحبة والجيران ؟ ما فعلوا ؟ أين الذين هم كانوا لنا سكناً ؟
سقام الدهر كأساً غير صافية فصيرتهم لأطباق الثرى رهناً^(٥٦)

وظهر في ذلك العصر أيضاً فقيه شاعر آخر هو أحمد بن سعيد الهمداني ، ويعرف بابن المندى (٩٣٢/٣٢٠ — ١٠٠٨/٣٩٩) وكان متمكناً من أساليب تحرير الوثائق ، وقد ألف فيها كتاباً عرف « بالديوان » « شحنه بالأخبار والحكم والأمثال والنوادر والشعر والنوائد والحجج ، فأتى « الديوان » كبيراً ، واخترع في علم الوثائق فنوناً وألفاظاً وفصولاً وعقداً مجيبة » ، (« صلة » ابن بشكوال ، رقم ١٩) وقد طبقت شهرته آفاق الأندلس بهذا الكتاب .

وكان أبو الوليد (ويكنى أيضاً أبا محمد) عبد الله بن محمد بن نصر الأزدي القرطبي المعروف بابن القرضى (٩٦٢/٣٥١ — ١٠١٣/٤٠٤) المؤرخ (انظر فقرة ٨٤) يقول شعراً لطيفاً يستلهم فيه عاطفته الدينية الغالبة عليه ، كهذه الأبيات :

أسيرُ الخطايا عند بابك واقفٌ على وِجَلِ مآ به أنت عارفٌ

يخاف دُنُوبًا لم يغبُ عنك غيبتها ويرجوك فيها فهو راج وخائف
 ومَن ذا الذي يُرَجِي سواك ويُتَقَى وما لك في فصل القضاء مُخالف
 فيا سيدي ، لا تُخزني في صحيفتي إذا نُشرت يومَ الحساب الصحائف
 وكن مؤنسى في ظلمة القبر عندما يصدُّ ذوو القربى ويحفو المؤلف
 لئن ضاق عنى عفوك الواسع الذي أَرَجَّي لِإِسْرَافِي فَإِنِّي لِتِالِفِ^(٥٧)

وحق « الصقالبة » كانوا يقولون الشعر ، وهم طائفة لعبت في ميدان السياسة أدواراً خطيرة في فترات معينة ، نبغ من بينهم شعراء مثل حبيب الصقلبي ؛ وكان من صقالبة هشام المؤيد ، وكان أديباً ذكياً حذراً ، ألف كتاباً في فضائل الصقالبة جمع فيه الكثير من شعرهم ؛ وقد ضاع هذا الكتاب^(٥٨) .

ف ١٨ — شعراء الروائيين :

كان أبو عبد الملك مروان بن عبد الرحمن بن مروان بن الناصر (٩٦٣/٣٥٢ — ١٠٠٩/٤٠٠) من أظهر شعراء عصر الخلافة ، وكان حفيداً لعبد الرحمن الناصر ، ولقب « بالشريف الطليق » . « وكان فيما قيل يهوى جارية رباها أبوه معه وذكرها له ، ثم إنه استأثر بها ؛ فاشتدت غيرة مروان لذلك وانتضى سيفاً وانهز فرصة في بعض خلوات أبيه معها فقتله . وعُثر على القصة فسجن وهو ابن ست عشرة سنة ، ومكث في السجن ست عشرة سنة ، وعاش بعد إطلاقه ست عشر سنة ، وهذا نادر الاتفاق . ومات قريباً من سنة ٤٠٠ »^(٥٩) . وعرف في سجنه ابن مسعود ، وكان شاعراً كذلك . وقد جمع غرسية غومس « ديوان » شعره ، وأجل ما فيه قافيتته التي تنقسم أربعة أقسام : النسيب ، والخمزية ، والوصف ، والفخر . ووصفه العاصفة فيها بديع رائع ، ومنها :

وغمام هطل شؤبوبه نادم الروض ، فغنى وسقى
 فكان الأرض منه مطبق وكان النصب جان أطبقا

خلع البرق على أرجائه ثوبَ وثني منه لما برقا
وكان العارض الجونَ به أدم خلى عليه بَلَقَا

وبرع « الشريف الطليق » كذلك في مقطعات النسيب الرقيق ، وكان طليعة شعراء الأندلس في الزهريات التي بلغ شعراء الأندلس فيها إلى شأو بعيد على يد ابن خفاجة^(٦٠) .

وكان سليمان المستعين — الخليفة الأموي الذي ولي الخلافة مرتين (من ربيع الأول سنة ٤٠٠ . إلى شوال سنة ٤٠٠ ، ومن شوال سنة ٤٠٣ إلى المحرم سنة ٤٠٧) وتوفي عام ١٠١٦/٤٠٧ — يقول شعراً حسناً عارض في بعضه أبياتاً لهارون الرشيد في موضوع « الأنسات الثلاث » ، وقد كان لهذا الموضوع صدئ بعيد في الموسيقى الأندلسية (ف ١٧٤)^(٦١) .

وكان عبد الرحمن الخامس المستظهر (توفي عام ١٠٠٩/٤٠٠) — الذي لم يمكث على العرش إلا بضعة أسابيع — يرتجل أشعاراً حسناً ، وقد ربطته بابن حزم صداقة صميمة^(٦٢) .

بل كان الشعر في الأندلس يجري على ألسن النساء ، فبرع فيه منهن نفر نذكر منهن عائشة بنت أحمد ، التي عشقت أحد أبناء المنصور وتولمت به ، ومريم بنت أبي يعقوب الفيصولى ، وكانت زاهدة ورعة واسعة العلم بالأدب ، وحفصة وأم العلاء الحجاريّتين ، وغيرهن كثيرات^(٦٣) .

ومن أظهر شعراء هذا العصر وكتابه أبو عامر بن شهيد (٩٩٢/٣٨٢ — ١٠٣٥/٤٢٧) ، وقد أوجز غرسية غومس الكلام عنه بقوله : « إن ابن شهيد الشاعر الناقد ليمثل في نظرنا رجل الفكر العرف . لقد كان من بيت عريق فلم يصبح الأدب في يده خدمة بل سيادة . وتترامى لنا في شعره بين الفينة والفينة لمحات ذات وقع حديث . وأما عن جانبه النقدي فقد خلف لنا « رسالة » صور فيها رحلة شاعر إلى الجنة ، سابقاً بذلك المعرى ودانق إلى ذلك الموضوع . وتعرض

للأذى من ملوك الطوائف ، وألم به بعد ذلك داء عضال عانى مرارته في صبر
التصوف ورضاه ، ووورى التراب في مقبرة « الخير » في حدائق قرطبة ، فرقد
رقدة الأبد تحت الزهور » (٦٤) .

ومن بديع شعره قطعته البالغة الجمال المسماة « بعد ليلة أنس » ، ومنها هذه
الآيات :

ولما تمدد من سكره ونام ونامت عيون العسس
ذنوت إليه على قربه دنوّ رفیق إذا ما التمس
أدب إليه ديب الكرى وأسمو إليه سمو النفس
أقبل منه بياضِ الطلى وأرشف منه سواد اللّمس
فبتُّ به ليلتي ناعماً إلى أن تبسم نعر الغلّس (٦٥)

وبيتاه اللذان يصف فيهما « العاصفة » :

وقد فغرت فاهًا دجى كلُّ زهرة إلى كل ضرع للغمامة حافل
وسرت جيوش المزن رهواً كأنها عساكر زنج مذهبات المناصل (٦٦)

ف ١٩ - أبو محمد علي بن حزم القرطبي ، جانبه الشعري :

وربما كان أهم شعراء الأندلس الذين عاشوا في فترة انهيار الخلافة ابن حزم
القرطبي ، المكثّر في كل ناحية من نواحي الفكر والآداب (انظر ف ٦٩) .
ونجد أ كبر مجموعة من شعره في « كتاب طوق الحمامة في الألفة والألاف » ،
وهو دراسة نفسية للحب (انظر فقرة ٦٦) الذي كتبه حوالي سنة ٤١١ / ١٠٢٠ .
وقد اعتبر غرسية غومس حياته « رمزاً على أحوال الأندلس على أيامه . كان
شاباً أنيقاً ينتسب إلى بيت رفيع من موالى بني أمية ، دخل ميدان السياسة
وهو بعد في مطالع الشباب ، ثم عانى أوصاب النفي واشترك في المؤامرات
والتدبيرات فيما بعد ، ثم أصبح آخر الأمر مفكراً غضب اللسان ، وجواب آفاق

ينازل العلماء والفقهاء ، ويتحدى بجدله العنيف آراء وعقائد متأصلة في الفقه والفلسفة والدين ، حتى لقد سُمي نفسه في أحد كتبه « رجلاً جديلاً » بل جديلاً جوالاً ، حتى ايصدق عليه قوله :

لم تسنقرَّ به دار ولا وطن ولا تدفأ منه قط مضجعه
كأما صيغ من رهو السحاب فما تزال ريح إلى الآفاق تدفعه^(٦٧)

ونجد أكبر مجموعة من شعره مضمنة في تضاعيف كتابه المسمى « طوق الحمامة » (ف ٧٤) وقد ألفه سنة ٤١٠ / ١٠٢٠ ، ومقامه في الأندلس مقام كتاب « الحياة الجديدة Vita Nova » لدانتى فى إيطاليا ، وهو بطاقة زهر أريجة من الأفاصيص ومقطعات الشعر والتحليل النفسى الخلقى للحب .

ويبدو أن ابن حزم قال الشعر وهو بعد صبي ، وكان قد درس البلاغة فى شبابه على أساتذة عديدين . وكانت له قريحة طيبة تعينه على الارتجال دون تكلف ، وبين أيدينا نموذج من ارتجاله وهو قصيدة رثاء قالها فى صديق له وافاه الأجل^(٦٨) . وكان ابن حزم يأخذ على الكثيرين من معاصريه الصنعة التى كانوا ينظمون بها شعرهم ، وقد سخر من الدموع الغزار التى يذرفونها « على ديار الحبيبة أو خيامها التى خلفتها » ، ويرى أن الكلام الذى أكثر الشعراء منه فى وصف بهجة الوصل لا يطابق الواقع إلا فى قليل . ولم يسرف ابن حزم فى استعمال المجازات والتشبيهات وأضرب البلاغة كما كان غيره يفعل ، ولم يقع فى المبالغات الماطفية أو قماع الألفاظ إلا قليلاً ، وشعره لهذا كله طبيعى واضح ، يصف أحوال النفس على فطرتها . وهو يصف ما شهدته وأحس به إحساساً عميقاً فى أسلوب جزل لطيف وشعره ينم تارة عن عاطفة حارة مشبوبة كقوله :

وددت بأن القلب شق عمدية وأدخلت فيه ، ثم أطبق فى صدرى
فأصبحت فيه لا تحلّين غيره إلى مقتضى يوم القيامة والحشر
تعيشين فيه ما حييت ، فإن أمت سكنت شغاف القلب فى ظلم القبر^(٦٩)

وتارة أخرى يحاق عند قم التجريد الذهني ، وهو أمر غير مألوف في الشعر الأندلسي ، كقوله :

أمن عالم الأملاك أنت أم إنسي أين لي ، فقد أزرى بتمييزي العي
أرى هيئة إنسية ، غير أنه إذا عمل التفكير فالجرم علوي
تبارك من سوى مذاهب خلقه على أنك النور الأنيق الطبيعي
ولا شك عندي أنك الروح ساقه إلينا مثال في النفوس اتصالي
عَدِمْنَا دليلاً في حدوثك شاهداً نقيس عليه ، غير أنك مرئ
ولولا وقوع العين في الكون لم نقل سوى أنك العقل الرفيع الحقيقي^(٧٠)

وقد ختم غرسية غومس كلامه عن ابن حزم بقوله : « ولقد كان إسبانياً خالصاً ، وهذا قوله يدل عليه :

ويا جوهر الصين : سحماً ! فقد غَنَيْتُ بياقوتةَ الأندلس^(٧١) »

[ولما كان شعر ابن حزم يرد في سياق كتابه عن الحب ، فإن لهجته وموضوعاته تطابق المواد المختلفة التي عالجهما في ذلك الكتاب ، من بدء الحب وتطوره حتى خمود ناره وتلاشيه . وهو يتحدث عن سلطان الهوى واستبداده وغرائبه وشكوكه وآلامه وخميايه ، ويتحدث عما يعرض للمحبين من الغدر وعدم الثقة والسوء والخذاع ، ويتغنى بجمال المرأة — والمحبة خاصة — وبملاوة العتاب ، ويصف سوء العاذل المترقب للمحبين ، ويتحدث عما يكون بين العاشقين من خصام وصلح وتواعد على اللقاء ، وما يروونه من أحلام ، وما يطراً عليهم من السلو : أي أنه يعرض لكل الحالات العاطفية المتباينة التي يعرفها أهل الهوى]^{(*) (٧٢)} .

وإليك نماذج من شعره في ذلك الكتاب نقلها عن « الطوق » كما نشره يتروث :

(*) من أول القوس إلى نهاية الكلام عن ابن حزم وورد في الطبعة الأولى من الكتاب الذي ترجمه ، وقد أسقطه المؤلف من الطبعة الثانية ؛ ولكن رأيت إنباته لما فيه من فائدة .

طاف الخيالي على مستهتر كَلِيفٍ لو لا ارتقابُ مزار الطيف لم ينم
لا تمجّبوا إذ سرى والليل معتكِر فنورده مرهب في الأرض للظلم^(٧٣)

• • •

بيكي لميت مات وهو مكرم ولّحى أولى بالدموع الذوارف
فيا عجباً من آسف لأمرئٍ نوى وما هو للمقتول ظلماً بآسف^(٧٤)

ف ٢٠ — خصائص الشعر الأندلسي في عصر الطوائف :

قال غرسية غومس في تحليل الإنتاج الأدبي لهذا العصر وبيان خصائصه :
« كانت قرطبة الأموية — ملتقى أجناس الشرق والغرب وموضع امتزاج بعضها
ببعض — مركز توازن قلق . وعند ما انهيار صرح خلافتها انتثر عقد بلادها
وتفرقت أيدي سبا ، وقام على أنقاضها رؤساء طوائف العرب الصغار ، وأمراء
الجماعات البربرية ، وفتيان صقالبة القصور » ، وزالت مع ذلك التفرقة الموجهة
للسياسة الأندلسية العامة ، واختفى ما هو أخطر من ذلك وهو المثل الإسباني
الأعلى . وإذا نحن نظرنا إلى التاريخ الأندلسي وما تعاوره من أحداث ، لرأينا أنه
بينما عمل بنو أمية على تحويل الأندلس إلى قطر غربي ووقفوا في ذلك ، اجتهد
ملوك الطوائف في رد قرطبة الغربية إلى المشرق ثانية ، فتحوّلت عواصمه إلى
مغدادات صغيرة كثيرة . ولننصف إلى ذلك أن الظروف العامة كانت قد تغيرت
تغيراً حاسماً حول الأندلس الإسلامي : فقد استيقظت إسبانيا النصرانية ومدت
يدها إلى أوروبا : كان ذلك عصر « السيد القمبيطور » . ثم إن أهل المغرب —
فيما يلي الزقاق — نظموا أمورهم في صحرائهم وأقاموا لأنفسهم دولة . وبين نار
النصارى في الشمال والبربر في الجنوب وقف ملوك الطوائف وقد وهن أمرهم
وأضعفهم الترف والبذخ ، لا يكاد سلطان أحد منهم يتخطى حدود بلده ،
فكانت دويلاتهم أشبه بجمهوريات إيطالية في ثياب شرقية : وسادت ذلك العصر

كله روح من البذخ المترف والإجرام السافر، من المطامع والنزوات، ومن الخفاجر والسموم. من هنا كان هذا الزمان عصرأ عظيماً للشعر والشعراء، وتنافس ماوك الطوائف في اجتذاب الشعراء إلى نواحيهم، « ولم نزل الشعراء تتهادى بينهم تهادى النواصم بين الرياض، وتفتك في أموالهم فتكة البراض، حتى إن أحد شعرائهم بلغ به مارآه من منافستهم في أمداحه أن حلف ألا يمدح أحداً منهم بقصيدة إلا بمائة دينار». . كما قال الشقندي « (٧٥) .

« وكان لكل أمير من أمراء الطوائف ميزة اختص بها دون جيرانه : فامتاز المتوكل صاحب بطليوس بالعلم النزير، وامتاز ابن ذى النون صاحب طليطلة بالبذخ البالغ، وفاق ابن رزبن صاحب السهلة أنداده في الموسيقى، واختص المقتدر ابن هود صاحب سرقسطة بالعلوم، وبذ ابن طاهر صاحب مرسية أقرانه بالانثر الجميل المسجوع. أما الشعر فكان أسراً مشتركاً بينهم جميعاً يلقى منهم كل رعاية، ولكن عناية بنى عباد أصحاب إشبيلية الجميلة به كانت أعظم وأشمل. وفي أثناء ذلك كله كانت قرطبة النبيلة تحتضر، وكان البربر أصحاب السلطان في جنوبي الأندلس قد عقدوا الخناصر مع اليهود ووفود العناصر المشرقية على الأندلس، وانصرف نفر من أهل الأدب إلى تأليف مجموعات جيد الكلام من نظم ونثر، كالذي فعله أبو الوليد الحميري (توفي حوالي ١٠٤٨/٤٤٠ م.) من تأليف كتابه « البديع في وشى الربيع»، ومضى الناس في نظم الموشحات. ولكن أكثر ما انصرفت إليه الملكات هو قرض شعر حديث على طريقة القدماء، ولدينا من نمارقرائهم آلاف من الأبيات؛ لقد أصبح أهل الأندلس كلهم شعراء حتى قال القزويني إن أى فلاح يحرث بأثوار في شلب يرتجل ما شئت من الأشعار فيما شئت من الموضوعات. ومضى الشعراء يقطعون الأندلس طولاً وعرضاً، ينتجعون قصور الأمراء حيث يظفرون بالمأوى والصلوات، ويحضرون مجالس أصحاب الأمر، وتدرج أهماؤهم في سجلات الدواوين، وتخلع عليهم وظائف التدريس.

ولقد كان الواحد منهم يرتجل المقطوعة القصيرة فيبلغ بها الوزارة . ولما اشتد عليهم الطلب وتوالى عليهم إلحاح الأمراء رفعوا أسعار أشعارهم ، حتى حلف واحد منهم لا يمدح أميراً بأقل من مائة دينار . وأدرك اليأس نفراً منهم فانصرفوا عن الشعر وعادوا إلى أريافهم وإلى ما كانوا يزاولونه قبل احترافهم الشعر من أعمال . وكان كبار القوم — من ملوك ووزراء وأصحاب ووظائف كبرى وسفراء — لا يتراسلون إلا شعراً ، فكانوا يتهادون بطاقات صغيرة تحمل عبارات الدعوات والاعتذارات والأهاجي ، أو يرفقونها بهداياهم ، أو يسجلون فيها لمحات من حياتهم ، كلها منظومة شعراً يشبهون أنفسهم فيه بالفجوم والزهور ؛ أصبحت حياتهم كلها شعراً صرفاً ! ومعظم هذا الشعر متكلف زائف ، ولكنه يضم بين الحين والحين لمحات تصور أخلد العواطف الإنسانية « (٧٦) .

٣ — عصر الطوائف

- (أ) قرطبة : الوزير ابن جهور — ابن زيدون وولادة .
 (ب) إشبيلية : المعتضد — المتمدن بن عباد — المتمدن واعتماد — شعراء بلاط المتمدن — ابن حمد يس الصقلي — شعر المتمدن في أيام سعده وأيام إدبار حظه — شهرة الملك الشاعر .
 (ج) غرناطة : أبو الفتوح الجرجاني — أبو إسحاق الإلبيري .
 (د) المرية : الوزير ابن عباس — المتمدن بن صمادح وشعراء بلاطه — آل المتمدن .
 (هـ) بلنسية ومرسية : ابن وهبون — ابن لبون الوادي آشى — الوقشي .
 (و) بطايوس : المظفر بن الأفطس — ابن عبدون وشارح شعره ابن بدرون .
 (ز) سرقسطة : ابن باجة .

(١) قرطبة

ف ٢١ - أبو الوليد أحمد بن زيدون :

استولى الوزير أبو الحزم بن جمهور على أعنة الحكم في قاعدة خلفاء بني أمية
بمذوال ملكهم . وقد أنشد الأبيات التالية في خراب « قصور الأمويين التي
تقوضت أبنيتها ، وعوضت من أنيسها بالوحش أفنيها » :

قلت يوماً لدار قوم تفانوا أين سكانك العزاز علينا ؟
فأجابت : هنا أقاموا قليلاً ثم ساروا ؛ ولست أعلم أيننا^(٧٧)

أم شعراء قرطبة [في ذلك العصر] أبو الوليد أحمد بن زيدون الخزومي
(١٠٠٣/٣٩٤ - ١٠٧٠/٤٦٣) . تمتع ابن زيدون بمكانة عالية في المجتمع
القرطبي بفضل ما أنفق في تعليمه من عناية ، وما وهبه الله من ملكة طيبة . وقد
تجلت شاعريته وسنه تقارب المشرين ، وذلك أنه عندما توفي القاضي الفقيه ابن
ذكوان ألقى ابن زيدون على قبره مرثية بليغة . وفي خلال فترة الاضطراب
السياسي الذي سبق سقوط الخلافة ، يبدو أن ابن زيدون أخذ جانب أبي الحزم
ابن جمهور .

ثم لم تلبث العلاقات أن اتصلت بين ابن زيدون وولادة ، وكانت سلمية بيت
ملك إذ أنها بنت الخليفة الأموي محمد بن عبيد الله بن الناصر لدين الله الملقب
بالمستكفي بالله ، فلما مات أبوها نزعته عن الحريم وخرجت إلى مجامع
الأدباء والعلماء .

ويذكر ابن بسام أن ولادة « كانت في نساء أهل زمانها واحدة أقرانها
حضوراً شاهد ، وحرارة أوابد ، وحسن منظر ونحبر ، وحلاوة مورد ومصدر .
وكان مجلسها بقرطبة منتدب لأحرار المرص ، وفناؤها ملمباً لجياد النظم والنثر ، يشو
أهل الأدب إلى ضوء غرتها ، ويتهاك أفراد الشعراء والكتاب على حلاوة

عشرتها ، إلى سهولة حجابها ، وكثرة متابها . تخلط ذلك بعلو نصاب ، وكرم أنساب ، وطهارة أنواب . على أنها — سمح الله لها ، وتعتمد زلها — أطرحت التحصيل ، وأوجدت إلى القول فيها السبيل ، بقلة مبالاتها ، ومجاهرتها بلذاتها . كتبت — زعموا — على أحد عاتق ثوبها :

أنا والله أصلح للمعالى وأمشى مشيتى وأتية تيبها

وكتبت على الآخر :

وأمكن عاشقى من صحن خدى وأعطى قبلى من يشتهبها
هكذا وجدت هذا الخبر ، وأبرأ إلى الله من عهدة ناقله ، وإلى الأدب من غلط النقل إن كان وقع فيه » (٧٨) .

غير أن المقرئ يقول — بعد أن يروى هذه الفقرة — إنها « كانت مع ذلك مشهورة بالصيانة والعتاف » (٧٩) ، وهذا الكلام يناقض ما نعرفه في بعض ما بقى من شعر ولادة من فحش وقلة توقر .

ثم توثقت العلاقات بينها وبين ابن زيدون ، فكتبت إليه ذات مرة بحبيبة إياه إلى اللقاء بعد طول إلحاحه :

ترقب ، إذا جنَّ الظلام ، زيارتى فإنى رأيت الليل أكرم للسرِّ
وبى منك ما لو كان بالشمس لم تلح وبالبدر لم يطلع ، وبالنجم لم يسرِّ (٨٠)
وقلد ابن زيدون أبا الطيب فى أسلوبه ، فقال فى بعض شعره فى ولادة :
تِهْ أَحْتَمِلْ ، واستَطِلْ أصبر ، وعِزَّ أهن

وَوَلِّ أَمِيلْ ، وقل اسمع ، ومر أطلع (٨١)

يبد أن السر لم يلبث أن ذاع أمره ، وأحس الحبيبان أن هواهما فى خطر . ثم إن ابن زيدون « ترك فصناً مشعراً بجماله وجنح لغصن لم يشمر » ، كما يقول ابن بسام (مشيراً إلى تعلق ابن زيدون بجمارية سوداء لولادة) ، فبدأ قلب ولادة يتحول عن ابن زيدون . ولقيت بهى فى ذلك الحين أبا عامر بن عبدوس ،

وكان كلفاً بها يطمع في أن يظفر بودها ، غير أنه كان رجلاً جاهلاً لا ذكاء فيه ولا علم عنده ، وكان إلى جانب ذلك مغترّاً بنفسه بمحاول جهده أن يغطى جهله بماله العريض ، وقد استطاع بفضل هذا المال أن يصبح من وزراء أبي الحزم بن جمهور — المستبد بأمور قرطبة في ذلك الحين — واجتذب ولادة ناحيته ، فثارت حفيظة ابن زيدون ، وجعل دأبه السخر من أبي عاصم بن عبدوس ، وكتب إليه خطاباً على لسان ولادة أفرغ فيه تبحره الواسع في الأدب وتمكنه من اللغة ، فاشتهر أمر هذه الرسالة في قرطبة وتناقلها الناس من ذلك الحين واعتبروها غرة من أروع غرر الأدب العربي ، بدأها بقوله : « أما بعد ، أيها المصاب بعقله ، المورط بجهله ، البين سقطه ، الفاحش غلطه ، العاثر في ذيل اغتراره ، الأعمى عن شمس نهاره ، الساقط سقوط الذباب على الشراب ، المتهافت تهافت الفراش في الشهاب ، فإن العُجْب أ كذب ، ومعرفة المرء نفسه أصوب ^(٨٢) . وإنك راسلتني مستهدياً من صاتي ما صَفَرَت منه أيدي أمثالك ، متصدياً من خَاتِي لما قُرِعَت دونه أنوف أشكالك ، مرسلًا خليلتك مرتادة ، مستعملاً عشيقتك قوادة ، كاذباً نفسك أنك ستنزَل عنها إلى ، وتَخْلَف بعدها على »

ولست بأول ذى همة دعته لما ليس بالنائل ... »

وقد أخش ابن زيدون في هجاء ابن عبدوس في هذه الرسالة ، إلى درجة نفرت ولادة من شاعرنا وجعلتها تبذله من المحبة بغضاً شديداً . ولم يزل ابن عبدوس يدبر له ويثير عليه خصومه ، حتى جعلهم يدبرون له تهمة تبديد أموال كان قد أوثمن عليها ، فزج به في السجن ، وجعل يرسل رسائل الاستعطاف من محبسه إلى أبي الحزم بن جمهور وابنه أبي الوليد -- وكان هذا الأخير صديقاً للشاعر — فلم يسمعه واحد منهما ، فمضى يكتب إلى أصحابه دون جدوى ؛ ولم ينس مع ذلك ولادة فلما تقاعس الناس كلهم عن إسعافه تبين « أن العاجز من لا يستبد ، والمرء يهجز لا المحالة . ولم أستجز أن أكون ثالث الأذنين : العير والوند ، وذكرت

أن الفرار من الظلم والهرب مما لا يطاق من سنن المسلمين» (٨٣) ، ومن ثم قرر الهرب ، ودر حيلة أفلت بها من الحبس ، ودر بما كان أبو الوليد بن جهور قد أعانه على ذلك .

قضى ابن زيدون بعد هربه فترة من الزمن شريداً في أحواز قرطبة ، مؤملاً أن يستطيع رؤية ولادة ، ثم أرسل إليها « بنونيته » المشهورة يتشوق فيها إليها ويدعوها إلى اللحاق به . وقد قال فيها غرسية غومس : « إنها أجمل قصيدة حب نظمها الأندلسيون المسلمون ، وغرة من أبدع غرر الأدب العربي كله ، عارضها ناس كثيرون ولا زالوا يعارضونها إلى اليوم » .

وإليك أبياتاً منها :

بنتم وبنياً ، فما ابتلت جوانحنا	شوقاً إليكم ، ولا جفت مآقينا
نكاد — حين تناجيكم ضائرنا —	يقضى علينا الأسمى ، لولا تأسينا
حالت لفقدم أيامنا ، فقدت	سوداً وكانت — بكم — بيضاً ليالينا
إذ جانب العيش طلق من تألقنا	ومورد اللهو صافٍ من تصافينا
وإذ هصرنا غصون الأنس دانية	قط—وفها ، فجنينا منه ماشينا
ليسق عهدكم ، عهد السرور ، فما	كنتم لأرواحنا إلا رياحيننا
من مبلغ اللبسينا بانتزاحهم	حزناً مع الدهر لا يبلى ويبلينا
أن الزمان — الذي مازال يضحكننا	أنساً بقربكم — قد عاد يبيكننا
غِيظَ العدى من تساقينا الهوى فدعوا	بأن نقصّ ، فقال الدهر : آمينا
فأنحلّ ما كان معقوداً بأنفسنا	وانبتّ ما كان موصولاً بأيدينا
وقد نكون وما يُخشى تفرّقنا	فاليوم نحن وما يُرجى تلاقينا
ياسارى البرقِ غادِ القصرِ فاستقِ به	من كان صرف الهوى والود يستقينا
ويانسيم الصبـبا بلغ تحميتنا	من لوعلى البعد حيي كان يحمينا
لا تحسبوا نأيكم عنا يفرنا	إن طالما غـير النأي المحمينا

والله ما طابت أهـ مواؤنا بدلا
 ياروضة طالما أجنحت لواحظنا
 وبأحياءة تملينا بزهرتها
 لسنا نسميك ، إجلالاً وتكرمة
 إذ انفردت فما شوركت في صفة
 كأننا لم نبت والوصـ لئالنا
 سـرآن في خاطر الظلماء يكتبنا
 ياجنة الخـ لـد أبدلنا بسلسلها
 إنا قرأنا الأسي يوم النوى سورا

ولم تجبه ولادة إلى ما طلب ، فضى « يستضى بنور محياها في الليل البهيم » ،
 كما يقول ابن خاقان^(٨٤) . ثم شفع له أبو الوليد بن جهور عند أبيه حتى عفا عنه ،
 فعاد إلى قرطبة ومضى يقرض اللدائح في أبي الحزم بن جهور وآله ، تحدث في
 بعضها بما فعله أبو الحزم من تحريمه الخمر في قرطبة وأمره بكسر أوانها ، وعند ما
 توفي أبو الحزم في سنة ١٠٤٣/٤٣٥ قال فيه طائفة من المراثي^(٨٥) ، ورثي كذلك
 زوج أبي الحزم التي توفيت بعده بقليل^(٨٦) .

أما ولادة فليس لدينا من أخبارها ما يدل على أنه كانت لها بعد ذلك صلة
 بابن زيدون ، ويبدو أنها انزوت عن الناس مقتصرة على صلتها بابن عبدوس ،
 حتى أدركتها المنية في سن عالية^(٨٧) .

وقد دخل ابن زيدون بعد ذلك في خدمة أبي الوليد بن جهور ، الذي خلف
 أباه في حكومة قرطبة : فاصطنع ابن زيدون « وأوسع راتبه وجلله كرامة لم تقمعه ،
 فيما زعموا » . ثم بعثه رسولا له إلى إدريس أمير مالقة ، « فأطال الثواء هنالك ،
 واقترب من إدريس ، وخف على نفسه ، وأحضره مجالس أنسه ، فعتب عليه ابن
 جهور وصرفه عن ذلك التصرف قبل قفوله ، ثم عاد إلى جميل رأيه فيه ، وصرفه

في السفارة بينه وبين رؤساء الأندلس ، فذهب إلى بلنسية و بطليموس ، واستقر به المطاف آخر الأمر في إشبيلية ، حيث وجد الميدان فسيحاً لمطامحه ، إذ أحسن المعتضد بن عباد لقاءه أملاً في الانتفاع به . وقد قال فيه ابن زيدون قصيدة من روائع شعره ، وبلغ من إقبال المعتضد على ابن زيدون أن أقامه وزيراً له . وكان المعتضد مجتهداً في القضاء على جيرانه البربر ، حتى استولى على بلادهم واحدة بعد الأخرى ، وسمت همته إلى توحيد بلاد المسلمين في الأندلس تحت رايته ، وتشبه بأمرأء المشرق في تقدير الشعر وإعلاء شأن أهله . وقد أشاد ابن زيدون بالأعمال الحربية التي قام بها المعتضد ، خلال فترة اجتهاده في توسيع رقعة مملكة إشبيلية . وعند ما توفي المعتضد ، استطاع ابن زيدون أن يحتل من ابنه المعتضد نفس المسكنة التي كانت له عند أبيه ، وصار من خواصه وصحابته ، يجالسه في خلواته ، ويسفر له في مهم رسائله على حال من التوسعة . وكان ذهابه إلى ابن عباد سنة ٤٤١ . وقد بلغ تلك المسكنة على رغم سعايات الحاسدين له من الحاشية (وخاصة ابن مرتين وابن عمار اللذين عملا على إبعاده) . وكان المعتضد قد انتقل إلى قرطبة بعد استيلائه عليها ، فاصطحب ابن زيدون معه ، فعاد إلى بلده وأهله وعلت مكانته عند ابن عباد ، فزاد حسد الحاسدين له . وحدث بعد ذلك أن وقعت فتنة بإشبيلية ، بسبب رجل يهودي بعطش به مسلم ، فثار له أهل ملته وتفاقم الأمر ، فعجل المعتضد بإرسال نفر من كبار رجال دولته إلى إشبيلية لثلافي الفتنة ، وأنفذ معهم ابن زيدون ، فخرج « على بقية وعك كان متلماً منه » ثم أتبعه المعتضد بابنه ، « فتحدث الناس بنفو مكان الأديب ابن زيدون عند السلطان » . واستقر بابن زيدون وجمعه « إلى أن قضى نحبه ، وهلك بدار هجرته إشبيلية صدر رجب سنة ٦٣ « (١٥ رجب ٤٦٣ / ١٧ - ١٨ أبريل ١٠٧٠ م) ^(٨٨) .

ويصع ابن بسام ، ومن جاء بعده ، آثار ابن زيدون في أربعة أبواب ، هي : المدائح ، والرسائل ، والمراني ، والنزل أو النسيب . وهذه الأضراب الأربعة من

الفصائد معروفة متواترة عند القدماء ، وبالإضافة إلى هذه نظم ابن زيدون بعض شعره في بحر الرجز ، وخلف تخميسين ؛ والتخميس لون من الشعر يتكون من فقرات كل منها خمسة مصاريع ، الأربعة الأولى منها على قافية واحدة ، والخامس على قافية أخرى يلتزمها الشاعر في المصراع الخامس من كل فقرة في قصيدته كلها . وقد استعمل ابن زيدون هذه الضروب الشعرية في غزلياته التي صاغها في شبابه ، وفي مدح ومدحويه وراثهم حين صار شاعر بلاط (٨٩) .

ويلقب ابن زيدون بتيبولوس^(٩٠) الأندلس ، لما بين حياته وما جرى عليه من الحوادث وما عبر بذلك الشاعر اللاتيني من تشابه . بيد أننا لا نستطيع أن نقارن بين هذين الرجلين ، فقد عاشا في عالمين مختلفين ؛ ثم إن تهور ابن زيدون وعنفه لا يمكن أن يقارنا بجلالة تيبولوس ورقته . وربما كان ابن زيدون قد استوحى منه من المتنبي الشاعر العربي الطائر الصيت ، فقد كان يقلده في أساليبه وأخياته تقليداً ، وهو لهذا « شاعر من طبقة الفحول القدماء وطابعهم ، وكان شعره لهذا جديراً بأن يتخذ مثلاً يحتذيه من جاء بعده من الشعراء » ، كما يقول أوجست كور ، وقد ذهب إلى هذا الرأي كذلك أبو علي بن رشيق القيرواني ومحمد بن صاره الشنتريني وأحمد المقرئ .

وقد أوحى حياة ابن زيدون وقصته مع ولادة إلى كاتب مسرحي محدث فكرة قصة مسرحية في ستة فصول طبعت في القاهرة في سنة ١٣٤٧/١٩٢٨ (٩١) .

(ب) إشبيلية

ف ٢٢ — المعتصم بن عباد :

تمكن القاضي أبو القاسم محمد بن عباد (المتوفى سنة ٤٣٤/١٠٤٢) من القبض على نواصي الحكم في إشبيلية قبيل انتشار عقد خلافة بني أمية ، وخلفه

ابنه عباد الذي تلقب بالمعتضد (١٠١٢/٤٠٣ — ١٠٦٩/٤٦٢) . وقد كان ذا مزاج متناقض غريب ، يجمع بين الدهاء والقسوة ، والإحساس المترف ، والعلم الواسع ، والذوق الرفيع النفاذ . وكانت له — إلى ذلك — ذاكرة واعية ، وقريحة شاعرية طيبة ، جعلت معاصريه يضعونه في صفوف المبرزين من الشعراء . وأحاط المعتضد نفسه بهالة من الشعراء ، جعلت همها مديحه ، وأفرغ عليهم الأموال فبدا في حياة خلافة من العظمة . وقد سلك في الاستبداد طريق سميحه المعتضد العباسي في بغداد ، وحتى في مجالات اللهو والعبث والشراب ، التي كان هو وشعراؤه يسرفون فيها في المتاع ، كان يحرص على أن يبدو ورثيساً مهيباً . وكان هو وجلساؤه يرتجلون في خلواتهم خمريات هي الغاية في رقة الذوق وجمال الأسلوب . وربما أودع شعره من المعاني ما يمس العقيدة ، كقوله :

اشرب على وجه الصباح وانظر إلى نور الأفاح
واعلم بأنك جاهل إن لم تقل بالإصطباح^(٩٢)

وكان المعتضد لا يكل من العمل ، لا يعادل تفانيه فيه إلا تراميه على ملذاته . وكان إذا أبغض إنساناً لم ينقع غلة حقه شيء ، وقد بلغ من القسوة حدا جعله يتخذ جهاج أعدائه الذين أذاقهم الحتوف أصصا يزرع فيها الزهر ، ويزين بها حديقته ويتلذذ بتأملها كما يتلذذ البخيل بالنظر إلى ماله ؛ ومع ذلك كله فقد كان يحسب نفسه خير الملوك ويقول :

هذى السعادة قد قامت على قدم
فإن أردت إلهي بالورى حسناً
فإنني لا عدلتُ الدهرَ عن حسنٍ
أفارعُ الدهرَ عنهم كل ذى طالب
وقد جلست لما في مجلس الكرم
فمَلَكْنِي زمامَ العرب والعجم
ولا عدتُ بهم عن أكرم الشيم
وأطرد الدهر عنهم كل ما عرم^(٩٣)

وكان موقفاً في حروبه ، فتمكن من القضاء على بعض إمارات الطوائف الصغيرة في جنوب الأندلس ، وضم أراضيها إلى إشبيلية فانتسعت رقعتها . وأوحت

إليه فتوحه بعض شعره ، ومن ذلك ما قاله بعد أن حاز رندة وحصنها :

لقد حُصِّنتِ يا رندة فصرت للمكنا عقده
أقادتناك أرماح وأسياف لما حده
وأجناد أشداء بهم تنتهى الشده
غدوتُ يرونى مولى لهم ، وأراهمُ عدده
سأفنى مدة الأعدا إن طالت بي اللده
وتبلى بي ضلالتهم ليزداد الهدى جده
فكم من عدة قُتلا ت منهم بمدعا عدده
نظمت رؤوسهم عقداً فقلت لبة السده^(٩٤)

وقد حفل بلاط بنى عباد بمشهد كبير من الشعراء ، جُمع الكثير من شعرهم وأودع مجموعات المأثورات الأدبية التي ظهرت فيما بعد ، ومن أولئك أبو الوليد بن حبيب (توفى ١٠٤٨/٤٤٠) وزير المعتضد ، وأبو بكر بن القوطية نديم المعتمد ، وعلى بن حصن الذى أبدع فى وصف « فرخ الحمام » بقوله :

وما حاجنى إلا ابن ورقاء هاتف على فنن بين الجزيرة والنهر
مُستق طوقى لا زوردي كلكل موسى الطالى أحوى القوادم والظهر
أدار على الياقوت أجفان لؤلؤ وصانع من العقيان طوقاً على الثغر
حديد شبا المنقار داج كأنه شبا قلم من فضة مُدّ فى حبر
توسد من فرع الأراك أريكة ونام على طىّ الجناح مع النحر
ولما رأى دمعى مُرافقا أرابه بكأنى فاستولى على الغصن النضر
وحث جناحيه ، وصفق طائراً وطار بقلبي ، حيث طار ، ولا أدرى^(٩٥)

ف ٢٣ — المعتمد :

بيد أن المعتمد (١٠٤٠/٤٣٢ — ١٠٩٥/٤٨٩) — ابن المعتضد وخليفته على عرش إشبيلية — يحتل فى الأدب الأندلسى مكاناً أعظم وأهم من مكان أبيه

وهو من شعراء العربية الذين أجمع الناس على الإعجاب بهم في العالم الإسلامي كله^(٩٦). وقال غرسية غومس عن شاعريته :

« إذا كان لا بد من تصوير المحنة العامة التي شملت الشعر خلال ذلك العصر في صورة شخص واحد من أهله ، فليس أوفق لذلك من المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية (١٠٦٨/٤٦١ - ١٠٩١/٤٨٤) . كان أبوه المعتضد (١٠٤٢/٤٣٤ - ١٠٦٩/٤٦٢) صاحب الأفاعيل الشنيعة ، وأبناؤه جميعاً - وخاصة « الراضى » الرقيق صاحب رندة - كلهم شعراء . ولكنه بزهم جميعاً وفاق كل معاصريه في ذلك الضمار ، لأنه كان يمثل الشعر من ثلاثة وجوه : أولها أنه كان ينظم شعراً يثير الإعجاب ، وثانيها أن حياته نفسها كانت شعراً حياً ، وثالثها أنه كان راعى شعراء الأندلس أجمعين بل شعراء العرب الإسلامي كله ، فألى بلاطه لجأ شعراء صقلية وإفريقية عندما غزا النورمان بلادهم ، واستولوا على بعضها وتهددوا الباقي » .

ف ٢٤ - المعتمد وابن عمار :

بدأ المعتمد حياته السياسية عاملاً لأبيه على ولبة ، ثم قاد جيش إشبيلية الذي حاصر شلب عام ١٠٥٢/٤٤٤ . وهنا بدأت مواهبه الشعرية تتجلى ، فقد لقي هناك أبا بكر بن عمار ، وكان شاباً عربي الأرومة فقير المنبت درس الأدب في شلب وقرطبة ، ثم مضى يذرع نواحي الأندلس في ملابس مستفكرة بعض الشيء ، وجعل يقول المدائح فيمن يمنحه العطاء ، ولم يقصر هذه المدائح على الأمراء والرؤساء على ما جرت به عادة كبار الشعراء إذ ذاك . ثم لم يلبث أن دخل على المعتمد ، ولما كان كلاهما من عشاق المسرات والغامرات والشعر الجميل ، فقد توطلت بينهما أسباب المودة . وقد اندفع المعتمد في حبه ابن عمار اندفاعاً شديداً صادقاً ، في حين أن ود ابن عمار للمعتمد لم يخل من الشكوك والريب أبداً . ولم يكن كصاحبه الأمير يؤمن بدوام الرخاء والهناء ، وإنما كان رجلاً ذاق مرارة

الخلبية التي يخلفها في النفس الكفاح الدائم في سبيل العيش ، وكسب ابن عمار من حياته المجاهدة كذلك شيئاً من الخبرة بطبائع البشر ، ومن ثم كانت المواجهات السوداء تطوف بنفسه ، وتلقى في روعه أنه فاقد ود المعتمد يوماً من الأيام (٩٧) .

وقد أبدع ابن عمار في قصيدة مدح بها المعتمد ، معروفة ذائعة في الأدب العربي يقول فيها :

أدر الزجاجة فالنسيم قد انبرى	والنجم قد صرف العنان عن الشرى
والصبح قد أهدى لنا كافوره	لما استرد الليل منا العنبرا
والروض كالحناء كساه زهره	وشياً ، وقلده نداء الجوهرا
أو كالغلام زها بورد رياضه	خجلاً وتاه بأَسِنَّةٍ مُعْذراً
روض كأن النهر فيه معصم	صاف أطل على رداء أخضرا
وتهزه ريح الصبا فتخاله	سيف ابن عباد يبدد عسكراً (٩٨)
عبادُ الحضرُ نائلُ كفه	والجو قد لبس الرداء الأغبرا
يختار - إذ يهب الخريدة - كاعبا	والطرفَ أجرد والحسام مجوهرا
ملك إذا ازدحم الملوك بمورد	- ونجاء - لا يردون حتى يصدرا

... الخ

قضى ابن عمار في إشبيلية أول الأمر زمناً رخياً ، واشتغل المعتمد به عن أمور الدولة ؛ فأفكر المعتضد ذلك وأراد أن يعصرف ابنه عنه فنفاه من إشبيلية ، فتوجه إلى سرقسطة حيث أقام حتى مات المعتضد وصار الأمر للمعتمد ، فاستقدمه وخيره في ولاية بتولاها ، فاختار شلب ، فأجابه المعتمد إلى ما طلب والألم يعلأ نفسه لفراقه ، ألم حرك شاعريته فقال بضعة أبيات ذكر بها أيام الشباب السعيدة في ذلك البلد مع صاحبه :

الاحيُّ أوطاني « بِشَلْبِ » أبا بكر
وسلم على « قصر الشراحيب » عن فتي
وسلمهن : هل عهد الوصال كما أدري ؟
له أبدأ شوق إلى ذلك القصر

منازل آساد وبييض نواعم
فناهيك من غيلٍ ، وناهيك من خدر
فكم ليلة قد بت أنم جنحها
بمخصبة الأرداف مجدبة الخصر
وبييضٍ وسمرٍ فاعلاتٍ بمهجتي
ففعال الصفاح البيض والأسلِ الشمر
وليلٍ بسد النهر لهواً قطعته
بذات سوار مثل منعطف البدر
نضت بُردها عن غصن بانٍ منمَّ
نضير كما انشق الكمام عن الزهر^(٩٩)

دخل ابن عمار شلب دخول الأسماء في موكب حافل ، ولسكنه لم يفكر فضلاً لأحد ممن أحسنوا إليه في أيامه الخوالي . ثم جعله المعتمد وزيراً له وأعادته إلى جانبه . وقد أخذ شاعر شلب بنصيب وافر في الدفاع عن إشبيلية وذياد النصارى عنها ، وكانوا لا ينفكون ينفشون حدودها ويغاورون أراضيها . وترى له في ذلك قصة مشهورة — ذات طابع أسطوري خالص — تذكر كيف استطاع ابن عمار صرف الأذفونش (ألفونسو السادس) عن أراضي إشبيلية « بألف حيلة وأيسر تدبير » ، كما يقول عبد الواحد المراكشي^(١٠٠) : « فقد صنع سفرة شطرنج في غاية الإبتقان ، فبلغ خبرها الأذفونش فلما خرج للقائه سأله عنها فقال : « آتيك بها على أن ألعب معك عليها فإن غلبتني فهي لك وإن غلبتك فلي حكى » . وغلب الأذفونش فطلب إليه ابن عمار أن يرجع فلم يسهه إلا الارتداد^(١٠١) . وأعان ابن عمار المعتمد على ما كان بسبيله من توسيع رقعة إشبيلية ، وخاصة في الاستيلاء على سرسية وانتزاعها من يد صاحبها ابن طاهر . وقد حاول ابن عمار في الوصول إلى ذلك بالانفاق مع كُند برشلونة رامن بيرنجوير الثاني الملقب برأس الأسطب Capeza de estopa ، على أن يعينه على ابن طاهر لقاء مبلغ من المال ، وتركه الرشيد بن المعتمد رهينة عند رامن حتى يُدفع المال . ثم كتب إلى المعتمد بذلك فأبطأ عليه رده ؛ وقلق الرشيد حين طال بقاؤه بيد أمير برشلونة ، ووجد ابن عمار نفسه في مركز حرج ، فأدركه الغضب على أميره وبعث إليه بالأبيات التالية من « جَيَان » :

أَصَدَّقَ ظَنِي أُمَ أُصْبِخَ إِلَى صَحْبِي
 إِذَا انْقَدْتُ فِي رَأْيِي مَشَيْتُ مَعَ الْهَوَى
 وَإِنِّي لَتُثْنِينِي إِلَيْكَ مَوْدَةً
 فَمَا أَعْرَبَ الْأَيَّامَ فِيمَا قَضَتْ بِهِ
 أَخَافُكَ لِلْحَقِّ الَّذِي لَكَ فِي دَمِي
 وَكَمْ قَدَّرْتْ يَمْنَاكَ بِي مِنْ ضَرِيْبَةٍ
 وَأَعْلَمُ أَنَّ الْغَضْوَ مِنْكَ سَجِيْبَةٌ
 وَوَلِي حَسَنَاتٍ لَوْ أُمْتُ بِيْعْضَهَا
 وَأُنْفِي عَزِيْبِي أُمَ أَعُوْجَ مَعَ الرِّكْبِ
 وَإِنْ أُنْعَقِبُهُ نَكَصْتُ عَلَى عَقْبِي
 يَغْيِرُهَا مَا قَدِ تَعَرَّضَ مِنْ ذَنْبِي
 تَرِيْبِي بَعْدِي عَنْكَ آنَسَ مِنْ قُرْبِي
 وَأَرْجُوْكَ لِلْحُبِّ الَّذِي لَكَ فِي قَلْبِي
 وَلَا غُرُوْ يَوْمًا أَنْ يَفْلُلَ مِنْ غُرْبِي
 فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ تَخْفَ مِنْ عَتْبِي
 إِلَى الدَّهْرِ لَمْ يَرْتَعْ لِنَائِبَةِ سِرْبِي (١٠٢)

وصفح المعتمد عما بدر من ابن عمار وكتب إليه :

تَقَدَّمَ إِلَى مَا اعْتَدتْ عِنْدِي مِنَ الرَّحْبِ
 مَتَى تَلَقَى تَلَقَى الَّذِي قَدْ بَلَوْتَهُ
 سَأُولِيْكَ مِنِّي مَا عَهَدْتَ مِنَ الرِّضَا
 فَمَا أَشْمَرُ الرَّحْمَنُ قَلْبِي قَسْوَةً
 تَكَلَّفْتَهُ أَبْنِي بِهِ لَكَ سَلْوَةً
 وَرِدُّ تَلَقَّكَ الْعَتْبِي حِجَابًا مِنَ الْعَتْبِ
 صَفُوْحًا عَنِ الْجَائِي رَهْوَ فَا عَلَى الصَّحْبِ
 وَأَصْفَحَ عَمَّا كَانَ ، إِنْ كَانَ مِنْ ذَنْبِ
 وَلَا صَارَ نَسِيَانُ الْأَذْمَةِ مِنْ شِعْبِي
 وَكَيْفَ يِعَانِي الشَّمْرُ مَشْرَكَ الْكَلْبِ (١٠٣)

ثم تمكن ابن عمار من الاستيلاء على مرسية بمعاونة ابن رشيق صاحب حصن بئاش (Velez الحالية) ، فلكه العجب الشديد بنفسه وأخذ حياة الأمراء ، وجلس للناس وعلى رأسه « الطويلة » ، وهي قلنسوة المعتمد وغيره من الأمراء في المناسبات الخافلة ، وحاكى المعتمد « في التعبير وكتب : « ينفذ هذا إن شاء الله » في أسفل قرطاسه ، وتحنم في كلتا يديه » (١٠٤) فبدأت الشكوك تساور نفس المعتمد ، وفوجئ بالأمر فغيرت نفسه وخشى أن يكون صديقه القديم مشتغلا بالتدبير عليه . ولا يمكننا القطع بأن ابن عمار كان يفكر في الوثوب بالمعتمد ، فقد كان مخلصاً لأميمه وإن لم يتحمس له ويندفع نحوه كما كانت حال المعتمد معه ، وكان صادقاً حين قال :

[لك المثل الأعلى وما أنا حارث]
 ولا شاركته الشمس في وإنه
 فديتك ما للبشر لم يَسْرِ رقه
 أظن الذي بيني وبينك أذهبت
 تنكرتُ ، لا أنى لفضلك ناكِر
 [ولسكن ظنون ساعدتها سخائم
 أبعد انقضا خمس وعشرين حجة
 حلت يداً بي هكذا وتركتني
 وهل أنا إلا عبد طاعتك التي
 أعد نظراً ، لا توهن الرأي إنه
 ستذكرني إن بان حبل وأصبحتُ
 وتطلبني إن غاب للرأي حاضر
 أعود بعهد نطتته بك أن ترى

ولا أنا ممن غيرته الحوادث
 لينأى بحظي منك ثاب وثالث
 ولا نفعت تلك السجايا الدماث
 حلاوته عنى الرجال الأخابث
 لدى ، ولا أنى لهدك ناكث
 كما ساعدت صوت المثنى الثالث [(١٠٥)
 تجافت لنا عنها الخطوب الكوارث
 نهاباً وللأيام أيد عوابث
 إذا مت عنها قام بعدى وارث
 قديماً كبا هافٍ وأدرك راث (١٠٦)
 تبين بكفّيك الحبال الرثائث
 وقد غاب عنى للخواطر باعث
 تحمل عراه العاقدات النوافث (١٠٧)

والصحيح أن ابتعاد ابن عمار الطويل عن إشبيلية أتاح الفرصة لأولئك
 « الرجال الأخابث » لإفساد نفس المعتمد عليه ، وكان من بينهم الوزير أبو بكر
 ابن زيدون ، ابن أبي الوليد بن زيدون شاعر قرطبة الأنف الذكّر . وزاد الحال
 سوءاً أن ابن عمار لم ينفذ ما أمره به المعتمد من إطلاق سراح ابن طاهر ، مما
 أسرع بشاعر شلب إلى حتفه . ذلك أن ابن طاهر احتال للهرب من محبسه ،
 وعاونه في ذلك ابن عبد العزيز صاحب بلنسية ، فلك الغضب ابن عمار ونظم
 قصيدة يحض فيها أهل بلنسية على الوثوب بابن عبد العزيز ، قال فيها : (١٠٨)
 [خبّر بلنسية ، وكانت جنة ،
 غدرت وفياً بالهود وقلما
 جازوا بني عبد العزيز فإنهم
 أن قد تدلّت في سواء النار
 عثر الوقي سعى إلى القدار
 جرّوا إليكم أسوأ الأقدار

ثوروا بهم متأولين وقدوا ملكا يقوم على العدو بثار
 هيهات تطمع في النجاة لطالب ساع إذا ونت السكواكب سارى
 جرارٍ أذبال القنى ظنوا به قد زاركم في الجحفل الحرار (١٠٩)

وعلم العمدة بالأمر ، واطلع على قصيدة ابن عمار ، فغضب عليه غضباً شديداً
 لأن ابن عبد العزيز كان صديقاً له ، وعارض شعر ابن عمار بأبيات يسخر فيها
 منه ، قال :

كيف التفأت بالخدیمة من یدی رجل الحقیقة من بنی عمار؟
 إلى أن يقول :

الأكثرين مسوداً ومملكا ومتوجاً في سالف الأعصار
 والوثرين على العيال بزادم والضاربين لهامة الجبار
 الناهضين من المهود إلى العلا والمنهضين الغار بعد الغار (١١٠)

وحركت سخرية العمدة دواحي الغضب في نفس ابن عمار ، وأفلت زمامه
 من يده ، فكتب قصيدة بالغة العنف ذم فيها العمدة وآله وزوجه الرميكية (١١١) ،
 وحصلت في يد العمدة نسخة منها بخط ابن عمار ، فلما علم هذا الأخير بذلك هلعت
 نفسه ، وفر من مرسية ولجأ إلى الأذقونش فأساء استقباله وازور عنه ، فانصرف
 عنه إلى سرقسطة ومضى يعين صاحبها في أموره ؛ ثم حاول الاستيلاء على
 « شقورة » فوقع في أسر صاحبها في أثناء المحاولة ، وعرض أسرُه أن يسلمه لمن
 يدفع فيه أكبر مبلغ ، فبذل العمدة أقصى ما كان الرجل يطلبه وحصل ابنُ عمار
 في يده . وقد حاول ابن عمار أن يظفر بصفحة العمدة ، وجرى بينهما ما أحيى
 في نفس الشاعر ذبالة من الأمل ، ولكن الأمل لم يلبث أن خبا بسبب سعايات
 ابن زيدون ؛ وانتهى أمر ابن عمار بأن مات قتيلاً بيد العمدة (١١٢) .

ف ٢٥ — اعتماد :

وهناك شخصية أخرى تجلت في بلاط المعتمد وكان لها أثر بعيد في إنتاجه الشعري ، تلك هي اعتماد الرميكية التي كانت جارية تاجر من مياسير إشبيلية يسمي « رميك » . وقد صادفها المعتمد في إحدى نزواته مع صاحبه ابن عمار وأعجب بها إذ أجازت على البديهة شطر بيت عجز عن إتمامه ابن عمار نفسه ، فاشتراها من صاحبها وتزوجها .

كان حديث اعتماد يفيض عذوبة وطلاوة وكانت طلعتها مسعدة ، حاضرة الجواب بارعة الردود ، وكانت فيها رقة طبيعية غالبية ومرح لطيف ، تشوبه سذاجة الطفولة ، ولكنها كانت تسرف في دلالها ونزواتها إلى حد يضيق عنه صبر المعتمد . ومن نزواتها المسرقة ما تحكيه الكتب من أنها طلبت إلى المعتمد أن يريها الثلج فزرع لها أشجار اللوز على جبل قرطبة ، حتى إذا نور زهره بدت الأشجار وكأنها مغطاة بالثلج الأبيض ، ومنها تمنى أن تسير في الطين برجليها كما رأت الناس يفعلون ، فأمر المعتمد بأن يذر لها في رحبة القصر الكافور والطيوب وأن تعجن بماء الورد ، حتى صارت كالطين وخاضت فيه مع جواريتها (١١٣) .

وقد أبغضها الفقهاء ورموها بأنها « ورطت المعتمد قيا ورطته من الخلاعة والاستهتار والمجاهرة ، حتى كتب عليه أهل إشبيلية بذلك وبعطيل صلوات الجمع عقوداً ، ورفعوها إلى أمير المسلمين » (١١٤) . ولم تكن هي لتاقي بالآ إلى أولئك الرجال الذين بذلوا قصارهم في إزالة ملك بني عباد ، ومضى المعتمد على حاله معها قلم يقصر في شيء يجلب إلى نفسها السرور . وقد بلغ من إعزازها إياها أن صنع أبياتاً يبدأ كل منها بحرف من حروف اسمها وهي :

أغائبة الشخص عن ناظري وحاضرة في صميم القواد
عليك السلام بقدر الشجون ودمع الشؤون وقدر السهاد
تمسكت مني صعب المرام وصادفت مني سهل القياد

مرادى أعيالكِ في كل حين فياليت أنى أعطى مرادى
أقيى على العهد في بيننا ولا تستحيلي ل طول البعاد
دستت اسمك الخلو في طيه وألقتُ [منه] حروف «اعتماد»^(١١٥)
وقال المعتد فيها كذلك شعراً كثيراً نختار منه هذه الأبيات :

كُتبتُ ، وعندى من فرائك ما عندى وشوق كمن قد بان عن جنة الخلد
وما خطت الأقلام إلا وأدعى تخط سطور الشوق في صفحة الخلد
ولولا طلاب المجد زرتك طيه عميداً ، كما زار الندى ورق الورد^(١١٦)

ف ٢٦ — شعراء بهو المعتمد — ابن حمديس الصقلي :

ليس من الغريب — وأمير الدولة ووزيرها شاعران — أن يظفر الشعراء
بخطوة كبيرة في بلاطها . ولقد قال ابن خاقان إن المعتد « ملك قمع العدا ، وجمع
الباس والندا ، وطلع على الدنيا بدرهدى ، لم يتعطل يوماً كفه ولا بنانه ، آونة
يراعه وآونة سنامه ، وكانت أيامه مواسم ، وثغور بره بواسم ، ولياليه كلها درراً ،
وللزمان أحجالاً وغرراً ، لم يغفلها من سمات عوارف ، ولم يضحجها من ظل إيناس
وارف ، ولا عطلها من مآثرة بقي أثرها بادياً ، ولقي معتميه منها إلى الفضل هادياً ،
وكانت حضرته مطمحاً لهم ، ومسرحةً لآمال الأمم ، وموقفاً لكل كمي ، ومقدفاً
لذئب أنف همي ، لم تخل من وفد ، ولم يصح جوها من انسجام رقد ، فاجتمع تحت
لوائه من جماهير السكاة ، ومشاهير الحماة ، أعداد يفص بهم القضاء ، وأنجاد
يزهى بهم النفوذ والمضاء . وطلع في سمائه كل نجم متقد ، وكل ذئب فهم منتقد ،
فأصبحت حضرته ميداناً لرهان الأذهان ، وغاية لرمي هدف البيان ، ومضماراً
لإحراز خصل في كل معنى وفصل»^(١١٧) .

وإلى هذا كله كان المعتد نقادة دقيقاً للشعر لا يجيز إلا الجيد منه ، وكان الجيد

يظفر منه بكرم واسع .

وقد ألقى الشاعر عبد الجليل بن وهبون بين يديه البيتين التاليين :

غاض الوفاء فما تلقاه في رجل ولا يمر بمخلوق على بال
قد صار عندهم عنقاء مُعْرِبةً أو مثل ما حدثوا عن ألف مثقال

فقال المعتمد : « عنقاء مغربة وألف مثقال يا عبد الجليل عندك سواء ؟ »

فقال : « نعم » فقال : « قد أمرنا لك بألف دينار ، وبألف دينار أخرى تنفقها » (١١٨) .

وقد حفل بلاط المعتمد بشعراء شاركوا فيما عبر به من صروف ، ومن أولئك ابن زيدون حاسد ابن عمار وعدوه ، والحصرى الملحّ في الطلب في غير حياء ، حتى لقد لقي المعتمد في طنجة وهو في طريقه إلى المنفى فلم يستح من مطالبته بالعباء (١١٩) ، وابن اللبانة الداني (١٢٠) الذي يعتبر مثلاً في الوفاء وإخلاص الود ، وقد أقام إلى جانب المعتمد يؤنسه في محبسه . وفي هذا البلاط كذلك نجد « الجارية العبادية » (١٢١) التي أهداه إياها مجاهد صاحب دانية ، وكان لها في نفس المعتمد مكان عظيم ، والراضي بن المعتمد نفسه ، وكان شاعراً مجيداً (١٢٢) ، وبشينة ابنة المعتمد من اعتماد ، وقد بيعت سببيةً في وثاقها عندما استولى المرابطون على إشبيلية ، فاشتراها تاجر إشبيلية واستخلصها من بين الأسرى ، فكتبت إلى أبيها أبياتاً بارعة تستأذنه في الزواج من ابن منقذها (١٢٣) .

وكان عبد الجبار بن حمديس الصقلي أحد شعراء بلاط المعتمد ، وأصله من سر قوسة بصقلية ، بارح بلده عندما استولى عليها النورمان في سنة ١٠٧٨/٤٧٠ ، وأقبل إلى الأندلس وألم ببعض نواحيها ، ثم استقر في إشبيلية ؛ فلم تلبث براعته في ارتجال الشعر أن ظهرت ، وحظى من المعتمد بمكان جميل (١٢٤) . ولما كان ذاعهد بالحروب وقراع الأسته ، فقد صاحب المعتمد إلى ميادين حروبه . وعندما أسر المعتمد ونُفي إلى أنعمات رافقه ابن حمديس إليها ، واجتهد في التخفيف عنه

بقصائد جميلة ، ثم انصرف إلى إفريقية وعاش ردها من الزمن في المهديّة ، ثم انتقل إلى تونس وظل فيها إلى آخر أيامه .

و « ديوان » ابن حمديس مشهور متداول ، وقد نشر « أماري » منه جزءا وأشعاره تعرض جوانب من حياته : شبابه ومغامراته في إفريقية ، والحنين إلى وطنه الأول ، ومدائح قالها فيمن اتصل بهم من الأمراء وذوى الشأن . وأما فيما يتصل بالأندلس ، فإننا نجد في شعر ابن حمديس إشارات أدبية وحريرية ، وهو يذكر إقباله على المعتمد وسجن هذا الأخير . وأحسن أشعاره تلك التي يذكر فيها وطنه . ولا ين بسام فيه رأى جميل (١٢٥) .

ف ٢٧ - شعر المعتمد في سمره :

بيد أن المعتمد لم يزل طول حياته أبرز الشخصيات الأدبية في عصره ، وأشعاره تنقسم بطبيعة الحال إلى قسمين : ما قاله أيام ملكه وإقبال الدهر ، وما قاله في منفاه حين اجتمعت عليه الموم وعبست له الأيام .

ومن لطيف شعره ما قاله وهو بعد أمير ، وقد أرسله أبوه المعتضد على رأس جيش رمى به مائة ، فانهزم المعتمد من جراء إهماله فغضب أبوه غضباً شديداً ، وخاف سورة أبيه فكتب إليه أبياتاً لم تلبث أن ذهبت بنغضه وأعادت إليه صفوه :
لم أوتَ من زمني شيئاً ألد به فلست أعرف ما كأس ولا وتر
ولا تملكني دل ولا خضر ولا سبا خلدي غنج ولا حور
رضاك راحة نفسي ، لا فجت به فهو العتاد الذي للدهر أدخر
وهو المدام التي أسلوبها ، فإذا عدمتها وقدت في قلبي الفكر
أجل ، ولي راحة أخرى كلّفت بها : نظم الكلي في القنا والهام تنتثر (١٢٦)

وعند ما فزع قرطبة فال متحدثاً عنها كما لو كانت غانية جميلة ذات صلف :
من الملوك بشأو الأضيّد البطل هيات جاءكم « مهريّة » الدول

خطبتُ قرطبة الحسنة إذ منعتُ
 من جاء يخطبها بالبيض والأسل
 وكم غدت عاطلاً ، حتى عرضتُ لها
 فأصبحتُ في سرى الخلى والحلل
 عرس الملوك ، لنا في قصرها عرس
 كل الملوك به في مأم الوجل
 فراقبوا عن قريب — لا أبالكم! —
 هجوم ليث بدرع الباس مشتمل (*)

ف ٢٨ — المرابطون في إشبيلية :

ويصور لنا المعتمد الحياة الرخية التي كان ينع بها في إشبيلية في شعر كثير ،
 منه قوله :

ولقد شربتُ الراح يسطع نورها
 والليل قد مدَّ الظلام رداء
 حتى تبدى البدر في جوزائه
 مَلِكاً تنامى بهجةً وبهاء
 وتناهضتُ زهرُ النجوم يحفه
 لألأوها فاستكمل اللألاء
 لما أراد نثرهاً في غربه
 جعل المظلة فوقه الجوزاء
 وترى الكواكب كالمواكب حوله
 رفعت ثرياها عليه لواء
 وحكيته في الأرض بين مواكب
 وكواعب جمعت سناً وسناء
 إن نثرتُ تلك الدروع حنادساً
 ملأت لنا هذى الكؤوس ضياء
 وإذا تغنت هذه في مزهر
 لم تأل تلك على التريك غناء (*)

(*) « الفلاند » ، ص ١٢ .

كان من المؤلف عند شعراء العرب الحديث عن المدن كما لو كانت زوحات من البشر ،
 وقد انتقل هذا إلى الأناشيد الشعبية الإسبانية ، ومن هذا ما نراه في القصة الشعرية التي تدور
 حول شخصية أسطورية اسم صاحبها ابن عمار أيضاً ، وفيها نقرأ :
 « وهنا ، تحدث الملك الدون خوان — استمعوا جيداً إلى ما قال :
 إن أردت يا غرناطة تزوجتك ،
 وأعطينك صداقاً قرطبة وإشبيلية ا » .
 [فقالت] :

« لاني متروجة أيها الملك الدون خوان — متروجة ولست بأرأة ، إن العرب الذي
 يجوزني يجبي حبا عظيما » . [المؤلف]
 (١٠) « فتح » ، ج ٢ ، ص ٦٢٤ .

وقد كان المعتضد متخوفاً من ناحية المرابطين ، لا تزال المموم تساوره بسبب نجمهم الصاعد وقوتهم المتزايدة في إفريقية ، وأراد القدر أن تصدق هذه الخواص . في عهد ابنه المعتد ، فقد اشتد ضغط النصارى على إشبيلية ، ووجد الرجل نفسه مضطراً إلى الاستنجاد بالمرابطين بعد تردد طويل ، ونصحه ابنه الرشيد بالعدول عن ذلك وخوفه من المرابطين ، فأجابه قائلاً : « أى بنى ، والله لا يُسمع عنى أبداً أنى أعدت الأندلس دار كفر ، ولا تركتها للنصارى فتقوم على اللعنة على منابر الإسلام مثلما قامت على غيرى . حَزَزَ الجِمال — والله — عندى خير من رعى الخنازير » (١٢٧) .

ثم اضطر بعد ذلك إلى الاستنجاد بالشَّيْطِين (ألفونسو السادس) عند ما اشتد بلاؤه بالمرابطين ، فأقبل ألفونسو إلى إشبيلية بعد فوات الأوان . وقد وقف الفقهاء إلى جانب المرابطين وتألَّبوا على أمراء الأندلس ، ومضوا يكثرن فيهم ويتهمونهم بالرووق عن الدين ، وانقلب المرابطون من معينين للملوك الطوائف إلى غزاة لبلادهم ، واستولوا على معاقلمهم واحداً بعد واحد ، وسقطت إشبيلية في أيديهم في سنة ٤٨٤/١٠٩١ بعد صراع عنيف مع المعتد وأبنائه . يقول ابن اللبانة : « فلما وصل (المعتد) إلى « باب الصباغين » وجد ابنه « مالكا » مقتولاً ، فاسترحم له ودخل القصر . وزاد الأمر بعد ذلك ، ودُخِلَ البلد من كل جهاته فطلب الأمان له ولمن معه ، فأئمنَّ وجميع من له ، وأعدت له سراكب واجتاز إلى طنجة » (١٢٨) .

وصار المعتد وأبناؤه أسرى في أيدي المرابطين ، فمَلُوم إلى طنجة . وقد ودعهم أهل إشبيلية وداعاً مؤثراً بلسان ابن اللبانة حيث قال :

حموا حريهم حتى إذا غلبوا سيقوا على نسق في حبل مقتادٍ
 وأنزلوا عن متون الشهب واحتملوا فويق دهم لتلك الخليل أنداد
 وعيَّث في كل طوق من دروعهم فصيص منهن أغلال لأجباد

نسيت إلا غدادة النهر كونهم في المنشآت كأموات بالحساد
 والناس فد ملأوا العبرين واعتبروا من لؤاؤ طافيات فوق أزياد
 حطّ القناع فلم تُستر مخدرة ومزقت أوجه تمزيق أبراد
 حان الوداع فضجت كل صارخة وصارخ من مفداة ومن فاد
 سارت سفاتهم والنوح يصحبها كأنها إبل يحدوبها الحادى
 كم سال في الماء من دمع وكم حملت تلك القطائع من قطعات أكياد
 من لى بكم يا بنى ماء السماء إذا ماء السماء أبى سقيا حشا الصادى (١٢٩)

ولما بلغ المعتد طنجة في طريقه إلى منفاه ؛ لقيه المصرى الشاعر ، « فجرى معه على سوء عاداته من قبج الكدية وإفراط الإلخاف » ، وسأله جائزة ؛ فأبت أريحيته إلا أن يبعث له بكل ما كان معه : ست وثلاثين متقلا ، « فطبع عليها وكتب معها بقطعة شعر يعتذر عن قلتها » (١٣٠) .

ف ٢٩ - شعر المعتد في منفاه :

وفي ظلال الأسر وآلامه ، قال المعتد في منفاه فى أغمات أصدق أشعاره عاطفة ، وأبلغها فى النفس أترأ . بعثت معانيها فى نفسه الآلام التى عاناها خلال السنوات الأخيرة من عمره ، قال فى الأغللال التى كان ينوء بها :

تعطف فى ساقى تعطف أرقم يساورها عضاً بأنياب ضيفم
 إلبك ، فلو كانت قيودك أشعرت تضرّم منها كل كف ومعصم
 مخافة من كان الرجال بسبيه ومن سيفه فى جنة وجهنم (١٣١)

وكانت ذكريات الأيام السعيدة الحالية تطوف بذهنه فيقول :

كنتُ حاف الندى ورب السباح وحيب النفوس والأرواح
 إذ يمينى للبذل يوم العطايا ولقبض الأرواح يوم الكفاح
 وشمالى لقبس كل عناف يقحم الخليل فى مجال الرماح

وأنا اليوم رهن أسر وفقير مستباح الحمى مهيض الجناح
لا أحيب الصريح إن حضر النا س ، ولا المعتفين يوم السماح
عاد بشرى الذي عهدت عبوساً شغلتنى الأشجان عن أفراحي
فالتماحي إلى العيون كربه ولقد كانت نزهة اللماح (*)

ويقول غرسية غومس في هذا الصدد : « وكان ألم المعتد على الحقيقة ألاماً نفسياً روحياً ، مبعثه التباين بين حياته الماضية وحياته في المنفى ، وأسامة الاختلاف الواضح بين الحضارة التي كان يعيش في ظلها والبربرية التي وجد نفسه بين أنيابها في منفاه ، ذلك الاختلاف البعيد بين قصور إشبيلية وبين أكواخ المغرب وما فيها من مرارة :

بكي « المبارك » في إثر ابن عباد بكي على إثر غزلان وآساد
بكت « ثرياه » ، لاغمت كواكبها بمنل نوء الثريا الرائع الغادي
بكي « الوحيد » ، بكي « الزاهي » وقبته والنهر « والتاج » كل ذلك بادٍ (١٣٢)

وكان يرى في قطرات دمه خضرة أشجار زيتون « الشرف » ، وبياض المنازل على شواطئ النهر عند طرّيّانة ، كما يرى السحرة الأشياء في كرة البلور . ولقد كان يستثير شجونه أن يجد يده خلواً مما تجود به — وهو الجواد صاحب الندى — وأن يجد سيفه عاطلاً مهملاً ، ورماحه يرين عليها الخمول والصدأ :

تبدلت من عزّ ظلّ البنود بذلّ الحديد وثقل القيود
وكان حديدي سناناً ذليلاً وعضباً رقيقاً صقيل الحديد
قعد صار ذاك وذا أدها بعض بساقٍ عضّ الأسود (١٣٣)

أو :

كذا يهلك السيف، في جفنه إذا هزّ كفى طويل الحنين
كذا يعطش الرمح لم أعتقله ولم تروه من بجمع يميني (١٣٤)

وكانت تتمثل في ذهنه مآسى حياته كلها : لقد وقعت إحدى بناته بين برائن
الأسر وبيعت رقيقة ، واشتراها تاجر وزوجها من ابنه ، ونزع واحد من بقى له
من البنين إلى الثورة وانتضى المناوشة المرابطين ، وشكت زوجه وبناته — اللاتي
كن يسرن بأرجلهن في العنبر والكافور — مرارة العقر والمهانة ، واضطرن إلى
الغزل بأيديهن ليكسبن عيشهن :

فيا مضي كنت بالأعياد مسروراً فساءك العيد في أنعمات مأسورا
تري بناتك في الأطمار جائمة ينزلن للناس ما يملكن قطعيراً
برزن نحوك للتسليم خاشعة أبصارهن حسيرات مكاسيرا
يطأن في الطين والأقدام حافية كأنها لم تطأ مسكا وكافورا

كان كل شيء حوله يستدعى أحزانه وشجونته ، فضى يغنى بالرياح
والطيور خاصة ، وجعل يقول الشعر مخاطباً سرباً من القطا حلقت بأجنحتها عالياً
في الفضاء :

بكيت إلى سرب القطا إذ سررن بي سوارح ، لا سجن يعمق ولا كبل
ولم تك — والله المعيد — حسادةً ولكن حنيناً : إن شكلي لها شكل
فأسرح ، لاشملي صديق ولا الحشا وجيع ، ولا عيناي يُبكيهما نُكُل
هنيئاً لها أن لم يُفَرِّقَ جميعها ولا ذاق منها البعد عن أهلها أهل
وأن لم تبت — مثلى — تطير قلوبها إذا اهتز باب السجن أو صلصل القفل
لنفسى إلى لقيا الحمام تشوّف سوى يحب العيش في ساقه حَجَل
ألا عصم الله القطا في فراخها فإن فراخي خابها الماء والظل (١٣٥)

وينشد على لسان قرية فقدت إليها :

بكت أن رأت إلفين ضمهما وكرُ مساء ، وقد أخنى على إلفها الدهرُ
وناحت ، فباحث ، واستراحت ، بسرها وما نطقت حرفاً يسوح به سر
فألى لا أبكى ؟ أم القلب صخرة ؟ وكم صخرة في الأرض يجرى بها نهر

بكت واحداً لم يُشجِّها غير فتمده
 بُنَى صَفْصَفٍ أَوْ خَلِيلٍ مُوَافِقِ
 وأبكى لآلافٍ ، عديدهم كثر
 يمزق ذا فقر ، ويُفريق ذا بحر
 ونجمان زين للزمان احتسواهما
 بقرطبة التكداء أو رُنْدَةَ القَمْبَرِ
 عذرت إذا أن ضنّ جفنى بقطرة
 وأن لؤمت نفسى فصاحبها الصبر
 فقل للنجوم الزهر تبيكهما معي
 لئلهما فلتحزن الأنجم الزهر^(١٣٦)
 أو يصف زوجاً من الغربان وقفا على حائط : شأن من ترميه الأيام في
 ضيق المحابس ، لا يزال يتعزى بذكر الطيور ، ولسان حاله يردد الأناشودة
 الإسبانية القديمة :

« أُنْكَلِيهَارامِي نِيال ،

لِقَاهُ اللهُ شَرَّ الْجَزَاءِ »^(١٣٧) .

وإن المعتمد ليذكرنا — وهو يرسف في كبوله ، وينوء تحت ثقل همومه —
 بشخصيات الملوك المؤثرة في المآسى القديمة .

وكان يتعزى أثناء هذه الحنة برؤية نفر من الشعراء كان عرفان الجليل يدفعهم
 إلى زيارته في منفاه ، ومن أولئك أبو محمد الجباري — الذي تلقى من نغمات
 المعتمد ذات مرة مالا جزيلاً افتتح به دكاناً وعاش من مكاسبه منه عيشاً رغداً —
 أقبل إلى المعتمد يواسيه ويخفف عنه ، فأسر المعتمد إليه ذات مرة أنه حفر قبره
 بيده إذ استصرخ المرابطين .

وكان يسمد إذا زاره أخلص أصدقائه ابن اللبانة الداني الشاعر ، فأنهى إليه
 ذات مرة أن عبد الجبار بن المعتمد يحاول إقامة ملك بني عباد من جديد ، وأنه
 استولى على أركش (حصن مجاور لإشبيلية) والجزيرة الخضراء واستقل بهما ،
 فانبعثت الآمال في نفس الأمير الأسير ، ولا زالت تهدد خياله حتى وافقه المنية
 في سنة ١٠٩١/٤٨٤ . وهذا ولم يوفق عبد الجبار فيما كان ساعياً فيه ، وتلاشى
 أمره بعد قليل^(١٣٨) .

وقد نظم المعتمد أبياتاً أوصى بأن تكتب على قبره ، شبه نفسه فيها « بجبل يتهدى فوق أعواد » — ناظراً في ذلك إلى معنى ضمنه المتنبي أحد أبياته — وقد ترجمها غرسية غومس إلى شعر إسباني :

قبرَ الغريب ، سقاك الريح العادي
بالحلم ، بالعلم ، بالنعمى إذا اتصلت
بالطاعن ، الضارب ، الراعى إذا اقتتلوا
بالدهر في نعيم ، بالبحر في نيم
نعم ، هو الحق ، حاباني به قدر
ولم أكن قبل ذلك النعش أعلمه
كفالك ، فارقت بما استودعت من كرم
يبكى أخاه الذي غيبت وابله
حتى يجودك دمع الطل منهراً
ولا تزال صلاة الله دأمة

حقاً ظفرت بأشلاء ابن عباد
بالحصب إن أجذبوا ، بالرى للصادي
بالموت أحر ، بالضرغامه العادي
بالبدر في ظلم ، بالصدر في النادي
من السماء ، فوافاني لميعاد
أن الجبال تهدى فوق أعواد
رواك كل قطوب البرق رعاد
تحت الصفيح بدمع رايح غادي
من أعين الزهر لم تبخل بإسعاد
على دفينك ، لا تحصى بتمداد^(١٣٩)

ف ٣٠ — شهرة الملك الشاعر :

وورى المعتمد في لحده في أنمات ، وظل قبره دهماً طويلاً مزاراً للكثيرين الذين كانوا يقصدونه للترحم عليه في إجلال ، ومن زاره ووقف على قبره أبو بحر عبد الصمد شاعره ، ولسان الدين بن الخطيب^(١٤٠) (انظر ف ٤٥) ويقول ابن الأبار الفضاى : « ورزق من الناس حبا ورحمة ، فهم يبكونه إلى اليوم »^(١٤١) .

« وفي الواقع أصبح الناس — على مر الأيام — يعودون بالذكرة إلى المعتمد ، فيرون فيه أعظم من ملك الأندلس » ، كما يقول دوزى . ومن كلام هذا المستشرق الهولندي في حق المعتمد : « إن أخبار كرمه ومجده ، وروح الفروسية التي مازجت نفسه ، حبيته إلى قلوب المتقين من أهل الأجيال التي جاءت بعده .

وكانت محنته العظيمة تثير شجون ذوى الحس المرهف من الناس ، أما عامتهم فكانوا مولعين بأخبار مغامراته وفروسيته ، حتى بدو العرب كانوا يذكرونه بإعجاب عظيم ، وكانوا بطبعهم أنقد لكلامه وأعرف بما فيه من بديع اللغة من الحضرة .

« وذكر أبو بكر محمد بن عيسى بن محمد اللخمي الداني — المعروف بابن اللبانة — أن رجلاً من أهل إشبيلية كان يحفظ هذا الشعر (شعر المعتمد) في ذلك الأمد ، ثم خرج منها نية منه إلى أقصى حى في العرب ، فأوى إلى خيمة من خيماتهم ، ولأذ بذمة راع من رعاتهم . فلما توسط القمر في بعض الليالى ، وهج السامر ، تذكر الدولة العبادية وروثها ، فطفق ينشد القصيدة بأحسن صوت وأشجاء ، فما أكملها حتى رفع رواق الخيمة التى أوى إليها رجل عن وجهه وسيم ضخم ، تدل سيما فضله على أنه سيد أهله فقال : « يا حضرى ، حياك الله . لمن هذا الكلام الذى اعذوب مورده ، وافضوضل منبته ، وتحلت بقلادة الحلاوة بكره ، وهدر بشقشقة الجزالة بكره ؟ » فقال : « هو ملك من ملوك الأندلس يعرف بابن عباد » ، فقال العربى : « أظن هذا الملك لم يكن له من الملك إلا حظ يسير ، ونصيب حقير . فثل هذا الشعر لا يقوله من شغل بشىء دونه » ، فعرفه الرجل بعظم رياسته ، ووصف له بعض جلالته . فتمعجب العربى من ذلك ثم قال : « ومن الملك ، إن كنت تعلم ؟ » فقال الرجل : « هو فى الصميم من تخم ، والذؤابة من يعرب » . فصرخ العربى صرخة أيقظ الحى بها من جمعته ، ثم قال : « هلموا ، هلموا ! » فتيادروا إليه ينثالون عليه ، فقال : « معشر قومى ، اسمعوا ما سمعته ، وعوا ما وعيته ، فإنه لغمر طلبكم ، وشرف تلاصق بكم . يا حضرى ، أنشد كلمة ابن عمنا » ، فأنشدهم القصيدة . وعرفهم العربى بما عرفه الرجل به من نسب المعتمد ، فخامرتهم السراء ، وداخلتهم العزة ، وركبوا من طربهم متون الخليل ، وجعلوا يتلاعبون عليها باقى الليل ، فلما رسل الليل نسيمه ، وشق الصباح أو كاد أديمه ، عمد زعيم القوم إلى عشرين من الإبل فدفعها إلى الرجل ، وفعل

الجميع مثلما فعل ، فما كان رأد الضحى إلا وعنده هنيذة من الإبل . ثم خلطوه بأنفسهم ، وجعلوه مقر سرورهم وتأنسهم»^(١٤٣) .

وقد ختم دوزي كلامه عن المعتمد بن عباد بقوله : « هذا ، ولم يكن المعتمد قط حاكماً عظيماً بحال ، فقد تولى مقاليد شعب أفسد طبعه الترف ، فلم يصر فحياً من العناية إلى أمور رعيته . وتراعى على ملذات نفسه ، ومن ثم كان عبء الحكم عليه ثقيلاً . ثم إنه كان ميالاً إلى الراحة بطبعه ، وكانت تشغله تلك الأشياء التي تشغل الفنانين وتتألف منها مسراتهم وشقاواتهم ، فكان ذلك مما حال بينه وبين القيام بأعباء الحكم على وجه المطلوب . ولكن أحداً من الناس لم تضم نفسه هذا القدر من الحساسية ، أو هذا الفيض الشعري الدافق الذي ضمته نفس المعتمد ؛ ثم إن القدر أراد له أن يكون آخر أمير أندلسي الأصل ، يحمل في جلال علم ثقافة فكرية وقومية ، قدر لها أن تنطوي ويذهب أمرها تحت ظل المرابطين الذين فتحوا البلاد»^(١٤٣) (انظر المقدمة ص ٢٢ — ٢٤ (*)) .

(ج) غرناطة

ف ٣١ — أبو الفتوح الجرجاني ، وأبو إسحاق الإلبيري :

لم يتقدم الأدب العربي تقدماً محسوساً في غرناطة التي سيطرت عليها الطوائف البربرية ، وأهم شخصية تستلفت الاهتمام فيها هو اليهودي ابن النغدة ، الذي كان يؤلف بالعبرية واجتهد في النهوض بالدراسات التلمودية . وفي ذلك العصر أقبل إلى غرناطة أبو الفتوح الجرجاني ، وهو مغامر مشرقى نزل الأندلس في سنة ١٠١٥/٤٠٦ . وكان فيلسوفاً فلكياً يقول الشعر بين الحين والحين . أقام الجرجاني حيناً عند مجاهد الصقلبي صاحب دانية ، ثم قصد سرقسطة حيث أقام في كنف المنذر بن هود ردها من الزمن ؛ واستقر به النوى آخر الأمر في غرناطة ،

حيث ألقى دروساً عن الشعر القديم وكتاب « الحامسة » خاصة . وقد اتهم في مؤامرة دبرت على باديس بن حبوس صاحب غرناطة ، فقبض عليه وحبسهُ ثم قُتل سنة ١٠٣٠/٤٢١ وأسر بدفنه إلى جانب أحمد بن عباس^(١٤٤) .

وقد خلف إسماعيل (صمويل^(١٤٥)) بن النغدة في الوزارة ابني زييري بن حبوس ابنه يوسف ، ولم تكن له كياسة أبيه في مصانعة المسلمين ، فاستنار سخطهم عليه . وكان الاتكلم بلسانهم في هذه الخصومة أبو إسحاق الإلبيري النقيبه العربي ، وكان مغيباً لأنه لم يدرك في بلاط غرناطة المركز الذي كان يرى نفسه أهلاً له ، وزاد في حنقه أن يوسف بن النغدة أمر بنفيه من غرناطة ، فانصرف إلى النسك والزهادة ، ونظم في معتكفه قصيدة يهجو يوسف بن النغدة ، ويؤلب المسلمين وباديس بن حبوس على اليهود ، قال فيها :

ولا ترفع الضنط عن رهطه فقد كنزوا كل علق ثمين
وفرق عرام وخذ ما لم فانت أحق بما يجمعون
ولا تحسبن قتلهم غدره بل الغدر في تركهم يعبثون
فقد نكثوا عهدنا عندهم فكيف تلام على الناكثين ؟
وكيف تكون لنا همة ونحن خمول وهم ظاهرون ؟^(١٤٦)

فالتهمت عواطف الناس سخطاً على اليهود ، وتواثبوا بهم ، فنهبوا ديارهم وقتلوا من ظفروا به منهم . وكان ابن النغدة ممن لقي مصرعه في هذه المذبحة (١٠٦٦/٤٥٩) .

وقد حفظ لنا المقرئ أشعاراً أخرى لأبي إسحاق الإلبيري ، تتجلى فيها حكيمته وعاطفته الدينية ، وترجم له دوزي (إلى الفرنسية) مقتطفات كثيرة من شعره نورد منها :

وذى غنى أوهمته همتُه أن الغنى عنه غير منفصل
يجر أذبال عجبهُ بطرا واختال للسكبرياء في الحلال

بزّنه أيدى الخطوب بزّته فاعتاض بعد الجديد بالسمل
 فلا تثنى بالغنى فأفته ۱۱ فمقر وصرف الزمان ذو دول
 كفى بنيل الكفاف عنه غنى فكن به الدهر غير محتفل^(١٤٧)
 وقد زاره وهو على فراش الموت أحد وزراء غرناطة ، فرأى ضيق مسكنه
 فقال له : « لو اتخذت غير هذا المسكن لكان أولى بك » فقال ، وهو آخر
 شعره :

قالوا : ألا تستعيد بيتاً تعجب من حسنه البيوت ؟
 فقلت : ما ذلکم صواباً عُشٌّ كثير لمن يموت
 لولا شقاء ولفح قيظ وخوف لص وحفظ قوت
 ونسوة يبتغين سقرا بنيتُ بنيان عنكبوت^(١٤٨)
 أما بقية دول البربر التي قامت في ذلك الحين — في مالقة والجزيرة الخضراء
 وقرمونة واستجة والمدور ورندة وأركش ومورور وشريش — فلم تنفق للأدب
 فيها سوق ، ثم انتهى بها الأمر إلى الدخول في حوزة أصحاب إشبيلية .

(د) المريّة

ف ٣٢ — الوزير أحمد بن عباس :

استقل بالمريّة أول انتشار الجماعة خيران الصقلبي ، ثم خلفه على إمارتها زهير ،
 وكان صقلبياً أيضاً . وقد تولى الوزارة له أحمد بن عباس وكان مخاصماً لابن النغلة —
 وزير بني زيري أصحاب غرناطة — لا تسكن العداوة بينهما . « وقد بذ الناس
 في وقته في أربعة أشياء : المال ، والبخل ، والعجب ، والكتابة »^(١٤٩) . وكان
 « جماعاً للدفاتر حتى بلغت أر بمائة ألف مجلد ، وأما الدفاتر المحرومة فلم يوقف على
 عددها لكثرتها »^(١٥٠) . ولكن غروره وصل به إلى حد الجنون ، وهو القائل :
 لي نفس لا ترتضى الدهر عمراً وجميع الأنام طراً عبيداً

لو ترقّت فوق السماك محلا لم تزل تبتغى هناك صعوداً
أنا من تعلمون شيدت مجدى فى مكانى ما بين قومي وليداً
وقال أيضاً :

عيون الحوادث عنى نيام وهضمى على الدهر شىء حرام
وذاع هذا البيت فى الناس واستنكروه ، حتى قلب بهض الأدياء مصراعه
الأخير فقال :

سيوقظها قدر لا ينام^(١٥١)

وقد تحققت أمنية هذا الشاعر ، إذ وقع ابن عباس أسيراً بيد خصمه اللدود
باديس بن حبوس صاحب غرناطة فقتله بيده فى ٢٧ ذى القعدة ٤٢٧/١٠٣٥^(١٥٢) .

ف ٣٣ — المتعم بن صمادح صاحب المرية وشعراء بلاطه :

أما فى المرية — حيث استبد بالأمر المتعم بن معن بن صمادح وآله ، وهم
فرع من التّجيبين أصحاب مرقطة — فقد علا أمر الآداب والعلوم فى هذه
الدويلة ، فى عهد محمد بن معن الملقب بالمتعم (٤٤٣/١٠٥١ — ٤٨٤/١٠٩١) ،
على الرغم من أن حدودها قد انكشفت فى أيامه حتى صارت أخحوكة فى أفواه أهل
الأدب . وكان المتعم نفسه مسالماً لين الجانب محبباً إلى القلوب ، راعياً للآداب
والعلوم موقراً للدين وأهله ، باراً بوزرائه صفوحاً عن المفوات عادلاً فى أحكامه ،
وقد أحاط نفسه بهالة من الشعراء أضفوا على دولته رونقاً جميلاً^(١٥٣) .

ومن أولئك الشعراء أبو الفضل جعفر بن أبى عبد الله محمد بن شرف
البرجى^(١٥٤) « الحكيم الفيلسوف » (٤٤٤/١٠٥٢ — ٥٣٤/١١٣٩) ، وكان
رجلاً واسع العلم استطاع أن يصل فى بلاط المرية إلى مكان مرموق . وكان قد
قصده أول أمره قصر محمد بن معن بن صمادح فى زى تظهر عليه البداوة ، وألقى
بين يديه قصيدة مطامها :

مطل الليلُ بوعد الفلق وتشكى النجمُ طولَ الأرق
ضربت ريح الصبا مسك الدجى فاستفاد الروض طيبَ العبق
وألاح الفجر خذاً خجلاً جال من رشح الندى في عرق
جاوز الليل إلى أنجمه فقساقتن سقوط الورق^(١٥٥)
فاسترعى انتباه المعتصم وأهل المجلس فأقبلوا عليه ، وكان ذلك أول صعود أسره .

وقد حسده بقية الشعراء لانفراده بالمكان الأخطى من نفس المعتصم ، وكان من بين أولئك الحاسدين أبو عبد الله محمد بن معمر المالكي المعروف بابن أخت غانم^(١٥٦) — وغانم خاله المنسوب إليه هو الإمام العالم أبو محمد غانم الخنزوي ، النحوي المشهور — وكان عارفاً بالكثير من كتب النحو والفقه والشريعة والطب ، وكان يقول الشعر في يسر ، وكانت له حافظة نادرة ؛ فغاضه أن يبلغ البرجي هذه المكانة في ذلك الوسط الرفيع ، وهو البسيط الأصل والمنبت^(١٥٧) .
وقد جرت بين الشاعرين لهذا نقائض فياضة بالسخر البارع اللاذع .

وتتواتر في كتب الأدب قصة عن المعتصم بن صمادح ، تدل على عظيم تقديره للشعر وأهله ؛ فقد وفد عليه البرجي مرة يشكو عاملاً ناقشه في قرية يحرث فيها ، وأنشده الرائية التي مطلعها :

قامت تجر ذبول العصب والخبز ضعيفة الخصر والميثاق والنظر
إلى أن بلغ قوله :

لم يبق للجرور في أيامهم أثر إلا الذي في عيون الغيد من حور
فقال له المعتصم : « كم في القرية التي تحرث فيها ؟ » ، فقال : « فيها نحو خمسين بيتاً » ، فقال له : « أنا أسوئك جميعها لهذا البيت الواحد » ؛ ثم وقع له بها وعزل عنها نظر كل وال^(١٥٨) .

وقد ألف ابن شرف مجموعين من الأمثال والحكم ، أحدهما شعراً والآخر

نثراً^(١٥٩) ، وقد حوياً بين دفتيهما ما يشهد بسعة الاطلاع . ومن روايح . كنه :
 « لتكن بقليلك أغبطاً منك بكثير غيرك ، فإن الحى برجليه — وهما
 ثنجان — أقوى من الميت على أقدام الجملة ، وهى ثمان .
 رب سامح بالعطاء على باخل بالقبول^(١٦٠) .

ومن اتصل بالمتصم من شعراء ذلك العصر ابن الحداد الوادى آتى المتوفى
 عام ١٠٨٧/٤٨٠ ، وقد علت رتبته عنده حتى أسند إليه الوزارة وأحظاه . وقد
 هوى ابن الحداد صبية نصرانية كنى عن اسمها بنويرة — أو نويرية — وقال فيها
 شعراً ينم عن عاطفة مشبوبة . وكانت تتنابه بين الحين والحين حالات من اليأس
 والتشاؤم ، فيتحدث عن الزهد واعتزال الدنيا وأهلها ، ومن ذلك قوله وقد تغير
 قلب المتصم عليه واضطر إلى اللحاق بثغر بنى هود :

لزمت قناعتي وقعدت عنهم فلست أرى الوزير ولا الأميرا
 وكنت سمير أشعاري سفاهاً فعدت لفلسفياتى سميراً^(١٦١)

أو قوله :

سامح أخاك إذا أتاك بزلة فخلوص شىء قلما يتمكن
 فى كل شىء آفة موجودة إن السراج — على سناه — يدخن^(١٦٢)

وقد غضب عليه المتصم وأقصاه لأنه — أى الشاعر — رماه بالبخل . ولم
 يكن المتصم بالبخل ، إنما كان الكرم شيمته الحسنى^(١٦٣) ، كما تشهد بذلك
 قصائد شعرائه من أمثال عمر بن عبد الشهيد وأبى جعفر بن القراز والنحلى وابن
 بليطة وغيرهم^(١٦٤) .

ولجأ إلى المتصم كذلك نفر من شعراء غرناطة ، لم يطيقوا الميش فى ظل
 أمراءها من البربر الذين لم يزدانوا بعلم يوطى " لأهل الأدب أكنافهم . ومن أولئك
 ابن أخت غانم — الذى ألعنا بذكره — وأبو القاسم خلف بن فرج الإلبيرى
 المعروف بالسيسر ، وكان « بانعة عصره وأعجوبة دهره » — كما يقول ابن بسام

وله أشعار لحا فيها أمراء عصره وأقذع في هجوم ، كقوله :

ناد الملوك وقل لهم : ماذا الذي أحدثتم ؟
أسلمت الإسلام في أسر العدا وقعدتم ا
وجب القيام عليكم إذ بالنصاري قتم
لا تنكروا شق العصا فعصا النبي شققتم

وقد ألف كتاباً سماه « شفاء الأمراض في انتهاك الأعراض » ، تناول فيه ما كان يدعيه أهل عصره من خصال لم تكن فيهم ، ووضعهم موضعهم الصحيح (١٦٥) .

وفي بلاط بني صمادح هؤلاء عاش أبو عبيد البكري الجعرافي المعروف ، وسيرد الكلام عنه مع الجغرافيين (ف ٩٥) ؛ وكان شاعراً فذاً روى له شعر كثير وخريات تتحدث عن ميل إلى لذات العيش :

خليلي ، إني قد طربت إلى الكاس وتقت إلى شم البنفسج والاس
فقوموا بنا نلهو ونستمع الغنا ونسرق هذا اليوم سرّاً من الناس
فليس علينا في التعلل ساعة

— وإن وقعت في عقب شعبان — من باس (١٦٦)

ف ٣٤ — آل المعتصم :

وكان بنو المعتصم شعراء مبرزين ، ومنهم أبو جعفر الذي خاطب محبوبته بأبيات تفيض رقة وعذوبة :

كثبتُ وقلبي ذواشتياق ووحشةٍ ولو أنه يستطيع مرّاً يسلم
جعلتُ سواد العين فيه سواده وأبيضه طرساً وأقبلتُ ألتم
فخيل لي أني أقبل موضعاً يصافحه ذاك البنان المسلم (١٦٧)

وكانت أم الكرام بنت المعتصم تقول الشعر كذلك ، وكان بها هوى فتي من أهل دانية يسمى سَمَّار ، وقد قالت فيه :

يا معشر الناس ألا فاعجبوا بما جنته لوعة الحب
لواه لم ينزل بدر الدجى من أققه العلوى للترب
حسبي بمن أهواه لو أنه فارقتى تابسه قلبي (١٦٨)

وعندما انقلب ملوك الطوائف على يوسف بن تاشفين ، ومضوا يدبرون عليه ، كان المعتصم من أكثرهم سعياً في ذلك التدبير . فلما استولى يوسف على غرناطة واستنزل صاحبها الأمير عبد الله ، ملك الخوف المعتصم وسعى في كسب ود أمير المسلمين ، وكان يكيد له بالأمس ، فعمل بإرسال ابنه عبيد الله يهنته بمحصول غرناطة في يده ، فقبض يوسف على عبيد الله وحبسه ؛ فقال الفتي يشكو عناءه وضيق الحبس :

أبعد السنى والمعالى خمول وبعد ركوب المذاكى كبول
ومن بعد ما كنت حرّاً عزيزاً أنا اليوم عبد أسير ذليل
حلت رسولاً بفرناطة فحل بها بي خطب جليل
وثقت إذ جتتها مرسلات وقد كان يكرم قبلى الرسول
فقدت للرية أكرم بها فما للوصول إليها سبيل (١٦٩)

وجدَّ المعتصم في خلاص ابنه ، فلم يسغفه به يوسف بن تاشفين إلا وهو — أى المعتصم — على فراش الموت . وقد طال مرضه ، وحاصر المرابطون قسبة المرية — والرجل في فراش المرض — فقال : « لا إله إلا الله ، نغص علينا كل شيء حتى الموت ! » (١٧٠) . وقد أدركته المنية قبل سقوط المرية في يد المرابطين بأشهر قلائل ، وإلى جانبه الشاعر ابن عبادة .

وبعد سقوط المرية توجه أبناء المعتصم إلى المغرب ، فأما عبيد الله فقد لجأ إلى أحد المرابطين وعاش في كنفه « لأدِّمَة كانت بينهما ، إلى أن انقرضت مدته بين

آس وكاس» (١٧١) . ولجأ « عز الدولة » إلى بجاية ، حيث قضى بقية عمره في أمن ورضى بما قسمه له القدر . ويذكر الشاعر الإشبيلي ابن اللبانة أنه اجتمع مع عز الدولة هذا في بجاية وقال : « فإني رأيت منه خير من يجتمع به ، كأنه لم يخلقه الله إلا للملك والرئاسة وإحياء الفضائل ، ونظرت إلى همته تنم من تحت خوله كما ينم فرند السيف وكرمه من تحت صداه ، مع حفظه لفنون الأدب والتواريخ ، وحسن استماعه وإسماعه ، ورقة طباعه ولطافة ذهنه » .

وكان يقول الشعر ، مفرجاً عن نفسه شاكياً خمول أمره :

لك الحمد ، بعد الملك أصبح خاملاً بأرض اغتراب لا أمرٌ ولا أخطى
وقد أصدأت فيها الجذاذة منهلٍ كما نسيت ركض الجياد بها رجلى
فلا مسمى يصغى لنعمة شاعرٍ وكفى لا تمتد يوماً إلى بذل (١٧٢)
وأشعر بنى صمداح جميعاً « رفيع الدولة » كما يقول نقاد العرب (١٧٣) ، ومن

مأثور شعره هذه الأبيات التالية التي وجه بها إلى صديق :

أبا العلاء كؤوس الراح مترعة وللندى سرور في تعاطيها
وللنصون تنن فوقها طرباً وللحائم سجع في أعاليها
فاشرب على النهر من صهباء صافية كأنما عصرت من خد ساقها (١٧٤)

وقد قضى رفيع الدولة بقية أيامه في المغرب ، مثله في ذلك مثل أخويه ،
معرضاً لكثير من المهانة (١٧٥) .

ولهم ابن أخ شاعر أيضاً ، هو « رشيد الدولة » بن عبيد الله ، ومن
طريف نظمه قوله :

صبراً على نائبات الدهر إن له يوماً كما فتك الإصباح بالظلم
إن كنت تعلم أن الله مقدر فثق به تلقى روح الله من أم
وقل صبر الإنسان محتسباً إلا وأصبح في فضفاضة النعم (١٧٦)

وقد دخل في ذمار الموحدين ، وأصبح من شعرائهم للأجورين . ويقول

دوزى : « وإنه لمن عبث الأقدار أن نجد ذلك الأمير المتحدر من صلب ملك كان يرعى جيشاً من الشعراء ويمنحهم الأرزاق ، ينتهي به الأمر إلى أن تهبط به للقادير إلى مستوى الشعراء الماجورين الذين يعيشون على أرزاق يتناولونها من سادتهم » (١٧٧) .

(ه) بلنسية ومرسية

ف ٣٥ — ابن وهبون — ابن لبون — الوقشي :

ونذكر من أهل شرق الأندلس أبا محمد عبد الجليل بن وهبون المرسي ، الذي تغنى بذكر وقعة الزلاقة (سنة ٤٧٩/١٠٨٦) ؛ وكان صاحباً لابن عمار ، فلما توفي قال فيه مرثية طيبة . كان ابن وهبون من فطاحل الشعر وأهل الأدب ، وقد مات قتيلاً على يد بعض جند النصارى وهو في طريقه من لورقة إلى مرسية (١٧٨) . ونذكر كذلك أبا عيسى بن لبون ، وكان صاحباً لقلعتي سجونتو ومريبطر ، فلما أحس اقتراب السيد القمبيطور من بلاده وتوقع بلاءه ، ترك بلاده لابن رزين صاحب « السهلة » (١٧٩) . ونذكر أيضاً محمد بن علقمة (١٠٣٦/٤٢٨ — ١١١٥/٥٠٩) من أهل بلنسية ، وكان شاعراً وناثراً من طبقة عالية ، وهو صاحب كتاب « البيان الواضح عن الملم الفادح » الذي قص فيه أخبار بلاده بلنسية في أيامه ، ووصف ما حاق بها من البلاء على يد السيد القمبيطور (١٨٠) .

وبينا كان « السيد » محاصراً لسرقسطة (سنة ٤٨٧/١٠٩٤) ، قام الفقيه هشام بن أحمد الكناني للملقب بالوقشي — نسبة إلى البلد الذي ولد فيه وهو وقش Huecas من أعمال طليطلة — على أسوار البلد وألقى مرثية مؤثرة بكى فيها مصاب بلنسية أثناء هذا الحصار المروع . ولم نجد أصل هذه المرثية ، ولكننا وجدنا صوراً لها مكتوبة بحروف لاتينية فيما وجدنا من نسخ « تاريخ إسبانيا العام » (١٨١) .

وقد كان لهذه التصيدة وقع شديد على قلوب البلنسيين ، فصاروا يرددون قول صاحبها :

« إذا أنا مضيت يميناً هلكت بماء الفيضان ، وإذا ذهبت يساراً أكلني السبع ، وإذا مضيت أمامي غرقت في البحر ، فإذا التفت خلفي أحرقتني النار » (١٨٢) .

وإزاء هذا البلاء المتواتر ، ألح أهل بلنسية على الوقشي في أن يكلم لهم القاضي أحمد بن جحاف — رئيس البلاد إذ ذاك — في الاتصال بالقمبيطور وتسليم البلد له على شروط ؛ ففعل ، وأسلم البلد ، وأقيم الوقشي قاضياً له (١٨٣) .

هذا ، وقد ضاع الأصل العربي لهذه المرثية ولم يبق لنا إلا نصها مكتوباً بحروف لاتينية في « تاريخ إسبانيا العام » ، — كما قلنا — وقد درسها خليان ريبيرا وحاول أن يقرأها قراءة عربية ، وأثبت أن نصها الذي بين أيدينا إنما هو تحوير لها في اللهجة الأندلسية الداريجة في القرن الخامس عشر الميلادي .

(و) بطليوس

ف ٣٦ — المظفر بن الأفضس :

بين أيدينا من المعلومات عن إمارة بطليوس أقل مما بين أيدينا عن أى إمارة أخرى من إمارات الطوائف في ذلك العصر . كان أول من استبد بأمرها مولى فارسي الأصل يسمى سابور (توفي في ١٠ شوال ٤١٣/٨ نوفمبر ١٠٢٢) ، وكان رجلاً أمياً قام بأمر دولته ابن مسلمة (٤١٣/١٠٢٢ — ٤٣٧/١٠٤٥) مؤسس أسرة بني الأفضس (ومعناه بنو القرود) ، وأصلهم من برابر مكناسة . وأكبر أسراء هذه الدولة المظفر محمد بن عبد الله بن الأفضس (٤٣٧/١٠٤٥ — ٤٤٥/١٠٦٣) والمتوكل أبو محمد عمر بن محمد بن الأفضس (٤٦٠/١٠٦٧ — ٤٨٨/١٠٩٥) ، وفي عهدهما بلغت الإمارة أوجها ؛ والأول أخو مسلمة ، والثاني ابن أخيه .

وقد ألف المظفر « الكتاب المظفرى » ، نسبة إلى اسمه . ويقول المقرئ :
 « كان المظفر أديب ملوك عصره غير مدافع ولا منازع ، وله التصنيف الرائق
 والتأليف الفائق ، المترجم « بالندكرة » والمشتهر اسمه أيضا « بالكتاب المظفرى » ،
 فى خمسين مجلداً يشتمل على فنون وعلوم من مغازٍ وسيرٍ ، ومثل وخبر ، وجميع
 ما يختص به علم الأدب . أبقاه الله للناس خالداً . وتوفى المظفر سنة ١٠٦٧/٤٦٠
 وكان يحضر العلماء للذاكرة فيفيد ويستفيد ، رحمه الله . وإلى المظفر أهدى عمر
 ابن عبد البر (٩٧٨/٣٦٨ — ١٠٧٠/٤٦٣) مجموع مختاراته الفريد المسمى « زينة
 المجالس » فى مجلدات ثلاثة « (١٨٤) .

أما عمر المتوكل بن الأفتس — الذى كان أول من عمل على الاستنجداد
 بالمرايطين — فهو الذى أهدى إليه ابن عبدون قصيدته المشهورة (١٨٥) .

ف ٣٧ — ابن عبرونه :

عاش أبو محمد عبد المجيد بن عبدون فى بلاط المتوكل بن الأفتس فى بطليوس
 وكان من أكبر شخصيات هذه الدولة ، وأصله من « يارّة » ثم قدم على
 للمتوكل ، وحظى عنده وصار له صاحباً ورفيقاً ، وأقامه كاتباً له فى سنة ١٠٨٠/٤٧٣
 وتمسكى الثرائب عن كثرة حفظه ، حتى قال فى شأنه أبو سروان عبد الملك بن
 زهر : « هذا أديب الأندلس وإمامها وسيدها فى علم الآداب . هذا أبو محمد
 عبد المجيد بن عبدون : أيسر محفوظاته كتاب الأغاني ، وما حفظه فى ذكاء خاطره
 وجودة قريحته ؟ » (١٨٦) . وكانت محفوظاته بعض أدواته ، فقد كان ذا فهم دقيق
 ومزاج مرهف ، ومواهب ممتازة ركبها الله فى طبعه .

وعند ما طويت صفحة الدولة الأفتسية فى ١٠٩٤/٤٨٧ بوفاة المتوكل ، قال
 ابن عبدون درة شعره « القصيدة العبدونية » التى أذاعت صيته فى العالم الإسلامى
 كله على نحو لم يسمع به قبل ذلك . ويقول عبد الواحد المراكشى فى وصفها ،

إنها « قصيدته الغراء ، لا بل عقيلته العذراء ، التي أزرّت على الشعر ، وزادت على
السحر ، وفعلت في الأبواب فعل الحجر ، فجلت عن أن تُسأى ، وأنفت من أن
تُضاهى ، فقل لها النغدير ، وكثر إليها المشير ، وتساوى في تفضيلها وتقديمها بأقل
وجرير... » (١٨٧) .

وقد ترجمها إلى الفرنسية فانيان ، وعنه نقل بونس بويجيس مقتطفات منها
إلى الإسبانية ، ومطلعها :

الدهر يفجع بعد العين بالأثر فما البكاء على الأشباح والصور ؟
وإليك أبيتاً منها :

ما ليلالى أقال الله عثرتنا من الليلالى وخاتها يد الغير
في كل حين لها في كل جارحة منا جراح وإن زاغت عن النظر
هوت بـ « دارا » وفلت غرب قاتله وكان عضباً على الأملاك ذا أثر
واسترجعت من « بنى ساسان » ما وهبت ولم تدع لبني يونان من أثر
وألحقت أختها طسماً وعاد على عاد عاد وجرم منها ناقص المدر (١٨٨)
ثم مضى يذكر الدول والأسر ، والرجال الذين عدت عليهم صروف الدهر ،
حتى وصل إلى بنى الأفطس — ومن أجلهم نظم قصيدته تلك يندب ما جرته
عليهم يد الحدثان (١٨٩) .

وتتم أبيات هذه القصيدة عن علم واسع واطلاع متبحر ، (ولم يسبقه إلى
مثلها من نوعها إلا ابن زيدون في قصيدته إلى ابن عبدوس) . وقد كانت غزارة
مادتها دافعة بالكثيرين إلى وضع المؤلفات في شرحها والتعليق عليها ، وأكبر هذه
الشروح وأذيعها « شرح ابن بدرون » . وقد درس دوزى هذا الشرح ونشره ،
ويرى هذا المستشرق الكبير أن المدائح الطنانة التي أسبغها على هذه « القصيدة »
علماء فطاحل — من أمثال ابن خاقان وابن الخطيب — مبالغ فيها كل المبالغة ،
ولا تتفق مع حقيقتها . وقال : « إننا نجد في هذه المرثية — إلى جانب بعض

أبياتها ذات المعاني المتبكرة الموقفة — نجد براعة عظيمة ، وإن التبهر في العلم ليتجلى فيها على نحو يفيض فيضاً ؛ ذلك أن ابن عبدون لم يقنع بأن يجعل قصيدته مجرد صرخة محزون يعبر عن لوعته الصادقة العميقة ، في أبيات ذات جرس جميل ، وإنما مضى يعرض كبار الرجال الذين أخنى عليهم الدهر ، وعظام الدول التي عصفت بها يد الحدثان ، ويقدم لنا ثبثاً منظوماً بمصائب الدهر — من أيام دارا ملك الفرس إلى بني الأفطس أصحاب بطليوس — في أسلوب صحيح يخاطبه تأنيق بين الحين والحين . وهو يجهد القارئ ويبعث إلى نفسه الملل بما يلجأ إليه من اللعب بالألفاظ وما يستعمله من الأخيالة المسيرة التصور . إننا لا نجد أنفسنا أمام قصيدة تثير كوامن المشاعر ، وإنما حيال عرض موقف لعم واسع منقل بالزخارف والزينة ^(١٩٠) . وعلة ذلك أن ابن عبدون لم يألم المأصداقاً لما حل بيني الأفطس ، ومصداق ذلك أنه دخل بعد ذلك في خدمة الأمير اللمتوني سير بن أبي بكر ، وعاش في ظلال المرابطين إلى آخر حياته ، (توفي سنة ٥٢٩/١١٣٤) . والبون شاسع بين هذا الحزن الفاتر المصطنع ، وبين العواطف الصادقة المؤثرة التي تتجلى في قصائد المعتمد بن عباد الأخيرة .

وقد خلف لنا ابن عبدون أشعاراً وأثراً أخرى ، كالرسالة التي كتبها عن لسان سير بن أبي بكر بن تاشفين إلى علي بن يوسف بن تاشفين « يخبر فيها بفتح مدينة شنترين » ^(١٩١) ، ورسالته التي وجه بها إلى أبي عبد الله محمد بن أبي الخصال « يخطب مودته ويستدعي من إخوانه جدته » ^(١٩٢) ، وغيرهما كثير . وقد وصف دوزي شعره في هذه الأثار بأنه : « زهور لدنة رقيقة ينبعث منها عطر جميل . . . وأشعار متناسقة فياضة بالتوفيق والجمال » ^(١٩٣) .

ومن كتب للمتوكل بن الأفطس — وليوسف بن تاشفين من بعده كذلك — أبو بكر عبد العزيز بن القبطورنة ، وقد روى له صاحب القلائد تلك الأبيات

الحسان التي بمت بها إلى الوزير أبي الحسن بن سراج :

يا سيدى ، وأبى : هدى وجلالا ورسول ودى إن طلبتُ رسولا
 عرَّج بقرطبة إذا بُدِّغتها بأبى الحسين ، وناده تمويلا
 فإذا سعدت بنظرة من وجهه فاهد السلام لكفه تقيلا
 واذكر له شوقى وشكرى مجملا ولو استطعت شرحته تفصيلا
 بتحية تهندي إليه كأنما جرت على زهر الرياض ذيولا (١٩٤)

ومنهم كذلك أخوه أبو الحسن بن سعيد بن القبطورنة ، وقد أنشد له
 صاحب « القلائد » :

ذكرت سليمان وحرَّ الوغى كجسى ساعة فارقتها
 وأبصرتُ بين القنا قدها وقدمن نحوى ، فماتتها (١٩٥)

وفى بلاط بنى الأنطس كذلك عاش أبو محمد عبد الله بن سارة (توفى
 ١١٢٣/٥١٧) ، وله مقطعات بديعة فى موضوعات صغيرة — كالباذنجان
 والسفرجل والنانج — ومن ذلك قوله فى هذا الأخير :

أرى شجر النانج أبدى لنا جتنى كقطر دموع ضرجتها اللواعج
 كرات عقيق فى غصون زبرجد بكف نسيم الريح منها صوالج
 نقبلها طورا وطورا نشمها فهن حدود بيننا ونوافج (١٩٦)

ومنهم كذلك أبو عبد الله بن البين ؛ قال صاحب الذخيرة : اجتمع مع ابن
 سارة ، فقال له ابن سارة : أجز :

هذى البسيطة كاعب أبرادها حلل الربيع وحليها الأزهار
 قال ابن البين :

وكان هذا الجو فيها عاشق قد شفه التعذيب والإضرار
 فإذا شكها فالبرق قلب خافق وإذا بكى فدموعه الأمطار
 فن أجل ذلة ذا وعزة هذه تبكى السماء ويبسم النوار (١٩٧)

ولنعتم كلامنا عن شعراء غرب الأندلس بذكر عبد الرحمن بن مقاننا
الأشبوني ، صاحب المديح الذائع في إدريس بن يحيى بن علي بن حمود صاحب
مأقاة الذي يقول فيه :

قد بدا لي وضحُ الصبحِ المبين فاسقفيها قبل تكبير الأذنين
نثر المزجُ على مفرقها درراً عامت ، فعادت كالبرين
مع فتیانِ كرامِ نجبٍ يتهدون رياحين المجون
شربوا الراح على خدرشا ورَدَ الوردُ به والياسمين
وجلت آياته عامدةً سبج الشعر على عاج الجبين
فانثني غصنا على دعص نقا وبدا ليل على صبح مبین^(١٩٨)

(ز) سرقسطة

ف ٣٨ — ابن باجة :

لدينا من أخبار بني هود في سرقسطة طائفة طيبة عن العلوم في دولتهم
(انظر ف ١٣٣) ، أما أخبار الشعر والشعراء في بلاطهم قليلة ، باستثناء رجل
مثل اليهودي أبي الفضل حسداى وزير المؤمن بن هود ، وكان له اهتمام كبير بالعلوم
والطب والشعر والموسيقى . وسندع — إلى حين — ابن جبيرول (Avicibrón)
وكان شاعراً فيلسوفاً يهودياً ، لجأ فترة من الوقت إلى بلاط سرقسطة ، ونجتمزى
هنا بذكر يحيى الجزائر ، وأبي بكر محمد بن باجة التجيبي المعروف بابن الصائغ ،
وهو فيلسوف ممتاز (انظر ف ١٠٦) وموسيقى جليل ومؤلف موشحات وآثار
شعرية أخرى . ومما يؤثر عنه أن الموت عدا على صاحب له ف قضى ليلة كاملة عند
قبره ، وكان يعلم — لمعرفته بالفلك — أن القمر سيخسف تلك الليلة ، فظلم بضعة
أبيات ، وقبل أن يمحن موعد استتار القمر بلحظات أنشدها بلحن محزن يفيض
شجواً (١٩٩) .

ولما حضرته الوفاة كان ينشد :

أقول لنفسي حين قابها الردى

فراغت فراراً منه يُسرى إلى يُمنى :

قرى ، تحملى بعض الذى تكرهينه

فقد طالما اعتدت الفرار إلى الأهنى (٢٠٠)

٤ — عصر المرابطين

ابن خفاجة الشقري — ابن الزقاق — أبو الصلت أمية الداني

ف ٣٩ :

يعتبر عصر سيادة المرابطين على الأندلس عصر تأخر وانكماش للثقافة الأندلسية ، فقد كان يوسف بن تاشفين — أول أمراء هذه الدولة — لا يكاد يفقه العربية . أما خلفاؤه « فلم تلبث الثقافة الأندلسية أن غلبتهم على أمرهم ، فأصبحوا أقرب إلى الأندلسيين منهم إلى الأفارقة » كما يقول غرسية غومس ؛ وتولى الكتابة عنهم نفر من أهل الأدب الأندلسيين ، من أمثال ابن عبدون ، وبنى القبطورية ، وابن أبي الخصال (المتوفى عام ١١٤٥/٥٤٠) ، والصيرفي (المتوفى عام ١١٧٤/٥٧٠) .

ومن أعلام من ظهر في ذلك العصر ابن خفاجة وابن أخته ابن الزقاق .

أما ابن خفاجة الشقري (١٠٥٨/٤٥٠ — ١١٣٨/٥٣٣) فقد وصفه ابن

سعيد بقوله : « شاعر الأندلس في وصف الأزهار والأنهار وما أشبهه » (٢٠١) . وقد

نقبه الناس بالجنان ، لكثرة ما وصف الرياض ، وإليك نموذجاً من شعره :

لله نهر سال في بطحاء أشهى وروداً من لى الحسناء

متعطف مثل السوار كأنه والزهر يكفنه بجر سماء

قد رق حتى ظن قرصاً مفرغاً من فضة في بردة خضراء

وغدت تحف به العصون كأنها هُدْب تحف بمقلة زرقاء
 وطلالما عاطيت فيه مدامة صفراء تخضب أيدي الندماء^(٢٠٢)
 ومن المشهور المتداول قوله يتغزل :

غزالية الأخطا ريمية الطلى مُدامية الأملى حبايبية الثغر
 ترشح في موشية ذهبية كما اشتبكت زهر النجوم على البدر
 وقد خامت ليلاً علينا يد الهوى رداء عناق مرزقه يد الفجر^(٢٠٣)

ويقول غرسية غومس في «روضيات» ابن خفاجة : «إنها سائفة بديعة ،
 تصدر عن طبع فنى لماع ، فتبدو وكأنها مشاهد خيالية ، أو مجالس أنس خيرية ؛
 ويمكن القول بأنه سبق بها شعراءنا في وصف الطبيعة على النحو الذى نعرفه .
 وقد كان أثر طريقة ابن خفاجة عظيماً بعيداً ، حتى لنلمس آثار هذا «الأسلوب
 الخفاجى» إلى نهاية عصر غرناطة» .

وأما ابن الزقاق ، فالسرفى براعته يرجع إلى تلك الألوان الرقيقة التى يابجأ
 إليها ليغير من صور التشبيهات التى ملها الناس لكثرة تواردها ، «فتلطف لذلك
 فى أن يأتى به [أى بالمعنى] فى منزع يصير خَلقه فى الأسماع جديداً ، وكليله فى
 الأفكار جديداً ، فأغرب أحسن إغراب ، وأغرب عن فهمه بحسن تخيله أنبل
 إغراب» — كما يقول الشقندى^(٢٠٤) .

ويعتبر كلا الشاعرين — ابن خفاجة وابن الزقاق — الذروة العليا للشعر
 القديم المجدد ، مثلهما فى ذلك مثل جُنَجْرَه فى الأدب الإسپانى ، وليس بعدهما
 إلا تقليد أو انحدار^(٢٠٥) .

أما ابن الزقاق (١٠٩٦/٤٩٠ — ١١٣٥/٥٣٠) — ابن أخت ابن
 خفاجة — فله خمریات بديعة ، كقوله :

أديراها على الروض المندى وحكم الصبح فى الظلماء ماضى
 وكأس الراح تنظر عن حباب ينوب لنا عن الحدق المراض

وما غربت نجوم الأفق لكن نقلن من السماء إلى الرياض^(٢٠٦)
 وإلى جانب نهر غدير من الشعراء المحدثين — من أمثال ابن بقي القرطبي
 (توفي ١١٤٥/٥٤٠) صاحب الغزل الرقيق^(٢٠٧) ، والأعشى التطيلي^(٢٠٨) (توفي
 ١١٢٦/٥٢٠) وقد عاش في إشبيلية وعلا أمره فيها — ظهر نفر من الزجالين
 والشاحين وأصحاب الشعر الذي لا احتشام ولا عفة فيه ، كزهون بنت القلاعي
 تلميذة الخزومي^(٢٠٩) التي كانت تعارض أبا بكر بن سعيد الوزير الغرناطي معارضات
 تم عن ذكاء ، والكتندي^(٢١٠) الذي أكثر من التغنى بجمال الوادي الكبير
 نهر إشبيلية ، وغيره كثيرون ممن سبقوا ابن قزمان إلى أفكاره ومعانيه ؛ وسندرسها
 فيما بعد عند إلامنا بأزجاله .

ويمتاز هذا العصر بظاهرة أدبية أخرى جديدة بالذكر ، وهي هجرة الكثيرين
 من أهل العلم والأدب من الأندلسيين إلى المشرق ، حاملين معهم علومهم وثقافتهم ؛
 ومن أمثلة ذلك أبو الوليد الطرطوشي (ف ٥٦) ، وأبو الصلت أمية الداني
 (١٠٦٧/٤٦٠ — ١١٦٥/٥٦١)^(٢١١) الذي خرج إلى المشرق وتجلت مواهبه

الأدبية في الإسكندرية ومصر وتونس ، ومن أمثلة شعره قوله في هجرة طيب :

ومحرورة الأحشاء لم تدر ما النوى ولم تدر ما يلتقي الحب من الوجد

إذا ما بدا برق المدام رأيتها تثير غماماً في الندى من النداء

ولم أر ناراً كلما شب جمرها رأيت الندامى منه في جنة الخلد^(٢١٢)

ولأبي الصلت مجموع من مختارات شعر الأندلسيين ضامى به « يتيمة الدهر »
 للعالي ، وله « الرسالة المصرية » ومؤلفات أخرى كثيرة في الطب والفلك
 والموسيقى والهندسة والمنطق (ف ١٠٤) .

يبد أن الاهتمام الأكبر أتجه في هذا العصر إلى مجموعات مختارات النظم
 والنثر ، كما نرى في « ذخيرة » ابن بسام (ف ٩٠) و« قلاند العقيان » لابن
 خاقان (ف ٩١) .

٥ - عصر الموحدين

أبو جعفر بن سعيد وحفصة الركونية — حمدة بنت زياد المؤدب —
 ابن زهر — ابن صفر — ابن سهل — صفوان بن إدريس — أبو البقاء
 الرندي — ابن الأبار — أبو الحجاج اليباسي — علي بن سعيد المغربي

ف ٤٠ :

اضمحل سلطان المسلمين في شبه الجزيرة اضمحلالاً واضحاً خلال عصر الموحدين ، وخفت في أثنائه قوة الأثر الذي كان للشرق على الأندلس ، وتلاشت السياسة التقليدية التي عرفها الأندلس الإسلامي طوال تاريخه قبل ذلك ، وهي سياسة التسامح بين المسلمين والنصارى ، وبدأ المستعربون يتطلعون إلى الوثوب بالمسلمين^(٢١٣) ، وزادت أزمتهم حدة مع الزمن ، وعندما توالت انتصارات النصارى على مسلمي الأندلس واستولوا منهم على المعاقل واحداً بعد واحد ، أصبح معتمد الأندلسيين على الأمداد المغربية ، وكانت نتيجة ذلك أن أهل المغرب نظروا إلى الأندلسيين نظرة الاستصغار والاستضعاف ، وانبرى الأندلسيون ينتصفون لأنفسهم ، ورسالة أبي الوايد الشقندي^(٢١٤) إن هي إلا مظهر لهذا المنزع عند الأندلسيين .

وقد مضى الأندلسيون خلال هذا العصر في دراسة الفلسفة والعلوم قديماً ، وأنشأوا في ميدان الفن عمائر جليلة ذات خطر ، كالمنازة الرائعة التي عرفت فيما بعد بالخيرالدا (La Giralda)^(٢١٥) في إشبيلية ، وكذلك استمر الاهتمام بالشعر والحماسة له ، وكان خلفاء الموحدين إذا ألموا بالأندلس جلسوا للشعراء يستمعون لأمداحهم وكانت كثيرة جداً ، حتى لقد حكى صاحب « كتاب روح الشعر ودوح الشجر » وهو الكاتب أبو عبد الله محمد بن الجلاب الفهري ، أن أمير المؤمنين يعقوب المنصور لما قفل من غزوة الأراك (= الأرك) المشهورة ، وكانت يوم الأربعاء ٩ شعبان سنة ١١٩٤/٥٩١ ، ورد عليه الشعراء من كل قطر يهنئونه ، فلم يتمكن

لكثرتهم أن ينشد كل إنسان قصيدته ، بل كل يختص منها بالإشاد البيتين
والثلاثة المختارة ، فدخل أحد الشعراء فأنشده :

ما أنت في أمراء الناس كلهم إلا كصاحب هذا الدين في الرسل
أحييت بالسيف دين الماشي كما أحياء جدك عبد المؤمن بن علي

فأسر له بالني دينار ، ولم يصل أحداً غيره لكثرة الشعراء ، وأخذاً بالمثل :
« منعُ الجميع أرضي للجميع » . قال : « وانهت رقاع القصائد وغيرها إلى أن
حالت بينه وبين من كان أمامه لكثرتها » (٢١٦) .

ومن ظهر أمره من شعراء هذا العصر وعلا نجمه في بلاط الموحدين أبو جعفر
أحمد بن عبد الملك بن سعيد العنسي (المتوفى سنة ١١٦٣/٥٥٩) وهو من
تلاميذ ابن خنافة . وكان يمتاز بخلق سمح جميل وذهن دقيق ، وكان يؤثر الدعة
والراحة على متاعب الاضطلاع بشؤون الدولة ، وكان مولعاً بحفصة بنت الحاج
الشاعرة الفرناطية الذائمة الصيت الملقبة بالركونية ، وهي نسبة أبيها ، وكانت تحمل
في عصر الموحدين مكانة ولادة في قرطبة بنى جمهور . وكان ولعه بها سبب موته .

استمتع أبو جعفر وحنفة بهواهما زماناً ، وأفصح كل منهما عن مشاعره في
شعر كثير . وبعض أبيات حنفة تنم عن روح تهكم فكاهة لطيف . من ذلك أن
أبا جعفر قال الأبيات التالية بعد أن نعم بليدة مع صاحبته في خيمة بحور مؤمل :
رعى الله ليلاً لم يرع بمنم عشيّة وارانا بحور مؤمل .
وقد خفقت من نحو نجد أريجة إذا نفحت هبت بريا القرنفل
وغرد قري على الدوح واثنى قضيب من الريحان من فوق جدول
يرى الروضُ مسروراً بما قد بدا له : عناق وضم وارشاف مقبل (٢١٧)

فأجابته حنفة بأبيات تدعوه فيها إلى ترك التحليق مع الخيال والهبوط

إلى الحقيقة الواقعة :

لعرك ماسر الرياض بوصلنا ولكنه أبدى لنا النل والحسد

ولا صفق النهر ارتياحاً لقربنا ولا صدح القمري إلا لما وجد
فلا تحسن الظن الذي أنت أهله فإهو في كل المواطن بالرشد
فما خلت هذا الأفق أبدى نجومه لأمر سوى كما تكون لنا رصد^(٢١٨)
وينسب إلى الركونية هذان البيتان :

أغار عليك من عيني رقيبى ومنك ومن زمانك والمكان
ولو أنى خبأتك في عيوني إلى يوم القيامة ما كفانى^(٢١٩)

ويشء القدر أن يتعلق بحفصة كذلك ابن الخليفة عبد المؤمن يسمى « أبو سعيد » وكان والياً على غرناطة ، وكان أبو جعفر لا يوقره ويجاهر بالزراية به^(٢٢٠) .
ثم خرج من غرناطة ، واشترك في تدبير على الموحدين أحكمه نفر من أصحاب محمد ابن مردانيس المنتزى على الموحدين في بلنسية ، وكان الإسبان يسمونه بـ « الرئى لوبو » أى « الملك لب » . وقد انكشف أمر هذه المؤامرة وأبو جعفر فى مالقة بهم بركوب البحر إلى بلنسية ، فقبض عليه وأودع السجن ثم قتل سنة ١١٦٣/٥٥٩ وقد زاره فى محبسه قبل قتله صديق له ، فدمعت عيناه حيناً رآه مكبولا فقال له :
« أعلى تبكى بعدما بلغت من الدنيا أطايب لذاتها ، فأكلت صدور الدجاج ، وشربت فى الزجاج ، ولبست الديباج ، وتمتعت بالسراى والأزواج ، واستعملت من الشمع السراج الوهاج ، وركبت كل هملاج ؟ وما أنا فى يد الحجاج ، منتظراً محنة الحلاج ، قادم على غافر لا يحتاج ، إلى إعدار ولا احتجاج » . قال ابن عمه الذى سمع هذه المقالة : « أفلا يؤسف على من ينطق بمثل هذا الكلام ويفقد^(٢٢١) »
وعندما بلغ حفصة^(٢٢٢) خبر صاحبها لبست الحداد وحزنت عليه حزناً شديداً ، وجعات تنحى على نفسها باللائمة أن كانت سبب هلاك هذا المسكين .

ويغلب أن حمدة بنت زياد المؤدب عاشت فى ذلك العصر ، وكانت تلميذة للبراق ولقيت شهرة عظيمة فى المشرق خاصة ، ومن أبياتها التى طارت كل مطار فى الأندلس قولها :

ولما أبى الواشون إلا فراقنا وليس لم عندى وعندك من ثار
 وشنوا على أسمعنا كل غارة وقلتُ حثاني عند ذاك وأنصاري
 غزوتهم من ناظريك وأدمعي ومن نفسى بالسيف والسيل والنار (٢٢٢)
 وتنسب هذه الأبيات في بعض الأحيان لأختها زينب .

ف ٤١ - أبو بكر محمد بن زهر (١١١٣/٥٠٧ - ١١٩٩/٥٩٦) :

من سلالة دوحه بنى زهر التي أنجبت نقرأ من مشاهير الأطباء . برع أبو بكر
 في نظم الموشحات ، وله كذلك شعر جيد ، كآيائه التي يصف فيها فعل الحجر
 في الرؤوس ، ومنها هذه الأبيات التي أوصى أن تكتب على قبره :

تأملُ بِحَقِّكَ يا واقفاً ولاحظ مكاناً وقمنا إليه
 ترابُ الضريح على وجنتي كأنى لم أمش يوماً عليه
 أداوى الأنام حذار المنون وها أنا قد صرت رهناً لديه (٢٢٤)

وكان ابن جبير الرحالة شاعراً محسناً يقول المقطعات الجميلة بين الحين والحين ،
 وشعره ذو معان فلسفية كقوله :

الناس مثل ظروفٍ حشوها صبر وفوق أفواها شيء من العسل
 تفر ذائقها حتى إذا كشفت له تبين ما تحويه من دخل (٢٢٥)

وتحمل كتب الأدب بذكر نفر غفير من شعراء هذا العصر نذكر منهم
 ميمون بن الخبازة (٢٢٦) ، ويحيى بن مُجَبَّر (توفي ١١٩١/٥٨٧) المسمى ببحتري
 الأندلس (٢٢٧) ، وأبا أحمد بن حيون (٢٢٨) ، وعبد البر بن فرسان (٢٢٩) ، ويحيى بن
 غانية الميورقي (٢٣٠) ، وابن الرفاء (٢٣١) الذي أبدع في وصف نافورة ، ومحمد بن صفَر (٢٣٢)

الذي تغنى بجمال وادى التريّة وصور المد في مدخل « الوادى الكبير » بقوله :

حيث الجزيرة والخليجُ يفهما يشكو إليها ، كى تجيب جواره
 شق النسيم عليه جيب قيصه فانساب من شطيه يطلب ثاره
 (٩٠)

فتضاحكت وُرق الحمام بدوحه هزءاً ، فضم من الحياء إزاره
 ومن استلهم « الوادى الكبير » طرفاً من شعره إبراهيم بن سهل المتوفى سنة
 ١٢٥١/٦٤٩ وكان يهودياً فأسلم ، وأدرك شهرة عظيمة لأنه « اجتمع فيه ذلان :
 ذل العشق وذل اليهودية » ، قال ابن سهل :

وكأنما الأنشام فوق جنانه أعلامٌ خز فوق سُمرِ رماح
 لا غرو أن قامت عليه أسطراً لما رآته مُدرِّعاً لكفاح
 وإذا تتابع موجُّه لدفاعها مالت إليه ، وظل حلف صياح^(٢٣٣)
 ووصف الرصافي (المتوفى ١١٧٧/٥٧٢) النهر في أبيات رائعة :

ومهدل الشطين تحسب أنه مُتسَّيل من درة لصفائه
 فاءت عليه مع المبحيرة سرحة صدئت لقيثها صفيحة مائه
 وتراه أزرق في غلالة سندس كالدارع استلقى لظل لوائه^(٢٣٤)

أما أبو بجر صفوان بن إدريس (١١٦٥/٥٦١ - ١٢٠٢/٥٩٨) صاحب
 « زاد المسافر » ، فقد كان شاعراً محسناً يهدى مقطعات نسيبه إلى من يتغزل
 فيه ، كقوله :

يا حسنه ، والحسنُ بعض صفاته والسحر مقصور على حرركاته
 بدر لو أن البدر قيل له : اقترح أملاً ، لقال : أكون من هالاته
 وإذا هلالُ الأفق قابل شخصه أبصرته كالشكل في مرآته
 والخال يَنْقُط في صحيفة خده ما خط فيها الصدغ من نوناته
 صاحبته ، والليل يُدنى تحته نارين من نفسى ومن وجناته
 وضمته ضمَّ البخيل لماله أحنو عليه من جميع جهاته
 أوثقتُه في ساعدى لأنه ظي أخاف عليه من قلماته
 وأبى عفانى أن أقبل ثمره والقلب مطوى على جهراته
 فاجبٍ للتهب الجوانح غلة يشكو الظما ، والماء في لهواته^(٢٣٥)

ف ٤٢ — أبو البقاء الرندي :

والى جانب من ذكرنا كان هناك شعراء تروى لهم الأبيات فى كتب الأدب ،
ولكن طبقاتهم فى الشعر لم تكن عالية ، ومن هؤلاء محمد بن عبد الرحمن النسائى
(١١٧٢/٥٦٨ — ١٢٢٢/٦١٩) الذى قال شعراً كثيراً فى أنساب العرب أورده
ابن الخطيب فى « الإحاطة »^(٢٣٦) ، وأبو القاسم إبراهيم بن فرقد (الذى عاش
فى النصف الثانى من القرن الثانى عشر) وهو من مَوْرور ، وله شعر كثير وصف
به قرطبة ومسجدها الجامع وإشبيلية ومورور ، وله كذلك قصائد يبكى فيها مصير
الأندلس^(٢٣٧) ، وأبو الربيع بن سالم^(٢٣٨) (١١٦٩/٥٦٥ — ١٢٣٦/٦٣٤) وكان
تلميذاً لابن زهر وقد ضاع معظم شعره ، وقد اشتهر أمره ببلاغته ومعرفة بالحديث .
وأولى أولئك جميعاً بالذكر أبو البقاء صالح بن شريف الرندى ، وقد ظهر
أمره وبقي ذكره بقصيدة يندب فيها ما اقتطعه من الأندلس فرناندو الثالث وجاقمه
الأول (Jaime1) ، وإليك أطرافاً منها :

ككل شىء إذا ما تم نقصان	فلا يُغرُّ بطيب العيش إنسان
هى الأمور — كما شاهدتها — دول	من سره زمن ساءت له أزمان
وهذه الدار لا تبقى على أحد	ولا يدوم على حال لما شان
أين الملوك ذوو التيجان من يَمَن ؟	وأين منهم أكاليل وتيجان ؟
وأين ما شاده شداد فى إرم ؟	وأين ما ساسه فى القرس ساسان ؟
[دهمى الجزيرة أمر لا عزاء له	هوى له أحد وانهدَّ شهان]
أصابها العين فى الإسلام فامتحننت	حتى خلت منه أقطار وبلدان
فأسأل بلنسية : ما شأن مرسية	وأين شاطبة ، أم أين جيان ؟
وأين قرطبة ، دار العلوم ، فكم	من عالم قد سما فيها له شان ؟
وأين حص ، وما تحويه من نزه	ونهرها العذب فياض وملآن ؟
[بالأمس كانوا ملوكاً فى منازلهم	واليوم هم فى بلاد الكفر عبدان]

[فلو ترام حيارى لا دليل لهم عليهم من ثياب الذل ألوان]
 [ولو رأيت بكام عند ييهم لهالك الأمر واستهوتك أحزان]
 [يارُبِّ أمٍ وطفلي حيل بينهما كما تفرق أرواح وأبدان]
 وطفلةٍ مثل حسن الشمس إذ طلعت كأنما هي ياقوت ومرجان
 يقودها العليج للمكروه مكرهة والعين باكية والقلب حيران
 لمثل هذا يذوب القلب من كد إن كان في القلب إسلام وإيمان (٢٣٩)
 وقد وردت هذه القصيدة كذلك في « أزهار الرياض » للمقرئ (القاهرة
 ١٩٣٩) ج ١، ص ٤٧ — ٤٩؛ وجاء اسم الرندي هناك : أبو الطيب صالح
 ابن شريف .

وقد طار ذكر هذه القصيدة وتداولها الناس ، وبلغ من إعجابهم بها أن
 أضافوا إليها فيما بعد فقرات عن ضياع مدن أندلسية أخرى استغلها النصارى بعد
 ذلك مثل بسطة وغرناطة . ويقول المقرئ في شأن هذه الزيادات : « ومن له أدنى
 ذوق علم أن ما زيد فيها من الأبيات ليست تقاربها في البلاغة ؛ وغالب ظني
 أن تلك الزيادة لما أخذت غرناطة وجميع بلاد الأندلس ، إذ كان أهلها يستهضون
 هم الملوك بالشرق والمغرب ، فكان بعضهم لما أعجبته قصيدة صالح بن شريف زاد
 فيها تلك الزيادات » (٢٤٠) .

وقد ترجم خوان فاليرا هذه القصيدة إلى شعر إسباني في نفس البحر الشعري
 الذي صاغ فيه شاعر إسباني هو خورخيه مانريك Jorge Manrique قصيدة
 مشابهة لها في الروح — في رأى فاليرا — وقد صاغها في قالب الفقرات coplas ،
 بيد أن للدق يستبين أن قصيدة الرندي لا تشبه قصيدة مانريك إلا في ترجمة
 فاليرا الشعرية البديعة فحسب (٢٤١) ، أما الأصل العربي فبعيد عن ذلك . وعلى من
 يريد أن يدرس هذا الموضوع أن يفعل ذلك والأصل العربي بين يديه .

ف ٤٣ - ابن الأبار :

يقول غرسية غومس : « وكان من الدلائل الواضحة على اضمحلال الأندلس مغادرة الكثيرين من أعلامه إياه إلى غير رجعة . فلم يعد الأندلسيون يخرجون إلى المشرق لطلب العلم ثم يعودون محملين بذخائر علومه ، كما كانوا يفعلون قبل ذلك ، وإنما أصبحوا يبرحون الأندلس بزاد حافل من المعارف الأندلسية وينشرونها في أقطار نائية . وهذا ما وقع لرجال كأبي الحسين بن جبير (وقد عاد إلى الأندلس) والصابوني والشُّستري ، ومحيي الدين بن عربي ، وهو أم هؤلاء جميعاً . وقد لجأ إلى بلاط الحفصيين في تونس نفر من علماء الأندلس وشعرائه مثل حازم القرطاجني (١٢١١/٦٠٨ - ١٢٨٥/٦٨٤) صاحب « القصيدة المقصورة » (التي قام على شرحها الشريف الفرناطلي ١٢٩٧/٦٩٧ - ١٣٥٩/٧٦١) وهي مرثية مشبوبة العاطفة للأندلس تتضمن ذكريات كثيرة عما كان للناس في نواحي مرسية وقرطاجنة من مسرة ومتاع . ومن أولئك اللاجئين إلى تونس أبو الحجاج البياسي (١١٧٧/٥٧٣ - ١٢٥٥/٦٥٣) وكان لغويًا مؤرخًا شاعرًا ذا إلمام نادر بما قالته العرب من شعر في الجاهلية والإسلام حتى ليقال إنه كان يحفظ « حماسة » الطائي و « ديوان » المتنبي وكل ما قاله السبعة المتقدمون من شعراء الجاهلية ، وغير ذلك كثير . وقد وضع كتابًا سماه « الحماسة » ضمنه الكثير من الحكايات والأشعار وأخبار الشعراء وما إلى ذلك ، وأورد ابن خلكان أطرافاً منه .

وأم أولئك جميعاً أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن الأبار القضاعي ، فقد وصل إلينا من شعره أبيات جميلة رقيقة في النسيب ، وقصيدة ذاتمة الصيت ألقاها بين يدي أبي زكريا بن أبي حفص ، وكان قد قصده في سفارة أرسلها الأمير « زيان ابن أبي الحملات » الموحدى صاحب بلنسية في ذلك الحين ، وكان صاحب برشلونة قد ألح عليها بالحصار ، قال فيها :

أدرك بحيلك ، خيل الله ، أندلسا
وهب لها من عزيز النصر ما التمسَتْ
وحاشَ مما تعانيه حشاشتها
يا للجزيرة أضحى أهلها جُزُرًا
في كل شارقة إلام باثقة
تقاسم الروم ، لاناك مقاسمهم
وفي بلنسية منها وقرطبة
مدائن حلها الإشراكُ مبتسا
وصيرتها العوادي العائثات بها
فن دساكر كانت دونها حرما
يا للمساجد عادت للعدى ييما
إن السبيلَ إلى منجاتها درسا
فلم يزل منك عن النصر مُلتَمَسَا
فظالما ذاقت البلوى صباحَ مسا
للحادثات وأمسى جدها تمسا
يعود مآتمها عند الصدى عُرُسا
إلا عقائلها المحجوبة الأنسا
ما ينسف النفس أو ما ينزف النفسا
جدلان وارتمل الإيمان مبيتسا
يستوحش الطرف منها ضعف ما أنسا
ومن كنائس كانت قبلها كنسا
وللنداء غدا أثناءها جرسا^(٢٤٢)

وله أبيات رقيقة قالها في حديقة ياسمين :

حديقة ياسمين لا تهيم بغيرها الحدق
إذا جفن النعام بكى تبسم ثمرها اليقق
كأطراف الأهله سا ل في أنفائها الشفق^(٢٤٣)

ومن بديع شعره الأبيات التالية في « الساقية » :

لله دولاب يدور كأنه
نصبته فوق النهر أيدٍ قدَّرتْ
فكأنه — وهو الطليق — مقيد
للماء فيه تصعد وتمدر
هامت به الأحداق لما نادمت
فلك ، ولكن ما ارتقاه كوكبُ
ترويحه الأرواح ساعة يُنصب
وكانه — وهو الحيس — مسيب
كالمرن تستقى البحار وتسكب
منه الحديقة ساقياً لا يشرب^(٢٤٤)

ولأبي الحسن علي بن سعد الخير أبيات في هذا المعنى .^(٢٤٥)

ف ٤٤ — علي بن سعيد المغربي (٢٤٦) :

وآخر من ظهر من أعلام الشعر خلال هذا العصر هو علي بن سعيد المغربي (١٢١٣/٦١٠ — ١٢٧٤/٦٧٣) الذي سنتحدث عنه كزورخ فيما بعد، وبتناول الآن جانبه كعلم من كبار مصنفى مجموعات النظم والنثر، وبين أيدينا الآن كتابه الشيق «رايات المبرزين وغايات المميزين» (نشره إميليو غرسية غومس مع ترجمة إسبانية في مدريد عام ١٩٤٢) وهو مجموع من مختار الشعر انتقاء من كتابه «المغرب» وأهداه إلى أبي الفتح جمال الدين موسى بن يُغمور (٥٩٩/١٢٠٣ — ٦٦٣/١٢٦٥) من كبار رجال الدولة المصرية على عهد الملك الصالح وتوران شاه وبيبرس. والكتاب ينقسم قسمين : واحد عن شعراء الأندلس والثانى عن شعراء إفريقية. والقسم الأول يتناول الكلام عن شعراء وسط الأندلس وغربه وشرقه ثم يلم بأخبار شعراء جزيرة يابسة، وإنما اقتصر على هذه الجزيرة دون بقية الجزائر الشرقية (البليار) لأنه لم يجد شعراء ذوى قدر إلا بها. والقسم الثانى مرتب كذلك على أقسام أربعة : مراکش والمغرب الأوسط وتونس وصقلية.

والكتاب يتناول الكلام عن مائة وأربعين شاعراً أورد المؤلف لم أربع عشرة وثلاثمائة مقطوعة من الشعر، والشعراء مرتبون بحسب المدن (إشبيلية، قرطبة، غرناطة، طليطلة، دانية، طرطوشة، تطيلة، الخ)؛ وشعراء كل بلد مقسمون طبقات بحسب مراتبهم (المؤك، والوزراء، والسادة، والفقهاء، والشعراء، الخ) ومرتبون ترتيباً زمنياً بحسب القرون التى ظهوروا فيها، ويتناول الكلام الفترة الواقعة بين زوال خلافة قرطبة والقرن الثالث عشر الميلادى.

وقد أورد ابن سعيد فى هذا المجموع نحو ثلاثين نموذجاً من شعره، وهو يحدثنا عن ولعه بالتفنن فى وصف الريح والنصن كقوله :

الريح أقود ما تكون فاتها تبدى خفايا الرُدف والأعكان

وتَمِيلُ الأَغصَانُ بعدَ إِبَاتِهَا حَتَّى تَقْبِلَ أَوْجِهَ الغَدْرَانِ
ولِذَلِكَ العِشَاقُ يَتَخَذُونَهَا رِسَالًا إِلَى الأَحْبَابِ وَالإِخْوَانِ^(٢٤٧)
وَيَقُولُ مُتَحَدِّثًا عَنِ نَفْسِهِ : وَمَا لَمْ يُسْبِقِ المَلُوكُ إِلَيْهِ قَوْلُهُ :
وَانظُرْ إِلَى مَفْحِ الخَلِيجِ كَطَائِرٍ لَقِيَ الصَّبَامَ مِنْ مَوْجِهِ بِجَنَاحِ
وقوله :

والشمس من ألم الفراق مريضة مدت لتوديع البحيرة راحا^(٢٤٨)
وقد طار اسم ابن سعيد في القرن الماضي (في إسبانيا) بأبيات ترجمها له
خوان فاليرا في شعر إسباني جميل يتحدث فيها عن وطنه وحبه له يقول فيها :
هذه مصر ، فأين للغرب ؟ مذ نأى عنى دموى تسكب
فارقته النفسُ جهلا إنما يُعرَفُ الشَّيْءُ إِذَا مَا يَذْهَبُ
أينِ حِصْنُ ؟ أينِ أَيامِي بها ؟ بعدها لم ألق شيئا يعجب
كم تقضى لي بها من لذة حيث للنهر خريز مطرب
وحمامُ الأيكَ تشدو حولنا والمثاني في ذراها تصخب
أى عيش قد قطعناه بها ذكره من كل نُعمى أطيّب
ولسكم بالمرج لي من لذة بعدها ما العيش عندي يعذب
والنواعير التي تذكراها بالنوى عن مهجتي لا يُسَلِّبُ
ولسكم في شنتبوس من منى قد قضيناها ولا من يعتب
وغنماء كل ذى فقر له سامع غصبا ولا من ينصب
بلدة طابت ورب غافر ليتنى مازلت فيها أذنب
أين حسنُ النيل من نهر بها كل نغمت لديه تطرب
كم به من زورق قد حلّه قرّ ساقٍ وعودٍ يُضْرَبُ
... ..

وإلى مالمّة يهفو هوى قلبُ صَبِّ بالنوى لا يُقَلِّبُ

أين أبراج بها قد طلما حث كاسى فى ذراها كوكب
جاءت الريح بها ثم اثنت أتراها حذرت من ترقب
... ..

هذه حال وأما حالى فى ذرى مصر ففكر متعب
[أسمعْت أذنى عماليتها لم تصدق ويحها من يكذب]
[وكذا الشيء إذا غاب انتهوا فيه وصفاً كى يميل الغيب]
ها أنا فيها فريد مهمل وكلامى ولسانى مُعرب
وأرى الألاحظ تنبو عندما أكتب الطرس ، أفيه عقرب؟ (٢٤٩)

٦ - مملكة غرناطة

ابن الخطيب - ابن زمرك

ف ٤٥ - ابن الخطيب (كشاعر) :

كان الشعر الأندلسى خلال العصر الغرناطى (١٢٦٦/٦٦٥ - ١٤٩٢/٨٩٨) يلفظ آخر أنفاسه ، مثله فى ذلك مثل غيره من فروع الثقافة الإسلامية فى الأندلس : كانت كلها تعيش على أصداء الماضى . ولقد قسم غرسية غومس - فى بحثه عن ابن زمرك - العصر الغرناطى من الناحية الثقافية إلى ثلاث فترات : فترة غلب فيها التأثير النصرانى ، وكان ذلك على أول أيام دولة بنى نصر ، إذ كان أولئك الأخيرون أفصلاً (أتباعاً) صرحاء لملوك قشتالة ، والفترة الثانية - خلال القرن الرابع عشر الميلادى - فترة بين بين ، اختلطت فيها المؤثرات للمسيحية بالمؤثرات الشرقية الإفريقية . أما الفترة الثالثة - خلال القرن الخامس عشر - فقد غلب فيها الطابع الإفريقى المشرقى على مملكة غرناطة وثقاتها بصورة واضحة جداً . وذكر غومس كذلك أنه خلال الفترة الثانية ، كانت عناصر الحضارتين : المسيحية الغربية والمشرقية الإفريقية ، تتفاعل هذا التفاعل الذى سيتولد عنه فيما بعد كيان سياسى ثقافى خاص^(٢٥٠) . ولقد عبّر ابن خلدون عن ذلك بأجلى بيان فى مقدمته ، وذلك حيث

قال : « وكأني بالشرق قد نزل به مثل ما نزل بالمغرب ، لكن على نسبته ومقدار عمراته ، وكأنا نادى لسان السكون في العالم بالتحول والانتقاض ، فبادر بالإجابة ، والله وارث الأرض ومن عليها . وإذا تبدلت الأحوال جملة ، فكأنا تبدل الخلق من أصله ، وتحول العالم بأسره ، وكأنه خلق جديد ونشأة مستأنفة وعالم محدد » (٢٥١) .

وتبدي لنا في عالم الشعر خلال هذا العصر شخصيتان تكادان تكونان فريدتين في بابهما : الأولى شخصية ابن الخطيب (٧١٣/١٣١٣ - ٧٧٦/١٣٧٤) أكبر مؤرخي ذلك العصر وأعظم شعرائه . ونذكر من شعره قصيدته العصماء التي وجه بها إلى أبي عنان سلطان بني مرين — وكان قصده موفداً من قبل سلطانه محمد الغني بالله لاستنصاره على مغالبة النصارى — ومطلعها :

خليفة الله ، ساعدَ القدرُ علاك ، ملاح في الدجى قرُّ
ودامتْ عنك كفُّ قدرته ما ليس يستطيع دفعه البشر
وجهك في الثائبات بدر دجى لنا ، وفي المحل كفك المطر
والناس طراً بأرض أندلس لولاك ما أوطنوا ولا عمروا (٢٥٢)

وله قصيدة أخرى نما فيها نحو القديما وجه بها إلى السلطان أبي سالم سلطان مراکش ، يسأله فيها أن يجير محمد بن يوسف بن إسماعيل بن نصر المخلوع عن عرش غرناطة مطلعها :

سلا ، هل لديها من مخبئة ذكر
وهل باكر الوشمي داراً على اللوى
بلادي التي عاطيت مشموله الهوى
وجوئى الذي ربي جناحي وكره
وهل أعشب الوادي ونم به الزهر
عفت آيها إلا التوهم والذكر
بأكفافها ، والعيش فينان مخضر
فها أنا ذا مالي جناح ولا وكر
ويقول فيها :

أقول لأعلماني وقد غلما الشرى وأنسها الحادي وأوحشها الزجر

رويديك ، بعد العسر يسر فأبشري يا إنجاز وعد الله ، قد ذهب العسر
ويقول فيها :

قصدناك يا خير الملوك على النوى
كففتنا بك الأيام عن غلوائها
لتنصفنا مما جنى عبدك الدهر
وقد رابنا منها التعسف والكبر^(٢٥٣)

وله أبيات جيدة أوحاها إليه وقوفه بقبر المعتمد بن عباد قال فيها :

قد زرتُ قبرك عن طوع بأغمت
لم لا أزورك يا أندى الملوك يداً
وأنت من لو تخطى الدهر مصرعه
أنافَ قبرك في هضب يميزه
كرمتَ حياً وميتاً واشتهرتَ عليّ
فأنت سلطان أحياء ، وأموات
مارؤى مثلك في ماض ، ومعقدي
ألا يُرى الدهر في حال ولا آت^(٢٥٤)

ونحتم حديثنا عن ابن الخطيب الشاعر بهذه الأبيات الفياضة بصدق العاطفة
وجلال الإيمان ، التي قالها في محبسه « يتوقع مصيبة الموت فتجيش هواتفه بالشعر
يبكي نفسه » :

بُعدنا وإن جاورتنا البيوت
وأفانسا سكنت دفعة
وكننا عظاماً ، فصرنا عظاماً
وكننا شمس سماء العلى
فقل للعدي : ذهب ابن الخطيب
فمن كان يفرح منكم له
وجثنا بوعظ ونحن صموت
كجهر الصلاة تلاه القنوت
وكنا نقوت ، فها نحن قوت
غرُبن ، فباحث علينا البيوت
ب وقات ، ومن لا يفوت ؟
قل : يفرح اليوم من لا يموت^(٢٥٥)

ف ٤٦ — ابن زمر :

أما الشخصية الثانية ، وآخر علم من أعلام الشعر الأندلسي فأبو عبد الله
محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف الشَّريحي المعروف بابن زمر

أو ابن زُمْرُك (١٣٣٣/٧٣٤ — ١٣٩٣/٧٩٦) تلميذ ابن الخطيب وخلفه في الوزارة ، الذي لم يتردد في تتبعه بالأذى ، ولم يحجم عن الإفادة من موته المحزن . ولدينا الآن معلومات وافية عن أشعاره : قصائده ووصفياته ومرتبجلاته وموشحاته بفضل البحث الذي كتبه عنه غرسية غومس ، وقد أشرنا إليه . ولدينا كذلك فكرة دقيقة عن علمه باللغة وتملكه زمامها . ويتردد في بعض شعره صدى للحب العذرى . وأكثر شعره دلالة على شخصه وفنه تلك الأبيات التي قالها في قنديل مضاء :

لقد زادني وجداً وأغرى بي الجوى	ذبال بأذيال الظلام قد التفتا
يلوح سناناً حين لا تنفع الصبا	ويبدي سواراً حين تثني له العظما
قطعت به ليلاً يطارحنى الجوى	فأونة يبـدو وآونة يخنى
إذا قلت لا يبدو أشال لسانه	وإن قلت لا يخبو الضياء به كفا
إلى أن أفاق الصبح من غمرة الدجى	وأهدى نسيم الروض من طيبه عرفا
لك الله يا أصباح ، أشبهت مهجتي	وقد شفاها من لوعة الحب ما شفا ^(٢٥٦)

وكان ابن زمر ك معنياً — إلى جانب المدائح التي كان يقولها في السلاطين —

بقرض المقطعات الوصفية ، وخاصة في صفة « الحمراء » وقصورها وبساتينها والخفلات التي كانت تقام في قصورها ، وقد جدد بذلك ذكرى أيام ابن خفاجة ودل على أنه تلميذه غير المباشر . وإليك مثالا من ذلك ما قاله في صفة حدائق « قصر شَنْبِيل » وقد خرج الأمير محمد الخامس (الغنى بالله) للزخرفة فيها :

يا قصرَ شنبيلٍ وربُّك أهلٌ	والروض منك على الجمال قد اقتصرُ
لله بمركٍ والصِّبَا قد سرَّ دَت	منه دروعاً تحت أعلام الشجر
والآسُ حف عذاره من حوله	عن كل من يهوى العذار قد اعتذر
قَبْلُ بثمر الزهر كَفَّ خليفة	يفنيك صوبُ الجود منه عن المطر
وافرش حدود الورد تحت نعاله	واجمل بها لون المضاعف عن خَفَر

وانظم غناء الطير فيه مدائحاً وانثر من الزهر الدرهم والدر (٢٥٧)
ولابن زمر قصائد أخرى يصف فيها «قصور الحراء» في مجموعها . وشعره فيها
يبدو وكأنه «أنغام راقصة متدفقة ، ترقص على وقعها الزهور والنجوم ، وتفيض بالأخيلة
والتشبيهات المتشابهة . وإن من يعرف هذه القصور ليجد في ذلك الشعر تصويراً
بديعاً رائعاً لها» (٢٥٨) . ويقول غومس في موضع آخر : « وقد نُقِشت بعض
أبيات ابن زمر على جدر الحراء ، وهي تكون جزءاً لا ينفصل من زخارف
قصور بني نصر » . وإليك نموذجاً منها أحياناً كان بعضها منقوشاً على جدر
« بهو الأختين » في الحراء ، وهي من قصيدته المعروفة التي قالها في وصف دار
الملك التي ابتناها السلطان محمد الغني بالله ومطلعها :

سل الأفق بالزُّهرِ الكواكب حاليًا فإني قد أودعته شرح حاليًا
وحملتُ معتل النسيم أمانة قطعتُ بها عمر الزمان أمانيا
ويقول فيها :

ولله مبنك الجميل فإنه يفوق على حكم السعود المبانيا
فكم فيه للأبصار من متزه تُجِدُّ به نفسُ الحليم الأمانيا
وتهوى النجومُ الزهر لو تُبِتت به ولم تك في أفق السماء جواريا
ولو مَنَلتُ في سابقه لسابقت إلى خدمة ترضيك منها الجواريا
به البهو قد حاز البهاء وقد غدا به القصر آفاق السماء مباهيا
وكم حلة جَلَّتْه بحُلِيَّتِها من الوشي تُنسى السارى الميانيا
وكم من قسي في ذراه ترفعت على عمد بالنور باتت حواليا
فتحسبها الأفلاك دارت قسيها كظل عمود الصبح إذ بات باديا
سوارى قد جاءت بكل غريبة فطارت بها الأمثال تجرى سواريا
به المرمر المجلو قد شف نوره فيجلو من الظلماء ما كان داجيا
إذا ما أضاءت بالشعاع تخالها على عظم الأجرام منها لآليا

به البحر دفاع العباب تخاله إذا ما انبرى وفد النسيم مبارياً (٢٥٩)
... الخ

وعاش في ذلك العصر ابن الحجاج النيرى ، وقد سبق ابن الخطيب بحيل
إذ توفى سنة ١٣٦٢/٧٦٤ . وقد ولد في وادى آش وسكن في غرناطة وفيها عاش ،
وكان كاتباً ذا أسلوب فسكه . وما يقال في شأنه إنه كان عذب الحديث وطبقة
عالية في الشعر .

(ب) الاتجاه الشعبي الدارج

نظرية ريبيرا الجديدة — الزجل والموشحة — مبتكرها مقدم
ابن ممانى القبرى — تطور هذين الفنين ونضوج صناعتها —
أوائل الزجالين — ابن نزمان وديوانه — مدرسة ابن نزمان .

ف ٤٧ — نظرية ريبيرا الجديدة :

أصبح من الواضح — نتيجة للأبحاث التي قام بها الأستاذ خليان ريبيرا ،
أن أهل الأندلس الإسلامى كانوا يستعملون العربية الفصيحة كافة رسمية يتعاملها
الناس في المدارس ويكتبون بها الوثائق وما إليها ؛ أما في شؤونهم اليومية
وأحاديثهم فيما بين بعضهم وبعض فكانوا يستعملون لهجة من اللاتينية الدارجة
أو العجمية *el romance* (٣٦٠) . وليس ذلك بغريب ، لأننا إذا ذكرنا أن
عدد العرب الخالص الذين دخلوا الجزيرة كان قليلاً جداً ، تبيننا أننا لا نستطيع
اعتبار الأندلسيين المسلمين ساميين أو مشاركة ، ابتداءً من جيلهم الثالث
أو الرابع من بعد الفتح ؛ ولننصف إلى ذلك أن شعوب أوروبا كانت تستعمل
في ذلك الحين اللاتينية كافة ، وأن ناسها كانوا يتحدثون إلى جانبها لهجات
أعجمية *romance* مختلفة مشتقة من اللاتينية .

وكان هذا الازدواج في اللغة هو الأصل في نشوء طراز شعري مختلط ،

تمتزج فيه مؤثرات غربية وشرقية . وقد ازدري أهل الأدب الفصيح والمعنون بأمره هذا الطراز الجديد ، بينما مضى الناس جميعا يتناقلون مقطعاته سرا فيما بينهم ، وذاع أمره داخل البيوت وفي أوساط العوام ، وما زال أمره يعظم والإقبال عليه يشتد حتى أصبح في يوم من الأيام لونا من الأدب . وقد أخذ هذا الطراز الجديد من الأدب الشعبي صورتين : إحداهما « الزجل » ، والثانية « الموشحة » .

أما الزجل فشعر يصاغ في فقرات تسمى أبياتا . وتبدأ مقطوعته بيت يعرف « بالمركز » أو « السمط » ، تليه أغصان ذات قافية واحدة ووزن واحد ، يتكون الغصن منها من ثلاثة مصاريع أو أكثر ، ثم يعقبها بيت في نفس وزن المركز وقافيته ، وهكذا .

وأما الموشحة فنظم تكون فيه القوافي اثنتين اثنتين كما هو الحال في الوشاح ، وهو العقد يكون من سلكين من اللآلئ كل منهما لون . فالتسمية هنا تشير إلى طريقة تأليف القوافي ، وهي تشبه الزجل فيما عدا ذلك . أى أن الموشحة تتألف من فقرات تسمى الأبيات ، كل فقرة منها تتكون من عدد معين من أشطار البيوت في قافية واحدة ، وتمقب كل فقرة خرقة في بحر أشطار الغصن ولكن في قافية أخرى ؛ ويلتزم الوشاح قافية هذه الخرقة في كل خرجات موشحته ، أما الأغصان فقد يكون كل منها على قافية ولكن من بحر واحد .

والزجل والموشحة في واقع الأمر فن شعري واحد ، ولكن الزجل يطلق على السوق الدارج منها ؛ إذ لا بد أن يكون في اللغة الدارجة ، فقد كان يُتغنى به في الطرقات . أما الموشحة فلا تكون إلا في العربي الفصيح ، واسمها كذلك عربي كما هو واضح ؛ وربما استطلعنا أن نقول إن لفظ الموشحة يطلق على المهذب من الزجل الذي تستعمل فيه الفصحى أو ينظم في أسلوب أرفع من أسلوب الأرجال (٢٦١) .

وإليك نموذجاً من أزجال ابن قزمان ^(٢٦٣) (*) :

يا مليح الدنيا قول على أش أنت يا ابن ملول ^(*)
 أي أنا عندك وجهه يتمجج من وفيه ثم فاحل ما تتيه
 ترجع أنسك وصول ^(†)

مر بقده جیده سرف
 لم يرا مثل نصف
 ولس أت إلا طرف

والذي قلنا فضول ^(□)

(*) زجل رقم ٩٩ طبعة جونزبرج . وقد اكتفى المؤلف بالبيتين الأولين ، ولكن رأيت أن أورد النص الكامل له لكي أعطي الفأري فكرة عن زجل كامل من أزجال ابن قزمان . وسأورد الصروح هنا في الهاشم ؟ وقد استعنت في ذلك بصديقي الدكتور عبد العزيز الإهواني . وقد أوردت الفقرة الأولى على الهيئة التي وردت بها في الديوان ، حتى يأخذ الفأري فكرة عن طريقة كتابة الأزجال ، وأوردت الباقي كل شطر في سطر للايضاح .
 (*) الزجل من بحر مجزوء الرمل : فاعلات فاعل ، ورسمه :

ب — ب — ب — ب — ب — ب —

والفقرة الثانية من « المركز » تقرأ هكذا : علا شلت يا ابن ملول .
 (†) على أش : علام ، لماذا ؟ . ملول : ضيق الصدر . أي أنا : لاني . وجهه : ذومقام . يتمجج : ينفر . من : الأغلب أن سحتها : منه . وإذا كانت سحتها من وفيه فيكون للمعنى : ينفر منه وفيه (؟) . ثم فاحل : اصطلاح يستعمله ابن قزمان كثيراً ومعناه : وفي أشد حالات تيهك . أنسك : رجلك ، صديقك .
 معنى البيت :

يا مليح الدنيا ، قُلْ

لماذا أنت متغير لا تثبت على حال

لاني عندك ذومكانة طيبة

كيف ينفر (الإنسان) من وقية ؟

(ته ماشئت) فعندما يصل تيهك أقصاه . .

سترجع وصولاً لحبيبك .

[و « أنسك » في الأصل « السك » ، ولكن الوزن ينكسر هكذا ، ثم إن للمعنى

لا يفهم ؟ وقد اقترح الدكتور الإهواني إضافة هذه النون] .

(□) مر بعد : اصطلاح أندلسي يستعمله ابن قزمان كثيراً ، ومعناه : حسنا . . =

إش لو أن يذًا نراك
 إذ نجى وقت جمالك
 كان تخلين كذاك
 هاذهُ شيئًا قتل (*).

الوفا لسّ لِحَـذ
 غير أمين عبد الصمد
 للمديح تدخل بَعَد
 ترى ما أملح ذا الدخول (*).

= أو بالعامية : خلاص . . أو : طيب ياسيدى . والماء المفردة المضمومة معناها « هو » .
 وأت : أنت .

معنى البيت :

حسنا . . إن لإسرافه (في الدلال) جيد

(إذ) لم يعرف الناس مثله منصفا

(وعلى أى حال) قلت أنت إلا طرفا (في ذلك الحب) ، وكل ما قلنا فضول ولنو .

(*) إش لو أن : وما عليك لو . . وبالعامية : فيها إيه يعنى لو . . يذا : أيضاً

كان تخلين : لأنك إذ تدعى . .

معنى البيت :

وماذا عليك لو أنك سمحت لى برؤياك

فأجىء إليك وقت جفائك

لأن تركك إياى هكذا

هذا شيء قاتل . .

(*) لسّ ، تتعلق بعد الواو : لسو : ليس . لحد : لأحد . أمين عبد الصمد :

لا يفهم إذا كان المراد هنا اسم الممدوح كاملا ، أو رجلا يريد أن يصفه بأنه أمين قومه آل عبد الصمد .

معنى البيت :

الوفا لا يوصف به أحد

غير أمين عبد الصمد

وتدخل بعد ذلك للمديح

وما أحسن هذا الدخول .

هَادَهُ يَا ابْنَ طَرْفٍ
فَالْمَقَامُ ضَرْبٌ وَكَفٌ
أَهْنَا جَا : قَفَا وَوَقَفَا

والكلامُ فيَّ يَطْوُلُ (*)

فَكَذَلِكَ طَالُ يَذُّ فِيهِ
إِنَّ عَالَمٌ وَفَقِيهِ
وَإِذَا قَلْتُ نَبِيهِ

فَيَجِبُ لَكَ أَنْ تَقُولَ (**)

وَالَّذِي مَاعُ أَقْلُ
شَرَفُ أَجْدَادُ وَنَسْلُ
وَالأَصْلُ قَطُّ الأَصْلُ

لَا فُرُوعُ دُونَ الأَصُولِ (†)

(*) في مستهل القسم الثاني من الزجل ، وهو قسم المدح ، يقف ابن قزمان لحظة ليمدح نفسه ، وما أكثر ما يمدح نفسه في أزجاله .

هَادَهُ : هذا هو ، والمراد هنا : هذه يابني طرف . فالقمام : في الحال ، دون صعوبة ، دون تفكير طويل . ضرب وكف : يعيل الدكتور الإهوانى إلى اعتبار هذه العبارة من اصطلاحات النساجين في الأندلس ، ومعناها : آم العمل ، فرغ من الشيء . أهنا جا : هنا يحىء القول ، هنا يصدق قولنا . قف ووقف : قف لتسمع بديع القول ، ووقف بالفعل ليسمع . معنى البيت :

تلك يابني طرف (من الشعر)

في الحال أصوغ ما أريد من القول

فإذا قلت زجلا قيل : قف لتسمع . . ويقف الإنسان

والكلام فيَّ يطول .

(**) طال : طال القول ، يطول القول . يذُّ : أيضاً . فيه : في المدوح . لأنَّ : إنه .

المعنى :

وكذلك يطول المدح فيه أيضاً

لأنه عالم وفقه

وإذا قلت إنه نبيه

فمليك أن تردد هذا القول أنت أيضاً .

(†) ماعُ : معه ، عنده ، ما يعله . نسل : نسل ، والمراد به هنا : حسب . قط : =

يا لُبَابَ كُلِّ لِبَابٍ

الْقَى رَجْلَكَ فِي الرَّكَابِ

فانت فأصحابك شباب

فانت هـ فالدَّوَلُ هَيُولُ (*)

ثم م بيتة خَطَطُ

القضا في والاثم قَطُّ

والثنا فيهم أَشْطُ

إنما اخترت الفصول (*)

== فحسب . المعنى :

والذى أعلمه من فضائله أقل ما عنده

شرف أجداد ومحمد

ويكفيه أصله الكريم ، وما أدراك ما الأصل

لذا لا فروع دون أصول .

(*) القى رجلك فى الركاب : تقدم ، ادخل الميدان . فانت : لذأك . فأصحابك :

فى أصحابك ، من بين أقرانك . الدَّوَلُ : الدولة . هَيُولُ : هائل ، عظيم .

المعنى :

يا لباب كل لباب

تقدم وادخل الميدان .

لذ أنك من بين أصحابك شاب قوى

وأنت فى الدولة ذو عمل عظيم

(*) بيتة : بيت . خَطَطُ : خطط ، جمع خطة ، وهى المنصب الكبير . القضا فى :

خطة القضاء متداولة بين أفراد هذا البيت . والاثم قط : لا يوجد فيه أم البتة ، ويرى الدكتور

الإهوانى أن الاثم هنا تحريف للاسم ، والمعنى على هذا الاعتبار : إن خطة القضاء والاسم —

أى الشهرة — فى هذا البيت وحده . أشط : أطول . الفصول : بعض الأشياء .

المعنى :

ثم لانهم بيت تولى أفرادهم الخطط والولايات الكبيرة

ففيهم خطة القضاء ، ولهم وحدهم الشهرة

والثناء عليهم يطول

ولكنى اكتفيت منه ببعضه .

قَاسِيََ القَلْبِ رَحِيمَ
فَاتَقَى غَيْظَ الحَلِيمِ
وَإِذَا أُمَّلَ كَرِيمِ
وَإِذَا كُفِّ حَمُولِ* (*)

وَإِلَى هَذَا الجَلالِ
مَنْظَرُ لَسْ لُ مِثَالِ
أَجْ بِجَالِ دَارَةِ هِلالِ
أَوْ بِحَالِ وُجْ دَشُولِ* (*)

لَا نَمُوتُ حَتَّى نَرَاكَ
قَالَ بِلْدِ قَاضِي كَذَاكَ
وَتَرَى غَايَةَ مُنَاكَ
وَلَا يَلْحَقُكَ خَمُولِ* (*)

لَوْلَا هَمَّا فَالطَّرِيقُ
كَنَّ يَجِي أَكْثَرُ رَقِيقُ

(*) معنى هذا البيت واضح .

(*) وإلى هذا : وبالإضافة إلى هذا . لس : ليس . أج ، وج : وجه . دشول :

عبارة إسبانية de sol أى : شمس .

المعنى :

وبالإضافة إلى هذا الجلال

منظره ليس له مثال

له وجه كأنه دائرة الهلال

أو كأنه وجه الشمس .

(†) معنى هذا البيت واضح .

إنما هذا الدقيق

وقمت فيه المقول (*)

كف نرى خُبْرَ بِنِيح

أسود أسودٍ مِثْلَ بِنِج

في إدينٍ تَقَطِّيجُ

ودقيق حُصْنٍ وفول (*)

وسما مثل النحاس

ونفاق في كل راس

لس ييجي ماعُ نَمَاس

وبلا عرض وطول (†)

(*) فالطريق : في الطريق ، في طريق ، في حياتي . كن : كان ، أي كان هذا الشعر .

أكثر رقيق : أكثر رقة . الدقيق : المراد به دقيق القمح . وقمت : تاهت .

المنى :

ولولا أن الموم في طريق ومن حولي

لجاء زجلى هذا أكثر رقة

ولكن حاجتي إلى الدقيق

شغلت عقلي وحالت بينه وبين الإجابة .

(*) كف : كيف . خُبْرَ : خُبْرَةٌ : رغيف . بِنِيح : paniza : رغيف صغير من

الحبز . بِنِج : pez : فار . إدين : أيد . تقطيج أو نفضيج : لم أستطع معرفة معنى هذا اللفظ .

المنى :

كيف يتاح لي أن أحصل على رغيف صغير من الحبز

ولو كان أسود مثل القار

في أيدي تقطيج

ودقيق حصن وفول ؟

(†) يريد ابن قزمان هنا أن يصف الجفاف وقلة المطر وسوء الأحوال ، وكان =

وترى عادَ ذا العملِ
 وقيامَ صحبِ الجبلِ
 كل شيءٍ كان يُحتمَلُ .
 لو سلم هذا السُّبُولُ (*)

وصَحْوُ، والليلِ نهارَ
 وشيْتا ضُعيْفُ صَارَ
 حَقُّ في مرَسَى غُبَارِ
 إنما فيه السُّيُولُ (**)

== الأندلسيون يسمون السماء الصافية التي لا سحب فيها بالنحاس .
 المعنى :

والسما صافية كأنها قبة من النحاس
 وقد قاضت الرءوس والقلوب بالتفان والخلاف
 وفي مثل هذه الأحوال يستعصى النحاس
 وهذا العسر كله لانهاية له .

(*) عاد : أيضاً . صحب الجبل ، صاحب الجبل . لا بد أن ابن قزمان يشير هنا إلى عدو
 كان يحاصر قرطبة ويقطع السبل إليها ، ولسنا نعرف إلى من يشير بالضبط . وقد يكون المراد
 بصحب الجبل : أهل الجبل ، أى قطاع الطرق . السبول : السبل ، أو الطرق .

المعنى :

ثم إنك ترى أيضاً هذا العمل
 بالإضافة إلى قيام صاحب الجبل
 وكان كل شيء محتمل
 إلا اقطاع هذه الطرق .

(**) شتا : مطر . حق : حقا . مرسى غبار : يثلب على الظن أن هذا اسم موضع
 قد يكون هو مُمقام المدوح .

المعنى :

والجو صحو لا مطر فيه ، والليل كأنه نهار
 والمطر قد أصبح ضميفا
 حقا إنه في مرسى غبار
 فهناك تجرد السبول .

دَعُوا اللَّهَ الْحَيِّبَ
وَالْفَرْجَ مِنْ قَرِيبٍ
الْمَوَا ذَابَ يَطِيبُ
وَالشَّيْتَا عَلَى النُّزُولِ* (**)

أرُّ مَا شَيْتُ لَسْ تَرُدُّ
حُطُّ قَطُّ إِشْمَا تَبِيدُ
اللهُ اللهُ كُدُّ كُدُّ
لس نريد مِنْهُ مُطُولُ (**)

ويمكننا أن نقارن هذا الزجل برجل إسباني صريف من نفس الوزن والنوع
للشاعر الإسباني ألفاريدو فيليبا ساندينو Alvarez de Villasandino :

(*) (مِنْ : مه . الهوى : الهواء . ذاب : الآن . على النزول : على وشك المطول .
المعنى :

إننا ندعو الله الحبيب
والفرج منه قريب
أن يطيب الهواء الآن
ويأخذ المطر في المطول .

(:) أر : هات . إشمَا : أى شيء ، ما . كُدُّ : فى سرعه . مطول : مطل .
المعنى :

هات ما شئت فلست أرفض شيئاً
ضم فقط أى شيء بمجده
الله الله . أسرع . . أسرع !
فلست أريد مطلاً .

AA, ddda	Vivo ledo con razón amigos; toda sazón.	} مركز أوسمط
d	Vico ledo e sin pesar,	
d	pues amor me fizo amar	} أغصان
d	a la que podré llamar	
a	mas bella de cuantas son.	خرجة
e	Vivo ledo e vivré	} أغصان
e	pues que de amor alcancé	
e	que serviré a la que sé	
a	que me dara galardón.	

وترجمته :

إننى يارفاقى أحياء حياة مرحة
كل أيام حياتى ، وأنا محق فى ذلك .

إننى أعيش مرحا دون هموم
لأن الحب أتاح لى أن أعشق
تلك التى يمكننا أن نقول إنها
أجمل النساء جميعاً .

إننى أعيش مرحا وسأعيش [هكذا]

لأننى عن طريق الحب وصلت

إلى من أعرف أنها بخدمتى لها

ستجازينى خير الجزاء .

ووزن أبيات هذا الزجل إذن : ١١ ، ب ب ب ا ، (١١) ، ح ح ح ا

(١١) . الخ . ولكن هذا الوزن هو أبسط أوزان الأزجال ، ففنها ما تكون

الخرجة فيه مكونة من شطر بيت أقصر فى الوزن من أشطار العنصن ، وهذه

الأشطار بدورها تكون على نفس وزن المركز القصير . وهناك أزجال تكون

الخرجة فيها مكونة من بيت ذى شطرين ، وأزجال أخرى تكون الأغصان فيها على أوزان مُضَفَّرَة متبادلة ، وثلاثة تكون فيها الأغصان أربعة أربعة بدلا من ثلاثة ثلاثة ، ورابعة تكون الخرجة فيها ثلاثة أشطار ، وخامسة وردت من غير مركز .. الخ . وهذه الصور كلها ذات أهمية خاصة عند مقارنة الأزجال بأوزان الشعر الأوربي .

ف ٤٩ — مقدم بن معافى القبرى ، سبكر الموشحة : (٢٦٣)

كان أول من استعمل هذا الفن الشعرى مقدم بن معافى القبرى الضرير الذى عاش بين سنتي ٨٤٠/٢٢٥ و ٩١٢/٢٩٩ ، وفى ذلك يقول ابن بسام تحت عنوان « فصل فى ذكر الأديب أبى بكر عبادة بن ماء السماء وإتيان جملة من شعره مع ما يتعلق بذكره » ، قال : « قال أبو الحسن : وكان أبو بكر فى ذلك العصر [الدولة العامرية والحمودية] شيخ الصناعة وإمام الجماعة ، سلك إلى الشعر مسلكا سهلا ، فقالت له غرائب : مرحبا وأهلا . . وكانت صنعة التوشيح التى نهج أهل الأندلس طريقتها ، ووضعوا حقيقتها ، غير مرقومة البرود ، ولا منظومة العقود ، فأقام عبادة هذا منارها ومرساها ومنادها ، [وقوم ميلها وسنادها] ، فكانما لم تُسمع بالأندلس إلا منه ، ولا أخذت إلا عنه ، واشتهر بها اشتهاراً غلب على ذاته وذهب بكثير من حسنه . وهى أوزان كثير استعمال أهل الأندلس لها فى النزل والنسيب ، تُشَقُّ على سماعها مصونات الجيوب ، بل القلوب . . وأول من صنع أوزان هذه الموشحات بأقفا واختراع طريقتها — فيما بلغنى — مقدم بن معافى القبرى الضرير ، وكان يصنعها على أشطار الأشعار ، غير أن أكثرها على الأعاريف المهملة غير المستعملة ، يأخذ اللفظ العامى أو المعجمى فيسيه المركز ، ويضع عليه الموشحة دون تضمين فيها ولا أغصان . وقيل إن ابن عبدربه صاحب « كتاب العقد » كان أول من سبق إلى هذا النوع من الموشحات ، ثم نشأ يوسف بن هارون الرمادى ، فكان أول من أكثر فيها من التضمين فى المراكز .

بصن كل مركز: يقف عليه في المركز خاصة ، فاستمر [على] ذلك شعراء عصره كككرم بن سعيد وابنى أبى الحسن . ثم نشأ عبادة هذا فأحدث التضفير ، وذلك أنه اعتمد مواضع الوقف في الأغصان فيضمنها ، كما اعتمد الرمادى مواضع الوقف في المركز . وأوزان هذه الموشحات خارجة عن غرض كتابنا هذا ، إذا كثرت على غير أعاريض أشعار العرب » (٢٦٤) .

ويؤيد ابن خلدون كلام ابن بسام بقوله : « وأما أهل الأندلس ، فلما كثر الشعر في قطرهم وتهذبت مناحيه وفنونه ، وراح التعميق فيه الغاية ، استحدث المتأخرون منهم فنناً منه سموه بالموشح ، ينظمونه أسماطاً وأسماطاً وأغصاناً وأغصاناً ، يكثرون منها ومن أعاريضها المختلفة ، ويسمون المتعدد منها بيتاً واحداً ، ويلتزمون عند قوافي تلك الأغصان وأوزانها متتالياً فيما بعد إلى آخر القطعة ، وأكثر ما تنتهى عندهم إلى سبعة أبيات ، ويشتمل كل بيت على أغصان عددها بحسب الأغراض والمذاهب ، وينسبون فيها ويمدحون كما يفعل في القصائد . وتجاروا في ذلك إلى الغاية ، واستظرفه الناس جملة : الخاصة والكافة ، لسهولة تناوله وقرب طريقه . وكان المخترع لها بجزيرة الأندلس مقدم بن معافى القبرى من شعراء الأمير عبد الله بن محمد المروانى ، وأخذ ذلك عنه أبو عبد الله أحمد بن عبد ربه صاحب كتاب العقد . ولم يظهر لهما مع المتأخرين ذكر ، وكسدت موشحاتهما ، فكان أول من برع في هذا الشأن ابن عبادة القرزاز ، شاعر المعتصم بن صمادح صاحب المرية » (٢٦٥) .

ولم يبق لنا من نظم مقدم القبرى شيء ، ولكن يغلب على الظن أن موشحاته وأزجاله كانت من أبسط طراز ، أى على ذلك الغرار الذى سبق بيانه . ولم نوفق — إلى الآن — إلى تعرف المصدر الذى استوحاه مقدم عندما ابتكر فن التوشيح ، فيذهب البعض إلى أن أصل الموشح أندلسى محلى ، ويذهب البعض الآخر إلى أنه جليقي ، ويذهب نفر ثالث إلى أن أصله البعيد رومانى románica : بل قال

بعضهم إن الموشحات أتت الأندلس من بغداد وأن أصلها يُلتبس في الرباعيات العربية الفارسية . وأخيراً حاول ميلياس فيليكروسا Millas Villicrosa أن يجد علاقة ما بين الموشحة والزجل من ناحية والقن الشعري المبري المعروف باليزمون Pizmon والتسبيحات اللاتينية التي يرددها جمهور المصلين عقب كل فقرة من فقرات الترتيل الديني *responsorio latino* ، وهي في الغالب آيات من الكتاب المقدس (٢٦٦) .

وقد حلت الموشحات محل القصائد النصيحة في كثير ، وقد ذكرنا قول ابن خلدون أنهم كانوا « ينسبون فيها ويمدحون كما يفعل في القصائد » ، وأنهم « تجاروا في ذلك إلى الغاية ، واستظرفه الناس جملة : الخاصة والكافة ، لسهولة تناوله وقرب طريقه » .

وقد أشار منذذ بيدال إلى أن الطابع العربي الرومانسي للزجل دليل على امتزاج الثقافتين ، وقال : « . . . والزجل عربي بلغته ، وإن كانت هذه اللغة سوقية حوشية كثيرة الأخطاء ، عربي بالتزامه قافية واحدة تراعى في أبيات الزجل الواحد كلها ، وعربي كذلك بهذين الموضوعين اللذين يدور حولهما الكلام في كل مقطوعة : وهما الحب أو وصف مغامرة عشقية وقعت للشاعر ، والتمدح في شخصية يرحى نداها . ولكنه — على رغم ذلك — لا يبدو عربياً في نظمه على طريقة الفقرات (= الأبيات ، والبيت قفل وأغصان) ، وهي طريقة غريبة تغاير ما جرت عليه القصيدة العربية من الأبيات ذات البحر الواحد والقافية الواحدة ؛ وكذلك لا يبدو عربياً في استعماله « الخرجة » في نهاية كل فقرة ، وفي بعض الموضوعات التي يطرقتها مثل الألباداً *la albada* — أي الفجرية وهي مقطعات شعرية عرفها اللاتين باسم *ألباتا* *albata* تقال في افتراق الأحبة عند طلوع الفجر ، وهو موضوع سينقل بعد ذلك إلى الشعر الأوربي — وفي خلوه من الموضوعات التي تميز الشعر العربي من غيره ، كوصف الرحلات في القفار المهجورة ،

وصفة حياة البدارة والتنقل والتحدث عن المواقع التي غادرتها القبيلة إلى غيرها ، والكلام عن الجبال وما إلى ذلك . ومن المحقق — أخيراً — أن الزجل إسباني ، لأنه يتحدث عن أعياد ومواسم لا توجد إلا في التقويم اللاتيني ، ولاستعماله ألفاظاً وعبارات من عجمية الأندلس مختلطة بلغته العربية الدارجة . هذا والأزجال — إلى جانب إهمالها للموضوعات الأدبية العربية — تبدو لنا حافلة بصور الحياة اليومية لمسلمي الأندلس ، وفيها ذكر كثير من عادات المستعربين وتقاليدهم^(٢٦٧) .

ف ٥٠ — أوائل الزجالين :

إذا ذكرنا الطابع الشعبي الدارج لهذا الفن الشعري ، لم نستغرب من أصحاب مجموعات النظم والنثر — وهم متعصبون للفصحى وآدابها — أن يأنفوا من أن يوردوا في كتبهم نماذج منه . ولكن خُليان ريبيرا تمكن بفضل أبحاثه من العثور على ثروة حافلة من الأزجال وأصحابها .

فن أوائل الذين نظموا الأزجال سعيد بن عبدربه (توفي سنة ٨٣٤١/٩٥٣ م) ابن عم صاحب «العقد»^(٢٦٨) ، وكان معنياً بكتابات الإغريق وعلوم الأوائل والفلسفة ، وكان صعب العشرة يتكلم لهجة دارجة خشنة ؛ واجتهد في تجويد الأزجال أبو يوسف هارون الرمادي شاعر المنصور ، وكان يسمى أبا جنيس (= El Ceniciento وهي الأصل الدارج الإسباني الذي أخذ عنه لفظ الرمادي)^(٢٦٩) ، وكان يرمي بالزندقة لكثرة اتصاله بالنصارى (توفي سنة ٤١٢ هـ / ١٠٢٢ م) ، (ف ١٥) ، وكان «أول من أكثر من التضمين في المراكز» ، يضمّن كل موقف يقف عليه في المركز خاصة ، فاستمر على ذلك شعراء عصره كما يقول ابن بسام ؛ وعبادة بن ماء السماء (توفي سنة ٤١٥ هـ / ١٠٢٥ م أو ٤١٨ هـ / ١٠٢٨ م) . الذي يقول ابن بسام إنه أحدث التضمير ، وذلك أنه اعتمد مواضع الوقف في الأغصان فيضمونها ، كما اعتمد الرمادي مواضع الوقف في المركز»^(٢٧٠) .

وكان أبو عثمان بن سعيد المعروف بالبلينة (أى الحوت = ballena) يصنع

أزجالاً يقلد بها « المواليا » ، وهو طراز من الشعر الشعبي عند المشاركة . ونظم ابن هاني* (انظر ف ١٢) قصائد ذات قوافٍ مضمرة من طراز يختلف عن طراز الزجل والموشحة .

وأقبل على الموشحة شعراء كثيرون ممن أجادوا نظم الشعر الفصيح على طريقة القدماء ، منهم أبو بكر بن اللبانة الداني الذي رثى الرشيد بن المعتمد بموشحة ، وأبو بكر محمد بن أرفع رأسه شاعر المأمون بن ذى النون صاحب طليطلة إذ كانت له موشحات ذاعت على ألسن أهل الأندلس ، وأبو عبد الله محمد بن عبادة القزاز* الذي تغنى بمحامد بني صمادح أصحاب المرية في موشحات كثيرة^(٢٧١) .

ومنهم كذلك الأعمى التطيلي — أبو جعفر بن هريرة المتوفى سنة ٥٣٤ هـ ١١٤٠ م — وكان أديباً فذاً غلب أبا بكر بن بقي وأبا بكر الأبيض^(٢٧٢) ونفراً آخر من الوشاحين في مساجلة في التوشيح ، وذلك عندما قال موشحته :

ضاحكٌ عن جانِّ سافرٍ عن بلر
ضاق عنه الزمانُ وحواه صدى

ففرق كل منهم موشحته^(٢٧٣) . وأبو القاسم الحضرمي الذي كان يأخذ بيد التطيلي حتى لقب « بمصا الأعمى » ، وكان شاعراً وأديباً بارعاً ؛ وابن بقي ، وكان ماجناً مستهتراً وشاعراً من طبقة عالية ، وكانت في شعره عذوبة أذاعت ذكره ، وقد رمى المرابطين بالجهالة لأنه عاش في عصرهم فقيراً^(٢٧٤) .

وقد نظم أبو بكر بن زهر الطيب أزجالاً وموشحات بلغت من الكمال مبلغاً جعل الناس يروونها كنماذج لمذنبين الفنين^(٢٧٥) .

بيد أننا لا نجد بين أيدينا من هذه الأزجال والموشحات إلا أطرافاً قليلة وردت متناثرة في الكتب ، فيما خلا « ديوان ابن قزمان » الذي وصلنا كاملاً على وجه التقريب ، وهو لهذا يعطينا أكل فكرة عما كان عليه فن الزجل .

(*) هكذا ورد الاسم في « أزهار الرياض » للمقرئ (طبعة القاهرة ، ج ٢ ، ص ٢٥٢) .

ف ٥١ — ابن قزمانه وديوانه (٢٧٦) :

ينتسب أبو بكر محمد بن عبد الملك بن قزمان الأصغر إلى بيت بني قزمان ، وكان من بيوت قرطبة العريضة . ولد في قرطبة بعد سنة ٤٦٠/١٠٦٨ وتوفي سنة ٥٥٤/١١٦٠ ، وينبغى الأناطلي بينه وبين عمه وشبيهه في الاسم وزير المتوكل صاحب بطليوس ، وكان شاعراً أيضاً ، وقد توفي سنة ٥٠٧/١١١٤ كما بين الأستاذ ليثى بروفسال ، وقد مدح ابن رشد الحفيد في آخر حياته .

وقد قال ابن قزمان في مقدمة ديوانه إنه وُجد في الأندلس ضربان من الزجل جنباً إلى جنب : أولها شعبي خالص جافٍ غليظ يستعمل الزجالون فيه اللغة الدارجة ومجتمية أهل الأندلس el romance ، وكان يوافق أذواق العوام ؛ وثانيهما مصقول مهذب erudita مصطنع متكلف يستعمل الناس فيه حركات الإعراب التي لا تجرى بها أستهم في دارج الحديث . ولم يبق من النوع الأول شيء (٢٧٧) ، لأن مصنفى كتب الأدب ازدروه وضربوا عنه صفحاً ؛ وأما الثانى فلدينا منه أطراف ، ولكنها تخلو من الجاذبية وسهولة الطبع التي يمتاز بها النوع الأول .

ويقول ريبيرا — ونحن نتابعه هنا فيما نقول عن الزجل — إن ابن قزمان درس أزجال جميع من تقدموه ، ثم شق لنفسه طريقاً جمع بين الفريقين اللذين ذكرناهما ، وعرف كيف يحتفظ بأحسن خصائصهما ، فرأى أنه من فساد الذوق والتكلف أن تستعمل حركات الإعراب في شعر يراد أن يُتغنى به جماعة في جمهور من الناس ، ومن ثم فلا مفر من استعمال لغة الكلام الدارجة حتى يقرب من أفهام الناس كافة . وهو يريد « بلغة الكلام » اللهجة العامية الدارجة التي تشوبها كلمات وعبارات من مجتمية أهل الأندلس ، على أن يكون ذلك في أسلوب متخير رشيق . وهو يرى أن الأزجال ينبغى عليه أن يختار من الموضوعات أحفلها بالفكاهة

وأخفها ، وينبغي أن يكون ما يختاره جذاباً رقيقاً فياضاً بالحوية مما يثير اهتمام الجمهور ، وينبغي ألا تكون الموضوعات معقدة أو بلاغية متكلفة ، وإنما سهلة مما تجرى به أسنة عابري السبيل ومما يستعمله الناس في حلقات الموسيقى الشعبية الصاخبة ومجالات اللهو والتسلية ، بل ينبغي أن تكون الموضوعات « حارة محرقة ، حادة منضجة ، من ألفاظ العامة ولغات الدأصة » كما يقول ابن سناء الملك (٢٧٨) .

أما قالب الأغاني وتركيبها فتستعمل له كل محور الشعر القصيح القائم على أسس العروض ، ولا بد أن تصاغ القطعة على نحو سلس غير متكلف حتى تجيء سهلة طبيعية صادرة دون تعمل ولا جهد (٢٧٩) .

سار ابن قزمان في هذا الاتجاه الوسط الذي اتجهه قبله أستاذه أخطل ابن نمارة ، « ولكن أزجال ابن قزمان حفلت بذكر الرذائل الملازمة لروح العوام ، وخلت من أي تحفظ أو احتشام ، ومن ثم فإننا نجد فيها فحشاً مخجلًا وألفاظاً مبتذلة مما كانت تجرى به أسنة أهل الأحياء المتطرفة من قرطبة » (٢٨٠) .

يضم ديوان ابن قزمان تسعة وأربعين ومائة زجل ، كل زجل منها يتكون — عدا الخرجة — من أبيات متساوية في عدد الأغصان ، وهو يلتزم هذا النظام في كل زجل . « وكل من الأغصان يتكون من أربعة أشطار إلى اثني عشر شرطراً ، قفيها رباعيات وخماسيات وستاسيات وسباعيات وثمانيات وتساعيات وعشریات وآحاد عشریات » . وأبسط أزجاله — وهي الرباعية — تبدأ بالثقل أو الخرجة ، وهي شطر من بيت ذي قافية تلتزم في كل خرجات الزجل بعد ذلك ، ونحن نرمز إليها هكذا : ١١ ، ثم يلي ذلك ثلاثة أغصان على قافية واحدة نرمز لها بالحروف : ب ب ب ، ثم تحتم بيت على قافية الخرجة الأولى « ١ » (٢٨١) ، (انظر ص . (١٤٤) .

وطى رغم هذا القالب الفنى المبتكر، الذى يبدو من الأزجال بوضوح أنه قائم على أساس مقرر موضوع أو مصقول *cortésano*، إلا أن الطابع الشعبى لها يدل على أنها إنما نظمت ليتغنى بها اللشدون فى الأسواق، أو المتسولون الجائلون فى الطرقات، أو أصحاب المجون أو «النسوان والسكرى والسكران»، كما يقول ابن سناء الملك. ولا تصاغ الأزجال ليتغنى بها الإنسان منفرداً، وإنما ينشدها الناس جماعةً فى الطرقات بصوت جهير وسط جمهور يتجمع أفراده حول المنشد، ثم ينشدون «الخرجة» جماعةً عقب كل فقرة يلقيها المنشد وحده، تصاحب ذلك كله آلات الموسيقى كالعود والنأى والطنبور والدف والصاجات، وربما تخللها الرقص». ولم يكن من الممكن والحالة هذه أن تصاغ هذه الأغاني فى قوالب الشعر الفصيح فحسب، «والواقع أن لغتها ليست لغة الشعر المعروفة التى كان المؤدِّبون يلقنونها للدارسين، بل الدارجة التى كانت جارية على الألسن فى قرطبة، بما فيها من دعابات سوقية وعبارات مبتذلة وألفاظ مواخير وعبارات الطلاب التى يستعملونها فى مياذلم وألفاظ الصبيان إذ يلعبون فى الطريق، وفيها الكثير من العبارات الاصطلاحية التى يتعارف عليها أهل كل حرفة، ولا تخلو كذلك من ذلك اللغو الفارغ الذى تحفل به أحاديث البيوت»^(٢٨٢). ومن هنا كثر استعمال العجمية الأندلسية فى الأزجال، فنجد فيها ألفاظاً مثل: يناير، مايو، برينيه *verbena* (نبات تُغلى أوراقه وأزهاره وتشرب)؛ بل نجد عبارات عجمية كاملة مثل: توتوبن *toto ben*، وكريو *creo* (= أعتقد)، ومخشل دشول *mejilla de sol* (= خد كأنه الشمس)؛ بل هناك أشطار نصفها عربى ونصفها عجمى، مثل الفقرة الثانية من الزجل رقم ١٠ من الديوان:

يَا مُطَرَّ بْنَ شِلْبَاطُ تُنْ حَزِينُ تَنْ يِنَاطُ تَرَا الْيَوْمَ وَشَطَاطُ
لم تذق فيه غير لُقْمِيهِ (*)

أما أوزان هذه الأغاني ، فعلى الرغم من أنها مشتقة من تفاعيل العروض الشعرى التقليدى ، إلا أنها لا تلتزم قواعد النحو ، إذ أن ألفاظها من الخارج الذى لا يعرف حركات الإعراب . بل إن اللفظ بقوافى الأجزاء لا يخضع لأشراط التقفية المعروفة فى الشعر النصيح ، هذا على الرغم من أن ابن قزمان كان يستعمل الحروف الجامدة consonants دائماً بطريقة أكل مما نجده فى الأشعار الأوروبية القديمة .

ويتحرى ابن قزمان أن تكون الخرجة مما استلقت انتباه السامعين ويمتدب أسماع الجمهور حتى يصفنوا إلى الزجل ، ومن أمثلة ذلك :

أياماً ملاح ، شرطه الخلالة حرام الذى يعمل صناعة (*)

(*) مطر : madre : أم . بن : vani : تالي . شلباط : salvado : أنجدينى (؟) .
تن : tu'n : حيناً ، ومعنى تَنْ .. تَنْ على هذا يكون : حيناً .. وحيناً آخر . يناط :
قرأها ريبيرا بِنَاطُو penato أى متألم ، ويقترح الدكتور الإهوانى أن تقرأ : رِنَاطُ ، وهى
لفظة مفرية معناها الدقيق غير معروف ، ولكن يفهم من مثل مغربى أوردته الأستاذ محمد بن
شعب أن معناها الشدة ، والمثل هو : جيت بين رِنَاطى ورِنَاطى ، وترجمه ابن شعب هكذا :

Je suis tombé entre chenaty et ynaty : coupant lentment mal.

Cf : Mohammad Ben Cheneb : Proverbes arabes de l'Algérie et de
Maghreb (Paris, 1907), nu. 2841 Sp. 183.

المعنى :

يا أماء تالي أنجدينى

أنا حيناً حزين وحيناً متألم

ترى اليوم وطوله

لم تذق فيه غير لقمة .

وهذه هى قراءة كولان وبروفنسال ، وهى أصح من قراءة ريبيرا التى تابها فيها نيكل
وأثبتها للؤلؤف مع الترجمة الشعرية الإسبانية الخاطئة التى قام بها ريبيرا .

Cf : Ribera, Dis. y, Op. I, p. 35.

(*) خرجة الزجل رقم ٢٣ فى الديوان ، وقد قاله فى مديح وجل يسمى أبا جعفر ولقبه
بالوزير ويشكو إليه من مجزه عن دفع كراء داره .

أياماً : أيام ، وإيراد الكلمات فى حالة النصب على هذه الصورة كان أمراً نادياً فى لهجة =

وقوله في خرجة زجل آخر :

نمطى ثيابى ونفق مالى فالشراب البالى (*)

ومن الأزجال ما يقصد منه إلى طلب المال أو الطعام أو الإحسان ، ومنها السياسى ، وأزجال المديح ؛ بل منها ما يدور حول موضوعات حزينة .

ويسمى ابن قزمان الجزء الأول من كل زجل : « التفرزل » ، وهو مطلع الزجل الذى يحوى أول موضوعاته ، « ولا بد أن يكون فى أسراع أو تقليدى ، وينبغى أن يصاغ فى قالب سهل خفيف فكه ، وينبغى أن يكون موضوعاً جنسياً أو خمرياً أو سخرأً من المجتمع ، لا هو بجراح ولا مثير ، وإنما متبذل لا تحفظ فيه » . ثم إننا نجد ابن قزمان يعالج الموضوعات الغرامية بطريقة لا تكاد نجد فيها أى طابع عبرى صرف : فلا ذكر للجمل ولا للتجوال فى القفار ، ولا أثر للحياة البدوية الفاعنة ، ولا نجد يذكر الديار التى هجرها أهلها^(٢٨٣) ، أو يشير إلى موضوع من موضوعات تاريخ العرب . بل إننا لا نجد يذكر الإسلام إلا فى مواضع قليلة ، ويكون ذلك عادة عند ذكره للفقهاء والأقبياء ، وهو ينال منهم فى غير حياء ويركبهم بألوان السخرية ؛ فإذا ذكر شهر رمضان والصيام سخر من الصائمين وأطرى المفطرين والمقبلين على الخمر والواط . وهو لا يذكر الدين إلا فى ثلاثة مواضع أو أربعة فى بعض أزجال المديح من ديوانه ، ويلحظ القارئ

= مسلمى الأندلس . الخلاعة : اللذة والسرور . صناعة : عمل .

ومعنى الخرجة :

ما أملح هذه الأيام . . إن شرط اكتتال اللذة والسرور هو التبتال ، وحرام معها أن يعمل الإنسان عملاً ما .

Cf : A. R. Nykl : El Cancionero de Aben Cuzman. pp. 58 - 60, 378 - 374.

(*) خرجة الزجل رقم ٢٢ فى الديوان ، وهو مرسوم خطأ تحت رقم ٢٥ . وقد ناله

فى مديح وزير لم يذكر اسمه ، ينسب على الظن أنه ابن حدين .

Cf : A. R. Nykl, op. cit. pp. 372 - 373.

فالشراب : فى الشراب . البالى : العتق .

بوضوح أن ذلك التوقيع لـدين صدر عن ابن قزمان وهو في معرض السخط على نصارى الشمال .

أما القسم الثاني من الزجل وهو المسمى « بالمديح » فيتضمن فيه ابن قزمان بفضائل من يهدى إليه الزجل ، ثم يحتم بطلب معروف أو رند . وفي ديوان ابن قزمان زجل نقله الأستاذ ريبيرا إلى الإسبانية كاملا ، نجد فيه موضوع الشعر المسمى في الشعر الأوروبى بالألبادا أو المقطعات الفجرية ، وقد سبق به ابن قزمان أقدم ما فى أيدينا من الشعر الپروفنسى من هذا النوع بخمسين سنة ، ونحن نجد فيه ذكر الرقيب ولقاء الحبيبين فى ظلام الليل وخوفهما من طلوع الفجر وصراع الموى فى قلبيهما قبل الفراق ؛ ولا بد أن هذا الموضوع كان قد قدم به المهد واضمحل فى الأندلس ، لأن ابن قزمان يسخر منه ^(٢٨٤) .

[ولم يورد المؤلف نص هذا الزجل الذى يشير إليه ، وهو الزجل رقم ١٤١ من الديوان ، وقد رأيت أن آتى بيئتين منه هنا ؛ قال ابن قزمان :

تَشْرِبُ المَلِيحَ وَتَسْقِي لَارْقِيبِ عَلَيْنَا وَلَا حَاكِمَ كَذَا أَمْلَحَ (*)
 بِنَنَا فِي رِضَى ، قُبَلٌ وَعَنْقُ
 أَى تَمُورَ ، أَوْشٌ تَرِيدُ تَقْلُقُ
 وَقَرَّ الفَرَامَةَ لِمَنْ يَعْشَقُ .

من صبر لشدتي راليني

قل ما عليه أنا عازم

فلا يفلح (*) .

(*) المليح : المليحة . وهذه الأشطار الثلاثة هى خرجة ذلك الزجل ، وقد جعلتها فى سطر واحد كما وردت فى الديوان ؛ أما بقية الزجل فقد جعلت كل شطر فى سطر .

(*) عنق : عناق . أى تمور : أين تمر : أين تذهب . أوش : أولم اذا . تريد تعلق : تعلق . وفر الفرامة : دع فرصة الفرام ، وبقتوح الإهوانى قراءتها : وفر الفرامة ، أى تقل العبء على العاشق . راليني : رأى ليني ورقتي . قل ما عليه أنا عازم : ما أقل ما أستطيع =

الصَّبَا يُشَاكِلُ مَا يَعْمَلُ
دَاعُ دَاعٍ يُجِي وَيَدَّلُ
قَدْ تَرَأَيْتَ وَلَمْ تَرَاقُطِ أَجَلُ

مَنْ صَدْرُ لِظْمٍ يَشْتَهِي
يَنْبَهَرُ عَلَيْهِ نَهْدًا قَائِمٌ
وَيَتَوَقَّعُ (*) (٢٨٥)

ف ٥٢ — مدرسة ابن قزمان :

إن مجرد ذكر معاصريه ومن أتوا بعده ممن انصرف إلى نظم الأزجال أسر

= حزم رأيي عليه . فلا يفلح : ولا يفلح مع ذلك .
المعنى :

لقد بتنا في رضى ، ما بين اعتناق وتقبيل
أين تريد أن تذهب ؟ . . أو ماذا يفلحك . . ؟
دع تكاليف الترام لما شئتك .
إن من يصبر لعني يتبين بعد ذلك كم أنا رقيق
وما أقل ما أستطيع أن أحزم أمرى على شيء . .
ولهذا لا يفلح لى شيء . .

(*) الصبا يشاكل ما يعمل : ما عمله يتفق مع صباه . داع داع : دعه دعه . يدلل :
يتدلل . قد ترأيت : قد ظهرت . مَنْ صَدْرُ : تكلمة للشطرة الساجدة : لم تر قط أجل من صدر
يشهيني لضمه . ويتوقع : يتجرأ ، يضطر إلى الجرأة .
المعنى :

إن ما عمله [محبوبى] يتفق مع صباه . .
فدعه دعه يمضى ويتدلل . .
ما أنت قد ظهرت ، ولم تر قط أجل منك . .
لشدها أشتهى ضمة لصدوه . .
إن عليه نهدا قائما ينبهر منه الإنسان . .
ويتوقع . .

يطول ، ونكتفي هنا بذكر أبي عبد الله بن الحاج المعروف بمَدْفَلَيْس^(٢٨٦) ، الذي كان يعني بالأسلوب أكثر مما كان يعني به ابن قزمان ، وأبي المتوكل ، والميثم ابن أحمد بن أبي غالب الإشبيلي الذي كان « يملئ على أحد الطلبة شعراً وعلى ثان موشحة وعلى ثالث زجلاً ، كل ذلك ارتجالاً »^(٢٨٧) ، وأم السكرام بنت المعتصم ابن صمادح صاحب المرية ، وكانت تبعث إلى محبوبها الأصمى ببطائق منظومة أجزالا^(٢٨٨) ، وإبراهيم بن سهل اليهودي ، وابن المرعزي النصراني ، والزاهد المتصوف أحمد بن وكيل ، وأبي الحسن الششتري الوادي آشي ، ومحيي الدين بن عربي المرسى ، والفيلاسوف الشاعر الموسيقي أبي الصلت بن أمية الداني ، وابن زهر الطيب ، وابن باجة ، ونزهون بنت القلاصمى الغرناطية ، قال صاحب « المغرب » في حقها : « من أهل المائة الخامسة ، ذكرها الجباري في السهب ووصفها بخفة الروح والانطباع الزائد والحلاوة ، وحفظ الشعر والمعرفة بضرب الأمثال ، مع جمال فائق وحسن رائق ، وكان الوزير أبو بكر بن سعيد أولع الناس بمحاضرتها ومذاكرتها ومراسلتها » ، وكانت تلميذة لأبي بكر الخزومي الشاعر الضرير ، وكان صاحب سخر لاذع وصديقاً لابن قزمان .

وقد انصرف الناس إلى صناعة الزجل في كافة نواحي الأندلس ، ففي أرجون (سرقسطة) ظهر أبو بكر أحمد بن مالك بن سيد اللخمي الشابي^(٢٨٩) ، وفي بلنسية ابن حريق^(٢٩٠) وابن محمد الشاطبي^(٢٩١) تابع ابن مردانيس ، وفي مرسية أبو عبد الله محمد بن ناجية اللورقي^(٢٩٢) ، وفي قرطبة محمد بن خيرة^(٢٩٣) كاتب المرابطين . وكثر الزجالون في إشبيلية خاصة ، حيث ظهر شعراء برعوا في نظم الزجل البديع المبتكر ، من أمثال أبي الحسن علي بن جُحْدُر^(٢٩٤) ، وأبي بكر الصابوني^(٢٩٥) ، وأحمد بن جَنُون^(٢٩٦) ، وابن أبي حبيب الجزري^(٢٩٧) الذي صلبه الموحدون لزندقته ، وأبي بكر بن صارم^(٢٩٨) الذي رمى بالزندقة هو أيضاً وأوذى ثم مات محترقاً في حريق شب في بيته ، وأحمد المقريني المعروف

بالكساد^(٢٩٩) ، وعبد الغفار بن دشلون^(٣٠٠) ، وغيرهم كثيرون يصدق فيهم قول الشفندي : « وأما ما فيها (أى فى الأندلس) من الشعراء والشاحين والزجالين فما لو قسموا على بر العدو ضاق بهم ، والكل يغالون من خير رؤسائهم ورفدهم »^(٣٠١) .

وحتى فى مملكة غرناطة أغرم الناس بهذا الفن الشعرى ، وأقبل عليه من أهل العلم والمعرفة نفر مثل النحوى أبى حيان بن حيان ، وابن عبد العظيم الوادى آشى ، وابن زمرك الذى اشتهر « بصبحياته » albaradas^(٣٠٢) ، وذى الوزارتين ابن الخطيب الشاعر الناثر المعروف ؛ بل إن ابن خلدون يذكر أنه عندما زار غرناطة وجد « الزجل » الفن الشعرى السائد هناك^(٣٠٣) . وكان الموريسكيون ينظمونه أيضاً .

وفى خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين توجه من أهل الأندلس نفر من الفقهاء والمتصوفين والأطباء وأهل الأدب إلى المشرق ، وكان لهم أثر عظيم هناك . وعن طريق بعض هؤلاء انتقل الزجل إلى المشرق ، وكان أول من علم أهله صناعته أبو مروان بن زهر ، الذى مارس الطب فى بغداد ، وأبو على الشلوينى النحوى ، وابن وكيل الزاهد الذى عرف بابن الأفلشى ، ومحى الدين بن عربى ، وعبد المنعم بن عمر — وكان كحالا وفيلسوفاً وأصله من جيان ، وأصبح فيما بعد شاعر صلاح الدين الأيوبي — وابن سعيد الغرناطى ، الذى اجتمع فى المشرق بشعراء أندلسيين هاجروا من بلادهم وانصرفوا إلى صناعة الزجل فى مهاجرهم ، ومن أولئك أبو الحجاج يوسف بن عمبة^(٣٠٤) .

وسرى فيما بعد (ف ١٦٦) أثر الزجل فى الأشعار الأوروبية .

الفصل الثالث

الأدب

- ف ٥٣ : الأدب كفن من فنون الفكر البري في الأندلس .
- ف ٥٤ : أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه ، وكتابه « المقد القريد » .
- ف ٥٥ : أبو علي الفالي — ابن الجسور .
- ف ٥٦ : أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف الطرطوشي ، وكتابه « سراج الملوك » .
- ف ٥٧ : أبو عبد الله بن أبي الحصال الفاسقي — أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري .
- المظفر بن الأفتس — أبو القاسم محمد بن إبراهيم بن خيرة بن المواعيني .
- ف ٥٨ : أبو الحجاج يوسف بن الشيخ البلوي المالقي .
- ف ٥٩ : المفلدون لقامات الحريري والمعلقون عليها .

ف ٥٣ — « الأدب » كفن من فنون الفكر العربي في الأندلس :

يطلق لفظ « أدب » — عند العرب — على المعارف التي من شأنها أن ترفع من مستوى الثقافة الذهنية، وتؤدي إلى تحسين سلوك الناس في اجتماعهم بعضهم إلى بعض . وهم يعملون المكان الأول بين هذه المعارف لفقته اللغة العربية والشعر وشروحه وتاريخ العرب وأيامهم ، ثم تلي ذلك العلوم الدينية ، وهي التي تقابل العلوم الدينية (القرآن والحديث والفقهاء) . ويدخلون في مفهوم الأدب — في بعض الأحيان — لطائف الذهن والألعاب وفنون التسلية ، وينظمون في سلكه — في أحيان أخرى — المعارف التجريبية ، تشبهاً مع ما ذهب إليه أرسطو ليس في تصنيفه للعلوم .

ثم تطور مفهوم الأدب مع مضي الزمن ، فصار يطلق على الكتب التي تجمع المتفرقات والأشتات ، وتعرض من المعارف أطرافاً من كل فن ، وتكثر فيها الحكايات التاريخية والأقاصيص والنوادر والبراعات الذهنية ، مما يشبه في أدبنا الإسباني كتاب « غابة المطالعة المتنوعة *Silva de varia leccion* » لبيروميشيا *Pero Mexia* ، أو يقرب من الكتب التي كانت توضع لتعليم الأمراء ، وما إلى ذلك .

ف ٥٤ — ابن عبد ربه وكتابه « العقد الفريد » :

وأقدم مؤلف أندلسي يُذكر في هذا الباب هو شاعر البلاط أبو عمر أحمد ابن محمد بن عبد ربه (٢٤٦ — ٣٢٨ هـ / ٨٦٠ — ٩٤٠ م) الذي ألمنا بذكره آنفاً (فقرة ١١) ، وكان من موالى بنى أمية ومدح نقرأ من أمراء هذا البيت آخرهم عبد الرحمن الناصر . وكتابه الجامع في هذا الفن هو « العقد » الذي يعرف عادة باسم « العقد الفريد » ؛ وهو يضم خمسة وعشرين كتاباً ينقسم كل منها قسمين ، وقد جعل عنوان كل باب من أبواب كتابه اسم جوهرة مما تنظم منه العقود .

يبدأ ابن عبدربه كتابه بكتاب «الؤلؤة» في السلطان — ويريد به السياسة — فيتحدث فيه عن السلطان وعلاقته برعيته ، وعن الحكومة وما إلى ذلك ؛ ثم يعقب ذلك الكتاب الثانى ويسميه كتاب «الفريدة» في الحرب ومدار أمرها ؛ ثم يلى ذلك كتاب «الزبرجدة» عن الأجواد والأصفاد ، ويسهب في الحديث عن الكرم «والترغيب في حسن الثناء واصطناع المعروف ، والمطية قبل السؤال واستنبجاز المواعيد» وما إلى ذلك ، ثم يفيض في الكلام عن أجواد العرب في الجاهلية والإسلام ؛ وينتقل من ذلك إلى كتاب «الجمانة» فيتكلم عن الوفود — ويريد بها السفارات — ويلم بذكر المشهور من سفارات العرب ؛ ويستدرج إلى كتاب «المرجانة» في مخاطبة الملوك ؛ ثم ينتقل إلى كتاب «الياقوتة» في العلم والأدب ، لأنهما «القطبان اللذان عليهما مدار الدين والدنيا وفرق ما بين الإنسان والحيوان وما بين الطبيعة الملكية والطبيعة البهيمية» ، وبمد أن يطنب في الكلام في فضائل العلم ينتقل إلى الحديث عن فنونه وشرائطه ، ويتخلل ذلك طائفة من أخبار العلماء وطبقاتهم وما يروى عنهم من حكايات تدل على ذكاء وبراعة ، ويتكلم عن طائفة من حميد الصفات كالحلم ودفع السيئة بالحسنة والسؤدد ، ويعقب ذلك بالكلام عن الفأل والطيرة وعما ينبغى للصدقة والود من واجبات ؛ وفي كتاب «الجوهرة» يتحدث عن الأمثال والحكم ؛ ويختص المواعظ والزهد بكتاب «الزمردة» ؛ ويفرد جانبا كبيرا من كتاب «اليتيمة» للكلام عن الشعوبية — وهم أهل التسوية ؛ ويتحدث في جزء كبير من كتاب «الياقوتة» الذى مر ذكره عن تأديب الصغير ، ويستطرد من ذلك إلى الكلام — في نفس الباب — عن طائفة من الخصال الحميدة ، وعن أساليب الكناية والتعريض والتلطف في قول ما لا يمكن المواجهة به ، ويحكى طائفة من النوادر ، ويتكلم عن اللغة وعيوبها وفضائلها وغرائب النحو ونوادر الكلام ، وعن فضائل المال وأوجه إنفاقه ، وعن الشيب والشيخوخة ؛ ويبدأ

كتاب «الجوهرة» بالحديث عن أمثال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم يسرد طائفة من أحاديثه والمأثور من حكم بعض العلماء ، وعمما يضرب به المثل من أحوال الرجال والنساء والحيوان مع مجموعة من الأمثال مرتبة حسب موضوعاتها ، ثم يتكلم عن القرآن والعبادات والصلوات ؛ ويفرد للخطب بابا خاصا يورد فيه طائفة كبيرة منها في شتى المناسبات ؛ ويتحدث في كتاب «الدرة» عن النوادر والقبور والخطب التي تلتق عليها ورسائل التعزية والمرأى ؛ ويختص كتاب «اليتيمة» بالكلام عن النسب وفضائل العرب ؛ وفي كتاب «المسجدة» يتحدث عن كلام الأعراب وعمما قالوه من جيد الكلام ويروي بعض ملحم ونوادرم في المناسبات المختلفة ؛ ويختص الأجوبة بكتاب «المُجَنَّبَةُ» فيعرض منها فيه مختارات لطيفة ؛ وفي كتاب «الواسطة» يروي طائفة من الخطب ؛ أما كتاب «المجنبة الثانية» فيفرده للتوقيعات والنصول والصدور وأخبار النكتية ، ويدور كله عن الكتاب وما ينبى لهم وما يجوز في الكتابة وما لا يجوز ، مع بعض ما قيل في القلم من الأمثال وأوصاف المحبرة والخبر والكتب والرسائل وما إلى ذلك ؛ ويختص كتاب «المسجدة الثانية» بالخلفاء وتواريخهم وأخبارهم ، ويوجز أخبار الخلفاء الراشدين والأمويين في الشرق والأندلس إلى أيام عبد الرحمن الناصر ؛ وفي «اليتيمة الثانية» يتحدث عن أخبار زياد والحجاج والطالبيين والبرامكة ، ويورد في خلال ذلك أطرافا من تاريخ العرب وأيامهم في الجاهلية ؛ ويتحدث في كتاب «الجوهرة الثانية» عن الملققات و«فضائل الشعر ومقاطعته ومخارجه» وأعاريضه وعلل القوافي وما يتصل بذلك ؛ ويعقد كتابا خاصا تحت عنوان «الياقوتة الثانية» للغناء واختلاف الناس فيه ويتحدث عن الأصوات والمغنين ؛ ويلى ذلك كتاب «المرجانة الثانية» عن النساء وصفاتهن المختلفة والطلاق ومكر النساء وغدرهن وما إلى ذلك ؛ ويلى ذلك كتاب «الجمانة الثانية» في التنبئين والمرورين والبخلاء والطفيليين ؛ وفي كتاب «الزبرجدة الثانية» يتحدث عن طبائع الإنسان وسائر الحيوان وتفاضل البلدان ، وفيه يتحدث عن

الدور والملابس ، وعن علاقة الإنسان بالعجائز وعن الجغرافية والطب والتأمم ؛
 ويعقد بعد ذلك كتابا خاصا تحت عنوان « الفريدة الثانية » للكلام عن الطعام
 والشراب ، وما ينفع الصحة مما يؤكل ، وعن النبيذ وما تخمر من الشراب ؛
 ثم يحتم الكتاب بكتاب « اللؤلؤة الثانية » عن الفكاهات والملح ، مع طائفة من
 الحكايات والنوادر والألغاز والأحاجي .

ذلك هو بعض ما يضمه هذا الكتاب من متنوعات ومفهرقات ، وقيمه
 وقائده في إطلاعنا على أحوال الحضارة الإسلامية في عصره أعظم من أن تقدر ،
 لأنه يعرض علينا ما كان ينبغي أن يحيط به المتحضر المتعلم في ذلك العصر من
 معارف . أما قيمته بالنسبة لتاريخ الأندلس فتنحصر في أنه أول كتاب من نوعه
 كتب في الأندلس ووصل إلى أيدينا ، وفيه أقدم عرض لتاريخ بني أمية
 الأندلسيين . ويعتبر هذا الكتاب — فيما يتصل بتاريخ الفكر الأندلسي —
 « أكبر مظهر لتبعية الأندلس الفكرية للشرق ، وهو يعين لنا ذروة هذه
 التبعية . ولا زال هذا الكتاب متداولاً بين أيدي المشاركة يستخدمونه ويفيدون
 منه ، ولا يستغنى الإنسان في استخدامه عن الفهارس الأخيرة التي وضعها محمد
 الشافعي على طبعته التي أصدرها في كلكتا بين سنتي ١٩٣٥ و ١٩٣٧ » (١) .

ف ٥٥ — أبو علي القالي — ابن الجسور :

أبو علي القالي (٢٨٨ — ٩٠١/٣٥٦ — ٩٦٧) ممن وفدوا من أهل الأدب
 المشاركة على الأندلس ونال فيها حظوة عظيمة في عصرى عبد الرحمن الناصر وابنه
 الحكم المستنصر . ومولد أبى علي بمنّا زجرّد — على مقربة من بغداد — من
 ديار بكر ، وإنما قيل « القالي » لأنه سافر إلى بغداد مع أهل قالي قلى ، وهى من
 أعمال ديار بكر (٢) .

وقد اتقن علوم اللغة والشعر والنحو على طريقة البصريين ، ثم وفد على

الأندلس في سنة ٩٤١/٣٣٠ ، وهناك قعد لتدريس الحديث واللغة العربية وآدابها . وقد عنى باللغة عناية تفوق ما صرفه إلى غيرها ، ثم عهد إليه عبد الرحمن الناصر في تأديب ولده وولى عهده الحكم ، ولدينا أسماء بعض ما ألف من الكتب في النحو ، ولا شك أن تلميذه أبا بكر الزبيدي أفاد من هذه الكتب فائدة كبيرة وتأثر بها .

وبين أيدينا الآن جزء من كتابه المسمى « كتاب العالم » وهو في الحديث ، ثم « كتاب الأمالي » (وقد طبع في بولاق سنة ١٣٢٤ هـ)^(*) التي أملاها على تلاميذه من الأندلسيين ، وهو كتاب متفرقات يعرض طائفة من الأحاديث التي تشير إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، وفصولا متفرقة في العرب ولغتهم وشعرهم وأمثالهم ، وأخباراً تاريخية تتصل ببعض شعرائهم في عصر الخلافة ، وقطعا من النظم والنثر أخذها عن شيوخه .. الخ .

وقد أهدى الكتاب إلى عبد الرحمن الناصر وقال في إهدائه : « .. فإنني لما رأيت العلم أنفس بضاعة ، أيقنت أن طلبه أحسن تجارة ، فاغتربت للرواية ، ولزمت العلماء للدراية ، ثم أعملت نفسي في جمعه ، وشغلت نفسي بحفظه ، حتى حوَّيت خطيرَه وأحرزت ربيعَه ، ورويت جليله وعرفت دقيقه ، وعملت شارده ورويت نادره ، وعلمت غامضه ووعيت وانحه ، ثم صنته بالكتبان عمن لا يعرف مقداره ، ونزَّهته عن الإذاعة عند من يجهل مكانه ، وجعلت غرضي أن أودعه من يستحقه ، وأبديه لمن يعلم فضله ، وأجلبه إلى من يعرف محله ، وأنشره عند من يشرفه ، وأقصد به من يعظمه .. »^(**) .

وقد أشرنا فيما سلف (فقرة ١٤) إلى ما تصدى له صاعد البغدادي من تأليف كتاب « أمال » يضاها به أمالي القالي .

أما ابن الجسور (أحمد بن محمد بن أحمد بن سعيد بن الحُباب ٣١٨ أو ٣١٩

(*) وأحسن طبعاته وآخرها طبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٢٦ .

(**) أبو علي القالي : الأمالي ، طبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٦ ، ص ١ .

— ٤٠٠ هـ / ٩٣١ أو ٩٣٢ — ١٠١٠ م) فكان أول أساتذة ابن حزم فى الحديث والتاريخ ، وكان ابن الجسور تلميذاً لقاسم بن أصبغ الذى برع فى الوثائق والأحكام ، كما كان « خيراً فاضلاً أديباً شاعراً » ، وقد كتب كتاباً بعنوانه « الذئيل المذيل » يغلب أن مادته كانت شعراً وأدباً ، وقد ضاع .

ف ٥٦ — أبو بكر الطرطوشى وكتابه «سراج الملوك» :

هو أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف الطرطوشى الملقب « بابن أبى رندفة » ؛ ولد سنة ١٠٥٩/٤٥١ ، وأصله من طرطوشة ، وكان قد صحب القاضى أبى الوليد الباجى بسرقسطة وأخذ عنه مسائل الخلاف وسمع منه وأجازه هذا الأخير ، [وقرأ الفرائض والحساب بوطنه] وقرأ الأدب على أبى محمد بن حزم فى إشبيلية^(٣) . وكان الطرطوشى زاهداً متورعاً يغلب عليه الخوف من الله ، وكان يعيش عيشة صلاح وتقوى متقللاً من الدنيا ، قولاً للحق ، وكان يقول : « إذا عرض لك أمران — أمر دنيا وأخرى — فبادر بأمر الأخرى يحصل لك أمر الدنيا والأخرى »^(٤) . وقد خرج من الأندلس سنة ١٠٨٣/٤٧٦ إلى المشرق ، ودخل بغداد والبصرة ودمشق ثم استقر فى مصر ، وقضى بقية حياته فيها وتوفى فى الإسكندرية^(٥) سنة ١١٢٦/٥٢٠ ، أو ١١٣٠/٥٢٥ على قول آخر . وقد ترجم له « شاك » إلى الألمانية شعراً ، ونقل عنه قاليرا — شعراً أيضاً — هذا البيت :

أقلب طرفى فى السماء تردداً لعلى أرى النجم الذى أنت تنظر
[وبقية القطعة كما يلى :

وأستعرضُ الركبان من كل وجهة لعلى بمن قد شم عَرفك أظفرُ
وأستقبل الأرياح عند هبوبها لعل نسيم الريح عنك تحبُّرُ
وأمشى ومالى فى الطريق مآرب عسى نعمة باسم الحبيب ستذكر
وألمح من ألقاه من غير حاجة عسى لمحة من حسن وجهك تسفر^(٦)

وتحدثنا الكتب عن مؤلفات للطرطوشي ضاع معظمها ، بعضها في علوم القرآن وبعضها في الأخلاق أو في مسائل الجدل^(٧) . ولكن شهرته في العالم الإسلامي ترجع إلى كتاب «سراج الملوك» الذي ألفه للمأمون الباطني الوزير الفاطمي (طبع في بولاق ١٢٨٩ هـ)^(*) ، وموضوع الكتاب واجبات الملوك والفضائل والخلال التي ينبغي أن يتحلوا بها ، ويتحدث عن خصالمهم في السلم والحرب فيقول :

« فجمعت محاسن ما انطوى عليه سيرهم — خاصة من ملوك الطوائف وحكام الدول — فوجدت ذلك في ست من الأمم وهم : العرب والفرس والروم والهند والسند والسند هند . فأما ملوك الصين وحكامهم فلم يصل إلى أرض العرب من سياستهم شيء كثير لبعده الشقة وطول المسافة ؛ وأما من عدا هؤلاء من الأمم فلم يكونوا أهل حكمة بارعة ، وقراءم نافذة ، وأذهان ثاقبة ؛ وإنما صدر عنهم الشيء اليسير من الحكمة ، فنظمت ما أقيت في كتبهم من الحكمة البالغة ، والسير المستحسنة ، والكلمة اللطيفة ، والظريفة المألوفة ، والقويح الجميل ، والأثر النبيل ، إلى ما رويته وجمعت من سير الأنبياء عليهم السلام ، وآثار الأولياء ، وبراعة العلماء ، وحكمة الحكماء ، ونوادر الخلفاء ، وما انطوى عليه القرآن العزيز الذي هو بحر العلوم وينبوع الحكم ومعدن السياسات ، ومقاص الجواهر المكنونات : إن اختصر فلمحة دالة وإشارة خفية ، وإن أطل فالأفاظ بارعة وآيات معجزة . هو الهادي من الضلالة ، والحاوي لمحاسن الدنيا وفضائل الآخرة » .

وهو يقصّ في ثنايا الباب الحادي والستين من كتابه — « في ذكر الحروب وتديورها وحيلها وأحكامها »^(**) — خبر وقعة وادي « لكة » ويذكر كيف

(*) طبع بعد ذلك مزاراً ولكنه لم ينشر نفرة علمية إلى الآن . ونحن نرجع هنا إلى طبعة المكتبة العربية بالقاهرة (القاهرة ١٩٢٥) .
(*) س ٣٢٦ وما يليها .

قُتل فيها لندريق واحتز رأسه وُبعث به إلى موسى ، وكيف أرسله هذا الأخير إلى الخليفة الوليد بن عبد الملك (*) . وفيه كذلك حكايات ذات أهمية عن نظام جيش المنصور وقيادته وعن القضاء في أيامه ، وفيه أخبار عن وقوف الفقهاء في وجه السلطان وحدّم من سلطانه ، وإشارات إلى رُذمير الأول ملك أرجون وموقعة « الكراز » (**). وأسباب انهزام المستعين بن هود فيها ، وغير ذلك .

وقد ترجم هذا الكتاب إلى الإسبانية الأستاذ « الأركن » أستاذ العربية في برشلونة ؛ وإليك نموذجاً من كلامه عن أساليب الأندلسيين في الحرب (٨) :

صفة ترتيب الجيش عند اللقاء :

« فأما صفة اللقاء ، وهو أحسن ترتيب رأيناه في بلادنا ، وهو أرجح تدير فعله في لقاء عدونا ، أن تقدم الرجلة بالهرق الكاملة ، والرماح الطوال والمزاريق المسنونة النافذة ، فيصُفّوا صفوفهم ، ويركزوا سراكزم ، ورماحهم خلف ظهورهم في الأرض ، وصدورهم شارعة إلى عدوهم ، وهم جاثمون في الأرض . وكل رجل منهم قد أتم الأرض ركبته اليسرى وترسه قائم بين يديه ، وخلفهم الرماة المختارون الذين تمرق سهامهم من الدروع ، والتحليل خلف الرماة . فإذا حملت الروم على المسلمين لم يتزحزح الرجلة عن هياتهم ولا يقوم رجل منهم على قدميه ، فإذا قرب العدو رشقهم الرماة بالنشاب والرجلة بالمزاريق ، وصدور الرماح تلقاهم ، فأنخذوا يمنة ويسرة ، فتخرج خيل المسلمين بين الرماة والرجلة فتتال منهم ما شاء الله . ولقد حدثني من حضر مثل هذه الوقعة في بلدى طرطوشة قال : صافقتا الروم على هذا الترتيب فحملوا علينا ، فبينما رجل منا كان في آخر الصف فقام على قدميه فحمل عليه عالج من العدو فأصاب غرته فقتل » .

(*) ص ٣٣٤ - ٣٣٥ .

(**) تسمى في النص موقعة وشقة ، انظر السراج ، ص ٣٣٠ - ٣٣١ .

ف ٥٧ — ابن أبي الخصال ، ابن عبد البر ، ابن الأندلسي ، ابن المواهبي :

يعتبر أبو عبد الله بن أبي الخصال النافق (٤٦٥ — ١٠٧٢/٥٤٠ — ١١٤٥) مقلداً لأبي علي القالي والحصري القيرواني صاحب « زهر الآداب ». وهو من قرية على مقربة من شقورة في كورة جتيان . وكان يلقب برئيس كتاب الأندلس^(٩) ، واشتهر أمره لفضائله الكثيرة واشتغل كاتباً لأمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين ، وكان صديقاً لابن عبدون وابن بسام . وكانت له شهرة في النحو والبلاغة والتاريخ والشعر ، وكان كما يقول المراكشي : « آخر الكتاب وأحد من انتهى إليه علم الآداب ، وله مع ذلك في علم القرآن والحديث والأثر وما يتعلق بهذه العلوم الباع الأرحب واليد الطولى »^(١٠) ، وقد ضاع كتابه المسمى « بسراج الأدب » ولم يبق لنا من آثاره التي تعرفنا به إلا بعض ما ألف شعراً ونثراً في حياة الرسول والصحابة ، وخاصة قصيدته في نسب النبي صلى الله عليه وسلم .

ومن المؤلفات الجديرة بالذكر في موضوع الأدب كتاب « واجب الأدب »^(١١) لموسى بن محمد سعيد المنسي اليحصبي ، والد الأديب المؤرخ الشاعر علي بن سعيد صاحب « المغرب » وغيره (ف ٧٨) ، وكتاب « اللآلئ » للبكري وقد ألفه في شرح « الأمالي » ، وكذلك ألف أبو محمد بن السيد البطليوسي كتاب « الاقتضاب في شرح أدب الكتاب »^(١٢) .

وقد ألف الفقيه ابن عبد البر (أبو عمر يوسف بن عبد الرحمن النمري) (ف ١٢٠) كتاباً لابن الأندلس صاحب بطليوس عنوانه « بهجة المجالس وأنس المجالس » « مما يجرى في المذاكرات من غرر الأبيات ونوادر الحكايات » ؛ وهو مجموع من الحكم والحكايات ، يتكلم فيه عن الحياء والتواضع والعادات الحسنة والسيئة ، وعن مكارم الأخلاق والسؤدد والإمارة ، وفي حمد الحلم وذم السفه . وفيه حكايات عن الولد والوالد ، والأقارب والموالى ، والصديق والعدو ، و « جامع متخير في الإخوان » وما ينبغى عليهم بعضهم لبعض ، وعن الوعظ ، وعن الثقلاء والطفيليين ، وعن

ذم الناس ومساوئه ، وآداب الصحبة ^(١٣) .

وكان المظفر بن الأفلح (٤٣٦—٤٥٣/١٠٤٥—١٠٦٢) صاحب بطليموس نفسه أديباً ذا شهرة طائفة ، وكان واسع المعارف في شتى العلوم ، وكان يتخذ من الكتاب أصدقاء له ، وكان جماعاً للكتب يقتنى في قصره خزانة عامرة . وقد صنف « الكتاب المظفري » ، « وفيه تاريخ على السنين وفنون وآداب كثيرة » ، كما قال ابن حزم في رسالته في فضل الأندلس ، وقال عنه المقرئ : « يشتمل على فنون وعلوم من مغازٍ وسير ومثل وخبر ، وجميع ما يختص به علم الأدب » ^(١٤) .

وفي خلال القرن الثاني عشر الميلادي برع في هذا النوع من التأليف ابن الموائع ، وهو أبو القاسم محمد بن إبراهيم بن خيرة ، من أهل قرطبة (توفي سنة ٥٧٠/١١٦٨) ، وكان تلميذا لابن العربي وابن أبي الخصال ، ودخل في خدمة للوحدين سنتين ، ووضع كتاباً من طراز الكتب التي نتحدث عنها في هذا الفصل هو « ربحان الألباب وربحان الشباب » ، لدينا منه نسخة مخطوطة في مكتبة المجمع الملكي للتاريخ ببلدريد ، جعله في سبع « مراتب » في أبواب متنوعة ؛ « المرتبة الأولى مرتبة تدريج النمو والارتقاء إلى مراقي السمو والاعتلاء ؛ والثانية مرتبة لمع من قانون العريضة ونبت من الألفاظ الغوية ؛ والمرتبة الثالثة مرتبة الإبهام بالمعاريض والكلام المحتمل التعريض ؛ والرابعة مرتبة الفصاحة في البلاغة ، وجامع في لوازم إنشاء الصناعة ؛ والخامسة مرتبة نظام القريض والتزام ميزان العروض ؛ والسادسة مرتبة اقتضاب شجرة النسب ومقتهاه من ولد آدم ونوح إلى جذم العرب ؛ والسابعة مرتبة اختيار الأشعار والأخبار وما يتعلق بها من مآثر الحديث والآثار .. الخ » ^(١٥) . وأطول أقسام الكتاب آخرها ، ويروي الموائع في تاريخه بني أمية وبني العباس ، ويذكر أخبار فتح الأندلس ، ويلم بذكر من ولي الأندلس من المسلمين وأنسابهم إلى سنة ٥٥٩ / ١١٦١ ^(١٦) .

ونجد في « شرح قصيدة ابن عبدون » لأبي محمد عبد المجيد بن بدرون

(ف ٣٧) مواد كثيرة تدخل في باب هذا الضرب الموسوعي من التأليف (الأدب) ، وكذلك نجد في كتاب « ملك النحل » لمحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم ابن يحيى الحكيم اللخمي الفرناطي ، وقد فرغ من تأليفه سنة ٧٩٢/١٣٩٠ ميلادية ، وهو يتناول الكلام في نشأة العلوم والفنون وتطورها ويتحدث عن الظاهرين في كل علم وفن ، وتتخلل الكتاب كله الحكم والأمثال .

ف ٥٨ — يوسف بن الشيخ البلوى الملقب (٥٢٦ — ٦٠٣/١١٣٢ — ١٢٠٧) :

كان « موفور الحظ من علم اللغة والأدب ، متقدما فيهما مشاركا في الفقه والأصول ، من العلماء العاملين ، مؤيدا على الطاعات » (*) . وله رحلات إلى المشرق جمع فيها ملاحظات طريفة كوصفه لمنارة الإسكندرية ، وهو أكمل وأدق ما لدينا عن هذا الأثر الجليل (١٧) . وقد وضع لابنه « كتاب ألف باء » ليعلمه ويؤدبه (طبع في القاهرة ١٢٨٧ هـ) ، وهو أشبه بموسوعة جامعة لفنون الثقافة العامة ، وقد كتبه في أسلوب بليغ والتزم فيه السجع بين الحين والحين ، ورتب مواد على حروف المعجم .

تناول ابن الشيخ في كتابه موضوعات في الحساب والطبيعة والنبات والحيوان ، وتكلم عن الإنسان (صفة أعضائه وملامح وجهه وفضائله وورثاته) ، وتحدث في علم الاجتماع والشريعة والأديان والمذاهب وفقه اللغة ونحارج الحروف والنحو ومعاجم اللغة وعلم الصرف والشعر والحكايات والأساطير . والكتاب عبارة عن موسوعة مختصرة تجمع أطراف ثقافة أوساط الناس في عصره وتجمعها في متناول قارئه .

ف ٥٩ - الفلورون مقامات الحريرى والمفلورون عليها :

تعتبر مقامات أبى على محمد قاسم بن الحريرى (عاش من ١٠٥٤/٤٤٦ أو ١٠٥٥ إلى ١١٢٢/٥١٥) من أوسع كتب الأدب العربى ذيوفا فى العالم الإسلامى . وكان الحريرى من أهل البصرة ، وهو من أسرة عريقة ذات فضل فى ناحية قريبة من قرية « مَسَّان البصرة » ، وقد درس فى البصرة ثم تولى البريد فيها . وبدأ يكتب « مقاماته » سنة ٤٩٥/١١٠٢ على الأغلب ، وأرسلها على لسان شخصية تخيلها لشيخ جليل ، وجعل الكتاب خمسين فصلاسمى كل واحد منها « مقامة » ، إشارة إلى اجتماعات العلماء والأدباء فى قصور اللوك والحكام . وكانت هذه المجالس تسمى المقامات ، وكانت الأحاديث فيها تدور حول النحو والأدب ، وكان المجتمعون فيها يتنافسون فى إظهار مآلدهم من براعة وعلم . وهذه الشخصية التى تسمى على لسانها « للمقامات » هى شخصية أبى زيد السروجى ، يذهب السيوطى إلى أنه كان شيخا جليلا ، ويقدمه لنا الحريرى مرة شحاذا شريدا ، ومرة أخرى أديبا أو واعظا ، ومرة ثالثة صلوكا ذاحيلة وبديهة حاضرة ، وهو ينتقل من قوم لقوم ، ومن جماعة لجماعة ، ويلقى فى كل مكان يحل به من الكلام ما يشهد بعلمه الواسع باللغة ويدل على ظرفه وتوقد ذهنه ومجونه . بيد أن « للمقامات » لا يجمع بينها إلا رابطة واحدة هى صدورها كلها عن شخصية أبى زيد السروجى (*).

وإنه لما استلقت الذهن ويدعو إلى الدهشة ، ذلك الشبه العظيم بين هذا الأثر الأدبى وذلك الطراز المعروف فى أدبنا الإسپانى باسم « قصص الصعاليك la novela picaresca » ، وهو موضوع جدير بالدراسة . وقد ذاعت مقامات الحريرى ذيوفا عظيما فى حياة مؤلفها ، حتى ليقال إنه راجع سبعائة نسخة منها وأجازها ، هذا على الرغم مما رماه به بعض خصومه من أن الكتاب ليس له

(*) حاجى خليفة : كشف الفنون (استنبول ١٣١١) ، ج ٢ ، ص ٤٩٦ .

وإنما لرجل مغربي وزعمه الحريري لنفسه . ولم يقتصر ذبوع المقامات على أوساط المسلمين ، بل أقبل عليها النصارى واليهود وترجمها نفر منهم إلى لغاتهم .

وقد وصلت مقامات الحريري إلى الأندلس ، وكان لها بين أدبائه صدى

بعيد ، ومضى نفر من الأندلسيين ينسجون على منوالها ؛ فنجد الفقيه ابن القصير (أبا جعفر عبد الرحمن بن أحمد الأزدي المتوفى سنة ٥٧٥ / ١١٨٠) ينشئ

« مقامات » بين ما كتب من رسائل أدبية وخطب مواظ . وكذلك ألف

أبو طاهر محمد بن يوسف السرقسطي الإشتروني (نسبة إلى إشترقونة Estercuel)

مجموعة « مقامات »^(١٨) لازالت مخطوطة في مكتبة برلين ، وكذلك وضع

أبو طالب عقيل بن عطية القضاعي الراكشي^(١٩) شرحا على مقامات الحريري .

وقد توفى عقيل سنة ٦٠٨ / ١٢١١ ، وهو صرا كشى المولد طرطوشي الدار ،

وكان تلميذا لابن بشكوال وتولى قضاء غرناطة ، وكان شاعرا مجيدا احتفظ

لنا ابن الخطيب في « الإحاطة » بأطراف من شعره ، وقد اشتهر بمعارضته

لابن عبد البر . وكان أكبر شراح « مقامات » الحريري في العالم الإسلامي

أندلسيا من شريش ، هو أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن الشريشي (المتوفى

سنة ٦١٨ / ١٢٢٢) ، وكان رجلا واسع العلم يعد من بين شيوخه الكثيرين أبا عبد الله

محمد بن زرقون القاضي وأبا منصور بن جبير ، وكان بارعا في علوم اللغة والعروض ،

وقد جمع كتاب « النوادر » لأبي علي القالي (ف ٥٥) وشرح كتاب « الإيضاح »

للفارسي وكتاب « الجمل » للزجاجي . وذكر ابن الأبار أنه لقي الشريشي في بلنسية ،

وقرأ عليه جزءا من شرحه على المقامات وأجاز له الشريشي رواية بقيتها ؛ « وقد

قيل إن له ثلاثة شروح [لمقامات الحريري] ، ولم يترك في كتاب من شروحه فائدة

إلا استخرجها ولا خريدة إلا استدرجها ، فصار شرحا يفتى عن كل شرح تقدمه

ولا يحتاج إلى سواه في لفظ من ألفاظها ، وقد أخذ من شرح القنجديهي شيئا

كثيراً ، كما ذكره فيه « (*) . وما يدلنا على أهمية شرح الشريشى أن الناشرين المحدثين يعملون على هوامش طبعاتهم للمقامات . وقد ذكر سافستر دى ساسى أنه استعمل فى شرحه لمقامات الحريرى كثيراً من الشعر الذى أورده الشريشى فى شروحه ، وتأكد أن الشريشى كان حريصاً على الدقة فيما أورده من نصوص ، وأنه استعمل شروحا أخرى ضاعت اليوم . هذا والشريشى لا يكتفى بما يضع على المقامات من الشروح الأدبية بل يضيف من علمه الواسع طائفة عظيمة من الموضوعات ذات الأهمية البالغة (٢٠) .

(*) حاجى خليفة : كشف الظنون ، ج ٢ ، ص ٤٩٧ — ٤٩٨ .

الفصل الرابع

التحو ومعاجم اللغة

- ف ٦٠ — زوائل النحويين الأندلسيين ، الزيدى ، أبو علي الشاويى ، ابن مالك ،
أبو حيان .
ف ٦١ — معاجم اللغة .

ف ٦٠ — أوائل النحويين الأندلسيين ، الزبيرى ، أبو على السأوينى ،

ابن مالك ، أبو هيبان :

كان الناس أول الأمر يدرسون اللغة فى الأندلس عن طريق قراءة النصوص الأدبية والكتب ، دون استعمال كتب خاصة فى النحو ؛ ثم عرفوا بعد ذلك كتبه . وأول ما ذاع بينهم منها كتب الكسائى (المتوفى سنة ١٨٨ / ٨٠٤) وسيبويه ، ثم ظهر من بينهم من ألف فى هذا الباب كتباً مثل جودى بن عثمان النحوى العيسى المورورى (المتوفى سنة ١٩٨ / ٨١٣) . وكان أول من أدخل الأندلس كتاب الكسائى ، ثم وضع بعد ذلك كتباً فى النحو مثل « منبهِ الحجارة »^(١) . ومن أوائل من ألف فى النحو فى الأندلس أبو على القالى (ف ٥٥) الذى ألف رسالة عن « المقصور والمدبوع » ، ورسالة أخرى عن الأفعال عنوانها « فعلت وأفعلت » ، وكذلك كتاب « البارع فى اللغة » وقد سبقت الإشارة إليه ، وهو موسوعة لغوية رتب فصولها على أحرف الهجاء وكان يقع فى خمسة آلاف ورقة^(٢) . وهناك أيضاً « كتاب الأفعال فى اللغة » لأبى بكر بن القوطية (نشره جويدى سنة ١٨٩٤) ، وقد شرحه وعلق عليه ابن طريف مولى بنى عبيد المتوفى سنة ١٠٠٩ / ٣٩٩^(٣) .

وكانت أذيع كتب النحو على أيام ابن حزم « تفسير الحروف لكتاب الكسائى »^(٤) ، وكتابتان لابن سيدة المرسي الضرير (أبى الحسن على بن إسماعيل المتوفى سنة ٤٥٨ / ١٠٦٥) : أولها « كتاب العالم والمعلم » ، والثانى « شرح » له لكتاب الأخفش^(٥) ؛ (ويغلب أن الأخفش هو على بن فضل الذى توفى فى بغداد : حوالى سنة ٣١٤ / ٩٢٧) .

وقد أشرنا فيما سبق إلى أهمية كتب النحو التى ألفها أبو محمد بن الحسن الزبيدى الإشبلى (ف ١٢) مؤدب الخليفة هشام المؤيد فى صباه ، ونضيف

الآن أن الزيدي كان — كما يقول خليان ريبيرا — « يحاول بدراساته أن ينقى كتب الأدب مما يتطرق إليها من الألفاظ العامية ، ويرشد الأندلسيين إلى ما ينبغي من العربي الصحيح »^(٦) . وقد قام أبو الحجاج يوسف بن عيسى (توفى سنة ١٠٨٣/٤٧٥) بشرح مافي كتاب سيبويه من الشعر ونقد نحوه . وكان الأعم البطليوسى يسمى بالنحوى ، وقد وضع شرحا « لجلل » الزجاجي وكتاب « الحاسة » ، وألف عدداً من الكتب الجيدة في النحو^(٧) .

ويطلب أصحاب كتب التراجم في الكلام عن غزارة علم أبي الوليد هشام بن أحمد الكنانى الوثقى الطليلي (٤٠٧—٤٨٨/١٠١٧—١٠٩٥) في النحو واطلاعه على المعاجم وتحقيقه بطائفة من العلوم الأخرى ، وأصله من وقش^(٨) . ويقولون إن أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصارى المعروف بابن الباذش الغرناطى (٤٩١—٥٤٠/١٠٩٧—١١٤٥) كان يمدّ نفسه واحداً من أعلام النحو الثلاثة في عصره^(٩) . ويُعتبر أبو الحسن علي بن محمد الحضرمى المعروف بابن خروف الإشبيلي^(١٠) المتوفى سنة ٦٠٢/١٢١٢ صاحب الشروح المعروفة على سيبويه والزجاجي وعيسى بن سليمان بن عبد الملك الرعيني الرندى (ويكنى أبا محمد ، توفى سنة ٦١٥/١٢١٩ ، وكان مائتقى الدار)^(١١) ، وأبو الحسن بن عصفور الإشبيلي^(١٢) (المتوفى سنة ٦٦٢/١٢٦٤) أعلام النحو في عصرهم ، إلى جانب أبي علي عمر الأزدي الشلوينى (نسبة إلى حصن شلوينية على ساحل غرناطة ، ٥٦١—٦٤٤/١١٦٦—١٢٤٧) . والشلوينى من أهل إشبيلية ، وقد أخذ النحو والبلاغة عن أبي إسحاق ابن ملكون ، واشتغل سنوات طويلة بتدريس اللغة العربية ، ووضع شرحا « للجزولية » التي ألّفها أبو موسى بن عيسى الجزولى ، وكتاباً آخر يسمى « التوطئة » ؛ وقد أدرك بكتابه هذين شهرة واسعة ومكانة ممتازة بين المعنيين بالشروح النحوية^(١٣) .

وأوسع علماء العرب شهرة في النحو هو ابن مالك (جمال الدين محمد بن عبد الله ، ٦٠٠—٦٧٢/١٢٠٨—١٢٧٤) ، ولا زالت تواليقه في النحو

تتدارس إلى اليوم . وُلد ابن مالك في جَيَّان ودرس في الأندلس ، ثم خرج إلى المشرق واشتغل بتدريس النحو في حلب وحماه ودمشق حتى آخر أيامه ، ومن بين مؤلفاته الكبيرة « الكافية الشافية » ، وهي كتاب منظوم في النحو يقع في ثلاثة آلاف بيت من بحر الرجز ، و « الألفية » وهي مختصر الكافية^(١٤) ، وتقع في ألف بيت ، وقد نشرها سيلفستردى ساسي مع شرح وتعليق فرنسيين في سنة ١٨٢٣ ، ونقلها إلى الفرنسية بعد ذلك پنتو Pinto في سنة ١٨٨٧ ، وجوجويه Goguyer في سنة ١٨٨٨ ، ووضع علماء المسلمين فيما بعد شروحا كثيرة على ألفية ابن مالك . وقد قدم ابن مالك بها خدمة جليلة لدارسي النحو العربي على الرغم من قدح خصومه في عمله ، فقد نسق قواعده وبسط معلوماته ، وإن كان يؤخذ عليه غموض وعدم وضوح في بعض المواضع مما لا ينبغي أن يقع في مؤلف تعليمي^(١٥) .

ويستبر ابن السيد البطليوسى^(١٦) (أبو محمد عبد الله بن محمد ، ٤٤٤ — ٥٢١ / ١٠٥٢ — ١١٢٧) وعبد العزيز بن الطراوة^(١٧) وأبو القاسم السهيلي^(١٨) (توفي سنة ١١٨٧/٥٨٣) من أصحاب الكتب الذائمة في النحو مثل « الروض الأُنْف » لهذا الأخير . وعند ما استولى النصارى على غرناطة غادرها نفر من كان بها من علماء النحو واستقروا في مراکش ، فأصبحت بفضلهم مركزاً من مراكز دراسته ، أما أمير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بن النفزي الأثرى الغرناطى (٦٥٤ — ٧٤٥ / ١٢٥٧ — ١٣٤٤) فقد توجه إلى المشرق حاملاً إلى أهله ثروة حافلة من النحو والصرف ، فرد بذلك إليهم — مزيداً — ما أسلفوه للأندلس من العلم في هذه الناحية في القرون السابقة .

درس أبو حيان في غرناطة ومالقة ، وكان يلقب « بشيخ النحاة »^(١٩) « لعله الغزير في هذا الباب . وكان إلى جانب ذلك واسع المعرفة بفروع أخرى من العلوم الإسلامية ، كالتفسير والحديث والشروط والقواعد وتراجم الناس وطبقاتهم » وغير

ذلك^(٢٠) . وقد بارح أبو حيان الأندلس في سنة ١٢٨٠/٦٧٨ ، وطاف بنواحي المغرب ومصر ووصل إلى الحبشة ثم حج إلى بيت الله الحرام ، وتوجه بعد ذلك إلى الشام ؛ وانتهى به اللطاف آخر الأمر في القاهرة .

وقد أتقن اللغات الفارسية والتركية والحبشية . وأبدى في القاهرة نشاطا عظيما وخلف شيخه محمد بن النحاس في أستاذية النحو ، وكان شيخ المحدثين بالمدرسة المنصورية في القاهرة ، وكان يقرأ القرآن في المسجد . وكان متين الخلق ، حسن العشرة ، ذكيا صاحب أفكار مبتكرة وفكاهة مستحبة . وكان إلى جانب ذلك كله يقول الشعر ، وبعض أشعاره ينم عن تشاؤم ، كقوله ناظلاً معنى حكمة لعل ابن أبي طالب :

إذا وُضِعَ الإِحْسَانُ فِي الخَبِّ لَمْ يُفَيْدْ سِوَى كُفْرِهِ ، وَالْحَرِيْبُ يَجْزِي بِهِ شُكْرًا
كَغَيْثِ سَقَى أَمْحَى فِجَاءَتِ بِسْمِهَا وَصَاحِبَ أَصْدَاقًا فَانْمَرَتِ اللُّثْرَا^(*) (٢١)

وكان يعيش عيشة تقشف ويقول : « يكنى الفقير في مصر أربعة أفلس : يشتري له بائنة بفلسين ، وبفلس زيبيا ، وبفلس كوز ماء ، ويشترى ثاني يوم ليونا يأكل به الخبز » ؛ وكان يعيب على مشتري الكتب ويقول : « الله يرزقك عقلا تعيش به ! أنا أيُّ كتاب أردته استعرته من خزائن الأوقاف ، وإذا أردت من أحد أن يعيرني دراهم لم أجد ذلك » . وأنشد لنفسه :

[إن الدرهم والنساء كلاهما لا تأمننَّ عليهما إنسانا

ينزعن ذاللب للثنين من التقى فترى إساءة فعله إحسانا^(٢٢)

ولم يبق لنا من كتب أبي حيان إلا كتابان — على الرغم من أن من ترجموا له يقولون إنه وضع خمسين مؤلفا — الأول في التفسير وهو مخطوط بمكتبة لايدن ،

(*) القرى : قح ، ١٠ ، ص ٨٦٠ — ٨٦١ . ولم أجد في الأصل لأبي حيان غير هذين البيتين ، وإن كان بالنسبة يستطرد في ترجمة أبيات أخرى لم أجد لها في الأصل .

والثاني في النحو عنوانه « فضل النحو » ، مخطوط في مكتبة برلين . وقد ألف أبو حيان كذلك في نحو الفارسية والتركية^(٢٣) .

ف ٦١ - معاجم اللغة :

وكان فن تصنيف المعاجم يتطور في الأندلس جنبا إلى جنب مع دراسات النحو . وكانت طلائع مؤلفات الأندلسيين في هذا الباب مختصرات لمعاجم شرقية ، ومثال ذلك كتاب « نوار اللغة » الذي وضعه أبو علي القالي (ف ٥٥) ، فهو أشبه بشرح لما ورد في « الكامل » لأبي العباس المبرد من الغريب ؛ وكذلك وضع الزبيدي (ف ١٢ و ٦٠) مختصرا « لكتاب العين » للخليل بن أحمد ، وقد ذاع هذا المختصر وأصبح معتمدا للناس في الدراسة في الأندلس ، ولا توجد مخطوطاته الآن إلا في مكتبات الأندلس^(٢٤) . و « مختصر كتاب العين » محبوب بحسب مخارج الحروف ، وهو يبدأ بالحروف الحلقية وأولها « العين » ، وينتهي بالشفوية والمقلقة (أنصاف حروف اللمة)^(٢٥) .

ومن المعاجم الجليلة التي ألفها الأندلسيون في اللغة « كتاب العالم » ، الذي وضعه محمد بن أبان بن سيد اللخمي (المتوفى سنة ٩٩٣/٣٥٤) ؛ وقد قال في شأنه ابن حزم إنه « نحو مائة سفر على الأجناس ، في غاية الإيعاب ، بدأ بالثقل وختم بالذرة »^(٢٦) .

وقد نهج مؤلف مشرق هو سعيد الرباعي (المتوفى سنة ٤١٦/١٠٢٦) نهج القالي وابن أبان في تأليفه « كتاب اللآلي » .

ويقول ابن حزم إن أحسن تأليف وضع في علوم اللغة ، وأوفرها مادة وأصحها نصوصا ، هو كتاب معاصره أبي غالب تمام بن غالب الملقب بابن التتايي^(٢٧) ، وكان أدبيا ذا أنفة واعتزاز بما أدرك من شهرة ، حتى لقد أنف من أن يزيد في ترجمة كتابه المذكور عبارة : « مما ألفه تمام بن غالب لأبي الجيش مجاهد » صاحب

دانية ، وكان هذا الأخير قد وجه إليه ألف دينار أندلسية ، « فرد الدنانير وأبى من ذلك ولم يفتح في ذلك باباً البتة وقال : والله لو بذل لي الدنيا على ذلك ما فعلت ولا استجزت الكذب ، لأنى لم أجمعه له بل لكل طالب » (٢٨) .

وقد ألف أبو عبدالله محمد بن إبراهيم الحجارى (المتوفى سنة ٤٨٩/١٠٩٦) كتاباً عن المعاجم ، وتحدث فيه عنها في إسهاب . ويكاد أبو الحسن على بن إسماعيل المعروف بابن سيده أن يكون أكبر أصحاب المعاجم الأندلسيين ، وكان رجلاً ضريراً من أهل مرسية . وقد درس على أبيه — وكان ضريراً أيضاً — وعلى صاعد البغدادي وأبى عمر الطلمنكى ، ثم دخل في خدمة مجاهد صاحب دانية . وقد وضع مؤلفات كثيرة بقى لنا منها شرح لديوان المتنبى ومعجمان : الأول هو « المخصص في اللغة » وقد رتب ألفاظه بحسب الموضوعات المتقاربة ، والثانى هو « المحكم والمحيط الأعظم » في اللغة ، وهو معجم أبجدى يبدأ بالعين ، وقد سار في وضعه على نهج يقارب نهج الخليل في كتاب العين (٢٩) .

الفصل الخامس

التاريخ

(١) كتب التاريخ العام

١ — عصر الخلافة

- ف ٦٢ — عبد الملك بن حبيب .
- ف ٦٣ — آل الرازي .
- ف ٦٤ — الأخبار المجموعة .
- ف ٦٥ ، (١) — « تاريخ افتتاح الأندلس » ، لأبي بكر بن القوطية .
- ف ٦٥ ، (ب) — عريب بن سعد .

٢ — عصر الطوائف

- ف ٦٦ — أبو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان .
- ف ٦٧ — محمد بن مزين ، ابن مسلمة ، ابن أبي القياض .
- ف ٦٨ — ابن حزم القرطبي .
- ف ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ — آثار ابن حزم في الفلسفة والفقه وعلوم الدين والتاريخ -
- ف ٧٣ — كتاب الفيصل .
- ف ٧٤ — آثار ابن حزم الأدبية : « طوق الحمامة » .
- ف ٧٥ — مدرسة ابن حزم .
- ف ٧٦ — أبو القاسم صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن صاعد الطليطلي .
- ف ٧٧ — تواريخ الدول .

٣ — عصر المرابطين والموحدين

- ف ٧٨ — ابن صاحب الصلاة ، عبد الملك بن محمد بن علي بن إبراهيم أبو مروان الباجي .
- ف ٧٩ — ينيو سعيد .
- ف ٨٠ — عبد الواحد المراكشي .

٤ — مملكة غرناطة

- ف ٨١ — ابن الخطيب .
- ف ٨٢ — عبد الرحمن بن خلدون .

(ب) التراجم وفهارس الكتب

- ف ٨٣ — ابن عبد البر والحشقي .
- ف ٨٤ — ابن القرضي ، الحجاري .
- ف ٨٥ — ابن بشكوال ومصادره .
- ف ٨٦ — ابن الأبار .
- ف ٨٧ — ابن خير .
- ف ٨٨ — معجم التراجم الخاصة : القاضي عياض ، ابن دحية .

(ج) تاريخ الأدب

- ف ٨٩ — طلائع المؤلفات في تاريخ الأدب .
- ف ٩٠ — ابن بسام .
- ف ٩١ — ابن خالان .
- ف ٩٢ — الشفندي .
- ف ٩٣ — ابن الخطيب ، والقرني .

(د) تواريخ النواحي

- ف ٩٤ — أم نماذج للمؤلفات في هذا الباب .

(١) كتب التاريخ العام

١ - عصر الخلافة

عبد الملك بن حبيب - آل الرازي - الأخبار
المجموعة - « تاريخ افتتاح الأندلس » لأبي بكر
ابن القوطية - عريب بن سعد - ابن شهيد

لدينا في ميدان التأليف الأندلسية في مادة التاريخ كتب متأثرة بعناصر
مشرقية ، ويفيض هذا الصنف بأساطير لانهاية لها تدور حول فتح المسلمين
للأندلس (ومثلها مؤلفات ابن حبيب والرازي) ، ومؤلفات أخرى تنقل إلينا
الروايات الأندلسية المحلية على صورة أدق وأحكم ، بعضها يأخذ جانب بنى أمية
(كما نرى في الأخبار المجموعة) ، وبعضها الآخر نلمح فيه الميل إلى أسرة غيطشة
(كابن القوطية) ، وإلى جانب ذلك نجد في هذا العصر كتباً في التاريخ العام
أخذ بعضها عن الطبري (كما نرى عند عريب بن سعد) ، وبعضها الآخر جديد
مبتكر فيما يبدو (كما نجد عند ابن شهيد) .

* * *

ف ٦٢ - عبد الملك بن حبيب :

أقدم مؤرخي الأندلس الإسلامي هو عبد الملك بن حبيب (٧٩٦/١٧٩ -
٢٣٨ / ٨٥٣ أو ٨٥٤ م) ، الذي يقال إنه ينتسب إلى قبيلة سليم بن منصور ،
وقد وُلد في حصن واط (ربما كانت هذه البلدة هي Huetor Vega) ، وعاش
في البيرة وقرطبة صدر شبابه وفيهما درس ، ثم رحل إلى المشرق وتردد على
حلقات الدرس هناك ، وخاصة في المدينة حيث درس الفقه على مذهب مالك بن
أنس وأصبح من كبار أنصاره ، وسيصبح فيما بعد من أكبر العاملين على تحويل
أهل الأندلس إلى المالكية بعد أن كانوا أوزاعية (ف ١٢٤) .

كان عبد الملك بجزراً من العلم بالشعر والأنساب والتاريخ والفقهاء والمعاجم والطب ، وقد أدرك في الأندلس شهرة واسعة ولقبه الناس « ب عالم الأندلس »^(١) وجعلوه صفواً لسحنون بن سعيد إمام المالكيين في المغرب وعالمه . ثم جلس للتدريس في مسجد قرطبة ، وكان يقسم طلبته مجموعات لا يُسمعونهم إلا كتبه وموطأ مالك . وكان يجلس للإقراء في ملابس غالية بعضها من « الصيدى » وهو حرير ينسج في اليمن ، وكان يرى ذلك توفيراً وإجلالاً للعلم الذى يقرئه ، وأوقف أملاكه كلها على مسجد قرطبة قبل وفاته .

ولعبد الملك بن حبيب كتب كثيرة يرد ذكرها في تراجمه ، بعضها فى الأنساب والملك والطب والأخلاق والشريعة ، وألف « الواضحة » التى تعتبر أحسن شرح على موطأ مالك ، وقد ضاع معظم كتبه ولم يبق منها إلا الكتاب المسمى « بالتاريخ » ، ولا زال مخطوطاً فى المكتبة البودلية فى أكسفورد ، وعنوانه كما يرد فى هذه المخطوطة هو : « كتاب فى ابتداء خلق الدنيا وذكور ما خلق الله فيها من ابتداء خلق السموات وخلق البحار والجبال والجنة والنار ، وخلق آدم وحواء وما كان من شأنهما مع إبليس ، وعدة الأنبياء نبياً نبياً إلى محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين ، وعدة الكتب المنزلة وعدة الخلفاء إلى حين استفتاح الأندلس ، وما وجد فيها من الذهب والفضة والجواهر والياقوت والزمرد والأمتعة وما أخرج منها ، وعدة ملوكها ومن وليها ومن يليها وذكور شئ من الحدنان وما يعلم منها فى بعض البلدان ، وكم عمر الدنيا وما مضى منها وما بقى إلى أن تقوم الساعة . تأليف الفقيه عبد الملك بن حبيب رضى الله عنه وفيه ذكر القضاة — قضاة قرطبة — لابن حارث »^(*) .

ونجد فى الورقة الأولى من هذا المخطوط بياناً بمحتوياته ، ومنها يتبين أنه يبدأ بالكلام على « أولية خلق الدنيا » ، ويتحدث فيه عن أول ما بدأ الله به

خلقه من السموات والبحار والجبال والجملة والنار وآدم وحواء ، ثم يحكى قصة ما جرى بينهما وبين إبليس ، ثم يقص سير الأنبياء حتى يصل إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، ويتكلم عن الكتب المنزلة ؛ ثم يذكر سير الخلفاء حتى فتح الأندلس ، ثم يحدثنا عما يوجد بالأندلس من الذهب والفضة واللآلئ والياقوت والزمرد وما إلى ذلك من الخيرات وعيون الثروة ، ثم يتحدث عما يستخرج منها ، ثم يقص سير من حكمها من الملوك ومن غزاهها من الفاتحين ، ثم يحدثنا بما يتواتر على ألسنة الناس من الأخبار والأساطير عن كل ناحية من نواحيها . ويتحدث عما قدر الله في علمه لهذه الدنيا من العمر ، وما مر منه وما بقي حتى قيام الساعة . وفي آخر الكتاب فصول عن الفقه والأخلاق والآداب وطائفة من الأشعار ؛ ويختتم الكتاب بالكلام عن قضاة الأندلس (٢) .

ويبدو أن ابن حبيب نفسه لم يكتب الكتاب ، أو لم يكتب إلا جزءاً منه على أى حال ، لأن سلسلة أسراء الأندلس المسلمين فيه تصل إلى الأمير عبد الله أى إلى سنة ٢٧٤ / ٨٨٨ . وقد توفي ابن حبيب قبل ذلك بنحو ثلاثين سنة ، والظاهر أن الذى كتب الكتاب فى صورته الحالية هو ابن أبى الرقاع — وكان تلميذاً لعبد الملك يقيد سماعه — ثم أكمله وأضاف إليه أشياء من عنده .

وعلى الرغم من قدم هذا الكتاب ، فإن قيمته التاريخية ضئيلة ، وروايته لأخبار افتتاح الأندلس تطغى عليها الأساطير ، حتى لتبدو وكأنها قصة من قصص ألف ليلة : فيذكر لنا ما رآه طارق فى نومه من الرؤى ، وحملته على بلاد عميد ، وبطيل فى وصف حصار المسلمين لمواقع يعمرها الجن ويقومون بالدفاع عنها . ويذكر الشياطين الذين حبسهم سليمان فى مقام النحاس ، وبطيل الحديث عن الكنوز التى كانت فى قصر طليطلة ، وبطنب فى ذكر مائدة سليمان ، وأساطير أخرى كثيرة يدرجها فى حديثه على أنها تاريخ . وقد درس دورى هذه الروايات ، وتبين أن ابن حبيب أخذها عن شيوخه من المصريين ؛ وابن حبيب نفسه يؤكد ذلك فى أكثر من موضع من كتابه .

وقد كان الأندلسيون الذين يفدون على المشرق للدراسة في ذلك الحين يأخذون بأقوال أساتذتهم المشاركة ويبخسون قدر ما يسمعون من أهل بلدهم أنفسهم ، لأن أولئك الشيوخ المشاركة كانوا ينظرون إلى أهل بلد الأندلس باحتقار عظيم ويرون أنهم جهلاء أجلاف . بيد أن أولئك المشاركة — الذين أحاطوا بأحاديث الرسول وما روى عنه — كانوا لا يكادون يعلمون شيئاً عن افتتاح الأندلس ، وكانوا يحرصون مع ذلك على أن يظهرُوا أمام طلبتهم بأنهم يعرفون كل شيء ، ولهذا فقد كانوا يقصون على أولئك الطلبة — إذا سألوهم عن أمر الأندلس — أقاصيص مغرية . وكان أولئك الشيوخ يحسبون أن الأندلس مجمع الأعاجيب ، ويتحدثون عنه على أنه بلد وُجد في بحر الظلمات ، تسكنه الجن وتقوم فيه القلاع المسحورة والأصنام التي تتحرك من تلقاء نفسها ، وتعيش فيه الشياطين في مقام حبسها فيها سليمان عليه السلام ^(٣) .

ونحن نجد هذه الأساطير فيما يقصه ابن عبد الحكم المصري (المتوفى سنة ١٨٧١/٢٥٧) من الروايات عن « فتح مصر والأندلس » ^(٤) .

ف ٦٣ — آل الرازي ^(٥) :

أنجب بيت الرازي ثلاثة مؤرخين : أولهم محمد بن موسى الرازي ، وهو رجل مشرقى وفد إلى الأندلس سنة ٨٦٤/٢٤٩ وسكن قرطبة ، وأجر أول أمره في الحلى والعقاير وأشياء أخرى ، ثم اتصل بالأمير محمد ونال عنده حظوة ، فأدخله في خدمته وندبه للوساطة والصلح بين العرب والمولدين بناحية غرناطة في خصومة نشبت بينهم ، وتوفى عقب عودته من هذه المهمة سنة ٨٨٦/٢٧٣ ^(٦) . وقد اشتغل بالتأليف في تاريخ الأندلس ، بيد أنه لم يبق لدينا مما ألفه إلا قطع متناثرة من « كتاب الرايات » نجدها في ثنايا الكتب . وكان كتاب الرايات يدور حول دخول موسى الأندلس ، ومن كان معه من بطون قریش وغيرها من قبائل العرب ، وكانت لكل منها راية تلتف حولها .

وأهم من محمد بن موسى الرازي ابنه أحمد بن محمد (المتوفى سنة ٣٢٤/٩٣٦) ، وكان مولده في ذى الحجة ٢٧٤ / ٨٨٨ . وكان أديباً وخطيباً مفوهاً وشاعراً ، وكان يلقب « بالتاريخي » لسكثرة اشتغاله بكتابة التاريخ ، فقد كتب كتاباً في « أخبار ملوك الأندلس وخدمتهم وغزواتهم ونكباتهم » ، وثانياً « في أنساب مشاهير أهل الأندلس » ، في خمسة أسفار ضخمة من أحسن كتاب في الأنساب وأوسعها^(٧) — وقد اعتمد ابن الأبار على هذا الكتاب اعتماداً كبيراً ، وثالثاً عن كبار اللوالمى الأندلسيين ، ورابعاً « في صفة قرطبة وخططها ومنازل الأعيان بها » على نحو ما بدأ به ابن أبى طاهر في أخبار بغداد وذكر منازل صحابة أبى جعفر المنصور بها ؛ وقد ضاعت هذه الكتب كلها . ولم يصل إلينا من مؤلفاته التاريخية إلا قطعة في صفة الأندلس مترجمة إلى الإسبانية تحت عنوان Crónica del Moro Rasis ، وقد نشر جزءاً منها جايانجوس سنة ١٨٤٠^(٨) ، وأكمل نشرها رامون منندز بيدال في « فهرس المدونات في المكتبة الملكية في مدريد Catálogo de Crónicas de la Real Biblioteca »^(٩) .

وهذه القطعة الإسبانية من تاريخ الرازي المعروفة « بالكرونিকা » (= التاريخ) تتألف من ثلاثة أقسام : الأول « صفة الأندلس » ، ونصه الإسباني الذى بين أيدينا ترجمة رجل نجهل اسمه عن ترجمة برتغالية قام بها عن العربية قس يسمى « خيل پيريد Jil Perez » بأمر الملك ديونيس (١٢٧٩ — ١٣٢٥ م .) فأتمها بمساعدة نفر من المغاربة يسمى أحدم « المعلم محمد Maese Mohamad » ؛ ولما كان خيل پيريد لا يعرف العربية والمعلم محمد المغربي لا يعرف البرتغالية معرفة تامة ، ولما كان المترجم الإسباني الذى قام بالنقل من البرتغالية إلى الإسبانية قد تصرف في الترجمة وغير وبدل في بعض المواضع ، فإن النص الذى بين أيدينا الآن يبدو في كثير من مواضعه غامضاً وغير مفهوم ، بسبب تحريف المترجمين وتصرفهم أو بسبب عيوب في النسخ التى عثرنا عليها . ويرى دوزى وجايانجوس

أن القسم الثاني من هذا الكتاب وعنوانه « تاريخ إسبانيا منذ وصول إشبان بن يافث إليها إلى دون رودريجو (الملك لندريق) » إنما هو من وضع خيل بيريد نفسه ، وصفته من مواد استقاها من الروايات المتداولة في أيامه ومن كتب عربية نُقل إليه ما فيها . أما القسم الثالث — ويتناول تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى عصر الحكم المستنصر — فهو أشبه بأن يكون ترجمة لمختصر لكتاب لرازي . وقد رجع المؤلف في تصنيفها إلى « المُدَوِّنة » المستعربة Crónica Mozárabe أو الصلّة الإسبانية Continuatío Hispana (١٠) .

والكتاب على صورته الراهنة التي بين أيدينا قليل القيمة ، فهو مجرد واحد من الملخصات التاريخية التي كانت ذائعة في القرن الثالث عشر الميلادي . وليس معنى هذا أن ضياع كتب الرازي هذه لا يعتبر خسارة كبرى ، إذ الواقع أننا فقدنا كثيراً جداً بسبب اختفائها ، لأنها كانت تضم كثيراً من الأخبار نجعلها الآن ، وكان الوقوف عليها يفيدنا فائدة كبرى ، هذا على الرغم من أن كتب الرازي كلها تأخذ وجهة نظر أمراء الأندلس وخلفائه ، كما هو الحال في معظم كتب أصحاب التواريخ في تلك العصور . وقد كانت كتب الرازي ذات أثر عظيم في كتاب التاريخ الإسباني المعروف باسم « التاريخ العربي La Crónica Sarracina » الذي كتبه يدرو ديل كُررال Pedro del Corral .

وضاع كذلك كتابا « تاريخ الأندلس » و « حُجَّاب خلفاء الأندلس » الذي كتبه ثالث المؤرخين من هذا البيت : عيسى بن أحمد بن محمد بن موسى الرازي ، والغالب أنه كان يصل بتاريخ الأندلس إلى عصر هشام المؤيد (١١) .

ف ٦٤ — الأخبار المجموعة :

أو « مجموعة روايات » ، (نشرها وترجمها ا . لافوينتي ألكانتارا E. Lafuente Acántara في سنة ١٨٦٧) ، ويرى الأستاذ ريبيرا أنها « مجموعة مذكرات وقررات تاريخية سجلها صاحبها شيئاً فشيئاً ، دون أن يقصد

إلى ربط الحوادث ربطاً منهجياً أو يرتبها على حسب السنين « ؛ وقد استنتج هذا مما يسود الكتاب من قلة ربط وانعدام نظام .

وتدور الفقرات التاريخية التي يتألف منها هذا الكتاب حول وقائع التاريخ الأندلسي ، من الفتح الإسلامي إلى خلافة عبد الرحمن الناصر . وأم فقراته وأوفرها مادة تلك التي تتعلق بدخول طارق بن زياد الأندلس ، وفتوح قرطبة وماردة ودخول بلنج بن بشر الأندلس ، والفتن والحروب التي ثارت بين العرب عقب ذلك ، ثم ولاية يوسف الفهري والصَّمِيل بن حاتم للأندلس ، وانتصارات عبد الرحمن الداخل . ولا يهتم هذا الكتاب بالأساطير الخيالية والخرافات التي ترد في غيره من الكتب ، من أمثال رُوَى طارق بن زياد قبل فتحه الأندلس ، أو حكاية البيت الذي وجد فيه لنريق تابوتا لا يحوى إلا الرُّق الذي آذنه بزوال ملكه ، وما إلى ذلك^(١٢) .

ويرى ريبيرا أن هذه الفقرات « ليست من تسجيل شخص واحد ، بل كتبها ناس مختلفون ثقافة وفكراً وذوقاً وطبقةً : لأننا نجد الرواية حيناً مطولة مفككة حافلة بالتفاصيل (ومثال ذلك الفقرات التي كتبها أولئك الذين بدأوا تسجيل هذه « الأخبار ») ، ونجدها حيناً آخر مركزة موجزة مقتضبة . وتبدو بعض الفقرات وكأنما كتبها بعض من يميلون إلى أخبار الحروب وشؤون السياسة دون غيرها ويعتبرون ما عداها تافهاً عديم القيمة ، وبعض الفقرات الأخرى تنم على أن من كتبها واحد ممن يميلون إلى شؤون الدين والفقه والأخلاق ، لا يكاد يستلقت انتباهه غيرها . بيد أن هناك رابطاً عاماً يجمع الفقرات كلها وينظمها في سلك واحد : هو اتجاهٌ عصبيةٌ وطبقةٌ معيّنتين ، كأنما كتبها رجال أسرة واحدة ذات حسب ومخيد »^(١٣) .

وقد تناول الأستاذ ريبيرا مادة « الأخبار المجموعة » بالتحليل ، بما عرف عنه من النفاذ في معالجة الكتب والنصوص التاريخية ؛ وقد أثبت ذلك الأستاذ

النابه أن واحداً من أوائل الذين ساهموا في كتابة « الأخبار » كان قرطيباً من أهل الحرب والسياسة ، وهو الذي كتب فقرات السكتاب من أوله إلى ما يتعلق بإمارة هشام الرضى بن عبد الرحمن الداخل (قبل سنة ٢٧٤/٨٨٨) ، وغلب على ظن ريبيرا أن هذا الكاتب لا بد أن يكون من أشرف العرب ، بل من قریش ، ومن البيت الأموى نفسه . أما الجزء الذى يلي ذلك فيبدو وكأن كاتبه فقيه من أهل الأدب ، وهو قرشى أيضاً وصلّ رواية الحوادث وتخلها بأراء من عنده ، ولم يصرف بالآ إلى وقائع الحرب والسياسة ولم يعن بما قام به الأسراء والخلفاء من أعمال عظيمة ، بل اهتم بميولهم الأدبية وفضائلهم وعنايتهم بالفقهاء وأهل الأدب .

وقد أدى هذا التحليل الدقيق لمادة « الأخبار » بالأستاذ ريبيرا إلى القول بأنها كتبت في عصر عبد الرحمن الناصر (٢٩٩-٣٤٩/٩١٢-٩٦١) ، وهو العصر الذى تنفّ عنه روايات الكتاب . أما لافوينتى ألكانترا ، فقد أخذ بما ذهب إليه دوزى من أن الكتاب قد كتب في القرن الحادى عشر الميلادى ، اعتماداً على عبارة وردت في الكتاب تدل على أنها كتبت في فترة كانت أحوال المسلمين في الأندلس تسير خلالها في طريق سيمى ، وهذه العبارة هى قول صاحب الأخبار : « وليت الله كان أبقاه حتى يفعل ، فإن مصيرهم إلى بوار إلا أن يرحمهم الله »^(١٤) .

وقد ظن دوزى أن ذلك إشارة إلى ما دم المسلمين في الأندلس من الفتنة خلال القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى)^(١٥) . أما ريبيرا فيرى أن كاتبها قصد بها ما كان يجرى عليه عبد الرحمن الناصر ، من إضعاف سلطان رؤساء العرب وإحلال موالى الأندلسيين محلهم في الوظائف الكبرى وقيادات الجيوش في أنحاء الدولة^(١٦) ، وذلك ما جعل صاحب هذا الجزء من الأخبار يقول تعليقاً على سياسة الناصر :

« . . واتصل مُلك عبد الرحمن خمسين سنة ، في عز منيع وسلطان قاهر وافتتاح للبلدان شرقاً وغرباً ، مع غزو العدو والغلبة له وانتساف بلده وهدم حصونه

والاستبلاغ فيه ، لا يلتقي ذلاً ولا يرى في شيء من أموره نقصاً . وتناهى ذلك السعد حتى فتح الله له ما وراء البحر من المدن الجليلة والمعانل المنيعة ، كسبته وطنجة وغيرها ، ودان له أهلها فاستعمل عليها القواد وحصنها بالرجال وأمدم بالجيوش الكثيفة في الأساطيل ، حتى وطئت بلاد البربر واستذلت ملوكها ، فصاروا بين متقبع (منقوع ؟) محصور ومذعن منيب وشاردهارب . ومالت إليه الأهواء وسمت نحوه المهم ، فضافره على حربته وتجرد في نصره من كان مستبصراً في قتاله من شيعة أعدائه ، فنكص على موالاته واستهلك في مرضاته ؛ واستحكم من أمره ما لو اتصل عزمه فيه وتأيد الله عليه لغلب على المشرق فضلاً عن المغرب . ولكنه — عفا الله عنه — مال إلى اللهو واستولى عليه العُجب ، فولى للهوى لا للعتاء ، واستمد بغير الكفاة ، وأغاظ الأحرار بإقامة الأندال ، « كنجدة الحيرى » وأصحابه الأوغاد : فقلده عسكره وفوض إليه جليل أموره ، وأجأ أكابر الأجناد ووجوه القواد والوزراء ، من العرب وغيرهم ، إلى الخضوع له والوقوف عند أمره ونهيه — وحالُ نُبذة حالٍ مثله في غيه واستخفافه وركاكة عقله . فتواطأ أهل الحِفاظ من رجاله ووجوه أجناده على ما كان من انهزامهم في الغزوة التي غزاها عام ستة وعشرين وثلاثمائة — وسماها غزاة التُدرة ، لاحتفاله فيها وعظيم مشهدها — فهزم فيها أقبح هزيمة واتبعهم العدو أياماً بأسروهم ويقبلونهم في كل محلة ، فلم يكذب بنجو منهم إلا قوم جمعوا أصحابهم على ألويتهم وتخلصوا إلى بلدانهم ، فلم تكن له بعدها غزوة بنفسه ، وخلا بلداته ومبانيه فبلغ في ذلك مبلغاً لم يبلغه أحد ممن تقدمه أو تأخر بعده ، وأخباره في ذلك أشهر من أن توصف . واجتمع في دولته من عليه الرجال وسروات الكتياب خدمة لم يخدم للملوك مثلهم ، في فضل آدابهم واتساع أفهامهم ، مع المروة الطاهرة والسيرة الجليلة ، كوسى بن جُدير الحاجب ، وعبد الحميد بن بسيل ، وعبد الملك بن جهور ، وإسماعيل بن بدر ، وابن أبي عيسى القاضي ، ومنذر بن سعيد كان واحد عصره في العلم والأدب وحسن الخطاب ،

وكان عيسى بن فطيس كاتبه أبلغ الناس إذا كتب ، إلى كثير منهم لا يتسع التأليف لتذكرهم ووصف محاسنهم ، عفا الله عنا وعنهم ورحمنا وإياهم ^(١٧) .
وأكبر المأخذ على « الأخبار المجموعة » أن كتبها صرفوا عنايتهم كلها إلى أخبار عرب الأندلس وحدهم ، دون غيرهم من طبقات الناس في البلد ، بل جل اهتمامهم موجه إلى القرشيين منهم والبيت الأموي خاصة ، مهملين بقية طبقات أهل الأندلس الإسلامي وأجناسهم الأخرى إهمالا يكاد يكون تاما ، فلا نجد عنهم في الكتاب إلا إشارات عابرة ^(١٨) .

ف ٦٥ ، (١) — « تاريخ افتتاح الأندلس » ، لأبي بكر بن القوطية :

ويكمل هذا النقص الذي يشوب « الأخبار المجموعة » كتاب « تاريخ افتتاح الأندلس » لأبي بكر بن القوطية المتوفى سنة ٣٦٧ / ٩٧٧ ، وهو كتاب عظيم القيمة . وأبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز — المعروف بابن القوطية — من حفدة سارة القوطية حفيدة غيطشة ، التي قصدت الخليفة الأموي سليمان ابن عبد الملك في دمشق لتشكو إليه ظلاما أصابتها ، فأكرمها وزوجها أحد مواليه .

ولد ابن القوطية في قرطبة ودرس في إشبيلية ، « وكان عالما بالنحو حافظا للغة متقدما فيها على أهل عصره لا يشق غباره ولا يلحق شأوه » ، كما يقول ابن الفرضي ^(*) . وكان شاعرا سلس التريض محكم النظم ، « أما في علوم الدين فلم يكن بالضابط لرواية في الحديث والفقه ، ولا كانت له أصول يرجع فيها ؛ وكان ما يُسمع عليه من ذلك إنما يُحمل على المعنى لا على اللفظ ، وكثيراً ما كان يُقرأ عليه ما لا رواية له فيه على جهة التصحيح » ^(**) . وكان رجلاً متدينا وشيخاً

(*) ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس ، رقم ١٣١٦ .

(**) ابن الفرضي : نفس المصدر ، وقد جثت بنص ابن الفرضي هنا لأن المؤلف أورد

جليلا ، « طال عمره فسمع الناس منه طبقة بعد طبقة . روى عنه جماعة من الشيوخ والكهول ، ممن ولى القضاء وقُدِم إلى الشورى وتصرف في الخطط من أبناء الملوك وغيرهم » .

وأهم ما بقي لنا من مؤلفاته هو « تاريخ افتتاح الأندلس » ، (نشره جايانجوس وترجمه ريبيرا في سنة ١٩٢٦) ^(١٩) ، ويتناول الكلام فيه تاريخ الأندلس من لدن فتحه إلى نهاية إمارة الأمير عبد الله بن محمد ، أى إلى سنة ٢٩٩/٩١٢ . ويغلب على ظن ريبيرا — الذى ترجم الكتاب إلى الإسبانية — أن الكتاب ليس من إنشاء ابن القوطية نفسه ، وإنما هو أقرب إلى أن يكون سماعاً دونه عنه بعض من كان يحضر دروسه من المولعين بالأخبار . وهو مجموعة من الأخبار القصار يبدو فيها ميل صاحبها وهواه ، يعارض بعضها بعضاً فى بعض الأحيان ، وهى ترد فى الكتاب على هيئة أخبار منفصل بعضها عن بعض . والرواية لا ترد فى الكتاب على لسان ابن القوطية بل على لسان أحد سامعيه ، فهو يقول مثلاً : « قال لى ابن القوطية » . وتتخلل الروايات أساطير شعبية ذات روح شاعرى ، تقوم على أساس من التاريخ ولا يؤلف بين بعضها وبعض رابط أو يجمعها تناسق . ويؤيد ريبيرا رأيه هذا بأن ابن القرضى — صاحب التراجم المعروف وتلميذ ابن القوطية — لا يذكر هذا الكتاب فى « تاريخ علماء الأندلس » ، وتراعى له أن الكتاب على صورته الحالية إنما هو مجموعة أخبار رواها ابن القوطية وسجلها واحد من تلاميذه وجعلها كتاباً ، هو « التاريخ » الذى بين أيدينا الآن ^(٢٠) .

يبد أن مادة الكتاب تتفق وروح ابن القوطية ونفسيته . فقد كان الرجل قعيها مالكيًا لين العريكة لا يميل بطبعه وأصله إلى التمسب لفريق دون فريق ، وهو بسبب ولائه لبني أمية (إذ كان جده مولى لعمر بن عبد العزيز) يتفق مع « الأخبار المجموعة » فى الكلام عن موسى ولذريق وبني أمية ، ولكن انتسابه

إلى سارة القوطية جعله يُدخل في رواياته عنصراً قومياً أندلسياً ، وهي ظاهرة على جانب كبير من الأهمية ، إذا ذكرنا أن الأمر يتعلق ببلد كانت تعيش فيه أجناس مختلفة ذات أديان متباينة ، وقد أهمل هذه الناحية غيرُ ابن القوطية من أصحاب التواريخ . ومن أمثلة رواياته ذات الطابع القومي أخبار أرتطباس مع الصميل بن حاتم وميمون العابد^(٢١) ، وهي أخبار تظهر العربَ في صورة الجهلاء الأجلاف ، وتصور أرتطباس القوطى في صورة الرجل ذى المواهب العظيمة والخلق الحميد اللطيف . وفي الكتاب كذلك فقرات قصيرة ذات طابع قصصى عن فترة الفروسية في تاريخ الأندلس الإسلامى ، أيام كان العرب يعيشون فيما نزلوه من نواحي الجزيرة عيش الأسراء الإقطاعيين قبل قيام الدولة الأموية وفى خلال سنها الأولى ، تلك الأيام التى عاش فيها تمام بن علقمة وبنو قسّى . وفى الكتاب كذلك أخبار قصصية عن الشاعر غريب المتعصب لقومه مستعربى طليطلة ، وعن وقائع مروان الجليقى بناحية بطليوس ، وأعمال «إزراق» بناحية وادى الحجارة ، وأخبار عمر ابن حفصون .

وليس فى الكتاب شىء عن خصوم بنى أمية والمناهضين للعرب من أهل البلاد ، وهو يهمل شؤون اليهود والنصارى إهمالاً تاماً ، ولو أنه عنى بها لا اكتملت بها صورة المجتمع فى الأندلس الإسلامى .

وإليك نموذجاً من مادة هذا الكتاب وأسلوبه فى الرواية :

« ومن أخبار أرتطباس ، أن عبد الرحمن بن معاوية أمر بقبض ضياعه التى كانت بيده ، وأوجب ذلك أنه نظر إلى قبته يوماً فى بعض غزواته معه وحولها من الهدايا غير قليل ، إذ كانت الهدايا تتلقاه فى كل محلة من ضياعه ، فنفس ذلك عليه قبضت منه . وصار عند بنى أخيه حتى ساءت حاله ، فقصد قرطبة وأتى إلى الحاجب ابن بُحْت فقال له : « استأذن لى على الأمير أبقاه الله ، فإننى أتيت لأتودع منه » ، فدخل الحاجب فاستأذن له ، فأدخله عبد الرحمن بن معاوية إلى نفسه ،

فَنظَرَ إِلَيْهِ فِي هَيْئَةٍ رَثَمَةٌ فَقَالَ لَهُ : « يَا أَرْطَبَاسَ ، مَا بَلَغَ بِكَ هَاهُنَا ؟ » فَقَالَ لَهُ :
 « أَنْتَ بَاعْتَنَى سَاعِنَا : حَلَمْتَ بَيْنِي وَبَيْنَ ضِيَاعِي وَخَالَفْتَ عَهْدَ أَجْدَادِكَ فِي
 بِلَا ذَنْبٍ يُوجِبُ ذَلِكَ عَلَيَّ » ، فَقَالَ لَهُ : « وَمَا هَذَا التَّوَدُّيعُ الَّذِي تَرِيدُ أَنْ تَتَوَدَّعَ
 مِنِّي ؟ أَظُنُّكَ تَرِيدُ التَّوَجُّهَ إِلَى رُومَةَ » ، قَالَ : « لَا ، وَلَكِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّكَ تَرِيدُ
 التَّوَجُّهَ إِلَى الشَّامِ » ، قَالَ لَهُ : « وَمَنْ يَتْرُكُنِي أَرْجِعُ إِلَيْهَا وَبِالسَّيْفِ أَخْرَجْتَ عَنْهَا ؟ » ،
 قَالَ لَهُ أَرْطَبَاسُ : « فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ تَرِيدُ أَنْ تَوَطِّدَهُ لَوْلَدِكَ بَعْدَكَ أَمْ تَأْخُذُ
 مِنْهُ مَا تَأْخُذُكَ ؟ » (*) ، قَالَ : « لَا وَاللَّهِ مَا أُرِيدُ إِلَّا أَنْ أَوَطِّدَهُ لِنَفْسِي وَلَوْلَدِي » ،
 قَالَ لَهُ أَرْطَبَاسُ : « فَتَغَيَّرَ هَذَا أَعْمَلُ فِيهِ » . ثُمَّ عَمَّرَهُ بِأَشْيَاءَ كَانَتِ النَّاسُ يَتَفَكَّرُونَ بِهَا
 عَلَيْهِ وَبَيَّنَّهَا لَهُ ، فَسَرَّ بِذَلِكَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ مَعَاوِيَةَ وَشَكَرَهُ عَلَيْهِ ، وَأَسْرَهُ
 بَعَشْرِينَ ضَيْعَةً مِنْ ضَيْعَاةِ صُرْفَتٍ إِلَيْهِ ، وَكَسَاهُ وَوَصَلَهُ وَوَلَّاهُ الْقِمَاسَةَ فَكَانَ أَوَّلَ
 قَوْمِ الْأَنْدَلُسِ .

« وَحَكَى الشَّيْخُ ابْنَ لُبَابَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ مَنْ أَدْرَكَهُ مِنَ الشُّيُوخِ ، أَنَّ أَرْطَبَاسَ
 كَانَ مِنْ عَقْلَاءِ الرِّجَالِ فِي أَسْرِ دُنْيَاةِ ، وَأَنَّهُ دَخَلَ عَلَيْهِ عَشْرَةٌ مِنَ الشَّامِيِّينَ فِيهِمْ
 أَبُو عَثْمَانَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَلْدٍ وَأَبُو عَبْدِةَ وَيُوسُفُ بْنُ بَحْتٍ وَالضَّمَيْلُ بْنُ حَاتِمٍ ،
 فَجَلَسُوا وَجَلَسُوا عَلَى الْكُرْسِيِّ الْمَحِيظَةِ بِكَرْسِيهِ . فَلَمَّا أَخَذُوا مَقَاعِدَهُمْ وَحَمِي بَعْضُهُمْ
 بَعْضًا ، دَخَلَ مَيْمُونُ الْعَابِدُ — جَدُّ بَنِي حَزْمِ الْبُوَّائِينَ ، وَهُوَ أَحَدُ مَوَالِي
 الشَّامِيِّينَ — فَلَمَّا رَأَى أَرْطَبَاسَ دَاخِلًا قَامَ إِلَيْهِ وَالتَّزَمَهُ وَجَعَلَ يَقُودُهُ إِلَى كُرْسِيهِ
 الَّذِي قَامَ مِنْهُ ، وَكَانَ مَصْمُودًا بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ، فَأَبَى الرَّجُلُ الصَّالِحُ مِنَ الْجُلُوسِ
 عَلَيْهِ وَقَالَ لَهُ : « لَا يَجِلُّ لِي هَذَا » ؛ فَجَلَسَ فِي الْأَرْضِ وَجَلَسَ مَعَهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ :
 « مَا جَاءَ بِمِثْلِكَ إِلَى مِثْلِي ؟ » فَقَالَ لَهُ مَيْمُونُ : « قَدِمْنَا إِلَى هَذَا الْبَلَدِ وَظَنْنَا أَنَّ
 ثَوَانَا لَا يَطُولُ فِيهِ وَلَمْ نَسْتَعِدِّ لِلْمَقَامِ ، فَخَدَّثَ مِنَ الْإِضْطِرَابِ عَلَيَّ مَوَالِينَا بِالْمَشْرِقِ
 مَا نَتَوَقَّعُ مَعَهُ أَنَا لَا نَعُودُ إِلَى مَوْضِعِنَا بِهِ . وَقَدْ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْكَ ، فَأُرِيدُ أَنْ تَعْطِيَنِي
 ضَيْعَةً مِنْ ضَيْعَاكَ ، أَعْتَمِرُهَا بِيَدِي ، وَأُؤَدِّي إِلَيْكَ الْحَقَّ مِنْهَا وَأَخُذُ الْحَقَّ » ،

فقال له أرتباس : « لا والله ، ما أرضى أن أعطيك ضيعةً مناصفةً » ، ودعا بوكيل له فقال له : « ادفع إليه الجشِر الذي على وادى شَوْش وما فيه من البقر والغنم والعيبد ، وادفع إليه القلعة بجيان وهي المعروفة بقرية حزم ملكها [٠٠٠] » (*) ، فشكروا . وعاد أرتباس إلى مقعده فقال له الصميل : « يا أرتباس ، ما يعجزك عن سلطان أبيك إلا نفاق الطيبة [من نفسك] . أدخلُ عليك — وأنا سيد العرب بالأندلس — ويدخل أصحابي هؤلاء معي — وهم سادات الموالى بالأندلس — فلا تزيدنا من الكرامة على القعود على العيدان ، ويدخل هذا السؤال فتصير من إكرامه إلى حيث صرتَ ؟ » ، فقال له أرتباس : « يا أبا جَوْشَن ، أهل دياتك يخبروننا أن أدبهم لم يخذك ، ولو أخذك لم تُنكر على برٍّ من برتُ . (وكان الصميل أمياً لا يقرأ ولا يكتب) إنكم إذا أكرمتهم أولياء الله فإنما تكرمونه عن وجل . وقد روينا عن المسيح صلى الله عليه وسلم أنه قال : من أكرم الله من عباده وجبت كرامته على جميع خلقه » ، فكانما ألقمه حجراً . فقال له القوم : « دع هذا وانظر فيما قصدنا له . حاجتنا وحاجة الرجل الذي قصدك وأكرمته واحدة » ، فقال : « أتم ملوك وليس يرضيكم إلا الكثير » ، فوهبهم مائة ضيعة صار منها لكل واحد منهم عشر ضياع ، منها طُرش لأبي عثمان ، والغنمين لعبد الله بن خالد ، وعُقدة الزيتون بالمدور للصميل بن حاتم^(٢٢) .

ف ٦٥ ، (ب) — عريب بن سعد (توفي سنة ٣٦٩/٩٨٠) :

كان عريب قرطيبيا من أصل نصراني ، وقد أسلم أباه واستقر بوا . وتلقى تعليما طيبيا ، ودخل في خدمة الدولة واتخذها الحكم المستنصر كاتباً . وقد كتب مختصراً « لتاريخ الطبرى » اختصر فيه تاريخ الطبرى فيما يتصل بأخبار المشرق من سنة ٢٨٩ إلى ٩٠٢/٣١٩ إلى ٩٣٢ ، وأضاف إليه أخبار المغرب والأندلس . وكان عريب — إلى جانب اشتغاله بالتاريخ — طبيبياً ، وفي مكتبة الإسكوريال

كتاب مخطوط من تأليفه عنوانه « كتاب خلق الجنين وتدير الحبالى والمولود » وقد وضع كذلك تقويمًا شبيهاً بتقويم « ربيع بن زيد » (ف ١٤١) الذى نشره دوزى فى ليدن سنة ١٨٥٣ (٢٣) .

أما أبو عامر بن شهيد (المتوفى سنة ٣٩٢/١٠٠٢) فكان تلميذاً لقاسم بن أصبغ ووهب بن مسرة ، وكان خطيباً وشاعراً وصديقاً للنصور بن أبى عامر . وقد كتب تاريخاً كبيراً كان يقع فى أكثر من مائة جزء ، جعله على طريقة الحوليات ، روى فيه الحوادث سنةً سنةً من عام أربعين للهجرة — أى من وفاة على بن أبى طالب — إلى أيامه (٢٤) .

٢ — عصر الطوائف

ابن حيان — ابن مزين — ابن أبى الفياض —
ابن حزم القرطبي : حياته ، مؤلفاته الفلسفية والفقهية
والدينية ، مؤلفاته التاريخية : تحليل كتاب « الفصل »
مؤلفاته الأدبية : « طوق الحمامة » . مدرسة ابن حزم
— صاعد الطليطلى — نوارخ الدول .

تطورت الثقافة الإسلامية فى الأندلس وافتشرت العلوم بين أهلها ، فأقبلوا على وضع التأليف القيمة الواسعة فى كل فن . فكتبوا فى تاريخ الأندلس (مثل ابن حيان والحيدى وغيرهما) ، بل كتبوا فى تاريخ الأديان ، سابقين فى ذلك أوروبا بقرون كثيرة (مثل ابن حزم) ، وتناولوا التاريخ العام (كما نرى عند صاعد الطليطلى) ، ولم يقصروا كذلك فى تصنيف الكتب فى تواريخ الدول التى قامت قبيل سقوط خلافة قرطبة الأموية وبعده (كاللؤلؤ العاصرية والعبادية والزيرية) ؛ ومن أسف أن معظم هذه المؤلفات قد ضاع .

ف ٦٦ — أبو مروان هيبان بن خلف بن حسين بن هيبان^(٢٥) :

وأعظم مؤرخي هذا العصر هو حيان بن خلف بن حيان (٣٧٧ — ٤٦٩ هـ / ٩٨٧ — ١٠٧٠ م). وهو قرطبي ، وكان أبو خلف من كتّاب المنصور بن أبي عامر ، وقد درس على أبيه وعلى أحمد بن عبد العزيز بن الحباب النحوي وصاعد البغدادي الأديب وعمر بن نبيل المحدث ، وتفقه وأتقن الآداب على أيديهم ثم انتظم في سلك وظائف الدولة ، وشغل وظيفة صاحب الشرطة — أو صاحب المدينة — في قرطبة زمنا .

وكان يُنسب لابن حيان كتاب يسمى « رسالة التابعين » ، حتى أثبت الأب ملشور أنطونيا أنها رسالة استخلصها مؤرخ مشرقى — هو أبو عبد الله الذهبي — من كتاب لابن حبان البُسْتِي^(٢٦) . أما كتب ابن حيان التي صحت نسبتها إليه فقد ضاع معظمها ، ومن هذه الكتب « المآثر العاصرية » ، و « تاريخ فقهاء قرطبة » — وقد اعتمد في تصنيفه على كتاب لأبي عمر بن عفيف في نفس الموضوع^(٢٧) — ثم كتابا « للثين » ، و « المقتبس » ؛ ولم يبق لنا من هذه الكتب كلها إلا أجزاء من هذين الأخيرين .

كان « المقتبس » يقع في عشرة أجزاء ، تتناول تاريخ الأندلس من لدن افتتاحها على يد طارق إلى زمن المؤلف . ولا نجد اليوم بين أيدينا إلا ثلاثة أجزاء منه : جزء عن عصر الأمير عبد الله ، وقد نشره الأب ملشور أنطونيا سنة ١٩٢٨ ، وجزء عن خلافة الحكم المستنصر يقوم بنشره الآن الأستاذ غرسمية غومس ، وجزء عن عصر عبد الرحمن الأوسط يعده للنشر الأستاذ ليفي بروفسال^(*) . والقطعة التي نُشرت بالفعل — وهي الخاصة بعصر الأمير عبد الله — ترينا أهمية نشاط هذا الأمير في تطور تاريخ الأندلس : فلولا سياسة الثبات

(*) عدلت عبارة المؤلف هنا حتى تستقيم مع ما وصلنا إلى العثور عليه ونشره من مقتبس ابن حيان ، وأحيل القارىء على « صلة » كتابنا هذا ، الفصل الخامس بحيان بن خلف .

والصلابة التي اتهم بها هذا الأمير للقضاء على حركة المولدين التي كان يقودها عمر ابن حفصون ، ولولا صموده لجماعات من عرب الأندلس تحصنوا في معاقلهم في الكُور ، واجتهدوا في الاستقلال بنواحيهم عن سلطان الإمارة الأموية ، لما كان من الممكن لحفيده وخليفته عبد الرحمن الناصر الارتفاع بالخلافة الأموية الأندلسية إلى الشأو الرفيع الذي بلغته على أيامه .

ويبدأ هذا الجزء من المقبس برواية أخبار مَهَلَك الأمير المنذر والبيعة لأخيه عبد الله من بعده ؛ ثم يعقد فصلا عن « استعانة بهم الأمير عبد الله على رفيع أعماله من رجال دولته : حجابيه ووزرائه وقواده وكتابه وقضاته وقهاء عصره » ؛ ثم يتكلم عن « الخالفين على الأمير عبد الله ، الخارجين على الجماعة ، المضرمين لنار الفتنة » ؛ ثم ينتقل إلى الكلام على شخص الأمير ، فيتحدث عن قضائه ؛ ثم يتحدث تحت عنوان : « باب الذم » عن نقائصه ، فيأخذ عليه « هوان الدماء عليه وإسراعه إلى سفكها ، حتى من ولديه وإخوته ومن خلفهم من صحابته ورعيته ، أخذاً لأكثرهم بالظنة » ، ويعيب عليه « شدة بخله » ؛ ثم يلم بذكر شعراء بلاطه ؛ ويمضى بعد ذلك في رواية الحوادث التي وقعت بين سنتي ٢٧٥ و ٢٩٨ هجرية بتفصيل شامل ، ملتزماً في ذلك تحديد التواريخ في دقة عظيمة . وهو يهتم اهتماماً شديداً بأخبار ثورة عمر بن حفصون ، والفتن التي أثارها العرب في لبلة وإشبيلية ، ووقائعهم مع عمر بن حفصون ومع جند الأمير عبد الله . ويذكر مقتل القائد عبد الملك بن عبد الله بن أمية على يد المطرف بن الأمير عبد الله غدرًا ، ثم يذكر كيف قتل عبد الله ابنه هذا عقاباً له على هذه القعلة بمجرد عودته إلى قرطبة ، ويطول الحديث عن سعيد بن جُودي وما إلى ذلك . وتتخلل روايته قطع من الشعر ، كلها لأبي عمر أحمد بن عبد ربه الذي كان شاعر البلاط آنذاك (٢٨) .

أما الكتاب الكبير الثاني لابن حيان ، وهو « اللتين » ، فكان يقع في

ستين مجلدة ، ولم تُبق الأيام منه إلا على فقرات رواها بعض من أتى بعده من الكتاب ، كابن بسام وابن الخطيب . وهذه القطع تظهر لنا بوضوح أهمية هذا الكتاب الذى ضاع^(٢٩) .

ويذكر ابن حيان فى تضاعيف كتاباته أسماء الكتب التى استقصى منها معلوماته والمؤلفين الذين اعتمد عليهم : فهو يذكر الرازى ، وابن القوطية ، ومعاوية بن هشام الشَّيبِنِيسِيّ — وهو صاحب كتاب « تاريخ بنى أمية فى الأندلس » وأبا بكر بن عبادة بن ماء السماء ، الذى ألف « تاريخ شعراء الأندلس » ، وابن عبد ربه ، وأبا الوليد بن القرضى ، وصاعداً البغدادى ، وسكن بن إبراهيم الكاتب ، وأبا عمر بن عبد البر ، وآخرين كثيرين . وقد استقى من مؤلفات ابن حيان كل من أتى بعده من المؤرخين .

وقد ذكر حاجى خليفة فى « كشف الظنون » أن أبا عبد الله محمد بن فتوح الأزدي الحميدى (٤١٩ — ١٠٢٩/٤٨٧ — ١٠٩٥) وضع مختصراً للمقتبس^(٣٠) ، ولكن هذا وهم منه ، لأن كتاب الحميدى إنما هو معجم أبجدى لعلماء الأندلس قدّم له بموجز فى تاريخ الجزيرة (وقد ترجم جايانجوس الجزء الخاص بعصر الخلافة من ذلك الموجز) . وقد كتب الحميدى هذا المعجم فى بغداد بعيداً عن المراجع اللازمة ، فجاء مجموعاً قابل القيمة من تراجم الرجال يشوبه غلط كثير فى تحديد التواريخ^(٣١) .

وقد قال عن ابن حيان أحد أصحاب التراجم :

« حيان بن خلف بن حسين بن حيان أبو مروان القرطبي مولى بنى أمية ، شيخ الأدب ومؤرخ الأندلس ؛ روى عنه أبو على النسائى ووصفه بالصدق . وكان أبو مروان فصيحاً بليغاً ، له كتاب « المقتبس » فى تاريخ الأندلس ، فى عشرة مجلدات ، وكتاب « المتين » فى تاريخ الأندلس أيضاً ، ستون مجلداً . رآه بعضهم فى النوم فسأله عن التاريخ الذى عمله فقال : لقد ندمت عاياه ، إلا أن

الله تعالى أقالني وغفر لي بلطفه . وكان لا يتعمد كذبا فيما يكتبه في تاريخه من القصص والأخبار . توفي سنة تسع وستين وأربعمائة (*) .

وقد أيد المحدثون هذه الشهادة الطيبة ، فقال دوزي : « إن كتاب العرب يمتدحون في كتب ابن حيان صدق الرواية بقدر ما يعجبون بجمال أسلوبه وجزالة لغته ورنين عباراته . وأنا أو أيدهم في ذلك كل التأيد ، ولا أنردد في القول بأن كتبه — لو بقيت — لألفت على تاريخ الأندلس الغامض ضياءً باهراً وصورتها لنا أحسن تصوير ، ولوجدنا أنها تبلغ من الامتياز مبلغاً يجعلنا نستغنى بها عن غيرها من الكتب التي تتناول تاريخ هذه العصور . إن ابن حيان سيال الأسلوب ، ولكنه مع ذلك لا يتعثر في الإطناب والقعقة اللفظية ، كما فعل غيره من أصحاب الروايات المسهبة التي لا تنقهي . إنه ليسوق التاريخ مساق من يبدي رأيه وحكمه فيما يعرض من القضايا ، ويبعث عن أسباب الأشياء ويناقشها عن علم وفهم وذكاء ، كما سيفعل من بعده مؤرخون نقادون كابن سعيد وابن خلدون . ويمتاز ابن حيان إلى ذلك بأسلوب صاف ناصع ، لا يهبط إلى الركافة التي تثير السخط ، ولا يقع كذلك في التفصح والإسراف في قماع الألفاظ [كما نجد عند ابن خاقان مثلاً] . وهو رغم التزامه هذه السهولة لا يهمل جانب الجمال في أسلوبه ، ويبعث في كلامه دائماً حماساً وغنى وطابعاً غالباً من الجدل . نعم إنه يلجأ في بعض الأحيان إلى التشبيهات وضرب الأمثلة ، ولكنه — رغم امتياز تعبيره بفصاحة القدماء — لا يولع بما أولع به معاصروه [من التزويق والمحسنات اللفظية] . ونخرج من هذا كله بأننا « لا نجد من بين مؤرخي العرب إلا القليلين ممن نستطيع أن نقارنهم به ، وإن نجد بينهم من تقدمه عليه » (٢٣) .

(*) الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج ٤ ، مجلد ١ ، ص ١٦١ .

ف ٦٧ — محمد بن مزين — ابن مسلمة — ابن أبي الفياض :

ومن الجدير بالذكر من مؤرخي هذا العصر أبو بكر محمد بن عيسى بن مزين (المتوفى سنة ٤٧٠/١٠٧٨) ، وقد ألف كتاباً في تاريخ الأندلس تتواتر الإشارة إليه فيما بين أيدينا من كتب تواريخ الأندلس . ومن الأخبار الهامة التي تنسب إليه ذكر « الرايات » التي دخلت الأندلس مع الجيش الفاتح ، وقبائل العرب التي كانت تنضوي تحت هذه الرايات . وهو صاحب الفصل الممتع الذي يحدثنا عن الملكية العقارية في الأندلس بعد الفتح^(٣٣) . كان محمد بن مزين من علماء الشريعة وأفذاذ الأدباء^(٣٤) ، وكذلك كان أبو عبد الملك بن غصن^(٣٥) (المتوفى سنة ٤٥٣/١٠٦٢) أحد الأعلام في الأدب والتاريخ والتأليف ، ونعم عليه المأمون بن ذى النون بسبب محبته لرأس بلده ابن عبيدة ، فكتب إليه من السجن يعقتر ، وألف المأمون « رسالة السجن والمسجون والحزن والحزون » ورسالة أخرى سماها « بالمشركمات » .

أما أبو عاصم بن مسلمة (٤٣٢ — ١٠٤١/٥١٠ — ١١١٧) فكان وزيراً في إشبيلية ، وقد ألف في التاريخ كتاباً يسمى « حديقة الارتياح في وصف حقيقة الراح »^(٣٦) ، تكثر الإشارة إليه عند ابن بسام وغيره ، وقد ألف كذلك كتباً أخرى نثرًا ونظماً . وشعره ضاحك طروب يميل إلى التحرر والانطلاق ميلاً واضحاً^(٣٧) . وحقيق بالذكر كذلك أحمد بن سعيد بن أبي الفياض (٣٧٥ — ٩٨٦/٤٥٨ — ١٠٦٦) وكان تلميذاً لأبي عمر الطلمنكي ، وقد ألف كتاباً عني عليه الزمن يسمى « العبر » نشر ميخائيل القزيري قطعة منه على أنها للرازي^(٣٨) ؛ وألف في الجغرافيا أيضاً ، فكتب كتاباً عن الطرق والأنهار ، وقد ضاع هذا الكتاب كذلك^(٣٩) .

ف ٦٨ — ابن حزم القرطبي :

وأظهر شخصيات ذلك العصر في ميدان الآداب هو ابن حزم القرطبي صاحب التأليف الكثيرة والذي عُنِيَ ميجيل آسين بدراسته عناية عظيمة فيما بين سنتي ١٩٢٨ و ١٩٣٢ وعرفنا به تعريفاً طيباً . كان أبو محمد علي بن حزم (٣٨٣— ٤٥٤/٩٩٤— ١٠٦٣) ابناً لأحمد بن حزم وزير المنصور، وقد صحب في شبابه شيخه وأستاذه أبا علي الحسين بن علي الفاسي ؛ وكان ، على قول ابن حزم ، « عاقلاً عاملاً عالماً من تقدم في الصلاح والنسك الصحيح في الدنيا والاجتهاد للآخرة ... وما رأيت مثله — جملةً — علماً وعملاً وديناً وورعاً ، فنفنى به الله كثيراً ، وعلمت موقع الإساءة وقبح المعاصي »^(٤٠) .

درس أبو محمد بن حزم الحديث على أبي عمر أحمد بن محمد بن الجسور (ف ٥٥) دراسة طيبة ، فتهياً له بذلك أساس مكين بنى عليه فيما بعد معارفه بأصول الدين والشرع ، ودرس « تاريخ الطبري » دراسة فهم وتمن فأصاب من ذلك إدراكاً طيباً لتاريخ البشر والأديان ، وكذلك سمع الحديث على أبي عمر الطلمنكي المحدث النابه ، وتعلم المنطق على يدي الكتاني ، وكان طيباً من مدرسة مسلمة الجريطي ، ودرس الأدب على أبي القاسم عبد الرحمن بن أنى يزيد الأزدي^(٤١) ، وعرف في مجلسه أبا عبد الله محمد بن يحيى بن محمد الحسين المعروف بابن الطنبي وأخاه^(٤٢) وكانا من أفذاذ الشعراء ، ولا بد أنه ساهم كذلك في مجالس الأدب التي كانت شائعة في تلك البيئة المهدبة المثقفة الرفيعة التي نشأ فيها .

وقد تعلق أبو محمد بن حزم — وهو بعد صبي يافع — بفتاة ذات حسن كان أبواه قد حضناها وقاما على تربيتها ، فتمنعت عليه ، ولم تظهر له قط من القبول ما يفسح له في مجال الأمل فيها ، فطوى نفسه على آلام هذا الهوى . وقد نسب دوزي تولع ابن حزم بهذا الهوى العذري إلى طمع متأصل في جنسه ، وعلاه بما يقال من أن ابن حزم ينحدر من أصل نصراني^(٤٣) ؛ وقد نقض الأستاذ آسين بلايوس رأى دوزي هذا ، وأتى بأمثلة كثيرة من هذا الحب العذري والعفة

الزوجية عند مسلمى الأندلس ، في نفس العصر الذي عاش فيه ابن حزم . ورد هذه الظاهرة إلى ما في الإسلام من نوازع زهدية ، وقال إن وجودها دليل قاطع على ما يمكن في نفوس الشعوب الإسلامية من مثالية عظيمة ، كان الناس ينكرونها عليها إلى ذلك الحين^(٤٤) ، [أى إلى عصر دوزى] .

وفي عام ١٠١٢/٤٠٢ توفي أبوه ، وكان قد أقام في خدمة العاصريين حتى مقتل عبد الرحمن بن منصور بن عاصم الملقب بشنجل ، وعند ما شبت الفتنة البربرية أخرج ابن حزم من قرطبة ، إذ كان رأس بيت مناصر لبني أمية ، متمسك بحقهم في العرش ، لطول ما اتصل رجاله بخلفائهم وأقاموا في خدمتهم . ونهبت قصور ابن حزم بعد خروجه من قرطبة ، ففوجه إلى المرية وأقام فيها ، وهناك انصرف إلى تأييد عبد الرحمن الرابع — الملقب بالمرتضى — فيما كان يسعى إليه من طلب الخلافة بمؤازرة نفر من أنصاره . وسار ابن حزم مع جيش المرتضى لحرب بني حمود ، فانهزم الجيش في موقعة « غرناطة » (١٠١٨/٤٠٨) وقتل المرتضى وأسر ابن حزم ثم أخلى سبيله فاجأ إلى شاطبة ، واطمأن هناك ردحا من الزمن كتب فيه كتاب « طوق الحمامة » . وظل مع ذلك يدعو لعبد الرحمن الخامس الذي كان يطلب الخلافة لنفسه . فلما وفق عبد الرحمن إلى ما كان يسعى إليه ، وارتقى عرش الخلافة وتلقب بالسنتظهر عام ١٠٢٣ / ٤١٤ ، استقدم ابن حزم وأقامه وزيراً له . ولم تدم خلافة السنتظهر غير شهرين قُبل بعدها في ٢٧ ذى القعدة ٤١٤ / ١٠ فبراير ١٠٢٤ وانتهى أمره ، فنُفي ابن حزم مرة ثانية من قرطبة ، فألى على نفسه ألا يوضع في السياسة يداً من ذلك الحين ، مؤمناً بأن أدعياء الخلافة لم يعودوا يحوزون ما ينبغي لها من نصاب شرعي ، وأن الخلافة لم تعد حقا إلهيا . وهكذا ظل ابن حزم إلى ذلك الحين موزعاً بين السياسة والأدب^(٤٥) ، أما بعد ذلك فقد كرس وقته كله لدراسة الدين والفقه .

أقبل ابن حزم على دراسة الفقه وهو في السادسة والعشرين من عمره ، وكان

دافعه إلى الإقبال على درسه ما ظهر ذات مرة في المسجد من جهله بفروض الصلاة^(٤٦) ، فأقبل يدرس الشريعة والفقه في نهم على يد الفقيه المشاور عبد الله ابن يحيى بن دَحُون ، فقرأ عليه موطأ مالك ، وتلمذ كذلك للشيخ أبي الوليد يونس بن الصفار^(٤٧) .

ثم وجد من نفسه ميلا لمذهب محمد بن إدريس الشافعي (ف ١٢٤) فانقل إليه^(٤٨) ، وكان الشافعيون قلة بين الأندلسيين . ولم يظل ابن حزم شافعيًا إلا فترة قصيرة^(٤٩) ، إذ استحسن المذهب الظاهري ، وهكذا نجده ظاهريًا قبل سنة ٤١٩ / ١٠٢٩^(٥٠) — والظاهريون هم أتباع أبي داود ممن يلتزمون التقليد للأثر ويأخذون بالمعنى اللفظي الظاهر لكلم القرآن (ف ١٢٤) — وقد أنكر عليه فقهاء المالكية ذلك ومنعوه وأستاذة أبا الخيار مسعود بن سليمان بن مفلت من التدريس في جامع قرطبة^(٥١) ، فكان لموقف الفقهاء منه وتبهم إياه أثر عميق في خلقه ونفسه .

وبعد أن توفي شيخه أبو الخيار بقليل ، أقبل ابن حزم على تأليف كتبه ومضى يذرع ممالك الطوائف داعيًا لمذهبه ، وثارَت بينه وبين الفقهاء المساجلات ، فتجلى في مناقشاته علمه الواسع وتمكنه البالغ من اللغة والأدب والشعر والتاريخ والحديث والفقه وما إليها من العلوم الإسلامية . وظهرت كذلك إحاطته بضروب العلم القديمة من المنطق والفلسفة (عدا الرياضيات) ، وتحقيقه بكتابات اليهود والنصارى ، والروايات التلمودية خاصة . وامتاز كذلك بمهارة فائقة في الجدل ، يعيها حَيِّده في بعض مجادلاته عما ينبغي للعلم من أمانة ، (كأن يحرف كالم النصوص ، أو يفسرها تفسيراً ملتويًا مقصوداً ، أو يبتز نصوص من مجادلهم من أصحاب المذاهب أو الأديان الأخرى بترًا مشوّها مفسدًا ، وما إلى ذلك) ، « حتى أصبحت حدة ألفاظه وشدة الكلمات التي يستعملها مضرب المثل في بلاد الإسلام كلها »^(٥٢) .

ومن بين مجادلاته التي ذاع أمرها تلك التي جرت بينه وبين أبي الوليد الباجي في مَيورقة^(٥٣) ، (وكان ابن حزم قد لجأ إلى رعاية عاملها ابن رشيق) ، وكان

الباجي فقيها مالكيا نابهاً وأشعرياً فذاً (ف ١٢٦) ، وبيدو أن ابن حزم غلب في مجادلة الباجي ، ويرد ابن حيان ذلك إلى تعصبه لمذهبه ومبدهه السياسي ^(٥٤) .

كان ابن حزم رجلاً صادقاً مخلصاً قوياً ذا ديانة وحشمة وسؤدد ^(٥٥) . وكان يؤمن بأن سلامة العقيدة والشرف فوق الحياة نفسها ، وكان مخلصاً لأصحابه يتفانى في سبيلهم ، لدوداً في خصومته ، لا يصفح ولا ينسى ثأره ، ولوعاً بالسخر من خصومه ، شديد الاعتداد بما أوتي من علم ؛ وكان كريماً عفيفاً وسطاً في إيمانه ، لا هو ساذج يقبل كل شيء ، ولا هو متشدد لا يقبل إلا حكم العقل ، بل هو أقرب إلى العقليين منه إلى العاطفيين ، كما يقول آسين پلاثيوس ، « لأن مزاجه الذي جمع بين الهدوء والرزانة والنفاذ والصلابة والقدرة على قبول الحقائق الجافة ، جعله بمنأى عن الاستخراق في فيوض الحياة الروحية » ^(٥٦) .

ويقول آسين پلاثيوس : « إن ابن حزم قد عاين من ألوان الظلم ما أنضب معين الرقة واللين في نفسه ، وشاهد من مساات القوضى السياسية التي ضربت على الأندلس بجرانها في أيامه ما نفر نفسه ، وأوذى في نفسه وكرامته بما لقي من الاضطهاد ، ورأى الناس أجمعين ينكرون قدره ويتجهمون له ويقاطعون مذهبه الديني ويمحرمونه ، فاستقر رأيه على أن يعتزل الدنيا والناس وينزوى في موطن أسرته مُنتِ لِسْمٌ ، وهي بليدة على مقربة من وُلْبَة ربما كانت قرية كازا مونتيخا Casa montija الحالية ^(*) — وذلك بعد أن صادر المتمد بن عباد كتبه وأحرقها — وفي هذا المعتزل كتب كتابه « الأخلاق والسير في مداواة النفوس » ، وهو أشبه باعترافات تفيض بالتشاؤم العميق » ^(٥٧) .

ومن غرائب القدر وعيئه بمصائر البشر أن ابناً لابن حزم — هو أبو رافع الفضل — دخل في دعوة المتمد بن عباد وأخلص في خدمته وقُتل في موقعة الزلاقة ، محارباً إلى جانب ألد أعداء أبيه ^(٥٨) .

(*) راجع مناقشة موضع منت لسم في :

ف ٦٩ - آثار ابن حزم في الفلسفة والشريعة وعلوم الدين والتاريخ :

كان ابن حزم من أكثر خلق الله كتابة وتأليفاً ، ويبدو أنه درس وألف في كل صنف من أصناف العلوم ، عدا الرياضة . ومن أسف أن معظم مؤلفاته قد ضاع .

وسنتبع في عرض مؤلفات ابن حزم التصنيف الذي اتبعه آسین پلائیوس في كتابه عن ابن حزم^(٥٩) .

(١) الفلسفة : ألف ابن حزم كتاباً في مراتب العلوم والمنطق وفي نقد أبي بكر الرازي ، وقد ضاعت كلها . ولكن بقي لنا مما يستحق الذكر من تواليفه كتابه المسمى « الأخلاق والسير في مداواة النفوس »^(٦٠) . وقد أجمل آسین پلائیوس وصفه بقوله : « إنه أشبه بسجل يوميات ، دون فيه ابن حزم ملاحظات أو اعترافات تحصل بسيرة حياته ، وهذه الملاحظات ترد في الكتاب دون ترتيب يُقصد به إلى التعليم والتربية ، ولم يُراعَ في تنسيقها منطق . ونحن إذ نقرؤه نجد فيه الوقائع كما سجلها رجل يقظ دقيق للملاحظة أثناء تجاربه الواسعة ، وصاغها في قالب مبادئ عامة وحكم » . وهذا الأسلوب الوعظي الحكيم الذي اتبعه ابن حزم يجعل كتابه هذا شبيهاً بحكم ديموقريط وسنيكا ؛ ولا يخلو الكتاب مع ذلك من الفقرات الطوال ، كهذه القطعة الجميلة التي يذم فيها الغرور ، أو تلك التي يصارحنا فيها ابن حزم برذائل ونقائص أخلاقية يراها في نفسه ، ويقررها في تواضع وإخلاص يذكرنا باعترافات القديس أوغسطين . وفي مواضع أخرى من الكتاب يصف ابن حزم أخلاق البشر في أسلوب يفيض حيوية ، وتجرد عن الميل والهوى . وإن الإنسان ليشعر وهو يقرأ كلام ابن حزم في هذا المقام وكأنه يطالع كتب « الأخلاق » التي كتبها ثيوفراست ، أو لابرويدير ، أو « مقالات في الأخلاق والسياسة » ليكون^(٦١) . وأعظم قيمة لهذا الكتاب الأخلاقي — الذي

صدر عن نفس يشوبها التشاؤم والتبصوف — هي أنه يقدم لنا صورة حقيقية حية لنفسية مسلمي الأندلس في القرن الحادى عشر ، وقواعد الأخلاق التى كانت مرعية فى مجتمعهم . هذا إلى جانب تلك الفقرات التى تتصل بحياة ابن حزم نفسه ، وقد أشرنا إليها فيما سلف .

وإليك بعض أطراف من أقوال ابن حزم وحكمه فى هذا الكتاب :

- * « من أساء إلى أهله وجيرانه فهو أسقطهم ، ومن كافأ من أساء إليه منهم فهو مثلهم ، ومن لم يكافئهم بإساءتهم فهو سيدهم وخيرهم وأفضلهم . .
- * أول من يزهد فى العادر من غدر له العادر ، وأول من يمقت شاهد الزور من شهد له به ، وأول من تهون الزانية فى عينه الذى يزنى بها . .
- * العِرض أعز على الكريم من المال . ينبغى للكريم أن يصون جسمه بماله ، ويصون نفسه بجسمه ، ويصون عرضه بنفسه ، ويصون دينه بعرضه ؛ ولا يصون بدينه شيئاً أصلاً .

ف ٧٠ :

(ب) الفقه والأصول : ألف ابن حزم كتباً كثيرة فى الحديث والمذاهب ، ولكن أهمها على الإطلاق هى :

كتاب « الإبطال » (الذى نشره لدتسيهر جزءاً منه) ، وابن حزم يعرض علينا فيه ضعف أصول خمسة اتبعتها بعض المذاهب الإسلامية فى استخلاص الأحكام الشرعية ، وهى : القياس ، والرأى ، والاستحسان ، والتقليد ، والتعليل . وأهمية هذا الكتاب راجعة إلى أنه يبين لنا الأسس التى بنى عليها ابن حزم مجادلاته ونقده للمذاهب الأخرى ؛ وهو الكتاب الأساسى الذى يبسط لنا فيه دقائق المذهب الظاهرى الذى اعتقده .

وله فى هذا الموضوع أيضاً كتاب « الإيصال إلى فهم كتاب الخصال » (٦٦) ،

الذى يوجز فيه ابن حزم ما بسطه فى كتاب « الخصال الجامعة لمحصل شرائع الإسلام فى الواجب والحلال والحرام » ، الذى ضاع والذى يغلب على الظن أنه شرح لأصول المذهب المالكي ونقد له ومجادلة للمالكيين .

وله أيضاً كتاب « المحلى فى الخلاف العالى فى فروع الشافعية » (محفوظ بدار الكتب المصرية)^(٦٣) ، الذى يناقش فيه أصول المذهب الشافعى وينقدها ؛ وكذلك كتاب « الفصل » الذى سنتحدث عنه فيما يلى .

ف ٧١ :

(ح) علوم الدين : كتب ابن حزم رسالات كثيرة ، نقض فيها آراء أصحاب المذاهب التى اعتبرها منحرفة عن الطريق القويم ، أو دلل فيها على أن أسلوب القرآن معجز لا يشبه فى شيء أى أسلوب من أساليب البلاغة الإنسانية ؛ وقد ضاعت هذه الكتب . وصنف رسالات أخرى مثل : « بيان التحريفات التى أدخلها اليهود والنصارى على نصوص التوراة والإنجيل » ، و « النصائح المنجية من الفضايح الخنزيرية والقبائح المردية من أقوال أهل البدع من الفرق الأربع : المعتزلة ، والمرجئة ، والخوارج ، والشيعية »^(٦٤) . وهذه كلها بنجدها مجموعة فى كتاب « الفصل فى الأهواء والنحل » ، الذى نستطيع أن نعتبره بحق « تاريخاً للأديان » ؛ وهو أهم ما كتب ابن حزم فى موضوع الأديان^(٦٥) .

حاول ابن حزم فى دراساته فى موضوع الأديان أن يوفق بين العقل والعقيدة (سابقاً ابن رشد إلى ذلك بقرن من الزمان) ، واجتهد فى أن يطبق على الإلهيات أصول المذهب الظاهرى الذى اعتقده ، متبعاً فى ذلك قواعد عامة أوجزها الأستاذ آسبن پلاثيوس فيما يلى : « الأخذ بالمعنى الحرفى « الظاهر » للفظ القرآن ، و « الاجتهاد » فى تفسير آية تفسيراً عقلياً طبيعياً ، اجتهاداً يقوم على ما ورد فى معاجم اللغة من معانى الألفاظ ، وما قرره اللغويون من قواعد البلاغة العربية وأصولها ، والتزام ما أجمعت عليه الأحاديث الموثوق فيها مما صح سنده عن الصحابة أو ما قرره

« إجماع » المسلمين ، وذلك دون « تقليد » لأى مذهب معين ، وقد اعتمد ابن حزم فى ذلك على مذهب الغنوص الذى يقول بأن ذات الله وصفاته وأفعاله لا يحيط بها العقل البشرى ، إذ أن الإيمان — على قوله — لا بد أن يصدر عن قلب مدرك لوجود الله بالفطرة ، إذ بغير ذلك لا يقيسر للعقل الإنسانى أن يدرك ذات الله وصفاته وأفعاله ^(٦٦) .

ف ٧٢ :

(٥) التاريخ : خلف ابن حزم لنا مادة طيبة فى التاريخ ، منها كتاب « جهرة أنساب العرب » (وقد نشره ليثى بروقنسال فى القاهرة سنة ١٩٤٨) ، وهو عظيم الفائدة لمن يدرسون تاريخ الإسلام فى المشرق والأندلس . أما كتاباه « الإمامة والخلافة فى سير الخلفاء ومراتبها والندب والواجب منها » و « فهرست » شيوخه ، فلم نعر عليهما إلى الآن . وبين أيدينا كتابه « نقط العروس » (وقد نشره زايبولد فى غرناطة سنة ١٩١١ ، وأعاد نشره سيكو Seco سنة ١٩٤٦ ثم الدكتور شوقى ضيف فى القاهرة ١٩٥١) ، وهو يضم معلومات مقتضبة جافة عن خلفاء المشرق والأندلس وحكامهما ، مرتبة « فصولا بحسب جوامع مختلفة تربط بينهم ، مثل « أول الأسماء التى وقعت على الخلفاء رضى الله عنهم » ، و « تسمية من ولى الخلافة فى حياة أبيه » ، و « من ولى منهم صبيا » ، و « أكثر الخلفاء عمراً » ، وما إلى ذلك ^(٦٧) ؛ وكأنما مادة هذا الكتاب نقط كان قد وضعها ابن حزم لينشى حولها كتابا مطولا . وله كذلك « الرسالة » المشهورة فى « بيان فضل الأندلس وذكر علمائه » ، وقد احتفظ لنا المقرئ بنصها فى « نفع الطيب » ^(٦٨) وترجمها جايانجوس إلى الإنجليزية فيما ترجم من أجزاء « النفع » ^(٦٩) . وقد كتب ابن حزم هذه الرسالة جوابا على ما ورد فى خطاب بعث به أبو على الحسن بن محمد بن أحمد بن الريب التميمى القيروانى إلى أبى المغيرة عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الرحمن ابن حزم ، « يذكر تقصير أهل الأندلس فى تخليد أخبار علمائهم وما أثر فضلهم

وسير ملوكهم» (٧٠) ، فانبرى ابن حزم يذكر علماء الأندلس ويعدد أفضالهم ومؤلفاتهم في حماس بالغ لوطنه . وقد قال آسین پلائیوس في حق هذه الرسالة القيمة : « إنها تضم ثبوتا بما ألف الأندلسيون في صنوف الآداب والعلوم ، وهي في فصول كل منها يدور حول صنف من العلوم والآداب ، ويذكر ابن حزم أمهات مؤلفات الأندلسيين في كل علم وفن ، وإليك فهرست أبواب الرسالة :

« مقدمة في فضل الأندلس وأهله ومزايا قرطبة مع ملاحظات طريفة على أخلاق أهل الأندلس — أحكام القرآن والحديث ورجاله والفقهاء (المالكية خاصة) — اللغة — الشعر — الأخبار (التاريخ والطبقات) — الطب — العدد والهندسة — علم الكلام — خاتمة في المقارنة بين أعلام العلماء في المشرق والأندلس» (*)(٧١) .

وقد أكل على بن سعيد المغربي فوات هذه الرسالة (ف ٧٩) (٧٢) .

ف ٧٣ — كتاب الفصل :

وأشهر ما ألف ابن حزم في مادة التاريخ وأعظمه قيمة هو كتاب « الفصل في الملل والأهواء والنحل » (٧٣) ، وهو تاريخ نقدي للأديان والفرق والمذاهب (نشر في القاهرة سنة ١٣٢١ . وترجمه إلى الإسبانية آسین پلائیوس ، ونشره في سنتي ١٩٢٧ و ١٩٢٨) ، وهو كتاب ضخم حافل بما فيه من مادة وأفكار ، يعرض فيه ابن حزم لثنتي مذاهب الذهن البشري في موضوع الدين ، من الإلحاد المطلق الذي عليه السفطائيون الذين لا يؤمنون بشيء ، بل لا يؤمنون بأن تكبيرهم نفسه حقيقة مجردة ، إلى إيمان العوام الذين يصدقون كل شيء ، ويؤمنون بالخرافات في جهل ، ولا يشكون في شيء .

ثم يقول آسین پلائیوس : « إن ابن حزم يقسم الناس — من حيث موقفهم من أمر العقيدة — إلى ستة أقسام يرتبها بحسب بعدها أو قربها من الإسلام ، وهي :

(*) استخرجت فهرست « الرسالة » من نصها عند المقرئ (ج ٢ ، س ١٠٨ —

١٢١) وقد اقتضى هذا مخالفة الفهرست الذي أورده المؤلف عن آسین پلائیوس .

أولاً : شك السوفسطائية ، الذين يبطلون الحقائق .

ثانياً : إلحاد الفلاسفة ، الذين ينكرون وجود إله خالق ويقولون : « إن

العالم قديم ، وليس له مدبر » .

ثالثاً : كفر الفلاسفة ، الذين يقولون : « إن العالم لم يزل ، وله مع ذلك

فاعل » .. أى ينكرون وجود إله خالق للعالم الأزلى .

رابعاً : ثنائية الإله التي يقول بها الزردشتيون والمناويون ، وتعدد الآلهة

الذي يقول به النصارى المؤمنون بالثالوث .

خامساً : توحيد البراهمة والعقليين ، الذين يؤمنون بوجود إله واحد ،

ولكنهم ينكرون النبوة والملائكة .

سادساً : توحيد اليهود ومن أنكر التثليث من النصارى ، ومذهب

الصابئة ومن أقر بنبوة زردشت من المجوس وأنكر ما سواه ^(٧٤) .

ثم يأتي الإسلام بعد ذلك ، ويرى ابن حزم أنه العقيدة الإيجابية الوحيدة

الحقة ، ورسالاته المحمدية نسخ الله ما أوحى به من قبل إلى أنبياء بني إسرائيل ،

بما فيهم عيسى . ويرى ابن حزم في المسيح أنه نبي حق فحسب ، وهو رأى

عامة المسلمين فيه . وهو يدرس — في نفس الوقت — ما عليه بعض الناس

من عدم الاكتراث للدين ، وما عليه جهلاء العامة من تصديق لكل شيء

وإيمان بالمعجزات الكاذبة ، وما يزعمه البعض من تفسير الأحلام واستخراج

الأحكام عن طريق النظر في النجوم .

وعندما يعرض ابن حزم لموضوع النزاع الشديد بين الدين والعقل ، يدرس

طبيعة الإيمان عند العوام وعند أهل الفكر والتدبير ، ويقول بالابتعاد عن

التمصب الشديد غير النسفي ، ولا يرضى كذلك عن اتباع العقل المطلق ، ويرى

أن خير العقيدة ما أخذ طريقاً وسطاً بين العقل والإيمان ، مما يطابق تمام المطابقة

المذهب « الظاهري » الذي كان هو نفسه عليه .

ولما كانت مذاهب إبطال الخالق إطلاقاً — وهو ما يقول به السوفسطائيون والإلحاديون ومن يقولون بوجود الخالق ولكنهم ينكرون النبوات — تنكر كل الأسس التي تقوم عليها العقائد ، فإن ابن حزم يطيل النظر في هذه المذاهب الثلاثة وينقضها ، ويخرج من ذلك كله بإثبات وجود حقيق للكون ، ويدلل على صدوره عن غيره ، وعلى أنه موقوت بأجل ، ويقول بعد ذلك : « فإن تبادى الكلام وجب بما قد مناه الآ نهاية ، واللا نهاية في العالم من مبدئه باطل ممتنع محال ، فإذا قد بطل أن يخرج العالم بنفسه ، وبطل أن يخرج دون أن يُخرجه غيره .. فقد ثبت الوجه الثالث ضرورة ، وإذ لم يبق غيره البتة ، فلا بد من صحته ، وهو أن العالم أخرجه غيره من العدم إلى الوجود وبالله تعالى التوفيق » .

ثم يعرض بعد ذلك « لآثار صنعة الله التي لا يشك فيها ذو عقل » ويقول : « وليس هذا البتة من فعل طبيعة ولا بنسج ناسج ولا بناء ولا صانع أصباغ مرتبة ، بل هو صنعة صانع مختار قاصد إلى ذلك ، غير ذي طبيعة ، لكنه قادر على ما يشاء . هذا أمر معلوم بضرورة العقل وأوله يقيناً ، كما نعلم أن الثلاثة أكثر من الاثنين ، فصح أنه خالق واحد أول حق ؛ لا يشبه شيئاً من خلقه البتة ، لا إله إلا هو الواحد الأول الخالق عز وجل » (*) .

وهو ينكر من العقائد الإيجابية المجوسية (وهي الزردشتية) ، وما تقول به من ألوهة أورمز وأهرمن^(٧٥) ، وما يندرج تحتها من مذاهب أشهرها المانوية والتزديقية ؛ وهو ينكر كذلك عقائد الصابئين والنصارى ، ويعتبر هؤلاء الأخيرين مشركين لأنهم يقولون بالثالوث . وابن حزم يعرف مذاهب النصارى المختلفة ويفرق بين أولئك الذين ينكرون الثالوث منهم (أصحاب أريوس وأصحاب بولس الشمشاطى وأصحاب مقدونيوس) ، ومن يقولون بالثالوث (الملكانيون -- وهم الكاثوليك الأرثوذكسيون -- والنسطوريون واليعاقبة وهم المونوفيزيون) ؛

ويعرف كذلك الأقطار التي يسود فيها كل مذهب من هذه المذاهب .

وبعد أن يفرغ ابن حزم من نقض عقيدة الثالوث والتجسد ، يمضى بعد ذلك في إثبات عقيدة التوحيد ؛ وأول ما يتناوله للوصول إلى ذلك هو التذليل على إمكان الوحي الإلهي وضرورته وعلى أنه حق . وفي سياق الكلام في هذا الموضوع ، يقف ابن حزم لحظة ليناقد طائفة من العقليين ، كانوا ينكرون الوحي مؤيدين رأيهم بالقول بأن أجناس البشر نشأت عن أصول متعددة ، خلقت كلها في وقت واحد في أقطار متباينة ، ويثبت لهم أن الله تعالى خلق من النوع الإنساني ذكراً واحداً وأنثى واحدة ، بإجماع آراء أهل الأديان جميعاً (من الهند والمجوس والصابئين واليهود والنصارى والمسلمين) وآراء من يسميهم « البراهمة » (وهم من غير شك الشانثيون والبوذيون من أهل الهند) .

وهو يثبت ضرورة الوحي الإلهي بطريقة قريبة جداً من تلك التي اتبعها بونالد Bonald^(٢٦) ، عندما تعرض لهذا الموضوع في القرن التاسع عشر . وابن حزم يستند هنا إلى حجة سيُدخلها القديس توما الأكويني فيما بعد في علم الإلهيات عند الإسكولاستيين ، وتقوم هذه الحجة على القول بمعجز البشر — عن طريق العقل الصرف — عن الوصول إلى الحقائق الدينية التي لا بد من معرفتها لإدراك الغاية من الدين وحكمته ؛ وسيتوسع ابن رشد في هذه الحجة فيما بعد . والأسلوب الذي يلجأ إليه ابن حزم للتذليل على إمكان الوحي وحقيقته التاريخية شديد الشبه بذلك الذي نجده في رسائل « عن الديانة الحقة De Vera Religione » ، المتداولة بين الإسكولاستيين في أوروبا من القرن الثالث عشر إلى اليوم ، مع فارق بديهي وهو أنه يستعملها للتذليل على صحة رسالة محمد [صلعم] ، وعلى أن القرآن كلام الله أوحى به إلى رسوله دون ريب .

وهكذا يدحض ابن حزم آراء مدرستين فلسفيتين متطرفتين ، كثر أتباعهما إذ ذاك في العالم الإسلامي مشرقاً ومغرباً : الأولى كانت تقول بدين واحد لكافة

البشر، والأخرى كانت تنكر الأديان المنزلة جميعاً، نتيجةً لما كان يقول به أصحابها من أضاليل.

ولكن، أي الأديان الثلاثة المنزلة هو الصحيح: اليهودية، أم النصرانية، أم الإسلام؟ يجيب ابن حزم على هذا السؤال بطريقة يوجزها آسبن بلاثيوس بقوله:

« يذهب ابن حزم إلى أن الإنجيل — بعهديه: القديم، والجديد — قد حُرِّفَت كلماته عن مواضعها على أيدي النصارى واليهود، وأن كلا هذين الفريقين لا يستطيعان القول بأن ما بأيدي أصحابهما من كتبٍ كتبتْ منزلة، وخاصة بعد أن نُسخَت عقائدهما بالرسالة الحمدية.

« أما عقيدة اليهود بمذاهبها الخمسة — وهي: السامرية، والصدوقية، والعنانية (وهي القرائية، وم أصحاب عَنان الداودي اليهودي) والربانية (أو التلمودية، وهم الأشعنية وهم «جمهور اليهود») والعيسوية (أصحاب أبي عيسى الأصبهاني) ^(٧٧) — فيدحضها ابن حزم بالقول بأن كتبها المقدسة قد حرف كلها، ويجهد في إثبات رأيه بمناقشة نصوص التوراة وغيرها من كتب بني إسرائيل ومناقشة ناقد مطلع عليها، ويذهب إلى أنه من المستحيل عقلاً أن تكون هذه الكتب قد بقيت على أصولها دون تحريف، ويدلل على ذلك بأدلة يأتي بها من التاريخ.

« أما المسيحية فينكر ابن حزم صحتها، بالقول بأن الكتب التي تضم عقائدها وقواعدها الأخلاقية، إما أن تكون من وضع البشر أو حرفت نصوصها الأولى.

« وابن حزم يمتضى في تفسير ما يعرض من نصوص هذه الكتب — وذلك في ذاته برهان قاطع على اطلاعه الواسع — متبعاً قواعد مذهبه الظاهري من التفسير الحرفي الجاف، متهجاً نهجاً تشككياً ساخراً فولتيريّاً شبيهاً بما نعرفه

في أيامنا ، دون أن نشعر ونحن نقرأه أنه أحس — ولو إحساساً يسيراً جداً — بما تنطوي عليه المسيحية من « حنو إلى الهى » ، أو أنه أدرك فكرتها عن « الله أبى البشر » . ولكن قيمة الكتاب عظيمة جداً في تعريفنا بأفكار المستقر بين الإسبان وأحوالهم ، وما كانوا يقومون به من طقوس » .

فإذا فرغ ابن حزم من إبطال آراء النصارى واليهود ، فقد خرج من ذلك بأن الدين الوحيد الصحيح المنزل هو الإسلام . وابن حزم يلجأ في إثبات صحة الرسالة المحمدية وعلوية عقيدتها بحجج تشبه تلك التى يستعملها كتاب النصارى في إثبات فضائل النصرانية وميزاتها . ثم يتعرض بعد ذلك لمناقشة المذاهب الإسلامية لتعرف أجمعها وأقربها إلى النهج الصحيح . يقول آسين :

« إن ابن حزم يبدأ بذكر مذاهب الزندقة الأربعة الرئيسية التى ظهرت فى الإسلام ، مع ذكر الفرق الفرعية التى تنفرع عن كل منها ، ويعرف بها واحدة فواحدة ، بذكر « عمدتهم التى يتمسكون بها » ويكشف عن طبيعتها عن طريق عرض ما يحاول أصحابها مجادلته أو إفساده من الأركان الأساسية لمذهب أهل السنة ؛ فيقول مثلاً إن المرجئة يضلون فى فهم الإيمان وما يكون فى الآخرة ، والمعتزلة لا يفهمون التوحيد والقدر (حرية البشر فى الاختيار) ، والشيعية لا يفهمون معنى الإمامة ، والخارجية يقعون فى نفس الخطأ ويقعون كذلك فى الخطأين اللذين يقع فيهما المرجئة^(٧٨) .

« ويعتقد ابن حزم أن روح العصبية الفارسية هى مصدر المذاهب الضالة كلها فى الإسلام ، ويقول إن الفرس « لما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدي العرب — وكانت العرب أقل الأمم عند الفرس خطراً — تعاظمهم الأمر وتضاعفت لديهم العصبية ، وراموا كيد الإسلام بالحاربة فى أوقات شتى ، ففى كل ذلك يظهر الله سبحانه وتعالى الحق . وكان من قاداتهم سِنْبَادُ وَأَسْتَاذِيسُ والمقنع (الكندى) وبابك (الخُرَمي) وغيرهم ، وقبل هؤلاء رام ذلك عمَّار الملقب

بمخداش وأبو مسلم السراج ، فرأوا أن كيدته على الحيلة أنجع ، فأظهر قوم منهم على الإسلام واستمالوا أهل التشيع ، بإظهار محبة أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واستشناع ظلم على رضى الله عنه ، ثم سلكوا بهم مسالك شتى حتى أخرجوهم عن الإسلام «(*)» ؛ أى أنهم أوهمو الناس أنهم دخلوا الإسلام ، لى يكون ذلك أعون لهم على إفساد أمره وإدخال عقائد الجوسية وطقوسها فى رحابه . وقد سلكوا إلى ذلك طريق التأويل لآى القرآن ، ومن هنا تقبين ضرورة التفسير الحرفى «الظاهرى» للقرآن حتى ينكشف ضلالهم .

ويجمع ابن حزم الآراء الضالة التى قال بها أصحاب الفرق والمذاهب المختلفة فى موضوع الأركان الأساسية للعقيدة القويمية تحت أبواب خمسة هى :

- التوحيد (الله) .
- القدر (الجبر والاختيار) .
- الإيمان (العقيدة) .
- الوعد والوعيد (الحياة الأخرى) .
- الإمامة (٧٩) .

ثم يضى فى معالجتها فى أسلوب قريب مما سار عليه القديس توماس الأكوينى فى « خلاصة علوم الدين Suma theológica » .

ونتيجة ذلك أن كتاب ابن حزم صار تاريخاً لعلم الكلام فى الإسلام ، مع اتجاه واضح لبيان فضائله ، وإن لم ينقصه بين الحين والحين ذلك الطابع الموضوعى المنجرد عن هوى صاحبه ، ولكن يموزه إدراك فكرة تطور العقائد التى غلبت على دراسات تاريخ الأديان فى القرن التاسع عشر . وابن حزم يبين لنا فى كتابه تيارات الثقافة القديمة ، والمؤثرات النصرانية التى دخلت على الإسلام .

ويقول آسبن پلاثيوس : « إننا لا نجد بين أيدينا وثيقة هي أغنى ولا أجدر بالثقة من كتاب « الفصل » لابن حزم تمكننا من تتبع سير تيار الثقافة الذي لم يتوقف أبداً خلال العصور الوسطى فيما يتصل بتاريخ الآراء والمذاهب ، ففي ثنايا صفحات هذا الكتاب يتجلى لنا ذلك النسيج الذهبي الذي تتألف منه الفلسفة الخالدة ، ذلك النسيج الذي صنعته أوفر عبقريات الإغريق حكمةً بأيديها الصبور في مهارة فائقة ، وعلى ضوء صفحاتها نرى كيف يزداد النسيج سعة وامتداداً ، وكيف تدخل في تكوينه على مر العصور أنسجة جديدة ؛ وربما وجدنا أن هذه الأنسجة الجديدة لاتضاهى نسيج الإغريق روعة وبريقاً ولكنها لا تقل عنه متانة وقدرة على البقاء ، وزاها تجود وازداد إحكاماً بفضل ما أدخله عليها التفكير النصراني الشرق وما أضافه إليها المسلمون من مادة أوفر . وقد كان المسلمون آخر من انتهت إليهم أطراف هذه العناصر كلها ، ولهذا فقد تجمعت بين أيديهم ثمرات هذا التطور الفكري الغني ونتائجه ، ومن ثم لم يكن بالعسير عليهم أن يسبقوا مفكرى النصرانى من أهل الغرب في تحليلها ووضع منهجها وأساسها اللذين سيقوم عليهما التفكير المنهجي الإسكولاستى في القرن الثالث عشر » (٨٠) .

وإليك نموذجاً من أسلوب ابن حزم في (الفصل) نتخيره من الفصل الذى يدل فيه على صحة وجود الوحى والنبوة ، قال أبو محمد :

« . . . [فإذا قد أثبتنا أن النبوة — قبل مجيء الأنبياء عليهم السلام — واقعة في حد الإمكان ، فلنقل الآن بحول الله تعالى وقوته على وجودها إذا وقعت ولا بد ، فنقول :] (*) إذ قد صح أن الله تعالى ابتداء العالم ولم يكن موجوداً حتى خلقه الله تعالى ، فبقيين ندرى أن العلوم والصناعات لا يمكن البتة أن يهتدى أحد إليها بطبعه — فيما بيننا — دون تعليم ، كالتب ومعرفة الطبائع والأمراض وسببها على كثرة اختلافها ووجود العلاج لها بالمقايير التى لا سبيل إلى تجربتها كلها أبداً .

(*) لم يورد المؤلف هذه الفقرة الواردة بين الأقواس ، وإنما رأيت لإيرادها حتى يتصل سياق الكلام في الفقرة التى أوردها ، وهى التى تلى القوس .

وكيف يجرب كل عقار في كل علة ؟ ومتى يتبها هذا ولا سبيل له إلا في عشرة آلاف من السنين ومشاهدة كل مريض في العالم ؟ وهذا يقطع دونه قواطع الموت والشغل بما لا بد منه من أمر المعاش وذهاب الدول وسائر العوائق . وكعلم النجوم ومعرفة دورانها وقطعها وعودها إلى أفلاكها مما لا يتم إلا في عشرة آلاف من السنين ، ولا بد أن يقطع دون ضبط ذلك العوائق التي قلنا . وكاللغة التي لا تصح تربية ولا عيش ولا تصرف إلا بها ، ولا سبيل إلى الاتفاق عليها إلا باغثة أخرى ولا بد ، فصح أنه لا بد من مبدأ للغة ما . وكالحرث والحصاد والدراس وآلاته والعجن والطبخ والحلب وحراسة المواشي واتخاذ الأنسال منها والفرس واستخراج الأدهان ودق الكتان والقنب والقطن وغزله وحياكته وقطعه وخباطته وابسه وآلات كل ذلك وآلات الحرث والأرحاء والسفن وتديرها في القطع بها للبحار والدواليب وحفر الآبار وتربية النحل ودود الخبز واستخراج المعادن وعمل الأبنية منها ومن الخشب والفخار ، وكل هذا لا سبيل إلى الاهتداء إليه دون تعاليم . فوجب — بالضرورة ولا بد — أنه لا بد من إنسان واحد فأكثر علمهم الله تعالى ابتداءً لكل هذا دون معلم ، ولكن بوحى حقه عنده ، وهذه صفة النبوة . فإذا لا بد من نبي أو أنبياء ضرورة ، فقد صح وجود النبوة والنبي في العالم بلا شك ^(٨١) .

ف ٧٤ — آثار ابن حزم الأدرية : « طوق الحمامة في الألفة

والأروف » ^(٨٢) :

يعتبر الطوق أهم ما ألف ابن حزم في باب الأدب ، وهو رسالة عن « الألفة والألاف » أي الحب والمحبين . ويقع الكتاب في ثلاثين فصلاً يدور كل منها حول موضوع معين من موضوعات الحب ، رسالة كلها بطريقة متشابهة . منها ما ألف ابن حزم في كل فصل منها ، فيبدأ بتعريف نوع الألفة الذي يدور عليه المعنى أو يصف خاصية من خصائصه يتخيرها ، ثم يورد طائفة من الحكايات الواردة

يدلل بها على صحة ما يقول ، وتتخلل الكلام كله قطع من شعر ابن حزم نفسه .
ويضع ابن حزم فصول الكتاب كلها في أقسام أربعة تجمع ثلاثين باباً ، وقد
أورد بيان تقسيم كتابه في الباب الأول منه — عن مائتة الحب — فقال :

« وقسمت رسالتي هذه على ثلاثين باباً ، منها في أصول الحب عشرة .
فأولها هذا الباب ، ثم باب في علامات الحب ، ثم باب فيه ذكر من أحب في
النوم ، ثم باب فيه ذكر من أحب بالوصف ، ثم باب فيه ذكر من أحب من
نظرة واحدة ، ثم باب فيه ذكر من لا تصح محبته إلا مع المطاوعة ، ثم باب
التعريض بالقول ، ثم باب الإشارة بالعين ، ثم باب للمراسلة ، ثم باب التفسير .
« ومنها في أعراض الحب وصفاته المحمودة والمذمومة اثنا عشر باباً ، وإن
كان الحب عرضاً والعرض لا يمتثل الأعراض ، وصفة والصفة لا توصف . فهذا
على مجاز اللغة في إقامة الصفة مقام الموصوف ، وعلى معنى قولنا : وجودنا عرضاً
أقل في الحقيقة من عرض غيره ، وأكثر وأحسن وأقبح في إدراكنا لها علمنا أنها
متباينة في الزيادة والنقصان من ذاتها المرئية والمعروفة ، إذ لا تقع فيها الكمية
ولا التجزى ، لأنها لا تشغل مكاناً ؛ وهي : باب الصديق المساعد ، ثم باب الوصل ،
ثم باب طي السر ، ثم باب الكشف والإذاعة ، ثم باب الطاعة ، ثم باب
المخالفة ، ثم باب من أحب صفة لم يحب بعدها غيرها مما يخالفها ، ثم باب التنوع ،
ثم باب الوفاء ، ثم باب الغدر ، ثم باب الضنى ، ثم باب الموت .

« ومنها في الآفات الداخلة على الحب ستة أبواب : وهي باب العاذل ، ثم
باب الرقيب ، ثم باب الواشى ، ثم باب الهجر ، ثم باب البين ، ثم باب السلو .
« من هذه الأبواب الستة بابان لكل واحد منهما ضد من الأبواب المتقدمة
الذكر ، وهما باب العاذل وضده باب الصديق المساعد ، وباب الهجر وضده باب
الوصل . ومنها أربعة أبواب لا ضدها من معاني الحب ، وهي باب الرقيب ،
وباب الواشى ، ولا ضدها إلا ارتفاعهما . وحقيقة الضد ما إذا وقع ارتفع الأول ،

وإن كان المتكلمون قد اختلفوا في ذلك . ولولا خوفنا إطالة الكلام فيما ليس من جنس الكتاب لتقصيناها .

« و باب البين وضده تصاقب الديار ، وليس التصاقب من معانى الحب التى تتكلم فيها . و باب السلو وضده الحب بعينه ، إذ معنى السلو ارتفاع الحب وعدمه . » ومنها بابان ختمنا بهما الرسالة ، وهما : باب الكلام فى قبح المعصية ، و باب فى فضل التعفف ، ليكون خاتمة لإرادنا وآخر كلامنا الحض على طاعة الله عز وجل ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فذلك مفترض على كل مؤمن . لكننا خالفنا فى نسق بعض هذه الأبواب هذه الرتبة المقسمة فى درج هذا الباب الذى هو أول أبواب الرسالة ، فجعلناها على مبادئها إلى منتهاها واستحقاقها فى التقدم والدرجات والوجود ، ومن أول مراتبها إلى آخرها ، وجعلنا الضد إلى جنب ضده . فاختلف المساق فى أبواب يسيرة ، والله المستعان « (٨٣) .

يقول ابن حزم إن صور الحب كثيرة : من الحب الإلهى إلى الهوى الذى يقصد به إلى المتاع والمسرة (٨٤) ، ويقول إن أحداً لا يسلم من مس الهوى ، سواء أ كان من الخلفاء المهديين والأئمة الراشدين ، أم من كبار الرجال ودعائم الدول ، أم من الصالحين والفقهاء (٨٥) .

أما تعريف الهوى فى رأى ابن حزم فهو : « اتصال بين أجزاء النفوس المقسومة فى هذه الخليقة فى أصل عنصرها الرفيع ، [لاعلى ما حكاه محمد بن داود رحمه الله عن بعض أهل الفلسفة : الأرواح أكر مقسومة ، لكن على سبيل مناسبة قواها فى مقر عالمها العلوى ومجاورتها فى هيئة تركيبها . وقد علمنا أن سر التمازج والتباين فى المخلوقات إنما هو الاتصال والانفصال] . والشكل دأبا يستدعى شكله ، والمثل إلى مثله ساكن ، وللمجانسة عمل محسوس وتأثير شاهد ... [والله عز وجل يقول : « هو الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ليسكن إليها » ، فجعل علة السكون أنها منه] . ولو كان علة الحب حُسن الصورة الجسدية

لوجب ألا يستحسن الأنقص من الصورة ، [ونحن نجد كثيراً ممن يؤثر الأدنى
ويعلم فضل غيره ولا يجد محيداً قلبه عنه] ، ولو كان للمواقفة في الأخلاق [لما أحب
المرء من لا يساعده ولا يوافقه ، فقلنا أنه شيء في ذات النفس ، وربما كانت
الحجة لسبب من الأسباب وتلك تفتى بقاء سببها ، فمن ودك لأمر ولّى بعد
انقضائه] ... « (٨٦) .

ويقول ابن حزم إن أهم علامات الحب هي « إدمان النظر ، والعين باب النفس
الشارع ، وهي المنقبة عن سرّاتها والمعبّرة لظواهرها والعربة عن بواطنها .. » (٨٧) ،
ويبين الأسباب التي ينجم عنها الحب (كالرؤية في النوم أو سماع الوصف وما إلى
ذلك) ، واحدة ذات وقع شديد على الحب : هي الحب من نظرة واحدة ، كما
حدث ليوسف بن هارون الشاعر المعروف بالرمادي مع الجارية خولة ، (وقد
رويناه فيما سبق ، ف ١٥) (٨٨) . ثم يعقد فصلاً عن « أحب صفة لم يستحسن
بعدها غيرها مما يخالفها » (٨٩) يذكر فيه أن « للحب حكماً على النفوس ماضياً ،
وسلطاناً قاضياً ، وأمرأ لا يخالف ، وحداً لا يعصى ، ومُلْكاً لا يُتعدى ، وطاعة
لا تُصرف ، ونفاذاً لا يرد ، وأنه ينقض المرر ، ويحلُّ المرّم ، ويحلل الجامد ،
ويُحلُّ الثابت ، ويحل الشفاف ، ويحل المنوع » . ثم يحلل غرائب المحبين
ويقول : « لقد شاهدت كثيراً من الناس لا يهتمون في تمييزهم ، ولا يخالف عليهم
سقوط في معرفتهم ولا اختلال بحسن اختيارهم ولا تقصير في حدّسهم ، قد وصفوا
أحباباً لم في بعض صفاتهم ما ليس بمستحسن عند الناس ولا يُرضى في الجمال ،
فصارت هجرام وعرضة لأهوائهم ومنتهى استحسانهم . ثم مضى أولئك إما بسلوٍ
أو بينٍ أو هجر أو بعض عوارض الحب ، وما فارقهم استحسان تلك الصفات
ولا بان عنهم تفضيلها » . ومضى يحلل عشق الناس لهذه الصفات الخاصة ، حتى
الشائه منها ، ويقول : « وأعرف من كان أول علاقته بجارية مائلة إلى القصر فما
أحب طويّلة بعد هذا » ، ثم يقول : « دعني أخبرك : إنني أحببت في صبأى

جارية لى شقراء الشعر ، فما استحسننت من ذلك الوقت سوداء الشعر ، ولو أنه على الشمس أو على صورة الحسن نفسه»^(٩٠) ، «وأما جماعة خلفاء بنى مروان ، رحمهم الله ، فكلهم محبوبون على تفضيل الشقرة لا يختلف فى ذلك منهم مختلف»^(٩١) . ثم يقول أبو محمد فى «باب الوصل» : «.. ولقد جربت اللذات على تصرفها ، وأدركت الحظوظ على اختلافها ، فما للدنون من السلطان ، ولا المال المستفاد ، ولا الوجود بعد العدم ، ولا الأوبة بعد طول النية ، ولا الأمن بعد الخوف ، ولا التروح على المال ، من الموقع فى النفس ما للوصل ، لا سيما بعد طول الامتناع وحلول المبرح حتى يتأجج عليه الجوى ويتوقد لهيب الشوق وتنصرم نار الرجاء . وما أصناف النبات بعد غيب القطر ، ولا إشراق الأزاهير بعد إقلاع السحاب الساريات فى الزمان السجسج ، ولا خريير المياه المتخللة لأفانين النوار ، ولا تأنق القصور البيض قد أحرقن بها الرياض الخضر بأحسن من وصل حبيب قد رُضيت أخلاقه وُحُدت غرائزه وتقابلت فى الحسن أو صافه ..»^(٩٢) .

ويذكر ابن حزم صوراً متعددة للهوى المذرى ، والحب فى هذه الصور كلها إنما هو عاطفة نبيلة رفيعة . ويقول إن هناك وجوهاً كثيرة للفتوح بالحب ، منها الاطمئنان على سلامة الحبيب (وهو أمر سيردده دانتى عندما يتحدث عن سلامة بياتريس) ، ويقول حيناً : «ومما يدخل فى هذا الباب شئ رأيتُه ورآه غيرى معى ، أن رجلاً من إخوانى جرحه من كان يحبه بمدية ، فلقد رأيتُه يقبّل مكان الجرح ويندبه مرة بعد مرة»^(٩٣) . ويذكر حيناً آخر كيف يقنع المحب بتقبيل التراب الذى وطئه قدم الحبيب ، ويقول : «وأخبرنى بعض إخوانى عن سليمان بن أحمد الشاعر أنه رأى ابن سهل الحاجب بجزيرة صقلية ، وذكر أنه كان غاية فى الجمال ، فشاهده يوماً فى بعض المنزهات ماشياً وامرأة خلفه تنظر إليه ، فلما أبعثت إلى المكان الذى قد أثر فيه مشيه فجعلت تقبله وتلمم الأرض التى فيها أثر رجله»^(٩٤) (وهو أمر سيفعله فيما بعد شاعرنا المبدع ماثياس Macias) . وينشد ابن حزم فى

هذا المعنى الأبيات التالية على لسان تلك التي قبلت موطنى^{٩٥} قدم الحبيب :

يلوموننى فى موطنى^{٩٥} خُفُّه خطأ ولو علموا عاد الذى لام يحسد
فيا أهل أرض لا تجود سحابها خذوا بوصاتى تسعقلوا وتمحدوا
خذوا من تراب فيه موضع وطئه وأضمن أن المَحَلَّ عندكم يبعد
فكل تراب واقع فيه رجله فذاك صعيد طيب ليس يحمد
كذلك فعل السامرى وقد بدا لعينيه من جبريل إثر محمد
فصير جوف العجل من ذلك الثرى ققام له منه خوار مدد^(٩٥)

ثم يقول إن « مزار الطيف » فى النوم هو الدواء والشفاء لكل محب مهجور قد تطاول غمه ، أو لمن عدا عادى المنون على محبه ، فإذا كان راضيا عنا زارنا طيفه فى النوم . ومزار الطيف — على قصر مداه ووقوعه فى جانب الوم — إنما هو شىء يخصصنا ، وعن طريقه نرى من ظلم الموت ممن نحب ، ونستعيد لذات العيش التى ذهبت بها صروف الزمان ، ويخيل إلينا أننا ننسى أن من نحب قد مضى وواراه التراب^(٩٦) .

ومن أحسن فصول الكتاب إبداعا الفصل الذى يدور حول السلو^{٩٧} ، فهو يصور لنا الموت القاسى الذى لا يرد فى صورة هى أقوى من الحب نفسه . والسلو أمر يُعَاتَب فيه أو يُصَفَّح عنه حسب أسبابه ، فإذا كان سببه الإعراض ومجرد الرغبة فى التبدل فهو مذموم مستنكر ، وأما إذا كان سببه الفراق الذى لا حيلة فيه أو البعد المحتموم عن الحبيب (كما حدث لابن حزم فى هواه بإنسانة مجهولة) ، أو جفوة الحبيبة أو خيانتها ، فلا لوم فيه . وإذا كان الدافع إليه أمر فوق طاقة المحبين ، كالموت أو البعد الطويل ، فلا عقب فيه على المحبين كذلك .

ويروى ابن حزم حكايات كثيرة عن الشهادة فى سبيل الموى ، فيذكر لنا أخبار ناس ماتوا إذ فقدوا الحبيب ، أو لأنهم لم يستطيعوا البوح بما ضمته جوارحهم . ومن أغرب هذه الحكايات قصة رجل أندلسى « باع جارية كان يجد بها وجداً

شديداً لفاقة أصابته من رجل من أهل ذلك البلد ، ولم يظن باتباعها أن نفسه تتبعها ذلك التتبع . فلما حصلت عند المشتري كادت نفس الأندلسي تخرج ، فأتى إلى الذي ابتاعها منه وحكّمه في ماله أجمع وفي نفسه ، فأبى عليه . فتحمل عليه بأهل البلد ، فلم يسعف منهم أحداً ، فكاد عقله أن يذهب ، ورأى أن يتصدى إلى الملك . فعرض له وصاح ، فسمعه فأمر بإدخاله ، والملك قاعد في علية له مشرفة عالية ، فوصل إليه فلما مثل بين يديه أخبره بقصته واسترحه وتضرع إليه ، فرق له الملك فأمر بإحضار الرجل المبتاع فحضر ، فقال له : « هذا رجل غريب وهو كما تراه ، وأنا شفيعه إليك » فأبى المبتاع وقال : « أنا أشد حُباً لها منه ، وأخشى إن صرفتها إليه أن أستغيث بك غداً وأنا في أسوأ من حالته » ، فرام به الملك ومن حواليه من أموالهم فأبى ، ولج واعتذر بمحبته لها . فلما طال المجلس ولم يروا منه البتة جنوحاً إلى الإسعاف قال للأندلسي : « يا هذا ، مالك بيدي أكثر مما ترى ، وقد جهدت لك بأبلغ سعى ، وهو تراه يعتذر بأنه فيها أحب منك ، وأنه يخشى على نفسه شراً مما أنت فيه ، فاصبر لما قضى الله عليك » ، فقال له الأندلسي : « فمالى بيدك حيلة ؟ » فقال له : « وهل ها هنا غير الرغبة والبذل ؟ ما أستطيع لك أكثر » . فلما يئس الأندلسي منها جمع يديه ورجليه وانصب من أعلى العلية إلى الأرض ، فارتاع الملك وصرخ فاقبدر إليه الغلمان من أسفل ، فقضى أنه لم يتأذ في ذلك الوقوع كبير أذى ، فصعد به إلى الملك فقال له : « ماذا أردت بهذا ؟ » فقال له : « أيها الملك ، لا سبيل لى إلى الحياة بعدها » ، ثم هم أن يرمى نفسه ثانية فتمنع ، فقال الملك : « الله أكبر ، قد ظهر وجه الحكم في هذه المسألة » . ثم التفت إلى المشتري فقال له : « يا هذا ، إنك ذكرت أنك أودُّ لها منه ، وتخاف أن تصير في مثل حاله » ، فقال : « نعم » . قال : « فإن صاحبك هذا أبدى عنوان محبته وقذف بنفسه يريد الموت لولا أن الله عز وجل وفاه ، وأنت تم فصحيح حبك وترام من أعلى هذه القصة كما فعل صاحبك ، فإن مت

فبأجلك وإن عشت كنت أولى بالجارية ، إذ هي في يدك ، ويمضى صاحبك عنك . وإن آبيت نزعْتُ هذه الجارية منك رغماً ودفعتها إليه . فتمنع ثم قال : « أنراى ا » ، فلما قرب من الباب ونظر إلى الهوى تحته رجع القهقرى ، فقال له الملك : « هو والله ما قلت » . فهم ثم نكل ، فلما لم يُقدم قال له الملك : « لا تتلاعب بنا . يا ظمان ! خذوا بيديه وارموا به إلى الأرض » . فلما رأى العزيمة قال : « أيها الملك ، قد طابت نفسى بالجارية » ، فقال له : « جزاك الله خيراً » ، فاشتراها منه ودفعها إلى صاحبها وانصرفا ^(٩٧) .

وكتاب ابن حزم هذا يقدم لنا تفاصيل عظيمة القيمة عن حياة الأندلسيين في بيوتهم خلال القرن الحادى عشر ، فهو يصور لنا المآسى التى كانت تحدث فى بيوت المساتير خفية تحت سُترشتى على أيدي « بعض صنوف النساء ، كالطبيبة والحجامة والسرافة والدلالة والماشطة والمغنية والكاهنة والمعلمة والمستخفة والصنّاع فى المنزل والمنسج وما أشبه ذلك » ^(٩٨) . ويحدثنا بقصص المحبين ذوى الحيلة والابتكار أو المستهقرين والأندال ، ويذكر كيف أن سيدة من شريفات أهل قرطبة قضت ليلة كاملة متدثرة بملابس بعلمها المتوفى ، ويحدثنا عن المنصور بن أبى عامر فى علاقاته بمن كان يهوى من النساء ، فيذكر أنه كان ملولاً من النساء « يرى الجارية فلا يصبر عنها ، ويمحى به من الاعتام والمم ما يكاد أن يأتى عليه ، حتى يملكها ولو حال دون ذلك شوك القتاد . فإذا أيقن بتصيرها إليه عادت المحبة نغاراً ، وذلك الأنس شروداً ، والقلق إليها قلقاً منها ، ونزاعاً نحوها نزاعاً منها ، فيبيعها بأوكس الأمان . هذا كان أكثر دأبه حتى أتلف فيما ذكرنا من عشرات ألوف الدنانير عدداً عظيماً ... ولقد مات من محبته جوارٍ كن علقن أوها من به ، فخا من فيما أمثله منه فصرن رهائن البلى وقتلهن الوجد » ^(٩٩) .

ويروى لنا كذلك كثيراً من مآسى الروانيين (بنى أمية) ، ويذكر كيف أن بعضهم قضى نحبه شهيد الهوى . والكتاب إلى ذلك حافل بالمعلومات القيمة

عن حياة ابن حزم نفسه ، نعرف منها شيئاً من أخلاقه وما عرض له من الحب ، ونلم بالكثير عن أصحابه ووقائع حياته السياسية . كل هذا يضمه « طوق الحمامة » إلى جانب تحليل عاطفة الحب وما يتصل بها تحميلاً نفسياً لطيفاً ، فضلاً عما يضمه الكتاب من مقطعات شعر ابن حزم الجميل ، وقد تحدثنا عنه فيما سلف (ف ١٩) .

هذا ، ويحدثنا الحميدى — وكان تلميذا لابن حزم وشديد الصلة به — عن « ديوان » يجمع شعر ابن حزم ، وقد ضاع هذا الديوان . وأورد السبكي في « طبقات الشافعية الكبرى » (٢٠ ، ص ١٨٤) نص قصيدة لابن حزم — في سياق كلامه عن رسالة بعث بها إمبراطور الروم نقفور فوكاس إلى الخليفة المهدي يذم فيها الإسلام — وقصيدة ابن حزم هذه أقرب إلى أن تكون مديحاً للإسلام منها إلى نقض النصرانية .

ف ٧٥ — مدرسة ابن حزم :

ولم تلبث طريقة ابن حزم — بعد تطبيقها على علوم الدين والفقه — أن أصبحت مذهباً قائماً بذاته حل محل المذهب الظاهري ، وكون أتباعه فرقة عرفت « بالحزمية » ، نذكر من رجالها ممن أخذ عن ابن حزم مباشرة صاعداً الطليطلى (ف ٧٦) ، والفقهاء المحدث ابن عبد البر (ف ١٢٠) ، وأبا النجاة سالم بن أحمد بن فتح القرطبي (توفي ١٠٦٨/٤٦١) الذي ارتفع بنفسه عن طريق الدراسة من رفاه بسيط إلى كاتب أمير ، وقد اجتهد في إزاعة نسخ مؤلفات ابن حزم ، والحميدى المحدث المؤرخ ، وشريح بن محمد بن شريح الرعييني المقرئ المحدث (٤٥١ — ١٠٥٩/٥٣٩ — ١١٤٤) ، وأبا محمد بن العربي والد الفقيه المعروف أبي بكر بن العربي .

وقد انتقل مذهب ابن حزم إلى المشرق وذاع بين أهله ، وأثنى أبو حامد الغزالي على بعض كتبه^(١٠٠) ، واختصه الجفراقي المؤرخ ياقوت الحموي بترجمة

طويلة وافية . أما في المغرب والأندلس فإننا نجد طائفة كبيرة من المؤلفين حمات مؤلفاتهم طابع « المذهب الحزمي » ، ومن أولئك محمد الأنصاري الحوذي ، وأبو بكر ابن باشر الأنصاري ، وخضر بن محمد بن نمر التيجيبي وغيرهم . ونصادف كذلك خصوصاً للمذهب ابن حزم وطريقته ، ومن أولئك الفقيه الأشعري أبو بكر ابن العربي ، وأبو بكر عبد الله بن طلحة بن محمد اليابري^(١٠١) وغيرهم كثيرون . وقد مال محمد بن تومرت مهدي الموحدين إلى مذهب ابن حزم ، إذ وجد فيه ما يؤيد دعوته . ووصل نفر من فقهاء الحزمية إلى كبار المناصب ، ومن أولئك الفقيه الغرناطي أبو سليمان بن حوط الله ، وقد ولي قضاء إشبيلية وقرطبة ومرسية وسبتة وسلا وميورقة ، وعلي بن عبد الله بن يوسف بن خطاب المعافري قاضي إشبيلية ، والحافظ أبو بكر بن سيّد الناس خطيب مسجد تونس ، وأبو العباس أحمد بن محمد بن مفرج بن أبي الخليل المعروف بابن الرومية^(١٠٢) النبائي الإشبيلي المعروف ، وأبو الخطاب بن دحية الذي أنشأ له سلطان مصر « الكامل الأيوبي » مدرسة الحديث الكاملية ليقري الطلاب فيها . ومن أتباع المذهب الحزمي -- أو الآخذين بناحية منه -- محيي الدين بن عربي (ف ١١٣) ، والفيلسوف ابن رشد (ف ١٠٨) .

وقد أسرع المذهب الحزمي إلى الزوال بعد انقضاء أمر الموحدين ، ولم نعد نجد من أتباعه خلال القرن الثالث عشر الميلادي إلا عدداً قليلاً من الناس ، مثل أمير الدين أبي حيان النحوي (ف ٦٠) ، وأحمد بن صابر القيسي الشاعر وكان كاتباً للأمير أبي سعيد فرج وهو ابن محمد بن نصر أول سلاطين بني الأحمر .

وفي مصر نشهد آخر مظهر لوجود المذهب الحزمي ، فقد اجتهد أحد البرهان (٧٠٣ - ٨٠٧ / ١٣٠٤ - ١٤٠٥) في إحياء معالم ذلك المذهب على غير جدوى ؛ وعن أثنى عليه تقي الدين المقرئ (٧٦٥ - ٨٤٥ / ١٣٦٤ - ١٤٤٢) ، وعبد الوهاب الشعراني الصوفي المشهور (المتوفى سنة ٩٧٢ / ١٥٦٥) ، ونشهد في

سراكش شيئاً شبيهاً بذلك في تضاعيف الحركة السياسية العنيفة التي أثارها أبو عبد الله محمد الأندلسي نزيرل سراكش على أيام مولاي عبد الله الغالب (٩٦٤ - ٩٨٠ / ١٥٥٧ - ١٥٧٣) ؛ وقد مات أبو محمد الأندلسي على يدي خليفة مولاي الغالب ، وهو الشريف المتوكل ، إذ صلبه على باب داره ؛ ومات المتوكل نفسه ميتة شعبة ، إذ قتل أثناء هزيمة « القصر الكبير » Alcàzarquivir وهاك معه في نفس الموقعة حليفه سباستيان ملك البرتغال .

ف ٧٦ - أبو القاسم صاعر بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن صاعر

الطليطلى (٤٢٠ - ٤٦٢ / ١٠٢٩ - ١٠٦٩) :

ولد في المرية وسكن قرطبة ، وكان تلميذاً لابن حزم ، وقد ولي قضاء طليطلة ليحيى بن ذى النون ، وهو مشهور بمؤلفه التاريخي « طبقات الأمم » (طبعة الأب لويس شيخو الكرملى في سنة ١٩١٢) ، وهو موجز للتاريخ البشري . درس صاعر في كتابه هذا أم (أجناس) البشر ، كالفرس والكلدانيين واليونانيين (الإغريق) والروم والقبط (المصريين) والهنود وأهل الصين . « وهذه الأمم - على كثرة فرقهم وتخالف مذاهبهم - طبقتان : طبقة عنيت بالعلم فظهرت منها ضروب العلوم وصدرت عنها فنون المعارف ؛ وطبقة لم تُعن بالعلم عناية تستحق بها اسمه أو تعدّ من أهله ، فلم تنقل عنها فائدة حكمة ولا رويت لها نتيجة فكرة . فأما الطبقة التي عنيت بالعلوم فثمانية أم : الهند والفرس والكلدانيون والعبريانيون واليونانيون والروم وأهل مصر والعرب ، وأما الطبقة التي لم تُعن بالعلوم فبقية الأمم بعد من ذكرنا من الصين وآجوج وماجوج والترك وبرطاس والسرير والخزرجيلان وطبلشان ومدقان وكشك والصقالبة والبرغمر والروس والبرجان والبرابر ، وأصناف السودان من الحبش والنوبة والزنج وغانة وغيرهم » (١٠٣) .

ثم يوجز بعد ذلك تاريخ كل أمة من أمم الطائفة الأولى ، ويعدد مزايا

أهلها ، ويذكر ما برز فيه أهلها من أصناف العلوم ، ومن ظهر فيها من الأعلام في كل فن . وقد أثنى جايانجوس على الجزء الذي تحدث فيه صاهد عن اليونان والرومان ، لكونه صادراً عن مؤلف مفكر عربي ، فهو يدلنا على ما عرف العرب من علوم هاتين الأمتين (١٠٤) .

وقد احتفظ لنا المقرئ كذلك فيما أورده من « ذيل ابن سعيد على رسالة ابن حزم في فضل الأندلس » مؤلفاً باسم « كتاب التاريخ » وضعه أبو جعفر ابن عبد الحق الخزرجي « بدأ فيه من الخليفة إلى أن انتهى في أخبار الأندلس إلى دولة عبد المؤمن . وقال ابن غالب صاحب « كتاب فرحة الأنفس » عن الخزرجي أنه فارقه سنة ٥٦٥ (١١٦٩ م) » (*) .

ف ٧٧ — تواريخ الدول :

حظيت دول الطوائف التي قامت بعد انتشار الخلافة الأموية الأندلسية بعناية نفر من المؤرخين ، فانصرفوا إلى ذكر أخبارها . فكتب ابن معمر (عبد الرحمن بن محمد ، ويكنى أبا الوليد ، توفي سنة ٤٢٣/١١٣١) تاريخاً « للدولة العامرية إلى آخرها » (١٠٥) ، وكذلك صنف حسين بن عاصم (المتوفى سنة ٤٤٩/١٠٥٨) كتاب « المآثر العامرية » في سيرة المنصور محمد بن أبي عامر وغزواته وأوقاتها (١٠٦) . وكذلك أشاد بأعمال المنصور نظماً أحد بن درّاج القسطلي (المتوفى سنة ٤٢١/١٠٣٠) وعبد الملك بن مروان الجزيري (*) (١٠٧) .

وقد كتب محمد بن يوسف الشلبي (عاش بين القرنين الخامس والسادس الهجريين) تاريخاً لبني عباد أصحاب إشبيلية ، وعنى أبو بكر بن اللبانة الداني صديق المعتمد بجمع أشعارهم .

وعند ما خلع المرابطون عبد الله بن بلكين — حفيد باديس بن زيري —

(*) نفع ، ج ٢ ، ص ١٢٣ .

(**) عدلت هذه الفقرة بعض الشيء .

عن عرشه ونفوه إلى المغرب ، عكف على تدوين مذكراته وجعل عنوانها « التبيان عن الحادثة الكائنة على غرناطة » ، سجل فيها بيده تاريخ بنى زيري في الأندلس تسجيلا فريدا صادرا عن رجل منهم ، وأورد فيه من الملاحظات الدقيقة والمعلومات القيمة ما يندر أن نجد في أثر آخر من آثار التاريخ الإسلامي (١٠٧) .

* * *

٣ - عصر المرابطين والموحدين

ابن صاحب الصلاة - بنو سعيد : على بن
سعيد المغربي - عبد الواحد المراكشي وغيره
من المؤرخين المراكشين - النوري

لم يخرج هذا العصر مؤلفات ذات شأن في التاريخ ، وإن كان أهله قد خلفوا لنا عددا طيبا من معاجم التراجم ؛ ثم إن القليل من المؤلفات التاريخية التي تنسبها المراجع إلى هذا العصر قد ضاع معظمه ، ولا نظفر بمؤرخ ذي أهمية إلا في العصر الذي تلاه ، عصر انهيار سلطان المسلمين من الجزيرة انهيارا متصلا واضحا ، هنالك تلقى ابن سعيد المغربي .

ف ٧٨ - ابن صاحب الصلاة ، عبد الملك بن محمد بن علي بن إبراهيم

أبو مروان الباصي :

تحدثنا المراجع أن ابن الصيرفي (أبا بكر يحيى بن محمد بن يوسف الأنصاري الفرناطي المتوفى سنة ٥٥٧/١١٧٤) كاتب الأمير المرابطي أبي حامد بن تاشفين (٥١٩ - ٥٣٠/١١٢٦ - ١١٣٦) كتب كتابا في « أخبار دولة لمقونة » (١٠٨) ، وأن أبا الحسن السالمي - الذي يشير ابن الأبار إلى كتاباته كثيرا - كتب كتابا في « أخبار الفتنة الثانية بالأندلس » روى فيه أخبار الصراع بين المرابطين والموحدين ، وبدأ من سنة ٥٣٩/١١٤٤ ورتبه على السنين ،

وبلغ به سنة ١١٥٣/٥٤٧ . ولكننا لم نعثر إلى الآن على هذين الكتابين ، وكذلك ضاع كتاب في « فضائل أهل المغرب » لليسع بن عيسى بن حزم الغافقي (المتوفى سنة ١١٧٩/٥٧٥) . وهو من أهل بلنسية وأصله من جيان وسكن المرية ثم مالقة ، يكنى أبا يحيى ، وله تأليف سماه « المُعرب في محاسن المغرب » ، جمعه للسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب بالديار المصرية ، بعد أن وصل إليها من الأندلس سنة ١١٦٤/٥٦٠^(١٠٩) . وكذلك ضاع كتابان آخران لأبي القاسم بن البراق الوادي آشي في « تاريخ الأندلس » و « تاريخ معاوية » ومِدحة في النبي (صلعم) . وليست هذه الكتب كلها بذات أهمية كبيرة ، وأهم منها كتاب ابن عبد الملك ابن صاحب الصلاة البرجي المتوفى سنة ١١٨٢/٥٧٧ المسمى « المنّ بالإمامة على المستضعفين » ، بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين ، وظهور الإمام المهدي وتاريخ الموحدين » في تاريخ المرابطين والموحدين ، ولدينا الجزء الثاني منه ويبدأ بأخبار ثورة محمد بن سعد بن مردائش على الموحدين في مرسية وشرق الأندلس في سنة ١١٥٩/٥٥٤ ، وينتهي في سنة ١١٨٤/٥٨٠ . [وقد هيا هذا الجزء للطبع الأستاذ إميليو غرسية غومس] ، وأسلوب ابن صاحب الصلاة رشيق ، وقد أجمع كتاب المسلمين على القول بأن كتابه هذا من أحسن ما كُتِب في تاريخ المرابطين (والموحدين) وقد اعتمد عليه من أتى بعد ابن صاحب الصلاة من المؤرخين^(١١٠) .

ف ٧٩ — بنو سعيد :

عنى بنو سعيد بالأدب وظهر من بينهم كثير من أهله ، وقد ألمنا فيما سناف بذكر أبي جعفر بن سعيد صاحب حفصة الركونية (ف ٤٠)^(١١١) ، ومن أهل الأدب من بنى سعيد أبو عمران موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد (المتوفى سنة ١٢٤٢/٦٤٠) ، وكان جماعة للكتب وبلغ من شغفه بها ما حكاها ابنه علي بن سعيد من أنه بعد أن ولاء ابن هود الجزيرة الخضراء ، « أعلمه شخص أن عند أحد

النسوبين إلى بيت نباهة كرايس من شعر شعرائها وأخبار رؤسائها الذين تحمى عليهم دولة بنى عبد المؤمن ، فأرسل إليه راغباً في استعمارها فأبى وقال : « على يمين ألا يخرج من منزلي » وقال : « إن كانت له حاجة يأتي على رأسه » ، وكان جاهلاً ، فلما سمع والدى ضحك وقال : « سر محي إليه » فقلت له : « ومن يكون هذا حتى نمشي له على هذه الصورة ؟ » فقال : « إني لا أمشي له ، ولكن أمشي للفضلاء الذين تضمنت الكرايس أشعارهم وأخبارهم . أتراه لو كانوا أحياء مجتمعين في موضع أنفت أن أمشي إليهم ؟ » ، قلت : « لا » ، قال : « فإن الأثر ينوب عن العين » . فشيننا إلى منزل الرجل فوالله ما أنصفنا في اللقاء ، فلما قضينا منها الغرض صرفها إليه والدى وشكره وقال : « هذه فائدة لم أجدتها عند غيرك فجزاك الله خيراً » ، ثم انفصل وقال : « ألم تعلم يا بنى أنى سررت بهذه الفائدة أكثر من الولاية ؟ وإن هذا والله أول السعادة وعنوان نجاحها . » (١١٢)

[وحكى ابنه علي بن سعيد عنه أيضاً قائلاً : « وما شاهدته من مجائبه أنه عاش سبعا وستين سنة ، ولم أره يوماً يتخلى من مطالعة كتاب أو كتب ما يخلده ، حتى أيام الأعياد لا يخلّيها من ذلك . ولقد دخلت عليه في يوم عيد وهو في جهد عظيم من الكتب فقلت له : « ياسيدي ، أفى هذا اليوم لا تستريح ؟ » فنظر إليّ كالغضب وقال : « أظنك لا تغلح أبداً ! أرى الراحة في غير هذا ؟ والله لا أحسب راحة تباع مبلغها ، ولوددت أن الله يضاعف عمري حتى أنتم كتاب المغرب على غرضي » ، قال : « فأتار ذلك خاطري أن صرت مثله لا ألتذ بنعيم غير ما ألتذ به من هذا الشأن ، ولولا ذلك لما بلغ هذا التأليف إلى ما تراه »] (١١٣)

وقد اشترك بنو سعيد في تأليف كتاب « المغرب » ، وهو إكمال لما أرادته الحِجْجاري عند ما كتب كتابه « المسهب » وهو وضع تاريخ كامل للأندلس . وبدأ بذلك منهم عبد الملك بن سعيد (المتوفى سنة ١١٩٤/٥٦٠) ، ثم تابع عمله ابنه محمد (٥١٩ - ١١٢٥/٥٨٩ - ١١٩٣) وأبو جعفر أحمد (المتوفى سنة

ثم موسى بن محمد بن سعيد (المؤلف سنة ٦٤٠/١٢٤٣) وأمه آخرهم
وواسطة عقدهم أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد (٦٠٩ - ٦٧٣/١٢١٣ -
١٢٧٤).

وقد ولد أبو الحسن علي بن سعيد المغربي فيما بين سنتي ٦٠٥/١٢٠٨ و ٦١٠/
١٢١٤ في قلعة يَحْصُب Alcalá la Real^(١١٤)، ودرس اللغة والشعر على أبي علي
الشلويني وأبي الحسن الدباج وابن عصفور وغيرهم في إشبيلية، ثم رحل إلى المشرق
في صحبة والده للحج. وتوفي أبوه سنة ٦٤٠/١٢٤٣ بالإسكندرية، فذهب ابن سعيد
إلى القاهرة وأقام بها إلى سنة ٦٤٤/١٢٤٧؛ ووفد على مصر في ذلك الحين
كمال الدين عمر بن محمد بن أبي جرادة - المعروف بابن العديم - فاتصل به علي
ابن موسى، وحبب إليه ابن العديم الرحلة معه إلى حلب؛ وزار في رحلته تلك
دمشق والموصل والبصرة وأرجان، يقرأ على الشيوخ والفقهاء ويطلع على الكتب،
ثم حج إلى بيت الله الحرام وعاد إلى مصر فالتغرب. وفي سنة ٦٥٢/١٢٥٤ نجده
في تونس حيث طال مقامه فيها ودخل في خدمة أميرها أبي عبد الله المستنصر
الحنفي (٦٤٧ - ٦٧٥/١٢٤٩ - ١٢٧٦)، ثم رحل إلى المشرق مرة أخرى
(٦٦٦/١٢٦٧) حيث أدركته المنية في دمشق سنة ٦٨٥/١٢٧٤.

والاسم الكامل للكتاب المعروف بالغرب هو «كتاب فلك الأرب، المحيط
بجلى لسان العرب»؛ وينقسم إلى كتابين كبيرين: «المغرب في حلى المغرب»،
و«المشرق في حلى المشرق»^(١١٥). والأول تاريخ للمغرب والأندلس فيما بين
سنتي ٥٢٩ و ٦٤٠/١١٣٥ و ١٢٤٣، وقد أكثر المؤرخون من النقل عنه، وكان
يقع في خمسة عشر مجلدا لم يبق لنا منها إلا العاشر والحادي عشر وموضوعهما
جغرافية الأندلس وصفة نواحيها، وقد احتفظ لنا المقرئ بهذا الجزء. أما بقية
ما بين أيدينا من هذين الجزئين من موسوعة بنى سعيد، فتوجد مخطوطة بداز
الكتيب المصرية بخط علي بن سعيد نفسه، وقد نسخت منها صورة توجد

في مكتبة مجمع التاريخ الإسباني في مدريد ، وهي أوراق متناثرة في غير نظام تدور حول المغرب ومصر . ثم عثر معهد المخطوطات التابع للإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية في القاهرة على قطعة جديدة من « المغرب » ضمت نحو ٢٣٠ ورقة منه ، اتضح أنها جزء من مخطوطة القاهرة ، وقد جمع هذه الأوراق كلها ورتبها الدكتور شوقي ضيف واستطاع أن يتبين النظام العام لهذا الكتاب ، وإليك طرفاً من كلام الدكتور ضيف في تقديمه للجزء الذي نشره من « المغرب » (*) :

« من يرجع إلى مقدمة «المشرق في حلى المشرق» يجد على بن سعيد يوضح منهج التأليف فيه وفي المغرب بقوله : « كل من التصنيفين مرتب على البلاد ، متى ذكر بلد ذكرت كوره ، وأتكلم عليه وعلى كل كورة منه . . وأبتدى بكرسى مملكتها وقاعدة ولايتها بحسب مبلغ [علمي] من إعلام بمكانها من الأقاليم ومن بناها وما يحف بها من مهر أو منزله أو خاصة معدنية ونباتية ، ومن تداول عليها من أبناء الملوك أولى التواريخ التي لا يجب إغفالها . ثم نأخذ في الطبقات واحدة بعد أخرى ، وهي خمس : طبقة الأمراء ، وطبقة الرؤساء ، وطبقة العلماء ، وطبقة الشعراء ، وطبقة اللقيف . [والأربع الأولى] مخصوصة بمن له نظم من أولى الخلط المذكورة ، ولها تفسير تقف عليه في مواضعه . وطبقة اللقيف مخصوصة بمن ليس له نظم من أى صنف كان ، ممن لا يجب إغفاله ، وفيها من النوادر والمضحكات ما يكون [مثل] الأحماض » .

« وهذا المنهج العام لتأليف « المشرق والمغرب » جميعاً طبقة على بن سعيد على هذا النص الخاص بالأندلس تطبيقاً دقيقاً ، فبدأه بالحديث عن الأندلس وخصائصها وفضائلها ، ثم خرج إلى كور الأندلس كورة كورة . وقد سمي هذا القسم كله الخاص بالأندلس « كتاب وشي الطرُس في حلى جزيرة الأندلس » . ثم رجع فقسم

(*) عدلت هذه الفقرة بما يناسب ما وصلنا إليه من العلم بكتاب المغرب . وأحيل القارئ على صلة كتابنا هذا للإلمام بأعمال بنو سعيد عامة .

الأندلس إلى غرب ومؤسطة وشرق ، وأفرد لكل قسم كتابا : فسمى كتاب الغرب « كتاب العُرس في حُلَى غرب الأندلس » ، وسمى كتاب المؤسطة « كتاب الشفاه اللُمس في حلى مؤسطة الأندلس » ، وكتاب الشرق « كتاب الأانس في حلى شرق الأندلس » . ثم أخذ يقسم كل كتاب من الكتب الثلاثة إلى ممالكه ، وقسم كل مملكة إلى كورها المختلفة ، ووزع على ذلك كله الطبقات الخمس التي سماها في مقدمة « المُشرق » . وكل مملكة ، بل كل كورة ، بل كل بلدة في كورة ، نجد لها كتابا مفردا . وقد قسم الغرب إلى سبع ممالك ، وعبارة أخرى إلى سبعة كتب تدور حول : قرطبة ، وإشبيلية ، وبَطْلَيْوُس ، وشَلْب ، وباحّة ، وأشْبُونَة ، ومالقة .

« وعلى نحو تقسيمه للغرب إلى كتب سبعة باعتبار الممالك ، قسم المؤسطة إلى أربعة كتب تدور حول : طَلَيْطَلَة ، وجَيّان ، وأَلْبَيْرَة ، والمَرِيّة .
« وقسم الشرق باعتبار ممالكه إلى ستة كتب تدور حول : تَدْمِير ، وبلَنْسِيّة ، وطَرْطُوْشَة ، والسَهْلَة ، وجهات الثغر ، وميورقة .

« وكل كتاب لمملكة من هذه الممالك ينقسم بدوره إلى كتب باعتبار كورها المختلفة ، فالكتاب الأول الخاص بمملكة قرطبة ينقسم إلى أحد عشر كتابا تدور حول كور : قرطبة ، وبلْكَونَة ، والقُصَيْر ، والمُدَوْر ، ومُرَاد ، وكُزْنَة ، وغافق ، وإسْتَبْجَة ، والقَبْرِيّة ، وإسْتَبْجَة ، والإسَانَة .

« وكل كتاب من هذه الكتب الخاصة بالكور ينقسم بدوره إلى كتب باعتبار البلدان المهمة في الكورة ، فكتاب الكورة القرطبية مثلا ينقسم إلى خمسة كتب تدور حول : حضرة قرطبة ، وحضرة الزهراء ، وحضرة الزاهرة ، ومدينة شَقُنْدَة ، وقرية وَزَغَة » (١١٦) .

وتحدثنا الكتب عن مصنفات أخرى لعلي بن سعيد ، عن علماء عصره وشعرائه ، مثل : « رايات المبرزين » ، و « عنوان المرقصات » ، و « المقتطف من

أزاهر الطرف » ، وقد سبقت الإشارة إليها . وكتب في تاريخ غير العرب وشعوب المغرب ، وألف كذلك تاريخاً لأهل بيته سماه « الطالع السعيد في تاريخ بني سعيد »^(١١٧) ، ووضع كتاباً عن شعراء الأندلس في القرن السابع الهجري سماه « الغرة الطالعة في شعراء المائة السابعة » ، وجمع أشعاره في ديوان رتبته على حروف المعجم^(١١٨) (انظر نموذجاً منها في فقرة ٤٠) ، ومجموعات من مختارات النظم والنثر منها : « عدة المستنجز وعقلة المستوفز » ، و « القدح المعلى في التاريخ المجلى » . أما في الجغرافية فقد وضع مختصراً لجغرافية بطليموس اعتمد عليه أبو الفدا في تأليف جغرافيته ، هذا بالإضافة إلى المقدمة الجغرافية العامة لكتايب المشرق والمغرب ، وهي المعروفة « بفلك الأرب » وقد ذكرنا أن المقرئ احتفظ لنا بجزء منها في صفة الأندلس . وألف كذلك كتاباً عن رحلته الثانية إلى المشرق ، وآخر عن رحلته إلى مكة هو « النفحة المسكية في الرحلة المسكية »^(١١٩) .

وقد أضاف ابن سعيد إلى رسالة ابن حزم ذيلاً ألم فيه بمن لم يذكرهم ابن حزم من علماء الأندلس وأدبائه ومؤلفاتهم في كل فن^(١٢٠) ، احتفظ لنا المقرئ بنصه في النسخ (ف ٧٢) .

وقد نقل المقرئ من مؤلفات ابن سعيد فقرات طوالاً أوردها في « نفحة الطيب » ووصفه ابن الخطيب بقوله : « علي بن موسى بن عبد الملك بن سعيد ابن محمد بن عبد الله بن سعيد بن الحسن بن عبد الله بن سعد بن عمار بن ياسر بن كنانة بن قيس بن الحصين العنسي المدلجى . من أهل قلعة يمحصب ، غرناطة قلعى ، سكن تونس ؛ أبو الحسن بن سعيد . وهذا الرجل وسط عقد بيته ، وعلم أهله ، ودره قومه . المصنف الأديب ، الرجال الطرفة الأخبارى ، العجيب الشأن فى التجول فى الأفطار ، ومداخلة الأعيان ، والتمتع بالخزائن العالمية ، وتقييم الفوائد المشرقية والمغربية »^(١٢١) .

وقد اعتمد ابن سعيد في جغرافيته على مؤلفات الإدريسي ونقل منها ، وأضاف إليها مواقع البلاد من بروج الفلك ، وهو يذكر جغرافياً آخر أخذ منه يسمى « ابن فاطمة » ، ولكن ابن سعيد يخلط بين الأقاليم بعضها وبعض في بعض الأحيان وفي أحيان أخرى يشوب أوصافه الخطأ . وقد وثق أبو الفدا أول الأمر ثقة تامة فيما كتبه ابن سعيد عن المغرب والأندلس ، ثم تبين أخطائه فيما بعد فعاد إلى ما أخذ عنه وصححه وأسقط بعضه عند ما صاغ كتابه الصياغة الأخيرة . وهذا العيب يشوب كذلك ما كتبه ابن سعيد في التاريخ ، إذ أننا نراه يقبل الخرافات والأساطير ويرويها على أنها من التاريخ ، ولكن كتبه كانت على الجملة مورداً خصباً لغيره ممن أتى بعده . وقد أثنى عليه أبو الفدا والمقرئزي وابن خلدون وابن خلكان والمقرئ وغيرهم (١٢٢) .

ف ٨٠ — عبد الواحد المراكشي :

إذا ذكرنا العلاقة الوثيقة التي ربطت بين تاريخي الأندلس والمغرب خلال العصر للموحدي ، لم يكن من الغريب أن نلم هنا بذكر عبد الواحد المراكشي (٥٨١ — ٦١٨/١١٨٥ — ١٢٢٢) . ولد عبد الواحد في سراكش (١٢٣) ، ودرس في فاس حيث توفقت صلته بأبي بكر بن زهر وبأحد أبناء ابن طفيل ، ثم رحل إلى الأندلس ودرس على كبار شيوخه وأساتذته . وعندما حل بإشبيلية قدمه صديق له يسمى محمد بن الفضل إلى السيد إبراهيم بن أبي يعقوب يوسف — وكان أخاً للخليفة الموحدي الناصر ووالياً لإشبيلية — وأصبح عبد الواحد من أصحابه وجُلَّاسه . وكان الرجل — سواء في سراكش أم في الأندلس — على صلوات بأهل الدولة ، ومن ثم أتيت له فرص ممتازة مكنته من كتابة تاريخه البسديع المسمى « المُعجب في تلخيص أخبار المغرب » وقد فرغ منه سنة ١٢٢٤/٦٢٠ (نشره دوزي سنة ١٨٤٧ (١٢٤) ، وأعاد طبعه في سنة ١٨٨١ ، وترجمه فانيان إلى الفرنسية ونشر

الترجمة في الجزائر في سنة ١٨٩٣) ؛ وهو يضم طائفة قيمة من أخبار الموحدين ، شهد بعض حوادثها بنفسه أو رواها عن شهدائها . أما ما ساقه من أخبار المغرب والأندلس — من الفتح الإسلامي إلى قيام الدعوة الموحدية — فقد نقله عن مؤلفات للاحميدى ، لا نجدها بين أيدينا الآن .

وهناك مؤرخ مغربي آخر أفادتنا كتاباته عن تاريخ الأندلس فائدة كبرى ، وهو أبو العباس أحمد بن عذارى المراكشي ، من أهل القرن الثالث عشر الميلادي . وليس بين أيدينا من المعلومات عنه إلا نزر يسير ، وكتابه المسمى «البيان المغرب» ذو قيمة تاريخية كبرى ، إذ يحوى فقرات هامة من مؤلفات أخرى عبثت بها يد الزمان (١٢٥) .

وقد عثرنا على كتاب مخطوط في التاريخ يحمل عنوانا ظاهرا الخطأ ، وهو «كتاب التواريخ المعروف بابن بسام» ، وعُرف في المؤلفات الأوروبية باسم «الكتاب المجهول المؤلف» ، الموجود في كوينهاجن ومدريد ، لأن نسخته الأولى وجدت في كوينهاجن ، ثم عُملت منه نسخة خطية حفظت في مكتبة مدريد . وقد اطلع عليه دوزي وأحجم عن نشره ، لكثرة ما يرد فيه من الأخطاء والتعريفات ، ورأى أنه لا بد أن يكون جزءاً من البيان المغرب لابن عذارى ، ثم عفى به بستانورن وأبان قيمته التاريخية وقرر أن مؤلفه مرا كشي ، وقام بنشره أميروزيو هويثي في مدريد سنة ١٩١٧ ، والكتاب يدور حول تاريخ الموحدين ، ويضم معلومات قيمة عن تاريخ الغرب الإسلامي في هذه الفترة .

وكان بروقتسال قد عثر على قطعة كبيرة من البيان متصل تاريخ الأندلس من حيث وقف به دوزي ، فنشرها في سنة ١٩٣٠ على أنها الجزء الثالث من البيان ، ثم تبين له بعد ذلك أنها قطعة من الجزء الثاني من ذلك الكتاب بحسب برنامجها كما رسمه ابن عذارى ، (انظر التعليق) .

وقد عثر ليثي بروقتسال وكولان على جزءين كبيرين من البيان المغرب يضمنان

الجزء الأول والثالث من الكتاب كله ، وقد قال ابن عذارى في فاتحة كتابه أنه قسم كتابه على ثلاثة أجزاء مرتبة كما يلي :

الأول : يتناول أخبار إفريقية ، من الفتح الإسلامي إلى ابتداء دولة المرابطين .

الثاني : أخبار الأندلس ، من الفتح الإسلامي إلى دخول المرابطين في سنة ١٠٨٥/٤٧٨ .

الثالث : أخبار المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس ، وتاريخ الحفصيين في إفريقية ، وبنى هود وبنى نصر في الأندلس . ثم ألم بذكر الدولة المرينية .

وقال ابن عذارى في نهاية برنامج الكتاب : « اختصرت من ذلك كله ما اشتهر أمره وأمكنتني ذكره ، وذكرت من البيعات والرسائل السلطانيات ، وما تعلق بها وكان بسببها من الوقائع المذكورات والأمور المشهورات ، وذلك إلى انقضاء الدولة الموحدية واستيلاء الإمارة اليوسفية المرينية على حضرتهم المراكشية على مرور السنين إلى عام ٦٦٧ » .

وقد تبين من الاطلاع على المجلد الثاني الذي عُثر عليه ، أن الكتاب الذي ذكرناه ، المعروف إلى الآن « بالكتاب المجهول المؤلف ، الموجود في كوينهاجن ومدريد » ، إنما هو نسخة مختصرة بعض الشيء من ذلك الجزء الثالث من البيان المغرب . ومن الطريف أن دوزي رأى ذلك بمجرد اطلاعه على المخطوط منذ قرن كامل ، مما يعطينا نموذجاً من حصافة هذا العلامة النابه .

هذا وقد أشار ابن عذارى إلى أنه كتب كتاباً آخر اسمه « البيان المشرق في أخبار المشرق » ، ولكننا لم نعثر عليه .

وقد بدأ ليثي پروفنسال وكولان في نشر « البيان » من جديد ، وظهر منه الجزء الأول الخاص بتاريخ المغرب إلى نهاية الزيريين (لايدن ١٩٤٨) (*) .

(*) عدلت النص هنا بحسب ما وصلت إليه معلوماتنا عن البيان المغرب .

ومن المؤلفات الهامة في تاريخ المغرب والأندلس كتاب « روض القرطاس في أخبار ملوك الغرب ومدينة فاس » ، الذي ينسب تارة إلى أبي الحسن علي بن عبد الله بن أبي زرع — كاتب خامس سلاطين بني مرين — وتارة أخرى إلى مؤلف يسمى أبا محمد صالح بن عبد الحلیم الغرناطى . وقد نشره تورنبورج في أسبلا سنة ١٨٤٣ مع ترجمة لاتينية ، ونقله إلى الفرنسية بومييه Beaumier في سنة ١٨٦٠ ، وإلى الإسبانية أمبروزيو هويثى Ambrosio Huici في سنة ١٩١٨ ؛ وهو مؤلف قيم يضم معلومات عظيمة القيمة عن تاريخ الغرب الإسلامى كله ، منذ قيام دولة الأدارسة واختطاط مدينة فاس إلى عصر المؤلف (١٢٦) .

ولا يفوتنا هنا الإلمام بما كتبه أحمد بن عبد الوهاب النويرى عن تاريخ المغرب والأندلس ، فقد اختصهما بجزءين من « نهاية الأرب » حافلين بالمعلومات . والجزءان اللذان يدوران على تاريخ المغرب والأندلس من موسوعة هذا المؤلف المصرى هما الخامس والسادس من قسم التاريخ ، وقد جمع فيهما قطعا من مؤلفات تاريخية ضاعت ، وصاغها في أسلوب معتدل لا تمييز فيه . وقد نشر هذين الجزئين وترجمهما إلى الإسبانية م . جسپار ريميرو Mariano Gaspar Rimerro في سنتى ١٩١٧ و١٩١٨ ، (ولدنا فى دار الكتب المصرية مخطوطة جيدة تضم هذين الجزئين) .

٤ — مملكة غرناطة

ابن الخطيب وابن خلدون

تبلغ كتابة التاريخ في الغرب الإسلامى خلال القرن الرابع عشر الميلادى ذروتها عند علمين من أعلام الفكر العربى ، هما ابن الخطيب المؤرخ المتفنى والسياسى الأديب ، وابن خلدون مبدع فلسفة التاريخ .

ف ٨١ — ابن الخطيب (١٢٧) :

لم يفتُر شغف الناس بالدراسات التاريخية خلال العصر الأخير من عصور تاريخ الأندلس الإسلامي ، وهو عصر مملكة غرناطة . ومن الأدلة البينة على ذلك قيام أبي عبد الله بن أبي القاسم بن الحكيم الرندي ^(١٢٨) (٦٥٩ — ٧٠٧ / ١٢٦١ — ١٣٠٨) بكتابة مؤلف في « تاريخ الأندلس » ضاع فيما ضاع من ثمرات الفكر الأندلسي ؛ واهتمام ابن الفارق (المتوفى سنة ٦٩٠ / ١٢٩١) بتصنيف مؤلف في « تاريخ بني نصر » ، وهو كتاب سطا عليه أبو الحسن علي بن عبد الله ابن الحسن الجذامي النباهي (المتوفى حوالي سنة ٧٩٤ / ١٣٩١) في كتابه المسمى « نزهة البصائر والأبصار » الذي فرغ من تأليفه سنة ٧٨١ / ١٣٧٩ ، وقد أكثر لافوينت الكاتارا Lafuente Alcántara من الاعتماد على هذا الكتاب .

يبد أن ابن الخطيب يغطي على أولئك جميعاً بشخصيته وسيرته ومؤلفاته . ولد لسان الدين محمد بن الخطيب في لوشة في ٢٥ رجب سنة ٧١٣ / ١٦ نوفمبر ١٣١٣ ، ودرس في غرناطة وشغف بالعلوم الطبية والفلسفية وأقبل يدرسها على الطيب المشهور يحيى بن هذيل . وظهرت براعته في قرص الشعر ، وتجلى علمه الواسع بالأدب العربي في سنه الباكرة ، وقد سقنا فيما سلف نموذجاً من شعره (ف ٤٥) . ثم أخذ ينظم القصائد في مدح يوسف الأول بن الأحمر ، وطار شعره كل مطار ، وأعجب به أبو الحجاج يوسف (الثاني) بن محمد (الخامس) بن الأحمر (٧٩٣ — ٧٩٧ / ١٣٩٠ — ١٣٩٤) وأدخله في خدمته ، وعمل مع الوزير أبي الحسن علي بن محمد بن الجياب الأنصاري الغرناطي « شيخ العدوتين في النظم والنثر وسائر العلوم الأدبية » ، كما يقول ابن خلدون . وعند ما مات ابن الجياب في طاعون سنة ٦٧٣ / ١٣٤٨ حل ابن الخطيب محله في الوزارة .

ووصل ابن الخطيب — بفضل مهارته وذكائه — إلى الخطوة من نفس السلطان

أبي الحجاج يوسف ، فأطلق يده في اختيار عمال الدولة على سراه . وجمع ابن الخطيب من ذلك ما لا كثيراً . وعندما قُتل يوسف خلفه ابنه محمد السابع الملقب بالغنى بالله ابن يوسف الثاني دون البلوغ في جمادى الثانية ٢٩/٧٤١ نوفمبر ١٣٤١ ، فقام مولاه الحاجب رضوان بتصرف أمور المملكة ، وأقام ابن الخطيب نائباً له « وجعله رديفاً له في أمره ومشاركاً في استبداده معه » . وبلغ من علوم منزلة ابن الخطيب واقتراره على القريض في هذه الحقبة من تاريخه ، أنه وفد مع نفر من وزراء الأندلس وقتهاها على السلطان أبي عنان الحنصلي أمير تونس طالباً منه مدداً لحرب النصارى في الأندلس ؛ يقول ابن خلدون : « واستأذنه [ابن الخطيب] في إنشاد شعر قدمه بين يدي نجواه فأذن ، فأنشد وهو قائم :

خليفة الله ، ساهدَ القدرُ	علاك ، ملاح في الدجى قرُّ
ودافعت عنك كفتُ قدرته	ماليس يستطيع دفعه البشر
وجهُك في النائبات بدر دجى	لنا ، وفي المعمل كُفك المطر
والناس طرّاً بأرض أندلس	لولاك ما أوطنوا ولا عمروا
وجملة الأمر أنه وطن	في غير عليك ماله وطر
ومن به - مذ وصلت حبلهم -	ما جحدوا نعمة ولا كفروا
وقد أهمتهم بأنفسهم	فأوفدوني إليك وانظروا ^(*)

فاهتز السلطان لهذه الأبيات ، وأذن له في الجلوس ، وقال له قبل أن يجلس : ما ترجع إليهم إلا بجميع طلباتهم . ثم أثقل كاهلهم بالإحسان وردهم بجميع ما طلبوه^(**) .

وعندما قام الرئيس أبو عبد الله محمد [ابن عم السلطان] بعزل محمد الخامس ، وكبس الحاجب رضوان في بيته فقتله ، أقام مكانه إسماعيل (الثاني) بن أبي الحجاج يوسف الثاني . « وأحس السلطان محمد بقرع الطبول وهو بالبستان ، فركب

(*) كذا في الأصل .

(**) ابن خلدون (برواية القرى) : فتح (القاهرة : ١٩٤٩) ج ٧ ، ص ٢٧ .

ناجياً إلى وادي آش وضبطها ، وبعث بالخبر إلى السلطان أبي سالم إثر ما استولى على ملك آبائه بالمغرب ، وقد كان مثواه أيام أخيه أبي عنان عندهم بالأندلس . واعتقل الرئيس القائم بالدولة هذا الوزير ابن الخطيب وضيق عليه في محبسه . وكانت بينه وبين الخطيب ابن مرزوق مودة استحكمت أيام مقامه بالأندلس — وكان غالباً على هوى السلطان أبي سالم — فزين له استقدام هذا السلطان الخلويع من وادي آش ، يملئه زبونا على أهل الأندلس ، ويكلف به عادية المرشحين هناك ، فبعث من قدم به . ولحق به ابن الخطيب « فأرغد السلطان عيشه في الجراية والأقطاع ، ثم استيأس واستأذن السلطان في البجوال بجهات مراکش والوقوف على أعمال الملك بها ، فأذن له وكتب إلى العمال بإتخافه فتياروا في ذلك وحصل منه على حظ ... واستقر [ابن الخطيب] بسلاً منتبذاً عن سلطانه طول مقامه بالعدوة » .

ثم عاد السلطان محمد (السابع) الغنى بالله الخلويع إلى ملكه بالأندلس سنة ٧٦٣/١٣٦٢ ، فاستقدم ابن الخطيب « وأعاده إلى منزلته كما كان مع رضوان كافله » . وأخذ ابن الخطيب يدبر على منافسه عثمان بن يحيى بن عمر شيخ الفزاة ، حتى نكبه السلطان وأباه وإخوته سنة ٧٦٤/١٣٦٣ ، « فخللا لابن الخطيب الجو وغلب على هوى السلطان ، ودنع إليه تدبير الدولة وخلط بنيه بندمائه وأهل خلوته وانفرد ابن الخطيب بالحل والعقد ، وانصرفت إليه الوجوه ، وعلقت به الآمال ، وغشى بابه الخاصة والكافة ، وغصت به بطانة السلطان وحاشيته ، فتوافقوا على السعاية فيه » . واجتهد ابن الخطيب من ناحيته في إيقاع النفرة بين السلطان وأهل حاشيته ، واستبد بأمر الدولة ، ومضى يقسم الحظوظ بين الناس على هواه ، فكثرت خصومه واشتدت السعائيات حوله .

« وفي خلال ذلك استحكمت نفرة ابن الخطيب ، لما بانه عن البطانة من القدح فيه والسعاية به ، ور بما تخيل أن السلطان مال إلى قبولها وأنهم قد أحفظوه

عليه ، فأجمع التحول عن الأندلس إلى المغرب ، واستأذن السلطان في تفقد الثغور وسار إليها في لمة من فرسانه ، وكان معه ابنه عليّ — الذي كان خالصة للسلطان — وذهب لطيبته ، فلما حاذى جبل القتح — فرضة الجاز إلى العدو — مال إليه ، وسرح إذنه بين يديه ، فخرج قائد الجبل لتلقيه . وقد كان السلطان عبد العزيز [المريني] قد أوعز إليه بذلك ، وجهز له الأسطول في حينه ، فأجاز إلى سبتة وتلقاه ولاتها بأنواع التكرمة وامتيثال الأوامر ؛ ثم سار لقصد السلطان ، فقدم عليه سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة بمقامه من تلمسان ، فاهتزت له الدولة وأركب السلطان خاصته لتلقيه ، وأحله من مجلسه بمحل الأمن والغبطة ، ومن دولته بمكان التنويه والعزة وأخرج لوقته كاتبه أبا يحيى بن أبي مدين سفيراً إلى صاحب الأندلس في طلب أهله وولده ، فجاء بهم على أكمل حالات الأمن والتكرمة ، وجعل ابن الخطيب يحضه على غزو مملكة غرناطة .

وأفاحت سعايات خصوم ابن الخطيب في تغيير صاحب غرناطة عليه ، « وشاع على ألسنة أعدائه كلمات منسوبة للزندقة أحصوها عليه ونسبوا إليه ، ورفعت إلى قاضي الحضرة [حضرة غرناطة] أبي الحسن [النباهي] فاسترعاها وسجل عليه بالزندقة . وراجع صاحب الأندلس رأيه فيه ، وبعث القاضي أبو الحسن النباهي إلى السلطان عبد العزيز [المريني] في الانتقام منه بتلك السجلات وإمضاء حكم الله فيه ، فصمّ لذلك وأبى لدمته أن تُخفر لجواره أن يُرد وقال لهم : « هلا انتقمتم منه وهو عندكم وأنتم عالمون بما كان عليه ؟ أما أنا فلا يخلص إليه بذلك أحد ما كان في جوارى » ، ثم وفر الجراية والأقطاع له ولبيته ولمن جاء من أهل الأندلس في جملة . »

فلما هلك السلطان عبد العزيز سنة أربع وسبعين وسبعمائة ، ورجع بنو مرين إلى المغرب وتركوا تلمسان إلى قاس ، سار هو في ركاب الوزير أبي بكر بن غاري القائم بالدولة ، فنزل بفاس واستكثر من الضياع وتأنق في بناء المساكن واغتراس

الجنان ، وحفظ عليه التأم بالدولة الرسوم التي رسمها له السلطان المتوفى ، واتصلت حاله على ذلك إلى أن كان ما نذكره » .

وما زال سليمان بن داود — رديف الوزير محمد بن عثمان في الوزارة للسلطان أبي العباس المريني في سراكش — يمتال حتى قبض على ابن الخطيب ، وكان شديد العداوة له ، وزعم أنه سيسلمه إلى ابن الأحمر صاحب غرناطة . وأتهم ابن الخطيب بأنه ضمن رسائله عبارة لا يرضاها الدين ، وشكوه إلى القاضي فقضى بقتله ، ولكن عبد العزيز المريني لم يسلمه على ما ذكرناه ، إذ كان يرجو أن يستفيد منه إذا ذهب يفز في الأندلس ؛ ونجا ابن الخطيب إلى حين .

و شاء القدر أن يتوفى ناصرُ ابنِ الخطيب هذا في سنة ١٣٧٢/٧٧٤ ، وخلفه على العرش ابنه « السعيد » وكان طفلاً . واتهم الفرصة بعض زعماء بني مرين ومضوا يدبرون للوثوب بالملك الطفل والنفادة بالأمير أحمد ابن السلطان أبي سالم وذلك بالاتفاق مع بلاط بني الأحمر ورجاله ، وتم لهم الأمر رغم مقاومة الوزير أبي بكر ابن غازي — صديق ابن الخطيب — وخلع الملك الطفل « السعيد » ونودي بأحمد ابن السلطان أبي سالم سلطاناً على دولة بني مرين في سراكش في أوائل سنة ١٣٧٤/٧٧٦ .

ولم يكد الأمر يستتب للسلطان الجديد حتى أسر بالقبض على ابن الخطيب تنفيذاً لما تم بينه وبين ابن الأحمر من اتفاق ، وكان سليمان بن داود — وزير ابن الأحمر وخصم ابن الخطيب اللدود — لا يألو جهداً في الإيقاع به ، وكانت نفس ابن الأحمر متغيرة على ابن الخطيب لما نعى إليه من أنه كان يحرص السلطان عبد العزيز المريني على محاربه . واشترك في السعي للقضاء على ابن الخطيب نفر غفير ، منهم صديقه القديم أبو الحسن النباهي قاضي غرناطة وصاحب كتاب تاريخ قضاة الأندلس المسمى « بالمرقبة العليا » ، وتلميذه ابن زمرك الشاعر وهو الذي ندبوه للذهاب إلى فاس للعمل على الإجهاز على ابن الخطيب ، فوجهوا إليه تهمة

الزئذقة وأهانوه أمام الملأ ، وخشى الوزير سليمان بن داود أن ينجو ابن الخطيب فسارع فأمر بعض غلمانه سرا بقتله ، فخنق في محبسه سنة ١٣٧٤/٧٧٦ ودفن ، ثم أصبح من الغد على شأفة قبره طريحا ، وقد جُمعت له أعواد فأضرمت نارا فأحترق شعره واسود بشره ، ثم أعيد إلى حفرته ، وكان في ذلك انتهاء محنته . وهجب الناس من هذه السفاهة التي جاء بها سليمان ، واعتدوها من هنائه وعظم التكبر فيها عليه « (*) » .

وقد كان البغل والطموح إلى المجد سر مأساة هذا الكاتب الممتاز ، الذي لم تتمه ظروف حياته المضطربة من تأليف كتب بالغة الأهمية والطلاوة . [ومن الغريب أنه كان مبتلى بداء الأرق ، حتى كان لا ينام من الليل إلا شيئا يسيرا ، ولهذا لقب « بذي العميرين » لأنه أضاف بسهر الليل إلى عمره عمرا ثانيا] . وأول ما نذكره من كتبه « الإحاطة بتاريخ غرناطة » (مخطوط بمكتبة الجمع التاريخي الإسباني)^(١٢٦) ، وهو معجم أعلام جمع ابن الخطيب فيه سير النابهين من أهل مملكة غرناطة ومن وفد عليها وسكنها ، وقسمه أقساما بحسب المنصب أو بحسب ناحية الامتياز : فقسم للملوك والأمراء ، وثان للعمال ، وثالث لذوى النباهة ، كالتفصاة والمتحققين بعلوم القرآن والمحدثين والفقهاء ومن إليهم ، وأورد فيه ترجمة نفسه وذكر أسماء سبعة وثلاثين من مؤلفاته . وأسلوبه فيه مرصع فخم ، وإن كان لا يصل في هذا الباب إلى شأوا ابن بسام وابن خاقان . ولهذا الكتاب « ذيل » توجد منه نسخة في مكتبة الإسكوريال . وقد قام بدر الدين البشتكي المصري في سنة ١٣٩١/٧٩٣ باختصار « الإحاطة » في كتاب سماه

(*) تابع المؤلف سيرة لسان الدين كما رواها ابن خلدون ، فرجعت إلى الأصل وأتيت بكلام ابن خلدون بنصه .

انظر : العبر (القاهرة ١٢٨٤) - ٧ ، ص ٣١١ - ٣١٢ و ٣٢٢ - ٣٣٦ ، وانظر : التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا ، طبعة محمد بن تاويت الطنجي (القاهرة ١٩٥١) الفهرس ، مادة ابن الخطيب ، ففيها كثير من التفاصيل .

« مركز الإحاطة » ، استبعد منه ذكر السلاطين والأسراء ولم يُبق فيه إلا على أهل الأدب . وقد صنع البشتكي مختصره هذا من نسخة أوفى من تلك التي نملكها اليوم ، ولهذا فنحن نظفر فيه بقصائد ومواد كاملة لا نجدُها فيما بين أيدينا من نسخ الإحاطة .

وقد صنف ابن الخطيب في تاريخ خلفاء المشرق والمغرب والأندلس كتاب « الحلل المرقومة »^(١٢٠) وضمنه بعض أخبار الأندلس والمغرب ، ونظم بعض أحداث هذا التاريخ في قصيدته عن التاريخ . وصنع موجزاً « لتاريخ إسبانيا » الذي ألفه الملك ألفونسو العاشر المعروف بالعالم ، وقد نشر هذا الموجز ونبّه إليه الأب ماشيور أنطونيا في مدريد سنة ١٩٢٣ . وألف في تاريخ غرناطة وبنى نصر طائفة من السكتب منها « اللوحة البدرية في الدولة النصرانية »^(١٢١) ، وهو تاريخ لبني الأحمر سنة ١٣٦٣/٧٦٥ ، و « طرفة العصر في تاريخ دولة بني نصر » . وحشد ابن الخطيب مادة تاريخية طيبة عن خلفاء المشرق والمغرب والأندلس في كتاب « إعلام الأعلام بمن بويغ قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام »^(١٢٢) (نشره ليثي بروقتسال في رباط الفتح سنة ١٩٣٣) . وألف كتاب « التاج المحلى » عن أدباء الأندلس في القرن الثامن الهجرى وعمل له ذبلاً عنوانه « الإكليل الزاهر فيما فضل عند نظم التاج من الجواهر » ، هذا بالإضافة إلى كتاب « السكتبية الكامنة فيمن لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة » ، (وهو مخطوط بمكتبة مجمع التاريخ في مدريد) .

وصنف ابن الخطيب إلى جانب ذلك كتباً وصف فيها بعض رحلاته وضمنها معلومات قيمة عن بعض بلاد الأندلس ، وخاصة ما كان منها في مملكة غرناطة ، وأدرج في أوصاف الرحلات معلومات تاريخية طيبة ونافعة عن الأعلام والناجيين وما اتصل بعلمه من مكتبات ، ومن هذه السكتب « معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار » ، وقد جعل فصوله مجالسَ تحدث في كل مجالس منها عن بلد من

بلاد الأندلس ومن ظهر به من المشاهير ، وكتاب « الفاضلة بين مائة وسلا » (نشره غرسية غومس سنة ١٩٣٤) .

ومن فريد مؤلفات ابن الخطيب كتابه المسمى « ريحانة الكتاب ونجمة المتقاب » (نشر قطعا منه جسيار ريمرو في سنة ١٩١٦) ، وقد جمع فيه نماذج من الترسيل المرصع المسجوع يحتذيها الكتاب في رسائل المدح والتحميدات والرسائل الإخوانية التي توجه في التهئة بالزواج (الصداقات والبيعات) أو بحلول الربيع أو بالنصر في الميدان أو « كتب الاستظهار على العداة والاستنجاد للعدوات » ، و « كتب الشكر على الهدايا الواردات » ، و « تقرير المودات » ، و « التعازي في الحوادث الناييات » ، و « الشقاات » وما إلى ذلك .

والمعلومات التاريخية التي يوردها ابن الخطيب في كتبه صحيحة دقيقة في الغالب ، وهي مرجعنا الأوثق في معرفة تاريخ مملكة غرناطة ، ويكاد يكون آخر كاتب عظيم أنجبه الأندلس الإسلامي (١٣٣) .

ف ٨٢ — عبد الرحمن بن خلدون (أول رمضان ٧٣٢ / ٢٧ مايو

١٣٣٢ — ٢٦ رمضان ٨٠٨ / ١٦ مارس ١٤٠٦) :

ولد ابن خلدون في تونس ، ولكن أجداده أندلسيون . وقد درس على أساتذة أندلسيين ، وأقام في الجزيرة زمتا . ولن نستعرض في هذا المقام في سرد تفاصيل حياته السياسية الحافلة بالأحداث (مثله في ذلك مثل ابن الخطيب) ، فقد وصل إلى تقلد المناصب الخطيرة في بلاط تونس ، وولى منصب قاضي القضاة في القاهرة ست مرات ، ونكتفي من هذه الأحداث بالإشارة إلى اثنين : الأول سفارته إلى الملك يدرو القاسي في إشبيلية سنة ٧٦٤ / ١٣٦٣ في صدد تعديل شروط صلح ، وقد أعجب به يدرو وعرض عليه أن يقيم في قشتالة ووعده لقاء ذلك أن يرد عليه أملاك أسرته ، ولكن ابن خلدون اعتذر من عدم القبول (١٣٤) .

والثاني استعماله الحيلة مع تيمور لئلا يفلت من يده أثناء حصار دمشق .
ويصف المؤرخون ما فعله ابن خلدون في ذلك الظرف الحرج وصفا مطولا بديعا ،
ويذكر كيف تحدث إلى طاغية التتار حديثا عذبا بليغا كله مديح وإطراء ،
فأعجب به وقرر أن يستبقه في خدمته ، فلم يرفض ابن خلدون وإنما استأذن
تيمور في أن يمضي إلى القاهرة ليعود بكتبه وأهله ، فأذن له فمضى وهو لا يكاد
يصدق بالنجاة^(١٣٥) .

وقد كان ابن خلدون رجلا حسن الهيئة معنيا بمظهره ، وكان سياسيا عاقلا
مهذب الحاشية عارفا بما ينبغي لحواشي السلاطين من أدب .

وابن خلدون مشهور بكتابه الجليل « العبر وديوان المبتدا والخبر في تاريخ
العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوى الشأن الأكبر » (طبع في بولاق
سنة ١٨٦٧) ، وينقسم إلى ثلاثة كتب : الأول هو « المقدمة »^(١٣٦) الجليلية
المشهوره (وقد ترجمها دي سلان إلى الفرنسية ونشرها في سنة ١٨٦٨) ، ويوجز
ابن خلدون الكلام عنها في قائمتها بقوله إنها تدور حول « العمران » ، وذكر
ما يمرض فيه من العوارض الذاتية ، من الملك والسلطان والسكسب والمعاش
والصنایع والعلوم ، وما لذلك من العلل والأسباب .

والكتاب الثاني من « العبر » يدور حول « أخبار العرب وأجيالهم وأولمهم
منذ مبدأ الخليفة إلى هذا العهد ، وفيه الإلمام ببعض من عاصرهم من الأمم المشاهير
ودولهم ، مثل النبط والسريانيين والفرس وبنى إسرائيل والقبط ويونان والترک
والروم » .

أما الكتاب الثالث فيتناول « أخبار البربر ومواليهم من زناتة وذكر
أوليتهم وأجيالهم ، وما كان بديار المغرب خاصة من الملك والدول » . وقد نشر
دي سلان هذا الجزء الثالث بعنوان « كتاب تاريخ الدول الإسلامية بالمغرب » ، لابن
خلدون (مجلدان) وطبعه في الجزائر سنة ١٢٦٧/١٨٥١ ، ثم ترجمه إلى الفرنسية

ونشر الترجمة باسم : « تاريخ البربر Histoire des Berbères » سنة ١٨٦٠ ،
وأعيد نشره حديثاً بإشراف كازانوفا .

ويعالج ابن خلدون في المقدمة مسائل كثيرة متعددة ، تتعلق بطبائع البشر
وأسباب تغيرها واختلافها ، وقيام الدول واختلاف الحضارات وما يوجب تقدمها
أو تأخرها ، وهذه الفصول تكوّن في مجموعها موسوعة تُعالجُ الموضوعات فيها من
وجهة نظر فلسفية ، لأن ابن خلدون يرى أن فن التاريخ فرع من الحكمة
(الفلسفة) ، ويقول إنه « في باطنه نظر وتحقيق ، وتعليل للكائيات ومبادئها
دقيق ، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق ، [فهو لذلك أصل في الحكمة عميق ،
وجدير بأن يعد في علومها وخلق] » (١٣٧) .

ولا بد من دراسة طبائع البشر والعمران ، حتى يستطيع الإنسان تفهم
الحوادث ونقدها ، واستقصاء عللها وأسبابها ، [ويقول : « . . فهو محتاج إلى
مأخذ متعددة ومعارف متنوعة ، وحسن نظر وثبتت يفضيان بصاحبهما إلى الحق
وينكبان به عن المزلات والمغالط ، لأن الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل ،
ولم تحكم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والأحوال في الاجتماع
الإنساني ، ولا قيس الغائب منها بالشاهد ، والحاضر بالذاهب ، فربما لم يؤمن فيها
من العثور ومزلة القدم ، والحيد عن جادة الصدق . وكثيراً ما وقع المؤرخين
والمفسرين وأئمة النقل المغالط في الحكايات والوقائع ، لاعتمادهم فيها على مجرد
النقل غثاً أو سمينا ، لم يعرضوها على أصولها ولا قاسوها بأشباهها ، ولا سبروها بمعيار
الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات ، وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار ،
فضلوا عن الحق وتاهوا في بيداء الوهم والغلط ، سيما في إحصاء الأعداد من الأموال
والعساكر إذا عرضت في الحكايات ، إذ هي مظنة الكذب ومطية الهذر ، ولا بد
من ردها إلى الأصول وعرضها على القواعد »] .

ويرى ابن خلدون أن السبب في نشوء العمران البشري هو « ضعف الإنسان
إذا انفرد بنفسه ، وأن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وركبه على صورة لا يصح

حياتها وبقاؤها إلا بالغذاء ، وهدها إلى التماسه بفطرتها وبما ركب فيه من القدرة على تحصيله ، إلا أن قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته من ذلك الغذاء ، غير موفية له بمادة حياته منه .

« ولو فرضنا منه أقل ما يمكن فرضه — وهو قوت يوم من الخنطة مثلا — فلا يحصل إلا بعلاج كثير من الطحن والعبجن والطيخ ، وكل واحد من هذه الأعمال الثلاثة يحتاج إلى مواعين وآلات لا تتم إلا بصناعات متعددة ، من حداد ونجار وفاخوري . هب أنه يأكله حَبًا من غير علاج ، فهو أيضا يحتاج في تحصيله حَبًا إلى أعمال أخرى أكثر من هذه ، من الزراعة والحصاد والدراس الذي يخرج الحب من غلاف السنبل ، ويحتاج كل واحد من هذه إلى آلات متعددة وصنائع كثيرة أكثر من الأولى بكثير ، ويستحيل أن تُوفى بذلك كله أو بعضه قدرة الواحد ، فلا بد من اجتماع القُدَر [جمع قدرة] الكثيرة من أبناء جنسه ليحصل القوت له ولم ، فيحصل بالتعاون قدر الكفاية من الحاجة لأكثر منهم بأضعاف . » وكذلك يحتاج كل واحد منهم أيضا في الدفاع عن نفسه إلى الاستعانة بأبناء جنسه ، لأن الله سبحانه لما ركب الطباع في الحيوانات كلها وقسم القدر بينها ، جعل حظوظ كثير من الحيوانات المعجم من القدرة أكل من حظ الإنسان : فقدرة الفرس مثلا أعظم بكثير من قدرة الإنسان ، وكذا قدرة الحمار والثور وقدرة الأسد والفيل أضعاف من قدرته .

« ولما كان المدوان طبيعياً في الحيوان ، جعل لكل واحد منها عضواً يختص بمداومة ما يصل إليه من عادية غيره ، وجعل للإنسان عوضاً من ذلك كله الفكر واليد ، فاليد مهيئة للصناعات بخدمة الفكر ، والصناعات تحصل له الآلات التي تنوب له عن الجوارح المعدة في سائر الحيوانات للدفاع ، مثل الرماح التي تنوب عن القرون الناطحة ، والسيوف النابتة عن الخالب الجارحة ، والتراس النابتة عن البشيرات الجلسمية ، إلى غير ذلك مما ذكره جالينوس في كتاب منافع الأعضاء .

فالواحد من البشر لا تقاوم قدرته قدرة واحد من الحيوانات العجم ، سيما المفترسة ، فهو عاجز عن مدافعتها وحده بالجملة ، ولا تنفي قدرته أيضاً باستعمال الآلات المعدة للمدافعة ، لكثرتها وكثرة الصنائع والمواعين المعدة لها ؛ فلا بد في ذلك كله من التعاون عليه بأبناء جنسه .

« وما لم يكن هذا التعاون فلا يحصل له قوت ولا غذاء ، ولا تتم حياته ، لما ركبهُ الله تعالى عليه من الحاجة إلى الغذاء في حياته ، ولا يحصل له أيضاً دفاع عن نفسه لفقدان السلاح ، فيكون فريسة للحيوانات ويماجله الهلاك عن مدى حياته ويبطل نوع البشر . وإذا كان التعاون حصل له القوة للغذاء ، والسلاح للمدافعة ، وتمت حكمة الله في بقائه وحفظ نوعه . فإذن هذا الاجتماع ضروري للنوع الإنساني ، وإلا لم يكمل وجودهم وما أَرَادَهُ اللهُ تعالى من اعتمار العالم بهم واستخلافه إياهم . وهذا هو معنى العمران الذي جعلناه موضوعاً لهذا العلم .

« وفي هذا الكلام نوعٌ إثباتٍ للموضوع في فنه الذي هو موضوعٌ له ، وهذا وإن لم يكن واجباً على صاحب الفن — لما تقرر في الصناعة المنطقية أنه ليس على صاحب علمٍ إثباتُ الموضوع في ذلك العلم — فليس أيضاً من المنوعات عندهم ، فيكون إثباته من التبرعات .. والله الموفق بفضله .

« ثم إن هذا الاجتماع — إذا حصل للبشر كما قررناه وتم عمران العالم بهم — فلا بد من وازع يدفع بعضهم عن بعض ، لما في طبائعهم الحيوانية من العدوان والظلم . وليست آلة السلاح — التي جُمِلت دافعةً لعدوان الحيوانات العجم عنهم — كافيةً في دفع العدوان عنهم ، لأنها موجودةٌ لجميعهم ، فلا بد من شيء آخر يدفع عدوان بعضهم عن بعض ، ولا يكون من غيرهم ، لتصور جميع الحيوانات عن مداركهم وإلهاماتهم ، فيكون ذلك الوازع واحداً منهم يكون له عليهم الغلبة والسلطان واليد القاهرة ، حتى لا يصل أحد إلى غيره بعدوان . وهذا هو معنى المُلْك .

« وقد تبين لك بهذا أنه خاصة للإنسان طبيعةً ولا بد لهم [أى للبشر] منها ، وقد يوجد في بعض الحيوانات العجم على ما ذكره الحكماء — كما في النحل والجراد — لما استُقرى فيها من الحكم والانتقاد والاتباع لرئيس من أشخاصها متميز عنها في خلقه وجثائه ؛ إلا أن ذلك موجود لغير الإنسان بمقتضى الفطرة والهداية ، لا بمقتضى الفكرة والسياسة : (أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) .

« وتزيد الفلاسفة على هذا البرهان — حيث يحاولون إثبات النبوة بالدليل العقلي وأنها خاصة طبيعية للإنسان — فيقررون هذا البرهان إلى غايته ، وأنه لا بد للبشر من الحكم الوازع ، ثم يقولون بعد ذلك : « وذلك الحكم يكون بشرع مفروض من عند الله ، يأتي به واحد من البشر ، وأنه لا بد أن يكون متميزاً عنهم بما يودع الله فيه من خواص هدايته ، ليقع التسليم له والقبول منه ، حتى يتم الحكم فيهم وعليهم من غير إنكار ولا تزيف » .

« وهذه القضية للحكماء غير برهانية كما تراه ، إذ الوجود وحياة البشر قد تم من دون ذلك بما يفرضه الحاكم لنفسه ، أو بالعصبية التي يقتدر بها على قهرم وحملهم على جادته . فأهل الكتاب والمتبعون للأنبيا قليلون بالنسبة إلى الجوس الذين ليس لهم كتاب — فإنهم أكثر أهل العالم — ومع ذلك فقد كانت لهم الدول والآثار ، فضلاً عن الحياة ؛ وكذلك هي لهم لهذا العهد في الأقاليم المنحرفة في الشمال والجنوب ، بخلاف حياة البشر فوضى دون وازع لهم البتة فإنه يتمتع . وبهذا يتبين لك غلطهم في وجوب النبوات ، وأنه ليس بعقلي وإنما مدركه الشرع ، كما هو مذهب السلف من الأمة . والله ولي التوفيق والهداية » (*) (١٢٨) .

ويدرس ابن خلدون في مقدمته أثر الهواء والغذاء في طبائع البشر دراسة عميقة ويحللها تحليلاً طيباً ، ويدرس كذلك أدوار تاريخ الدول في أعمارها ، وخصائص المدن الكبيرة ، وعوائد الترف وما إلى ذلك . وفي المقدمة فصول عن

(*) آتى المؤلف هنا بإيجاز كلام ابن خلدون ، فأيت أن أورده بنصه .

الإدارة والزراعة والعمارة والتجارة وصنائع النسيج والطب والغناء والكتب وعلوم القرآن وعلوم العدد والرياضة والحساب والجبر والمهندسة والبصريات والفلك والصفة والكيمياء والمنطق والنحو والأدب .

وأسلوب ابن خلدون في المقدمة غير متعادل في الفصول كلها ، وهو غنى بالآراء والأفكار ، وربما كرر ما يقوله في أكثر من موضع ، مما يدل على حكمة وفهم وثيق . وله قدرة كبيرة على إصدار الأحكام العامة الجامعة ، وإليك نسوق نموذجاً من كلامه في المقدمة ، لترى كيف يعالج موضوع الفروق بين البدو والحضر . قال ابن خلدون بعد بيان هذه الفروق :

« . . . والسبب في ذلك أن أهل الحضر ألقوا جنوبهم على مهاد الراحة والدة ، وانغمسوا في النعيم والترف ، ووكلوا أمرهم في المدافعة عن أموالهم وأنفسهم إلى واليهم والحاكم الذي يسوسهم والحامية التي تولت حراستهم ، واستنابوا إلى الأسوار التي تحوطهم والحرز الذي يحول دونهم ، فلا تهيجهم هيمة ، ولا ينفروا لم صيد ، فهم غارون آمنون قد ألقوا السلاح . وتوالت على ذلك منهم الأجيال ، وتنزلوا منزلة النساء والولدان الذين هم عيال على أبي مشوام ، حتى صار ذلك خلقاً يتنزل منزلة الطبيعة .

« وأهل البدو — لتفردهم عن المجتمع ، وتوحشهم في الضواحي ، وبعدمهم عن الحامية ، وانتباذهم عن الأسوار والأبواب — قاعون بالمدافعة عن أنفسهم ، لا يكلونها إلى سوام ، ولا يثقون فيها بنيرهم . فهم دائماً يحملون السلاح ، ويقفون عن كل جانب في الطرق ، ويتجافون عن المهجوع إلا غرراً في المجالس وعلى الرحال وفوق الأقتاب ، ويتوجسون للنبات والهيمات ويتفردون في القفر والبيداء ، مدلين بياسهم واثقين بأنفسهم ، قد صار لهم اليأس خلقاً والشجاعة سجية ، يرجعون إليها متى دعاهم داع أو استنفروهم صارخ .

« وأهل الحضر — مهما خالطوهم في البادية أو صاحبوهم في السفر — عيال عليهم ، لا يملكون معهم شيئاً من أمر أنفسهم ، وذلك مشاهد بالعيان ، حتى

في معرفة النواحي والجهات ، وموارد المياه ومشارع السبل ؛ وسبب ذلك ما شرحناه ، وأصله أن الإنسان ابن عوانده ومألوفه ، لا ابن طبيعته ومزاجه . فالذي ألفه في الأحوال حتى صار خلقاً وملكاً وعادة ، تنزل منزلة الطبيعة والجملة ؛ واعتبر ذلك في الآدميين تجده كثيراً صحيحاً ، والله يخلق ما يشاء » (١٣٩) .

(ب) التراجم وفهارس الكتب

ابن عبد البر — الحشفي — ابن القرضي — الحجاري —
ابن بشكوال ومصادره — الضبي — ابن الأبار
ومصادره — ابن فرحون — ابن خير — كتب المرجع
الخاصة التي وضعها الخزرجي وابن عفيون وابن عيشون —
الفاضي عياض — ابن دحية . الخ .

كثرت عناية الناس في الأندلس بتصنيف معاجم الأعلام وفهارس الكتب ، وذاعت بينهم ذيوفاً واسعاً . وهذه العناية وهذا الذبوع يدلاننا على علو مستوى المعارف واتساع آفاقها عند أهل الأندلس ، حتى مست الضرورة إلى وضع المعاجم لطوائف الرجال أو لقروع العلوم . وهذه المعاجم كلها غنية بالمادة التاريخية ، مما يدفع إلى الرجوع إليها ويُزيد حاجتنا إليها يوماً بعد يوم .

ولدينا مما ألف الأندلسيون في هذا العصر معاجم أعلام من صنوف شتى : منها معاجم لأعلام الفقهاء كتلك التي وضعها ابن عبد البر ، أو لقضاة قرطبة « كتاريخ القضاة » للحشفي . وقد سبق هذا النوع من التراجم مجموعات التراجم العامة في الظهور ، فصنفت بعد ذلك معاجم رجال جامعة ، مثل مؤلفات ابن القرضي والحجاري وابن بشكوال والضبي وابن الأبار وابن فرحون . ووضعت فهارس للكتب مثل فهرست ابن خير . وألفت كتب في تراجم صنوف معينة من الرجال ، كالزهاد والمتصوفة والكتّاب والمحدثين والفقهاء . ومنها ما ألف في رجال ناحية من النواحي ، كهذا الذي وُضع عن علماء البيرة .

ف ٨٣ — ابن عبد البر والحسنى :

تشير أقدم مؤلفات الأندلسيين إلى مؤلفات أبي هريرة يوسف بن عبد الله بن محمد ابن عبد البر النعمري ، مولى بني أمية (٣٦٨ - ٤٦٣ / ٩٧٨ - ١٠٧٠) ^(١٤٠) ، وقد وضع كتابا عن فقهاء قرطبة استعمله ابن الفرضي ^(*) والضبي . ويشير المصنفون كذلك إلى مؤلف آخر يسمى ابن عبد البر أيضا ، ولكن نسبته الكشكينياني — نسبة إلى كَشْكِينَان ، قرية في قنْبَانِيَّة قرطبة — (توفي ٣٤١ / ٩٥٢) . وقد صنف كتابا في « الفقهاء والقضاة بقرطبة والأندلس » ، وكذلك ألف أبو الأصبع عيسى بن محمد المؤرخ (المتوفى سنة ٤١٣ / ١٠١٢) كتابا في « تاريخ فقهاء البيرة » ^(١٤١) .

ومن أعجب المؤرخين الذين انصرفوا إلى وضع للعالم في طبقة معينة من الرجال أبو عبد الله محمد بن الحارث بن أسد الحسنى ، وهو قيرواني درس الشريعة في بلده ، ثم وفد على الأندلس سنة ٣١١ أو ٣١٢ / ٩٢٣ أو ٩٢٤ حيث تخرج على قاسم بن أصبغ [ومحمد بن عبد الملك بن أيمن وغيرهما] في الفقه ، « وكان حافظا لفقهاء علما بالتمتيا حسن القياس » ^(*) . ثم دخل في خدمة الحكم المستنصر فولاه المواريث في بَجَانَة وألف له كتبا كثيرة عن الفقهاء والمحدثين ، وقد اشتهر اسمه بكتابه عن « تاريخ قضاة قرطبة » من الفتح الإسلامي إلى سنة ٣٥٧ / ٩٦٨ (نشره ريبييرا وترجمه إلى الإسبانية في سنة ١٩١٤) ^(١٤٢) . وبعد أن توفي الحكم اضطر الحسنى إلى بيع العطاراة ليعيش ، وتوفي في قرطبة في صفر ٣٦١ / أغسطس ٩٧١ (ويقول الذهبي إنه توفي سنة ٣٧١ / ٩٨١) .

يضم هذا الكتاب من الفوائد ما يجعله من أزم وأهم ما يرجع إليه لدراسة

(*) يبدو أن هنا بعض الخطأ ، لأن ابن الفرضي أستاذ يوسف بن عبد البر . والسبب في ذلك ما ذكره ابن الفرضي في فاتحة تاريخ علماء الأندلس من أنه نقل من مؤلف لأحمد بن محمد ابن عبد البر ، وهو رجل آخر غير النعمري ، كما سيبيء .

(*) ابن الفرضي : علماء ، رقم ١٣٩٨ .

الحياة الاجتماعية في الأندلس من أول الفتح إلى عصر الحكم المستنصر ، ولا بد أنه ألفه بإحاطة من الحكم . وقد كتبه وتحت يده مادة طيبة « مدونة » مثل المصادر والوثائق المحفوظة في ديوان الخلافة وسجلات القضاة والأوراق الخاصة لبعض الأفراد . ولا بد كذلك أنه كان يرجع إلى طائفة من الكتب ، إذ هو يشير إلى بعضها إشارات غير واضحة ، وأم من ذلك ما أخذه من الروايات والأخبار التي كان الناس يتناقلونها ، « روايات كانت ذاتة على الألسن بين طبقات أهل قرطبة ، منها ما كان يُحكى في قصر الخلافة وبيوت السروات ، ومنها ما كان يتناقله الجمهور والتفصا في طرقات قرطبة وأرباضها وأحيائها التي يمتشد فيها أصاغر الناس » كما يقول ريبيرا ، ولا بد أن هذه الأخبار كانت مما تنقله بيوت عرب الأندلس ذات النسب المرصع ، وبعضها أخذه من أفواه أهل الأدب والدين والعلماء والفقهاء مما كان يجري في حلقات درسم ، وبعضها الآخر اختلقه نفر من الساخطين على النظام السياسي والاجتماعي القائم ، ومنها ما هو صدى لما كان يتحدث به أولئك الذين يولعون بنقد رجال الدين والأتقياء ، ومنها ما هو ترجمة عربية لروايات كان الناس يتناقلونها في لغتهم المعجمية الدارجة أو صياغة جديدة لها . كل هذه العناصر تتجمع وتتألف منها مادة الكتاب دون أن يضيف المؤلف إليها من عندياته إلا قليلا .

ويرى خيلان ريبيرا أن الحشني « ليس بالمسرف في الدقة ولا بالشديد التحفظ في نقده لما يورد من الأخبار » ، ولكن هذا المأخذ يمس الكتاب بوجه خاص في قسمه الأول لحسب ، لأنه يقص فيه أحداثا وقعت في العصور الأولى ، وأخبارها يحيط بها الغموض ، إذ لم يكن قد بقي على أيام الحشني من ذكر أحداثها إلا نزر يسير جداً ، ومن ثم فلا غرابة أن توضع عنها أخبار مصدرها المالكيون وأصحاب اللذاهب المنحرفة على السواء . ومن الأخبار الموضوعة التي قبلها الحشني ورواها تلك التي تتعلق بقضاة قرطبة الثلاثة الأول ، فقد وضعها أحمد بن فرج بن منقيل ، ورمى من وراء وضعها إلى أغراض سياسية ، وكان ابن منقيل من أتباع محمد بن

مَسْرُة ، أى أنه كان أندلسيا من أهل البلاد متعصبا لقومه ، وكان متصوفا يعميل إلى المذاهب المنحرفة التى قال بها خصوم العرب من الأندلسيين (ولم يضعها رجل مشرقى كما قال دوزى) . وقد صدق الخشنى هذه الأخبار فى سهولة لأنه كان أجنبيا عن البلاد . هذا ، ونحن لا نجد ذكراً لهؤلاء القضاة الثلاثة عند ابن القوطية أو فى الأخبار المجموعة أو عند ابن عذارى وابن الفرضى ^(١٤٣) .

ونحن لا نجد فى تاريخ الخشنى ذكراً لتدخل قوى خارقة وعوامل غير طبيعية فى مجرى الحوادث ، ولا تسيطر عليه النوازع الدينية التى تستقر فى الأوهام وتحدد أصحابها عن الحكم المنزه عن الهوى ، ولا نجد فيه كذلك أثراً لعصبية سياسية ولا إغراقاً فى مداهنة أهل الدولة ؛ فلم يمنعه توقيره للحكم المستنصر من أن يسوق أخباراً تشين البيت الأموى بعض الشيء . وأسلوب الكتاب قليل الجلال من الناحية الأدبية ، ولكنه عظيم الأهمية غنى بالتمعة لمن يهتم بتأمل الأحداث وكيف تجرى (والسرى فى قلة الجلال فى أسلوب الكتاب هو أنه أخبار وأقاويص مرسلّة بعضها فى إثر بعض) .

وهو يعطينا صوراً صادقة « لأمرء وحكام مثل عبد الرحمن الداخلى العصبى العنيف ، وهشام الرضى الرقيق الرحيم الطيب القلب ، والحكم الرضى النشيط الحازم ... وهو يصور لنا يحيى بن يحيى الفقيه المشاور فى أمور القضاة متعالياً بنفسه متجبراً فى سلطانه » . وتعرض علينا صفحات هذا الكتاب صوراً لطبقات أهل الأندلس ، من قرشيين ذوى نسب وحسب يطمحون إلى السلطان وينزعون إلى الشر والفوضى ، وأسرٍ منحدره عن أصول إسبانية ، وناس من خدم القصر وغلمانة . وفيها نرى الصقالبة والنصارى وزهاد المسلمين وأهل قرطبة وما كان يشغلهم من أمور الدنيا والدين ، وما كان يملأ قلوبهم من توقيير للعلم ، وما كانوا يتناقضونه من أقاويص ونوادير .

ويقول ريبيرا : « إن كتاب الخشنى يضعنا فى قلب قرطبة فى عصر الإمارة ،

أخباره مصوغة في قالب من الواقعية لا يبلغ إلى تصويرها كتاب غيره من كتب التاريخ أو الأدب . وهو يحدثنا عن أشياء تافهة ويصور لنا مشاهد مبتذلة لا جلال فيها ولا رابط يربطها إلى غيرها ، ولكن عدم التكلف هذا يحمل أطوانه عنصراً فنياً ، وهذه الروايات التي ترسل على عواهنها تعين على دراسة لظواهر الاجتماعية ، مما لا يذكره أو يعنى به غير هذا الكتاب . ومن أمثلة ذلك ما يعرفنا به من نماذج كلام الأندلسيين المسلمين من أهل قرطبة بمعجيتهم .

ومن الطبيعي أن نجد في هذا الكتاب مادة قيمة لدراسة نظام القضاء في الأندلس ، فهو يأتي ضوءاً كافياً على المسائل التي تتصل بتولية القضاة وعددهم وما كان يشترط فيهم من الصفات العقلية والخلقية ، ويعرفنا بأجناس القضاة (عرباً أو مولدين أو بربراً) ويحدثنا عن كفاياتهم وموازينهم في إصدار الأحكام ، ويقدم لنا مادة طيبة عن إجراءات التقاضي ونظام المحكمة وجلال منصب القضاء مع المقارنة بما كان عليه الحال في غير الأندلس من بلاد الإسلام .

واليك مثالا من أخبار ذلك « التاريخ » الذي توحى مادته بالكثير :
 « [حدثني أصبغ بن عيسى الشقاق] ، قال : كنت مقبلا يوماً مع القاضي أحمد ابن بقي ، حتى عن لنا سكران يمشى بين أيدينا ، فجعل أحمد بن بقي يمسك من عنان دابته ويترفق في سيره ، يرجو أن يغيب عنه السكران أو يحس به فيذهب مسرعاً . فكان كلما ترفق القاضي وقف السكران ، حتى لم يكن للقاضي بد من أن يقرب منه وينظر إليه . قال أصبغ : وكنت أعرف كراهية القاضي أن ينتشب في مثل هذا ، ورقة قلبه أن يفرح أحداً بسوط ، فقلت في نفسي : ليت شعري كيف تصنع في مثل هذا يا ابن بقي ؟ فلما قربنا من السكران عطف على القاضي فقال : « مسكين هذا السائر ، أراه مخبول العقل ا » قال ، فقلت له : « بلية عظيمة ا » ، فجعل يستغفر الله ويسأله أن يأجر المصاب في عقله . »

ف ٨٤ -- ابن الفرضي — البخاري :

بيد أن النماذج الحقة لكتب التراجم إنما تاتمس عند من جودوا هذا الفن

بعد ذلك ، ومنهم أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي بن الفرضى (٣٥١ — ٩٦٢/٤٠٣ — ١٠١٢) من أهل قرطبة ، وكان فقيهاً محدثاً خطيباً جامعاً للكتب حتى صار له منها خزانة عامرة . وقد حج إلى مكة ، ويبدو أنه تعلق بأستار الكعبة وسأل الله الشهادة . وعندما عاد إلى الأندلس تقلد قضاء بلنسية ، وقد أجاب الله دعاءه فاستشهد على يد البربر إذ اقتحموا عليه بيته عندما دخلوا قرطبة (في ٧ شوال ٤٠٣/٢٠ أبريل ١٠١٢) ونهبوها وقتلوا من وقع في يدهم من أهلها دون رحمة . وقد وجد ابن الفرضى ميتاً في داره وقد تغير ، ودفن دون غسل أو كفن أو صلاة بمقبرة مؤتمرة بعد أيام من قتله .

وكان ابن الفرضى شاعراً يقول أبياتاً تفيض بعاطفة دينية زهدية ظاهرة (انظر صلة ابن بشكوال ، ص ٢٥٠) ، وقد ضاع بعض ما ألفه من الكتب مثل « تاريخ شعراء الأندلس » . وتذكر المراجع أنه « جمع كتاباً حفيلاً في أخبار شعراء الأندلس ، وجمع في المؤلف والمختلف كتاباً حسناً ، وفي مشقه النسبة كذلك ، إلى غير ذلك من جمعه وتصنيفه » . ولكن شهرته طارت بمعجم أعلامه المسمى « تاريخ علماء الأندلس » (المجلدان ٧ و ٨ من المكتبة العربية الإسبانية Bibliotheca Arabico Hispana ، وقام على نشره كوديرا في سنتي ١٨٩١ و ١٨٩٢) ، وهو أقدم معجم رجال عام بين أيدينا « بلغ فيه الغاية والنهاية من الحفل والإتقان » . ويدل على حفله وإتقانه ما يذكره المؤلف نفسه من أنه سأل عن هذا التاريخ أو ذاك ، أو قرأ شاهد قبر ليتحقق بنفسه من شيء ، بل إنه يقرر صراحة في كثير من المواضع أنه لم يجد شيئاً يستطیع أن يطمئن إليه ^(١٤٤) .

وقد رجع ابن الفرضى إلى مؤلفين سابقين عليه نذكر منهم ابن الطحان وهو أبو الأصبع عبد العزيز بن هلى الإشبيلي (٣٠٤ — ٩١٧/٣٨٣ — ٩٩٤) من أهل إشبيلية ، وعلى بن معاذ بن سمعان بن موسى (٣٠٧ — ٩١٩/٣٨٩ — ٩٩٨) . وقد وضع أحد تلاميذه ابن الفرضى وهو أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن مهلب ^(١٤٥) (المتوفى سنة ١٠٥٨/٤٥٠) ذيلاً على « تاريخ » أستاذه اسمه « تعليقات

على تاريخ ابن القرضى واستلحاق « . وألف رشيد الدين محمد بن إبراهيم الوطواط (المتوفى سنة ١٣١٨/٧١٨) رسالة سماها « درر الغرر في شعراء الأندلس » وصل بها تاريخ شعراء الأندلس لابن القرضى ^(١٤٦) .

وفي هذا الطراز من معاجم الرجال ينبغي أن يُعَدَّ الكتاب الذي صنفه أبو عاصم محمد بن يحيى بن محمد خليفة بن يَنْقُ (٤٨٢ - ١٠٨٩/٥٤٧ - ١١٣٢) وعنوانه « كتاب في ملوك الأندلس والأعيان والشعراء بها » ، ويقول عنه ابن الأبار في التكملة : « ومال إلى الآداب والعربية والعروض فحُمد في ذلك وبلغ الغاية من البلاغة في الكتابة والشعر ، ولقى أبا العلاء بن زهر فلازمه مدة وأخذ عنه علم الطب » .

وقد عرفنا أبا محمد عبد الله بن إبراهيم بن وَزْمُرُ الحجاري الصنهاجي (٤٩٩ - ١١٠٦/٥٤٩ - ١١٥٥) عن طريق [حلى بن سعيد وابن الخطيب و] القرى ، وقد ولد الحجاري في وادي الحجارة ونشأ فيها ، ثم رحل عنها إلى شبلي عندما سقطت في يد ألفونسو السادس . ثم قصد قلعة يحمص وأقام عند صاحبها عبد الملك بن سعيد ، ثم انصرف إلى قصد ابن هود بروطة بعد أن أعذله [ابن سعيد] حلى التحول عنه فقال : « النفس بوآفة ، ومالى بغير التغرب طاقة » ، فضى يجوب الأقطار من جديد واستقر في « روطة » حيث أقام ردحا من الزمن في ظل أميرها أحمد بن عماد الدولة بن هود . قال حلى بن سعيد : « لما قصد الحجاري روطة تحرك أميرها المنتصر أحمد بن عماد الدولة بن هود لغزو البشكنس فهزم جيشه ، فكان الحجاري بمن أسر بتلك الوقعة فاستقر أسيراً ببسقاية ، فبقى يحرك ابن هود بالأشعار ويمحنه على تخليصه من الإسار فلم يُجد ذمامه ولا تحرك له اهتمامه » . والصحيح أن الذين أسروه كانوا النبريين أهل نبره Navarra سنة ١١٣٨/٥٣٢ ، وظل في أسرهم حتى فداه عبد الملك بن سعيد « فكان طليق آل سعيد » .

وقد ألف الحجاري — إلى جانب بعض قصائد مديح قالها فيمن أظلموه برعايتهم من الأمراء — كتابا في التاريخ يقع في ستة أجزاء هو « المسهب في

غرائب المغرب» (١١٧)، يتحدث فيه عن فضائل أهل المغرب والأندلس، ويسوق فيه تراجم النابغين من أهله — من لدن الفتح إلى سنة ١١٣٥/٥٢٩ — مع نماذج من شعرهم وأطراف تاريخية وبعض معلومات جغرافية. وقد صاغ بنو سعيد هذا الكتاب في قالبه النهائى [كما سبق أن ذكرنا]، واسترشد به المقرئ فى تأليف « نفتح الطيب » .

ف ٨٥ — ابن بشكوال ومصادره :

وابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود ، ٤٩٤/١١٠٠ — ٥٧٨/١١٨٢) ولد فى قرطبة [ولكن أصله من سُريُّن Sorrión بمحوز بلنسية] ، وكان تلميذاً لابن رشد ونفر آخر من الشيوخ والأساتذة ، « وأسند عن شيوخه نيفاً وأربعمائة كتاب بين صغير وكبير ، أخذ منها عن ابن عتاب وحده فوق المائة . [وعمر طويلاً فرحل الناس إليه وأخذوا عنه وانتفعوا به ورغبوا فيه] « ، « وولى [ابن بشكوال] بإشبيلية قضاء بعض جهاتها لأبى بكر بن العربى ، وعقد الشروط ببلده ثم اقتصر على إسماع العلم ، وهذه الصناعة كانت بضاعته ، والرواة عنه — لملوا الإسناد وسعة السموع — لا يحصون كثرة » ، كما يقول ابن الأبار فى التكملة . وقد ألف ابن بشكوال خمسين تأليفاً فى أنواع مختلفة ، أجملها كتاب « الصلة » ، وهو ذيل أكمل به تاريخ علماء الأندلس لابن القرضى ، وضمنه سير طائفة من الأئمة والمحدثين والفقهاء وأهل الأدب من الأندلسيين (نشره كوديرا فى سنة ١٨٨٣) . ويقول فى حقه ابن الأبار « إنه منتهى ما يصل إليه الواصل فى معاجم التراجم » ، وقال : « سلم له أ كفاؤه بكفايته فيه ، ولم ينازعه أهل صناعته الافراد به ولا أنكروا مزية سبق إليه ، بل تشوفوا للوقوف عليه وأنصفوا فى الاستفادة منه ، وقد حماه عنه أبو العباس بن العريف الزاهد من يعدد فى شيوخه . . . فأتسمت فائدته وعظمت منفعتة ، وهو كتاب فى فنه خطير القيمة ضرورى الاستعمال ، لا يستغنى أهل الفقه عن التبليغ به والنظر فيه والاحتجاج منه » .

هذا ومن المعروف أن ابن الأبار وضع ذيلاً لصلة ابن بشكوال سماه « كتاب التكملة لكتاب الصلة » سار فيه على نهجه . وكتاب ابن بشكوال عظيم الفائدة لا يستغنى عنه أهل الأدب ، ولا يكاد الإنسان يجد فيه خطأ^(١٤٨) .

[وقال ابن الأبار بصدد كلامه عن « الصلة » : « وأغلاطه الواقعة له فيه قليلة ، وقد نبهت على أكثرها في كتابي هذا (التكملة) ، واستدركت ما أغفلت وتمت ما نقص ، وجوّدت ما اقتضب مما وقع إلّى وترجّح لدى ، ولذلك ما أعدت هنا جملة من ذُكر هنالك ، مؤتسباً بفعله في أسبه ، من كتاب ابن الفرضي »] .

ومن هذا الطراز من المؤلفات « المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصديقي » لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن الأبار (نشره كوديرا وريبيرا في سنة ١٨٨٥) ، وهو يضم تراجم أصحاب أبي علي الحسين بن محمد بن فيثره بن حيون ابن سكرة الصديقي (١٠٥٢/٤٤٤ - ١١٢٢/٥١٦) . [وقد كان القاضي أبو علي ابن سكرة الصديقي السرقسطي — يعرف بابن الدرّاج — شيخاً جليلاً سمع منه ودرس عنه الكثيرون . قال ابن الأبار في فاتحة كتابه : « سمّوتُ إلى جمع أسمائهم وإيراد أبيات تم عن مكاثرهم ، مما أمكن ذكره من أبنائهم مباهاياً بهم وبمعصم ، ومناغياً أبا الفضل بن عياض في جمع شيوخه وحصرهم . . . وم (أي من ذكرهم في هذا المعجم) بين حاجب في الأخذ عنه راغب ، وتلميذ على السماع منه راتب . ومن شيوخه من شذ ، واعتقده في وقته الفذ ، فكتب عن روايته ، وخصه بحظ من عنايته ، ذلك لاختصاصه بقربة هي ما هي ، ورتبة في العدالة بلغت التناهي » ، أي أن الكتاب يصور لنا مدرسة كاملة بأستاذها وشيوخه وتلاميذه ورواته والأخذين عنه] .

وقد أورد ابن الأبار في بعض كتبه ذكراً لمؤلفات أخرى لابن بشكوال مثل « أخبار قضاة قرطبة » ، و « كتاب الفوائد المنتخبة والحكايات المستغربة » ، وهو يختصر لكتاب « المنتخب من تاريخ الرؤساء والقهاء والقضاة بطليطلة » لأبي جعفر

ابن مطاهر ، وكتب أخرى كثيرة لا نعرف منها إلا أسماءها^(١٤٩) .

وكان ابن بشكوال موصوفاً « بصلاح الدخلة وسلامة الباطن ، وصحة التواضع وصدق الصبر لمرحليين إليه ، ولين الجانب وطول الاحتمال في الكبرة للإسماع رجاء المثوبة » كما يقول ابن الأبار ، وكل هذه الخلال الجميلة تتجلى في كتاباته .

وقد اعتمد ابن بشكوال في تصنيف الصلة على تاريخ للأندلس لأبي بكر حسن بن مفرج بن حماد بن الحسين المعافري المعروف بالقُبُشِّي القرطبي (٣٤٨ / ٩٥٩ - ٤٣٠ / ١٠٣٨) الذي يبدو أنه ألف كتابه على غرار مصنف آخر في نفس الموضوع لابن عفيف (أبي عمر أحمد بن محمد ٣٤٨ / ٩٥٩ - ٤٢٠ / ١٠٢٨)^(١٥٠)

عنوانه « الاحتفال في تاريخ أعلام الرجال في أخبار الخلفاء والقضاة والفقهاء » . ونظر ابن بشكوال كذلك إلى معجم رجال لأبي عمر بن مهدي (٣٩٤ / ١٠٠٣ - ٤٣٢ / ١٠٤٠) ، وإلى كتابين آخرين في الأدب والتاريخ لابن زروق^(١٥١) (أبي عبد الله محمد بن إبراهيم ، المتوفى سنة ٤٣٥ / ١٠٤٣) ، وكتاب آخر لابن عابد^(١٥٢) (أبي عبد الله محمد بن عبد الله ، المتوفى سنة ٤٣٩ / ١٠٤٧) .

ورجع ابن بشكوال كذلك إلى كتاب « طبقات النحويين والتقويين » لابن خزرج الفقيه (أبي محمد عبد الله بن إسماعيل بن محمد ٤٠٧ / ١٠١٦ - ٤٧٨ / ١٠٨٥)^(١٥٣) ، وإلى تاريخ لفقهاء طليطلة وقضاةها لأبي جعفر أحمد بن عبد الرحمن الأنصاري بن مطاهر (أو المطاهر) المتوفى سنة ٤٨٩ / ١٠٩٥^(١٥٤) ، وإلى كتاب التاريخ الذي صنفه ابن مُدَيْر المتوفى سنة ٤٩٥ / ١١٠١^(١٥٥) ، ورجع كذلك إلى مصنف أبي طالب الرواني (عبد الجبار بن عبد الله بن أحمد بن أصمغ ٤٥٠ / ١٠٥٨ - ٥١٦ / ١١٢٢) المسمى « عيون الإمامة ونواظر السياسة » عن النابيين من أئمة الأندلس وحكامها .

وقد أكل فوات « الصلة » مؤلفون آخرون ، متبعين طريقة ابن بشكوال ، هم : أبو بكر محمد بن عبد الله سفيان بن سيد الله التجيبي (المتوفى سنة ٥٥٨ / ١١٦٢) - وهو من أهل قونكة - بكتابه « مجموع في رجال الأندلس » ، ويوسف

ابن أبي عبد الله بن عبد الله بن سعيد بن أبي زيد اللّرمي (المتوفى سنة ٥٧٥هـ / ١١٧٩) ، وهو من أهل ليريه ويسمى أيضاً أبو عمر بن عياد ، يقول ابن الأبار في ترجمته في التكملة إنه « كان قد شرع في تذييل كتاب ابن بشكوال » ، وأنه « ألف كتاباً في طبقات الفقهاء من عصر ابن عبد البر إلى عصره » . ووضع ابن الزبير كذلك ذبلاً على صلة ابن بشكوال سماه « صلة الصلة » (نشره ليثي بروئنسال سنة ١٩٣٨) ، ووصل كتاب ابن بشكوال أيضاً أبو القاسم بن حبيش (عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن يوسف الأنصاري ٥٠٤ / ١١١١ - ٥٨٤ / ١١٨٨) ، وهو شيخ الضبي وكان في المرية عندما استولى عليها ألفونسو السابع سنة ١١٤٧ . وقد انتفع ابن الأبار بكتاب اقتضب فيه ابن حبيش صلة ابن بشكوال ، [وقال في حقه : « وكان آخر أئمة المحدثين بالمغرب ، والمسلم له في حفظ أغربة الحديث ولغات العرب وتواريتها ورجالها وأيامها ؛ لم يكن أحد من أهل زمانه يجاربه في معرفة رجال الحديث وأخبارهم ومولدهم ووفياتهم »] (١٥٦) .

الضبي ، (أبو جعفر أحمد بن يحيى بن أحمد بن عامرة ، توفي سنة ٥٩٩ / ١٢٠٢) (١٥٧) : يغلب أنه ولد في بلدية بلش Véleza ، ودرس في لورقة ، وطاف بنواح كثيرة من الأندلس وإفريقية ، وأقام زمناً طويلاً في مرسية ، وكان سريع الكتابة حتى لقد نسخ موطأ مالك في ثمانية أيام . وكان محدثاً بارعاً حسن القراءة ، ذا قدرة عظيمة في فهم المتن وشرحها ، وهو مشهور بكتابه « بغية الملتبس في تاريخ رجال الأندلس » (نشره كوديرا وريبيرا سنة ١٨٨٥) ، وهو ذيل على « جذوة الملتبس » للحميدى (ف ٦٦) وتصويب لما وقع فيها من أوهام . وقد وقف الحميدى بتراجمه في الجذوة عند من توفوا سنة ٤٤٩ / ١٠٥٨ ، وفيها — أي في الجذوة — نقص وغلط كثير . وقد وصل الضبي بكتابه إلى عام ١١٩٥ / ٥٩١ ، وهو يضم تراجم — موجزة في الغالب — لمن وفد على الأندلس وأقام بها من المشاركة ، ومعلوماته التي يوردها تتفق في بعض الأحيان مع ما يذكره ابن

بشكوال ، مما يدل على أن مادته التاريخية عظيمة يوثق فيها . وقد أوجز الضبي في فاتحة كتابه تاريخ الأندلس ، وأهم ما في هذا الموجز ما يذكره عن القاضي ابن حدين [محمد بن علي بن حدين « الثائر بقرطبة والمدعوله بأكثر قواعد الأندلس »] ، والمستنصر بن هود ، اللذين حكما قرطبة في سنتي ٥٣٨ و ٥٣٩ / ١١٤٤ و ١١٤٥ (١٥٨) .

ف ٨٦ — ابن الأبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر النضاعي ،

١١٩٨ / ٥٩٤ — ٦٣٥ / ١٢٣٨) :

ربما كان ابن الأبار المؤرخ أكبر مصنف لمعاجم الرجال أطلعه الأندلس ، وأصله من بلنسية . وكان كاتباً لأمرأه الموحدين في الأندلس ، ومنهم أبو زيد بن السيد أبي عبد الله بن السيد أبي حفص بن عبد المؤمن بن علي ، وقد رافقه عندما خرج إلى قلعة أيوب ، إما لسكى يرتد عن الإسلام ويدخل النصرانية ، أو لسكى يتحالف مع جاققة الفاتح Jaime el Conquistador ملك برشلونة على زيّان بن مردانيش الذي خلعه من إمارته . ومهما يكن من الأمر فقد ترك ابن الأبار أبا زيد ودخل في خدمة زيان بن مردانيش ، فجعله كاتباً له . وعندما حاصر البصاري بلنسية ، أرسله ابن مردانيش إلى تونس ليستصرخ أبا زكريا بن حفصون لإنقاذ بلنسية ، « فحضر مجلس السلطان ، وأنشأ قصيدته على روى السين يستصرخه ، فبادر السلطان بإغاثتهم ، وشحن الأساطيل بالمدد إليهم ، من المال والأقوات والكسبي ، فوجدوهم في عسرة الحصار ، إلى أن تغلب الطاغية على بلنسية » (*) .

وبعد أن استغلب القطلانيون بلنسية في سنة ٦٣٣ / ١٢٣٥ ، هاجر ابن الأبار من الأندلس واستقر في تونس ، وحظى عند أبي زكريا ، « ورشحه لكتّاب علامته في صدور رسائله ومكتوباته ، فكتبها مدة . ثم إن السلطان أراد صرفها

(*) القرى : أزهار الرياض (القاهرة ١٩٤٢) - ٣ ، ص ٢٠٥ . والفقرات التي بين أقواس من ترجمة ابن الأبار في نفس المرجع وهي أغنى ما لدينا .

لأبي العباس الغساني — لما كان يحسن كتابتها بالخط المشرق ، وكان آثر عنده من المغربي — فسخط ابن الأبار أنفةً من إيثار غيره عليه ، وافقت على السلطان في وضعها في كتاب أمر بإنشائه — لقصور الترسيل يومئذ في الحضرة عليه — وأن يُبقي موضع العلامة منه لكتابتها ، فجاهر بالرد ، ووضعها استبداداً وأنفةً ، وعوتب على ذلك فاستشاط غضباً ورمى بالقلم وأنشد متمثلاً :

اطلب العز في لظى وذو الذل ولو كان في جنان الخلود

فنى ذلك إلى السلطان فأمر بلزومه بيته ، ثم استعتب السلطان بتأليف رقعة إليه عد فيها من عوتب من الكتاب وأعتب وسماه « إعتاب الكتاب » ، أى من شملهم عفواً أمرائهم بعد غضب ومحنة^(١٥٩) .

وعفا عنه أبو زكريا وأطلق سراحه ، فلما مات أبو زكريا وخلفه المستنصر رفع من شأنه وأحظاه واتخذه وزيراً . بيد أن طموح ابن الأبار ونزوعه إلى الاستبداد برأيه أرقماه في البلاء من جديد ، وأضرت به سعيات خصومه — ومنهم الغساني — فكان في ذلك حنفة ، إذ اتهم بالاشتراك في التدبير على الأمير ، ووجد في أوراقه بيت من شعره يقول فيه :

طغا بتونس خلفٌ سموه ظلماً خليفة

فخق عليه المستنصر « وأمر بامتحانه ثم قتله ، فقتل طعنا بالرمح وسط محرم سنة ثمان وخمسين ، يعنى وستائة ، ثم أحرق شلوه وسيقت مجلدات كتبه وأوراق سمائه ودواوينه وأحرقته معه » (*).

ومن مؤلفاته التاريخية الهامة كتاب « الحلة السَّيِّءة » ، وهو مجموع من تراجم الأسماء [والكبراء]^(١٦٠) الذين نظموا القريض ، مع نماذج من ثمرات قرائحهم

(*) المقرئ : أزهار ، ٣٨ ، ص ٢٠٦ — ٢٠٧ .

(١٦٠) الزيادة هنا من كلام دوزي في القطعة التي نشرها من الحلة ، والمؤلف هنا يأخذ عنه .

(مخطوط في مكتبة الإسكوريال ، ونشر أجزاء منه دوزي ومولر) . وقد قال دوزي في حقه : « وإنني لأقرر دون أى مبالغة ، وفي صراحة وبساطة ، أنه كتاب عظيم القيمة . فهو يضم قدراً لا يحصى من المعلومات عن شتى الموضوعات ، ويصور تاريخ المغرب والأندلس على نحو يدعو إلى الإعجاب ، وهو يفرد بكثير مما يحدثنا به فلا نظير له في موضع آخر » (١٦٠) .

وقد خلف لنا ابن الأبار معجم تراجم آخر ، هو « المعجم في أصحاب القاضى الإمام أبى على الصدفى بن سكرة » ، طبعه كوديرا في سنة ١٨٨٤ ؛ وكتاب « التكلة » لصلوة ابن بشكوال (نشره كوديرا في سنتي ١٨٨٨ — ١٨٨٩ ، ونشر الأركون وجندالذ بالثيا قطعة أخرى منه في سنة ١٩١٥ ، ونشر ألفريد بل ومحمد بن شنب قطعة ثالثة منه في سنة ١٩٢٠) .

وإلى جانب « إعتاب الكتاب » الذى ذكرناه ، وضع ابن الأبار كتاباً شبيهاً به هو « تحفة القادم » (مخطوط بمكتبة الإسكوريال ونشر في مجلة المشرق) (١٦١) ، ألفه على نهج كتاب التاريخ الذى وضعه صفوان بن إدريس . وتشير الكتب إلى مؤلفات أخرى له لا نجد لها بين أيدينا ، ولا نستغرب ضياعها ، إذ أن كتبه ومصنفاته — وعددها قرابة الخمسة والأربعين — أحرقت في نفس الموضع الذى امتحن وقتل فيه .

ورأى النقاد المحدثين جميعاً حسن في تأليف ابن الأبار ، وهم يؤيدون دوزي في قوله : « إن ذلك المؤرخ الصادق كان يؤلف وتحت يده وثائق على أكبر جانب من الأهمية ، وهو يمتاز بملسكة نقادة صحيحة قوية ، ويمتاز إلى جانب ذلك بمعاطفة جياشة تذكرونا بفحولة العرب القدماء ، وأسلوبهم فى الحياة والإحساس ، وهو شئ نادر بين معاصريه من المصنفين » (١٦٢) .

وقد اعتمد ابن الأبار فى تصنيف تواليفه على مؤلفين كثيرين ذكر بعضهم فى كتاباته : منهم ابن حبيش (٥١٨ — ٥٨٤ / ١١٢٥ — ١١٨٩) قاضى إستجة

وكان محدثاً نابهاً (وقد ذكرناه) ، وعبد الله بن سفيان التميمي (المتوفى سنة ١١٤٩/٦٠٢ - ١٢٠٦) ، وأبو عمر بن عياد الكري (١١٩٣/٥٨٩) ، الذي سبقت الإشارة إليه ، وينسب إليه معجم أعلام صنفة في شيوخ أبيه ، وفيه غلط كثير ، وأحمد بن هارون النفزي (١١٤٧/٦٠٨ - ١٢١٢) من أهل شاطبة ، وكان تلميذاً لابن حُيَيش واشتهر بذاكرة عجيبة ، وكان بارعاً في الحديث والفقه ، وكانت حياته مضرب المثل في الزهد ، وله كتاب في قضاة بلده وقضاة الأندلس ، ومحمد بن عبد الرحمن بن علي بن محمد بن سليمان التميمي (٥٣٩ - ١١٤٥/٦٠٩) من أهل لَقَنْتْ (عمل مرسية ، وسكن أبوه أوريولة) ، وقد طاف بنواحي إفريقية والمشرق ، ويقول ابن الأبار إنه « جمع في أسماء شيوخته على حروف المعجم تأليفاً مفيداً أكثر فيه من الآثار والحكايات والأخبار ، ووقع إلى بخطه في سنة ٦٤٠ [١٢٤٢/] في تونس ، فكتبته على الانتخاب والاقتضاب ، وضمنت هذا الكتاب [التكملة] منه ما نسبته إليه » (*).

وأخذ ابن الأبار كذلك عن ابني حوط الله - أبي محمد وأبي سليمان - وكاننا محدثين ، وأبي العباس أحمد بن عيشون (ف ٨٨) ، وأبي القاسم محمد بن عامر ابن فرقد (٥٦٢ - ١١٦٧/٦٢٦ - ١٢٢٩) تلميذ ابن رشد وابن قزمان ، وابن الطليسان (أبي القاسم قاسم بن محمد الأوشى ، ٥٧٥ - ٦٤٢ أو ٦٤٣/١١٧٩ - ١٢٤٤ أو ١٢٤٥) وله تواليف في التاريخ وفي سير الصالحين والزهاد ، والطراز النرناطي (أبي عبد الله محمد بن سعيد بن علي الأنصاري ، ٥٥٨ - ٦٤٥/١١٦٢ - ١٢٧٧) الذي درس في المشرق ، وقد قال ابن الأبار في ترجمته : « وله فهرسة مشتملة على أسماء شيوخته وما روى عنهم ، وقعت إلى بتونس وكتبت منها » (**)(١٦٣).

(*) ابن الأبار : التكملة ، رقم ٩١٩ .

(**) ابن الأبار : التكملة ، رقم ١٠٣٢ .

ف ٨٧ — ابن خمير :

ومن بين فهارس الكتب (التي كان الواحد منها يعرف بالفهرست أو البرنامج وما إلى ذلك ، وقد كثرت تأليفها وتداولها بين الأندلسيين) نذكر فهرست أبي بكر ابن خير (محمد بن خير بن عمر بن خليفة ، ٥٠٢ — ١١٠٨/٥٧٥ — ١١٧٩) . وهو إشبيلي ، وكان واسع العلم بالحديث والنحو والأدب وأسماء الكتب ، وكان أستاذ عصره . قال ابن الأبار : « وكان من الأكفاء في تقييد الآثار والعناية بتحصيل الرواية ، بحيث يأخذ عن أصحابه الذين شاركهم في السماع من شيوخه ، وعددٌ من سمع منه أو كتب منه نيف ومائة رجل ، قد احتوى على أسماءهم برنامج له ضخمة في غاية الاحتفال والإفادة ، لا يُعلم لأحد من طبقة مثله ؛ وقد كتبت منه في هذا التصنيف ما نسبته إليه . وقال جابر بن أحمد القرشي : كتب إلى — يعني ابن خير — يخبرني أن فهرسته عشرة أجزاء ، كل جزء منها ثلاثون ورقة ؛ وولى الصلاة بجامع قرطبة الأعظم . ولدينا من مؤلفاته الكتاب المسمى « بفهرسة ابن خير » (نشره كوديرا وريبيرا في سنة ١٨٩٥) ، وهو يضم أسامي كل ما قرأه من الكتب في شتى العلوم ، وأسماء شيوخه الذين درس عليهم وأجازوه ، مرتبين حسب النواحي : إشبيلية وقرطبة والمرية ومالقة والجزيرة الخضراء وغيرها من البلاد . وأهميته تتجلى في ذلك العدد العظيم من الكتب التي ذكرها ، والمؤلفين الذين أثبت أسماءهم ، مما لا نجد في غيره من المراجع ^(١٦٤) .

٨٨ — معاجم التراجم الخاصة : الفاضل عياض . ابن رهيبة :

ومن معاجم الرجال الأندلسية ما يُقصر على صنف واحد من الأعلام ، ومن فهارس الكتب ما يختص بفرع معين من العلوم أو الآداب . ومن الطراز الأول ما ألفه أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن الصقر الأنصاري الخزرجي (٥٠٢ — ٥٥٩ / ١١٠٨ — ١١٦٣) من أهل المرية ، وكان حافظا محدثا فقيها بارعا في علوم الدين ،

وقد تولى قضاء غرناطة وإشبيلية ، وله كتاب في سير زهاد الأندلس وصالحها عنوانه « أنوار الأفكار فيمن دخل جزيرة الأندلس من الزهاد والأبرار » ؛ ومن أصحاب هذا الطراز من المجامع أبو عمر محمد بن أبي بكر بن يوسف بن عَفِيون الشاطبي (ويكنى أيضاً أبا عبد الله ، ٥١٨ — ١١٢٤/٥٨٤ — ١١٨٨) من أهل شاطبة ، وقد جمع شعر أبي الحسين بن جبير في ديوان ، وصنف كتاباً في أخبار الزهاد والعباد^(١٦٥) ، وكتاباً آخر عن عجائب البحر^(١٦٦) ؛ وأبو القاسم بن الطليسان (٥٧٥ — ٦٤٢ أو ٦٤٣/١١٧٩ — ١٢٤٤ أو ١٢٤٥) ، وله كتب في المناقب مثل « زهر البساتين ونفحات الرياحين » ، ورسائل أخرى عن الصالحين والزهاد من أهل الجزيرة مثل « غرائب أخبار المستندين ومناقب آثار المهتدين » ، و « تاريخ صلحاء الأندلس » ويسمى أيضاً « كتاب في أخبار الصالحين بالأندلس » ، وله كتاب « أخبار القرطبيين والتبیین عن مناقب من عُرف بقرطبة من التابعين والعلماء الصالحين » ؛ وأبو بكر محمد بن محمد بن الحكيم اللخمي (٦٦٥ — ٧٤٩/١٢٦٦ — ١٣٤٩) الذي جمع قطعاً من الشعر في كتابه المسمى « الفوائد المنتخبة والفرائد المستعذبة » ، ضمنه معلومات أدبية وأطرافاً من سير المتصوفة في الأندلس ، وأكمل التاريخ المسمى « بميزان العمل » لابن رشيق ؛ وابن جماعة الكفائي (المتوفى في القاهرة حوالي سنة ٧٣٥/١٣٣٤) وله معجم في تراجم النبوية ، وهي فرقة سنية كانت تساجل الرافضة^(١٦٧) ؛ وأبو عمرو بن محمد بن عيشون بن عمر بن صباح اللخمي (٥٣٨ — ٦١٤/١١٤٣ — ١٢١٧) من أهل سوسة ، يقول في حقه ابن الأبار : « وكان يعمد الشروط ويبصرها ، ويحيد فك المعنى [منها] ، ويقرض أبيانا من الشعر ، وله تقييد مفيد في الوفيات اعتمدت عليه في هذا الكتاب (التكملة) » . وألف كذلك كتاباً في « تاريخ الكتاب الأندلسيين » ، وهو موضوع طرقة قبله الأقسطين^(١٦٨) — (أوغسطين) أبو عبد الله محمد بن موسى ابن يزيد كما أورد اسمه ابن القرظي ، وعاصم بن محمد عند المقرئ — وسكّن

ابن سعيد^(١٦٦) الإخباري (في اسمه خلاف) المتوفى سنة ٤٥٧/١٠٦٦ .
 أما القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي (شعبان ٤٧٦ /
 ديسمبر ١٠٨٣ — جمادى الثانية ٥٤٤ / أكتوبر ١١٤٩) فموطن قومه
 بسطة Baza ، وقد ولد في سبتة ودرس في قرطبة حيث طاب له العيش ، كما ينم
 على ذلك قوله عند ارتحاله عنها :

رعى الله جيراننا بقرطبة العلى وجاد رباها بالعهاد السواكب
 وحي زمانا بينهم قد ألفتهم طليق الحيا مستلان الجوانب
 أخواننا ، بالله فيها تذكروا معاهد جار أو مودة صاحب
 غدوت بهم من برهم واحتفائهم كأنى في أهلى وبين أقاربي^(*)

وكان من أصحابه في الطلب أبو محمد بن عتاب ، وأبو الوليد بن رشد (الجدل) ،
 وكثيرون غيرهما . وقد امتاز عياض بعلم واسع بالتاريخ وأنساب العرب والنحو
 واللغة والصرف والحديث ، وكانت بينه وبين ابن العريف ، عالم المرية وصوفيا ،
 محبة ومكانات . ومن بين مؤلفاته تاريخ لعلماء قرطبة يسمى « أخبار القرطبيين » ،
 وتأليف في تاريخ بلده سبتة يسمى « العيون (أو الغنون) الستة في أخبار سبتة » ،
 وله أيضاً « ترتيب المدارك في معرفة أصحاب مالك » ، وفيه أخبار عن الكثيرين
 من فقهاء المغرب والأندلس وعلماهما (ف ١٢٠) . وقد وضع المقرئ كتابا حافلا
 عن عياض ، أشبه بموسوعة أدبية تاريخية أندلسية ، هو « أزهار الرياض في
 أخبار عياض » (القاهرة ١٩٣٩ — ١٩٤٢)^(*) ، كما وضع في سيرة النبي صلى
 الله عليه وسلم كتابا يحمله المسلمون إجلالا عظيما ، هو « كتاب الشفا بتعريف
 حقوق المصطفى »^(١٧٠) .

وكان أبو الخطاب بن دحية (ولد بين سنتي ٥٤٢ و ٥٤٨ / ١١٤٧ و ١١٥٣)

(*) المقرئ : نصح ، ١ - ، ص ٣٠٨ . وقد اكتفى المؤلف بالإشارة إلى الآيات ،
 فأنيت هنا بنصها .

(:) عدلت عبارة المؤلف هنا بعض الشيء .

في بلنسية وتوفي سنة ٦٣٣/١٢٣٥ في القاهرة) قد تولى قضاء دائية ، ثم «صُرف من ذلك لسيرة نُعِيَتْ عليه» ، ثم رحل إلى سراكش وألم ببجاية وتونس ومكة والشام والعراق ، ووصل إلى فارس وخراسان ، ثم نزل إزبيل ، واستقر به المطاف آخر الأمر في مصر ، حيث عهد إليه السلطان العادل الأيوبي في تأديب ولده الكامل ، وأنشأ له «مدرسة الحديث الكاملية» ليقرئ الحديث فيها . وقد كان ابن دحية واحداً من أولئك العلماء الذين نشروا علم أهل الأندلس في المشرق فردوا بذلك دين الأندلس للمشاركة في هذه الناحية .

ألف ابن دحية «كتاب النبراس في ذكر خلفاء بني العباس» (نشر في بغداد سنة ١٩٤٩) ، وهو من الكتب التي اعتمد عليها ابن خلكان ، ووضع مصنفين في الحديث ، وكتابتا عن شعراء الأندلس والمغرب هو «المطرب من أشعار أهل المغرب» (مخطوط بالمتحف البريطاني) ، يروى فيه الأخبار والأشعار دون منهج كما تواردت على خاطره ، [ويقول : «لم أقصد جمع ذلك على الترتيب ، ولا سلكت فيه مسلكي المهود في التهويب والتهذيب ، بل استرسلت فيه مع الخاطر على ما يجود به ويسمح ، ويعن له ويسنح ، فالناظر فيه يسرح في بساتين ويمرح في ميادين ، ويخرج من فن إلى فنون ، والحديث ذو شجون»] (*) ؛ إذ أنه كان قد خلف معظم كتبه في المغرب ؛ وسطا عليه لصوص البحر في الطريق ونهبوا ما بقي له منها ، وعلى رغم ذلك كله فإن كتابه حافل بالفوائد ، (مثال ذلك أخبار سفارة يحيى الغزال إلى بلاد النورمانيين) . هذا وله كذلك كتاب طريف عنوانه «كتاب الإعلام للمبين في المفاضلة بين أهل صنفين» (١٧١) .

وانصرف كذلك إلى التأليف في طبقات الحديثين أبو محمد قاسم بن محمد بن يوسف علم الدين البرزالي (٦٦٥ - ١٢٦٦/٧٣٨ - ١٣٣٧) وهو من إشبيلية ، وقد اشتغل بتدريس الحديث في إحدى مدارس دمشق ، وقد وصل كتاب

(*) المطرب ، ورقة ٤ ب من المخطوط .

« تاريخ دمشق » لابن عساكر بقطعة بلغ بها إلى حوادث سنة ١٣٣٧/٧٣٨ .
وله « معجم » في شيوخه .

وجدير بالذكر كذلك أبو القاسم محمد بن عبد الواحد بن إبراهيم بن مُقَرَّج
المعروف بالملّاحي (٥٤٨ - ٦١٨/١١٥٤ - ١٢٢٢) ، صاحب « تاريخ علماء
إلبيرة » ، وتاريخ آخر لعلماء غرناطة ، وكتاب في أنساب أم العرب والعجم سماه
« بالشجرة » (١٧٢) .

(ح) تاريخ الأدب

الطلائع الأولى لهذا الفن : عبد الله بن مغيث ، ابن فرج الجياني ومن
إليهما ، ابن بسام ، ابن خاقان ، الشقندي ، ابن الخطيب ، المقرئ .

أزهر التأليف في تاريخ الأدب في الأندلس إزهاراً عظيماً مرده إلى ما طبع
عليه الأندلسيون من ولع بالشعر .

وتحدثنا المراجع عن ظهور مؤلفات خاصة بالشعراء وسيرهم في أوائل القرن
(الرابع الهجري) العاشر الميلادي ، ومثال ذلك ما كتبه عثمان بن ربيع الرواني
وعبد الله بن مغيث وابن فرج الجياني من مؤلفات ضاع معظمها ، ولم يبق لنا من
مادتها إلا أطراف نجدتها في كتابات ابن خاقان وابن بسام وابن حزم والشقندي
وابن الخطيب والمقرئ .

ف ٨٩ — طرويع المؤلفات في تاريخ الأدب :

ومن أقدم النقاد الذين عنوا بالتصنيف في تاريخ الأدب ، عثمان بن ربيعة
الأندلسي من أهل قرطبة (المتوفى حوالي سنة ٩٢٢/٣١٠) ، فقد وضع مصنفاً
في « طبقات الشعراء بالأندلس » ولدينا منه نسخة مخطوطة في فاس (١٧٣) ، وابن
أبي الفتح (قاسم بن نصير بن رقاد بن عيشون من أهل شدونة ، يكنى أياً محمداً) ،
« وكان فقيهاً حافظاً للرأى ومحوياً لغوياً وشاعراً متقدماً ، وكان خطيب أهل

قلسانة وصاحب صلاتهم ، وكان في الشعر سابقاً لا يشق غباره ولا يقرب ميدانه ،
 وتمحلى عن الدنيا في آخر عمره وصار في هيئة الأبدال ، وأكث شعره في الزهد وذم
 الدنيا وفي شواهد الحكم والتذكير والوعظ ، وله ديوان شعر كتبتُ بهضه بشذونة
 وقد كتبتُ له أشعاراً من كتابه المؤلف في الشعراء من الفقهاء بالأندلس» (*) ،
 واشتغل إلى جانب ذلك بتصنيف «ديوان» من شعر فقهاء الأندلس . ومن
 أوائل مؤرخى الأدب الأندلسيين كذلك محمد بن هشام بن عبد العزيز بن سعيد
 الخير الروانى (المتوفى سنة ٣٤٠/٩٥١) ، وكان خطيباً شاعراً ، وقد عرض عليه
 الخليفة الناصر أن يكون مؤدياً لأولاده فأبى من ذلك ، وكان من أصحاب الحكم
 المستنصر قبل أن يلى الخلافة ، وله كتاب في «أخبار الشعراء بالأندلس» (١٧٤) .
 ومنهم عبد الله بن محمد بن مغيث بن عبد الله الأنصارى (المتوفى سنة ٣٥٢/٩٦٣)
 من أهل قرطبة ، وهو والد قاضى الجماعة أبى الوليد يونس بن عبد الله بن الصفار ،
 وكان عظيم المكانة لدى الحكم المستنصر . وعند ما خرج الحكم للجزو فى
 سنة ٣٥٢/٩٦٣ اعتذر ابن مغيث من عدم الخروج معه لاعتلال صحته ، فأجابته
 الحكم إلى ما طلب من البقاء فى قرطبة ، وشرط عليه أن يصنف كتاباً فى «شعر
 الخلفاء من بنى أمية» على نهج كتاب «الأوراق» للصولى فى شعر بنى العباس ،
 وأذن له فى أن يقيم فى قصر الخلافة فى ناحية مظلة على النهر ، فأبجز الكتاب
 ريثما فرغ الحكم من الغزاة وتلقاه به فى طليطلة ، وتوفى فى نفس العام .

وعنى بهذا الفن من التأليف كذلك مطرّف بن عيسى بن ليلى بن محمد بن
 مطرف النسانى (المتوفى سنة ٣٧٧/٩٨٧) ، من أهل البيرة وسكن غرناطة ،
 وكان صاحب رحلات وأسفار وحج إلى مكة ، وألف للخليفة الحكم المستنصر
 كتاباً أسماه «المعارف فى أخبار كورة البيرة وأهلها وفوايدها وأقاليها وغير ذلك
 من منافعها» ، وهو كتاب ممتع جداً — كما يقول ابن بشكوال فى الصلة .

(*) ابن الفرضى : علماء ، رقم ١٠٦٧ .

ابن فرج الجبائي : أودعه الحكم المستنصر السجن لأمر نقمه عليه ، فمضى
 ينظم الشعر في محبته حتى مات في الحبس سنة ٩٧٠/٣٥٩ . وقد سبق ابن بسام
 صاحب « الذخيرة » بكتابه « الحدائق » في التأليف في هذا الفن ؛ وقد ضاع
 كتاب الحدائق ، وكان يضم أخبار معاصريه من الشعراء حتى القرن الرابع الهجري .
 [وقد قال الحميدي عن كتاب الحدائق : « ألّفه للحكم المستنصر ، وعارض فيه
 كتاب « الزهرة » لأبي بكر محمد بن داود بن علي الأصبهاني ، إلا أن أبا بكر
 إنما ذكر مائة باب ، في كل باب مائة بيت ، وأبو عمر أورد مائتي باب ، في
 كل باب مائتي بيت ليس منها باب تكرر اسمه لأبي بكر ، ولم يورد فيه لغير
 أندلسي شيئاً . قال لنا أبو بكر محمد بن علي بن أحمد : وأحسن الاختيار ماشاء ،
 وأجاد فبلغ الغاية ، فأتى الكتاب فرداً في معناه » .

وَألف في ذلك الباب نفر أقل شهرة ممن ذكرناهم ، مثل علي بن عبد المحسن
 القنوجي (المتوفى سنة ٩٩٤/٣٨٤) ، وهو إشبيلي وضع مجموعاً من تراجم الشعراء
 والغويين وأهل السياسة (يوجد مخطوطاً بمكتبة الإسكوريال) عنوانه « المستجد
 من فعات الأجداد » ؛ وأبي بكر عبادة بن عبد الله بن محمد بن عبادة بن
 أفلح الأنصاري الخزرجي بن ماء السماء (المتوفى سنة ١٠٣١/٤١٩) ، أخذ عن
 أبي بكر الزبيدي وكان شاعراً مجيداً ، [يصنفه ابن بسام بأنه كان في عصره
 شيخ الصناعة وإمام الجماعة] ، وله كتاب في « أخبار شعراء الأندلس » أثنى
 عليه ابن حزم ؛ وأبي الوليد إسماعيل بن محمد بن عامر بن حبيب الإشبيلي (المتوفى
 حوالي سنة ١٠٤٨/٤٤٠) ، وقد قال ابن بسام إن له كتاباً جمع فيه أشعار أهل
 الأندلس خاصة ، وهو صاحب كتاب « البديع في وصف الربيع » (نشره هنري
 بريس في باريس سنة ١٩٤٠) .

ف ٩٠ : أبو الحسن علي بن بسام السنتريسي (توفي حوالي سنة ٥٤١

— ٥٤٢/١١٤٧ — ١١٤٨) :

من أهل سنترين في البرتغال الحالية ، نشأ في بيت مجتهد وحسب ، ورحل إلى أشبونة سنة ٤٧٧/١٠٨٤ ؛ ووفد على قرطبة للمرة الأولى سنة ٤٩٤/١١٠٠ مخلفاً وراءه ما ملكت يده في بلده الذي انتهبه النصاري ، وقد وصف خروجه من بلده مقهوراً بقوله في قائمته « الذخيرة » :

« وعلم الله تعالى أن هذا الكتاب لم يصدر إلا عن صدر مكلوم الأحناء ، وفكر خامد الذكاء ، بين دهر متلون تلون الحرباء ، لانتباضي من سنترين قاصية الغرب ، مفلول الغرب ، صروع السرب ، بعد أن استنفد الطريف والتلاد ، وأتى على الظاهر والباطن النقاد ، بتواتر طوائف الروم علينا في عمر ذلك الإقليم . وقد كنا غنيا هنالك بكرم الانتساب ، عن سوء الاكتساب ، واجترأنا بمذخور العتاد ، عن التقاب في البلاد ، إلى أن نثر علينا الروم ذلك النظام ، ولو ترك القطا ليلا للنام . وحين اشتد الهول هنالك ، اقتحمت بمن معي المسالك ، على مهامه تكذب فيها العين الأذن ، وتُسْتَشعر فيها المحن :

مهامه لم تصحب بها الذئب نفسه ولا حملت فيها الغراب قوادمه حتى خلصت خلوص الزبرقان من سراره ، وفزت فوز القِدْح عند قِمَارِهِ ، فوصلت حمص بنفس قد تقطعت شعاعا ، وذهب أكثرها التياغا ، وليتني عشت منها بالذي فضلا افتقرت بها سنوات أتبوا منها ظلّ النمامة ، وأعيأ بالتحول عنها عي الحمائم ، ولا أنس إلا الانفراد ؛ ولا تبلى إلا بفضلة الزاد ، والأدب بها أقل من الوفاء ، حامله أضيع من قر الشتهاء ، وقيمة كل أحد ماله ، وأسوأ كل بلد جهاله ، حسب المرء أن يسلم وفره ، وإن نُلم قَدْرُهُ ، وأن تكثر فضته وذهبه ، وإن قل دينه وحسبه .

وقد صنف ابن بسام كتابه المشهور في سنة ٥٠٢/١١٠٩ في إشبيلية ، حيث استقر وعاش من قلعه ، ومضى يدبج التراجم ويكيل المديح لمن يجزيه عنه بالمال ، وكان ذلك أمراً شائعاً صنعه ابن خاقان أيضاً . ويرى دوزي أن ما كان ابن بسام يصيبه من المال من أولئك السروات يشبه الأتعاب التي يتقاضاها المؤلفون اليوم من الناشرين .

وقد صنف ابن بسام كتباً كثيرة لم يبق الدهر على بعضها ، مثل « كتاب الاعتماد على ما صح من أشعار المعتمد بن عباد » ، ومجموعاً من شعر عبد الجليل ابن وهبون عنوانه « كتاب الإكليل المشتمل على ذكر عبد الجليل » ، ومجموعاً من رسائل ابن طاهر صاحب مرسية هو « سلك الجواهر في ترسيل ابن طاهر » ، وديوان شعر الوزير أبي بكر بن عمار صاحب المعتمد : « تحية الاختيار من أشعار ذى الوزارتين أبي بكر بن عمار » ، ومجموعاً من شعر المهجاء الذي قاله ابن بسام نفسه مما لم يُدعه في الناس .

بيد أن الكتاب الذي أذاع اسم ابن بسام ووصل إلينا هو « الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة » ، وقد قسمه إلى أربعة أقسام :

القسم الأول : (مخطوط في المكتبة الأهلية في باريس ونشر في مجلدين في القاهرة ١٩٣٩ — ١٩٤٢) ، « لأهل حضرة قرطبة وما يصاحبها من بلاد متوسطة الأندلس » .

والقسم الثاني : (مخطوط بمكتبة أكسفورد ومكتبة المجمع التاريخي في مدريد) ، « لأهل الجانب الغربي من الأندلس ، وذكر حضرة إشبيلية وما اتصل بها من بلاد ساحل البحر المحيط الرومي » .

والثالث : (مخطوط بمكتبتي جوتا والمجمع التاريخي الإسباني بمدريد) ، « لأهل الجانب الشرقي من الأندلس ، ومن نجم من كواكب العصر في أفق ذلك الثغر الأطلى إلى منتهى كلمة الإسلام هنالك » .

والرابع : (مخطوط يملكه الأستاذ ليثي بروفنسال ونشر الجزء الأول منه في القاهرة سنة ١٩٤٥) ، « أفردته لمن طرأ على هذه الجزيرة في المدة المؤرخة من أديب وشاعر ، وأوى إلى ظلها من كاتب ماهر ، واتسع فيها مجاله ، وحفظت في ملوكها أقواله ، ووصلت بهم ذِكْر طائفة من مشهورى أهل تلك الآفاق ، ممن نجم في عصرنا بإفريقية والشام والعراق » ، كما يقول ابن بسام .

ولم يرتب ابن بسام تراجمه على حسب السنين إلا في الجزء الخاص ببطايوس وما يصاقبها ، وإنما رتبها حسب مكانة المترجم في رأى ابن بسام . وهو يبدأ عادةً بترجمة العلم المراد مرسلته في نثر بديع مسجوع ، ثم يذكر مؤلفات من يترجم له ويطرى مواهبه الأدبية ، ثم يورد مقتطفات من شعره ونثره .

ويذكر ابن بسام في فاتحة كتابه دافعه إلى تصنيف الذخيرة ، وهو الرغبة في التعريف بأهل الأدب الأندلسيين ، إذ أنه رأى الناس يغمطون قدرهم ، فيقول : « وما زال في أفقنا هذا الأندلسي القصي إلى وقتنا هذا من فرسان الفنين ، وأئمة النوعين ، قوم هم مامم طيب مكاسر ، وصفاء جواهر ، وعذوبة موارد ومصادر ، لعبوا بأطراف الكلام المشقق ، لعب الدجى بجفون المورق ، وحدوا بنفون السحر المنمق ، حذاء الأعشى بينات الحلق ، فصبوا على قوالب النجوم ، غرائب النثور والمنظوم ، وباهوا غير الضحى والأصائل ، بعجائب الأشعار والرسائل : نثر لورآه البديع لنسى اسمه ، أو اجتلاه ابن هلال لولاه حكمته ، ونظم لوسمه كُتِبَ أنسب ولا مدح ، أو تتبعه جرّول ماعوى ولا نبيح . إلا أن أهل هذا الأفق أبو . . . تابعة أهل المشرق : يرجعون إلى أخبارهم المعتادة ، رجوع الحديث إلى قتادة ، حتى لونهق بتلك الآفاق غراب ، أو طن بأقصى الشام والعراق ذباب ، لجثوا على هذا صنما ، وتلوا ذلك كتابا محكما ؛ وأخبارهم الباهرة ، وأشعارهم السائرة ، لا بها جنان ولا خلد ، ولا يُصرف فيها لسان ولا يد . ففاظى منهم ذلك ، وأنت مما هنالك ، وأخذت نفسى بجمع ما وجدت من حسنات

دهرى ، وتتبع محاسن أهل بلدى وعصرى ، غيرةً لهذا الأفق الغريب أن تعود
 بُدوره أهلةً ، وتصيح بحاره ثَمادًا مضمحلة ، مع كثرة أدبائه ، ووفور علمائه ،
 وقديما ضيعوا العلم وأهله ، ويارب محسن مات إحسانه قبله وليت شعرى ...
 من قَصَرَ العلم على بعض الزمان ، وخصَّ أهل المشرق بالإحسان ١٩ .

ثم يذكر بعد ذلك السبب الذى جعله يترك ذكر ما قال الأندلسيون من
 الشعر فى عصور بنى أمية والنصور ، وهو أنه لم يشأ أن يعيد ما أورده ابن فرج
 الجياني فى « كتاب الحدائق » الذى ضامى به « كتاب الزهرة » لابن داود
 الأصفهاني ، ولهذا قصر كتابه على أهل زمانه ممن رآه بنفسه أو عرفه معاصروه ،
 [ويقول :

« فأضربت أنا عما ألف ، ولم أعرض لشيء مما صنف . ولا تهديت أهل
 عصرى ، ممن شاهدته بعمرى ، أو لحقه بعض أهل دهري ؛ إذ كل مرددٍ ثقيل ،
 وكل متكرر مملول ، وقد تجت الأسماع : « يادار ميةً بالعلياء فالسند » ، وملت
 الطباع : « لخولة أطلال بيرة شهيد » ، ونحت : « قفا نبتك » فى يد
 المعلمين ، ورجعت على ابن حُجْر بلائمة المتكلمين ؛ فأما « أين أم أوفى » ،
 فعلى آثار من ذهب العفا . أما أن أن يصم صداها ، ويُسام مداها ؟ وكم من نكفة
 أغفلتها الخطباء ، ورُبَّ متردم غادرته الشعراء ؛ والإحسان غير محصور ، وليس
 الفضل على زمن بمقصور ، وعزيز على الفضل أن يُفكر ، تقدم به الزمان
 أو تأخر . ولحى الله قولم : الفضل للمتقدم ا فكم دفن من إحسان ، وأخل من
 فلان ا ولو اقتصر المتأخرون على كتب المتقدمين ، لضاع علم كثير ، وذهب
 أدب عزيز » . [

ثم يعتذر عما عساه أن يكون قد أغفله أو سها عن ذكره فى كتابه بالظروف
 الخاصة التى أُلِّفه فيها ، ثم إن الأوراق والكتب التى كان يعتمد عليها كانت حافلة
 بالأخطاء مما كان يكلمه عناء بالغا فى البحث والتنقيب ، وهو يقول :

« ولعل بعض من يتصفحہ سيقول : إني أغفقت كثيرا وذكرت خاملا وتركت مشهوراً . وعلى ريشه ، فإنما جمعته بين صعب قد ذل ، وغرب قد فُلّ ، ونشاط قد قل ، وشباب ودع فاستقل ، من تفاريق كالتقرون الخالية ، وتعاليق كالأطلال البالية ، بخط جهال كخطوط الراح ، أو مدارج النمل بين مهاب الرياح ، ضبطهم تصحيف ، ووضعهم تبديل وتحرير ، أيأسُ الناس منها طالبها ، وأشدُّهم استرابةً بها كاتبها ، ففتحت أنا أفتالها ، وفضضت قيودها وأغللها ، فأضحت غايات تبيين وبيان ، ووضّحت آيات حسن وإحسان . »

[ويقول في موضع آخر :

« ولكني بما أقدمت عليه ، وتصديت إليه ، كالنسيم دل على الصبح ، والسهم ناب عن الرمح ، ولا أقول إني أغربت ، لكن ربما بينت وأعربت ، ولا أدعي أنني اخترعت ، ولكني لعلي قد أحسنت حيث اتبعت ، وأتقنت ما جمعت ، وتألفت عن الشارد ، وأغنيت عن الغائب بالشاهد ، وتغللت بقارئة بين النظم والنثر ، تغفل الماء أثناء النور والزهر ، وانتقلت من الجد إلى الهزل ، انتقل الضحيان من الشمس إلى الظل ، واستراحة البهيم من الحزن إلى السهل ، وتخلت ما ضمته من الرسائل والأشعار ، بما اتصلت به أو قيلت فيه من الوقائع والأخبار ، واعتمدت المائة الخامسة من الهجرة فشرحت بعض محنها ، وجلوت وجوه فتنها ، ونحصت القول بين قبيحها وحسنها ، وأحصيت علل استيلاء طوائف الروم على الإقليم ، وألمت بالأسباب التي دعت ملوكها إلى خلعهم ، واجتثاث أصلهم وفرعهم ، وعبرت عن أكثر ذلك ، بلفظ يتتبع الهم بين الجوانح ، ويحل المصم سهل الأباطح ، وعولت في ذلك على تاريخ أبي سروان بن حيان ، فأوردت فصوله ، ونقلت جملة تفاصيله ، فإذا أعوزني كلامه ، وعزني سرده ونظامه ، عكفت على طلي البائد ، وضربت في حديدى البارد ، على حفظ قد تشعب ، وحظ من الدنيا قد ذهب .]

وقد وضع ابن ممانى (٤٥١ - ١١٤٧/٦٠٥ - ١٢٠٩) مختصراً لذخيرة ابن بسام .

وقد كانت الذخيرة - قبل البدء في نشرها بزمن طويل - من المراجع التي انتفع بها دوزى انتفاعاً عظيماً في بحوثه الكثيرة عن الأندلس وأهلها ، كما يرى بوضوح في كتابه المسمى « أقوال كتاب العرب في بني عباد » (*) (١٧٥) وفي « أبحاثه » المعروفة ، ومن هذا الكتاب الأخير نقتطف القطعة التي نوردتها فيما يلي (نقلاً عن الطبعة الثانية « للأبحاث » جزء ٢ ، ص ٢٢ وما يليها) وهي تدور حول استغلاب السيد القمبيطور لبلنسية :

« قال ابن بسام : وتم للطاغية رذريق مراده الذميم من دخول بلنسية سنة ٤٨٨ ، على وجه من وجوه غدره ، وبعد إذعان [ابن جحاف] القاضي المذكور لسلطنة كبره ، ودخوله طائماً في أمره ، على وسائل أتخذها ، وعهود ومواثيق زعمه أخذها ، لم يمتد لها أمد ، ولا كثر لأيامها عدد . وبقى مُدَيِّدة يضجر من صحبته ، ويلتمس السبيل إلى نكبته ، حتى أمكنته [الفرصة] : زعموا بسبب ذخيرة نفيسة من ذخائر ابن ذى النون ؛ وكان رذريق لأول دخوله سألها عنها ، واستحلفه بمحضر جماعة من أهل الملتين على البراءة منها ، فأقسم بالله جهد أيمانه ، غافلاً عما في الغيب من بلائه وامتحاناه . وجعل رذريق بينه وبين القاضي المذكور عهداً أحضره الطائفتين ، وأشهد عليه أعلام الملتين ، إن هو انتهى بعدُ

(*) وعنوان الجزء الأول منه كاملاً :

Historia Abbadidarum. Praemissis scriptorum arabum de ea dynastia locis nunc primus editis. (Lugduni Batavorum, 1846)

= تاريخ بني عباد . أهم ما كتبه كتاب العرب عن هذه الأسرة [مما] لم يسبق لغيره ، لا يدرى ١٨٤٦ . وعنوان المجلدين الثاني والثالث يختلف بعض الشيء ، وهو المستعمل عادة عند العلماء في الإشارة إلى هذا الكتاب وهو :

Scriptorum arabum loci de Abbadidis nunc primum editi. (Lugduni Batavorum, 1852)

= أقوال كتاب العرب في بني عباد [مما] لم يسبق لغيره قبلاً .

إليها وعثر عنده عايبها ، ليستحان إخفار ذمّه ، وسفك دمه فلم ينشب ردّ ريق أن
 ظهر على الذخيرة المذكورة لديه ، لما كان قد حُمّ من إجراء محنته على يديه ،
 ولملها كانت منه حيلة أدارها ، وداهية من دواهيّه سددها وأثارها ، فأحمى على
 أمواله بالنهاب ، وعليه وعلى أهله بأبواع العذاب ، حتى بلغ جهده ويئس مما عنده ،
 فأضرم له ناراً أتلت ذمّاه ، وحرقت أشلاءه .

« حدثني من رآه وهو في ذلك المقام : وقد حفر له حفير إلى رفقته ، وأضرمت
 النار حواليه ، وهو يضم ما بعد من الحطب بيديه ، ليكون أسرع لذهابه ، وأقصر
 لمدة عذابه ؛ كتبها الله له في صحيفة حسناته ، ومحا بها سالف سيئاته ، وكفانا بعد
 أليم نقامته ، ويسرنا إلى ما يزلف إلى مرضاته .

« وهم يومئذ الطاغية لذريق بتحريق زوجته وبناته ، فكلمه فيهن بعض
 طغاته ، فبعد لأي ما لفته عن رأيه ، وتخلّصهن من أيدي نكداته .
 « وأضرم هذا المصاب الجليل أقطار الجزيرة يومئذ ناراً ، وجلل سائر طبقاتها
 حزنًا وطارًا ، وغلظ أمر ذلك الطاغية حتى فدح التهاؤم والنجود ، وأخاف
 القريب والبعيد .

« حدثني من سمعه يقول ، وقد قوى طمعه ولجّ به جشعه : « على ردّ ريق
 فتحت هذه الجزيرة ، وردّ ريق يستنقذها ! » كلمة ملأت الصدور ، وخيّلت
 وقوع الخوف والمخذور .

« وكان هذا البائقة وقتّه — في ذرى شهامته ، واجتماع حزامته ، وتناهي
 صرامته — آية من آيات ربه ، إلى أن رماه سريعاً بحمفه ، وأمانه بيلنسية
 حتف أنفه .

« وكان — لعنه الله — منصور القلم ، مظفرًا على طوائف العجم . لقي
 زعماء مراراً — كغرسية المنبوز بالقم الموج ، ورئيس الإفريج ، وابن ردمير —
 قتل حد جنودهم ، وقتل بعدده اليسير كثير عددهم .

« وكان -- زعموا -- تُدرّس بين يديه الكتب ، وتقرأ عليه سير العرب ، فإذا انتهى إلى أخبار المهلب استخفه الطرب ، وطفق يعجب منها ويتعجب » (١٧٦) .

وقد عقد هذا المستشرق المولندي - « راينهارت بيتر - آن دوزي » - مقارنة بين « ذخيرة » ابن بسام و « قلائد » ابن خاقان التي كتبت بعدها بنحو عشرين سنة ، قال فيها : « إذا نحن أقمنا مقارنة على الأساس الصحيح للنقد ، لم نجد أي مجال ممكن للمقارنة بين الكتائين ؛ فإن كتاب ابن بسام يتحدث عن نفسه بما تضمنه مادته من فائدة حقيقية . فهو يحوى - إلى جانب القطع القيمة التي نقلها من كتابات ابن حيان - قدراً عظيماً من المعلومات الجديدة الهامة عن تاريخ الحضارة والأدب الأندلسيين ، في حين أن كتاب ابن خاقان أقل نفعاً في هذا الباب ، وإن كان يحوى فوائد كثيرة ، على عكس ما يذهب إليه بعض الباحثين » .

هذا وكلا الكتائين جليل القدر من حيث الأسلوب ، فهما مصوغان في نثر شاعري جميل ؛ وإذا نحن قدرناهما بميزان البلاغة والذوق الأدبي عند العرب ، - ولم نكتبنا - فإن ابن خاقان يحوز قصب السبق في رأى دوزي . وهو يقول في هذا المعنى : « ذلك أن ابن خاقان لا تعوزه بأى حال الأخيلة البعيدة المطارح ، أو الصياغة اللفظية الفنية ، أو العبارة الجزلة الرنانة ذات الإيقاع الجميل ؛ أما ابن بسام فنحن نلاحظ أنه يعانى عسراً وقرأ في هذه الناحية . وابن خاقان أقرب منه إلى صفاء أسلوب الخطابة العربي الموثق ، ولهذا فقد كان كلامه أقرب من كلام صاحبه إلى نفوس معاصريهما . بيد أن هناك ناحية علي أعظم جانب من الأهمية سبق فيها ابن بسام معاصره بمراحل لا يمارى في بعد مداها ، تلك هي تفوقه على صاحبه في القدرة على التصوير وسعة الاطلاع الأدبي . وفي الواقع أن صدر ابن بسام حوى من العلم ما لم يبلغ مداه فيه إلا القلائل : فقد ألم بتاريخ العرب القديم وتمثله تمثلاً كاملاً ، وحفظ أشعارهم وأمثالهم السائرة ، في حين أن ابن خاقان

لم يتعمق في هذه الناحية إلا قليلا ، ومن ثم فإن القوة وجمال التعبير يعوزانه كلما وصل بالكلام إلى موقف عسير ، بل هو يتخبط في بعض الأحيان في مهاوى الجهل : وإن ابن بسام ليكثر من المقارنة بين شعر المحدثين (معاصريه) وشعر القدامى ، ويشير إلى المواضع التي قلدها فيها الآخرون الأولين ، ويروي للقارئ طرفاً من التاريخ الزاهب إذا دعت المناسبة إلى ذلك ، مما يجعل كلامه أكثر غناءً ، بل اللطف وأخف على القلوب « (١٧٧) .

وقد اعتمد ابن بسام — فيما اعتمد عليه — على تاريخ منظوم للأندلس لأبي طالب عبد الجبار التنيني ، على غرار أرجوزة يحيى الغزال ، وقد عاش أبو طالب في حدود سنة ١١٢٦/٥١٩ وكان من أهل جزيرة شُقر (١٧٨) .

ف ٩١ — ابن فراقه (أبو نصر الفتح محمد بن عبيد الله القيسي) :

أصله من « صخرة الولد » ، قرية على مقربة من قلعة يحصب (١٧٩) من أعمال غرناطة . كانت حياته اضطراباً متصلاً ، خرج إلى الحياة فقيراً لا يملك من حطامها شيئاً ، وكان مع ذلك مقبلاً على الحجر مسرفاً في ملذاته . وقد طاف بنواحي الأندلس متردداً على « من يتعاطون الراح » من أولى الأمر يسألهم العطاء ؛ وكان متهاوناً ، فأخرج مما كان يتولاه من أعمال الدولة . قال ابن الخطيب : « قال ابن عبد الملك [المراكشي] : قصد [ابن خاقان] يوماً مجلس قضاء أبي الفضل [عياض بن موسى بن عياض اليحصبي] نحراً ، فتنسم بعض حاضري المجلس رائحة الحجر ، فأعلم القاضي بذلك ، فغده حدا تاماً ، وبعث إليه بعد ذلك بثمانية دنانير وعمامة . وقال الفتح يومئذ لبعض أصحابه : عزمتُ على إسقاط اسم القاضي أبي الفضل من « القلائد » ، فقال : لا تفعل ، فإن قصتك من الجائز أن تُنسى ، وأنت تريد أن تتركها مؤرخة إذ كل من ينظر في كتابك يجدك قد ذكرت فيه من هو مثله ودونه في العلم والمنصب ، فيسأل عن ذلك فيقال له ، فيتوارث العلم

بذلك الأكابر والأصاغر . قال : فلم صحة نصحه فأقر اسمه « (*) » .

وكانت بينه وبين ابن باجة القيلسوف عداوة شديدة ، قال ابن الخطيب :
 « وحدث بعض الشيوخ أن سبب حقه على ابن باجة أبي بكر — آخر فلاسفة
 الإسلام بالأندلس — ما كان من إزرائه به وتكذيبه إياه في مجلس أقرانه ،
 إذ جعل يكثر ما وصله به أسراء الأندلس . ووصف حليًا — [وكانت] تبدر من
 أنفه دائماً فضلة خضراء اللون ، زعموا — فقال ابن باجة : « فن تلك الجواهر هذه
 الزمردة التي على شاربك ا » ، فتلبسه في كتابه بما هو معروف « (*) » .

وقد بلغ من تمكن ابن خاقان من اللغة وقدرته على صياغة الكلام ، أنه
 عند ما تعرض لابن باجة في « القلائد » نال منه بلسانه الحاد كل منال ، ثم ألم^١
 بذكره في « المطمح » بمبارات مديح جوقاء تطوى في ثناياها من المجدو اللاذع
 ما يربى على المهجاء الذي قاله فيه قبلاً^{(*) (١٨٠)} . وقد توفي ابن خاقان مخنوقاً في فندق
 بأحد دروب سراكش في ٢٢ محرم ٥٢٩ / ١٣ نوفمبر ١١٣٤ . ويذهب بعض الناس
 إلى أن علي بن يوسف بن تاشفين هو الذي أوعز بقتله ، في حين ذهب الآخرون
 إلى أن نفرًا من أهل حاشية عليّ هم الذين دبروا قتله ، لما آلمهم من نقده فبعثوا
 أحد غلمانهم فقتله^(١٨١) .

وقد رويت لابن خاقان قطع من الشعر قليلة ، وهي « وسط بعيد عن طرفي
 الفث والسمين ، وكان لا يتعنى فيه ولا يتكلفه ولا يقصد قصده ، وإن ذلك
 لعذر في عدم الإجابة »^(١٨٢) ، وكتب عن بعض الأسراء بعض المكاتبات ؛
 ولكن شهرته ترجع إلى كتابيه الجليلين « مطمح الأنفس ومسرح التأنس » ،
 و « قلائد العقيان ومحاسن الأعيان » .

(*) و(*) ابن الخطيب : الإحاطة . وترجمة ابن خاقان ليست في استغنها المطبوعة في مصر ،
 ولكنها واردة في مخطوطها بالمكتبة الأهلية في باريس ، وعنه نقلها دوزي (أخبار بني عباد
 ، ١٠ ، ص ٢ — ٣) ، وعنه أخذتُ .
 (*) انظر (ف ١٠٦) .

أما الأول فقد قسمه على أعيان الأندلس وذوى السماحة والظرف من أهله ، وجعله « ثلاث نسخ : كبرى ووسطى وصغرى ، يذكر فيها [نقرأ] من الذين ذكروا في القلائد ومن غيرهم الذين كانوا قبل عصرهم » (١٨٣) ، وقد طبع في القسطنطينية سنة ١٣٠٢ هـ . أما « قلائد العقيان » (طبع في باريس سنة ١٨٠٦ وفي بولاق سنة ١٨٦٧) فهو تكرار للمطمح في بعض أجزائه ، وقد قسمه إلى أربعة أقسام : الأول « في محاسن الرؤساء وأبنائهم ودرج أنموذجات من مستعذب أنبيائهم » ، والثاني « في غرر حلية الوزراء وقفر للكتاب والبلغاء » ، والثالث « في لمع أعيان القضاة ولمح أعلام العلماء السراة » ، والرابع « في بدائع نبهاء الأدهاء وروائع فحول الشعراء » .

وهدف ابن خاقان من تواليفه هو إيراد ما قاله من يلم بسيرهم من النثر الرصين والشعر البديع ، دون أن يقصد إلى إيراد سير حياتهم بالذات ، ولهذا فتراجمه ناقصة ، لأنه لا يذكر من تواريخ الناس إلا ما يتصل بما يورد من نظمهم ونثرهم ، وقد خلط في بعض ما أورده من الحوادث ، وتبمه في الخطأ ففر عن أخذ عنه ممن أتى بعده . وإذا كانت القيمة التاريخية لكتابه قليلة ، فإن قيمتهما الأدبية عظيمة ، وهما — إلى جانب « ذخيرة » ابن بسام — أحسن ما ألف الأندلسيون من النثر المسجوع . وقد أطنب بعض من ترجموا له في إطراء مواهبه الأدبية ، فقال عنه ابن دحية — مثلاً — في المطرب : « وكان ، رحمنا الله وإياه ، مخلوع العذار في دنياه ، ولكن كلامه في تواليفه كالسحر الحلال والماء الزلال » (*) .

وكان ابن خاقان لا يحفل بشيء ، حتى لقد نقل من « الذخيرة » فصولا كاملة دون أن يشير إلى صاحبها ، مما جعل ابن بسام يشكوه إلى القاضي ، كما يقول ابن سعيد (١٨٤) .

وقد وصل ابن الإمام (أبو عمر عثمان بن علي الإشبيلي المتوفى بعد سنة

(*) ابن دحية : المطرب ، ورقة ١٢٠ .

١١٥٥/٥٤٩) «مطمح» ابن خاقان و «فلائد» بكتاب من نوعهما وفي أسلوبه في شعراء عصره هو «سقط الجمان وسقيط المرجان». وابن الإمام من أهل شلب، وقد سكن قرطبة وإشبيلية، وكتابه أشبه بذيل على «المطمح». وفعل مثل ذلك أبو بحر صفوان بن إدريس بن عبد الرحمن بن عيسى التنجيبي المرسى (٥٦١ - ٥٩٨/١١٦٤ - ١٢٠١) من أهل مرسية، وقد صنّف كتاب «زاد المسافر» في تراجم كتاب الأندلس في القرن السادس الهجري، إكمالاً لما كتبه ابن خاقان وابن الإمام، وأورد بعض ما قيل من الشعر في فضائل مرسية؛ وكان من تلاميذ ابن بشكوال، وقد جمع نظمه ونثره في كتاب سماه «عجالة المتحفز وبداهة المستوفز» (١٨٥).

ف ٩٢ - الشقندي (أبو الوليد إسماعيل بن محمد المتوفى سنة

٦٢٩ - ١٢٣٢):

يشبه الشقندي في «رسالته» المرکيز سانتيلانا El Marqués de Santillana في كتابه المسمى Proemio، فهي تعتبر نموذجاً من نماذج النقد الأدبي. وأصله من شقندة أسد أرباض قرطبة، وكان مولعاً بما يروى من التاريخ وما يحكى من نوادر المؤلفين والشعراء، وكان ذا حظوة عند أبي يوسف يعقوب المنصور خليفة الموحدين، وولى على قضاء بياسة وأبندة ولورقة، وهو صاحب «الرسالة» المشهورة ذات القيمة الأدبية العظيمة (١٨٦).

وسبب إنشائه هذه الرسالة أن مناقشة جرت بحضرة أبي يحيى بن أبي زكريا عامل سبتة الموحدى حول «التفضيل بين البرّين» (الأندلس والمغرب)، فانبرى أبو الوليد الشقندي الأندلسى وأبو يحيى بن المعلم الطنجي المغربي يتساجلان، كل يباهى بفضائل قطره، فرأى أبو يحيى أن يحسم المناقشة فقال: «الرأى عندى أن يعمل كل واحد منكما رسالة في تفضيل برّه، فالكلام هنا يطول ويمرضياعا،

وأرجو إذا أخلينا له فكر كما صدر عنكما ما يحسن تحليده ؛ ففعلا ذلك « (١٨٧) .
وقد احتفظ لنا ابن سعيد بنص رسالة الشقندي ، وأورد نصها المقرئ في
« نفع الطيب » . وقد بدأها بدحض حجة خصمه في القول بأن المغرب أصل
الملك والسلطان ، وقارن بين دولة الموحدين وخلافتهم ودولة الأمويين وخلافتهم
في الأندلس ، وذكر كيف أفاض الشعراء من كل صقع في مديح أولئك الأخيرين
وفاخر بمن أنجبت دولتهم من القواد ، كالنصور بن أبي عامر وموالي العامريين
الذين خلد الشعراء مآثرهم وأفاضوا هم على الشعراء الجزيل من ندام ، وألم بذكر
أبي غالب النحوي الذي أبى اعتزازه بمؤلفه وأمانته لعلمه أن يذكر في فاتحته أنه
ألفه باسم مجاهد العامري صاحب دانية ، ورفض ألف دينار « وسركوبا وكُسى »
عُرِضت عليه لقاء ذلك ، وذكر رعاية ملوك الأندلس للآداب وأهلها ، وضرب
المثل ببني عباد . ثم مضى الشقندي يعدد من أنجبه الأندلس من الفقهاء واللغويين
والنحويين والفلاسفة والرياضيين والأطباء والمؤرخين والمؤلفين الذين تجلّت
قرايئهم عن درر أدبية ، وتقاد الأدب ومن أطلعهم الأندلس من الشعراء الذين
أبدعوا في كل فن من فنون الشعر (كالنسيب والمديح والهجاء) ، وأبان من
ظهر منهم من بين أهل كل طبقة من الناس (كالملوك والوزراء والنساء وغيرهم) ،
وأولئك الشعراء الذين أنشأوا من القصيد ما سارت بمديحه الركبان ، وأحسنوا
التعبير عن أدق العواطف . يذكر الشقندي ذلك كله في ثبت طويل يفيض
حيوية ، جمع فيه ألمع الأسماء وأحفلها معنى ودلالة .

ويذكر إلى جانب ذلك محاسن إشبيلية ، ويتغنّى بجمالها ويقول : « وإن
تعرضت إلى ذكر البلاد وتفسير محاسنها وما خصها الله به وحرمة غيرها ، فاسمع
ما يميت الحسود كمدأ : أما إشبيلية فن محاسنها اعتدال الهواء ، وحسن الباني ،
وتزيين الخارج والداخل ، وتمسك التمصر ، حتى إن العامة تقول : لو طُلب ابن

الطير في إشبيلية وُجد . ونهرها الأعظم الذي يصعد المذ فيه اثنين وسبعين ميلاً ثم
يحسُر ، وفيه يقول ابن سفر :

شق النسيم عليه جيب قيصة فانساب من شطيه يطلب ناره
فتضاحكت وُرق الحمام بدوحها هزءاً فضم من الحياء إزاره

وزيادته على الأنهار كون ضعفه مطرزة بالمنازة والبساتين والسكروم والأنشام ،
متصل ذلك اتصالاً لا يوجد على غيره . وأخبرني شخص من الأكياس دخل
مصر — وقد سأله عن نياها — أنه لا تتصل بشطيه البساتين والمنازة اتصالها
بنهر إشبيلية . وكذلك أخبرني شخص آخر دخل بغداد . وقد سعد هذا الوادي
بكونه لا يخلو من مسرة ، وأن جميع أدوات الطرب وشرب الخمر فيه غير منكر ،
لأنه عن ذلك ولا منقعد ، مالم يؤد السكر إلى شر وعريضة (*) .

وقال بعد ذلك : « إن إشبيلية تحوى كل أدوات الطرب ، كالخيل
والكريج والعود والروطة والرباب والقانون والمونس والكثيرة والغنار (الغنار
والقيان والقبان أيضاً) والزلامي والشقرة والنورة — وهما من مزاران الواحد
غليظ الصوت والآخر رقيقه — والبوق ؛ وإن كان جميع هذا موجوداً في
غيرها من بلاد الأندلس ، فإنه فيها أكثر وأوجد . وليس في ر العدة من هذا
شء ، إلا ما جلب إليه من الأندلس ، وحسبهم الدف وأقوال « واليرا »
(والبرأ أيضاً) وأبوقرون ودبدة السودان وحماتي البرابر . . » . وذكَ قرطبة
جمع أهل العلم ، وكيف قصدوها من كل صقع فتلقاهم ملوكها بالتكرمة والأفضال ؛
وقال : « فهي كرمي المملكة في القديم ، ومركز العلم ومنار التقي ومحل التعظيم
والقديم » . وألم بذكر قواعد أندلسية مثل جيان وقال إنها « لبلاد الأندلس
قلعة ، إذ هي أكثرها زرعاً وأصرمها أبطالا وأعظمها منعة » ، ومالقة « التي قد
جمعت بين منظر البر والبحر ، بالسكروم المتصلة التي لا تكاد ترد فيها فرجة لموضع

(*) الشقندي : رسالة ، برواية المقرئ ، ص ٢٠ ، ص ١٤٢ — ١٤٣ . وقد أشار

المؤلف إلى معنى هذه الفقرة ، فأوردتها بنصها كنموذج لكلام ابن الوليد إسماعيل الشقندي .

غاسر ، والبروج التي شابهت نجوم السماء كثرة عدد وبهجة ضياء » ، ومرسية « حاضرة شرق الأندلس ، ولأهلها من الصرامة والإباء ما هو معروف مشهور » ، وبلنسية « التي تعرف بمطيب الأندلس ، ورصافتها من أحسن متفرجات الأرض » ، وميورقة وما لها من محاسن وفضائل ، بخلاف ما نبجده في المغرب من فقر في نواحي الحضارة وجذب طبيعي (١٨٨) .

والرسالة نموذج جليل من عرض العلم الواسع في نسق لطيف ، وهي تثير الإعجاب بأسلوبها وروحها الفكاهية . ثم إنها ميزان صادق للفقد ، فقد أيد الذين جاءوا بعد الشقندي آراءه في الأعلام والمؤلفين الذين اتخذهم مثلاً .

وقد أجمل وصفها غرسية غومس بقوله : « إن المختارات القليلة التي يقدمها لنا الشقندي من الشعر الأندلسي جديرة بالذكر والتقدير ، لما اجتمع لها من السكالم المصنفي ، وما يتجلى فيها من التفكير والائزان في الجمع بين القدامى والمعاصرين من كافة الطبقات ، وبما نلاحظه فيها — قبل كل شيء — من صدق الحكم وناذره في ناحية الجلال الفني » .

ف ٩٣ — ابن الخطيب والمقرئ :

ونذكر من ألف في تاريخ الأدب في العصر الغرناطي محمد بن علي بن هاني (المتوفى سنة ٧٣٢/١٣٣٢) وهو من أهل سبتة وكان يلقب « بالخطيب » لفصاحته ، وقد صنف مؤلفاً عن شعراء القرن السابع الهجري عنوانه « الغرة الطامعة في شعراء المائة السابعة » وكتبها أخرى في الفقه ، بيد أن أهم من ألف في هذا الباب في ذلك العصر هو لسان الدين بن الخطيب الذي ألمنا بذكره (ف ٨١) .

ومن الحق أن نذكر في هذا المقام المقرئ المشهور (أبا العباس أحمد بن محمد ابن أحمد بن أبي العيش) ، وإن لم يكن أندلسياً أو من أهل العصر الذي نتحدث عنه ، إذ هو من أهل القرن الحادي عشر الهجري ، توفي سنة ١٠٤١/١٦٣٢ .

ولاه المقرئ في تلمسان ؛ ودرس في فاس ، وأولع بطلب آداب الأندلسيين ؛ وقد جمع في كتابه « نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب »^(١٨٩) قطعاً من مؤلفات سابقة صاع معظمها ، أرسلها من غير نظام ، ولكن في دقة وضبط حسن . والجزءان الأولان مقدمة للثالث والرابع ، اللذين يدوران على ابن الخطيب وحده . ويضم الجزءان الأولان ثمانية أبواب : الأول : « في وصف جزيرة الأندلس وحسن هوائها واعتدال مزاجها ووفور خيرها ... » وذكر بعض مآثرها المجلوة الصور وتعداد كثير مما لها من البلدان والكور المستمدة من أضوائها .

والثاني : « في إلقاء بلد الأندلس للمسلمين بالقياد ، وفتحها على يدي موسى ابن نصير ومولاه طارق بن زياد . . . » ، مع الإلمام بذكر ولاتها قبل بنى أمية . والثالث : في ذكر خلفائها وملوكها « وسرد بعض ما كان للدين بالأندلس من العز السامى العباد » .

« والرابع : في ذكر قرطبة ، التي كانت الخلافة بمصرها للأعداء قاهرة ، وجامعها الأموي ذى البدائع الباهية الباهرة ، والإلمام بمحضرتي المملك الناصرية الزهراء والعاصرية الزاهرة ... » .

والخامس : « في التعريف ببعض من رحل من الأندلسيين إلى بلاد المشرق » . والسادس : « في ذكر بعض الوافدين على الأندلس من أهل المشرق » والسابع : « في نبذة مما من الله به على أهل الأندلس من توفد الأذهان » . والثامن : « في ذكر تغلب العدو الكافر على الجزيرة » .

وأهمية كتاب المقرئ هي أنه نقل إلينا فقرات هامة من تاريخ الأندلس ضاعت أصولها^(١٩٠) .

وقد نشر الجزءين الأولين من « النفع » أربعة من المستشرقين هم : ر . دوزي R. Dozy ، ج . دوجا G. Dugat ، ل . كريل L. Krehl ، و . رايت

W.Wright في لايدن بين سنتي ١٨٥٨ و ١٨٦١ وجملاهما عنواناً فرنسياً أدل على مادتهما وهو :

Analectes sur l'histoire et la littérature des Arabes d'Espagne.

ويذكر الكتاب في المراجع الأوروبية بلفظ Analectes فقط . والطبعة مصدرة بمقدمة فرنسية وافية عن المقرئ و « نفعه » بقلم أحد الناشرين ، وهو جوستاف دوجا . وقد نُشر النفع كذلك كاملاً في بولاق سنة ١٨٦٢ ، وأعيد طبعه في القاهرة بإشراف الشيخ محيي الدين عبد الحميد سنة ١٩٤٩ . وترجم جايانجوس قطعاً كبيرة منه إلى الإنجليزية ونشرها باسم :

The History of the Mohammedan Dynasties in Spain...
extracted from Al-makkari.. translated by Pascual de Gayangos.
London 1840 - 1843, 2 vols. (١٩١)

(د) تواريخ النواحي

ف ٩٤ — أهم المؤلفات في هذا الباب :

نجد فيما بين أيدينا من المراجع ذكراً لكتاب « مجزأ في أجزاء كثيرة في أخبار رية وحصونها وحروبها وقهاتها وشعرائها »^(١٩٢) ، تأليف إسحاق بن سلمة ابن وليد القيني الليني من أهل ريه (يكنى أبا عبد الحميد ، المتوفى حوالي ٣٩٩/١٠٠٩) ، وكتاب آخر في تاريخها من تأليف إبراهيم بن وزمور الحجارى — وهو والد صاحب المسهب الذى أشرنا إليه — وقد عاش في أواخر القرن الخامس وأوائل السادس الهجريين ؛ وقد عهد إليه المأمون بن ذى النون صاحب طليطلة ونواحيها في وضع كتاب في شعراء وادى الحجارة وناثريها ومؤرخيها ، فألف كتاب « مغناطيس الأفكار فيما تحتمى عليه » مدينة الفرج « من النظم والنثر والأخبار » ، يعتبر تاريخاً حقيقياً لوادى الحجارة في صورة تراجم .

وكتب محمد بن عاتمة (محمد بن الخلف بن الحسن بن إسماعيل الصدفي ، ٤٢٨ - ١٠٣٦/٥٠٩ - ١١١٦) كتابه المعروف « بالبيان الواضح في المم الفادح » ، سرد فيه تاريخ بلنسية في أيام السيد القمبيطور ، وتغلبه عليها ومحتها على يديه^(١٩٣) . وقام الفقيه المحدث ابن عسكر (أبو عبد الله محمد بن علي بن خضر الفسائي المالقي ، ٥٨٤ - ١١٨٨/٦٣٦ - ١٢٣٨) بوضع كتاب تاريخ مالقة ، « وكان قتيها مجيداً اعقد الشروط ، حافظاً للغة أديباً بليغاً مشاركاً في العربية وقرض الشعر » (*) (١٩٤) .

وألف أبو المطرف أحمد بن عبد الله بن عميرة الخزومي^(١٩٥) (٥٨٢ - ١١٨٦/٦٥٨ - ١٢٦٠) كتاباً في فضائل ميورقة وتاريخها ؛ وقد ولد الخزومي في جزيرة شقر ، وكان شاعراً متبحراً في التاريخ والأخبار ، دخل في خدمة الموحدين فاستكتبه « الرشيد » ، ثم ولاء قضاء [قبيلة] هيلانة ، قضاء سلا ، ثم قضاء سبتة . ثم انتقل إلى تونس ودخل في خدمة الحفصيين ، وقلده المناصب في بجاية وتونس ، وله تأليف « في كائنة ميورقة وتغلب العدو عليها » ، « نحا في الخبر عنها منحه الإمام الأصفهاني في الفتح القدسي » . ثم ألف مختصراً لكتاب ابن صاحب الصلاة في تاريخ الموحدين ، وله وعظ على طريقة ابن الجوزي .

وتجرد أبو بكر بن خمسين - ابن أخي ابن عسكر الأنف الذكر - لكتابة تاريخ [الجزيرة] الخضراء ، فلما فرغ منه وصل كتاب عمه ابن عسكر في تاريخ مالقة . وكتب ابن الحاج البليقي (محمد بن محمد بن خلف بن سليمان بن حزب الله المتوفى سنة ١٣٧٢/٧١٥) « تاريخ المرية وبجاجة »^(*) . وكان البليقي من شيوخ ابن الخطيب ، وقد وضع كتاباً عن زهاد الأندلس اسمه « كتاب الإفصاح

(*) ابن الأبار : نسخة ، رقم ١٠١١

(*) في الأصل « بجاية » ، ولكن سيديويت قرأها « بجانة » وهو أقرب إلى المقول .

عن عُرف بالأندلس من الصلاح « ومعجماً بشيوخه ^(١٩٦) .

ووضع ابن خاتمة (أبو جعفر أحمد بن علي بن محمد الأنصاري ، ٧٢٣ - ١٣٢٣/٧٧٠ - ١٣٦٩) كتاباً وصف فيه الطاعون الذي اجتاح الدنيا في سنوات ١٣٤٧/٧٤٨ و ١٣٤٨/٧٤٩ و ١٣٤٩/٧٥٠ ، والذي يشير إليه بوكاشيو في أول كتابه « اليبالي العشر Decamerone » ؛ واسم كتاب ابن خاتمة « تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد » ^(١٩٧) .

الفصل السادس

الجغرافية والرحلات

- ف ٩٥ : الوراق — البكرى .
- ف ٩٦ : عبد المنعم الحميرى — أبو حامد القرناطى .
- ف ٩٧ : الإدريسى .
- ف ٩٨ : ابن جبير .
- ف ٩٩ : الصبدرى — الجغرافيون فى المصر القرناطى .

كان الحج إلى مكة هو السبب في تأصل حب الرحلة في قلوب الأندلسيين ، ومن ثم أولعوا بالتنقل والأسفار ولما شديداً ، وكانت النتيجة الطبيعية لذلك أن ظهر من بينهم مَنْ أَلَّفَ في وصف رحلته أو في صفة نواحي المصور . وقد وضع بعض أولئك الأندلسيين مؤلفات جغرافية خالصة (مثل البكرى وأبي حامد الغرناطى والإدريسى) ، بينما سجل بعضهم لتفاصيل رحلاتهم أوصافاً كاملة ، أو غير كاملة ، كما يصنع الرحالة المحدثون عند ما يسجلون يومياتهم (ومن أولئك ابن جُبَيْرَ والعبدري) .

ف ٩٥ — الوراق — البكرى :

بدأ الاهتمام بالتأليف في الجغرافية عند الأندلسيين في عصر الخلافة ، فقد أَلَّفَ محمد بن يوسف الوراق (يكنى أبا عبد الله ويلقب بالتاريخي ، ٢٩١ - ٣٦٢ / ٩٠٤ - ٩٧٣) ديواناً ضخماً في « مسالك إفريقيا وممالكها » . وأصل الوراق من وادي الحجارة ، وانتقل آباؤه إلى إفريقيا ونشأ بالقيروان ودرس بها ، ثم عاد إلى الأندلس وأقام بها إلى أن توفي بقرطبة ، وكان ذا حظوة لدى الحكم المستنصر . وقد اعتمد البكرى على كتابه هذا اعتماداً عظيماً . وإلى جانب ذلك صنف الوراق عن « إفريقيا وفي أخبار ملوكها وحروبهم والقائمين عليها كتباً جمة ، وكذلك ألف أيضاً في أخبار تهرت ووهران وتِنِسَ وسجلماسة ونكُور والبصرة وغيرها تواليها حسناً » (١) .

بيد أن أول جغرافي أندلسي جليل الشأن هو أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز ابن محمد البكرى ، ولد في قرطبة في سنة ٤٣٢ / ١٠٤٠ وتوفي فيها سنة ٤٨٧ / ١٠٩٤ . وهو من بيت شرف وإمارة ، فقد كان آباؤه أصحاب وُلبة وشلطيش ، إذ استبدوا بأمرها بعد سقوط الخلافة ، وظلوا في إمارتهم حتى غصبهم المعتضد بن عباد وُلبة

واضطرم إلى التنازل له عن شلطيش لقاء مال دفعه إليهم ، فلجأ أبو البكرى إلى قرطبة وأقام في ظل بنى جهور أصحابها ، وصحبه ابنه أبو عبيد — وكان شاباً يافعاً — وهناك لقيه ابن حيان المؤرخ وتوسم فيه النجابة والاستعداد للطلب . وتوفى سنة ٤٥٦/١٠٦٤ ، فانتقل أبو عبيد إلى المرية وعرف صاحبها المعتصم محمد بن معن بن صمادح (ف ٣٣) ، فبعثه في مهمة إلى المتمد بن عباد في إشبيلية ، فلما استقر فيها حُبب إليه العيش في كنف المتمد . ويذكر ابن بشكوال أن البكرى كان يحب الكتب حبا جما ، حتى لكان يمسكها في فاش غالٍ إكراماً لها وصيانة ؛ ويبدو أنه كان ذا هوى شديد بالشراب ، فبعض أشعاره يدل على ذلك .

ويذهب دوزى إلى أن البكرى أكبر جغرافى أنجبه الأندلس ؛ ولم يبرح البكرى الأندلس ، ولهذا فإن مؤلفاته إنما هي في الواقع جمع وتصنيف من مؤلفات غيره مما لا نجد الآن . وقد أظهر البكرى في تصنيفه قدرة على الترتيب والتنظيم وموهبة عالية . وأكبر كتبه هو المسمى « المسالك والممالك » ، ولم يبق لنا منه إلا جزء في صفة المغرب ؛ وهو يذكر فيه المسالك (الطرق) التي تؤدي من ناحية إلى ناحية ، ويصف المدائن والقرى التي تربطها ، ويضمّن كلامه أخباراً غريبة نافعة . وقد بدأ كاترمير بترجمة الجزء الخاص بالمغرب ، وأتمه البارن دى سلان (نشر الأصل العربى في سنة ١٩١١ ، والترجمة الفرنسية في سنة ١٩١٣) ولم يُعثر على الجزء الخاص بالأندلس منه إلى الآن .

وكذلك أثنى النقاد والباحثون على كتاب البكرى الأخر المسمى « معجم ما استعجم » (طبعه فستنفلد طبع حجر في سنة ١٨٧٦ ، وطبع في القاهرة في جزئين سنة ١٩٤٠) ، ومن أثنى عليه دوزى إذ يقول : « إننا بينما نجد غيره من الجغرافيين يقعون في خطأ بعد خطأ ، ويناقضون أنفسهم بين موضع وموضع ، إذا بنا نجد معلومات البكرى واضحة ناصحة ، وكتاباته توصف بعبارة واحدة : إنها صادقة » .

وقد ترمى إلى ظن فراندسكو خافيير سيمونيت أن البكرى لا بد أن يكون قد عرف كتاب « أصول الكلمات Etimologias » لايودور الإشبيلي مترجماً إلى العربية ، لأن أوصاف بعض النواحي في كتاب إيودور تنطبق على أوصاف البكرى لها . فالجزء الذى يصف فيه البكرى جزائر فرطناطش Islas Fortunatas — المسماة بالسعادات أو جزائر كناريا — يبدو كأنه مأخوذ عن إيودور .
وللبكرى — إلى جانب ذلك — كتب أخرى فى اللغة والطب والدين ، مثل « كتاب النبات » (بالأندلس ، ذكره ابن خير) ، وشرحه لأمالى أبى على القالى المسمى « سمط الآلى » (ف ٥٥) ؛ وقد ضاعت هذه الكتب ما عدا الأخير منها فقد نشر فى القاهرة^(٣) .

ف ٩٦ — عبد المنعم الحميرى — أبو هارم الفرناطى :

أشار المقرئ فى « نفع الطيب » إلى معجم جغرافى يسمى « الروض المطار فى خبر الأقطار لسيد المنعم الحميرى » ، ونقل منه قطعاً تدل على مادة طيبة ، ووقع هذا الكتاب فى يد المقرئى فاختصره فى مجلد صغير . [وظل هذا الكتاب مجهولاً حتى عثر عليه الأستاذ ليثى بروقتمال ، فقام باختيار المادة الخاصة بالأندلس منه ، ونشرها فى معجم جليل الفائدة سنة ١٩٣٨ ، مع ترجمة فرنسية وتعليقات ضافية وفهارس وافية ؛ فأصبح هذا الكتاب الآن من خير المراجع التى يعتمد عليها الباحث فى تاريخ الأندلس وجغرافيتها .

ومواد هذا الجزء المنشور عن الأندلس مرتبه ترتيباً أبجدياً ، وهو يضم معظم الأعلام الجغرافية الهامة التى يرد ذكرها فى كتب الأندلسيين . وقد حرص الحميرى على أن يورد ما اتصل بعلمه من أطراف التاريخ عن الموضوع الذى يتكلم عنه ، وأكثر هذه المادة التاريخية يتعلق بعصر الموحدين الذى سقطت خلاله معظم حواضر الأندلس الكبيرة فى أيدي النصارى . والحميرى يعنى بتفصيل ذلك على

نحو فريدونى أسلوب عربى رصين ، مما يجعل لهذا الكتاب أهمية كبرى المؤرخ والجغرافى على السواء^(٣) .

وقد كان من المظنون أن الجيرى عاش فى عصر المعتمد بن عباد ، ولكن ظهر الآن أنه من أهل القرن التاسع الهجرى ، فقد توفى سنة ١٤٦١/٨٦٦ [١٤٦١] (*). أما أبو حامد الفرناطلى^(٤) (محمد بن عبد الرحمن بن سليمان القيسى ، يكنى أيضاً أبا محمد وأما بكر ، ٤٧٣ - ١٠٨٠/٥٦٤ - ١١٦٩) فقد كان رحالة لا يمل الأسفار . زار صقلية سنة ١١١٧/٥١١ ، ومنها ذهب إلى مصر ، ثم غادرها إلى ناحية بحر الخزر ، ووصل إلى ضفاف نهر الفولجا ، ثم طاف ببلاد الخزر والبلغار ، ووصل ثلاث مرات إلى البحر الأسود ، وزار عاصمة خوارزم ، ثم زار بغداد مرة ثانية فى سنة ١١٦٠/٥٥٥ ، وأقام فيها ردهاً من الزمن ألف فيه للوزير يحيى بن محمد بن هُبيرة كتاب « المُعرب عن عجائب المغرب » . وأبو حامد مشهور بكتابه المسمى « تحفة الأصحاب ونخبة الإعجاب » ولدينا منه نسخ مخطوطة كثيرة . ويتألف هذا الكتاب من مقدمة وأربعة أبواب : الأول « فى صفة الدنيا وسكانها من إنسها وجانها » ، والثانى « فى صفة عجائب البلدان وغرائب البنيان » والثالث « فى صفة البحار وعجائب حيواناتها » ، والرابع « فى صفة الحفائر والتبور » وما إلى ذلك . والفرناطلى كذلك رسالة أخرى فى جغرافية المعمور تسمى « تحفة الكبار فى أسفار البحار » .

وكان أبو حامد طَلَمَةً بطبعه ، ولكن حفظه من الثقافة والنقد كان قليلاً ، ومن ثم يكثر فى كلامه ذكر الخرافات والخرافات ، وقد أخذ القزوينى عنه كثيراً من هذه المادة^(٥) .

ف ٩٧ - الإدريسي :

كان الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس المعروف بالشرىف الإدريسي ، ٤٩٣ - ١٠٩٩/٥٦٤ - ١١٦٩) حفيداً لإدريس

(*) عدلت عبارة المؤلف هنا بما يناسب معلوماتنا عن عبد النعم الجيرى وكتابه بعد لعمرو .

الثاني المحمدي أمير مالقة ، ويبدو أنه درس في قرطبة ثم زار كثيراً من نواحي الأندلس والغرب ومصر وآسيا الصغرى ، ثم زار صقلية حيث أعجب به ملكها رُجَّار^(٦) (رُوَجِرُ الثاني النرمانى ، من بيت هوتشيل النرمانى فاتحى الجزيرة) فأقام عنده ، وكان رجار من هواة الفلك فوجد فى الإدريسي خير معين له على إشباع رغبته من ذلك العلم . ولما كان رجار قد رغب فى أن يكون لديه « كتاب فى صفة الأرض ، مؤلف عن مشاهدة مباشرة لا مستخرج من الكتب » فقد تصدى الإدريسي لوضع ذلك الكتاب ، وانتخب نفرأ من أذكىاء الرجال وبعثهم فى شتى النواحي يصاحبهم الرسامون ، وجعل يتلقى ما يعودون به ويسجله أولاً بأول . وفرغ من كتابه سنة ١١٥٤/٥٤٨ ، ثم أضاف إليه أجزاء أخرى فيما بعد وسماه « نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » ، ويعرف كذلك « بالكتاب الرُّجَّارى » . وقد ألف الإدريسي كذلك « كتاب الممالك » ، وقد اعتمد عليه أبو القدا ؛ وله كتاب فى « الأدوية المفردة » ، ذكره ابن سعيد وأفاد منه ابن البيطار ، وقد ضاعت هذه الكتب الأخيرة .

وقد عُرف « الكتاب الرجارى » فى أوروبا منذ زمن طويل ، عن طريق موجز له طبع فى روما سنة ١٥٩٢ . ثم قام اثنان من المارونيين هما جبريل سيونيتا Gabriel Sionita ويوحنا هزرونيتا Juan Hesronita بترجمة هذا المختصر إلى اللاتينية ، ونشراه فى باريس سنة ١٦١٩ باسم « جغرافية النوبة ياغريقيّة والأندلس من « نزهة المشتاق » ، معتمدين على مخطوط بالمكتبة الأهلية فى باريس ؛ وأرفقا النص بترجمة فرنسية عنوانها :

Description de l'Afrique et de l'Espagne (ليلدن ١٨٦٦) ، وجملا لهذا الجزء عنوانا خاصا هو : « المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق » ؛ ثم عاد سافدرا فنشره نشرأ مصححا معدلا فى مدريد سنة ١٨٨١^(٧) .

وقد لُقب الإدريسى «اسطرابون العرب» ، وهو يعتبر — بناء على ذلك — أكبر جغرافي أطلعت عليه العصور الوسطى . نعم ، إننا نجد في كتابه أخطاء في حساب للمسافات والأبعاد والأوصاف ، ولكن لا ينبغي أن يغيب عن بالنا أن الإدريسى كتب كتابه هذا في النصف الأول من القرن الثاني عشر الميلادي ، وأن موت رجار وما أعقبه من القلاقل في دولة النورمان بصقلية ، حالت بين الإدريسى وبين أن يُدخل على كتابه التعديلات الأخيرة الواجبة . ثم إن الكتاب حافل بالمعلومات الصحيحة في الغالب ، ومادته وافرة عن البلاد الأوروبية التي تسكنها شعوب نصرانية ، على أنه يضم بعض أطراف من الخرافات التي كانت أوسع ما تكون انتشاراً في عصره .

والجزء الخاص بجزيرة الأندلس عنده يبدأ بوضعها في الإقليم الرابع عند « البحر المظلم المحيط » ثم يستطرد إلى وصف الجزيرة^(٨) ، بادئاً بطليطلة إذ هي « مركز لجميع بلاد الأندلس ، وذلك أن منها إلى مدينة قرطبة بين غرب وجنوب تسع مراحل ، ومنها إلى لشبونة غرباً ٩ مراحل ، ومن طليطلة إلى شنت ياقوب على بحر الإقليميين ٩ مراحل ، ومنها إلى جافا شرقاً ٩ مراحل ، ومنها إلى مدينة بلنسية بين شرق وجنوب ٩ مراحل ، ومنها أيضاً إلى مدينة المرية على البحر الشامي تسع مراحل »^(٩) . ثم يصف بعد ذلك الجزء الجنوبي من الجزيرة ، فيتكلم عن أقاليم البحيرة Provincia del Lagos de la Janda^(١٠) وشدونة الشرف والكنبانية (وفيه من المدن قرطبة وغيرها)^(١١) وأشونة ورثه والبشارت وبيجانة وإلبيرة . ثم يتناول الجزء الشرقي ، وفيه أقاليم فريرة وتدمير وكونسكة وشاطبة^(١٢) ومرزبيطر (يكتبها صرباطر) والبنت^(١٣) وشتت مارية المنسوبة لابن رزين (السهلة) . ثم ينتقل إلى الكلام عن غرب الأندلس ، فيذكر أقاليم الوجة Encinas والقفر Algarbe والقصر (ماردة) والبلاط ومدلين Medelin وأشونة . ثم يلي ذلك « الوسط » ، وفيه أقاليم الشارات Las Sierras (طلبيرة وطليطلة . الخ) وأرنيط Arnedo (وفيه قلعة

أيوب وقلعة دروكة وسرقطة ووشقة وتطيلة) ، ثم « إقليم الزيتون » (جيان) ، Provincia de las Olivares ، ثم يلي ذلك « إقليم الأبرتات » Provincia de los Pirineos ، وأخيراً نجد في ناحية الغرب إقليم مرمرية Marmaria وفيه حصون وقلاع كثيرة [خالية] (١٤) .

وإليك مثالا من وصف الإدريسى ، نتخيره من صفته لإقليم طليطلة :
 « ومدينة طليطلة من طليطلة شرقا ، وهي مدينة عظيمة القطر كثيرة البشر حصينة الذات ، لها أسوار حسنة ، ولها قسبة فيها حصانة ومنعة . وهي أزلية من بناء العالقة . وقايا لامرئى مثلها إتقاناً وشماخة بنيان . وهي عالية الذرى حسنة البقعة زاكية الرقعة . وهي على ضفة النهر الكبير السمي تاجه ، ولها قنطرة من عجيب البنيان ، وهي قوس واحدة ، والماء يدخل تحت تلك القوس كله بعنف وشدة جري . ومع آخر القنطرة ناعورة ارتفاعها في الجو تسعون ذراعا ، وهي تصعد الماء إلى أعلى القنطرة ، والماء يجري على ظهرها فيدخل المدينة .

« ومدينة طليطلة كانت في أيام الروم دار مملكتهم وموضع قصدهم . ووجد أهل الإسلام فيها عند افتتاح الأندلس ذخائر كادت تفوق الوصف كثرة : فمنها أنه وُجد بها سبعون تاجا من الذهب مرصعة بالدر وأصناف الحجارة الثمينة ، ووجد بها ألف سيف مجوهر ملكي ، ووجد بها من الدر والياقوت أكيال وأوساق ، ووجد بها من أنواع آنية الذهب والفضة ما لا يحيط به تحصيل ، ووجد بها مائة سليمان بن داود ، وكانت فيما يُذكر من زمردة ، وهذه المائدة اليوم في مدينة رومة . ولمدينة طليطلة بساتين محدقة بها وأنهار جارية مخترقة ، ودواليب دائرة وجنات يانعة وهو اكه عديمة المثال ، لا يحيط بها تكيف ولا تحصيل ، ولها من جميع جهاتها أقاليم رفيعة وقلاع منيعة تكنفها . . . » (١٥) .

ومن المراجع التي اعتمد عليها الإدريسى في تأليف كتابه كتاب يسمى « نظام المرجان في المسالك والممالك » لابن الدلالى ، أحمد بن عمر بن أنس بن دلهات

(والدلالى نسبة إلى دَلَاة Dalfas من أعمال المرية) ، وقد حج إلى مكة سنة ١٠٠٢/٤٠٧ ومات سنة ١٠٨٥/٤٧٨^(١٦) .

ف ٩٨ — ابن جبير :

هو أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكنانى (ربيع الأول ٥٤٠ — شعبان ٦١٤/سبتمبر ١١٤٥ — نوفمبر ١٢١٧) ، أصل قومه من شاطبة ولكنه ولد فى بلنسية . درس الفقه والحديث والأدب والشعر من سن مبكرة وبرع فيها ، واتصل بالموحدين وكتب فى أول أمره عن السيد أبى سعيد بن عبد المؤمن عاملهم على غرناطة ، « فاستدعاه لأن يكتب عنه كتابا وهو على شرا به ، فد إاليه يده بكأس فأظهر الانتفاض وقال : « ياسيدى ، ما شربتها قط » فقال : « والله لتشربن منها سبعا ! » فلما رأى العزيمة شرب سبع أ كؤوس ، فلأ له السيد الكأس من دنانير سبع مرات وصب ذلك فى حجره ، فحمله إلى منزله وأضمر أن يحمل كفارة شربه الحج بتلك الدنانير . ثم رغب للسيد وأعلمه أنه حلف بأيمان لا خروج له عنها أنه يحج تلك السنة ، فأسغفه وباع ملكا له تزود به ، وأنفق تلك الدنانير فى سبيل البر »^(١٧) .

انفصل ابن جبير من غرناطة بقصد الرحلة المشرقية [الأولى]^(١٨) فى ٩ شوال ٥٧٨/٣ فبراير ١١٨٣ . وركب البحر من جزيرة طريف إلى سبتة والإسكندرية ، ولما كان الطريق من مصر إلى بيت المقدس فى يد الصليبيين فى ذلك الحين ، فقد توجه ابن جبير إلى قوص بصعيد مصر ، ومنها إلى عيذاب حيث عبر البحر الأحمر إلى جُدَّة ، وقصد مكة وحج إلى بيت الله الحرام ، وزار المدينة لقضاء العمرة . ثم توجه إلى الكوفة وبنداد والموصل وأقام فيها بعض الوقت ، ثم قصد حلب ودمشق ، ثم ركب البحر من عكا عائداً إلى الأندلس فى سفينة نصرانية أرست به بعض الوقت فى صقلية . ووصل قرطاجنة الخلفاء بساحل الأندلس

الشرق في ١٥ محرم ٥٨١/٢٥ أبريل ١١٨٥ ، ومها إلى غرناطة . وقام ابن جبیر بعد ذلك رحلتين أخريين إلى المشرق بدأ الأولى مها في سنة ٥٨٥/١١٨٩ وعاد منها سنة ٥٨٧/١١٩١ ، وقام بالثانية في عام ٦١٤/١٢١٧ وأدر كته منيته في الإسكندرية خلال هذه الرحلة الأخيرة .

وقد سجل ابن جبیر مشاهداته في « رحلته » المشهورة (نشرها رايت في ليدن سنة ١٨٥٢ ، وأعاد نشرها دي خويه عام ١٩٠٧) ؛ وهي أشبه بيوميات ستر صاغها ابن جبیر في أسلوب بارع ، وصور فيها بكلام سهل بسيط الأحاسيس التي اعتلجت في نفسه في المواضع التي زارها ، أو عند مشاهدته الآثار التي رآها ؛ وأسلوبه سلس جزل ينم على موهبة أدبية أصيلة ، وعلى خلقه الحازم الوقور^(١٩) . ومن ققراته البديعة ، تلك التي يصف فيها عاصفة هبت على سفينته وكادت نفرقها على مقربة من سواحل صقلية ، وإليك هذه الفقرة :

« ... ونحن الآن - بفضل الله تعالى - نتطلع البشري بظهور برصقلية إن شاء الله . وفي النصف من ليلة الأحد الحادى عشر منه (شعبان ٥٧٨) انقلبت ريح غربية ، وكشف النوء من المغرب ، وجاءت الريح عاصفة ، فأخذت بنا جهة الشمال . وأصبحنا يوم الأحد المذكور والهول يزيد ، والبحر قد هاج هائج وماج مائج ، فرمى بموج كالجبال ، يصدم المركب صدمات يتقلب لها على عظمه قلب الغصن الرطيب - وكان كالسور علواً - فيرتفع له الموج ارتفاعاً يرمى في وسطه بشأيب كالوابل المنسكب . فلما جن الليل اشتد تلاطمه ، وصكت الأذان غمغمه ، واستشرى عصف الريح ، فحطت الشرع ، واقتصر على الدالين الصغار دون أنصاف الصواري ، ووقع اليأس من الدنيا ، وودعنا الحياة بسلام . وجاءنا الموج من كل مكان ، وظننا أننا قد أحيط بنا . فيا لها من ليلة يشيب لها سود الذوائب ، مذكورة في ليالي الشوائب ، مقدمة في تعداد الحوادث والنوائب ، ونحن منها في مثل ليل صول طولاً . فأصبحنا ولم نكد ، فكان

من الاتفاقات الموحشة أن أبصرنا بر إقريطش عن يسارنا وجباله قد قامت أمامنا — وكنا قد خلفناه عن يميننا — فأسقطتنا الريح عن مجرانا ونحن نظن أننا قد جزناه ؛ فسقط في أيدينا ، وخالفنا المجرى المهود الميمون ، وهو أن يكون البر المذكور منا يميناً في استقبال صقلية ، فاستسلمنا للقدر ، وتجرعنا غصص هذا الكدر ، وقلنا :
 سيكون الذي قُضِيَ سَخِطَ العبد أم رَضِيَ ^(٢٠)

ف ٩٩ — العبدري — الجغرافيون في العصر الترناطي :

أبو محمد العبدري من أهل بلنسية ، طاف بنواحي المغرب والأندلس في سنة ١٢٨٨/٦٨٦ ، وسجل مشاهداته في كتابه « الرحلة المغربية » . وقد بدأ رحلته تلك من حاحة في بلاد السوس ، ووصل إلى مكة عن طريق البر ، وكر راجعاً ونزل الإسكندرية ، ثم قطع المغرب إلى ساحل المحيط . وهو يشبه ابن بطوطة في طريقة روايته لأخبار رحلته ، ولكنه تكلف أسلوباً شديداً يبدو فيه الغوص وراء الألفاظ ، فأضاع الجزء الكبير من قيمة « رحلته » — على خلاف ابن بطوطة الذي يكتب في أسلوب سهل لطيف — ووصفه لثونس وما رآه فيها لطيف جميل ^(٢١) .

ومن الجغرافيين النابيين الذين هم الأندلس على بن سعيد المغربي ، وقد تحدثنا عنه آنفاً (ف ٧٩) .

ومن رحالة الأندلس في العصر الترناطي أبو عمر عبد الله بن رشيد بن النوشريسي ، الذي جاب نواحي المغرب ومصر والشام في سنة ١٢٧٤ ، وسجل مشاهداته في « رحلة » لدينا منها بضع نسخ مخطوطة . وهو يورد في سياق كلامه تراجم من لقي من أهل الأدب ، ويتحدث لنا عما شهد من مجالس أهل العلم وما زار من المكتبات . ومنهم كذلك ابن رشيد السبتي الفهري الخطيب (أبو عبد الله محمد بن عمر بن محمد ، ٦٥٨ — ١٢٦٠/٧١١ — ١٣١٢) من أهل سبتة ، وكان

ضليعاً فى الحديث وخطيباً بليغاً ، وله شروح وتعليقات على كتب الضبى وابن الأبار ، وله رحلتان مشهورتان : الأولى طاف فيها بنواحى المغرب ، وزار فى الثانية الأندلس ؛ وقد أورد فى تضايف كلامه إشارات نافعة عن الأدب والتاريخ الطبيعى ، وله كذلك مصنفات فى تراجم محدثى الأندلس وفقهاؤها وشروح على صحيحى البخارى ومسلم^(٢٢) . ومنهم كذلك ابن جابر (أبو عبد الله محمد بن جابر ابن محمد بن قاسم ، المتوفى سنة ٧٤٦/١٣٤٥) من أهل وادى آش ، وقد سكن تونس معظم أيامه ، وهو من شيوخ ابن الخطيب ، وله رحلة أورد فى ثناياها ما كسبه من الفوائد الأدبية خلال أسفاره (لدينا منها نسخة فى الإسكوريال) . ومنهم البلبوى (أبو البقاء خالد بن عيسى بن أحمد بن إبراهيم بن أبى خالد) من أهل قننور^{٢٣} ، وقد طاف بنواحى المغرب والمشرق فيما بين سنتى ٧٣٦ و ٧٤٠/١٣٣٥ و ١٣٣٩ ، وكتب رحلته فى أسلوب تكلف فيه الإغراب والتفصح ، وسطا على بعض السابقين فأدرج قطعاً من مؤلفاتهم فى كلامه دون أن يشير إلى ذلك ؛ وقد نقده ابن الخطيب وعاب عليه ذلك . وقد أورد وصف رحلته فى كتابه المسمى « تاج الفرق فى تحلية علماء المشرق » .

أما رحلات ابن بطوطة (أبى عبد الله محمد بن محمد اللوتى الطنجى)^(٢٤) فقد قام بتدوينها ابن جزى (أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن جزى الكلبى ٧٢١ - ٧٥٧/١٣٢١ - ١٣٥٦) وهو من أهل غرناطة ، وكان من رجال أبى الحجاج يوسف بن الأحمر صاحب غرناطة ، وقد عهد إليه فى صياغة رحلات ابن بطوطة لما اشتهر عنه من الظهور فى الأدب والشعر والتاريخ واللغة والفقہ ؛ وقد أتم كتابتها فى ثلاثة أشهر ، معتمداً على ما سجله ابن بطوطة من الملاحظات ونجد فى كتابات الموريسكيين بعض كتب الرحلات ، منها وصف رحلة إلى مكة كتبه صاحبها بنفسه فى الكتاب المسمى « رباغيات حاج بوى مونثون »

الفلسفة واللاهيات

١٠٠ — أصول الفلسفة في الأندلس .

(أ) المدرسة الأفلاطونية الحديثة

١٠١ — محمد بن عبد الله بن مسرة .

١٠٢ — مدرسة ابن مسرة .

(ب) المدرسة المشائية

١٠٣ — عودة الدراسات الفلسفية إلى النشاط .

١٠٤ — أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الداني .

١٠٥ — ابن السِّيد البطليوسى .

١٠٦ — ابن باجة .

١٠٧ — ابن طفيل .

١٠٨ — ابن رشد : حياته ومؤلفاته .

١٠٩ — آراء ابن رشد .

١١٠ — تلاميذ ابن رشد .

١١١ — الرشدية (مذهب ابن رشد) .

(ح) التصوف

١١٢ — أبو العباس العرفى .

١١٣ — محي الدين بن عربي .

١١٤ — مؤلفات ابن عربي .

١١٥ — الخصائص العامة لمذهب ابن عربي .

١١٦ — ابن سبويه .

١١٧ — ابن عباد الرُّندى .

ف ١٠٠ — أصول الفلسفة في الأندلس :

يقول آسين بلاثيوس : « إن تاريخ الفكر الفلسفي في إسبانيا الإسلامية هو صورة مطابقة لما كانت عليه الثقافة الإسلامية المشرقية ، دون أن تكون له بالتراث المحلي صلة حقيقية يقوم عليها الدليل »^(١) . وقد اعتمد آسين في قائلته تلك على ما ذكره صاعد الطائلي وابن حزم القرطبي في كتبهما ، ولم يكن أيهما يعرف شيئاً عن تاريخ الفكر اللاتيني في الأندلس ، بل لم يعرفا مجرد اسمي « سنيكا » و « القديس إيزودور » ؛ هذا مع أنهما عرفا شيئاً طيباً عن اللاهوتيين من نصارى المشرق .

ويؤيد ما يقوله بلاثيوس فيما يذكره [من إغفالها ذكر أي شيء عن الفلسفة في إسبانيا قبل العرب] ما هو معروف من إقنار العصر القوطي من التفكير الفلسفي إقناراً يكاد يكون تاماً ، ويؤكد ذلك ما نعرفه من هبوط مستوى آداب المستعمر بين في الأندلس . ثم إن الفاتحين المسلمين ، ما بين عرب و بربر ، لم يكونوا أكثر من محاررين متحمسين لعقيدتهم ، ولم يُؤثر عنهم انصرافٌ إلى تفكير فلسفي ، إذ لم يحسوا بحاجة إليه . وقد اكنفوا بأن أخذوا عن أهل البلاد لغتهم وقانونهم الجاري بينهم ، وأطرافاً من أنظمتهم السياسية والإدارية . ولهذا لم يظهر بين مسلمي الأندلس فيلسوف واحد حتى القرن الثالث الهجري ، إنما كان مهمهم — إلى ذلك الحين — الدراسات الفقهية واللغوية .

وقد قُضِيَ في عنف على الحركات الأولى التي رمت إلى التجديد — في ميدان الفقه خاصةً — وكان لها في نفس الوقت طابع سياسي قومي : ومن هذه الحركات تلك التي قام بها « شَقِيَّابْن شَعْبِيَا » ، وهو مؤدب صبيان نما نحو التمصب والشعبذة ، وزعم أنه من أبناء علي وفاطمة ، وانتزى بناحية شنتبرية سنة ٧٦٩/١٥٢^(٢) ؛ وقد قضى عبد الرحمن الداخل على حركته . وكان فقهاء الأندلس للمالكين من أشد

الناس كراهة لكل حركة ترمى إلى التجديد ومخالفة ما كانوا سائرين عليه ،
 وشدت الدولة أزرهم في حزم ، فخرمت على الناس كتب الفقه غير المالكي
 — ولو كان أصحابها من أجلاء أهل السنة — كمسند ابن أبي شيبه^(٣) أو كتاب
 « المعارف » لابن قتيبة^(٤) ، وهو تاريخ يضم أطرافاً من الروايات الإسلامية
 وروايات القوراة .

بل اضطهد المالكيون كل مذهب فقهي يخالف مذهبهم ، ومن ذلك أنهم
 أرادوا الإيقاع ببيحي بن مخلد وتكلموا في حقّه عند الأمير محمد [بن الحكم] ،
 لأنه أراد أن يعلم الناس فقه الشافعي في الجامع ، ولولا رجاحة عقل الأمير لأوذى
 بقي^(٥) . ونظر فقهاء الأندلس إلى كل تفكير عقلي في مسائل الدين على أنه زندقة ،
 واتهموا من يتكلم في المنطق في دينه^(٦) ، بل لم يتساحوا مع نفر من الناس
 صدرت عنهم أقوال تمس الدين في ساعة الضيق أو اشتداد المرض أو في لحظة خفة
 وانبساط ، فعاقبوا بعضهم وقتلوا البعض الآخر^(٧) .

وقد كثرت اتصال الأندلسيين بالمشاركة أثناء رحلاتهم للحج والطلب ، وعاد
 هذا الاتصال على الأندلسيين بفوائد جمة ، فالتسعت معارفهم في الفقه واللغة ،
 وسموا الدروس في حلقات يتحدث فيها كبار شيوخ المذاهب المشهورة ، وتأصلت
 — نتيجة لذلك — العلاقات بين شيوخ الأندلس وشيوخ المشرق ، وكان
 الكثيرون منهم يقولون بمذاهب أكثر حرية من المذهب المالكي . ثم إن فرق
 الباطنية والخوارج والأباضية والصفيرية ، التي كثرت في المشرق والمغرب ، لم تدع
 أي فرصة لنشر ما تقول به تمر دون أن تفتيد منها ؛ وكذلك وفد على الأندلس
 من فقهاء المشرق وعلمائه نفر تكلموا بين أهلها في هذه الآراء .

وأول من تنسب إليه المراجع الكلام في الاعتزال في الأندلس طيب
 أديب قرطبي — لم تذكر اسمه^(٨) — رحل إلى المشرق في القرن الثالث الهجري ،
 وحضر مجالس الدرس في العراق ، وعاد إلى بلده لينشر بين أهلها كتب الجاحظ .
 « وكان الجاحظ رأس النافرين في عصره ، وكان عالماً متبحراً في الجدل ، عارفاً

بالفلسفة والكلام»^(٩) ، وقد عدّل آراء إبراهيم النّظام — من كبار مؤسسي مذهب الاعتزال — ووجهها وجهة أكثر حرية . واتبع هذه الآراء شيخان من أجلاء أهل قرطبة هما أحمد بن عبد الله الحليبي ، وأبو وهب عبد العلي بن وهب القرطبي — مولى قريش ، وكان من أهل الفقه والشرع ، وكان ذا مكانة عليّة عند عبد الرحمن الأوسط^(١٠) — واتبعها كذلك خليل بن عبد الملك المعروف بخليل الغفلة^(١١) ، الذي أحرق فقهاء المالكية كتبه عند موته^(١٢) . وكذلك تكلم في الاعتزال تلميذه ابن السّمينه (أبو بكر يحيى بن يحيى)^(١٣) ، وغيره كثيرون ؛ وقد جمعوا بين الاعتزال ومذاهب الباطنية وآراء الفلاسفة والفقهاء .

وكانت بدعة الباطنية قد انتشرت في إفريقية في منتصف القرن التاسع الميلادي (الثالث الهجري) ، وصارت منظمة تنظيمياً سياسياً على يد الدولة الفاطمية الشيعية ، بفضل اجتهاد رجالها في نشر الدعوة الفاطمية ، فلم تلبث أن انتقلت أطراف منها إلى الأندلس . وتحدثنا الكتب عن شيخ من أهل شرق الأندلس ، أسقط الكتاب وأصحاب معاجم التراجم اسمه ، أمر بصلبه عبد الرحمن الأوسط في سنة ٢٣٧/٨٥١^(١٤) لأنه تكلم في الدين بآراء جديدة ذات طابع باطني ، « فادعى النبوة وتناول القرآن على غير تأويله ، فاتمه جماعة من النوغاء وقام معه خلق كثير »^(*) .

وخلال القرون الثلاثة الأولى للإسلام في الأندلس ، كانت الرياضة والفلك والطب تتقدم في ببطء شديد جداً^(١٥) ؛ وكانت المشتقة أكبر على من بحث في الطبيعة وما وراء الطبيعة . وكل ما نلمحه أثر غامض جداً من آراء أبي بكر الرازي الطبيب الفارسي في أصول التفكير الفلسفي الأندلسي ، وفي ذلك يقول آسين پلاثيوس : « إن الفلاسفة لم تدخل الأندلس صريحة ظاهرة بوجه مسفر ، وإنما وفدت عليه في صحبة العلوم التطبيقية — الفلك والرياضة والطب —

أو تسربت إليه مستترة في ثنايا يدع الاختزال وبعض مذاهب الباطنية ، كما اجتهد أصحاب هذه المذاهب — التي كان الناس يتحاشونها — في النجاة بأنفسهم من تعقب الفقهاء وأهل الدولة بالظهور في مظهر التدين والنسك^(١٦) .

ولدينا أخبار ترجع إلى أقدم أيام العصور الإسلامية في الأندلس ، تحدثنا عن زهاد أندلسيين اجتهدوا في تعذيب أبدانهم وحرمان أنفسهم من اللذات وآثروا الفقر من طواعية ، وكانوا يقطعون سواد الليالي في قراءة القرآن ، ويصومون الدهر ولا يأكلون إلا مرة واحدة في الأسبوع في شهر رمضان ، ولا يتداوون إذا مسهم مرض ، ويقيمون حياتهم عزباً ، ويخرجون عما بأيديهم للفقراء أو يفتدون به الأسرى ، ويقطعون العمر متوحدين بأنفسهم في عزلة وتأمل ، أو يرابطون على الثغور لمحاربة النصارى طلباً للشهادة^(١٧) . وكان هذا النسك خلال القرن الهجري الثاني أمراً فردياً ، يقنع الناسك فيه بالعبادة ويجتهد في النجاة بنفسه ، ثم خرجوا بعد ذلك عن عزلتهم واجتهدوا في دعوة الناس إلى سلوك طريقهم ، وجعلوا يعظون الناس ، فصار لهم سريدون وأتباع ، وبدأت حياة الزهد وحلقات النسك والزهاد تظهر في الأندلس كما كان الحال في المشرق . وفي هذه المواضع جرت عادة الناس بالخلط بين الفلسفة وعلوم الزيب ، إلى جانب ما كانوا منصرفين إليه من تعبد وتدارس لشؤون الدين .

(١) المدرسة الأفلاطونية الحديثة

ف ١٠١ — محمد بن عبد الله بن مسرة^(١٨) :

كان محمد بن مسرة القرطبي (٢٦٩/٨٨٣ — ٣١٨/٩٣١) أول مفكر أصيل أطلمه الأندلس الإسلامي ، وكان يستر آراءه وراء نسكه وزهادته ، وكان أبوه عبد الله من أهل البيع والشراء ، وكان يهوى آراء المعتزلة ، وكان صديقاً لخليل الغفلة ، وهو الذي علم ابنه محمداً علوم الدين والفلسفة . وقد توفي أبوه قبل

سنة ٢٩٩/٩١٢ وكانت سنة إذ ذاك سبعة عشر عاما ، وكان له في هذه السن المبكرة عدد من التلاميذ ، وكان يعيش مع أقربهم منه في معتزل له كان يملكه بجبل قرطبة . ولم تلبث الأراجيف أن انتشرت حول طبيعة تعاليمه ، فقيل إنه كان يلقي تلاميذه بدعة الاعتزال — التي تقول بأن الإنسان هو الفاعل الحقيقي لجميع ما يصدر عنه من أعمال ، وأن عذاب النار ليس عذابا حقيقيا — كما قيل إنه ينشر آراء أنبأذُقليس ، التي تدعو نحو وحدة الوجود وتكاد أن تكون فلسفة إلحادية .

وكانت الظروف السياسية والاجتماعية العامة في الأندلس في ذلك الحين عسيرة حرجة ، فقد كان ذلك عهد الأمير عبد الله الذي لم يكن يعترف بسلطته أحد من العرب أو البربر ، وكان كل رئيس منهم قد انتزى في ناحية وأصبح مستقلا فيها بالفعل ، وخرج من طاعته كذلك عمر بن حفصون ومن انضم إليه من المولدين الذين كانوا يمثلون رؤساء الحركة الوطنية الإسبانية . ورأى الأمير أن يسكت عن ابن مسرة وأتباعه خوفاً بما قد يؤدي إليه تعقبه وأنصاره من فتنة جديدة ، كانت الحكمة تقضي بتلافيها في وقت اجتاحت فيه الفتن الأندلس كله .

وخاف ابن مسرة على نفسه ، فزعم أنه خارج للحج وهرب من قرطبة ، على إثر ما فعله الفقيه أحمد بن خالد المعروف بالحباب ، إذ كتب « صحيفة » اتهم فيها رأيه وعتيدته . وكان الحباب فقيها مشاورا وعارفاً بعلوم الدين مشتهراً بالزهد والصلاح ، وكانت مكانته العلمية في قرطبة لا تقل عن مكانة ابن مسرة ، وشهرته بالتزام السنة أعظم . وخرج مع ابن مسرة اثنان من تلاميذه : محمد بن حزم بن

بكر التنوخي المعروف بابن اللديني ، وابن صيقل (محمد بن وهب القرطبي) . وألم ابن مسرة بالقيروان ، ثم نزل مكة وسمع أبا سعيد بن العربي ، وكان أبو سعيد يُظهر أنه يروي الحديث على مذهب أهل السنة ، ولكنه كان يتكلم في الباطنية ويعلم دقائق أسرار الصوفية وآرائهم الإشرافية ؛ وقد كتب رسالة في الرد على ابن مسرة .

وعاد ابن مسرة إلى قرطبة ، ولزم معتزله في جبل قرطبة حيث اتخذ لنفسه دُورَة بناها على هيئة الدويرة التي اتخذها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) للارياة القبطية أم ولده إبراهيم . وأخذ يقرأ دروسه ويعرض المسائل العويصة بطريقة بارعة وتعبير بليغ ، فيبدون لم يتمق في ذلك العلم وكأنه يتكلم برأى أهل السنة ، في حين أنه كان يفتح بكلامه مغاليق الأسرار لطلبته ، وينتهي بأن يعلمهم كتبه التي ألهاها ؛ ومن بين أولئك التلاميذ واحد امتاز بحدة الذكاء والنشاط ، هو حى بن عبد الملك ، « وكان قريب الجوار منه ، يسكن معه الأيام الكثيرة في متعبده بالجبل ، وينصرف ثم يعود . ولما وضع ابن مسرة كتاب « التبصرة » - ولم يكن يُخرج كتاباً حتى يتعبه حولا كاملا - احتال حى فيه حتى أخرج إليه دون إذنه ورأيه ، وانتسخه ثم صرف الأصل ، وأتى بالنسخة إلى ابن مسرة فأراه إياها وقال : « تعرف هذا الكتاب ؟ » ، فلما تصفحه قال : « لا نفعك الله به » . ولم يُخرج كتاب التبصرة بعد ذلك إلى أحد » (*). وكان من تلاميذه كذلك خليل بن عبد الملك القرطبي للمتعبد - وكان من أهل التقي والورع البالغين - ومحمد بن سليمان العكي المعروف بابن المورورى ، وأحمد بن فرج بن مُنتيل بن قيس ، وغيرهم كثيرون .

وعاشت هذه الجماعة الصغيرة حياة مقفلة لا يُعرف من تفاصيلها شيء على وجه التحقيق ، فزعم بعض الناس أن أفرادها يعيشون وفق « طريقة » صوفية قررها لم ابن مسرة . وقد كانوا يتظاهرون أمام الفقهاء بمظهر يخالف ما كان عندهم من النحوي آرائهم نحو المذاهب العقلية ، ولكن الذى لا شك فيه أنه كانت لهذه الجماعة « طريقها » ، وأنها كانت تشبه الطرق الصوفية التي سار عليها ذو النون الإخيمى المصرى والتَّهْرَجُورِي . ولما كان شيخ هذه الجماعة وأفرادها يتحرون التزام قواعد طريقهم التزاماً دقيقاً ، فقد انتهى الناس إلى الانقسام في أسرم فرقتين : « فرقة تبليغ به (ابن مسرة) مبلغ الإمامة في العلم والزهد ، وفرقة تلعن

(*) ابن الأبار : تكملة ، ترجمة ١١٣ .

عليه بالبدع لما ظهر من كلامه في الوعد والوعيد ، وبخروجه عن العلوم المعلومة بأرض الأندلس الجارية على مذهب التقليد والتسليم « (*) » ؛ وذهب الفقهاء إلى أن ابن مسرة وتلاميذه زنادقة .

وعند ما عرفت كتبه واطلع عليها الناس ثارت مشاعرهم ضدها ، وسرعان ما انتقلت إلى غير قرطبة من المواضع ، ووصلت المشرق فأنكرها نفر من علماء الجماعة المتمسكين بالمأثور ، ولكن يبدو أن العلماء لم يقولوا بأن ما فيها منحرف عن النهج الصحيح . ومات ابن مسرة في قرطبة سنة ٩٣١/٣١٩ ، وشيع إلى قبره باحترام من خصومه وإجلال من أتباعه .

وقد ضاعت كتب ابن مسرة كلها ، ولم يصل إلينا إلا اسمائين منها هما : « كتاب التبصرة » و « كتاب الحروف » . وقد استطاع الأستاذ آسين بلاثيوس أن يجمع أطراف مذهب ابن مسرة الفلسفي والديني ، معتمدا على ما ورد منها في كتب الكتاب الأندلسيين ، أمثال ابن حزم القرطبي وصاعد الطليطلي والشهرزوري والشهرستاني وابن أبي أصيبعة والقفطي . ومحور مذهبه كله آراء أمباذقليس ، وليس المراد هنا أمباذقليس الحقيقي بل آراء أمباذقليس زائف عرفه المسلمون عن طريق أساطير تزعم أنه عاش في عصر داود عليه السلام ، وأنه أحاط بعلم سليمان واليونان جميعاً ، وكانت آراؤه « خليطاً امتزجت فيه مذاهب الغنوصية التي قالت بها الأفلاطونية الحديثة ، كما كوّنها الإسكندرانيون وزينوها للناس بنسبتها إلى فيلسوف أغرغنت (أي أمباذقليس) ، لكي يكسبوها ما لهذا الفيلسوف من مكانة » .

ويقوم مذهب أمباذقليس الزائف هذا^(١٩) — وابن مسرة من بعده — على أفكار فيلون الإسكندري وأفلوطين (في التباسوات) وفرقورثوس الصوري وبروقليس ؛ والجانب الجديد فيها أنها أبرزت نظرية ثانوية موجودة في التباسوات

تقول « بوجود مادة روحانية يشترك فيها جميع الكائنات عدا الذات الإلهية » ، واعتبرت هذه المادة أول صورة برزت للعالم العقلي الذي يتألف من الجواهر الخمسة الروحانية . وقد دافع ابن مسرة عن هذا المذهب تحت ستار إسلامي من آراء المعتزلة والباطنية .

ف ١٠٢ - مدرسة ابن مسرة :

أضنى الحَكم المستنصر جواً من التسامح على الحياة الفكرية الأندلسية ، وقد أعان ذلك مدرسة ابن مسرة على البقاء . وقد كان معظم تلاميذ ابن مسرة من أهل الأدب والمؤرخين والمعنيين بالجدل والتفكير الفلسفي ، ولم يكونوا من المنصرفين إلى دراسة الحديث . وقد أورد لنا المؤرخون أسماء بعضهم مثل طريف الرُّوطي^(*) ومحمد بن مُفَرَّج المَعافري (يعرف بالفنّي) ، وابن أخت عبدون (أحمد بن وليد بن عبد الحميد بن عوسجة الأنصاري) ، ورُشيد بن محمد ابن فتح الدجاج (من أهل قرطبة ، يكنى أبا القاسم) ، وأبان بن عثمان بن سعيد بن المبشر (يكنى أبا سعيد) ، ومحمد بن أحمد بن حمدون بن عيسى الخولاني (يعرف بابن الإمام) ، ومحمد بن عبد الله بن عمر بن خير القيسي (من أهل قرطبة ، وأصله من جيان) ، وعبد العزيز بن حَكم بن أحمد بن الإمام محمد بن عبد الرحمن ابن الحكم ، وغيرهم . ولا يبدو أنهم غيروا شيئاً من تعاليم شيخهم ، وكان من علامات أهل هذه المدرسة « التشريق » ، أى أنهم كانوا لا يولون وجوههم شطر مكة في الصلاة ، وإنما نحو الشرق الفلكي^(٢٠) .

ثم ظهر لهذه المدرسة خصوم نذكر منهم محمد بن يَبْقَى^(٢١) الذي ولي قضاء قرطبة عند وفاة الحكم المستنصر ، وأبا بكر الزبيدي النحوي^(٢٢) ، وأبا عمر بن لب الطلمنكي^(٢٣) ؛ وقد اشتدوا في مهاجمة آراء ابن مسرة لما بدا على الحكم

(*) من أهل قرطبة ولكنه سكن روطلة ، وكان مولى للوزير أحمد بن محمد بن جدير .

الاستنصر في أخرياته من رغبة في التكفير عما أبداه من ميل إلى الفلسفة فيما سلف ،
بالانصراف إلى أعمال التقى^(٢٤) . وتخرج أمر المسريين عند ما تظاهر المنصور
بالحمية للدين ، وما فعله من تركه الفقهاء يستخرجون من مكتبة القصر الكتب
التي لم يرضوها وإحراقها أمام الناس ، فزادت الحملة على أتباع ابن مسرة واضطروا
إلى الهجرة ، ومن هؤلاء عبد الرحمن المهندس الذي كان يلقب بإفيلديس
الأندلس ؛ وأودع السجن صاعد بن فيحون بن مكرم السرقسطي المعروف بالحمار ،
الذي ألف مدخلا إلى الفلسفة سماه « شجرة الحكمة »^(٢٥) ، وتعقب الفقهاء ابن
الإفيلديس وكان من ذوى العلم الواسع بالأدب وعلوم الدين والفلسفة^(٢٦) ، وأصاب مثل
ذلك تلاميذه ، مثل قاسم الذي كان ينتسب إلى البيت الأموي ، ومحمد شاعر بجانة ،
وابن الخطيب الذي اتهم بالزندقة ولم ينبج من الموت إلا بشق النفس^(٢٧) .

ولم يضمحل أمر المدرسة المسرية مع ذلك ، فقد ظلت قائمة ولها أتباع :
فكان رأسها في أيام ابن حزم لإسماعيل بن عبد الله الرعييني ، وكان بجانة الدار
وكان أهل بيته كلهم مسريين ، وكان من بينهم ابنة له لقبها الناس « بالمتكلمة »^(٢٨) .
وقد تكونت حول منذر بن سعيد البلوطي قاضي قرطبة وفتيها العروف (٢٧٢ -
٨٨٦/٣٥٥ - ٩٦٦) جماعة تقول قول ابن مسرة ، وكان معتزليا^(٢٩) ، وتبعه
في ذلك أهله^(٣٠) وخاصة ابنه الحكم ، وكان شاعرا أديبا طيبا فقيها متضلما في
علوم الدين ، وكان رأس المعتزلة في الأندلس على أيامه ، وكان ينبج نهج ابن
مسرة في النسك^(٣١) .

وقد أدخل الرعييني شيئا من التعديل على آراء المذهب كما وضعها ابن مسرة ،
فقال بأن شيخ الجماعة ينبغي أن يعتبر إماما أى رئيسا سياسيا دينيا لها ، ودعا إلى
إحاطته بالإجلال والتوقير الكاملين ، وذهب إلى أن الملكية من كل صنف
غير شرعية ، وقال « بشكاح المتعة ، وأن العالم لا يفتنى أبدا بل هكذا يكون
الأمر بلا نهاية »^(٣٢) .

وليست لدينا معلومات عن المدرسة بعد الرعيبي ، ولكن أثر آراء ابن مسرة ظل ظاهراً ملموساً زمنياً طويلاً . وأصبحت العربيّة مركز الصوفية في الأندلس ، تتكلم بآراء تنحو نحو وحدة الوجود ، وفيها ظهر محمد بن عيسى الإلبيري المتصوف ، وفيها ظهر كذلك أبو العباس بن العريف . ومن تلاميذ أبي العباس ابن العريف في غرناطة أبو بكر الميورقي (محمد بن الحسين بن أحمد بن يحيى) ، وابن براجان (عبد السلام بن عبد الرحمن بن أبي الرجال الإفريقي ثم الإشبيلي) وهو شيخ ابن عربي ، وابن قسّى (أبو القاسم أحمد بن الحسين) في نواحي الجوف ، وهو الذي قاد « المرينيين » في قيامهم على المرابطين^(٢٢) .

ومن أخذ ببعض آراء ابن مسرة يحيى الدين بن عربي ، وعن طريقه انتقلت هذه الآراء إلى المشرق ، وأخذ بها كذلك بعض مفكرى اليهود مثل ابن جبرول وبعض الإسكولاستيين من النصارى مثل دومنيجو جنذالذ أسقف شقوبية وقد دعا إليها في طليطلة ، وكذلك روجر بيكون وريموندو لوليو وغيرهم .

(ب) المدرسة المشائية

ف ١٠٣ - عودة الدراسات الفلسفية إلى النشاط :

كان من نتيجة الظروف التي خلقها المنصور بن أبي عامر بظواهره بالحجّية للدين ، وما أقدم عليه من إخراج كتب الفلسفة وعلوم اليونان من مكتبة الحكم المستنصر وإحراقها ، أن توقّف تطور الدراسات الفلسفية في الأندلس قليلاً . ولكن سقوط الخلافة ، وانتثار أمر الجماعة ، وقيام ممالك الطوائف في النواحي ، نفّست من مخنقتها وأتاحت لها فرصة السير في الطريق الذي بدأته . ويعزو صاعد الطليطلى في كتاب « طبقات الأمم » تلك الحياة التي تجددت في كيان الدراسات الفلسفية إلى أسباب ترجع كلها إلى الحالة السياسية التي سادت الأندلس أيام الطوائف ويقول : « لم يزل أولو النباهة من ذلك الوقت يكتمون

ما يعرفونه منها (الحكمة وعلوم الأوائل) ، ويظهرون ما تُجَوِّز لهم فيه من الحساب والفرائض والطب وما أشبه ذلك ، إلى أن انقرضت دولة بني أمية من الأندلس ، وافترق المُلْك بين المنتزعين عليهم في صدر المائة الخامسة من الهجرة ، وصاروا طوائف واقتمد كل ملك قاعدة من أمهات البلاد ، فاشتغل بهم ملوك الحاضرة العظمى قرطبة عن امتحان الناس والتعقب عليهم ، واضطرتهم الفتنة إلى بيع ما كان بقصر قرطبة من ذخائر ملوك الجماعة من الكتب وسائر المتاع ، فبيع بأوكس ثمن وأتفه قيمة ، وانتشرت تلك الكتب بأقطار الأندلس ، ووُجد في خلالها أعلام من العلوم القديمة ، كانت أفلتت من أيدي المتحنيين بحركة الحكم أيام المنصور بن أبي عامر ، وأظهر أيضا كل من كان عنده من الرعية شيء منها ما كان لديه منها . فلم تزل الرغبة ترتفع من حين في طلب العلم القديم شيئا فشيئا ، وقواعد الطوائف تتمصر قليلا قليلا إلى وقتنا هذا ، فالحال بحمد الله أفضل مما كانت بالأندلس في إباحة تلك العلوم والإعراض عن تحجير طلبها ، إلى أن زهد الملوك في هذه العلوم وغيرها . لكن اشتغال الخواطر بما دم الثغور من تغلب المشركين عاما فعاما ، [وانتقاصهم] أطرافها ، وضعف أهلها عن مداومتهم عنها ، قلل طلاب العلم وصيرهم أفرادا بالأندلس .

وقد ساد نواحي الأندلس كلها خلال ذلك العصر تسامح عظيم ، فتكلم أصحاب كل الآراء بما أرادوا من دون أن يخشوا شيئا ، وظهرت الاتجاهات كلها : من الفقهاء المتشددين خصوم كل تأمل إلى الفلاسفة العقليين الذين قالوا بدين واحد للبشر جميعا ، فقام الطبيب الفيلسوف الكرمانى بنشر « رسائل إخوان الصفاء » في سرقسطة ، وكان الذى أتى بها إلى الأندلس مسلمة الجريطى ، ودخلت معها أفلاطونية حديثة بالإضافة إلى ما تكلم به ابن مسرة منها .

وإلى جانب هذا الاتجاه الأفلاطونى الحديث — الذى بدأ ابن مسرة وانتهى بمحمى الدين بن عربى (ف ١٠١ و ١١٣) — قامت في الأندلس مذاهب الفلسفة المشائية وذاعت ذيوها واسعا .

ف ١٠٤ — أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الداني (٤٥٩ — ١٠٦٧/٥٢٨)

— (١١٣٤) (٣٤) :

لا ندرى إذا كان قد انتشر بين أهل الأندلس كتاب « تقويم الذهن » (نشره جنرالذ پالنثيا مع ترجمة إسبانية سنة ١٩١٥ في مدريد) الذي ألفه أبو الصلت الداني (ف ٣٩) . والكتاب رسالة في المنطق توجز آراء أرسطو في أمانة ودقة .

ف ١٠٥ — ابن السَّيِّد البَطِّيوسِي (عبد القمَّار بن محمد بن السَّيِّد الفُحُورِي ،

٤٤٤ — ١٠٥٢/٥٢١ — ١١٢٧) :

كان كاتباً لعبد الملك بن رزيق صاحب السهلة ، وكان له في دولته « مجال ممدوم ومكان معتد » . كما يقول ابن خاقان ، ثم لجأ إلى طليطلة فبلنسية فسرقسطة . كان — كما يقول ابن خاكان — عالماً بالأدب واللغات ، متبحراً فيهما مقدماً في معرفتهما وإتقانها ، وله في اللغة مؤلفات جليظة منها « كتاب الاقتضاب في شرح أدب الكتاب » لابن قتيبة ، وهو أشبه بدليل يستعين به المشتغلون بالكتابة عن أصحاب الدول ، و « كتاب الإنصاف في التنبيه على الأسباب الموجبة لاختلاف الأئمة » . وكلا الكتابين لهما أهمية فلسفية ؛ أما كتابه المسمى « كتاب الحدائق » (نشره آسين يلايوس مع ترجمة إسبانية في سنة ١٩٤٠) فيقول في حقه آسين : « إن كتاب الحدائق لا يمكن اعتباره مجرد كتاب سهل الاستعمال يعين جمهور غير المتخصصين في الفلسفة على معرفة المبادئ الفلسفية ، بل له — بفضل طابعه السهل المبسط — أهمية أخرى ، وهي أنه يعرض علينا صورة صادقة إلى حد كبير للحالة التي كانت عليها المعارف الفلسفية في إسبانيا الإسلامية في الفترة التي أُلِّف فيها . فقد كُتِب في نفس الوقت الذي كان ابن باجة يؤلف

فيه كتبه ، وقبل أن يفكر ابن طفيل وابن رشد في شرح مؤلفات فيلسوف اسطازاريا (أى أرسطو) . ومما يزيد في أهميته أن ابن السِّيد يورد فيه فقرات بنصها من محاوره تياوس لأفلاطون . وهذه الفقرات التي يوردها ابن السِّيد من تلك المحاوره لا تتفق مع نصها اليونانى المعروف ، مما يثير مشا كل متعددة تتعلق بالمراجع الخاصة بدراسة أفلاطون ، وهى مشا كل جديدة بأن يناقشها المتخصصون فى الفلسفة . وعلاوة على ذلك كله فإن كتاب الحدائق يعتبر أول محاولة للتوفيق بين الشريعة الإسلامية والفكر اليونانى (*) (٣٥) .

ف ١٠٦ - ابن باجة :

كان أبو بكر محمد بن يحيى بن الصائغ الملقب بابن باجة^(٣٦) (المتوفى سنة ٥٢٢ أو ٥٣٢ / ١١٢٨ أو ١١٣٨) من أهل سرقسطة ، وقد عُرف عند فلاسفة الإسكولاستيين باسم (أفيمپاس أو أفيمپاشيه أو أفيمپائيه) وهو تحريف لابن باجة . وقد عاش فى أيام أحمد بن يوسف بن هود الملقب بالمستعين المتوفى سنة ١١١٠/٥٠٣ آخر أسراء بنى هود . ولا يبعد أن يكون ابن باجة قد مارس الصياغة التى كانت صناعة أسرته ، ولم تحدثنا المراجع بشئ عن تعليمه أو دراسته . وكل ما نعرفه أنه عند ما دخل المرابطون سرقسطة استطاع ابن باجة أن ينال ثقتهم ، وأنخذه عاملهم على سرقسطة - أبو بكر إبراهيم بن تيفلويت - كاتباً له ، واشتهر أمره فى ذلك الحين بالتضلع فى الفلسفة والموسيقى وقول الشعر الجيد . وعند ما توفى ابن تيفلويت فى سنة ١١١٦/٥٠٩ - أى قبل وقوع البلد فى يد ألفونسو المقاتل فى سنة ١١١٨/٥١١ - غادر ابن باجة سرقسطة إلى جنوبى الأندلس ، وسكن المريية ثم غرناطة ، حيث كانت له ندوات أدبية تحدثنا عنها الكتب ، ثم رحل إلى فاس

(*) Asfn Palacios, Ibn al-Sid de Badajoz y su libro de los cercos. Apud : Obras Escoljidas. II. p. 407.

وقد اختصر بالثيا هنا النص فأوردته بجملة من الأصل .

وربما إلى جيان ، مبتعداً عن السياسة جهلةً ، منصرفاً إلى التدريس والتأليف
 ووقع بينه وبين أبي الملا بن زُهر الطيب وابن خاقان الأديب (ف ١١)
 ما أوجب الفجور والتخاصم ، ويبدو أن سبب الخصومة بينه وبين ابن خاقان
 — أى ابن باجة — تندّر بما كان يفعله أبو نصر الفتح بن خاقان من التفتا-
 بما كان يصله من إفضال الأسماء والسروات . [وقد رأينا كيف انتصف ا-
 خاقان لنفسه من صاحبه في المسادة التي أدارها عليه في « القلائد »] ، وإن ك
 هجاؤه المذع له يتناقض تماماً مع ما قاله فيه في موضع آخر من مديح بالغ ، كتبوا
 « نور فهم ساطع ، وبرهان علم لكل حجة قاطع ، تتوجت بعصره الأعص
 وتأرجت من طيب ذكره الأمصار ، وقام وزن المعارف واعتدل ، ومال للأف
 فنناً وتهدل ، وعطل بالبرهان التقليد ، وحقق بعد عدمه الاختراع والتوليد .
 قدح ز ند فهمه أورى بشرر للجهل محرق ، وإن طما بجر خاطره فهو لكل ش
 مغرق ، مع نزاهة النفس وصونها ، وبعد الفساد من كونها ، والتحقق الذي
 للإيمان شقيق ، والجد الذي يخلق العمر وهو مستجد ، وله أدب يود عطار
 يلتحفه ، ومذهب يتمنى المشتري أن يعرفه ، ونظم تشقته اللبات والنحور ، وتد
 مع نطاسة جوهرها البحور » (*) .

وكان من خصوم ابن باجة أيضاً ابن السيّد البطليوسى تلميذ ابن خاقان
 وقد حقد الأطباء وكتّاب الدولة على ابن باجة وحسدوه ، وآل أسرته إلى أن م
 مسموماً في فاس بين سنتي ١١٢٨ و ١١٣٨ .

كان ابن باجة — كغيره من مفكرى العصور الوسطى — ملماً بجميع
 اليونان . وهو أقدم مؤلف أندلسى نعرف عن يقين أنه درس فلسفة المشائى
 ورجع إلى كتب الفارابى وابن سينا والغزالى . وأهم ما اشتغل به ابن باجة ش
 مؤلفات أرسطو ، ومن ذلك شرحه لكتاب « السماع الطبيعى » الذى يه

أيضاً « بسم السكيان » ، وشرحه لجزء من كتاب « الكون والفساد » و « تاريخ الحيوان » و « النبات » . وإلى جانب ذلك وضع شرحاً لمنطق الفارابي ، وشرح « كتاب الأدوية المفردة » لجالينوس ، وشرح كتاباً في نفس الموضوع لابن وافد الأندلسي وهو كتاب انتفع به ابن البيطار انتفاعاً عظيماً .

ولم يكتب ابن باجة بالشرح والتعليق والاختصار ، بل ألف كتباً أودعها علمه الخاص يذكر المؤرخون منها « مقال في البرهان » ، ومقالاً آخر في « الاسم والمسمى » ، وكتاب « كلام في الإسطقسات » (يبدو أنه في الهندسة) ، ومؤلفات في « الرياضة والفلك » ، وكتاباً في « النفس » ، وكتاباً في « التشوق الطبيعي وماهيته » ، وكتاباً في « القوة النزوعية » ، و « رسالة الوداع » ، وكتاباً عن « اتصال الإنسان بالعقل الفعال » ، وكتاب « تدبير الموحد » ، وغيرها كثير .

ولم يبق لنا من هذا الإنتاج الغزير إلا شرح ابن باجة لمنطق الفارابي (مخطوط بالأسكوريال) ، وهي رسالة في ذلك الفن تتجلى فيها شخصيته ، ومجموعة أخرى من الرسائل في الفلسفة والطب والعلوم الطبيعية (مخطوطة في مكتبة أوكسفورد وبرلين) يعنى بنشرها آسبن پلايوس بادئا بمقالته في « النبات » (الأندلس ، ١٩٤٠) ، [و « رسالة الوداع » في ترجمتها العبرية التي قام بها جودا بن فيثس ، وترجمة عبرية لقطع من كتاب تدبير الموحد قام بها موسى النربوني في القرن الرابع عشر الميلادي وجعلها في نهاية تعليقه على ابن طفيل ، وقد اعتمد عليها مونك في تأليف كتابه . ورسالة الوداع^(٣٧) ترمي إلى إعادة العلم إلى مكانه الحقيقي به ، وبيان فضل العلم والمعرفة وفضل التأمل الفلسفي ، وكيف يؤديان وحدهما بالإنسان إلى معرفة الطبيعة ، وكيف يعينانه — بفضل من الله — على تعرف نفسه ، ويؤديان به إلى الاتصال بالعقل الفعال] (*) .

(*) أسقط المؤلف العبارة التي بين الحاصرتين من الطبعة الثانية .

أما رسالته المسماة « قول في اتصال العقل بالإنسان » (نشر آسين نصها مع ترجمة إسبانية سنة ١٩٤٢) ، فهو يثبت فيها — كما يقول آسين — « أن العقل الإنساني ، وإن كان مجرد قوة أو استعداد لتقبل المعقولات ، فإنه إذا اتحد بالمعقولات يصير صورة الصُّور كما هو الحال في العقل الفعال ، بمعنى أنه يصير بمثابة محلِّ المثلِّ ومكان المعقولات ، وهو ما تصوره أفلاطون في محادثة طيماوس ورفض أرسطو قبوله ، لأنه لا يتفق مع الأساس التجريبي لرأيه في النفس . هذا وفي مذهب أرسطو في النفس تناقضٌ وغموض ، كانا سبباً في تلك المحاولات المضطربة التي اضطر إليها المشاؤون في العصور الوسطى — عرباً وإسكولاستيين — عندما أرادوا تعريف حقيقة رأي أرسطو في النفس ، وعرضه عرضاً منهجياً متسقاً ، والتوفيقَ بينه وبين ما جاءت به الأديان من الاعتقاد بخلود النفوس ، وهو ما أنكره الإسكندر الأفروديسي أكبر شراح أرسطو في مؤلفه المسمى « كتاب النفس » ، الذي كثيراً ما يذكره الفارابي وابن باجة وابن رشد في سياق مناقشاتهم لتلك المشكلة الجوهرية ، وهي مشكلة حقيقة التمثل الخالص ووظيفة العقل المستفاد ووحدة العقل الفعال »^(٣٨) .

وفي هذه الرسالة — كما في غيرها من كتب ابن باجة — روح سارية من التدين تستوجب تصحيح الآراء القديمة التي قررها مونك ، والتي تهتم ابن باجة بأنه وجه الفلسفة توجيهها يتعارض مع نزعات الصوفية .

وفي رسالة الوداع التي نشرها آسين مع ترجمة إسبانية سنة ١٩٤٣ ، يثير ابن باجة مشكلة النهاية الأخيرة للنفس الإنسانية ويحاول حلها . وهي رسالة وجهها ابن باجة إلى تلميذه علي بن الإمام السرقسطي قبيل رحلته إلى المشرق ، يبين له فيها طريقاً في الحياة يؤدي إلى الاتصال بالعقل الفعال أو التمثل الخالص للمعقولات . وهو يقول فيها لصديقه هذا :

« . . وإليك الآن الأمر : فإن شئت أن تكون تسمى ليكون كالكُلِّك

في الآلات — وذلك في اليسار — فتكون كالحالم ، أو كالك بالصحّة فتكون عبداً بالطبع ، سواء مَلَكَكَ إنسان أو لم يملكك ، أو يكون كالك بالفضائل الشكلية فتكون، مدبراً من سواك تحتاج إلى مدبرٍ ، ونخرج من المرتبة الإنسانية بالطبع إلى مرتبة أشرف الحيوا ، غير الناطق — فإن العبد يشبه من الحيوان غير الناطق البغال والدواب التي تستعمل لجلدها وقوة أعضائها على الحمل ، ويشبه صاحب الفضائل الشكلية الحيوان غير الناطق ذوى الهيات الكريمة (*) ، كالأسد في الجرأة والديك في الكرم ، وذانك الصنفان مدبران — أو تكون كاملاً بالصناعات العملية فتكون — لعمري — إنساناً ، لأنك تدبر عند ذلك ولا تدبر ، إلا أنك تكون بهذا التدبير خادماً لإنسان غيرك ، إما دون توسط كالكاتب ، وإما بتوسط كمن يصنع رباط الخيل ، فإنه يخدم أولاً الخيل وثانياً الإنسان لأنه ينتفع بالخيل ، فإن شاحج في ذلك مشاحج كنت متعباً لغرض غيرك ومرؤوساً بالطبع ؛ وكذلك القوى ، غير أن القوى أشرف ، فتكون أشرف وأرفع الخدمة كالوزير للملك ، أو تكون كاملاً بكالك الذي يخصك ، فتكون قد عملت في ذاتك ولم تنفع في الوجود إلى سواك ، بل كل إنسان وكل موجود كائن فاسد نحوك ، وبوجودك صار أولئك موجودين ، وبوجودك أولاً صرت أنت كائناً ؛ مثال ما أقوله أن بالقطع صار السكين سكيناً ولولاه لما كان ، وبالسكين صار القطع خادماً ولذلك اتخذ . وهذا بين عند من حاول النظر في أمثال هذه الأمور ، وهذه مراتب يجب للإنسان أن يختار لنفسه ما شاء منها على بصريها وتقديرها ، ويعلم أي مرتبة خار .

« وأيضاً فإن من حصات له هذه الرتبة حصل في حال لا تضارعه فيها الطبيعة ولا تنازعه النفس البهيمية ، وعلم بهذه الحال التي بها يكون الخلاص من هاتين المنازعتين — أعني الطبيعة والبهيمية — حال لا يمكن أن توصف بأكثر

(*) كذا في الأصل المطبوع ، ولعله يريد أن يقول : ذوى الهيات الكريمة من الحيوان

من هذا ، وهذه الحال يفوق النطقَ جلالها وشرفها ولذتها وبهاؤها وبهجتها ، فإن الألم إنما هو من أجل هذه الطبيعة ، واللذة من قبيل النفس ، إلا أن النفس البهيمية لا تتحمل شيئاً واحداً لأنها غير بسيطة ، فلذلك يكون المؤلم لها الآن مُلداً غداً ، لأنها قريبة من الطبيعة ، فلذلك لا تبقى على حال ، وأما النفس الناطقة فلتبعدها عن الميولى تبقى بحال واحدة ، ولا ضدَّ عندها إلا أنها تتكثر ، فأما هذا العقل المستفاد فلأنه واحد من كلِّ جهة فهو في غاية البعد عن الميولى ، لا يلحقه التضادُّ كما يلحق الطبيعة ، ولا العمل عن التضاد كالنفس البهيمية ، ولا أثر التضاد كالناطقة التي تعقل المعقولات الميولانية المتكثرة ، فهو أبداً واحد وعلى سنن واحد في لذةٍ صرفٍ وفرحٍ وبهاءٍ وسرورٍ ، وهو مقومٌ للأمر كلها ، والله عنه راضٍ أكمل ما يكون من الرضى .

« فإن صالح السلف قالوا إن الإمكان صنفان : صنف طبيعي وصنف إلهي ، فالطبيعي هو الذي يُدرك بالعلم ويقدر الإنسان على الوقوف عليه من تلقاء نفسه ، وأما الصنف الإلهي فإنما يُدرك بمعونة إلهية ، ولذلك بعث الله الرسل وجعل الأنبياء ليخبرونا — معشر الناس — بالإمكانات الإلهية ، لما أراد — عز اسمه — من تميم أجل مواهبه عند الناس وهو العلم ، وفيما جاءت به الشرائع الحض على العلم ، وفي شريعتنا الإلهية ما يدل على ذلك ، منه قوله — عز اسمه — في الكتاب المنزل « والراسخون في العلم يقولون آمناً به كلٌّ من عند ربنا » ، يعنى الإمكانات الإلهية ، وقوله — عز وجل — « إنما يخشى الله من عباده العلماء » ، لأن من علم الله حقِّ علمه علم أن أعظم الشقاء سُخطه والبعد منه ، وأعظم السعادة قدراً رضاه والقرب منه ، ولا يكون الإنسان أقرب منه إلا بمعرفة ذاته ، ولذلك يؤثر عنه صلى الله عليه وسلم : « خلق الله العقل فقال له أقبل فأقبل ، ثم قال له أدبر فأدبر ، فقال : وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أحبَّ إلى منك » . فالعقل أحب الموجودات إلى الله عز وجل ، فإذا حصل الإنسان هو ذلك العقل

بعينه - لا فرق بينهما بوجه ولا على حال - فقد حصل ذلك الإنسان أحبّ المحلوقات إليه ، وعلى قدر قربه منه قربه من الله ورضى الله عنه ، وهذا إنما يكون بالعلم . فالعلم مقرب من الله والجهل مبعّد منه ، وأشرف العلوم جميعاً هو هذا العلم الذى قلناه ، وأجلّه مرتبة هذه المرتبة التى هى تصوّر الإنسان ذاته حتى يتصور ذلك العقل الذى قلناه قبل .

وإذن فإن النفس إذا تخلصت من العوارض الغريبة عن جوهرها ، وتحررت حتى من التعقل نفسه ، « تجد نفسها - كالعقل المستفاد - فى حالة وحدة وبساطة وروحانية لا توصف ، تتميز بالخلاص من جميع الآلام وبالتمتع بغبطة هادئة مطمئنة لا يعترها تغير ، وهى التى تضمن نوال رحمة الله » ، كما يقول آسين .

أما كتاب « تدبير المتوحد » فلم يكن معروفاً منه حتى الآن إلا شذرات اقتبسها موسى الزربونى وترجمها إلى العبرية (فى القرن الرابع عشر) وجعلها فى نهاية شرحه على ابن طفيل ، وقد انتفع بها مونك ، ولكن آسين عثر على نصه العربى وسينشره (*) ، وإليك ملخص آراء ابن باجة فى هذا الكتاب كما عرضها آسين :

« يفترض ابن باجة وجود « مدينة فاضلة » أو كيان سياسى هو المثل الأعلى للدول . وفى هذه المدينة المثالية لا تمس الحاجة إلى أيّ من طوائف الأطباء الثلاث : أطباء البدن لأن الرعايا لا رذائل لهم ومن ثم فهم لا يمرضون ، وأطباء العدالة وهم القضاة لأن جميع علاقات المواطنين قائمة على الحب ولا يقع الخلاف بينهم أصلاً ، وأطباء النفوس [وهم الحكماء] لأن « المتوحدين » يكونون كاملين . وهو يعتبر أولئك المتوحدين وكأنهم نوابت^(٤٤) (أى نباتات) أو نماذج مختارة تعيش وسط المجتمعات الأخرى التى يشوبها النقص ، وهم لا بد لهم من أن يسترشدوا

(*) نشره فى مدريد سنة ١٩٤٦ .

(٤٤) يقول ابن باجة فى « تدبير المتوحد » تفسيراً لهذا اللفظ : « ... ونقل إليهم هذا الاسم من العشب النبات من تلقاء نفسه بين الزرع ، فنحن نحن بهذا الاسم الذين يرون الآراء الصادقة » ، (انظر طبعة آسين ، مدريد ١٩٤٦ ، ص ١٠) .

بقواعد الجمهورية الكاملة حتى لاتمس حاجتهم إلى أى طبيب ، أى أنهم يدبرون إلى شئ يشبه ما يسمى فى مصطلح الصوفية بالغرباء .

وإليك قطعة من كلامه بنصه فى هذا الصدد :

« ولما كانت المدينة الفاضلة تحتص بعدم صاعاة الطب وصناعة القضاء ، وذلك أن المحبة بينهم أجمع ولا تشاكس بينهم أصلا ، فلذلك إذا عرى جزء منها من المحبة ووقع التشاكس احتيج إلى وضع العدل ، واحتيج ضرورة إلى من يقوم به وهو القاضى . وأيضاً فإن المدينة الفاضلة أفعالها كلها صواب ، فإن هذا خاصتها التى تلتزمها ، فلذلك لا يعتدى أهلها بالأغذية الضارة ، فلذلك لا يحتاجون إلى معرفة أدوية الاختناق بالفطر ولا غيره مما جانسه ، ولا يحتاجون إلى معرفة مداواة الحجر إذ كان ليس هناك أمر غير منتظم . وكذلك إذا أسقطوا الرياضة حدثت عند ذلك أمراض كثيرة ، ويبيّن أن ذلك ليس لها . وعسى أن لا يُحتاج فيها فى أكثر من مداواة الخلع وما جانسه ، وبالجملة الأمراض التى أسبابها الجزئية واردة من خارج ولا يستطيع البدن الحسن الصحة أن ينهض بنفسه فى دفعها ، فإنه قد شوهد كثير من الأصحاء تبرأ جراحهم العظيمة من تلقاء أنفسهم ، إلى أشياء أخرى تشهد بذلك . فمن خواص المدينة الكاملة أن لا يكون فيها طبيب ولا قاض ، ومن الواحق العامة بالمدن الأربع البسيطة أن يُفتقر فيها إلى طبيب وقاض ، وكلما بعدت المدينة عن الكاملة كان الافتقار فيها إلى هذين أكثر ، وكان فيها مرتبة هذين الصنفين من الناس أشرف .

« ويبيّن أن المدينة الفاضلة الكاملة قد أعطى فيها كل إنسان أفضل ما هو معدّ نحوه ، وأن آراءها كلها صادقة ، وأنه لا رأى كاذب فيها ، وأن أعمالها هى الفاضلة بالإطلاق وحدها ، وأن كل عمل غيره فإن كان فاضلا فبالإضافة إلى فساد موجود ، فإن قطع عضو من الجسد ضار بذاته ، إلا أنه قد يكون نافعا بالعرض لمن نهشته أفعى فيصحب بقطعه البدن ، وكذلك السمونيا ضارة بذاتها ،

إلا أنها: فمة لمن به علة. وقد تلخصت هذه الأمور في كتاب نيقوماخيا، فبين أن كل رأى غير رأى أهلها يحدث في المدينة الكاملة فهو كاذب، وكل عمل يحدث فيها غير الأعمال المعتادة فيها فهو خطأ، وليس للكاذب طبيعة محدودة ولا يمكن أن يُعلم الكاذب أصلاً على ما تبين في كتاب البرهان، وأما العمل الخاطئ فقد يمكن أن يُعمل لئِنال به غرض آخر، وقد وُضِع في الأعمال التي أمكن النظر عنها كتب كالحيل لابن شاکر، فإن كل ما فيها لعب وأشياء يقصد التعجب بها لا مقصد لها في كمال الإنسان الذاتى، فالقول فيه شرارة وجهل، فإذن ليس توضع في المدينة الكاملة أقاويل فيمن رأى غير رأياها أو عمل غير عملها.»

«ولسكى يصل ابن باجة إلى تعرف أى أفعال البشرى يؤدي إلى هذه الغاية، يقسم هذه الأفعال إلى صنفين: بهيمية وإنسانية، وذلك بحسب دافع الإنسان إلى القيام بها. وذلك أن أعمال الإنسان إما أن تصدر عن الغريزة أو عن إرادة صادرة عن روية وتأمل، بيد أن معظم أفعال الإنسان تختلط فيها هذه الدوافع بعضها ببعض، ولهذا ينبغى على المتوحد أن يعمل على أن تكون أفعاله صادرة عن دوافع إنسانية، ولا بد له من أن يسيطر على النفس البهيمية في كيانه ويخضعها للنفس العاقلة حتى يبلغ إلى أن يكون إنساناً إلهياً. وينبغى عليه أن يجعل وجهته من كل أفعاله إدراك الصور الروحية.»

[وإليك نص كلام ابن باجة في هذا الصدد:

«والإنسان—لأنه من الأمطقتات—فتلحقه الأفعال الضرورية التي لا اختيار له فيها، كالأهوى من فوق والاحتراق بالنار وما جانسه. ومنه مشاركتة للحى من وجهٍ فقط — وهى النبات — يلحقه أيضاً الأفعال التي لا اختيار له فيها أصلاً كالاختباس، وقد يقع في هذه ضرب من الضرورة، مثل ما يفعل الإنسان عند الخوف الشديد، مثل شتم الصديق وقتل الأخر والأب على أمر ملك، وهذه فلاختيار فيها موقع، وقد ألخصت هذه كلها في نيقوماخيا، وكل ما يوجد للإنسان

بالطبع ويختص به من الأفعال فهي باختيار ، وكل فعل يوجد للإنسان باختياره
 فلا يوجد لنيره من أنواع الأجسام ، والأفعال الإنسانية الخاصة به هي ما يكون
 باختيار ، فكل ما يفعله الإنسان باختيار فهو فعل إنساني ، وكل فعل إنساني فهو
 فعل باختيار ، وأعني بالاختيار الإرادة الكائنة عن رؤية ، وأما الإلهامات والإلقاء
 في الروح وبالجملة فالانفعالات العقلية — إن جاز أن يكون في العقل انفعال —
 تشارك الإنسان ، فإن الإنسان مختص بها ، وإنما احتيج إلى اشتراط الاختيار
 في الأفعال التي من جهة النفس البهيمية ، فإن الحيوان غير الناطق إنما يتقدم فعله
 ما يحدث في النفس البهيمية من انفعال ، والإنسان قد يفعل ذلك من هذه الجهة ،
 كما يهرب الإنسان من مفزع فإن هذا الفعل هو للإنسان من جهة النفس البهيمية ،
 ومثل من يكسر حجراً ضربه وعوداً خدشه لأنه خدشه فقط ، وهذه كلها أفعال
 بهيمية ، فأما من يكسره لئلا يخدش غيره أو عن رؤية وجب كسره فذلك فعل
 إنساني ، فكل فعل يفعله لا لينال به غرضاً غير فعل ذلك الفعل ، أو من جهة أنه
 لا ينال به غرضاً فإن كان له غرض ينال به لم يلحظه فذلك الفعل بهيمي وفعله
 عن النفس البهيمية فقط ، مثال ذلك أن آكلًا إن أكل القراسيا لتشهيّه إياه
 فاتفق له عن ذلك أن لانَ بطنه وقد كان محتاجاً إليه فإن ذلك فعلٌ بهيمي وهو
 فعل إنساني بالعرض ، وإن أكله للمقبل الطبع لا لتشهيّه إياه بل لتلين بطنه
 واتفق مع ذلك أن كان شهياً عنده فإن ذلك فعل إنساني وهو بهيمي بالعرض ،
 وذلك أنه عرض للنافع إن كان شهياً . فالفعل البهيمي هو الذي يتقدمه في النفس
 الانفعال النفساني فقط ، مثل التشهي أو الغضب أو الخوف وما شاكله ، والإنساني
 هو ما يتقدمه أمر يوجهه عند فاعله الفكر ، سواء تقدم الفكر انفعالاً نفساني
 أو أعقب الفكر ذلك ، بل إذا كان المحرك للإنسان ما أوجه الفكر من جهة
 ما أوجه الفكر أو ما جانس ذلك ، سواء كانت الفكرة يقينية أو مظنونة ،
 فالبهيمي المحرك فيه ما يحدث في النفس البهيمية من الانفعال ، والإنساني هو
 المحرك فيه ما يوجد في النفس من رأى أو اعتقاد .

« ومعظم أفعال الإنسان في السير الأربع والمركب منها هو أيضاً من بهيمي وإنساني ، وقلما يوجد البهيمي خلواً من الإنساني ، لأنه لا بد للإنسان — إذا كان على الحال الطبيعية في أكثر الأوسر إلا في النادر وإن كان سبب حركته الانفعال — أن يفكر كيف يفعل ذلك ، ولذلك يستخدم البهيمي فيه الجزء الإنساني ليجد فعله ، فأما الإنساني فقد يوجد خلواً من البهيمي ، والتطابق داخل في هذا الصنف ، ولكن في هذه قد تصحبها انفعال النفس البهيمية ، وإن كان معاوناً للرأي كان النهوض إليه أكثر وأقوى ، وإن كان مخالفاً كان النهوض أضعف وأقل » . [

« وهذه الصور الروحانية يقسمها ابن باجة إلى أربعة أصناف :

« أولاً : عقول الأفلاك .

« ثانياً : العقل الفعال والعقل الفاض عنه وليس مادياً بذاته ولكنه متصل بالمادة ، وذلك من حيث أنه يكمل الصور المادية من حيث هو عقل فائض أو هو يجعلها كالعقل الفعال .

« ثالثاً : أصناف الصور المعقولة المادية ، أعني التي ليست بذاتها روحانية ، وهي الصور التي توجد في النفس الناطقة إذا تجردت عن موضوعها المادي .

« رابعاً : الصور الحسية ، وهي وسط بين المعقولات المادية وبين الصور المادية الخالصة .

« وأنواع الأفعال الإنسانية تقابل أنواع الصور المتقدمة » .

[وهذا نص كلام ابن باجة :

« أولها : صور الأجسام المستديرة .

« والصنف الثاني : العقل الفعال والعقل المستفاد .

« والثالث : المعقولات الهيلولانية .

« والرابع : المعاني الموجودة في قوى النفس ، وهي الموجودة في الحس المشترك وفي قوة التخيل وفي قوة التذكر .

« والصنف الأول ليس هيولانياً بوجهه ، وأما الصنف الثالث فله نسبة إلى الهوى ، ويقال لها هيولانياً لأنها المعقولات الهولانية ، لأنها ليست روحانية بذاتها إذ وجودها في الهوى . فأما الصنف الثاني فهو بهذا الوجه غير هيولاني أصلاً ، إذ لم تكن في وقت من الأوقات ضرورة هيولانية ، وإنما نسبتها إلى الهوى لأنه مقم المعقولات الهولانية — وهو المستفاد — أو فاعل لها — وهو الفاعل . وأما الصنف الرابع فهو وسط بين المعقولات الهولانية والصور الروحانية » [.

« وتقابل أنواع هذه الصور أفعال البشر :

أولاً : فهناك من الأفعال الإنسانية ما تكون الغاية منه وجود الصورة الجسمية فقط ، وذلك مثل الأكل والشرب .

ثانياً : أفعال غايتها الصور الروحانية الجزئية ولها أصل في الحس المشترك (كالتأنيق في الثياب) أو في الخيلة ، أو تلك التي يُقصد بها إلى التسلية واللهو المباح أو إلى الكمال العقلي والخلقي (مثل الدرس والكرم) .

ثالثاً : أفعال يقصد من ورائها إلى صور روحانية عامة وهي أكمل الأفعال الروحانية ، ولها مكان وسط بين الأفعال السابقة التي تحتلط بعض الشيء بالجسمية والأفعال الروحانية المطلقة .

رابعاً : الأفعال الروحانية الكلية التي هي أكمل الصور الروحانية ، وهي الغاية القصوى للمتوحد .

والإنسان بالعنصر الجسدي في كيانه مجرد مخلوق بشري ، أما بالعنصر الروحي في كيانه فيصيح كائناً أعلى ، ولكنه بالعنصر العقلي يصيح كائناً أرفع إلهياً . ثم يقول ابن باجة : « وإذا بانح [الفيلسوف] الغاية القصوى — وذلك بأن يعقل العقول البسيطة الجوهرية التي تُذكر فيما بعد الطبيعة وفي كتاب النفس وكتاب

الحس والمحسوس - كان عند ذلك واحداً من تلك العقول ، وصدق عليه أنه إلهي فقط ، وارتفعت عنه أوصاف الحسية الفانية وأوصاف الروحانية الرفيعة ، ولاق به وصف « إلهي بسيط » ، وهذه كلها قد تكون للمتوحد دون المدينة الكاملة* .

ويجعل ابن باجة الصور الروحية مراتب ، ثم يمضي في استبعاد تلك التي لا يمكن أن تكون غاية للمتوحد . وهو ينصح بالبعد عن الناس لأنهم غير كاملين ، ويرى الخير في أن يعتزل المتوحد الناس جهلة وإن كان مقبياً وسط الجماعة . ويقول إن الغاية القصوى للمتوحد هي الصور العقلية والتأملية ، ويصل الإنسان إلى هذه المرتبة عن طريق الدرس والفكر . وأعلى المراتب هي مرتبة العقل المستفاد الصادر عن العقل الفعال ، وعن طريقه يعرف الإنسان نفسه ككائن عقلي .

ويدرس ابن باجة في مهارة جدلية عظيمة كيف يصل العقل الإنساني إلى الحصول على الصور المعقولة ، ويتحد معها حتى يبلغ مرتبة المعرفة العقلية الحقيقية ، أعنى معرفة الوجود الذي هو بذاته عقل بالفعل ، دون أن تكون به حاجة حاضرة أو سابقة إلى شيء يجعله يخرج من حالة القوة ، وهذا هو مفهوم العقل المفارق أعنى العقل الفعال ، الذي هو العاقل والعقل والمعقول ، وهذه المرتبة هي الغاية المطلوبة من وراء كل الأفعال .

بيد أن ابن باجة لا يذكر السبيل إلى التحقق من اتصال العقل الفعال بالعقل الإنساني . ويبدو أن ابن باجة كان يقول بضرورة معونة علوية ، ولكنه لم يستطع تحديد رأيه ورعنا كان سبب ذلك أن كتابه لم يكمل ، كما يقول ابن طفيل « . والفكرة الأساسية التي أضافها ابن باجة إلى التراث الفلسفي هي التي تتعلق بأحد العقل الفعال بالإنسان . وقد كانت هذه الفكرة هي الأساس الذي بنى عليه ابن طفيل رأيه الصوفي في وحدة الوجود ، وتناولها ابن رشد وسار بها إلى الأمام وستنتقل عن طريقه إلى الإسكولاستيين . وقد أخلت شخصية ابن باجة شخصية ابن رشد ، وهو الذي واصل دراسة آرائه .

ف ١٠٧ — ابن طفيل :

أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن محمد بن طفيل القيسي^(٣٩) ، ولد قبل سنة ١١١٠/٥٠٦ وتوفي سنة ١١٨٥/٥٨١ ، وأصله من وادي آش . ويذهب بعض المؤرخين إلى أنه كان تلميذاً لابن باجة ، ولكنه هو نفسه يذكر أنه لم يتصل به اتصالاً شخصياً . كان طبيباً في غرناطة ، وعمل كاتباً لعامل هذا البلد ولأحد أبناء عبد المؤمن ، وعلا أمره حتى أصبح طبيباً لأبي يعقوب يوسف المنصور خليفة الموحدين (٥٥٨ — ١١٦٣/٥٧٩ — ١١٨٤) . وكانت له حظوة عظيمة عنده ، وهو الذي قدم إليه ابن رشد في ظروف معروفة ونصح هذا الفيلسوف القرطبي بأن يدون شروحه لكتيب أرسطو . ثم تحلى ابن طفيل عن عمله كطبيب للمنصور وتركه لابن رشد ، وتوفي في مراکش سنة ١١٨٥/٥٨٠ — ١١٨٦ .

ومن المعروف أن ابن طفيل صنف في الطب كتباً ، وأنه كانت له آراء مبتكرة في الفلك ، وقد ذكر البطروجي أنه أخذ قوله في الدوائر الخارجية والدوائر الداخلية من ابن طفيل .

ولم يبق لنا من مؤلفات ابن طفيل إلا رسالة « حى بن يقظان » أو « أسرار الفيلسوف المشرقية » (الإشراقية) ، وقد ترجمه بوكوك إلى اللاتينية بعنوان « الفيلسوف المعلم نفسه Philosophus Autodidactus » ونشره في سنة ١٦٧١ ، وإلى الفرنسية ليون جوتييه في سنة ١٩٠٠ ثم أعاد ترجمته سنة ١٩٣٧ ، وترجمه إلى الإسبانية بونس بويجيس سنة ١٩١٠ ، وترجمه إلى نفس اللغة مرة أخرى جنزالد پالنتيا سنة ١٩٣٤ . وتبدأ الرسالة بموجز مفيد هام لتاريخ الفلسفة في الإسلام يمتدح ابن طفيل فيه ممن تقدمه من الفلاسفة ابن سينا وابن باجة والغزالي^(٤٠) .

وإليك موجز هذه القصة كما أورده غرسية غومس :

« في جزيرة مهجورة من جزائر الهند » التي تحت خط الاستواء ، وفي وسط ظروف طبيعية طيبة^(٤١) ، تولد طفلٌ من « بطنٍ من أرض تلك الجزيرة تخمرت فيه طينةٌ على مر السنين »^(٤٢) من دون أن يكون له أم أو أب . وفي قول آخر أن تيار البحر حمله إلى هذه الجزيرة في « تابوت أحكت زمه [أمه] بعد أن أروته من الرضاع » ، وكانت أميرةً مضطهدة في جزيرة مجاورة^(٤٣) ، فاستودعت ابنها الأمواج حتى تنجيه من الموت . وهذا الطفل هو حي بن يقظان . ففتيته غزالة وأرضته وصارت له كأمه . ونما « حي » وأخذ يلاحظ ويتأمل^(٤٤) . وكان الله قد وهبه ذكاءً وقادراً ، فعرف كيف يقوم بحاجات نفسه ، بل استطاع أن يصل بالملاحظة والتفكير إلى أن يدرك بنفسه أرفع حقائق الطبيعة وما وراءها . وقد وصل إلى ذلك بطريقة الفلاسفة ، بطبيعة الحال . وأدت به هذه الطريقة إلى أن يحاول ، عن سبيل الإشراف الفلسفي ، الوصول إلى الاتحاد الوثيق بالله ، وهذا الاتحاد هو العلم الفزير والسعادة العليا المتصلة الخالدة في وقت واحد . ولكي يصل « حي » إلى ذلك دخل مغارة وصام أربعين يوماً متوالية . مجتهداً في أن يفصل عقله عن العالم الخارجي وعن جسده بواسطة التأمل المطلق في الله لكي يصل إلى الاتصال به ، حتى أدرك ما أراد^(٤٥) . وعند ما بلغ ذلك المبلغ لقي رجلاً تقياً يسمى « أسال »^(٤٦) أقبل من جزيرة مجاورة إلى هذه الجزيرة يحسبها خلاء من الناس . وقام أسال بتعليم الكلام لصاحبه المنفرد بنفسه والذي لقيه دون أن يتوقع ذلك . ولم يلبث أن وجد في الطريق الفلسفي الذي ابتكره حي لنفسه تعليلاً علوياً للدين الذي كان يعتقد ، وتفسيراً كذلك لكل الأديان المنزلة^(٤٧) . ثم أخذ أسال صاحبه إلى الجزيرة المجاورة ، وكان يحكمها ملك تقي يسمى سلمان ، [وهو صاحب أسال الذي كان يرى ملازمة الجماعة ويقول بتحريم العزلة]^(٤٨) ، وطلب إليه أن يكشف (لأهل الجزيرة) عن الحقائق العليا التي وصل إليها ، فلم يوفق^(٤٩) ووجد عالمانا نفسيهما مضطربين آخر الأمر إلى أن يعترفوا بأن الحقيقة

الخالصة لم تخلق للعوام ، إذ أنهم مكبلون بأغلال الحواس ، وعرفا أن الإنسان إذا أراد أن يصل إلى التأثير في أفهامهم الغليظة ، ويؤثر في إراداتهم المستعمية ، فلا مفر له من أن يصوغ آراءه في قالب الأدیان المنزلة . وكانت نتيجة هذا أن قررا اعتزال هؤلاء الناس الساكنين إلى الأبد ، ونصّحهم بالاستمسك بأديان آبائهم^(٥٠) . وعاد حتى وصاحبه إلى الجزيرة المهجورة لينعما بهذه الحياة الرفيعة الإلهية الخالصة التي لا يدركها إلا القلائل من الناس .

والأساس الفلسفي لهذه القصة هو الطريق الذي كان عليه فلاسفة المسلمين الذين نهجوا على مذهب الأفلاطونية الحديثة . وقد صور ابن طفيل الإنسان الذي هو رمز العقل في صورة حي بن يقظان (واليقظان هو الله) ، ورمى ابن طفيل من ورائها إلى بيان الاتفاق بين الدين والفلسفة ، وهو موضوع شغل أذهان مفكرى المسلمين كثيراً .

أما القالب القصصى الذي اتخذ ابن طفيل سبيلا لعرض آرائه الفلسفية ، فقد درسه الأستاذ غرسية غومس دراسة علمية بالغة العمق ، ذهب فيها إلى أن هذا الهيكل العام للقصة مأخوذ من « قصة الصنم والملك وابنته » ، وهى إحدى الأساطير التي نُسجت حول شخصية الإسكندر الأكبر ، ولا بد أنها كانت معروفة عند أهل الأندلس ، فتناولها ابن طفيل وصاغها في قالب رمزي ، وفي هذا يقول غرسية غومس : « وقد وجد ابن طفيل في هذه الفكرة الأدبية — ذات الحيوية المتصلة والتي تبدو حقيقية وإن كانت من نسج الخيال — السبيل إلى عرض نظرية المفكر المتوحد ونظريات فلسفية أخرى . وقد وردت فكرة الفيلسوف المتوحد في كتابات ابن سينا وابن باجة . وقد وجد ابن طفيل فيها كذلك وسيلة تتفق مع تفكيره اتفاقاً بديعاً ، بل ضمت هذه الحكاية موضعاً مناسباً استطاع ابن طفيل أن يُفرع فيه أفكاره ، ومن هنا نتج هذا التأليف الجميل بين قصة شائعة وبين الأفكار الفلسفية ، واستطاع ابن طفيل بأسلوبه العذب ، الذي يفيض

ابتكاراً ومنطقاً وقوة شاعرية ، أن يخلق منها أنثراً من أعظم ما أطلعت عليه العصور الوسطى « (٥١) .

وأطرف من هذا أن حكاية الصنم نفسها هي التي أوجت إلى « جراسيان Gracián » ففكرة كتابه المسمى « كَرِيْبَتِيكُون = El Criticón = الناقد » . وقد استبطن كل من الأب. پو Pou وَمِنْدِذْ. پلايو من بعده أن يظهر العلاقة الواضحة بين شخصية أندرينيو التي ترد في قصة ذلك اليسوعي الأرغوني (أى جراسيان) وبين شخصية حى بن يقظان التي ابتكرها الفيلسوف المسلم ، ولا نعرف كيف أطلع جراسيان على رسالة ابن طفيل التي لم تنشر في لغة أوروبية إلا سنة ١٦٧١ . وقد أثبت غرسية غومس أن كتاب الكريتيكون أقرب إلى « قصة الصنم » منه إلى « رسالة حى بن يقظان » ، وأدبت به المقارنة بين الكتابين إلى القول بأن علة هذا التشابه هي أن جراسيان قلده هذه الأسطورة التي كانت متواترة بين الموريسكيين الأرغونيين من غير شك ، ومن أذلة ذلك أن مخطوط الإسكوريال الذي يضم هذه القصة مكتوب بحروف لاتينية أرغونية ترجع إلى القرن السادس عشر (٥٢) .

وقد ذاعت قصة حى بن يقظان بين المسلمين ذيو باعظيا ، وترجمها موسى الزبوني إلى العبرية في سنة ١٣٤١ م ، وعلق عليها . وقد نقل ترجمة بوكوك اللاتينية إلى الإنجليزية جورج كيث لسكى يقرأها الكويكرز بين ما يقرأونه من كتب التقي والورع ، وامتدحها الفيلسوف لينتز ، واعتبرها منندذ پلايو أبداع وأغرب ثمرات الأدب العربي .

وإليك فقرة من « رسالة حى » يتحدث فيها عن فضائل النار :

« واتفق في بعض الأحيان أن انقدحت نار في أجمة قلخ على سبيل المحاكمة . فلما بصر بها رأى منظراً هاله وخلقاً لم يعهده قبل ، فوقف يتعجب منها ملياً ، وما زال يدنو منها شيئاً فشيئاً ، فرأى ما للنار من الضوء الثاقب والفعل القالب ،

حتى لا تعلق بشيء إلا أتت عليه وأحاطته إلى نفسها ، فعمله العجب بها ، وبما ركب الله تعالى في طباعه من الجراءة والقوة ، على أن يمد يده إليها ، وأراد أن يأخذ منها شيئاً . فلما باشرها أحقرت يده فلم يستطع القبض عليها ، فاهتدى إلى أن يأخذ قبساً لم تستول النار على جميعه ، فأخذ بطرفه السليم والنار في طرفه الآخر ، فتأق له ذلك وحمله إلى موضعه الذي كان يأوى إليه ، وكان قد خلا في جحر استحسنه للسكنى قبل ذلك .

« ثم ما زال يمد تلك النار بالحشيش والحطب الجزل ، ويعمدها ليلاً ونهاراً استحسناناً لها وتمجيباً منها . وكان يزيد أنسه بها ليلاً ، لأنها كانت تقوم له مقام الشمس في الضياء والدفء ، فعظم بها ولوعه ، واعتقد أنها أفضل الأشياء التي لديه . وكان دائماً يراها تتمحرك إلى جهة فوق وتطلب العلو ، فغلب على ظنه أنها من جملة الجواهر السماوية التي كان يشاهدها .

« وكان يخترع قوتها في جميع الأشياء ، بأن يلقبها فيها فيراها مستولية عليها : إما بسرعة وإما ببطء ، بحسب قوة استعداد الجسم الذي كان يلقيه للاحتراق أو ضعفه .

« وكان من جملة ما ألقى فيها على سبيل الاختبار لقوتها شيء من أصناف الحيوانات البحرية — كان قد ألقاه البحر إلى ساحله — فلما أنضجت ذلك الحيوان وسطح قناره تحركت شهوته إليه ، فأكل منه شيئاً فاستطابه ، فاعتاد بذلك أكل اللحم ، فصرف الحيلة في صيد البر والبحر ، حتى مهر في ذلك .

« وزادت محبته للنار ، إذ تأتي له بها من وجوه الاغتذاء الطيب شيء لم يتأت له قبل ذلك . فلما اشتد شغفه بها لما رأى من حسن آثارها وقوة اقتدارها ، وقع في نفسه أن الشيء الذي ارتحل من قلب أمه الظبية التي أنشأته ، كان من جوهر هذا الموجود أو من شيء يجانسه . وأكد ذلك في ظنه ، ما كان يراه من حرارة الحيوان طول مدة حياته ، وبرودته من بعد موته ، وكل هذا دائم لا يختل ،

وما كان يجده في نفسه من شدة الحرارة عند صدره ، بإزاء الموضع الذي كان قد شق عليه من الظلية ، فوقع في نفسه أنه لو أخذ حيواناً حياً وشق قلبه ، ونظر إلى ذلك التجويف الذي صادفه خالياً عند ما شق عليه في أمه الظلية ، لآه في هذا الحيوان الحى وهو مملوء بذلك الشيء الساكن فيه ، وتحقق هل هو من جوهر النار ؟ وهل فيه شيء من الضوء والحرارة ، أم لا ؟ فعمد إلى بعض الوحوش واستوثق منه كتأفاً ، وشقه على الصفة التي شق بها الظلية حتى وصل إلى القلب . فقصده أولاً إلى الجهة اليسرى منه وشقها ، فرأى ذلك الفراغ مملوءاً بهواءً بخارياً ، يشبه الضباب الأبيض ، فأدخل أصبعه فيه ، فوجد من الحرارة في حدٍّ كاد يحرقه ، ومات ذلك الحيوان على الفور . فصح عنده أن ذلك البخار الحار هو الذي كان يحرك هذا الحيوان ، وأن في كل شخص من أشخاص الحيوانات مثل ذلك ، ومتى انفصل عن الحيوان مات .

ف ١٠٨ — ابن رشد : حياته ومؤلفاته (٥٢٦) — ١١٢٦/٥٩٥ —

(١١٩٨) : (٥٣)

يسميه الإسكولاستيون أفيرويس ، واسمه الكامل أبو الوليد محمد بن رشد الحفيد ، تمييزاً له من جده الفقيه — وكان يسمى أبا الوليد محمد بن رشد أيضاً — وهو ينتسب إلى أسرة قرطبية جليلة تكررت في أفرادها النباهة في الفقه . ولا بد أن علوم الشرع كانت أول ما درس ، وربما درس الطب أيضاً ، إذ أن كتابه «الكليات في الطب» الذي عرف عند الأوروبيين في العصور الوسطى باسم «كوليجيت Colliget» (وهو تحريف للفظ كليات) لا بد أنه كتب في الفترة الأولى من حياته — قبل سنة ١١٦٢/٥٥٧ — وربما كان اشتغاله هذا بالطب هو الذي حَبَّب إليه دراسة الفلسفة ؛ ولا يُعرف له كتاب فيها قبل ذلك التاريخ .

والسبب في انصراف ابن رشد إلى ترجمة كتب أرسطو وشروحها أن أبا يعقوب يوسف الموحدى (٥٥٧ — ١١٦٢/٥٧٩ — ١١٨٤) كان محباً للعلم والعلماء ،

وكان يحيط نفسه بأصنافهم ، وكان أبو بكر بن طفيل صاحب حظوة عظيمة عنده ،
 فقدم أبا الوليد بن رشد إلى أبي يعقوب يوسف في خبر لطيف حكاه عبد الواحد
 المراكشي^(٥٤) ، قال : « أخبرني تلميذه (أى تلميذ ابن رشد) التقيته الأستاذ أبو بكر
 بُندُود بن يحيى القرطبي ، قال : سمعت الحكيم أبا الوليد يقول غير مرة : لما دخلتُ
 على أمير المؤمنين أبي يعقوب وجدته هو وأبو بكر بن طفيل ليس معهما غيرها ،
 فأخذ أبو بكر يثنى عليّ ويذكر بيتي وسناني ، ويضم بفضلته إلى ذلك أشياء لا يبلغها
 قدرى ، فكان أول ما فاتحنى به أمير المؤمنين — بعد أن سألني عن اسمي واسم
 أبي ونسبي — أن قال لي : ما رأيهم في السماء — يعنى الفلاسفة — أقديمة هي
 أم حادثة ؟ فأدركني الحياء والخوف ، فأخذت أتعلل وأنكر اشتغالي بعلم الفلسفة ،
 ولم أكن أدري ما قرّر معه ابن طفيل ؛ ففهم أمير المؤمنين مني الروح والحياء ،
 فالتفت إلى ابن طفيل وجعل يتكلم عن المسألة التي سألني عنها ، ويذكر ما قاله
 أرسطوطاليس وأفلاطون وجميع الفلاسفة ، ويورد مع ذلك احتجاج أهل الإسلام
 عليهم ، فرأيت منه غزارة حفظ لم أظنها في أحد من المشتغلين بهذا الشأن
 التفرغين له ، ولم يزل يبسطني حتى تكلمت ، فعرف ما عندي من ذلك ، فلما
 انصرفت أمر لي بمال وخلعة سنوية ومرّكب .

« وأخبرني تلميذه المتقدم الذكر عنه ، قال : استدعاني أبو بكر بن طفيل يوماً
 فقال لي : سمعت اليوم أمير المؤمنين يتشكى من قلق عبارة أرسطوطاليس — أو عبارة
 المترجمين عنه — ويذكر غموض أغراضه ويقول : لو وقع لهذه الكتب من
 يلخصها ويقرب أغراضها بعد أن يفهمها فهما جيداً لقرب مأخذها على الناس .
 فإن كان فيك فضلٌ قوةٌ لذلك فافعل ، وإني لأرجو أن تعنى به لما أعلمه من
 جودة ذهنك وصناء قريحتك وقوة نزوعك إلى الصناعة ، ولا يمنعني من ذلك
 إلا ما تعلمه من كُبرة سني واشتغالي بالخدمة وصرف عنايتي إلى ما هو أهم عندي
 منه . قال أبو الوليد [بن رشد] : فكان هذا الذي حملني على تلخيص ما تلخصته
 من كتب الحكيم أرسطوطاليس »^(٥٥) .

وكان ابن رشد إذ ذاك قاضياً لإشبيلية ، فأنصرف إلى دراسة مؤلفات أرسطو وشرحها ، وأخرج في سنة ١١٦٩/٥٦٤ كتابه « شرح لرسالة الحيوان » ، ثم عاد إلى قرطبة في سنة ١١٧٠ وأفرغ همهته كلها في دراساته الفلسفية ، ولم تصرفه عنها رحلاته إلى مراكش في سنتي ٥٧٣ و ١١٧٨/٥٧٧ و ١١٨٢ . وفي ذلك العام الأخير ولى قضاء قرطبة . وعندما تولى خلافة الموحدين أبو يوسف يعقوب المنصور (٥٧٩ - ١١٨٤/٥٩٥ - ١١٩٨) علت مكانته عنده وأصبح منه ما كان ابن طفيل من أبي يعقوب يوسف ، فكان يخالطه مخالطة الأخ ، وبلغ ابن رشد أعلى مكانة بلغها لدى الموحدين قبل موقعة « الأرك » التي كانت في سنة ١١٩٥/٥٩١ .

ثم وقعت الفرة بين الخليفة والفيلسوف بعد ذلك ، ولا يمكننا رد ذلك إلى أسباب تتصل بالعتيدة ، فقد كان المنصور على علم بمؤلفات ابن رشد ، وربما كان سببه نفور شخصي محض ، أو أنه وقع نتيجة لسعايات الحاسدين من أهل الحاشية ، وربما كان مرده كذلك إلى ما شمل نفس المنصور من حمية دينية بعد انتصاره على النصارى في تلك الواقعة . ولا يبعد كذلك أن الفيلسوف غالى في الإفصاح عن خواطره التي لم تكن تأتلف تماما مع حرفية العتيدة ، فلم يحتمل المنصور ذلك . وعلى أى الأحوال فمن الثابت أنه أصدر أمراً يحرم تدارس الفلسفة وعلومها وأخذ يضطهد المشتغلين بها . ودعا المنصور جماعة من الفقهاء فبحثوا آراء ابن رشد لتثبيت من ناحيتها الدينية ، وانتهوا إلى الحكم على تعاليمه بالمروق ، على رغم دفاع أبي عبد الله إبراهيم الأصولى عنه . وأعقب ذلك اتهام ابن رشد وصاحبه هذا بالزندقة علنا في الجامع . وجرد ابن رشد من منصبه ونفى إلى الألسانة على مقربة من قرطبة ، وكانت بلداً معظم أهله من اليهود ، وانقلب عليه من كان يفيض في مدحه من الشعراء ، ومضوا يهجونه ويقولون في ذمه^(٥٦) .

ثم سمي نفر من سروات إشبيلية عند أبي يعقوب حتى رضى عن ابن رشد

في سنة ١١٩٨/٥٩٥ فاستقدمه إلى مراکش ، حيث مات ذلك العام (٩ صفر ١٠/٥٩٥ ديسمبر ١١٩٨) وووري جثمانه التراب في « مقبرة باب تاغزوت » ثم نقل إلى مدافن أهله في قرطبة ، وقد شهد محيي الدين بن عربي نقل جثمانه وقال : « ... ولما جعل التابوت الذي فيه جسده على الدابة ، جُمِلت تأليفه تعادله من الجانب الآخر ، وأنا واقف ومعي الفقيه الأديب أبو الحسن محمد بن جبير كاتب السيد أبي سعيد وصاحبي أبو الحكم عمر بن السراج الناسخ ، فالتفت أبو الحكم إلينا وقال : « ألا تنظرون إلى من (يريد : ما) يعادل الإمام ابن رشد في مركوبه ؟ : هذا الإمامُ وهذه أعماله » ، يعني تأليفه . فقال له ابن جبير : « يا ولدي ، نعم ما نظرت ، لافض فوك » فقيدتها عندي موعظةً وتذكرة ، رحم الله جميعهم . وما بقي من الجماعة غيري ، وقلنا في ذلك :

هذا الإمام وهذه أعماله ياليت شعري، هل أتت آماله؟ (*)

أما مؤلفات ابن رشد فنذكر منها ما يلي :

١ : في الفلسفة : شروح مؤلفات أرسطو : وضع ابن رشد لمؤلفات أرسطو ثلاثة أنواع من الشروح يختلف أحدها عن الآخر في السعة^(٥٧) ، فوضع شروحا مطولة لكتاب « التحليلات الثانية » (كتاب البرهان) ، ولكتاب « السماع الطبيعي » و « السماء والعالم » و « النفس » و « ما وراء الطبيعة » ، ووضع شروحا متوسطة لهذه الكتب التي ذكرناها وأضاف إليها شروحا « للأرغانون (المنطق) » ومعه كتاب « إيساغوجي » لفرفوريوس الصوري ، وشروحا لكتاب « الكون والفساد » و « الآثار العلوية » و « الأخلاق إلى نيقوماخوس » ، وله شروح وتلخيصات مختصرة لهذه كلها عدا كتاب « الأخلاق » ، ولكتاب « الطبيعيات الصغرى » (عن الحسِّ والمحسوس) ، وشرح كذلك الكتب الأخيرة التسعة

(*) ابن عربي : الفتوحات المكية ، ج ١ ، ص ١٩٩ — ٢٠٠ .

من « الحيوان » ، ولدبنا الترجمات اللاتينية لهذه الكتب كلها وترجم عبرية لكثير منها . أما في العربية فلم يبق منها إلا القليل ، نذكر منه « كتاب الكليات » (بالمكتبة الأهلية في مدريد) ويضم رسائل « السماع الطبيعي » ورسائل « السماء والعالم » و « الكون والفساد » و « الآثار العلوية » و « النفس » و « ما وراء الطبيعة » (وقد نشر « ما وراء الطبيعة » وترجمه إلى الإسبانية كارلوس كيروس في سنة ١٩١٩) ، ونشر الأب بويج كتاب « المقولات » — قاطيفورياس — سنة ١٩٣٢ .

ب — مؤلفاته في الفلسفة ، كتب أصبغت وضعها بنفسه : وعنى ابن رشد

إلى جانب شروحه على أرسطو — وهي أوسع مؤلفاته انتشاراً — بوضع مؤلفات فلسفية ، منها كتاب « تهافت التهافت » (نشر في القاهرة سنة ١٨٨٦ ، ثم أعاد نشره الأب بويج سنة ١٩٣٠) وهو المعروف في تاريخ الفلسفة الأوروبية في العصور الوسطى بعنوانه اللاتيني *Destructio destructionis* ، وقد ألفه ردّاً على « تهافت الفلاسفة » لأبي حامد الغزالي . وله كذلك كتاب « المقدمات » في الفلسفة ، وهو مجموعة من اثنتي عشرة مقالة معظمها في مسائل من علم المنطق (م . إسكوربال) ، وكتاب « اتصال العقل الفعال بالإنسان » (نشره الأب مورانا مع ترجمة إسبانية سنة ١٩٢٣) ، وله كذلك مقالتان عن اتصال العقل الفعال بالإنسان وموجز في المنطق ورسائل أخرى مختلفة بقيت لنا في ترجمتها العبرية (٥٨) .

ج — في علوم الفرائد : نشر ماركوس يوسف مولر في ميونخ سنة

١٨٥٩ كتابين لابن رشد هما « فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال » ، والثاني هو « الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة » ، وتعريف ما وقع فيها بحسب التأويل من الشبهة المزينة والبدع المضلة » ، وذلك

على أساس مخطوطة الإسكريال (وقد ترجم « مولر » هذين الكتابين إلى الألمانية في سنة ١٨٧٥ ، وترجم جوتييه الثاني منهما إلى الفرنسية سنة ١٩٠٥) . وخلص آسين پلاثيوس هذين الكتابين وعرضهما عرضاً شاملاً في مقاله « الرئشدية اللاهوتية عند القديس توما الأكويني » (نشر هذا البحث في كتاب « التنويه بفضل كوديرا » سنة ١٩٠٤)^(٥٩) . وقد نشر ايون جوتييه كتاب « فصل المقال » في الجزائر سنة ١٩٤٢ .

د — في الفقه : نهج ابن رشد نهج من سبقه من آل رشد في العناية بالتأليف في علوم الفقه ، فألف فيها كتاب « بداية المجتهد ونهاية المقتصد » وهو كتاب في الفقه على مذهب مالك ، وقد نشر في القاهرة أخيراً .

هـ — في الفلك : لدينا ترجمة عربية المختصر الذي وضعه لكتاب الجسطي (= الكتاب الجليل) ، وينسب إليه كذلك « رسالة عن حركة الفلك » وكتاب آخر عن « استدارة فلك السماء والنجوم الثابتة » .

و — في الطب : أم ما ألف ابن رشد في هذا الميدان « كتاب الكليات » وهو المسمى عند مفكرى المصور الوسطى الأوروبين باسم كوليجيت Colliget وهو دراسة شاملة لعلم الطب في سبعة كتب ، وقد نُشر مُصَوَّرًا في تيطوان سنة ١٩٣٨ . ووضع كذلك شروحا لأبجوزة ابن سينا في الطب ، ومؤلفات أخرى لجالينوس عن « الحيات » و « القوى الطبيعية » و « الملل والأعراض » لجالينوس ، وغيرها . وألف كذلك مقالات عن « الترياق » و « الإسهال » و « المزاج » و « جملة من الأدوية المفردة » ورسائل أخرى كثيرة .

ف ١٠٩ — آراء ابن رشد الفلسفية :

عرف المثقفون من أهل أوروبا منذ زمن بعيد مؤلفات ابن رشد في ترجماتها

اللاتينية، وهي ترجمات تشوبها الأخطاء غالباً بسبب تمسك أصحابها بحرفية النقل مما يجعل فهم آراء ابن رشد عسيراً إذا نحن اعتمدنا عليها^(٦٠). ويحتشد المستشرقون المحدثون مثل كويروس والأب مورانا في تلاف ذلك النقص بالرجوع إلى أصولها التي كتبها ابن رشد وترجمتها ونشرها. وإليك فقرة من كتاب « ما بعد الطبيعة » :

« وأما كون الصور فاسدة ومتكونة وبالجملة متغيرة ، فإنما ذلك لها من حيث هي جزء من الكائن الفاسد بالذات ، وهو الشخص الذي هي مجموع المادة والصورة بما هي صورة مشار إليها لا بما هي صورة . وكذلك الأمر في المادة ، فإن التغير إنما يلحقها من حيث هي مادة شيء مشار إليه ، فأما بما هي مادة فلا . وإذا كانت المادة هي التي هي سبب التغير اللاحق للصور ، فأحرى أن تكون الصور كذلك ، لكن كون المادة معقولة ليس لها بما هي مادة ، إذ كان المعقول إما يلحق الشيء من جهة ما هو بالفعل ، بل عقلها أبداً يكون بالمناسبة ، فذلك في المادة الأولى أو من حيث عرض لها الفعل ، وذلك في المواد الخاصة بوجود موجود^(٦١) .

وابن رشد قبل كل شيء شارح لمؤلفات أرسطو ومعلق عليها ، ولو أنه لم يوفق في كل حين إلى عرض الآراء الحقيقية لفيلسوف اسطازاريا ، وهو يعمد إلى عرض آرائه الخاصة في سياق شروحه وفي مؤلفاته التي وضعها بنفسه . وإليك موجز آراء ابن رشد كما يعرضها دي وولف :

- ١ — عقول الأفلاك ، وصدورها عن الله وتفاوتها في المرتبة : أي أن السماء تتكون من أفلاك عديدة ، لكل منها عقل هو صورته ، وكل فلك من هذه يُحدث الحركة فيما دونه ، حتى نصل إلى فلك القمر وهو يؤثر (يفعل) في العقل الإنساني .
- ٢ — قَدَمُ المادة وكونها بالقوة : يعتقد ابن رشد أن المادة لم تكن عَدَمًا ، وإنما هي قوة كلية تضم في ذاتها أصول كل الصور . ولما كان المحرك الأول

موجوداً يلزاه المادة الأزلية فإنه يُخْرِج ما هو في المادة بالقوة إلى حيز العقل ، وعن التسلسل المتصل لهذا كله ينشأ العالم المادى ، وهذا التسلسل في الكون ضرورى واجب الوجود ولا نهاية له أزلا وأبدا .

٣ — وحدة العقل الإنسانى وإنكار الخلود عن النفوس الجزئية : ويقول

دى وولف فى تفسير هذه النقطة :

إن العقل الإنسانى هو آخر العقول الفلّسكية ، وهو صورة غير مادية أزلية مفارقة للأشخاص ، وهو واحد فى العدد . وهذا العقل هو فى وقت واحد عقل فعال وعقل هيولانى أو عقل بالقوة والإمكان . والعقل الإنسانى لو نظرنا إليه فى جملة لوجدناه مستقلا عن الأشخاص وليس عقلا لشخص بعينه ، وهو السراج الذى يئير الأرواح الجزئية ويمكّن الإنسانية على الدوام من المشاركة فى الحقائق الخالدة . وعملية التعقل تحصل عند الفرد عن طريق اتصال عَرَضِيٍّ للعقل المفارق بالعقل الإنسانى الجزئى بواسطة صور المحسوسات . وهذه المرتبة الأولى من تَمَلُّكِ الصور تُؤَلِّدُ فى الشخص العقلَ المستفاد . وهناك أنواع من الاتصال بين العقل الإنسانى والعقل المفارق أوثق مما تقدم ، ونعنى بها الاتصال الذى ينشأ من حصول المقولات فى العقل الإنسانى حصولا بالفعل ، والاتصال الذى هو أعلى من ذلك وهو الذى يكون فى حالة الكشف الصوفى والوحى النبوى . والنتيجة المنطقية لهذا كله هى فناء الوعى الفردى .

والسعادة تكون فى الاتصال الذى يزداد توثقا مرة بعد مرة مع عقل الإنسانية فى جملة . والأرواح الجزئية تموت ولكن الإنسانية خالدة .

٤ — تأويل القرآن والفلسفة : إن المنهج الذى حاول ابن رشد سلوكه

لكى يوفق بين الدين والعقل انتهى به إلى المذهب العقلى . وابن رشد يفرق بين التفسير الحرفى والتأويل الفلسفى للنصوص المقدسة ، ويقول إن هذا الأخير هو الوحيد الذى يمكّن الإنسان من الوصول إلى الحقائق العليا ، وهو لا يتفق فى نقطه

جميعاً مع التفسير الحرفي . والعقل الفلسفي هو الذي يبين ما هو تقليدٌ في الدين ،
ويبين أى العقائد يمكن تأويله وبأى وجه يكون هذا التأويل . وقد حاول ابن
رشد أن يوفق بين القول بحدوث العالم — وهو ما دافع عنه الغزالي — وبين
النظرية المشائية التي تقول بقدمه .

ويقول آسين إن هناك ثلاثة آثار نتجت عن المشكلة التي نشأت عند
المسلمين والنصارى واليهود عن العلاقة بين الفلسفة — خصوصاً الفلسفة
الأرسطية — والدين . وهذه الآثار هي :

١ — ردُّ المشتغلين بعلوم العقائد على أرسطو ؛ ويتمثل ذلك عند المسلمين في
الغزالي ، وعند اليهود في يهودا هلاوى (هاليثي) ، وعند النصارى في المدرسة
الأوغسطينية التي أسسها جيرمؤ الأوفرنى Guillermo de Auvernia وإسكندر
الهالي Alejandro de Hales .

٢ — ظهور تعارض ، صريح أحياناً وغير صريح أحياناً أخرى ، بين علم
المشائين وبين الوحي ؛ وقد مثل هذا التعارض الفلاسفة الإسلاميون الحقيقيون
بهذا الوصف ، ومثله في الجانب اليهودي ابن جبيرول ، ونراه في الجانب النصراني
فيما يسمى بالرشدية عند سيجر البرابانتى .

٣ — جمعٌ وتوفيقٌ بين الناحيتين حاوله ابن رشد وموسى بن ميمون والقديس
توما الأكويني .

وإذن فيرجع الفضل إلى هذا الفيلسوف القرطبي المسلم في أنه أتم أول محاولة
في هذا الباب نالت التقدير ، وأنه تمكن من الوصول إلى نظرية في العلاقة بين
الحكمة والشريعة كان لها من القيمة ما جعل مفكراً مثل القديس توما الأكويني
يعمد إلى الاستفادة منها .

ف ١١٠ - تلاميذ ابن رشد :

ولا بد أن نذكر من تلاميذ ابن رشد المباشرين ابن طُمْلوس (أبا الحجاج يوسف بن محمد ، ٥٥٩ - ١١٦٤/٦٢٠ - ١٢٢٣) ^(٦٢) من أهل جزيرة شقر ، وقد درس علوم الدين والأدب على أبي القاسم بين وضاح ، وهو غرناطي رحل إلى المشرق للحج والطلب وأخذ القراءات على أبي علي بن العرجاء ، فلما عاد قعد يقرئ الناس القرآن أربعين عاماً . ودرس ابن طمْلوس كذلك على قاضي بلنسية أبي عبد الله بن حميد وتحقق بالأدب . وقد ذكر عن نفسه أنه درس المنطق عن طريق بعض كتب الغزالي التي كان محمد بن تومرت منشىء حركة الموحدين ودولتهم قد أعاد لها احترامها بين أهل المغرب والأندلس ^(٦٣) ، [وقد جرت بينه وبين المتحاملين عليها (مثل مالك بن وهيب) مناقشات طويلة] ^(*) .

وعلى الرغم من أن من ترجموا لابن طُمْلوس - كابن الأبار - يقولون إنه تلميذ ابن رشد ^(٦٤) ، إلا أنه لزم الصمت عن هذه الناحية ، وليس إلى الشك سبيل

(*) أبو عبد الله مالك بن وهيب الذي كان يسمى فيلسوف المغرب (القرى : نفع ، ج ٢ ص ٣٢٢) لشهرته بالفلسفة ، ويقول في حقه عبد الواحد المراكشي : « كان قد شارك في جميع العلوم ، إلا أنه كان لا يظهر إلا ما كان ينفق في ذلك الزمان ، وكانت له فنون من العلم ... وملك بن وهيب هذا تحقق بكثير من أجزاء الفلسفة . رأيت بخطه كتاب الثمرة لبطليموس في الأحكام ، وكتاب المجسطي في علم الهيئة ، وعليه حواش بتقييده أيام قراءته إياه على رجل من أهل قرطبة يسمى حمد الذهبي (المعجب ، القاهرة ١٩٤٩ ، ص ١٨٥) وقد اضطر هذا الرجل بسبب تعصب الفقهاء واتهامهم إياه عند القاضي إلى إخفاء آرائه تحت ستار من الفقه . وعهد إليه علي بن يوسف في مناقشة محمد بن تومرت مهدي الموحدين . (انظر جانباً من المناقشة عند ابن خلدكان في الوفيات ، طبعة محي الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٤٩ ، ج ٤ ، ترجمة ٦٦٠ ، ص ١٤٠ - ١٤١ ، وانظر أيضاً : كتاب أخبار المهدي ابن تومرت وابتداء دولة الموحدين لأبي بكر الصنهاجي المسكني بالبيدق (باريس ١٩٢٨) ص ٦٨ - ٦٩ وتعليق ليفي بروفسال على الترجمة الفرنسية لهذا الكتاب في نفس المجلد ص ١٠٩ - ١١١) .

في أن دافعه إلى ذلك كان الرغبة في النجاة بنفسه مما كان من الممكن أن يثيره الفقهاء حوله من الشكوك . وكان طبيبا نابها ، وقد خَلَفَ ابن رشد في تطييب أبي يوسف يعقوب المنصور ^(٦٥) .

ولم يبق من كتبه إلا « المدخل إلى صناعة المنطق » (نشره مع ترجمة إسبانية آسين بلاثيوس ، وظهر الجزء الأول منه سنة ١٩١٦) وهو رسالة كاملة في المنطق بناها على ما ذكره الغزالي والفارابي في كتبهما واستعان « بكتاب أرسطاطاليس المكتوب في ذلك العلم » . وقد درس هذا الكتاب الأخير بتفسير أستاذ لم يشأ أن يذكره ، ولكنه لا يمكن أن يكون إلا ابن رشد ، وهو ينقل عن الفارابي في بعض الأحيان فقراتٍ كاملة أخذها من رسالته العجيبة المسماة « تصنيف العلوم » .

وأهم جزء في كتابه — من الوجهة العامة — هو مقدمته ، فقد رأى أن يرر تأليفه هذا الكتاب بعرض دقيق للإطار التاريخي للحركة العلمية بين المسلمين الأندلسيين ، مشيراً إلى المقياس الضعيف الضيق الذي اعتمد عليه الفقهاء إذ أنهم كانوا ينكرون علما من العلوم ثم يرضون عنه ويقبلونه بعد ذلك ، وهو يقول بعد أن يتحدث عن الريب التي يثيرها الفقهاء حول علم المنطق ويتعجب من رجسهم بالحكم فيما لا يعرفونه :

« ووجه آخر من الاسترابة معهم ما أذكره : وذلك أن أهل هذه الجزيرة — أعني جزيرة الأندلس — عند ما دخلها المسلمون في أيام بني أمية ، إنما كانت تحتوي على قوم وطوايف من العرب والبرابر ومن استقر فيها من مُصَالِحَة النصراني .

« وكل هؤلاء لم يكن عندهم علم ، وإنما وصلهم من العلم ما اضطروا إليه في الأحكام ، ونقل إليهم من التابعين وتابى التابعين رضى الله عنهم من فروع المسائل فحفظوها . ولكون الناس محتاجين إليها بسبب الأحكام عظم حاملوها وجلّ مقدارهم ، وصار الحاملون لهذه المسائل عند العامة علماء بإطلاق ، وظنت

العوام وأرباب المسائل أن هذا هو العلم الذي يجب أن يُطلب ، ولم يظهر لهم علم سواه . فكانت الرياسة في ذلك الزمان بهذا العلم ، واعتقدوا مع ذلك أن هذا العلم هو العلم الحق ، وأن ما اتصل بهم من المسائل عن الأئمة التي استنبطوها أنها من عند الله تعالى ، لكونهم إنما قبلوها عن كذا ، عن الإمام الذي قلده ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن الله تعالى .

« وكان ما يتصرف فيه من المسائل في أول الأمر على مذهب الأوزاعي ، ثم انتقلوا إلى مذهب مالك بن أنس رضى الله عن جميعهم فعدوا بمحبة هذا العلم والشغف به ، ونشوا على تعظيم أهله واعتقاد صدقهم وبنض مخالفه ، وذلك أنهم — لما كانوا يعتقدون فيه أنه الحق وأنه من عند الله — اعتقدوا في مخالفه الكفر والزندقة .

« ولما امتدت الأيام وسافر أهل الأندلس إلى المشرق ، ورأوا هناك العلماء وأخذوا عنهم المذاهب — أعنى مذاهب الأئمة المشهورين — وكتب الحديث ، وانتقلوا إلى الأندلس بما أخذوه عن شيوخهم وما جلبوه [من المسائل القريبة ، رأى علماء] الأندلس أن ما أتى به هؤلاء الداخلون هو مخالف لمذهبهم أو بعضه . وكان المخالف عندهم كافراً ، لمخالفته الحق الذي جاء به الرسول عن الله تعالى . فاعتقدوا لذلك في هؤلاء الواصلين من المشرق بعلم المذاهب المنسوبة إلى الأئمة وعلوم الحديث أنهم كفار وزنادقة ، وقرروا ذلك عند العوام وعند آل السلف ، وقاموا في طلب دمائهم وهتكهم نصرة لدين الله تعالى ، على زعمهم .

« وأعظم من امتحن على أيديهم من أفاضل العلماء ، ولقى كل مكروه منهم « بَقِيَّ بن مَخْلَد » ، وكادت نفسه تذهب وتمزق كل ممزق لولا الأمير في ذلك الوقت ، فإنه ثبت في أمره وطالع ما عنده فاستحسنه ، وكان من جملة الذي أتى به من علم الحديث مسند ابن أبي شيبة ، فأمر الأمير بمطالمة ما عنده والأخذ

عنه . فانصرف الناس إلى « بقى » قليلا قليلا ، وأخذ عنه الحديث وما نقل عن الأئمة . وطالت الأيام فعاد ما كان منكرا عندهم مألوفا ، وما اعتقدوه كفرا وزندقة إيمانا ودينا حقا .

« فدانوا بهذا مدة ودأبوا عليه ، إلى أن اتصل بهم علم أصول الدين ، فاعتقدوا فيه ما اعتقدوه أولا في مذاهب الأئمة من أنه كفر وزندقة ، ولذلك قال القمطاني : « يا أشعريه ! يزنادقة الورى ! » فمَدَّ القومُ الذين هم أهل السنة والناصرون لدين هذه الملة كفارا وزنادقة . . ثم أنسوا أيضا بهذا المذهب — أعنى علم الأصول — ودرجتهم الأيام إلى أن طالعوه وتمهروا فيه ، حتى كان فيه منهم أئمة وعلماء ، ولكن بقى في نفوس أرباب المسائل ، أعنى أهل الفروع — استنكارٌ لذلك إلى قريب من زماننا هذا ، فإن ذلك الاستنكار لم ينتسخ من نفوسهم بالكلية كما استُنسخ استنكار المنكرين لعلوم الحديث قبل ذلك ، ولكن صار الحامل لهذا العلم آمنا منهم في نفسه وماله ، متكلمًا بما شاء من علمه ، يُبغى فيه غير متقرب ولا خائف .

« فصار هذا العلم ، وعلم الحديث ، ومذاهب الأئمة ، ومسائل الفروع ، كل ذلك دين الله تعالى يجب الإيمان به والعمل بمقتضاه ، بعد أن كان فيه ما كان . ولما امتدت الأيام ، وصل إلى هذه الجزيرة كتب أبي حامد الغزالي متفننة ، فقرعت أسماعهم بأشياء لم يألّفوها ولا عرفوها ، وكلام خرج به عن معتادهم من مسائل الصوفية وغيرهم من سائر الطوائف الذين لم يعتدّ أهل الأندلس مناظرتهم ولا محاورتهم ، فبعدت عن قبوله أذهانهم ونفرت عنه نفوسهم ، وقالوا إن كان في الدنيا كفر وزندقة فهذا الذي في كتب الغزالي هو الكفر والزندقة ، وأجمعوا على ذلك واجتمعوا للأمر إذ ذاك وحملوه على أن يأمر بحرق هذه الكتب المنسوبة إلى الضلال بزعمهم ، وعزموا عليه في ذلك حتى أجابهم إلى ما سألوه منه ، فأحرقت كتب الغزالي وهم لا يعرفون ما فيها ، وخاطب الأمير إذ ذاك جميع أهل مملكته

يأسرهم بحرقها ، و يُعلمهم أنه هو الذى أَدَّى إليه نَظَرُ العلماء ، وقرئت مخاطبته على المنابر وشنَّع الأمر بذلك تشنيعاً عظيماً وامتحن من كان عنده منها كتاب ، وخاف كل إنسان على نفسه أن يُرمى بأنه قرأ منها كتاباً أو اقتناه ، وكان فى ذلك من الوعيد ما لا مزيد عليه . وأشهر من امتحن فى هذه الثورة أبو بكر بن العربى رحمه الله ، فإنه صَلَّى بحرَّها ثم عصمه الله بعد [بلاء] عظيم ، وفيه معنى قول القائل : إن ينبجُ منها أبو نصر فمن قدر . .

« ثم لم تكن تمتد الأيام إلا قليلاً حتى جاء الله بالإمام المهدي رضى الله عنه ، فبان به للناس ما كانوا قد تحيروا فيه ، وندب الناس إلى قراءة كتب الغزالي رحمه الله ، وعُرف من مذهبه أنه يوافق ، فأخذ الناس فى قراءتها وأهجموا بها وبما رأوا فيها من جودة النظام والترتيب الذى لم يروا مثله قط فى تأليف . ولم يبق فى هذه الجهات من لم يغلب عليه حبُّ كتب الغزالي ، إلا من غلب عليه إفراط الجود من غلاة المقلدين ، فصارت قراءتها شرعاً وديناً بعد أن كانت كفراً وزندقة .

« فلما رأيتُ هذا الذى ذكرته ، وما جرى عليه أمر الناس فى القديم والحديث ، من إنكارهم أولاً ما ألفوه واستحسنوه آخراً ، قلت فى نفسى : ولعل صناعة المنطق هكذا يكون حكمها ، تُنكر أولاً وتُسْتعمل آخراً ، وليس هذا ببدع فى حقها ، إذ لها التأسى فى ذلك بسائر العلوم . واستربت فى أمرها لهذا الذى علمته من أحوال الناس ، وسقط عنى تقليدهم فى حقها وصارت عندى مجهولة الحال لا يمكن أن يُحكَم عليها بخير أو شر ، حتى تُعرف كالعادة فى جميع ما يُحكَم عليه بأمر ما فإنه لا يسوغ الحكم فيه حتى يُعلم . فلما رأيتها مجهولة وأن تعلمها مما يسوغ تشوقت إلى معرفتها ، كالحال فى جميع المعارف ، فإن المطلوب فيها أبداً مجهول بوجه ما وتُتَشَوَّقُ معرفته » (*) .

(*) لم يورد المؤلف هذه الفقرة فى الأصل ولكن رأيت إيرادها كنموذج لكلام ابن طلوس من ناحية ، ولما تعطينا إياه من تفاصيل هامة عن موقف الفقهاء من تطور الفكر فى الأندلس .

ف ١١١ - الرشدية:

كان تأثير مذهب ابن رشد في تاريخ الفكر الأوروبي حاسماً ، فقد أخذ اليهود شروحه وترجموها إلى العبرية أو عملوا منها ملخصات في هذه اللغة . وكانت هذه الترجمات والمختصرات العماد الأكبر الذي بُني عليه العلم العبري ابتداءً من القرن الثالث عشر الميلادي . ومن مصاديق ذلك ما نجده عند موسى بن ميمون من محاولة التوفيق بين الفلسفة المشائية والمعقيدة الموسوية في كتابه « دلالة الحائرين » متبعا آثار الفيلسوف المسلم ، وينطبق هذا على كل ما خالفته المدرسة اليمونية ، وعلى المترجمين والمصنفين من اليهود الذين نبجلى نشاطهم في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين ، وخاصة أسرة بني طَبَّوْن (أو تَبَّوْن) ويهود المدرسة البروفنسية في لونيل Lunel ، ويصدق أيضاً على كالونيمو بن ماير وكالونيمو بن تَدْرُسْ وصمويل بن مِسْلَمْ وليثى بن جِرْسُون ، بل هو يصدق على من ظهر منهم في القرن الخامس عشر الذي فترفيه نشاط اليهود العلنى وفترت همتهم في الترجمة ، فقد ظلت كتابات ابن رشد مصدر إلهامهم ، ومنها قبسَ مفكروهم القليلون الذين ظهروا في ذلك القرن الخامس عشر ، مثل شيمْ طَبُّبْ بن فالكويرا وإلياس دِلْ مِدِيْجُو Elias del Medigo .

وكان أثر ابن رشد في الحركة الإسكولاستيية النصرانية أعظم من أثره بين اليهود . وقد كانت مدرسة مترجمي طلييلة (ف ١٤٩) هي المركز الذي انتقلت عن طريقه الفلسفة العربية إلى أوروبا ، وفيها أتم ميخائيل الإسكوتلندي Michael Scottus ترجمة كتب ابن رشد إلى اللاتينية ، ويبدو أن ميخائيل هذا كان أول من عرف علماء الأمم اللاتينية بابن رشد . وفي طلييلة أيضاً شرع هرمان الألماني Hermannus Alemanus في نقل مؤلفات فيلسوف قرطبة إلى اللاتينية مرة أخرى . ومن المعروف أن هذه الترجمات حافلة بالعيوب والأخطاء ، لأن

الترجمة تمت فيها على مرحلتين : من العربية إلى مجمية الأندلس ، ومن هذه إلى اللاتينية . ثم إننا نجد آراء لابن رشد نشرها رجل مجهول يسمى موريس الإسباني Mauritius Hispanus ، ونجد إسكندر الهالي وجيترمو الأوفرنى ينقلان آراء عن ابن رشد ويشيران إلى ذلك ، (ويقول آسين پلاثيوس إن كتابات هذين المؤلفين ينبغي أن تدرس على ضوء آراء من اتبع طريق الأفلاطونية الحديثة من مفكرى العرب) . وقد أخذ « البرتوس الأكبر » بعض آراء عن ابن رشد راغما ، [إذ لم يكن له عن ذلك محيص] واعترف بذلك . وما أخذه عنه القول بصدور العقول بعضها عن بعض ، والقول بتأثير الكائنات العليا على العقل الإنسانى ، ومن ذلك أيضاً آراء ابن رشد عن العلاقة بين العقل الفعال والعقل المستفاد . وأما القديس توما الأكوينى فقد كان أشد خصوم مذهب ابن رشد ، ولكن يمكن اعتباره فى نفس الوقت تلميذاً له فى المنهج ، بل فى طريقة التأليف . وقد أثبت آسين اعتماد القديس توما على ابن رشد فى المسألة التى يمكن أن تعتبر منتهى ما تصل إليه علوم اللاهوت ، أى فى التوفيق بين الدين والفلسفة .

ومنذ أيام توما الأكوينى نجد المدرسة الدومينيكية كلها تعارض آراء ابن رشد : فكتب ريموندو مارتين كتابه « ضربة الدين Pugio Fidei » فى الرد على ابن رشد معتمداً على نصوص من كتب الغزالي ، ووضع دانتي الشارح العظيم (ابن رشد) بين ذوى القدر العظيم من الرجال الذين لا يستطيعون النجاة بأنفسهم من عذاب جهنم بسبب عقيدتهم الدينية ، ومن تصدى لمناقشة ابن رشد ونقض آرائه « جيل الرومانى »^(٦٦) ورايموندو أوليو خاصة ؛ وقد اجتهدا فى دحض آراء فيلسوف قرطبة فى عنف ، وإن كانت هذه الآراء قد شوّحت وحرفت عن مواضعها . أما أنصار نظريات ابن رشد فنجدهم بين رجال المدرسة الفرانكيسكية مثل « روجر بيكون » ، وفى جامعة باريس ، ومن أقطاب هذا الاتجاه فى تلك الجامعة سيجر البرابانتى .

وفي نفس الوقت الذي كانت شروح ابن رشد على مذهب أرسطو تجد قبولا في مدارس الفكر النصراني، بدأت تتكون - ابتداءً من القرن الرابع عشر - صورة أسطورية أخرى لابن رشد نراه فيها خارجا عن الدين، فيُنسب إليه كتاب لم يره أحد وإن كان الكلام عنه على كل لسان، وزعموا أن ابن رشد تحدث في هذا الكتاب بنظرية « الدجالين الثلاثة » التي تقول ببطلان الأديان الثلاثة: اليهودية والنصرانية والإسلام جميعاً، وتزعم أنها من وضع أصحابها. ونُسبت إليه كذلك نظرية القول بحقيقتين إحداهما الحقيقة الدينية والأخرى الحقيقة الفلسفية، وأنه قال إنهما متناقضتان فيما بينهما ولكن كلا منهما صحيحة، وهي بالأحرى نظرية سيجر البرابانتي وغيره من الرشديين اللاتين. ويقول آسين إن ابن رشد لم يقل بنظرية الحقيقة بين هذه أبدأ، بل هو على العكس من ذلك حاول أن يوفق بين الدين والعقل. أما القول بالحقيقتين فيمكن أن يؤخذ من آراء محيي الدين بن عربي (ف ١١٥) وأنها لا بد أن تكون قد انتقلت إلى سيجر وأتباعه عن طريقه أو عن طريق فلاسفة الأفلاطونية الحديثة^(٦٧).

ف ١١٢ - ابن العريف، أبو العباس أحمد بن محمد بن موسى بن

عطاء الله بن العريف الصنهاجي (٤٨١/١٠٨٨ - ٥٣٥/١١٤١):

ظهر أبو العباس بن العريف في المرية، وكانه صدى بعيد لمدرسة ابن مسرة. وهو صاحب الكتاب الغريب المسمى «محاسن المجالس» (نشره آسين مع ترجمة فرنسية في باريس سنة ١٩٣١)، وهو يبين فيه أصول طريقة صوفية جديدة كان لها أثر ظاهر في طريقة الشاذلية وبصورة أوضح في مذهب ابن عباد الرندي. وتتلخص هذه الطريقة في بطولة «الزهد في كل شيء ما عدا الله، بما في ذلك الزهد في «منازل» الصوفية والعطايا والمواهب الإلهية والكرامات وما إليها من المنن التي يهبها الله للنفس الإنسانية»، كما يقول آسين. ويذهب ابن العريف إلى أن هذه

الْمَنَ كُلِّهَا تَكُونُ لِعَوَامِ دُونَ الْخَوَاصِّ مِنَ الرَّاغِبِينَ فِي سُلُوكِ الطَّرِيقِ إِلَى اللَّهِ .
[وفي هذا يقول ابن العريف ، بعد أن يعرض لمنازل الصوفية ويشرحها
واحدًا واحدًا] :

« ... فهذه جميعها عِلَلٌ أَنْفِ الْخَوَاصِّ مِنْهَا وَأَسْبَابٌ انْفَصَلُوا عَنْهَا ، فَلَمْ يَبْقَ
لَهُمْ مَعَ الْحَقِّ إِرَادَةٌ وَلَا فِي عَطَائِهِ شَوْقٌ إِلَى اسْتِزَادَةٍ ، فَهُوَ مَتَّعَهُ مَرَادِهِمْ وَغَايَةَ
رَغْبَتِهِمْ ، فَيَعْتَمِدُونَ أَنْ مَا دُونَهُ قَاطِعٌ عَنْهُ : قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (قُلْ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي
خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ) ، فَزَهَدُهُمْ جَمْعُ الْهَمَّةِ عَنْ تَفَرُّقَاتِ السُّكُونِ ، لِأَنَّ الْحَقَّ عَاقِمٌ
بِنُورِ الْكَشْفِ مِنَ التَّعَلُّقِ بِالْأَحْوَالِ : قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (إِنَّا أَخْلَصْنَاكُمْ بِخَالِصَةٍ
ذَكَرَى الدَّارِ) . وَتَوَكَّلْتُمْ بِرِضَائِهِمْ بِتَدْيِيرِ الْحَقِّ ، وَتَخَلَّصْتُمْ مِنْ تَدْيِيرِهِمْ ، وَفَرَاغُ
هَمِّهِمْ مِنْ إِجَالَتِهَا فِي إِصْلَاحِ شَأْنِهِمْ ، لَوْ قَوْفَهُمْ عَلَى فِرَاقِ الْمُدَبِّرِ مِنْهَا ، وَتَمَرَّهَا عَلَى عِلْمِهِ
بِمَصَالِحِهِمْ فِيمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (ارجى إلى ربك راضية مرضية) . وَصَبْرُهُمْ صَوْنُهُمْ
قُلُوبَهُمْ عَنِ خَوَاطِرِ السُّوءِ ، لِأَنَّهُ لَيْسَ لِلَّهِ تَعَالَى قَضَاءٌ عَارِيًا عَنِ الرَّافَةِ خَارِجًا عَنِ
الرَّحْمَةِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (وَلِيُبَلِّغِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بِلَاءً حَسَنًا) . وَحُزْنُهُمْ بِأَسْهُمٍ عَنِ
أَنْفُسِهِمْ الْأَمَارَةَ بِالسُّوءِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ) . وَخَوْفُهُمْ
هَيْبَةُ الْجَلَالِ لَا خَوْفَ الْعَذَابِ ، لِأَنَّ خَوْفَ الْعَذَابِ مُنَاضِلَةٌ عَنِ النَّفْسِ ، وَهَيْبَتُهُ
سُبْحَانَهُ تَعْظِيمٌ لِلْحَقِّ وَنَسْيَانٌ لِلنَّفْسِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ) ،
وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي حَقِّ الْعَوَامِ (يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ) .
وَرَجَاؤُهُمْ ظَمُؤُهُمْ إِلَى الشَّرَابِ الَّذِي هُمْ فِيهِ غَرَقُوا وَبِهِ سَكْرَى ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (أَلَمْ
تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ) ، وَقَالَ فِي ذِكْرِ الْوَاسِطَةِ قَبْلَ ذِكْرِهِ لَهُ عَلَى الْأَفْرَادِ
(وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى) ، الْآيَةُ . وَشُكْرُهُمْ سُرُورُهُمْ بِوَجُودِهِمْ وَرُؤْيَتِهِمْ
النِّعْمَةَ لِمَوْجِدِهِمْ ، وَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَى ، وَعَيْنُ الرِّضَى عَنِ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ وَلَكِنْ
عَيْنُ السُّخْطِ تَبْدَى الْمَسَاوِيَا ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (فَاسْتَبَشِرُوا
بِیْبَعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ) ، الْآيَةُ . وَحُبَّتُهُمْ فَنَؤُهُمْ فِي مَحَبَّةِ الْحَقِّ وَأَحْبَابِهِ ، فَإِنَّ

المَحَابِّ كُلِّهَا ضَلَّتْ فِي مَحَبَّةِ الْحَقِّ ، وَتَصَاغَرَتْ وَاضْمَحَلَّتْ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ) . وَشَوْقُهُمْ هَرَبُهُمْ مِنْ رَسْمِهِمْ وَصِمَاتِهِمْ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى) ، الْآيَةُ « .

وقد تجلّى أثر دعوة ابن العربي وطريقه الصوفي في ثورة « المريرين » على المرابطين بقيادة ابن قسى^(٦٨) .

(-) التصوف

ف ١١٣ — محي الدين بن عربي :

تتمثل أعلى صورة وصل إليها تطور مذهب الأفلاطونية الحديثة [عند مسلمي الأندلس] المتفرع عن مدرسة ابن مسرة (ف ١٠١) في شخص أبي بكر محمد بن علي بن عربي (١١٦٤/٥٦٠ — ١٢٤٠/٦٣٨)^(٦٩) . وقد عرف ابن عربي « بمحيي الدين » ، و « بالشيخ الأكبر » ، و « بابن أفلاطون » . وقد وُلد في مرسية في بيت حسب وتقى ، وكانت أسرته على ثراء ، ولا بد أنه درس علوم الدين والأدب دراسة شاملة . وذهب به أهله وهو بعدُ طفل إلى إشبيلية عند ما استولى الموحدون على مرسية ، وفي إشبيلية قضى سنوات طفولته وصباه ، ولم يبد منه في سنه الباكرة انصراف إلى حياة الزهد ، بل كان همه الآداب والصيد . وفي إشبيلية أيضاً قرأ القرآن والحديث ودرس الفقه على يد أحد تلاميذ ابن حزم الظاهري . « وكتب لبعض الولاة »^(٧٠) ، وتزوج بمریم بنت محمد بن عبدون بن عبد الرحمن الباجي^(٧١) ، وعند ذلك بدأ مجرى حياته يتغير ، وكان سبب ذلك التغير ما كان يسمعه من مواعظ زوجته التي ضربت له المثل الصالح في الورع ، وألحت عليه أمه كذلك أن يقلع عما هو فيه . ثم أصابه مرض فلزم الفراش مدة تراءت له أثناءها منامات تمثّل له فيها عذابُ جهنم^(٧٢) ، وتوفى أبوه

علي بن عربي في أعقاب ذلك ، وكان قد أخبر — أي أبوه — بيوم وفاته قبل حلول أجله بخمسة عشر يوماً^(٧٣) . وتجمعت هذه العوامل كلها ودفعت به إلى طريق الزهد والتصوف ، فنراه قبل سنة ١١٨٤/٥٧٩ — أي قبل وفاة أبيه — وقد سلك الطريق ، ومصداق ذلك تشوف ابن رشد إلى معرفته . ولا بد أنه انصرف انصرافاً عظيماً إلى دراسة كتب التصوف بعد أن أتجه هذا الاتجاه^(٧٤) .

ونذكر من أوائل أسانذته في التصوف موسى بن عمران الميرتلي الذي علمه كيف يتلقى الإلهام الإلهي^(٧٥) ، وأبا الحجاج يوسف الشبربلي (وشبربلي Subórbol قرية بالشرف على فرسخين من إشبيلية) ، « وكان ممن يمشى على الماء »^(٧٦) ، وأبا عبد الله بن المجاهد ، وأبا عبد الله قشوم وكلاهما من أهل إشبيلية ، وقد تعلم منهما « محاسبة النفس » وكيف تكون^(٧٧) . بيد أن أستاذه الحقيقي كان « الاعتكاف » ، فكان يفرد بنفسه أياماً طويلة بين القبور يناجي أرواح الأموات^(٧٨) .

ثم وقع بينه وبين شيخه أبي العباس العرياني^(٧٩) جدل ، فظهر له الخضر ، وهو — كما يقول آسين — « شخصية أسطورية تمثل زهاد المسلمين فيها ما أثر عن الربانيين اليهود وعلماهم النصراني من أخبار تدور حول إلياس النبي والقديس جرجس ، مختلطا بأسطورة اليهودى التائه »^(٨٠) .

وقد مارس ابن عربي حياة التصوف مع شيوخ كثيرين ، وأخذ عنهم الكثير من رياضات الصوفية^(٨١) ، وأخذ على الأخص عن مجوز تسمى نونه فاطمة بنت ابن المثني القرطبية ، لزمها سنتين خادماً ومريداً^(٨٢) ، وشاهد بنفسه ما كان يجري على يدها من ظواهر التنبؤ الغريبة^(٨٣) .

وعند ما أحس أنه استكمل عدته خرج يجول في الأرض ، وقضى بقية حياته متجولاً ، « فكانت بقية أيامه رحلة متصلة في بلاد المسلمين والنصارى ، جابها كلها ، يتعلم ويعلم ويجادل » ، كما يقول آسين . ولدينا أخبار عن إلمامه بمورور^(٨٤)

ومرشاة الزيتون^(٨٥) ومدينة الزهراء وقَبْرَفيق Cabrafigo (قرية على مقربة من رندة)^(٨٦). ثم رحل إلى المغرب ونزل بجاية (حيث لقي الصوفيَّ شعيب بن الحسن الإشبيلي المعروف بأبي مَدِين، وبيالغ ابن عربي في وصف رؤاه وكراماته وفضائله وطريقته)^(٨٧). ثم أَلَمَّ بتونس حيث درس ما كتبه أبو القاسم بن قَسِي الزاهد^(٨٨)، وهو الذي بدأ ثورة «الريدين» في غرب الأندلس على المرابطين، وفي هذا البلد ظهر له الخضر مرة أخرى^(٨٩). ثم مضى إلى تلمسان^(٩٠)، وبعد أن قام بسياحات متعددة في نواحي المغرب والأندلس^(٩١) استقر في فاس سنة ١١٩٤/٥٩١^(٩٢)، حيث انصرف إلى الدراسة وإلى الرياضة الصوفية في الجامع الأزهر (بعين الخليل من مدينة فاس) وجَنَّة (حديقة) ابن حيون^(٩٣)، وهناك وقع له أولُ ما عَرَف من حالات الإِشراق^(٩٤). ويبدو أن العلاقات بينه وبين الموحدين^(٩٥) لم تكن على ما يرام، وربما كان هذا هو الذي دعاه إلى السير إلى المشرق، ولكنه تلكأ بعض الوقت قبل الخروج إليه وزار مرسية^(٩٦) والمرية، مركز جماعة ابن العريف^(٩٧)، وهناك كتب رسالته الصوفية «مواقع النجوم»^(٩٨)، وهي مدخل للمبتدئين في سلوك الطريق يصف فيها كيف يمكنهم السلوك فيه دون حاجة إلى مرشد روحى (أى شيخ). ثم قصد سراكش، وفيها رأى رؤيا جعلته يحزم أمره على السير إلى المشرق^(٩٩)، فخرج إليه وحل ببجاية (رمضان ٥٩٧ هـ). وفي ليلة من الليالي تزوج زواجا صوفيا بكل نجوم السماء والحروف كلها، «فأبقي منها نجم إلا أنكحته بلذة عظيمة روحانية، ثم لما كملت نكاح النجوم أعطيت البدور فأنكحتها. وعرضت رؤياى هذه على مَنْ قصها على رجل عارف للرؤيا بصير بها، وقلت للذى عرضها عليه: لا تذكرنى، فلما ذكر الرؤيا استعظمها وقال: هذا هو البحر الذى لا يُدرك قعره، صاحب هذه الرؤيا يفتح الله له من العلوم العلوية وعلوم الأسرار وخواص الكواكب...»^(١٠٠). وعندما نزل تونس أَلَف كتابه «إنشاء الدوائر الإحاطية على مضاهاة الإنسان للخالق

وللخلاق « ، وفيه يشرح تصوّره المقعد المتّوى للكون بواسطة أشكال هندسية (١٠١) .

وفي سنة ١٢٠١/٥٩٨ توجّه إلى مكة وجاور فيها ، وهناك توثقت علاقته بأمرأة أبي خاشة إمام مقام إبراهيم ، وتعلق بابنة له تسمى « نظام » ، وأرجى إليه تعلقه بها موضوع كتاب من أشهر كتبه وهو « ترجمان الأشواق » (١٠٢) ، وهو من ناحية ظاهريه مجموعة من شعر العشق الذي قاله في هذه الفتاة ، أما معانيه فصوفية ، المتصود بها الله واللأ الأعلى وحلاوة الفناء في الخلاق . ثم زاد نشاطه في التأليف (١٠٣) ودخل في سلك طريق إخوان مكة (١٠٤) ، وتواترت عليه المكاشفات وأخذ يخبر الناس عما سيحل بهم من المصائب ، وكتب كتابه « الدررة الفاخرة » (١٠٥) ، وهو مجموع من سير الصوفية من أهل المغرب من شيوخه وإخوانه .

ثم هدأ واستقر في مكانه ردها من الزمن عاد بعده إلى التجوال ، فسار إلى الموصل سنة ١٢٠٤/٦٠١ ، وهناك لبس خرقة الخضر للمرة الثالثة على يد الشيخ الصوفي علي بن جامع في حفل أحاطت به مظاهر تهبين أهميته (١٠٦) . ونجدته بعد ذلك بسنتين (١٢٠٦/٦٠٣) في القاهرة ، حيث ظهرت على يديه كرامات ومعجزات غريبة في حلقة من الصوفيين كان مركزها « حارة القناديل » . وتسرب إلى جمهور الناس قوله بوحدة الوجود واشتهر أمره ، فتألب عليه الفقهاء وانهموه بالمروق ، فلم يعرهم أى اهتمام ، وقال إن نبأ ذلك كان عنده منذ زمان طويل ، فقد كشف الله له عنه . ولم يصبه اتهام الفقهاء إياه بأذى ، لأن السلطان العادل الأيوبي كان متسامحا ، فقبل في ابن عربي شفاعته صديقه أبي الحسن الباجي (نسبة إلى بجاية بإفريقية) وفسّرت آراؤه تفسيراً رمزياً ، ولكن ابن عربي أصر على ما كان يقول به من آراء صوفية ، ولام صديقه أبا الحسن قائلاً : « وكيف يكون مسجوناً من حل الله في جسده ؟ » (١٠٧) .

ثم مضى ابن عربي إلى بلاد الروم ونزل قونية^(١٠٨)، وسمع بأمره الملكُ كيقاوس الأول (تولى عرش قونية سنة ٦٠٧/١٢١٠) وزكاه.. وقال: « هذا نذل له الأسود » أو كلاماً هذا معناه، وأمر له سرّة بدار تساوي مائة ألف درهم، فلما نزلها وأقام بها سرّة به بعض الأيام سائلٌ فقال له: شيء لله! فقال: مالي غير هذه الدار، خذها لك. فتلصقها السائل وصارت له^(١٠٩). واجتذب نفرًا من الناس فتعلمذوا له بسبب ما ظهر عليه من علامات القطبية^(١١٠)، وهناك ألف كتابي «مشاهد الأسرار» و«رسالة الأنوار»^(١١١). ثم ساح بنواحي الأناضول حتى بلغ أبرد نواحي أرمينية، حيث يتجمد ماء الفرات^(١١٢). [ثم عاد إلى بغداد (٦٠٨/١٢١١)، حيث لقي شهاب الدين الشهرزوري قطب الصوفية^(١١٣)، وتعلمذ له نفر من المريدين في هذا البلد^(١١٤). ومن بغداد كتب إلى كيقاوس خطاباً يعتبر وثيقة في «السياسة الإلهية»، يطلب إليه فيه أن يشتد مع البصاري^(١١٥)، وخطابه هذا يفيض بكرامية شديدة لهم، وهي كراهية تتجلى في كتبه الأخرى^(١١٦). ثم قصد مكة في سنة ٦١٠/١٢١٤، وفيها كتب «ذخائر الأعلاق» شرحاً على ديوانه «ترجمان الأشواق»، وقد رمى من وراء وضع هذا الشرح إلى القضاء على الأراجيف التي كان الفقهاء وأهل الدين يذيعونها حوله، إذ استعظموا معاني العشق الواردة في «الترجمان» وما تتحدث عنه من عاطفة حسية مادية، وقد غابت عنهم المعاني الصوفية التي أرادها^(١١٧).

وتوجه بعد ذلك إلى قونية فوجد كيقاوس قد خرج لحصار أنطاكية، فتوجه ابن عربي إلى سيواس حيث رأى في نومه انتصار كيقاوس واستيلاءه على أنطاكية، فذهب إلى ملطية، ومن هناك وجه إلى الملك خطاباً بالبشرى، ووصل الخطاب قبل أن تتحقق رؤيا ابن عربي، وقبل سقوط أنطاكية في يد كيقاوس بعشرين يوماً^(١١٨). ثم قصد حلب حيث لقيه السلطان الظاهر غازي (صاحب حلب حتى سنة ٦١٣/١٢١٦) فأعجب به وبلغ من نفسه مكانة جماله يقدمه على من

كان حوله من الحاشية والفقهاء ، وكان ابن عربي يبغضهم ^(١١٩) .

ثم اعتلت صحته ^(١٢٠) ، وزاد ما كان يبدو عليه من مظاهر الجذب واضطراب العقل ، وفي هذه الحالة من الاعتلال الجسدى والعقلى كتب كتابه « الحكمة الإلهامية » ، وهو رد على الفلاسفة ونقض لآرائهم على طريقة النزالي في « التفات » ^(١٢١) . ثم مضى باحثاً عن مكان معتدل الجو يلائم صحته ، واختار دمشق واستقر فيها من سنة ١٢٢٣/٦٢٠ إلى وفاته . وكان واليها الملك المعظم بن العادل من مرينيدية ^(١٢٢) . وفي دمشق كتب ثلاثة كتب ، هي : « فصوص الحكم » ، و « الفتوحات المكية » ، و « الديوان » ، وفيها كذلك رأى رؤيا شهد فيها الخالق سبحانه ^(١٢٣) ، وفيها كذلك قضى أخريات أيامه ضيفا على قاضيها ابن الزكي ، وانصرف إلى التأليف حتى أدركته منيته ليلة الجمعة ٢٨ ربيع الآخر ٦٣٨/١٦ نوفمبر ١٢٤٠ ، ودفن بسفح جبل قاسيون خارج دمشق بالتربة الصالحية .

وقد أخذ إجلال الناس لابن عربي يزداد بعد موته « فجعلوه قطبا شبه نبي ، ولم تلبث المآثورات المتداولة عنه بين تلاميذه أن صارت مصدراً لعدد لا يحصى من الحكايات الأسطورية نسبت إليه ثم اختلطت بترجمة حياته » ^(١٢٤) . وقد بنى السلطان سليم العثماني قبة كبيرة على قبره وأنشأ مدرسة رتب لها الأوقاف ^(١٢٥) ، وقد كانت هذه المدرسة قائمة لا تزال في أيام المقرئ على أوائل القرن السابع عشر ، وذكرها في « النفع » .

ف ١١٤ — مؤلفات ابن عربي :

قيل إن ابن عربي كتب نحو أربعمائة كتاب ورسالة ، وقد ذكر من ترجموا له الكثير من أساميها ونبدأ عنها ، وسنظم هنا بذكر مؤلفاته الثلاثة الكبرى :

١ — « فصوص الحكم » ، ألّفه سنة ٦٢٦/١٢٢٩ : إلى هذا الكتاب

يرجع الفضل فيما تتمتع به ابن عربي من شهرة كبرى بين الصوفيين ، كؤلف لكتب المكاشفات التي ترفع الحجب عما وراء الغيب . وفيه يعرض مذهبه الغامض المتناقض في وحدة الوجود على صورة إيماءات يرُدُّها واحداً بعد الآخر إلى تعاليم السبعة وعشرين نبيا المقدمين على مَنْ سواهم من الأنبياء الذين يسلم الإسلام بأنهم مرسلون ، وأولهم آدم وآخرهم محمد ؛ وقد كثرت التعليقات والشروح على هذا الكتاب (١٢٦) .

٢ — « الديوان » ، ألفه سنة ٦٢٩/١٢٣٢ : وهو مجموع من شعره معظم ما فيه فاطر متكلف تنقسه الحيوية والواقعية اللتان يمتاز بهما شعره في « ترجمان الأشواق » .

٣ — بيد أن أعظم كتب ابن عربي هو « الفتوحات المكية في معرفة الأسرار السليكية » (١٢٧) و«الملكية» (١٢٨) ، ونستطيع أن نقول إنه جمع فيه كل ما ذكره في مؤلفاته الأخرى ، ونسخته المطبوعة تقع في أربعة آلاف صفحة . وقد أراد من وضع هذا الكتاب أن يبلغ صديقيه أبا محمد بن عبد العزيز التونسي وعبد الله بن بدر الحبشي ما فتح الله عليه به أثناء مقامه بمكة . وفاحة الكتاب خطبة ألقاها بين يدي الخالق سبحانه وتعالى في رؤيا رآها ، [وهو يقول في هذه الفاتحة بعد تحميد طويل :

« ... والصلاة على سر العالم ونكته ، ومطلب العالم وبنيته ، السيد الصادق ، المدلج إلى ربه الطارق ، المحترق به السبع الطرائق ، ليريه من اسرى به إليه ما أودع من الآيات والحقائق ، فيما أبدع من الخلائق ، الذي شاهدته عند إنشائي لهذه الخطبة في عالم الحقائق ، في حضرة الجلال ، مكاشفة قلبية ، في حضرة غيبية . ولما شاهدته صلى الله عليه وسلم في ذلك العالم سيداً معصوم المقاصد ، محفوظ المشاهد ، منصوراً للناس مؤيداً ، وجميع الرسل بين يديه مصطفون ، وأمتة التي هي خير أمة أخرجت للناس عليه ملتفون ، وملائكة

التسخير من حول عرش مقامه حاقون ، والملائكة المولدة من الأعمال بين يديه صافون ، والصدّيق عن يمينه الأنّس ، والفاروق عن يساره الأقدس ، والخطم ، عليه السلام ، بين يديه قد جثا ، يخبره بحديث الأنبي ، وعلى ، صلى الله عليه وسلم ، يترجم عن الخطم بلسانه ، وذو النورين مشتمل برداء حيائه مقبل على شانته ، قالتفت السيد الأعلى ، والمورد العذب الأحلى ، والنور الأ كشف الأجل ، فرآني وراء الخطم ، لاشترك بيني وبينه في الحكم ، فقال له السيد : هذا عدليك ، وابنتك وخليلك ، انصب له منبر الطرفاء بين يدي . ثم أشار إلى ، أن قم يا محمد عليه فأئن علي من أرسلني وعلى . فإن فيك شعرة منى ، لا صبر لها عنى ، هي السلطنة في ذاتيتك ، فلا ترجع إلى إلا بكليتك ، ولا بد لها من الرجوع إلى اللقاء ، فإنها ليست من عالم الشقاء . فما كان منى بعد بعثى شيء في شيء إلا سعد ، وكان ممن شكر في الملأ الأعلى وحمد . فنصب الخطم المنبر في ذلك المشهد الأخطر ، وعلى جبهة المنبر مكتوب بالنور الأزهر : هذا هو المقام الحمدي الأظهر ، من رقى فيه فقد ورثه ، وأرسله الحق في العالم حافظا لحرمة الشريعة وبعثه . ووُهبَت في ذلك الوقت مواهب الحكم ، حتى كأنى أوتيت جوامع الكلم ، فشكرت الله عز وجل ، وصعدت أعلاه ، وحصلت في موضع وقوفه صلى الله عليه وسلم ومستواه ، وبسط لى على الدرجة التي أنا فيها قيص أبيض فوقفت عليه ، حتى لا أباهر الموضع الذي باشره صلى الله عليه وسلم بقدميه تنزيها له وتشريفاً . . . ثم أظهرت أسراراً ، وقصصت أخباراً ، لا يسع الوقت إيرادها ، ولا يعرف أكثر الخلق إيجادها ، فتركتها موقوفة على رأس مهيعها ، خوفاً من وضع الحكمة في غير موضعها ، ثم رددت من ذلك المشهد النومي العلى ، إلى العالم السفلى ، فجعلت ذلك الحمد المقدس خطبة الكتاب ، وأخذت في تميم صورته ، ثم شرعت بعد ذلك في الكلام على ترتيب الأبواب ، والحمد لله الغنى الوهاب .]

ويقول آسين عن هذا الكتاب : « إنه لمن المتعذر أن نعطي فكرة تحليلية

للمادة الضخمة التي يحويها هذا السفر الذي يعتبر إنجيل التصوف الإسلامي . ذلك أننا نجد هنا — كما هو الحال في سائر كتب فلاسفة المشائين من المسلمين — منهجا منطقيًا بالغ الدقة . وكذلك في كتب التصوف الإسلامي ، وخاصة توالييف ابن عربي ، ففي هذه كلها نجد موضوعات غير متجانسة في طبيعتها مجموعة في فصل واحد ، دون مراعاة ما تقتضيه طبيعة المادة . والرابطُ بين الأشياء في هذه الكتب لا يخضع إلا لاعتبارات يفرضها بيان علوم أهل الباطن ولا أساس فلسفي أو اعتقادي لها .

وبعد مقدمة ضخمة نجد الكتاب ينقسم إلى الأقسام الستة التالية :

١ — المعارف .

٢ — المعاملات .

٣ — الأحوال .

٤ — المنازل .

٥ — المنازلات .

٦ — المقامات (١٢٩) .

والكتاب في مجموعه يضم خمسمائة وستين فصلاً ، وقد كانت ضخامته سبباً في قلة انتشاره ، وإن كنا نجد له شروحا متعددة .

ولابن عربي مؤلفات أخرى كثيرة ، بعضها في الزهد وبعضها الآخر في التصوف ، وأهمها « محاضرات الأبرار » وهو « أقرب إلى نوع كتب المتفرقات الأدبية ، وإن كانت مادته كلها زهدية صوفية كبقية كتبه كلها » .

ف ١١٥ — الخصة أخص العامة لمذهب ابن عربي الفلسفي الملهوتي : (١٣٠)

كان محيي الدين — كغيره من المفكرين المسلمين — مُكثرًا من التوالييف ، وكتاباته تتناول كل شيء : من علوم وفقه وفلسفة وشرع وفلك ، وما إلى ذلك .

ونحن نلح عنده — زيادةً على ما نجده عند غيره — الأثر الذي خلفه في مؤلفاته اختلاطُ المذاهب المتشعبة التي سمع بها أثناء سياحاته الطويلة ، أو تحصلت له نتيجةً لاتصاله بأقوام ذوي عقائد شتى يختلف بعضها عن بعض اختلافاً عظيماً . وهو يقول في ذلك إنه لا يعرف طريقةً من طرق الصوفية ، أو فرقةً من الفرق ، أو عقيدةً من العقائد لم يلق واحداً من السالكين فيها أو ممن يعتقدونها ويمارسون طقوسها قولاً وعملاً ، وأن كل ما سطره في كتبه منه ما شاهده ، ومنه ما نقله من كتب مشهورة رواها سماعاً أو قراءة أو مداولة أو كتابة (*) .

ويقول آسین : « إن الإسلام في عصر ابن عربي كان قد تمثّل علومَ اليونان جميعاً ، وذلك بفضل الدراسات الفلسفية اللاهوتية التي قام بها ابن سينا والغزالي وابن حزم وابن رشد . وأعقبت مذاهب الصوفية البسيطة الأولى ، مذاهب ذات طابع نظري غالب ؛ وهي في أساسها تتجه نحو القول بوحدة الوجود ، وتقوم كلها على محاولة التوفيق بين شتى المذاهب والآراء ، وهي محاولة متشعبة محيرة » .

هذا ، وشيوخ ابن عربي في علوم أهل الباطن يعدون بالمثلثات ، والكتب التي يبدو أنه قرأها وعرف ما فيها في التصوف وغيره لا تحصى ، وهذه الآراء كلها التي تجمعت لديه من مصادر مختلفة أشد الاختلاف كان ولا بد أن « تتحمر اختاراً صاحباً » في رأسه ، وكان ذهنه بطبعه مُستثاراً مضطرباً ، بسبب ما رُكِب في طبعه من مزاج صوفي بالغ القوة ، وبسبب ما كان يعانيه من « جذب » غير عادي ، ذلك كله يجعل عرضَ مذهبه عرضاً علمياً أمراً عسيراً جداً في رأي آسین .

والفكرة الرئيسية التي يقوم عليها تفكير ابن عربي كله تقوم على ستة أصول هي :

١ — زهدُ أهل النظر من الصوفية ومذاهبهم في العلوم الباطنة ، وهو يقبل

(*) ابن عربي : محاضرة الأبرار ، القاهرة ١٢٨٣ ، ص ١ ، ص ٦ .

عقيدتهم الصوفية ، وهذه العقيدة في ظاهرها تطابق مذهب أهل السنة والجماعة .
٢ — والقول بوحدة الوجود .

٣ — والشك الصوفي .

٤ — والمذهب الميتافيزيقي للإسكندرانيين الثلاثة .

٥ -- ومذهب أفلوطين في الصدور .

٦ — ومذهب الصوفية في النفس .

يبد أن ما يمتاز به ابن عربي هو الجمع بين هذه الآراء المتباينة — بل المتضاربة — وتنسيقها ، وقد وفق إلى ذلك عن طريق تأويل النصوص المنزلة ، والتماس معانٍ صوفية لها تتفق مع الآراء الأفلاطونية الحديثة .

ولكى يصل ابن عربي إلى ذلك ، نراه بطبيعة الحال يستعمل مصطلحا خاصا به يختلف عن الجاري المألوف ، ويختلف عن مصطلح المتكلمين ، بل هو يختلف عن المصطلح المعروف للصوفيين . ولهذا نراه — من حين لحين — يعمد إلى شرح كلامه بنفسه ، وهو يسرف في استعمال المجاز والاستمارة والرموز والتشبيهات الصوفية ، وهو يلجأ إلى ذلك لكي يحجب مذاهب الإسكندرانيين في وحدة الوجود وراء أستار هذه الرموز . وأكثر المجازات التي يستعملها تستند إلى النسبة إلى « النور » على طريقة الإشراقين ، وهم من جانبهم يترسمون آثار النوصيين والمناويين والزرادشتيين . وهو يجعل للحروف العربية قيا خاصة يعترفها من عنده ، وذلك نتيجة لمزاوجته بين التنجيم وعلوم الصوفية عند اليهود وآراء الفيثاغوريين المحدثين في الإسكندرية . وعن هذا السبيل حصل ابن عربي على ثروة كبيرة من المعاني الباطنة والفضائل الصوفية . وهو يلجأ إلى الرسوم والتخطيطات والأشكال الهندسية ، لكي يشرح المعقد من الآراء الميتافيزيقية التي يتضمنها مذهبه ، كما فعل « إخوان الصفاء » والدروز . وهو لا يتحرج من الاستعانة بخرافات العلوم الخفية الشرقية والغربية : كحساب النجوم واستخراج الأحكام

منها ، والتنبؤ على أساس الغال ، وتفسير الأحلام وما إلى ذلك .

والأساس الأول الذي بنى عليه ابن عربي ، مذهبه هو نفس الأساس الذي بُنيت عليه مذاهب أهل النظر من المتصوفين ، وهو « الشك » ، أى إنكار قدرة العقل الإنسانى على الوصول إلى الحق المطلق والنفوذ إلى علوم الربوبية . وبنى ابن عربي تشككه هذا على هجز الإنسان عن إدراك ذات الله من ناحية — وذلك بحكم طبيعته كإنسان — لأن الله هو المطلق والمخلوق هو المحدود ، وبينه من ناحية أخرى على هجز الملكات والقوى الإنسانية عن بلوغ المعرفة اليقينية البَيِّنَة ، وعلى قصور العقل الإنسانى وضعفه ، كما يتضح من تعدد المذاهب الفلسفية وعدم اتفاقها على أى مسألة أساسية .

ويعتقد ابن عربي أنه لا دواء يشفى من الحيرة — التى يؤدى بالإنسان إليها الاستنادُ إلى العقل عند الفلاسفة والمتكلمين — إلا شىء واحد : هو طريق أهل الصوفية فى الرياضات والمجاهدات ، وذلك لأن العقل الفلسفى يؤدى بالإنسان إلى الشك فى وجود الله ، ومن ثمَّ فلا بد أن يكون هناك طريق آخر للوصول إلى العلم الحقيقى خير من طريق الفلسفة والكلام : ذلك هو الاتصال المباشر بالله واستمداد المعرفة منه . وكما أن الله يعرف بذاته كل ما هو مخلوق ، فكذلك يستطيع الإنسان أن يصل إلى هذه المعرفة إذا توصل إلى الاتحاد بالخالق . وهو يتوصل إلى ذلك عن نفس الطريق الذى وصل به إليه الأنبياء والصوفيون ، وهو طريق الرياضات الصوفية . ذلك أن الإنسان إذا تجرد عن كل خاطر أو رغبة خارجية أو مادية حلَّ الله نفسه فيه وصار الله هو الذى يسير كل حواسه وملكاته ، باعثاً فيها النور الإلهى . وهذا النور إذا قُذِفَ فى العقل الإنسانى أصبح ملكة جديدة للإدراك تفوق قوى العقل العادى وتتجاوز مدى ما يصل إليه وتسمو عليه .

ويسمى الصوفية هذا الإدراك « قلباً » . ويقول ابن عربي إن هذا « القلب » أسمى وأعلى من العقل العادى ، وهو يستخدم نفس الصور التشبيهية التى استخدمها

بروقليس ومن قبله أفلاطون . وابن عربي يرى أن هذا الأسلوب الذي ينتهجه في التذليل على صحة رأيه ليس خاطئاً ، وإن كان صادراً عن استدلال عقلي .

ويبلغ الإغراق في الشك بابن عربي إلى أن يرى في الدراسة الكلامية والأخلاقية حائلاً بين الإنسان وبين إشراق النور الإلهي في نفسه ، ويذهب إلى أن الإنسان البسيط أجدر من المتعلم بتلقي الأنوار الإلهية ، ويعلل ذلك بالقول بأن الخط على صفحة قد نُحى ما كان عليها لا يعدل في الوضوح الكتابة على صفحة نظيفة بيضاء .

وهو لهذا يريد أن يقنع قارئه بأن كتاباته صدرت عن النور الإلهي وحده ، على الرغم من أننا نجد آراءه نفسها بالحرف الواحد في كتب سابقة عليه . وعن طريق الجمع والمزج بين آراء أرسطو وآراء الأفلاطونية الحديثة ، يقسم ابن عربي العلم الإنساني بحسب مصادره وموضوعاته إلى ثلاثة أنواع ؛ وهذا نص كلامه في هذا الصدد :

« قال العبد الفقير إلى رحمة الله تعالى : ربما وقع عندي أن أجعل في أول هذا الكتاب فصلاً في العقائد المؤيدة بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة ، ثم رأيت أن ذلك تشعيب على المتأهب لطلب المزيد ، المتعرض لنفحات الجود بأسرار الوجود ، فإن المتأهب إذا لزم الخلو والذكر ، وفرغ الحبل من الفكر ، وقعد فقيراً لا شيء له عند باب ربه ، حينئذ يمنحه الله تعالى ويعطيه من العلوم والأسرار الإلهية ، والمعارف الربانية التي أنشئ الله بها سبحانه على عبده الخضر عليه السلام فقال تعالى : عبداً من عبادنا آتيناها رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً . وقال تعالى : واتقوا الله ، ويعلمكم الله . وقال : إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً . وقال : ويجعل لكم نوراً تمشون به . قيل للجنيد رضي الله عنه : بم نلت ما نلت ؟ فقال : بجلوسى تحت تلك الدرجة ثلاثين سنة . وقال أبو يزيد رضي الله عنه : أخذتم علمكم ميتاً عن ميت ، وأخذنا علماً عن الحي الذي لا يموت . فيحصل

لصاحب المهمة في الخلوة مع الله وبه جلت هيئته وعظمت منته من العنوم ما يغيب عندها كل متكلم على البسيطة ، بل كل صاحب نظر وبرهان ليست له هذه الحالة فإنها وراء طور العقل ، إذ كانت العلوم على ثلاثة منازل :

« علم العقل : وهو كل علم يحصل لك ضرورة أو عقيب نظر في دليل بشرط العثور على وجه ذلك الدليل وشبهه من جنسه في عالم الفكر الذي يجمع ويختص بهذا الفن من العلوم ، ولهذا يقولون في النظر منه صحيح ومنه فاسد .

« والعلم الثاني : علم الأحوال ، ولا سبيل إليها إلا بالذوق ، فلا يقدر عاقل على أن يمجدها ولا أن يقيم على معرفتها دليلا ألبتة ، كالعلم بحلاوة العسل وسرارة الصبر ولذة الجماع والعشق والوجد والشوق وما يشاء كل هذا الصنف ، فهذه علوم من المحال أن يعرف أحد حقيقتها إلا بأن يتصف بها ويذوقها ، أو شبهها من جنسها في عالم الذوق ، كمن يغاب على محل طعمه المرة الصفراء فيجد العسل مرًا وليس كذلك ، فإن الذي باشر محل الطعم إنما هو المرة الصفراء .

« والعلم الثالث : علم الأسرار ، وهو العلم الذي فوق طور العقل وهو علم نفث روح القدس في الروح يختص به النبي والولي . وهو نوعان : نوع منه يدرك بالعقل كالعالم الأول من هذه الأقسام ، لكن هذا العالم به لم يحصل له عن نظر ولكن مرتبة هذا العلم أعطت هذا . والنوع الآخر على ضربين : ضرب منه يلتحق بالعالم الثاني لكن حاله أشرف ، والضرب الآخر من علوم الأخبار وهي التي يدخلها الصدق والكذب ، إلا أن يكون الخبر به قد ثبت صدقه عند الخبر وعصمته فيما يخبر به ويقول ، كإخبار الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم بالجنة وما فيها ؛ فقوله : « إن ثم جنة » من علم الخبر ، وقوله في القيامة : « إن فيها حوضاً أحلى من العسل » من علم الأحوال ، وهو علم الذوق . وقوله : « كان الله ولا شيء معه » وشبهه ، من علوم العقل المدركة بالنظر . فهذا الصنف الثالث — الذي هو علم الأسرار — العالم به يعلم العلوم كلها ويستغرقها ، وليس صاحب تلك العلوم كذلك ، فلا علم أشرف من هذا

العالم المحيط الحاوي على جميع المعلومات ، وما بقي إلا أن يكون الخبر به صادقاً عند
السامعين له معصوماً « (١٣١) .

ويقول آسین : « وبنظرة الحقيقتين المتعارضتين هذه — التي تشبه إلى حد
كبير ما قال به الرشديون من النصارى — يمهّد ابن عربي طريقاً سهلاً لتفسير
كل ما يرد في إلهياته ومذهبه في وحدة الوجود من تنافر ومجااة المنطق » .

وعندما نستعرض من صرّفهم ابن عربي من شيوخ روحيين أو أصحاب
في طرق الصوفية ، ننتبين بوضوح الأوج الذي وصل إليه التصوف في الأندلس
الإسلامي . ويذكر ابن عربي نفسه في « رسالة القدس » (نشرها آسین سنة
١٩٣٩) تراجم خمسة وخمسين شيخاً من شيوخه الروحيين ، والكثير من هؤلاء
أندلسيون من شتى الطبقات : أعلاها وأدناها ، ونحن نجد فيهم مثلاً نادرة
لتعذيب النفس والورع والقدرة على الإتيان بالكرامات بشتى صنوفها . وهذه
التراجم في مجموعها تعطينا صورة للحياة الأندلسية تناقض المناقضة كلها ما تعرضه
علينا أزجال ابن قزمان من فحش وتهتك .

ولم يكتب معظم أولئك الصوفيين شيئاً ، بل كان أبو جعفر الرياني « بدويًا
أمياً لا يكتب ولا يحسب ، وكان إذا تكلم في علم التوحيد فحسبك أن تسمع ،
كان يقيد الخواطر بهيمته ويصدع الوجود بكلمته » (١٣٢) . وكان أبو عبد الله
الشرفي (نسبة إلى الشرف ، إقليم بغرب الأندلس) « إذا وقف في الصلاة تفحدر
دموعه على بياض لحيته كأنها اللؤلؤ . سكن موضعاً نحو أربعين سنة ما أوقد فيها
سراجاً ولا ناراً » (١٣٣) . وكان أبو الحجاج يوسف الشبربلي قطبا كريماً ، ما دخل
عليه أحد قط وعنده ما يؤكل إلا يجعله أمام الداخلين — كثروا أو قلوا ، كثر
الطعام أو قل — لا يترك شيئاً يكون له ألبتة » (١٣٤) . ونجد من بينهم أبا عبد الله
محمد الخياط ، وأحمد الحزاز ، وأبا علي حسن الشكاز « وكان كثير الدمعة لا تزال

عينه تهطل أبداً ، ، وأبا محمد عبد الله الباغي الشكاز (١٣٥) ، وكان ليلاً قائماً ونهاره صائماً ، « لم يقدر مرید قط على صحبته لأنه كان يطالبه باجتهاده فيفر منه . عاش وحيداً فريداً ليس عنده ولا له على نفسه رحمة » (١٣٦) ، وعبد الله المالقي — عُرف بالقلناط — الذي « كان يعمل على طريقة الفتيان . وامررى لقد ظهر فيه وبدت إليه أعلامه ، ما تراه يمشى قط إلا في حق غيره ، لا يلتفت لنفسه ولا لِحَقِّهَا ، يقصد والى البلد والحكام في حوائج الناس ، داره للفقراء مباحة » ، ونُونة فاطمة بنت ابن اللثقي الإشبيلية ، قال ابن عربي : « أدركتها في عشر التسعين سنة قد أسنت لا تأكل إلا مما يطرح الناس على أبوابهم من الأطعمة ، قليلة الأكل جداً ، كنت إذا قدمت معها أستحي أن أنظر إلى وجهها من عظيم توردها وحبنتها ونعمتها وهي في عشر التسعين سنة ... عرض الله عليها مملكة ، فلم تقف مع شيء منه ، إنما تقول : « أنت . أنت اكل شيء دونك مستثوم على ا » . كانت والهة في الله ، من يراها يقول عنها حقاء ، فتقول : الأحق هو الذي لا يعرف ربه » ، وغير أولئك كثيرين .

وقد ذاعت آراء ابن عربي ذيوها عظيماً في بلاد الإسلام ، ولا زالت معروفة متداولة إلى اليوم ، بل انتقلت إلى بلاد النصرانية ووصلت إلى رجال مثل دانتي ورايموندو لوليو ، وذلك كله يصور لنا القوة الدافقة التي حوَّسها آراء هذا الصوفي المرسي . وقد بين آسين في كتابه « الإسلام في توب نصراني » El Islam Cristianizado آراء ابن عربي بيانا وافيا .

ف ١١٦ — ابن سبعين (أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر

الشهير بابن سبعين العكبي المرسي الأندلسي) :

لا بد أن نذكر في عداد تلاميذ ابن عربي عبد الحق بن سبعين (٦١٤/١٢١٨

— (٦٦٩ / ١٢٧٠) وكان يلقب « بقطب الدين » ، وهو من مرسية مثله وأصله من رَقُوطَة أو وادي رقوطة Valle de Ricote ، وهو من بيت كريم نابه الذكركر . [« ونشأ رحمه الله ترَفاً مبجلًا في ظل جَاهِ ونعمة لم تفارق معها نفسه البأو . وكان وسيما جميلا ملوكي البرزة عزيز النفس قليل التصنع ، وكان آية من الآيات في الإيثار والجلود بما في يده »] (*) .

درس ابن سبعين علوم القرآن والحديث والفلسفة ، وتلقى الصوفية على يد أبي إسحاق بن دَهَاق . ثم انتقل إلى سبته حيث رأس جماعة تألف معظمها من الفقراء والسقارة أصحاب العبادات والدنايس (أيضاً دقايس ودقايس ؟) ، ومضوا يسرحون في البلاد مشتملين بكساء من الصوف ، حاملين عدلاً غليظاً ينامون عليه في السكك ، وكانوا يسمون « السبعينية » . وقد نارت حفيظة الفقهاء عليه وعلى مريديه ، بسبب الملابس التي كانوا يلبسونها والطريقة التي كانوا يعيشون عليها مجافين مألوف العرف ، وأنكروا عليهم مذهبهم الذي كانوا عليه وطريقتهم في الحياة وعقيدتهم .

[قال المقرئ في النسخ رواية عن « أحد الأعلام » : « ولما توفرت دواعي النقد عليه من الفقهاء ، كثر عليه التأويل ، ووجهت لألفاظه المعارض وفُليئت موضوعاته وتعاورته الوحشة وجرت بينه وبين الكثير من أعلام المشرق والمغرب خطوط يطول ذكرها »] (**)

ثم خرج إلى الحج وجاور في مكة ، وتلمذ له صاحبها ، ويقال إنه كان قد داواه من مرض كان به فبرى فصار له عنده مكانة . [قال الشيخ صفي الدين الهندي : حججت سنة ست وستين [وستائة] وبجئت مع ابن سبعين في الفلسفة فقال لي : لا ينبغي لك المقام بمكة ، فقلت له : فكيف تقيم أنت بها ؟ قال :

(*) المقرئ : نصح ، ١ ، ص ٥٩٥ .

(**) المقرئ : نصح ، ١ ، ص ٥٩١ .

انحصرت القسمة في قعودى بها ، فإن الملك الظاهر يطلبنى بسبب اتئانى إلى أشرف مكة ، واليمن صاحبها له في عقيدة ولكن وزيره حشوى يكرهنى [*] . وابن سبعين هو الذى أنشأ الوثيقة التى بايع بها أشرف مكة المستنصر بالله محمد ابن أبى زكريا بن عبد الواحد بن أبى حفص صاحب إفريقية ، وقد خطبوا له بعد ذلك بعرفة . وقد توفى ابن سبعين في مكة . قال ابن شاكر الكتبي في فوات أوفيات : « وسمعت عن ابن سبعين أنه فصد يديه وترك الدم يخرج حتى تصفى ، ومات بمكة في ٢٨ شوال سنة ٦٦٨ وله من العمر خمس وخمسون سنة » [*].

ونذكر من بين كتبه « بَدْ المعارف وعقيدة المحقق المترب الكاشف وطريق السالك المتبتل العاكف » ، وكتاب « الدَّرَج » ، و « الدرة المُنِيَّة والخافية الشمسية » وهى في علم الجفر^(١٢٧) ، و « رسائل » متنوعة إحداهما وصاة لتلاميذه يوجه إليهم فيها نصائح صوفية ، لعن فيها نفراً من معاصريه من الصوفيين ممن كان يفكر البعث والجنة والنار ، وقال إنه قاطعهم ونأى عنهم (وربما كان ذلك إشارة إلى تلاميذ ابن عربى) . ويستعمل ابن سبعين في كتبه الألفاظ والرمز بالحروف ، وله اصطلاحات خاصة ذات معانٍ رمزية بعيدة عن المؤلف .

وقد طار صيت ابن سبعين في حياته كل مطار ، وبلغت أخبار علمه الواسع مسامع كونت روما والبابا ، كما يفهم من كلام ابن الخطيب . وعندما عرّضت للإمبراطور فردريك الثانى الأثرمانى ملك صقلية بضع مسائل فاسفية ، بعث يستفتى فيها علماء العصر في مصر أو الشام أو العراق أو آسيا الصغرى أو اليمن فلم يجد عند أحد منهم ما يتقع غليلا ، فأرسل بها إلى إفريقية وعهد إلى ابن سبعين في الإجابة عليها . [قال ابن الخطيب في الإحاطة : « ولما وردت على سبئة المسائل العقلية — وكانت جملة من المسائل الحكيمية ، وجهها علماء الروم تبكيقاً للمسلمين —

(*) ابن شاكر : فوات (طبعة محي الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٥١) ج ٢١ ، ص ٥١٧ .

(**) نفس المصدر والصفحة .

انتُدب للجواب المنفع عنها على فتاء من سنه وبديهة من فكرته « (*) » ،
فكتب في ذلك رسالة لازالت بين أيدينا تُعرف « بالأجوبة على المسائل
الصقلية » . وهذه « المسائل » أربعة أسئلة نصها كما يلي ، نقلًا عن إجابات
ابن سبعين :

أولاً — الحكيم [أرسطو] يُفصِّح في جميع أقاويله بِقِدَمِ العالم ، ولا شك
أنه رأيه ، إلا أنه إن كان قد برهن عليه فسا برهانه ، وإن كان لم يبرهن فن
أى قبيل هو كلامه فيه ؟

ثانياً — ما هو المقصود من العلم الإلهي ؟ وما مقدماته الضرورية ، إن كان
له مقدمات ؟

ثالثاً — المقولات ، أى شيء هي ؟ وكيف يُتصرَّف بها في أجناس العلوم حتى
يتم عددها ؟ وكم عددها ، وهل يمكن أن تكون أقل ، وهل يمكن أن تكون
أكثر ، وما البرهان على ذلك ؟

رابعاً — ما الدلائل على بقاء النفس ؟ وهل تبقى ؟ وأين خالف الحكيم
[أرسطو] الإسكندر [الأفروديسي] ؟

وقد أجاب ابن سبعين على تلك الأسئلة في رسالة لازالت بين أيدينا ،
وإجاباته مصوغة في أسلوب يتحدث عن رغبة في التظاهر بالملم ، وهي تقوم في
جملتها على مذاهب أرسطو وأفلاطون ، وما فيها مستقى من كتابات أرسطو ، كما
كان المسلمون يفهمونها . وأخذ عنه كذلك قوله في الكون والأفلاك السماوية ،
وقوله بوجود علوم أوليَّة لا بد من الإحاطة بها حتى يُستطاع إدراك الكائن
الأوحد ، وتقسيمه المقولات إلى عشرة ، وقوله بأن النفوس ثلاث مراتب : نباتية
وبهيمية ، وعاقلة . ولكنه عند ما تعرض لمسألة نهاية الحياة قال إن ذلك سيكون

بفناء الذات الإنسانية في ذات الله ، وهو هنا يأخذ بآراء الزهدية الصوفية ، وهي ككل التصوف الإسلامي صادرة عن الأفلاطونية الحديثة^(١٢٨) .

ف ١١٧ - ابن عباد الرندي (أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن محمد بن

سالك بن بكر بن عباد النفري ، ٧٣٣ / ١٣٢٠ - ٧٩١ / ١٣٨٩)

كان الرندي حسيباً نسبياً ، [يصفه أبو زكريا السراج بتعبه : « الفقيه الخطيب البليغ الخاشع الخاشي ، الإمام العالم المتصف السالك العارف المحقق الرباني ، ذو العلوم الباهرة والحاسن الطاهرة ، سليل الخطباء ونتيجة العلماء »] ، صرف حياته كلها في الزهد . نشأ في رُنْدَة وطاف بعدد من عواصم المغرب يدرس على شيوخه ، و « لقي بِسَلَاَ الشَّيْخَ الصَّالِحَ السَّنِّيَ الزَّاهِدَ الْوَرَعَ أَحْمَدَ بْنَ عَمْرٍو بْنِ مُحَمَّدَ بْنَ عَاشِرٍ ، وَأَقَامَ مَعَهُ وَمَعَ أَصْحَابِهِ سَنِينَ عَدِيدَةً ، قَالَ : قَصَدْتَهُمْ لَوْجِدَانِ السَّلَامَةِ مَعَهُمْ » . وختم حياته إماماً وخطيباً لجامع القرويين بفاس . وقد أجمع الناس كافة على وصفه « بالولي العارف » . وكان ابن عباد صوفياً على طريقة الشاذلية ، وفي ذلك يقول آسين : « إن أهم كتبه « شرح كتاب الحكيم لابن عطاء الله السكندري » ، يمكن أن نصفه — دون مبالغة — بأنه منهج كامل لطريقة صوفية زهدية ، عظيم الفائدة للبادئين في الطريق ، والذين سلكوا ، وقاربوا منزلة الكمال ، والذين وصلوا إلى ذروة غاية النظر الصوفي . وابن عباد يتكلم في ثنايا هذا الشرح عن رياضاته ومجاهداته الشخصية . وقد بين الأستاذ آسين أوجه الشبه بين مصطلح الطريقة الشاذلية والمصطلح الذي استعمله الصوفي المسيحي المعروف « القديس يوحنا الصليبي » (Saint Jean de la Croix أو San Juan de la Cruz بالإسبانية) وأتباعه المسمون « أهل النور » (les iluminés أو los alumbrados) ، ومن ذلك استعمال كلا الفريقين للفظي « البسط » و « القبض » بمعنى النور والظلام ، وكذلك زهد الفريقين في الكرامات^(١٢٩) .

الفصل الثامن

علم الحديث

- ف ١١٨ — الحديث والسنة .
- ف ١١٩ — كبار المحدثين الأندلسيين .
- ف ١٢٠ — ابن عبد البر .
- ف ١٢١ — معاجم رجال الحديث .

ف ١١٨ - الحديث والسنة :

امتدت حدود مملكة الإسلام مع الزمن ، ودخلت في رحابه بلاد واسعة افتتحها المسلمون ، وعرضت للمسلمين - نتيجة لذلك - مشاكل جديدة نشأت عن تعقد أوضاع الحياة في المجتمع الإسلامي يوماً بعد يوم ، ولم يجدوا عنها في القرآن نصاً صريحاً ، فكان لزاماً عليهم أن يكملوا هذه الناحية بالبحث فيما صدر عن الرسول من قول أو فعل [أو تقرير] يمكنهم الأخذ به . وبعد عصر الرسول ضُم إلى الحديث ما ورد عن الصحابة ، [فالصحابه كانوا يعاشرون النبي صلى الله عليه وسلم ويسمعون قوله ويشاهدون عمله ويحدثون بما رأوا وما سمعوا ، وجاء التابعون بعدُ فعاشروا الصحابة وسمعوا منهم ورأوا ما فعلوا] (*) ، فكان من ذلك كله « الحديث » . وهي لفظة معناها « إبلاغ » أو « رواية » ؛ وقد أُطلق على مجموع الأحاديث لفظ « السنة » ، ومعناه الطريق الذي يتبعه المؤمنون مقتفين آثار الرسول ومحاكته وتابعيه .

و « الحديث » الذي ظل المسلمون يروونه أجيالاً كثيرة ، رجلاً عن رجل ، يتكون من قسمين : « الإسناد » وهو سلسلة الرواة أو الأساس الذي يؤيد صحة صدور الحديث عن الرسول وتناقله في سلسلة متصلة من العُدول ، و « المتن » وهو النص المروي . و « الإسناد » شيء جديد ظهر فيما بعد ، وطبيعي أن أعسر جانب في الحديث هو التأكد من سلسلة رواته ومقدار الثقة فيهم وما يتصل بذلك من ظروفهم ، وذلك حتى يمكن التحقق من صحة ما ينسب إليهم . ويُسمى الحديث الذي اكتملت له أسباب الصحة كلها « صحيحاً » ، أما الذي لا يُجمع الناس على الثقة ببعض رجال إسناده فيسمى « حسناً » ، أما الذي يشك في

(*) ما بين القوسين زيادة لتوضيح من « فجر الإسلام » لأحمد أمين (القاهرة ١٩٤٥)

إسناده أو يُنسب إلى أشخاص ذوي مذاهب منحرفة فيسمى « ضعيفاً ». وقد كتبت الأحاديث وجمعت في مجاميع منذ القرن الثالث الهجري ، ورضي أمر السنة عن ستة منها ، وهي صحيح البخاري (توفى سنة ٢٥٩/٩٧٠) وصحيح مسلم (توفى سنة ٢٦١/٨٧٥) ومسانيد أبي داود (توفى سنة ٢٧٤/٨٨٨) والترمذي (توفى سنة ٢٧٨/٨٩٢) وابن ماجه (توفى سنة ٢٧٢/٨٨٦) والنسائي (توفى سنة ٣٠٢/٩١٥) .

ف ١١٩ — كبار المؤرخين الأندلسيين :

وقد أجهت همة الناس في الأندلس منذ زمن مبكر إلى دراسة الحديث ، ويطول بنا الأمر لو ذكرنا كل محدثي الأندلس ، ولهذا نجتزئ بذكر بعضهم : وأول من نلم بذكره منهم محمد بن وضاح بن بزيع المتوفى سنة ٢٨٧/٩٠٠ ، وهو شيخ قاسم بن أصبغ ، وكان مولى للأمير عبد الرحمن بن معاوية ، وعدة الرجال الذين سمع منهم في الأمصار ١٧٥ رجلاً [ما بين بغداديين ومكيين وشاميين ومصريين وقرويين] . وكان شديد التدقيق فيما يقبل من الأحاديث ، [قال ابن القرضي : « وكان ابن وضاح يقول : ليس هذا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم في شيء هو ثابت من كلامه »] .

ومنهم قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف بن ناصح بن عطاء (٢٤٤/٨٦١ — ٣٤٠/٩٥١) ، وهو من أهل قرطبة ويعرف بالبياني ، ومن شيوخه الأندلسيين أبو عبد الله النخعي وبقية بن مخلد (ف ١٢٣) ومحمد بن وضاح ، أما في المشرق فقد أخذ عن أحمد بن يحيى بن يزيد المعروف بشطب ومحمد بن يزيد المبرّد وابن قتيبة ؛ [« وطال عمره فسمع منه الشيوخ والكهول والأحداث ، وعلق الصغار الكبار في الأخذ عنه ، وكانت الرحلة في الأندلس إليه وفي المشرق إلى سعيد بن الأعرابي ، وكانا متكافئين في السن . وكان قاسم بن أصبغ بصيراً بالحديث

والرجال ، نبيلاً في النحو والغريب والشعر ، وكان يشار في الأحكام » [(*)] .
وقد ضاعت الكتب التي ألفها [وحفظ لنا المؤرخون أسماءها ، مثل « كتاب
الأنساب » ، و « كتاب في فضائل بنى أمية » ، و « كتاب في فضائل قريش » ،
و « كتاب في السنن وفي أحكام القرآن » ، و « كتاب النامخ والمنسوخ » ،
و « كتاب في حديث مالك بن أنس مما ليس في الموطأ »] (١) .
ومنهم معاصره محمد بن عبد الملك بن أيمن من أهل قرطبة صاحب « كتاب
السنن » (١) .

ومن كبار محدثي الأندلس كذلك ابن القوطية المتوفى سنة ٩٧٧/٣٦٦
(ف ٦٥) ، وكان له مذهب في تفسير الحديث يختلف عما أجمع عليه الفقهاء ،
فاتهموه بأنه يفسرها على هواه ، مهتماً بالمعنى والفكرة دون اللفظ (٢) .

ومنهم ابن الحجّام (يعيش بن سعيد بن محمد بن عبد الله الوراق المعروف بابن
الحجّام ، يكنى أبا قاسم وأبا عثمان ، توفي سنة ٣٩٣/١٠٠٣) وكان يشتمل بالبيع
والشراء في قرطبة ، وهو تلميذ قاسم بن أصبغ وابن الأحرر ، وقد ألف مسند
حديث ابن الأحرر بأمر الحكم المستنصر (٣) . ومنهم ابن فطيس (أبو المطرف
عبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن فطيس ، توفي سنة ٤٠١/١٠١١) . قال في حقه
ابن بشكوال في الصلة : « وكان من جهاذة المحدثين وكبار العلماء المسندين ، حافظاً
للحديث وعالماً ، منسوباً إلى فهمه وإتقانه ، عارفاً بأسماء رجاله ونقلته ، يبصر
المعدلين منهم والمجرحين ... وله مشاركة في سائر العلوم وتقدم في معرفة الآثار
والسير والأخبار ، وعناية كاملة بتقعيد السنن والأحاديث والحكايات المسندة ،
جامعاً لها مجتهداً في سماعها وروايتها ، وكان حسن الخط جيد الضبط ، جمع من
الكتب في أنواع العلوم ما لم يجمعه أحد من أهل عصره بالأندلس . . » (٤) . وقد
صنف كثيراً من الكتب ضاعت كلها .

(*) ابن الفرضي : علماء ، رقم ١٠٦٨ .

(*) انظر : بونس بوجيس ، ص ٦٠ .

(†) ابن بشكوال : الصلة ، ٦٧٩ .

ومنهم ابن القرضى وقد ذكرناه (ف ٨٤) ، وأبو عبد الله بن عبد الرحمن ابن عثمان بن سعيد بن غلبون الخولاني المتوفى سنة ١٠٥٦/٤٤٨ ، وله كتاب « الاستذكار فى الروايات وتسمية الشيوخ الرواة لها والإجازات » ، [« وكانت له عناية كبيرة بتقييد الحديث وجمعه وروايته ونقله ، وكان ثقة فيما رواه ثبتا فيه ، مكثراً محافظاً على الرواية ، وكان فاضلاً ديناً متصوناً متواضعاً »] (*).

ومنهم رزين بن معاوية بن عمار العبدرى الأندلسى ، المتوفى سنة ١١٢٩/٥٢٤ من أهل سرقسطة يكنى أبا الحسن ، « جاور بمكة شرفها الله أعواماً وحدث بها عن أبى مكتوم عيسى بن أبى ذر الهروى وغيره ، وكان رجلاً فاضلاً عالماً بالحديث ، وله فيه تواليف حسان ، منها « تجريد الصحاح الستة » ، و « أخبار مكة والمدينة وفضلها » ، و « كتاب فى جمع ما يتضمنه كتاب مسلم والبخارى والموطأ والسنن والنسائى والترمذى » ، وهو كتاب جليل مشهور فى أيدي الناس بالشرق والمغرب » (**).

ومنهم عبد الحق الإشبلى صاحب كتاب « الأحكام » ، [« مشهور بتداول القراءة ، وهى أحكام كبرى وأحكام صغرى ، قيل ووسطى »] (†).

ف ١٢٠ — ابن عبد البر :

كان أبو عمر بن عبد البر (يوسف بن عبد البر بن عاصم النمرى القرطبى ، ٩٧٨/٣٦٨ — ١٠٧٠/٤٦٣) « إمام عصره وواحد دهره » ، كما يقول ابن بشكوال . وهو من أهل قرطبة ، « جلا عن وطنه ومنشئه قرطبة ، فكان فى الغرب مدة ثم تحول إلى شرق الأندلس وسكن منه دانيةً وبلنسية وشاطبة ، وبها

(*) ابن القرضى : علماء ، رقم ١٧٤٧ .

(**) ابن حزم (برواية القبرى) : النفع ، ٢ - ، ص ١٢٢ .

(†) نفس المصدر والصفحة .

توفي « (*) ». وكان مع تقدمه في علم الأثر وبصره بالفقه ومعاني الحديث له بسطة كبيرة في علم النسب والخبر : وقد أخذ عن أكبر من كان في قرطبة أو وفد عليها من العلماء . وكان في أول أمره ظاهراً من مدرسة ابن حزم ، ثم تمذهب بالمالكية وإن كان ظاهر الميل إلى الشافعية ، وقد ولاء المظفر بن الأفسس قضاء الأشبونة وشنترين . وله مؤلفات جليلة مثل « الاستيعاب في أسماء الأصحاب » ، ولا زال مخطوطاً ، وهو معجم لأسماء الصحابة والتابعين ، وله كتاب « التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد » ، رتبته على أسماء شيوخ مالك على حروف المعجم ، وهو كتاب لم يتقدمه أحد إلى مثله وهو سبعون جزءاً . قال أبو محمد بن حزم : « لا أعلم في الكلام على فقه الحديث مثله ، فكيف أحسن منه » ، (وقد عمل محمد بن عبد الله القرطبي المتوفى سنة ١٢٣٢/٦٢٩ موجزاً له) . « ثم صنع » كتاب الاستذكار لمذاهب علماء الأمصار ، لما تضمنه موطأ مالك من معاني الرأي والآثار « شرح فيه الموطأ على وجهه ونسق أبوابه » ، وكتاب « الانتقاء في أخبار الثلاثة الفقهاء » : مالك وأبي حنيفة والشافعي ؛ وله كتب أخرى كثيرة في الشريعة والأنساب^(٤) .

وقد وضع ابن فتحون الأوربولى (أبو بكر محمد بن خلف بن سليمان المتوفى سنة ١١٢٥/٥١٩ أو ١١٢٦/٥٢٠) « ذبلاً » أو « استلحاقاً » على « كتاب الاستيعاب » في سفرين ، وهو كتاب حسن خفيل . و [له] كتاب آخر أيضاً في أوام كتاب الصحابة المذكور ، وأصلح أيضاً أوام « المعجم » لابن قانع في جزء^(*) .

أما القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي (١٠٨٥/٤٧٦ — ١١٤٩/٥٤٤) ، فقد [استقر أجداده

(*) ابن بشكوال : صلة ، ٦١٨ .

(*) ابن بشكوال : صلة ، ١١٥٥ .

فى القديم بحمّة بسطة ، ثم انتقلوا منها الى مدينة فاس ثم الى سبتة ومنها ولدهو ، وسمع من مشيختها ، وتفقه ببعضهم ، ورحل الى الأندلس وأخذ بقرطبة عن أبى الحسين بن سراج ، وأبى عبد الله بن حمدين ، وأبى القاسم بن الذمّاس ، وابن رشد ، وابن عتّاب ، وابن بحر ... » (*) . وقد ألف كتباً كثيرة منها « كتاب الإلماع فى أصول علم الحديث ومبادئه » ، وله كذلك « ترتيب المدارك لمعرفة أصحاب مالك » ، وهو أوسع مؤلف فى طبقات المالكية (ف ٨٨) (٥) .

وقد ألف الرشاطى (أبو محمد عبد الله بن على بن عبد الله اللّخنى ، ١٠٧٥/٤٦٧ — ١١٤٧/٥٤١) كتاب « الإعلام بما فى كتاب المؤلف والمختلف للدارقطنى من الأوهام » . والرشاطى من أهل المرية أو أوريوالة ، وقد أدرك شهرة عظيمة بكتابه « اقتباس الأنوار والتماس الأزهار فى أنساب المسحابة ورواة الآثار » ، « أخذ الناس عنه وأحسن فيه وجمع وما أقصر ، وهو على أسلوب كتاب أبى سعيد السمعانى الحافظ الذى سماه بالأنساب » (**).

ومن اشتهر بالتحقق بعلوم الحديث ابن قرقول (أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم ، ١١١١/٥٠٤ — ١١٧٣/٥٦٨) ، وهو من المرية أيضاً ، وأبوزيد عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (١١١٤/٥٠٧ — ١١٨٥/٥٨٠) ، ويكنى أيضاً أبا القاسم وأبا الحسن) ، « وكان عالماً بالقراءات واللغات والعربية وضروب الآداب ، حافظاً لسير والأخبار والأنساب ، إماماً فى الحفظ والذكر والإدراك ، مقدماً فى الفهم والفظنة والذكاء ، له حظ وافر من قرض الشعر والتصرف فى فنون من العلم ، يغلب عليه علم العربية والغريب ، وأشهر كتبه « الروض الأُنْف فى شرح السيرة لابن إسحاق » ، وهو أجل نواليفه ، دل به على سعة حفظه ومهارة علمه . . استخرجه مما نيف على مائة وعشرين ديواناً أو نحوها ،

(*) ابن الأبار : المعجم ، ٢٧٩ .

(**) ابن خلكان : وفيات (طبعة محي الدين) ج ٢ ، ص ٢٩١ — ٢٩٢ .

وكتاب « التحريف والإعلام بما أبهم في القرآن العزيز من الأسماء والأعلام » ،
وكتاب « شرح آية الوصية » ، وله « شرح في الجُمَل » أظنه لم يتمه (*) .

ومنهم أبو العباس (ويقال أبو جعفر) أحمد بن معد بن عيسى بن وكيل
التَّبَّيبي الزاهد و يسرف بابن الإقليمى (المتوفى ١١٥٥/٥٤٩) من أهل دانية ،
صاحب « كتاب النجم من كلام سيد العرب والعجم » ، عارض به « شهاب »
التَّمَّاعى ، « وكان عالماً عاملاً متصوفاً شاعراً مجوداً ، مع التقدم في الصلاح
والزهد والمزوف عن الدنيا وأهلها والإقبال على العلم والعبادة » (*) ، وقد جمع
منتهجيات من أحاديث صحيحى مسلم والبخارى .

ومنهم ابن القرطبي الماتى (أبو محمد عبد الله بن الحسن بن يحيى الأنصارى ،
٥٥٦ أو ٥٥٨/١١٦٠ أو ١١٦٢ — ١٢١٤/٦١١) صاحب « التلخيص على
أسانيد الموطأ من رواية يحيى بن يحيى » ، ولم يكن أحد يدانيه في حفظ التواريخ .

ومنهم عبد الله بن سليمان بن داود بن عبد الرحمن بن حوط الله البلنسى
(١١٥٥/٥٤٩ — ١٢١٥/٦١٢) ، « وكان إماماً في صناعة الحديث مقيداً ضابطاً
بصيراً بها معروفاً بالإنقان لها ، حسن الخط حافظاً لأسماء الرجال واقفاً على المعدلين
والمجرحين ، يجمع إلى الاحتمال بالرواية حسن الاستقلال فى الروية ، وألف
كتاباً فى تسمية شيوخ البخارى ومسلم وأبى داود والنسائى والترمذى ، نزع فيه
منزعه أبى نصر السكّلابادى ، لم يكمله . وامتحن بالتجول ، فذهبت أصوله
وضاعت كتيبه فى بعض أَسْفَافِهِ ، ولو فرغ للتأليف والتصنيف لعظم الانتفاع
بمعلوماته بده . ولم يكن فى زمانه أكثر مسوعاً منه ومن أخيه أبى سليمان ،
رحمهما الله ، وفهرسته الحافلة شاهدة بذلك . وكان له على أخيه الشغوف الواضح

(*) ابن الأبار : التكملة ، ١٦١٣ .

(**) المقرئ : نفع ، ج ١ ، ٨٧٢ .

في علوم العربية والتفنن في غير ذلك ، والتميز بإنشاء الخطب ، وتجميع الرسائل والمشاركة في قرص الشعر» (*).

ومنهم أبو الربيع سالم بن سليمان بن موسى الجيرى الكلاعى البانسى (١١٦٩/٥٦٤ — ١٢٣٦/٦٣٣) من أهل بلنسية ، سمع من أبي القاسم بن حميش وأبي بكر بن الجندّ وابن زرقون وأبي الوليد بن رُشد وأبي محمد عبد الحق الإشبلى وغيرهم .

ومنهم ابن القطان أبو الحسن على بن محمد بن يحيى الكهايمى الكتاتانى المافرى (المتوفى سنة ٦٢٧/١٢٣٠) من أهل فاس ، وأصله من قرطبة . « وكان من أبصر الناس بصناعة الحديث ، وأحفظهم لأسماء رجاله ، وأشدّهم عناية بالرواية ورأس طلبة العلم بمراكش » (**).

ومنهم ابن خلفون الأزدي الأوزبى المتوفى سنة ٦٣٥/١٢٣٨ ؛ وابن سيد الناس (أبو الفتح محمد بن أبي بكر الملقب بفتح الدين وأصل أهله من إشبيلية ، وولد هو في القاهرة سنة ٦٦١ أو ٦٧١/١٢٧٢ أو ١٢٨٢) ، صاحب كتاب « عيون الأثر في فنون المغازي والشبائل والسير » ، وألف كذلك « كتاب منح المدح » جمع فيه المدائح التي مدح بها الأمهات والتابعون الرسول ؛ وعمر بن نور الدين (أبو الحسن الأندلسى على بن أحمد بن محمد بن سراج الدين الأنصارى الأندلسى ، ٧٢٣/١٣٢٣ — ٨٠٣/١٤٠١) الذي جلس للإقراء والتدريس في دمشق والقاهرة ، ومن مؤلفاته « أسماء رجال الكتب الستة » ، و« طبقات الأولياء » .

(*) ابن الأبار : التكملة ، رقم ١٤٣٥ .

(**) ابن الأبار : التكملة ، رقم ١٩٢٠ .

ف ١٢١ - معاجم رجال الحديث :

وأكثر الأندلسيون من وضع معجمات أعلام المحدثين ، ومن أشهر من عني بذلك مُتَارك بن مروان بن عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير ، صاحب كتاب « الأئمة من المصنفين » ، وهو من أهل القرن الثالث الهجري ؛ ووهب ابن مسرة من أهل وادي الحجارة ؛ وأحمد بن حزم المُنتَجِبِي المتوفى سنة ٣٥٠/٩٦١ الذي ألف معجماً بأعلام الحديث نهج فيه نهج تاريخ محمد بن موسى العُقَيْبِي البغدادي ؛ والقاضي محمد بن يحيى بن مفرّج ، ومؤلفاته كثيرة : منها أسفار سبعة جمع فيها فقه الحسن البصري ، وكتب كثيرة جمع فيها فقه الزهري ؛ وابن المَكْوِي ، (أبو عمر أحمد بن عبد الملك بن هاشم الإشبيلي القرشي) ؛ وأبوسروان المُعَيْطِي الذي ألف كتاباً على نحو « كتاب الباهر » الذي جمع فيه القاضي أبو بكر محمد بن أحمد ابن الحداد البصري أقاويل الشافعي كلها .

ومن ألف في هذا الباب القاضي محمد بن يحيى بن عمر بن لُبَابَة ، صاحب « الكتاب المنتخب » ، قال ابن حزم : « وما رأيت للملكي قط كتاباً أنبل منه في جمع روايات المذهب وشرح مستغلقها وتفرع وجوهها ، و [منها] تواليق قاسم ابن محمد المعروف بصاحب الوثائق ، وكلها حسن في معناه . وكان شافعي المذهب نظّاراً جارياً في ميدان البغداديين » (*) .

ومنهم ابن الدباغ القرطبي ، أبو القاسم خلف بن قاسم المتوفى سنة ٣٩٣/١٠٠٢ ؛ وأبو علي بن سهل بن محمد بن يونس بن الأسود ، الذي يقول في حقه ابن الفرضي : « كان حافظاً للحديث عالماً بطرقه منسوباً إلى فهمه ، وسمع الناس منه قديماً . وألف كتباً حسناً في الزهد ، وخرّج من حديث الأئمة حديث مالك بن أنس وشعبة بن الحجاج رحمهما الله » (**).

(*) ابن حزم (برواية المقرئ) : النفع ، ج ٢ ، ص ١١٧ .

(**) ابن الفرضي : علماء ، رقم ٤١٥ .

ومنهم أبو علي حسين بن محمد بن أحمد النسائي (٤٢٧/١٠٣٥ - ٤٩٨ / ١١٠٤) ، « ويعرف بالجيانى وليس منها ، إنما نزلها أبوه فى الفئنة ، وأصلهم من الزهراء ... وكان من جهاذة المحدثين وكبار العلماء المسنين ، وعنى بالحديث وكتبه وروايته وضبطه ، وكان حسن الخط جيد الضبط ، وكان له بصر بالغة والإعراب ومعرفة بالحديث والشعر والأنساب ، وجمع من ذلك كله ما لم يجمعه أحد فى وقته ، ورحل الناس إليه وعولوا فى الرواية عليه ، وجلس كذلك فى المسجد الجامع بقرطبة وسمع منه أعلام قرطبة وكبارها وفقهاؤها وجلتها .. وكتبه حجة بالغة وجمع كتاباً فى رجال الصحيحين سماه « تقييد المهمل وتمييز المشكل » ، وهو كتاب حسن مفيد « (*) .

ومنهم ابن الدباغ الأندلى ، أبو الوليد يوسف بن عبد العزيز بن يوسف بن عمر بن فيرة « خاتمة المحدثين بالأندلس » ، « روى عن أبى على الصدق كثيراً ولازمه طويلاً ، وأخذ عن جماعة شيوخنا وصحبنا عند بعضهم ، وكان من أنبل أصحابنا وأعرفهم بطريقة الحديث وأسماء الرجال وأزمانهم وثقاتهم وضعفائهم وأعمارهم وآثارهم « (*) ، وقد ذكر له ابن الأبار فى التكملة والمعجم كتابين هما « طبقات المحدثين » و « طبقات أئمة الفقهاء » وأثنى عليهما ، وذكر له ابن خبير فى « الفهرست » كتاباً يسمى « الغوامض والمبهات » .

ومنهم كذلك ابن رُشيد السبتي — الذى ذكرناه بين أصحاب الرحلات — وكان من كبار علماء الحديث ، وفى مكتبة الإسكريال مصنفان من تأليفه فى هذا الباب : الأول « كتاب السماع وإفادة التصحيح » ، والثانى « السنن الأبين والمورد الأيمن » (٦) .

(*) ابن بشكوال : الصلاة ، رقم ٣٢٦ .

(٦) ابن بشكوال : الصلاة ، رقم ١٣٩٥ .

الفصل التاسع

القراءات وتفسير القرآن

- ١١ — القراءات : أبو عمرو الداني وابن فريته الطاطي .
١٢ — التفسير : يقي بن مخلد .

١٢٢ — القراءات : أبو عمرو الداني ، وابن فيره الساطبي :

عنى المسلمون بدراسة القواعد المحككة لقراءة القرآن ، وما ينبغي لها من مدّةٍ وعَنَ وَوَقَفَ وما إلى ذلك . واهتموا بتأليف الكتب في تلك الفروع ، لأن مراعاة الأصول المقررة في قراءة الكتاب تؤدي إلى تقويم النطق بالآي الكريمة على صورة ثابتة ، وتوحيد التلاوة . وفي خلال القرون الهجرية الأولى بلغ عدد الأساليب الرئيسية لتلاوة القرآن سبعة ، هي المعروفة بالقراءات السبع ؛ [قال ابن خلدون : « القرآن هو كلام الله المنزل على نبيه ، المكتوب بين دفتي المصحف ، وهو متواتر بين الأمة . إلا أن الصحابة رووه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على طرق مختلفة في بعض ألفاظه وكيفية الحروف في أدائها ، وتنوّل ذلك واشتهر إلى أن استقرت منها سبع طرق معينة ، تواتر نقلها أيضاً بأدائها واختصت بالانتساب إلى من اشتهر بروايتها من الجم الفخير ، فصارت هذه القراءات السبع أصولاً للقراءة . وربما زيد بعد ذلك قراءات أخر لحقت بالسبع ، إلا أنها عند أئمة القراءة لا تقوى قوتها في النقل . . . »] (*) . وكان إتقانها يتطلب درساً طويلاً . وكان لا بد لقراءة القرآن في المساجد من التمكن من ذلك الفن . وقد كان أهل الأندلس يتبعون القراءات الشرقية ، « إلى أن ملك بشرق الأندلس مجاهد من موالى العاصريين ، وكان معتنياً بهذا الفن من بين فنون القرآن ، لما أخذه به مولاه المنصور بن أبي عامر واجتهد في تعاليمه وعرضه على من كان من أئمة القراء بمحضرته ، فكان سهمه في هذا وافراً . واختص مجاهد بعد ذلك بإمارة دانية والجزائر الشرقية فنفتت بها سوق القراءة

(*) ابن خلدون : المقدمة ، الطبعة الأزهرية ١٣١١ ، ص ٢٥٩ . والمؤلف يتابع في هذا الباب مقدمة ابن خلدون ، فرأيت أن آتي بنس كلامه .

— لما كان هو من أئمتها ، وبما كان له من العناية بسائر العلوم عموماً ، وبالقرارات خصوصاً — فظهر له هذه أبو عمرو [عثمان بن سعيد بن عثمان] الداني [٣٧٠ / ٩٨١ — ١٠٥٣ / ٤٤٤] وبلغ الغاية فيها ، ووقفت عليه معرفتها وانتهت إلى روايته أساسينها ، وتمددت تأليفه فيها ، وعول الناس عليها وعدلوا عن غيرها ، واعتمدوا من بينها كتاب « التيسير » له (*) (١)

أما أبو القاسم محمد بن فيرة الرعيثي الشاطبي (١١٤٤ / ٥٣٨ — ١١٩٤ / ٥٩٠) ، فقد نظم الفوائد الواردة في كتاب « التيسير » واحتصرها في تصديده المعروفة « بحر الأمانى ووجه التهاني » — والتي تسمى كذلك « الشاطبية » — فسهل على الناس استذكارها وحفظها ، [« وعدتها ألف ومائة وثلاثة وسبعون بيتاً . واقد أبدع فيها كل الإبداع ، وهي عمدة فراء هذا الزمان — زمان ابن خلكان — في نفاهم ، قلل من يشتغل بالقرارات إلا ويقدم حفظها ومعرفتها . وهي مشتملة على رموز مجيبة وإشارات خفية لطيفة ، وما أظنه سبق إلى أسلوبها . وقد روى عنه أنه كان يقول : « لا يقرأ أحد قصيدتي هذه إلا ويتنعم الله عز وجل بها ، لأنني نظمتها لله تعالى مخلصاً من ذلك » . ونظم قصيدة « البية في خمسمائة بيت . من حفظها أحاط علماً بكتاب « التمهيد » لابن عبد البر . وكان علماً بكتاب الله تعالى قراءة وتفسيراً ، وبحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ميرزاً فيه ... » (*) .

وإلى جانب هذه المدرسة نبغ في القراءات أبو محمد مكي بن أبي طالب القرطبي (المقرئ) ، واسمه كحوش بن محمد بن مختار القيسي (٩٦٥ / ٣٥٥ — ١٠٤٥ / ٤٣٧) . [وأصله من القيروان ، سكن قرطبة . « قال صاحبه أبو عمر أحمد بن مهدي المقرئ : كان — نفعه الله — من أهل التبصر في علوم القرآن والعربية . حسن الفهم والخلق ، جيد الدين والعقل ، كثير التأليف في علوم القرآن

(*) ابن خلدون : المقدمة ، طبعة بولاق ، ص ٣٦٥ .

(**) ابن خلكان : الوفيات ، طبعة محي الدين ، رقم ٥١٠ .

محسناً لذلك ، مجوداً للقراءات السبع عالماً بمعانيها » (*) ؛ وشريح بن محمد بن شريح الرعيني المقرئ (١٠٥٩/٤٥٠ - ١١٥٢/٥٤٦) من أهل إشبيلية ، وقد سمع في صباه من محمد بن حزم خطيب مسجد إشبيلية الجامع على أيامه . وكان شريح « من جلة المقرئين ، معدوداً في الأدباء والمحدثين ، خطيباً بليغاً حافظاً محسناً فاضلاً ، حسن الخط ، واسع الخلق . سمع الناس منه كثيراً ، ورحلوا إليه ، واستنقضى ببلده ، ثم صرف عن القضاء » (**)(٢) .

ف ١٢٣ - تفسير القرآن : بقى بن مخلد :

واهتم المسلمون كذلك بتفسير القرآن وفهم معانيه ، وشرح كله من الناحية اللفظية اللغوية ، وناحية المعاني والأفكار . ومعظم اعتمادهم في التفسير على الحديث النبوي الشريف قولاً وعملاً ، وهدفهم التوفيق بينه وبين آي الكتاب المنزل . ومن أكبر المفسرين الأندلسيين الذين اعتمد الناس عليهم بقى بن مخلد (٨١٧/٢٠١ - ٨٨٦/٢٧٢) ، وكان رجلاً صالحاً متقللاً من الدنيا ، متواضعاً . من أهل قرطبة ، رحل إلى المشرق في طلب العلم ، وسمع عدداً عظيماً من الشيوخ في مكة والمدينة ومصر ودمشق وبغداد وغيرها من مراكز العلم . ولم يقصر على السماع من المالكيين ، بل سمع من شافعيين ، وسمع من أحمد بن حنبل (وكان من كبار أصحابه) وآخرين . ولم يتبع مذهباً بعينه ، وإنما كان يصدر آراءه في المسائل بحسب ما يترأى له ، معتمداً على آي الكتاب . ولم يرض فقهاء الأندلس عن مذهبه هذا ، إذ كانوا يتمصبون لرأى مالك ، وأنكروا عليه هذا الاستقلال الذي كان يسير عليه ، وبدأوا يتكلمون في حقه ويستثيرون الأمير محمد بن عبدالرحمن عليه ، محتجين بأنه يقرأ على الناس مسند ابن أبي شيبة الذي لا يعرض وجهة نظر

(*) ابن بشكوان : الصلاة ، رقم ١٢٧٦ .

(**) ابن بشكوان : الصلاة ، رقم ٥٣١ .

المدنيين وحدها ، بل يعرض آراء غيرهم كذلك . وكان ألد خصومه ابن مرتدئيل شيخ المالكيين في عصره ، وأصبح بن حليل — وكان يفر من كل تجديد — ومحمد بن حارث . ومضوا يؤلبون عليه الناس ، وتكلموا في إصدار فتوى بإباحة دمه ، فعول بقى على الرحيل من الأندلس جملة ، « فاستحضره الأمير محمد وإيام ، وتصفح الكتاب (مسند ابن أبي شيبة) جزءاً جزءاً حتى أتى على آخره ، ثم قال لخازن كتبه : « هذا الكتاب لا تسنغني خزانتنا عنه ، فانظر في نسخه لنا » ؛ ثم قال لبقى : « انشر عليك وارو ما عندك » ، ونهاهم أن يتعرضوا له » (*)

وقد وضع بقى تفسيراً للقرآن بلغ من كاله أن ابن حزم قال فيه : « فن مصنفات أبي عبد الرحمن بقى بن مخلد كتابه في تفسير القرآن ، فهو الكتاب الذي أقطع قطعاً ، لا أستثنى فيه ، أنه لم يؤلف في الإسلام مثله ، ولا تفسير محمد بن جرير الطبري ولا غيره . ومنها في الحديث مصنفه الكبير الذي رتبته على أسماء الصحابة رضی الله عنهم : فروى فيه على ألف وثلاثمائة صاحب ، ثم رتب حديث كل صاحب على أسماء الفقه وأبواب الأحكام ؛ فهو مصنف ومسد . وما أعلم هذه الرتبة لأحد قبله ، مع ثقته وضبطه وإتقانه واحتماله فيه في الحديث وجودة شيوخه ، فإنه روى عن مائتي رجل وأربعمائة رجل ، ليس فيهم عشرة ضعفا ، وسائرهم أعلام مشاهير . ومنها مصنفه في « فتاوى الصحابة والتابعين ومن دونهم » ، الذي أربى فيه على مصنف أبي بكر بن أبي شيبة ومصنف عبد الرازق بن همام ومصنف سعيد بن منصور وغيرها ، وانتظم علما كثيراً لم يقع في شيء من هذا (يريد : هذه المصنفات) ، فصارت تواليف هذا الإمام الفاضل قواعد للإسلام لا نظير لها . وكان متخيراً لا يقلد أحداً ، وكان ذا خاصة من أحمد بن حنبل ، وجارياً في مضمار أبي عبد الله البخاري وأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري وأبي عبد الرحمن النسائي ، رحمة الله عليهم » (**).

(*) ابن حزم (برواية القرني) : نفع الطيب ، طبعة محي الدين ، ج ٣ ، ص ٢٧٣ .

(**) رواه ابن بسكوال في « الصلاة » رقم ٢٧٥ . ولعل الضمى (بنية ، رقم ٥٨٤) =

وكان بقي في حياته الخاصة مثلاً من مثل التواضع والفضل (حتى لتروى الكتب كرامات جرت على يديه) ، ولم يقبل في حياته ولاية أو منصباً^(٤) .

ومن مفسري الأندلس النابهي ابن محاسن ، عثمان بن محمد المتوفى سنة ٩٦٦/٣٥٦ ، [وكان حافظاً للتفسير عالماً بأخبار الدهور وله في ذلك كتاب]^(*) . ومكي بن أبي طالب الذي أشرنا إليه ، وابن عطية ، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام المحاربي ، أبو محمد (٤٨١ / ١٠٨٨ - ٥٤٢ / ١١٤٦ أو ٤٧) من أهل غرناطة ، وقد تولى قضاء المرية وغرناطة وأدرك شهرة عظيمة بتفسيره الذي اختصر فيه كل ما كتب قبله من التفسير ، وراج رواجاً عظيماً في المغرب والأندلس ؛ [وقد قال في حقه الضبي : « حافظ محدث مشهور ، أديب نحوي شاعر بليغ ، ألف في التفسير كتاباً ضخماً أربى فيه على كل متقدم ، أخبرني به عنه شيخني القاضي أبو القاسم عبد الرحمن ، قرأ عليه جميعه بالمرية إذ كان أبو محمد قاضياً بها »]^(٥) . ومنهم كذلك أبو العباس أحمد بن مسعود بن محمد القرطبي الخزرجي المتوفى سنة ٦٠١ / ١٢٠٤ ، وله شرح على تفسير ابن عطية انتشر انتشاراً عظيماً بين أهل المشرق ، كما يقول ريبيرا .

== ترجمة بقي من الصلة بمجروفها . وهذا الكلام وارد مع مخالقات يسيرة في رسالة ابن حزم في فضل الأندلس . (انظر نفح الطيب ، طبعة محي الدين ، ج ٤ ، س ١٦٢ ، وترجمة أبو في النفح ، ج ٣ ، س ٢٧٢ - ٢٧٠)
 (*) ابن الفرضي : علماء ، رقم ٨٩٩
 (٥) الضبي : بغية ، رقم ١١٠٢ .

(*) **عِلْمُ أَصُولِ الْفِقْهِ**

- ف ١٢٤ — المذاهب الفقهية .
- ف ١٢٥ — المذهب المالكي ، دخوله لإسبانيا .
- ف ١٢٦ — كبار فقهاء المالكية الأندلسيين : أبو الوليد الباجي وأبو الوليد بن رشد .
- ف ١٢٧ — فقهاء مالكيون آخرون : ابن عاصم .
- ف ١٢٨ — فقهاء الشافعية .
- ف ١٢٩ — فقهاء المذهب الظاهري .
- ف ١٣٠ — أصحاب الشروط وأوثاق والفرائض .

(*) Cf. P. José López Ortiz : Derecho musulmán. Labor 322, 1932.

ف ١٢٤ - المذاهب الفقهية :

كان القرآن أول مصدر مكتوب للتشريع الإسلامي ، وهو ما أوحى به الله إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) - في مسائل العقيدة والأخلاق والشريعة - ليبلغه إلى المسلمين كافة . وقد جُمع القرآن في عهد أبي بكر ، وكان الاعتماد في ذلك على قراءة زيد بن ثابت وعبد الله بن سعد بن أبي سرح الذي كان من كتّاب الوحي زمنًا ثم عُزل . وبعد ذلك بقليل اعتُبرت السنة مصدرًا ثانيًا من مصادر التشريع إلى جانب القرآن ، وعند ما امتدت حدود مملكة الإسلام من الأندلس إلى سمرقند - خلال القرن الهجري الأول - عرضت للمسلمين مسائل جديدة لم يجدوا لها في القرآن والسنة حلاً صريحاً ، فكان لابد من إعمال « الرأي » لاستخراج الأحكام عن طريق « القياس » ، أو الأخذ « بإجماع » آراء فقهاء المسلمين .

ثم كانت الثورة التي نقلت الدولة من الأمويين إلى العباسيين ، وكانت ثورة دينية سياسية جعلت للفقهاء أهمية كان الأمويون ينكرونها عليهم ، وأتبع بذلك السبيل إلى ظهور مذاهب فقهية مختلفة . وكان أول ما ظهر منها مذهب أبي حنيفة النعمان بن ثابت المتوفى سنة ١٤٩ / ٧٦٧ ، وهو مذهب حر فلسفي يعتمد على القرآن ويستخرج الأحكام منه عن طريق الاستنتاج العقلي القائم على المنطق الدقيق وهو « القياس » ، وعند ما كان فقهاء الحنفية يجدون أن القياس المنطقي الخالص يؤدي إلى نتائج لا تتفق مع العرف الجاري في بلد من البلاد كانوا يبحثون عن حل « يستحسنونه » لهذه الحالة . وقد رعى هارون الرشيد هذا المذهب . وإزاء المذهب الحنفي ظهر مذهب « الأوزاعي » المتوفى سنة ١٥٧ / ٧٧٤ ، وكان من أنصار مدرسة الحديث ، لا يرضى عما استحدثه الأحناف من أقيسة ذات طابع

فلسفي . وقد سار أهل الأندلس على مذهب الأوزاعي ، وظلوا عليه حتى تحولوا إلى مذهب مالك .

أما مذهب مالك بن أنس (توفي سنة ١٧٨ / ٧٩٥) فقد جمع بين سلفيَّة الأوزاعي (الأخذ بالحديث) وحرية المذهب الحنفي في الأخذ بالقياس . وهو — مع اعتماده على القرآن والسنة كمصدرين أساسيين لاستنباط الأحكام — قد أعطى « إجماع أهل المدينة » أهمية خاصة [في بعض المسائل] ، فوسَّع بذلك معنى « الإجماع » . ولم يلجأ إلى « الرأي » إلا في حالات الضرورة القصوى ، وربما ابتعد عن النصوص الشرعية إذا رأى أن التزامها ينتج عنه ضرر للمجموع ، ويسمى ذلك الاستثناء في عرف المالكية « بالاستصلاح » . وقد دون مالك مذهبه في « الموطأ » ، ورتب فيه الأحاديث التي تستخرج منها الأحكام أبواباً بحسب موضوعاتها الفقهية الشرعية ، ثم أورد بعد ذلك ما جرى عليه عمل أهل المدينة ، وأعقب ذلك برأيه الخاص في بعض مسائل قليلة . وقد ساد مذهب مالك في المغرب والأندلس .

وقد نشأ الخلاف بين هذه المذاهب ، لأن بعضها كان يلتزم المأثور لا يخرج عنه ، ويذهب بعضها الآخر إلى استخدام الرأي وإعمال الذهن كثيراً أو قليلاً ، ومن ثم ظهر مذهب وسط بين هذه الأطراف المتباعدة ، وضعه الإمام الشافعي المتوفى سنة ٢٠٤/٨٢٠ ، إذ نسق أصول الفقه التي أخذت بها المذاهب المختلفة « تنسيقاً حكماً ، وأوجد بينها توازناً لا يصل الإنسان إلى أحسن منه » : فأخذ بالقرآن والسنة ، وأخذ بالإجماع في المسائل التي جرى العمل بها في كافة بلاد الإسلام ، لأن اجتماع آراء المسلمين على صورة حقيقية عامة لا يكون إلا بتوفيق من الله . وذهب الشافعي كذلك إلى تعميم استعمال القياس وإعمال الرأي .

ثم ظهر داود الظاهري المتوفى سنة ٢٦٩/٨٨٣ ، فتمصب للمأثور من الكتاب والسنة وترك الإجماع الذي كان الفقهاء قبله قد جعلوه في مرتبة الكتاب والسنة .

وذهب إلى الاتصاف على المعنى الحرفي للكتاب والسنة - فحسب - كأصل للفقهاء ، وأعرض عن القياس تماماً ، وضيق حدود الإجماع ، فلم يأخذ إلا بما أجمع عليه الصحابة ، ونهى عن « التقليد » : وهو اتباع الرأي الشخصي لإمام المذهب ، ودعا إلى دراسة الكتاب دراسة تعمق وشمول ، وتفسيره تفسيراً حرفياً ، بحسب ما يرد من معاني الكلمات في معاجم اللغة وما تقتضيه قواعد النحو ، ولم يسلم بما ذهب إليه أهل القياس في تفسير آية من الآيات أو حديث من الأحاديث إلا إذا أيد ما يذهبون إليه آية أخرى أو حديث آخر . ويكاد مذهب ابن حنبل يشترك مع المذهب الظاهري في كل هذه الاتجاهات ، وقد وضعه أحمد بن حنبل المتوفى سنة ٢٤٠ / ٨٥٥ ، وكان أقرب إلى المشتغلين بالإلهيات والمحدثين منه إلى أهل الفقه .

وقد اتبع معظم أهل الأندلس مذهب مالك من بين هذه المذاهب كلها ؛ وقد قامت في رحاب المذهب المالكي ثلاث مدارس يختلف بعضها عن بعض اختلافاً يسيراً : مدرسة سحنون بن سعيد صاحب « المدونة » ومركزها القيروان ، ومدرسة قرطبة ، ومدرسة المالكيين العراقيين ؛ ولم يتبع أحد من أهل الأندلس هذه المدرسة الأخيرة .

[ومن المفيد هنا أن نأني بما يقوله ابن خلدون في مقدمته بصدد المالكية في الأندلس والمغرب ، إذ هو يلقى على هذه الناحية ضوءاً باهراً ، قال :

« ... وأما مالك - رحمه الله تعالى - فاختص بمذهبه أهل المغرب والأندلس ، وإن كان يوجد في غيرهم . إلا أنهم لم يقلدوا غيره إلا في القليل ، لما أن رحلتهم كانت غالباً إلى الحجاز - وهو منتهى سفرهم ، والمدينة يومئذ دار العلم ومنها خرج إلى العراق - ولم يكن العراقي في طريقهم ، فانصروا على الأخذ عن علماء المدينة ، وشيخهم يومئذ وإمامهم ، الك وشيوخه من قبله وتلاميذه من بعده ؛ فرجع إليه أهل المغرب والأندلس وقلده دون غيره ممن لم تصل إليهم طريقته . وأيضاً فالبدعوة كانت غالبية على أهل المغرب والأندلس ،

ولم يكونوا يعانون الحضارة التي لأهل العراق ، فكانوا إلى أهل الحجاز أميل
لمناسبة البداوة . ولهذا لم يزل المذهب المالكي غصاً عندهم ، ولم يأخذه تنقيح
الحضارة وتهذيبها ، كما وقع في غيره من المذاهب .

« ولما صار مذهب كل إمام علماً مخصوصاً عند أهل مذهبه ، ولم يكن لهم سبيل
إلى الاجتهاد والقياس ، فاحتاجوا إلى تنظير المسائل في الإلحاق ، وتفريقها عند
الاشتباه ، بعد الاستناد إلى الأصول المقررة من مذهب إمامهم ، وصار ذلك كله
يحتاج إلى ملكة راسخة ، يُقدِّرها على ذلك النوع من التنظير أو التفريق ،
واتباع مذهب إمامهم فيهما ما استطاعوا ؛ وهذه الملكة هي علم الفقه لهذا العهد .
« وأهل المغرب جميعاً مقلدون لمالك رحمه الله ، وقد كان تلاميذه افترقوا بمصر
والعراق ، فكان بالعراق منهم القاضي إسماعيل وطبقته ، مثل ابن خُوَيْرِزْمِنْدَاد
وابن اللبان والقاضي أبو بكر الأبهري والقاضي أبو الحسين بن القصار والقاضي
عبد الوهاب ومن بعدهم . وكان بمصر ابن القاسم وأشهب وابن عبد الحكم
والحرث بن مسكين وطبقتهم . ورحل من الأندلس عبد الملك بن حبيب ، فأخذ
عن ابن القاسم وطبقته ، وبث مذهب مالك في الأندلس ودون « كتاب الواضحة » ،
ثم دَوَّنَ العُتْبِي — من تلامذته — « كتاب العُتْبِيَّة » . ورحل من إفريقية أسد
ابن الفرات ، فكتب عن أصحاب أبي حنيفة أولاً ، ثم انتقل إلى مذهب مالك
وكتب على ابن القاسم في سائر أبواب الفقه ، وجاء إلى القيروان بكتابه وسمى
« الأُسْدِيَّة » نسبةً إلى أسد بن الفرات ، فقرأ بها سحنون على أسد ؛ ثم ارتحل
إلى المشرق واتى ابن القاسم وأخذ عنه وعارضه بمسائل الأُسْدِيَّة فرجع عن كثير
منها ، وكتب سحنون مسائلها ودونها وأثبت ما رجع عنه ، وكتب لأسد أن
يأخذ بكتابه سحنون فأنف من ذلك ، فترك الناس كتابه واتبعوا « مدونة
سحنون » — على ما كان فيها من اختلاط المسائل في الأبواب ، فكانت تسمى
المدونة والمختلطة — وعكف أهل القيروان على هذه المدونة ، وأهل الأندلس

على الواضحة والعتبية . ثم اختصر ابن أبي زيد المدونة والمختلطة في كتابه المسمى « بال مختصر » ، وخلصه أيضاً أبو سعيد البرادعي من فقهاء القيروان في كتابه المسمى « بالتهذيب » ، واعتمده المشيخة من أهل إفريقية وأخذوا به وتركوا ما سواه ؛ وكذلك اعتمد أهل الأندلس كتاب العتبية وهجروا الواضحة وما سواها .

« ولم يزل علماء المذهب يتعاهدون هذه الأمهات بالشرح والإيضاح والجمع ، فكتب أهل إفريقية على المدونة ما شاء الله أن يكتبوا ، مثل ابن يونس والعمري وابن محرز التونسي وابن بشير وأمثالهم ، وكتب أهل الأندلس على العتبية ما شاء الله أن يكتبوا ، مثل ابن رشد وأمثاله . وجمع ابن أبي زيد جميع ما في الأمهات من المسائل والخلاف والأقوال في كتاب « الفوائد » ، فاشتمل على جميع أقوال المذهب ، وفرع الأمهات كلها في هذا الكتاب ؛ ونقل ابن يونس معظمه في كتاب على المدونة ، وزخرت بحار المذهب المالكي في الأفتين إلى انقراض دولة قرطبة والقيروان ، ثم تمسك بهما أهل المغرب بعد ذلك ، إلى أن جاء كتاب أبي عمرو ابن الحاجب ، لخص فيه طرق أهل المذهب في كل باب ، وتعديد أقوالهم في كل مسألة ، فجاء كالبرنامج للمذهب » [(١)] .

ف ١٢٥ — مذهب مالك ، وهو الأندلس :

لا زالت مسألة من أدخل المالكية إلى الأندلس غامضة ، فيذهب المقرئ إلى أن الأندلسيين كانوا على مذهب الأوزاعي كأهل الشام ، ثم أقبل إلى الأندلس أثناء خلافة الحكم المستنصر (٧٩٦/١٧٩ — ٨٢١/٢٠٥) نفر من الفقهاء ، ساروا في أحكامهم على رأى مالك وأهل المدينة ، وأقرم الحكم على ما ذهبوا إليه ، بسبب ما حدثه به تلاميذ مالك من الأندلسيين عن فضله وعظيم أثره وشهرته . ويذكر المقرئ أيضاً أن تحول الأندلس إلى المالكية تم على يد نفر من الفقهاء أعظمهم عبد الملك بن حبيب ويحيى بن يحيى الليثي وأبو عبد الرحمن زياد بن

عبد الرحمن اللخمي الملقب بشبظون ، ويقال إن هذا الأخير كان أول من أدخل المالكية إلى الأندلس . أما ابن القوطية فيقول إن أول من أدخل الموطأ إلى الأندلس هو الغازي بن قيس الذي سمعه من مالك — وكان ذلك في أيام عبد الرحمن الداخل (١٣٧ / ٧٥٥ — ١٧١ / ٧٨٨) — [إذ يقول : « وفي أيام عبد الرحمن بن معاوية دخل الغازي بن قيس الأندلس بالموطأ عن مالك وبقراءة نافع بن أبي نعيم ، وكان له مكرماً ومتكرراً عليه بالصلة في منزله . وفي أيامه دخل أبو موسى الهواري عالم الأندلس ، وكان قد جمع علم العربية إلى علم الدين ، وكانت رحلتها إلى المشرق بعد دخول عبد الرحمن بن معاوية الأندلس . فحدث الشيخ [عمر] بن لبابة ، قال : كان أبو موسى الهواري إذا دخل من قريته بضم مورور — التي كان فيها سكناه — لم يُفْتِ أحدٌ من مشايخ قرطبة ، لا عيسى بن دينار ولا يحيى بن يحيى ولا سعيد بن حسان رحم الله جميعهم ، حتى يرحل عنهم »] (*) .

ومن الثابت — على أي حال — أن مذهب مالك ثبت في الأندلس وعلا أمره فيه على أيام هشام الرضى (٨٩ / ٧٠٨ — ١٧٩ / ٧٩٦) ، بسبب المسكنة الرفيعة التي حظى بها يحيى بن يحيى الليثي عنده ؛ وكان يحيى من تلاميذ مالك المباشرين وكان متعصباً لمذهبه ، وكان هشام يشاوره في أمور القضاة ، فلم يكن يولى إلا المالكيين . ومن بين من أسسوا دولة المالكية في الأندلس يحيى بن يحيى وعيسى بن دينار وشبظون (٢) .

ف ١٢٦ — كبار فقهاء المالكية في الأندلس : أبو الوليد الباجي

وأبو الوليد بن رستم :

من المتعذر علينا أن نذكر جميع الأندلسيين الذين ألفوا في الفقه على مذهب

مالك ، واعتمدوا على موطنه ووضعوا عليه الشروح والتعليقات ، لأن ذلك الإحصاء يطول ولا جدوى من وزائه ، ولهذا فسنبجزي في هذا المقام بذكر أكارهم :

فن أقطاب المالكية الأندلسيين عبد الملك بن حبيب — وقد تحدثنا عنه (ف ٦٢) — وتلميذه محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن أبي عتبة المعروف بالعتبي المتوفى سنة ٢٥٤/٨٦٨ ، وهو صاحب مجموعة « الأسمعة المسموعة غالباً من مالك ابن أنس » (*) المسماة « بالعتبية » أو « المستخرجة » ، وكانت من أكثر الكتب تداولاً بين الأندلسيين وأهل المغرب . [وقد قال في حقه ابن الفرضي : « سمع بالأندلس من يحيى بن يحيى وسعيد بن حسان وغيرهما ، ورحل فسمع من سحنون ابن سعيد وأصبغ بن الفرج ونظرائهما . وكان حافظاً للمسائل ، جامعاً لها ، عالماً بالنوازل . وهو الذي جمع « المستخرجة » وأكثر فيها من الروايات المطروحة والمسائل الغريبة الشاذة . وكان يؤتى بالمسألة الغريبة فإذا سمعها قال : أدخلوها في المستخرجة ... »] (**) (٣) .

ومنهم يحيى بن إبراهيم بن مُزَيْن القرطبي المتوفى سنة ٢٥٩/٨٧٢ ، وله مؤلفات كثيرة في شرح الموطأ . [وكان يحيى بن مزين — « مولى رملة بنت عثمان ابن عفان ، رضى الله عنه — من أهل قرطبة ، وأصله من طليطلة ؛ يُكفى أبازكريا . روى عن عيسى بن دينار ومحمد بن عيسى الأعشى ويحيى بن يحيى وغازي بن قيس ونظرائهم ؛ ورحل إلى المشرق في أيام الأمير عبد الرحمن بن الحكم [الأوسط] رحمه الله ، فلقى بالمدينة مطرف بن عبد الله صاحب مالك ابن أنس ، روى عنه الموطأ ورواه أيضاً عن حبيب كاتب مالك ؛ ودخل العراق فسمع من القعنبى عبد الله بن مسلمة ، ومن أحمد بن عبد الله بن يونس ، وسمع بمصر من أصبغ بن الفرج وغيره . وكان حافظاً للموطأ فقيها فيه ، وكان مشاوراً

(*) القرى ، نفع ، ط . عي الدين ، ٢ ، ص ٤١٤ — ٤١٥ .

(**) ابن الفرضي : علماء ، رقم ١١٠٢ .

من حدث عن عبيد الله [بن يحيى ، عم أبيه] وانفرد بالرواية عنه ، ورحل الناس إليه من جميع كور الأندلس . وكان مارواه عن عبيد الله « الموطأ » و « سماع ابن القاسم » و « حديث الليث » و « عشرة » يحيى بن يحيى الليثي و « تفسير » عبد الرحمن بن زيد بن أسلم و « مشاهد » ابن هشام ، و « تفتأ » من حديث الشيوخ . اختلفت إليه في سماع الموطأ سنة ٢٠٦ (كذا في الأصل ولعل صحتها ٣٦٠) ، وكانت الدولة ديه في أيام الجمع بالغدوات ، فتم لي سماعه منه . وسمعت منه كتاب التفسير لعبيد الله بن نافع . ولم أشهد بقرابته مجلساً أ كثر بشراً من محي . منا في الموطأ ، إلا ما كان من بعض مجالس يحيى بن مالك بن عطاء . ولم أسمع منه غير الموطأ والتفسير ، وفي هذا العام كان بدر (بدر) سماعى ، ثم شذاهي النظر في العربية عن مواصلة الطلب ، إلى سنة تسع وستين [وثلاثمائة] ومن هذا التاريخ انفصل سماعى من الشيوخ . وسمع من يحيى بن عبد الله الموطأ جماعة من الشيوخ والسكرهول وطبقات من الناس ، وسمعه منه أمير المؤمنين المؤيد بالله أعزاه الله سنة ٣٦٤ * [*] .

وكان ابن القوطية (ف ٦٥) — إلى جانب اهتمامه بالتاريخ — معنياً بالحديث وعلومه والفقهاء ، وكذلك ابن أبي زمنين (ف ١٧) الشاعر النابه فقد كان فقيهاً مقدماً وزاهداً متبئلاً ، له تواليف متداولة في الوعظ والزهد وأخبار الصالحين « على طريقة كتب ابن أبي الدنيا وأشعار كثيرة في نحو ذلك ، وله كتاب في الشروط على مذهب مالك بن أنس يسمى « المشتمل في الشروط » ، وقد اختصر « مدونة » سحنون في تأليف سماه « المغرب في اختصار المدونة » ، وله كتاب جمع فيه بين تفسير القرآن ، هذا بالإضافة إلى شرح كبير للموطأ .

(*) ابن القرضى : علماء ، رقم ١٥٩٥ . و « العشرة » المشار إليها في المس عو الكتب العشرة التي أخذها يحيى بن يحيى الليثي عن زياد المعروف بشبطون . (انظر : القرى ، فتح ، طبعة يحيى الدين ، ج ٢ ، ص ٢٥٣ في ترجمة زياد بن عبد الرحمن المعروف بشبطون) . وعبارة « وكانت الدولة فيه ... » مفهومة على وجه التقريب ، وربما كانت صحتها : وكان تداوله فيه ... الخ . والمراد أن يحيى بن عبد الله كان يخص درس الغداة من كل جمعة لقراءة الموطأ

[« وكان ذا حفظ للمسائل ، حسن التصنيف في الفقه ، وله كتب كثيرة أذهبا في الرفائق والزهد والمواعظ سهاشيء كثير (كذا) ، وولع الناس بها وانتشر خبرها في البلدان . وكان يفرض الشعر ويجود صوغه ، وكان كثيراً ما يدخل أشعاره في تواليقه فيحسنها به . وكان له حظ وافر من علم العربية ، مع حسن هدى واستقامة طريق وظهور نسك وصدق لهجة وطيب أخلاق وترك اللذايا وإقبال للعبادة وعمل للأخرة ومجانبة للسلطان . وكان من الورعين البكائين الخاشعين . سمعته يقول : « أصلنا من تدنس » . وسئل : « لم قيل لكم بنو أبي زمنين ؟ » فقال : « لا أدري ، كنت أهاب أبي ، فلم أسأله عن ذلك » . سكن بقرطبة دهماً طويلاً ثم انتقل إلى البيرة وسكنها إلى أن توفي بهاسنة ٣٩٨ هـ » [*]

ومنهم كذلك قاضي إشبيلية وأكبر أصحاب الوثائق بها محمد بن يحيى بن أحمد ابن محمد بن يعقوب بن داود التميمي المعروف بابن الحذا (٣٤٦ / ٩٥٨ - ٤١٥ / ١٠٢٥) ، وكان تلميذاً لابن القوطية . [« قال أبو علي النسائي (الصدفي) : كان أبو عبد الله بن الحذا أحد رجال الأندلس فقهاً وعلماً ونباهة ، معنياً منفئاً في المعلوم يقظاً ، ممن عني بالآثار وأتقن عملها (عليها ؟) ، ومن [عرف] طرقتها وعلماها . وكان حافظاً لفقته بصيراً بالأحكام ، إلا أن علم الأثر كان أغلب عليه وعلل أسانيده وفقه فنونه . وكانت له خاصة بالقاضي أبي بكر بن زرب ، تبتاه وهو ابن بضع عشرة سنة وأدى مكانه ، وتفقه معه في الرأي والأحكام وعقد الوثائق . وطلب العلم من سنة ٣٦٢ . ولزم أبا محمد الأصيلي ، اختص به وانتفع بصحبته . قال ابنه أبو عمر أحمد بن محمد : « كان لأبي رحمه الله علمٌ بالحديث والفقه وعبرة الرؤيا » . ومن تأليفه « كتاب التعريف بمن ذكر في موطأ مالك بن أنس من الرجال والنساء » ، و « كتاب الإنبياء عن أسماء الله » ، و « كتاب البشري في تأويل الرؤيا » عشرة أسفار ، و « كتاب الخطب وسير الخطباء » في سفرين ،

وغير ذلك . واستُقصى أبو عبد الله ببجاجة ثم بإشبيلية ، وكان مع القضاء (القضاة ؟) في عهد المشاورين بقرطبة . وتولى أيضا خطة الوثائق السلطانية . وخرج من قرطبة في الفتنة ، واستقر بالغر الأعلى ، واستُقصى بمدينة تطيلة ، ثم نقل منها إلى قضاء مدينة سالم ، وحدث هناك . ثم صار إلى سرقسطة وتوفي بها .
 نيل طلوع الشمس لأربع خلون من شهر رمضان سنة ٤١٦ [١٠٢٥] ، ودفن بباب القبلة على مقربة من قبر حنش بن عبد الله الصنعاني رحمه الله . وعهد أن يدخل في أكتافه كتابه المعروف بالإنباه في أسماء الله ، فنُشر ورقه وجُعل بين القميص والأكتاف ، نعمة الله بذلك « [*] .

ومنهم كذلك ابن عفيف ، أبو عمر أحمد بن محمد بن عفيف بن مريّول ابن حاتم بن عبد الله الأموي (٣٤٨ / ٩٥٩ - ٤٣٠ / ١٠٢٩) . [قال عنه ابن بشكوال : « ... وعنى بالفقه وعقد الشروط والوثائق فحذقها ، وشهر بتبزيه فيها . ثم شارف كثيراً من العلوم وأخذ بأوفر نصيب منها . ومال إلى الزهد ومطالعة الأثر والوعظ ، فكان يعظ الناس بمسجده بحوانيت الريحاني بقرطبة ، ويعلم القرآن فيه . وكان يقصده أهل الصلاح والتوبة . والإنابة ويلوذون به ، فيعظهم ويدكرهم ويخوّنهم العقاب ويدلم على الخير . وكان رقيق القلب غزير الدمع حسن المجادلة مليح الموانسة جميل الأخلاق حسن اللقاء . وكان يغسل الموتى ويحيد غسلهم وتجهيزهم ، وقد جمع في معنى ذلك كتابا حفيلا . وجمع أيضا كتابا حسنا في « آداب المعلمين (أو المتعلمين) » خمسة أجزاء . وصنف في « أخبار القضاة والفقهاء بقرطبة » كتابا مختصراً ، وقد نقلنا منه في كتابنا هذا ما نسبناه إليه . وتولى عقد الوثائق لمحمد [بن عبد الجبار] المهدي أيام توليه للملك بقرطبة . فلما وقعت الفتنة خرج عنها وقصد الدرّية ، فأكرمه خيران الصقلبي صاحبها وأدنى مكائنه وعرف فضله وأمانته ، فقلده قضاء لورّقة ، فخرج إليها وألقى عصاه بها والتزم الصلاة والخطبة بجامعها . ولم يزل حسن السيرة فيهم محموداً لديهم محبباً

إليهم ، إلى أن توفي ضحوة يوم الأحد لست عشرة ليلة خلت لربيع الآخر سنة ٤٢٠ هـ [(*)] .

ومنهم أبو عبد الله محمد بن عتاب بن محسن (٩٩٣/٣٨٣ — ١٠٦٩/٤٦٢) ، [« وكان قفيها عالماً عاملاً ورعاً عاقلاً بصيراً بالحديث وطرقه ، وعالماً بالوثائق وعالماً مدققاً لمعانيها لا يجارى فيها ؛ كتبها مدة حياته ، فلم يأخذ عليها من أحد أجراً . وكان يحكى أنه لم يكتبها حتى قرأ فيها أزيد من أربعين مؤلفاً . [وكان] متفهماً في فنون العلم حافظاً للأخبار والأمثال والأشعار ، يتمثل بالأشعار كثيراً في كلامه ، صليبا في الحق مؤيداً له مميّزاً لزمانه متحفظاً من أهله . متقبضاً عن السلطان وأسبابه ، جارياً على سنن الشيوخ في جميع أحواله ، متواضعا مقتصداً في ملبسه ، يتصرف في حوائجه بنفسه ويتولاها بذاته . كان شيخ أهل الشورى في زمانه وعليه كان مدار الفتوى في وقته ، دعى إلى قضاء قرطبة حمراراً فأبى من ذلك وامتنع ، وكان قد دعى قبل ذلك إلى قضاء طليطلة والمرية فاستغاضهما . وقدمه القاضي أبو اللطف بن بشر إلى الشورى والناس متوافرون ، وذلك سنة ٤١٤ وهو ابن إحدى وثلاثين سنة . وكان يهاب الفتوى ويخاف عاقبتها في الأخرى ويقول : « من يحسدني فيها جملة الله مفتيا » ، وإذا رُغِبَ في ثوابها وغبت (أورُغِبَ؟) بالأجر عليها يقول : « وددت أني أنجم منها كفافاً لا على ولا لي » ، ويتمثل بقول الشاعر :

تُمنونني الأجر الجزيل وليتنى نجومت منها كفافاً لا على ولا لي [(*) (*)]

ومن أكبر أعلام المالكية في الأندلس شأناً أبو الوليد سليمان بن خلف ابن سعد بن أيوب بن وارث التهجبي الباجي (١٠١٢/٤٠٢ — ١٠٨١/٤٧٣) ،

(*) ابن بشكوال : الصلاة ، رقم ٧٣ . وقد أورد المؤلف موجزاً لهذه المادة فأثبت بأهم ما فيها بنصه .

(**) ابن بشكوال : الصلاة ، رقم ١٠٧٧ . وقد أورد المؤلف خلاصة هذه الفقرة فأثبت بنصها .

وأصله من بطليوس وانتقل جده إلى باجة قرب إشبيلية . نشأ الباجي في أسرة معدمة ، وجد في الطلب وتحمل للشاق ورحل إلى المشرق لكي يتمكن من دراسة الأدب والفقه ، (حتى « أجز نفسه ببغداد لحراسة الدروب » ليكسب ما يعينه على إتمام دراسته) . وعاد إلى الأندلس وجلس للإقراء بسرقسطة وبلنسية ومرسية ودانية ، « وكان لما رجع إلى الأندلس يضرب ورق الذهب ، ويعقد الوثائق ، إلى أن فشا علمه وتهيات له الدنيا » . ولم يشق طريقه إلا في عسر ، وكان مشتغلاً بالتأليف في أثناء ذلك كله . وقد علا شأنه بسبب مؤلفاته في الفقه المالكي وأصول الدين واشتغل بكتابة الشروط ، وولى قضاء بعض النواحي .

ومؤلفاته تكاد تكون كلها في علوم الفقه والقرآن ، وخاصة في أصول الأحكام (*) وشرح اللوطا . [قال ابن بسلام : وبلغني عن ابن حزم أنه كان يقول : لو لم يكن لأصحاب للذهب للمالكي بعد عبد الوهاب] [إلا مثل أبي الوليد الباجي لكفاهم . وصنف أبو الوليد كتباً كثيرة منها « كتاب التسييد إلى معرفة التوحيد » ، و « كتاب سنن المنهاج وترتيب الحجاج » ، و « كتاب إحصاء الفصول في أحكام الأصول » ، و « كتاب التمديل والتجريح لمن خرَّج عنه البخاري في الصحيح » ، و « كتاب شرح اللوطا » وهو نسختان : نسخة سماها « الاستيفاء » ثم انتقى منها فوائد سماها « المنتقى » في سبع مجلدات ، وهو أحسن كتاب ألف في مذهب مالك ، لأنه شرح فيه أحاديث اللوطا وفرَّع عليها تفريراً حسناً ، وأفرد منه شيئاً سماه « الإيماء » . وقال بعضهم إنه صنف « كتاب المعاني في شرح اللوطا » فجاء عشرين مجلداً عديم النظير . وكان أيضاً صنف كتاباً كبيراً جامعاً بلغ فيه الغاية سماه « الاستيفاء » ، وله كتاب « الإيماء في

(*) انظر عما يتضمنه هذا الفن من فروع الدراسة :

Astn Palacios, Abenházam, p. 267.

(المؤلف)

الفقه « خمسة مجلدات ، انتهى . ومن تصانيفه « مختصر المختصر في مسائل المدونة » ، وله « كتاب اختلاف الموطآت » ، و « كتاب الإشارة في أصول الفقه » ، و « كتاب سنن الصالحين » ، و « كتاب التفسير » لم يتمه ، وكتاب « شرح المنهاج » ، و « كتاب التبيين لمسائل المهتمدين » في اختصار فرق الفقهاء ، و « كتاب السراج في الخلاف » ولم يتم ، وغير ذلك » [*] . وله كذلك وصية جليلة لولديه يرشدها فيها إلى طريق العيش الكريم التقى .

بيد أن كنبه لم تظر بذكره كما طارت به مساجلاته ومجادلاته مع ابن حزم (ف ٦٨) ، وبيدوا أن ما حفزه على الدخول في ذلك الجدل هو رغبته النبيلة في التقريب بين أسراء الطوائف وتوحيد كلمتهم ، بعد أن تلاشى كل أمل في قيام خلافة قرطبة الأموية مرة ثانية . [قال القرى : « ولما قدم [الباجي] من المشرق إلى الأندلس بعد ثلاثة عشر عاماً وجد ملوك الطوائف أحزاباً مفترقة ، فمشى بينهم في الصلح ، وهم يُجَلِّونَه في الظاهر ويستتقلونَه في الباطن ويستبُردون نزعته ، ولم يقد شيئاً ، فألَّه تعالى يجازيه عن نيته » [*] . وكان مما أقحمه في هذه الجادلات أيضاً ما بدا له من تدارك الشر الذي قد ينتج عن اجتهاد ابن حزم في نشر مذهبه الظاهري ، وكان الفقهاء يعتبرون هذا المذهب بدعة وضلالة . ولم يبق لنا من تفاصيل هذه الجادلات إلا صدى غير واضح نجده في بعض صفحات « الفصل » لابن حزم ، وأخبار متضاربة عن انهزام الباجي أو انتصاره على خصمه ، وكل مؤرخ يعرضها على حسب ما أملاه عليه شعوره نحو ابن حزم (٥) ، [فن ذلك قول القاضي عياض : « ولما قدم [الباجي] الأندلس وجد لكلام ابن حزم طلاوة ، إلا أنه كان خارجاً عن المذهب [المالكي] ولم يكن بالأندلس من يشتغل بعلمه ، فقصرت ألسنة الفقهاء عن مجادلاته وكلامه ، واتبعه على رأيه جماعة من

(*) القرى : نفع الطيب ، المطبعة الأزهرية ، القاهرة ١٣٠٢ ، ج ١ ، ص ٣٥٤

(*) القرى : نفع ، المطبعة الأزهرية ، ج ١ ، ص ٣٥٨ .

أهل الجهل . وحل بجزيرة ميورقة فرأسه فيها واتبعه أهلها ، فلما قدم أبو الوليد كلوه في ذلك ، فدخل إليه وناظره وشهر باطله وله معه مجالس كثيرة » [(*)] .

وكان أبو الوليد محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد (١٠٥٨/٤٥٠ — ١١٢٦/٥٢٠) — جد الفيلسوف المعروف — أُنِبِه فقهاء المالكية ذكراً في عصره ، وقد تولى قضاء الجماعة في فرطبة ، [إذ « كان فقيها عالماً حافظاً للفقهِ مقدماً فيه على جميع أهل عصره ، عارفاً بالفتوى على مذهب مالك وأصحابه ، بصيراً بأقوالهم واتفاقهم واختلافهم ، نافذاً في علم الفرائض والأصول ، من أهل الرياسة في العلم والبراعة والفهم ، مع الدين والفضل والوقار والحلم والسمت الحسن والهدى الصالح »] (١) ، وكان صاحب الصلاة في مسجدِها الجامع . ومن أشهر مؤلفاته كتابا « المقدمات لأوائل كتب المدونة » ، و « البيان والتحصيل لما في المستخرجة من التوجيه والتعليل » ، وقد بسط فيه الأسس الفقهية لأحكام مذهب مالك في شتى المسائل بحسب ما وردت في « مسخرجة » العتبي . ومن مؤلفاته كذلك « اختصار المبسوطة » و « اختصار مشكل الآثار للطحاوي » (٢) .

ف ١٢٧ — فقهاء مالكيون آخرون : ابن عاصم :

وكان من بين النابيين من فقهاء المالكية ابن الطلاع (١٠١٣/٤٠٤ — ١١٠٣/٤٩٧) ، [محمد بن فرج مولى محمد بن يحيى البكري ، يعرف بابن الطابع ، من أهل فرطبة ، يكنى أبا عبد الله ، بقية الشيوخ الأكا بر في وفته وزعيم المقتين بمحضرتة . روى عن القاضي يونس بن عبد الله وأبي محمد مكي بن أبي طالب المقرئ ، وأبي عبد الله بن عابد وأبي علي الحداد وأبي عمرو المرشاني وأبي المطرف ابن جُرج وأبي عمر بن القطان وحاتم بن محمد ومعاوية بن محمد العقبلي . وكان

(*) المقرئ : نصح ، الطبعة الأزهرية ، ج ١ ، ص ٣٥٤ .

(٢) ابن بشكوال الصلاة ، رقم ١١٥٤ .

فقيها عالما حافظا للفقہ علی مذهب مالک وأصحابه ، حاذقا بالفنوی مقدا فی الشوری ، عارفا بمقد الشروط وعلاها ، مقدا فیها ، داكراً لأخبار شیوخ بلده وضاویهم ، مشارکاً فی أشياء من العلم حسنة مع خیر وفضل وعتاف ودين وكثرة صدقة وطول صلاة ، قوالاً للحق وإن أودى فیہ . . وولی الصلاة بالمسجد الجامع بقرطبة ، وأسمع الناس به وأفتام فیہ . وعمر وأسن حتى سمع منه السكبار بالصغار والآباء والأبناء . وكانت الرحلة فی وقته إلیه ، وجمع کتاباً حسناً فی « أحكام النبی صلی الله علیه وسلم » [(*)] .

ومنهم ابن المقرئ ، علی بن محمد بن إبراهیم بن عبد الرحمن بن الضحاک ، أبو الحسن الفزاري الغرناطي ، ويعرف بابن المقرئ (والمقرئ أيضاً) المتوفى سنة ٥٥٢ أو ١١٦١/٥٥٧ . وهو غرناطي ، وكان أسناداً نابها فی علوم الفقه ؛ [وقال ابن الزبير : كان فقيها ، مشاوراً محدثاً متسكماً ، له تواليف كثيرة منها « كتاب مهراج السداد فی شرح الإرشاد » ، وكتاب « مدارك الحقائق » فی أصول الفقه [فی خمسة عشر جزءاً] ، توفي فی كائنة غرناطة فقداً [(**)] ، وله أيضاً « شمائل النور الساطع الكامل » فی مدح النبی صلی الله علیه وسلم (†) ، ورسالتان فی التصوف .

ومنهم المحدث الفقيه ابن الخراط (١١١٦/٥١٠ — ١١٨٥/٥٨١) ، [عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حسين بن سعيد الأزدي الإشبيلي ، يعرف بابن الخراط ، « نزل بجاية عند الفتنة الواقعة بالأندلس عند انقراض الدولة الممتونية ، ونشر بها علمه وصنف وولی الخطبة والصلاة بجامعها . وكان فقيها حافظا عالما بالحديث وعلاه ، عارفا بالرجال ، موصوفاً بالخیر والصلاح والزهد والورع ولزوم السنة والتقل من الدنيا ، مشاركا فی الأدب وقول الشعر . وصنف

(*) ابن الأبار : التكملة ، رقم ١١٢٣ .

(**) ابن الأبار : التكملة ، رقم ١٨٥٤ .

(†) حاجي خليفة : كشف الظنون ، رقم ٧٦٣٨ .

في الأحكام نسختين ، كبرى وصغرى ، سبقه إلى ذلك أبو العباس بن أبي مروان (سروان ؟) الشهيد بلبنة ، فخطى هو دون أبي العباس . وله « الجمع بين الصحيحين » ، و « كتاب في الجمع بين المصنفات الستة » ، و « كتاب في المعتل من الحديث » ، و « كتاب في الرقاق » ، ومصنفات أخرى . وله في اللغة كتاب حافل ضامى به الغريبين للهروي (*) ، وله أيضاً كتاب « مختصر كتاب الرشاطى في الأنساب من القبائل والبلاد » وهو في سفرين [**] .

ومنهم محمد بن أحمد بن حرب المتوفى سنة ٧٤١/١٣٤٠ ، وكان معنياً بأصول الدين والنقح علاوة على تحققه بالعربية والأدب ، وله من المؤلفات « كتاب الأنوار السنية في الكلمات السنية » ، و « كتاب في تهذيب صحيح مسلم » ، و « كتاب الدعوات » في مجلدين ، و « كتاب الفوائد الفقهية في مذاهب المالكية والشافعية والحنفية والحنبلية » في ثلاثة مجلدات ، و « كتاب في القراءة ، نافع وغير نافع » ، و « المختصر في لحن العامة » ، و « فحرة اشتملت على جملة من أهل المشرق » ، و « الأذكار المستخرجة من صحيح الأخبار » (†) (٧) .

وفي الفترة الأخيرة من تاريخ المسلمين في الأندلس نجد ابن عاصم ، أبا بكر محمد بن محمد (٧٣٠/١٣٥٨ — ٨٢٦/١٤٢٦) . وهو غرناطي ، تولى قضاء الجماعة في بلده ، واستوزره يوسف الثاني الغنى بالله صاحب غرناطة . وقد ألف عشرة كتب لم يبق لنا منها غير اثنين : « تحفة الحكماء في نكت العقود والأحكام » ، وهي أرجوزة في فقه مالك تقع في ١٦٩٨ بيتاً ، (وقد نشرها مع ترجمة فرنسية المستشرقان الفرنسيان هودا ومارتل ، تحت عنوان :

Traité de droit musulman, la Tohfat d'Ebn Acem. Texte arabe avec traduction française, commentaire juridique et notes philologiques, par O. Houdas et Fr. Martel (Alger-Paris, 1883-1893).

(*) ابن الأبار : تكملة ، رقم ١٨٠٥ .

(**) ابن فرحون : الديباج المذهب .

(†) أشار المؤلف إلى كتابين فقط من كتب ابن حرب فأنتيت بمؤاماته كلها كما أوردها

ابن الخطيب في الإحاطة (مخطوط الإسكوريال) .

ولا زال الطلبة يدرسونها في مدرسة مسجد قاس إلى اليوم؛ ومؤلفه الثاني هو « حدائق (أو حديقة) الأزاهر في مستحسن الأجوبة والمضحكات والحكم والأمثال والحكايات والنوادر » ، (وقد نشر في قاس) (٨).

ولسكى نكون لأنفسنا فكرة عن المقاييس التي التزمها فقهاء المالكية الأندلسيين الذين كان لهم دور عظيم في تطور الثقافة الأندلسية ، نسوق الأسطر التالية التي كتبها أستاذي آسين بلاثيوس في كتابه عن ابن حزم ، قال : « كان المذهب المالكي في أساسه مذهبا يقوم على الحديث ، لأن مالكاً جعل الأحاديث النبوية مقدمة على رأي الفقهاء ؛ ولكن الفقهاء لم يلتزموا ذلك السنين بل فعلوا ضده ، فانصرف الفقهاء من وقت مبكر عن دراسة الحديث واتفقوا على الرجوع إلى كتب الفروع والخلاف التي أقرها شيوخ المذهب ، وأصبح ذلك تقليداً ثابتاً لم لا يحميدون عنه ، وأخذ المالكيون بما في هذه الكتب . ونقول بعبارة أخرى إن الخصوم (*) والقضاة وأصحاب الشروط في الأندلس كانوا يتدارسون الملخصات البسيطة التي ألفها كبار شيوخ المالكية وعرضوا فيها — على نحو عملي واضح — المسائل المادية التي تعرض لأهل القانون كل يوم ، وابتدأوا حكم المذهب فيها . وعلى هذا ، درج أولئك الفقهاء من وقت مبكر على الاتصاف على عمل سهل : وهو البحث في هذه الكتب عن الأحكام المقررة ، بدلا من الرجوع إلى الكتاب والسنة — وهما المنبع الرئيسي لأصول الفقه — لاستخراج الأحكام فيما يعرض لهم من الأفضية ، و « الاجتهاد » في إيجاد حلول جديدة بمجهودهم الشخصي .

« ولم يفلح بقي بن مخلد فيما حاوله في القرن الثالث الهجري من تحويل الفقهاء عن

(*) الخصوم في مصطلح القضاء الأندلسي هم العرفون اليوم بالحامين ، وكانوا فقهاء تخصصوا في المرح والأحكام وإجراءات التقاضي وتحققوا بالفرائض والشروط وعلماءها ، وكانوا يأخذون مكانهم في مجلس القاضي أو على باب المسجد ليعهد إليهم الناس في قضاياهم ، (انظر مقدمة ريبيرا لكتاب القضاء لغشوش) . وقد ترجمت بهذا الاصطلاح كلمة abogados الواردة في الأصل . (المترجم)

هذا الطريق التقليدي المطلق وردّهم على دراسة الحديث واستخراج أحكامهم منه ، بل سدرُوا فيما هم به من التقليد الأعمى لما اعتقدوا أنه آخر ما يصل إليه الواصل في موضوع الفقه ، وانتهوا إلى الانصراف عن دراسة القرآن والحديث انصرافاً يكاد يكون تاماً ، وأعرضوا عن النظر إلى غير المالكية من المذاهب ، واعتبروا معرفتها أسراً لا جدوى فيه ، بل أنكروها ونظروا إليها نظرتهم إلى البدع والضلالات . وانصرفوا كذلك عن النظر في ذلك العلم المنطقي الذي يسمى « علم أصول الفقه » ، وهو الفن الجدلي العادي الذي يمكنهم من أن يستخرجوا من الأصول أحكاماً مناسبة لما يعرض لهم من شتى المسائل والنوازل « (*) (٩)

ف ١٢٨ — فقهاء الشافعية :

يعزى دخول مذهب الشافعي الأندلس إلى قاسم بن محمد بن سيّار من أهل قرطبة . رحل إلى المشرق على أواسط القرن الثالث الهجري ، ودرس على كبار شيوخ الشافعية ، فلما عاد إلى الأندلس أنكر على فقّهانه تقليد الأعمى لما كان عليه شيوخهم ، وانصرف إلى نشر مذهب الشافعي بين أهل بلده عن طريق التدريس والتأليف ، وتكونت حوله طائفة من التلاميذ ، ومدّ عليه الأمير محمد ظلّ رعايته ، وعهد إليه في تحرير وثائقه وشروطه ، وقد ظل في هذا المنصب إلى وفاته سنة ٢٧٦ / ٨٩٠ أو ٨٩١ . [وقد قال ابن القرضي في حقه : « قاسم بن محمد ابن قاسم بن سيّار مولى أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك . من أهل قرطبة ، يكنى أبا محمد . رحل فسمع من محمد بن عبد الله بن الحكم وأبي إبراهيم المزني ومحمد بن إبراهيم البرقي وإبراهيم بن محمد الشافعي والحريث بن مسكين وأبي الطاهر أحمد بن عمرو بن السرح ويونس بن عبد الأعلى وإبراهيم بن المنذر الجذامي وغيرهم . ولزم محمد بن عبد الله بن الحكم للتفقه والمناظرة وصحبه وتمحق به .

(*) Asin Palacios : Abenházam, p. 121.

وكان يذهب مذهب الحجة والنظر وترك التقليد ، ويميل إلى مذهب الشافعي .
 أخبرني العباس بن أصبغ ، قال : حدثني محمد بن قاسم ، قال : قلت لأبي : يا به ،
 أوصني ! فقال : أوصيك بكتاب الله ، فلا تنس حفظك منه ، واقرأ منه كل يوم
 جزءاً ، واجعل ذلك عليك واجباً ، وإن أردت أن تأخذ من هذا الأمر بحظ
 — يعني الفقه — فليك برأى الشافعي ، فإن رأيت أقل خطأ . ولم يكن
 بالأندلس مثل قاسم بن محمد في حسن النظر والبصر والحجة . قال أحمد [بن محمد بن
 عبد البر] : سمعت أحمد بن خالد ومحمد بن عمر بن لبابة يقولان : ما رأينا أفتقه
 من قاسم بن محمد عن دخل الأندلس من أهل الرحل (الرحلة) . وأخبرني إسماعيل
 [ابن إسحاق الحافظ] ، قال : أخبرني خالد [بن سعد] قال : سمعت محمد بن عبد الله
 ابن قاسم الزاهد قال : سمعت أبا عبد الرحمن بن بقي بن مخلد يقول : قاسم بن
 محمد أعلم من محمد بن عبد الله بن الحكم . وأخبرني إسماعيل ، قال : أخبرني خالد ،
 قال : حدثني أسلم بن عبد العزيز ، قال : سمعت محمد بن عبد الله بن الحكم يقول :
 لم يقدم علينا من الأندلس أحد أعلم من قاسم بن محمد ، ولقد عاتبته في حين
 انصرافه إلى الأندلس فقلت له : أتم عندنا ، فإنك تتعمد هنا رياسة ويحتاج
 الناس إليك ، فقال : لا بد من الوطن ! وأخبرني إسماعيل ، قال : أخبرني خالد ،
 قال : سمعت سعيد بن عثمان الأعناق يقول : قال لي أحمد بن صلح الكوفي :
 قدم علينا من بلدكم رجل يسمى قاسم بن محمد ، فرأيت رجلاً فقيهاً . وألف قاسم
 ابن محمد في الرد على يحيى بن إبراهيم بن مزين وعبد الله بن خالد والعتبي كتاباً
 نبيلاً يدل على علم . وله كتاب في خبر الواحد شريف . وكان يلي وثائق الأمير
 محمد رحمه الله طول أيامه . روى عنه محمد بن عمر بن لبابة وسعيد بن عثمان
 الأعناق وأحمد بن خالد ومحمد بن عبد الملك بن أيمن وابن الرزاد وابنه محمد بن قاسم
 في جماعة سواهم . قال الرازي : توفي قاسم بن محمد سنة ٢٧٧ [٨٩٠ م] (وقال
 أحمد : توفي قاسم بن محمد سنة ٢٧٧ ، في أولها) . وقال ابن حريث : توفي عام الفتح

الكاين الأمير عبد الله في حصن بلّاي، وكان فتح بلّاي سنة ٢٧٨ فيما
حكى الرازي] (*) (١٠).

ومن كبار الشافعيين الأندلسيين كذلك بقي بن مخلد الذي ألمعنا بذكره فيما
سبق (ف ١٢٣)، وقد أعانه تسامح الأمير محمد على نشر مذهبه؛ وقد خلف
بقي من بعده نفرأ طيباً من تلاميذه الذين درسوا المذهب على يديه: منهم هارون
ابن نصر القرطبي المتوفى سنة ٩١٤/٣٠٢ - ٩١٥، [يكنى أبا الخيار. صاحب
بقي بن مخلد نحواً من أربع عشرة سنة وأكثر الرواية عنه. وكان قد مال إلى كتب
الشافعي فغنى بها وحفظها وتفقه فيها. وكان من أهل النظر والحجة] (*)؛ وعثمان
ابن وكيل من أهل المدوّر الأقصى من حوز قرطبة؛ وحرّ قوص، عثمان بن سعيد
الكناني، من أهل جيان، يكنى أبا سعيد ويعرف بحرقوص (توفى قريباً من
سنة ٩٣٢/٣٢٠)؛ وأسلم بن عبد العزيز بن هاشم بن خالد مولى عثمان بن عفان
(توفى سنة ٩٣١/٣١٩)، [«سمع من بقي بن مخلد وصحبه طويلاً، ثم رحل إلى
المشرق سنة ٢٦٠ فلقى أبا يحيى المزني والربيع بن سليمان صاحب الشافعي ومحمد
ابن عبد الله بن عبد الحكم ويونس بن عبد الأعلى وأحمد بن عبد الرحيم البرقي
وعلى بن عبد العزيز وغيرهم»]؛ ومنهم كذلك ابن أمية الحجاري صاحب كتاب
«أحكام القرآن» على مذهب الشافعي، وهو كتاب جليل ذو أسلوب واضح
جميل، [وقد قال عنه ابن حزم في «الرسالة»: «ومنها (أى من الكتب
الأندلسية في الفقه) في أحكام القرآن كتاب ابن أمية الحجاري، وكان شافعي
المذهب بصيراً بالكلام على اختياره»] (†)؛ ومنهم «يحيى بن عبد العزيز

(*) ابن القرضي: علماء، رقم ١٠٤٧. وقد رأيت أن أجمي بترجمة قاسم بن محمد
كاملة بشيوخه وتلاميذه نظراً لمكانته في تاريخ الفكر الأندلسي. والأقواس، ما عدا الأخير،
من عندي للإيضاح.

(*) ابن القرضي: علماء، رقم ١٥٢٩.

(†) ابن حزم: الرسالة برواية القرني، ففتح، طبعة محي الدين، ج ٤، ص ١٦٣.
وقد ورد ذكره في جذوة القتبس للحميدي هكذا: ابن أمية الحجاري، انظر ص ٣٨٠،
ترجمة ٩٥٩.

المعروف بابن الخرزاز من أهل قرطبة ، يكنى أبا زكريا (المتوفى سنة ٢٩٥/٩٠٧) ،
 [« سمع من العتبي وعبد الله بن خالد ونظريهما من رجال الأندلس . ورحل فسمع
 بمصر من الزنى والربيع بن سليمان المؤذن ومحمد بن عبد الله بن الحكم ويوس بن
 عبد الأعلى ومحمد بن عبد الله بن ميمون وعبد الغنى بن أبي عقيل وغيرهم ، وسمع
 بمكة من علي بن عبد العزيز . وكانت رحلته ورحلة سعد بن معاذ وسعيد بن
 عثمان الأعناق وسعيد بن حميد وابن أبي تمام واحدة . سمع الناس منه » مختصر
 المزني] و « رسالة الشافعي » وغير ذلك من علم محمد بن عبد الله بن الحكم .
 وكان يميل في فقهه إلى مذهب الشافعي ، وكان مشاوراً مع عبيد الله بن يحيى ونظريه
 في أيام الأمير عبد الله . . . وسمع الناس منه بالقيروان « المستخرجة » للعتبي
 وغير ذلك من حديثه ... » [(*) .

ومن الشافعيين الأندلسيين كذلك خلف بن عبد الله بن مخارق الخولاني ،
 [« من أهل الجزيرة الخضراء ، سمع من ابن بدرون ومحمد بن يزيد ببجاجة ، ورحل
 حاجاً فسمع من ابن المنذر ومن ابنة الشافعي . وكان مفتياً في بلده وفتياً مشاوراً
 تدور الفتيا عليه مع أصحابه ، وكان صاحب صلاة الجزيرة [الخضراء] وسكن
 قرطبة » [(*)] وكان فيها حوالي سنة ٢٩٩/٩١٢ . بل كان الأمير عبد الله بن
 عبد الرحمن الناصر يميل إلى آراء الشافعي ، أخذها عن حسان بن سعد وأحمد بن
 محمد بن عبد البر . وقد لقي هذا الأمير حتفه على يد أبيه ، إذ اتهم بالاشتراك في
 التدمير عليه والرغبة في خلعه ، [بسبب مبايعة الناصر لابنه الحكم ولياً لهده دون
 عبد الله] ، وكان لذلك أثر سيء على المذهب الشافعي في الأندلس ، إذ توقف
 نشاطه حتى أيام الحكم المستنصر .

(*) ابن القرضى : علماء رقم ١٥٦٨ . وقد أشار المؤلف إليه إشارة مقتضبة فأثبت
 بأهم ما في مادة ابن القرضى بنعه لبيان الصلة بين المدرستين الصرية والأندلسية .

(**) ابن القرضى : علماء ، رقم ٤١٥ .

[ومن المديد في هذا الباب أن تأتي هنا بترجمة هذا الأمير العالم كما رواها ابن الأبار في « التكملة » ، قال : « عبد الله بن عبد الرحمن الناصر لدين الله . الروانى ، يكنى أبا محمد . روى عن محمد بن معاوية القرظى والحسن بن سعد وعبد الله بن يونس وهاسم بن أصبغ ومسألة بن قاسم ومحمد بن عبد الملك بن أجز ، ومحمد بن محمد بن عبد السلام الخشنى وأحمد بن محمد بن عبد البر وأحمد ابن محمد بن قاسم وغيرهم . وعنى العناية النامة بسماع العلم وحمله ووضع التأليف فيه . وكان فقيها شافعيا إيجابيا متنسكا ، بصيرا بلسان العرب رفيع الطبقة في الأدب ومعرفة ، ضاربا بأوفر سهم في اللغة ، ذا كرا للحرير مطبوعا في صوغ القريض وتصنيف كتب الأدب . وله كتاب « العليل والقتيل في أخبار بني العباس » في أسفار . وقد حدث عنه مسلمة بن قاسم « بالمُسَكِّتِه » من تأليفه وهي سنة أجزاء في فضائل بقر بن مخلد . ورد على محمد بن وضاح وكذبه وحمل عليه فيما حكاه عن يحيى بن معين ، حكى ذلك أبو عمر بن عبد البر في « جامع بيان العلم » له ، وقال : زعم عبد الله أنه رأى أصل ابن وضاح الذى كتبه بالمشرق ، وفيه : سألت يحيى بن معين عن الشافعى ، فقال : ثقة . وكان ابن وضاح يقول : ليس بثقة . وكان لعبد الله هذا اختلاط بالعلماء واستراحة إليهم . وهو أحد النجباء من أبناء الخلفاء . وسعى به إلى أبيه عبد الرحمن الناصر نجسه في آخر خلافته تحت التوكيل الشديد أزيد من حول ، إلى أن أتى قتله يوم الثلاثاء ثانى عيد الأضحى ، وقيل ثالثة ، سنة ٣٣٩ [٩٥٠/]. ذكره ابن حبان وفيه زيادات » [*].

وقد كان من جلساء المستنصر ابن صلاح الله القرطبي ، أحمد بن عبد الوهاب ابن يونس المتوفى سنة ٣٦٩/٩٨٠ أو ٣٩٨/١٠٠٨ . وكان من المنصرفين إلى النظر في أصول الفقه والمقيدة والأخذ بالرأى ، ولهذا اتهمه فقهاء المالكيين بأنه

(*) ابن الأبار : التكملة ، رقم ١٢٥٠ ؛ وانظر : الحلة السيرة لابن الأبار ، ص ١٠٥ وابن خلدون : تاريخ ، ج ٤ ، ص ١٤٣ ؛ والسبكي : طبقات الشافعية ، ج ١ ، ص ٢٣٠ .

يقول بالاعتزال . [« وقد وصفه ابن الفرضى بقوله : « كان رجلاً حافظاً للفقه عالماً بالاختلاف ، ذكياً بصيراً بالحجاج ، حسنَ النظر قائماً بما ينقلد الكلام فيه . وكان يميل إلى مذهب الشافعى . وله سماع من شيوخ وقته ، وصحب عبيداً الشافعى ، ونفقه معه وناظر عليه . وكان له حظ وافر من العربية واللغة . وسار في جملة المقابليين للمستنصر بالله ، وقرأ « كتاب الفتوح » . وكان ينسب إلى مذهب الاعتزال ، وكان دميماً سمجاً ، توفي سنة ٣٩٩ أو صدر ٣٧٠ (كذا) »] (*) .

وكان الحكم المستنصر يحسن وفادة القادمين إلى الأندلس من أهل الأدب المشاركة^(*) ، ممن كانوا يعتبرون من شيوخ المذهب الشافعى مثل أبي الطيب محمد ابن أحمد بن أبي بُردة الشافعى البغدادي الذي وفد على الأندلس في سنة ٣٦١/٩٧١ وتألب عليه الفقهاء بسبب ما كان يقول به من آراء المعتزلة ، وما زالوا بهشام المؤيد حتى أخرجه من الأندلس عام ٣٧٢/٩٨٣ . [وقد قال ابن الفرضى في ترجمته : « ووصل أبو الطيب إلى الأندلس سنة ٣٦١ [٩٧١/] فأكرمه أمير المؤمنين المستنصر بالله ، وأمر بإجراء النزول عليه ، وكان من أعلم الناس بمذهب الشافعى ، وأحسنهم قياماً به . لم يصل إلى الأندلس أنهم منه بالمذهب ، ولم تكن له كتب ، ذَكَرَ أنها ذهبت له مع مال جسيم في المغرب . وكان ينسب إلى الاعتزال ، ورفُعَ ذلك إلى السلطان ، فأمر بإخراجه من البلد ، وذلك في رجب سنة ٣٧١ ، فصار بتيهت عقد بنت له ، وتوفى بها في ذلك العام »] (†) ؛ ومثل

(*) ابن الفرضى : علماء ، رقم ١٥٢ . ولعل صحة الرقم الأول ٣٦٩

(**) كذا في الأصل ، ولما كان المؤلف يرجع هنا إلى ما كتبه آسين پلانيوس في هذا الصدد ، فقد رجعت إلى هذا الأخير فوجدته لا يذكر الأدباء في هذا اللوح ويقول : « وتوافد على بلاطه نفر من مشاهير علماء المشرق ممن رغب في الاستئصال برعاية هذا الراعى الكريم لعلم وأهله ... » .

Cf : Asin Palacios, Abenházam, I. p. 127.

(†) ابن الفرضى : علماء ، رقم ١٤٠١ .

عبيد الله بن عمر بن أحمد بن محمد بن جعفر القيسي الشافعي ، من أهل بغداد (٩٠٧/٢٩٥ — ٩٧١/٣٦٠) ، « يقال له عبيد ويكنى أبا القاسم . قدم الأندلس في المحرم سنة ٣٤٧ [٩٥٨ م] ، تفقه ببغداد على مذهب الشافعي وتحقق فيه وناظر فيه عند أبي سعيد أحمد بن محمد الاصطخري ولعبيد الله ابن عمر هذا كتب مؤلفة كثيرة في الفقه والحجة والرد والقراءات والفرائض وغير ذلك . وكان الحكم قد أنزله وتوسع له في الجراية ، ولم يزل يؤلف له إلى أن مات . . . » (*) .

ونذكر من بين الشافعيين الأندلسيين :

يوسف بن محمد بن سليمان الهمداني ، من أهل شدونة ، يكنى أبا عمر ، المتوفى سنة ٩٩٣/٣٨٣ . سمع بالأندلس ثم رحل إلى المشرق . . « وكتب بخطه كتب الشافعي الكبير عشرين ومائة جزء ، سمع من أبي الحسن النيرى ، أخبره به عن محمد بن رمضان المعروف بابن الزيات عن الربيع بن سليمان عن الشافعي ، صارت نسخته إلى المستنصر بالله ، وسمع بجدة من الحسين بن حميد موطأ القعقبي وكتاب الأموال لأبي عبيد ، وكتب حديثاً كثيراً مصنفاً ومنثوراً ، وانصرف إلى الأندلس فقدمه أمير المؤمنين [الحكم] رحمه الله إلى قضاء قلسانة ، وقدم أخاه إلى صلاة شريش وكان خطيباً أديباً وسيماً . . . » (**) .

وعبد السلام بن السمح بن نابل بن عبد الله بن يحيى الموارى ، يكنى أبا سليمان ، « أصله من مورور (٩١٥/٣٠٣ — ٩٩٧/٣٨٧) رحل إلى المشرق وتردد هناك مدة طويلة وسكن اليمن وتفقه بمصر بالشافعي وقرأ القرآن وجوده . وقدم الأندلس وكان حسن الخط بديعه ، وكان حافظاً لمذهب الشافعي حسن القيام به » (+) .

(*) ابن القرضى : علماء ، رقم ٧٦٥ .

(**) ابن القرضى : علماء ، رقم ١٦٢٣ .

(+) ابن القرضى : علماء ، رقم ٨٥٥ .

وعبد الله بن محمد بن عبد المؤمن بن يحيى التجيبي من أهل قرطبة ، يعرف بابن الزيات (٩٢٦/٣١٤ — ١٠٠٠/٣٩٠) ويكنى أبا محمد . [« رحل إلى المشرق رحلتين ، وكان كثير الحديث مسداً صحيحاً للسمع صدوقاً في روايته ، إلا أن ضبطه لم يكن جيداً ، وكان ضعيف الناطق ربما أدخل الهجاء . وكان مصرفاً في التجارة ، كتّبت الناس عنه قديماً وحديثاً »] (*) .

وعبد الله بن إبراهيم بن محمد الأصيلي ، من أهل أصيلة (٩٣٥ / ٣٢٤ — ١٠٠١ / ٣٩٢) يكنى أبا محمد . سمع بالأندلس ورحل إلى المشرق ودخل بغداد وسمع على شيرخ شاهمين ، [« وتفقّه هناك بمالك ، ثم وصل إلى الأندلس في آخر أيام المستنصر بالله رحمه الله ، فشوور وقرأ الناس عليه كتاب البخاري رواية أبي زيد المرزوي وغير ذلك . وكان حرج الصدر ضيق الحلق ، وكان عالماً بالكلام والنظر سنوباً إلى معرفة الحديث وجمع كتاباً في اختلاف مالك والشافعي رأى حنيفة ساهم كتاب اللبائل على أمهات المسائل »] (١٠) .

وسلمة بن سعيد بن حفص بن عمر بن برد الأنصاري من أهل استجة . [« سكن قرطبة بمقبرة الكلاعي منها ، يكنى أبا القاسم . رحل إلى المشرق وجمع وأفام بالمشرق ٧٣ سنة » قال ابن أبي عمير : وكان شافعي المذهب رحمه الله . وقرأت بخط أبي سروان الطّبي ، قال : أخبرني أبو حفص الزهراوي ، قال : ساق سلمة بن سعيد شيخنا من المشرق ١٨ حملاً مشدودة من كتب ، وسافر من استجة إلى المشرق ، واتخذ مصر موثلاً واضطرب في المشرق سنين كثيرة . جدّ لجمع [الكتب] في الآفاق — كتب العلم — فلما اجتمع من ذلك مقدار صالح نهض به إلى مصر ثم انزعج بالجميع إلى الأندلس . وكانت في كل فن من العلم ، ولم يتم له ذلك إلا بما لكثير حملة إلى المشرق »] (١١) .

(*) ابن الفرضي : علماء ، رقم ٧٥٥ .

(١٠) ابن الفرضي : علماء ، رقم ٧٥٨ .

(١١) ابن بشكواله : الصلة ، رقم ٥٠٨ .

منذر يؤثر مذهبه ويجمع كتبه ويحتاج لقلته ، ويأخذ به نفسه وذويه ، فإذا جلس للحكومة قضى بمذهب الإمام مالك وأصحابه ، وهو الذي عليه العمل بالأندلس ، وحمل السلطانُ أهل مملكته عليه . وكان خطيباً بليغاً عالماً بالجدل حاذقاً فيه ، شديد المعارضة ، حاضر الجواب عتيده ، ثابت الحججة ، ذا إشارة عجيبة ومنظر جميل ، وخلق حميد ، وتواضع لأهل الطلب وانحطاط إليهم وإقبال عليهم» [*].

وفد توقف انتشار المذهب الظاهري أيام المنصور بسبب ما تظاهر به من إنكار غير المالكية من المذاهب . ولكن أيام المنصور لم تكذب تنقض حتى ظهر المذهب من جديد وانصرف إلى إذاعته في قرطبة أبو الخيار بن مُقلت (ف ٦٨) وتلميذه ابن حزم (ف ٧٥) (١٢) .

ف ١٣٠ — تحرير الوثائق والشروط والفرائض (قسم الوارثين) :

كان النظام القضائي في الأندلس يترك الناس أحراراً في اختيار من يقوم بتحرير ما يتعاقدون عليه من شروط ، إذ لم يكن للحكومة أصحاب شروط (موثقون) رسميون ، وكان من نتائج ذلك أن عني الكثيرون بوضع كتب تهوّن على الناس أمر العقود وصيّفها . وأقدم ما لدينا من المؤلفات في هذا الباب « ديوان » ابن الهندي القرطبي ، وهو أحمد بن سعيد الهمداني ، يكنى أبا عمر (٩٣٢/٣٢٠ — ١٠٠٨/٣٩٨) وكان تلميذاً لقاسم بن أصبغ وابن مسرة وصديقاً للحكم المستنصر ، وكان متحققاً بالفقه والتاريخ و متمكناً من تحرير الوثائق العامة . [قال ابن عفيف : وكان حافظاً للفقه وحافظاً لأخبار أهل الأندلس بصيراً بمقد الوثائق ، وله فيها ديوان كبير نفع الله المسلمين به . قال ابن مفرّج : قرأت على

(*) القرى : نفع ، ج ٧ ، ص ٢٢٨ . وقد رأيت إثبات هذه الإضافة بين حاصرتين ليصل سياق الكلام .

أبى عمر ديوانه فى الوثائق ثلاث سرات ، وأخذته عنه على نحو تأليفه له ، فإنه ألف أولا ديواناً مختصراً من سنة أجزاء فقراتها عليه ، ثم ضاعفه وزاد فيه شروطاً وفصولاً وتبنيها [ت] فقرات ذلك عليه أيضاً ، ثم ألفه ثالثاً واحتمل فيه وشحنه بالخبر والحكم والأمثال والنوادر والشعر والفوائد ، فأبى الديوان كبيراً . واحترع فى علم الوثائق فنوناً وألغازاً وفصولاً وأصولاً وعقداً عجيبة ، فكسبت ذلك كله وقرأته عليه . وكان طويل اللسان حسن البيان كثير الحديث بصيراً بالحجة ، تنحجه الخصوم فيما يحاورونه ويردّه الناس فى مهماتهم ، فيستريحون معه ، ويشاورونه فيما عنّ لهم . وكان وسيماً حسن الخلق والخلق . وكان إذا حدث بين وأصاب القول فيه وشرحه بأدب صحيح ولسان فصيح . وخاصم يوماً عند صاحب الشرطة والصلاة إبراهيم بن محمد الشرفى فينكل وعجز عن حجته ، فقال له الشرفى : ما أعجب أمرك أباعمر ! أنت ذكى لغيرك بكيى فى أمرك ! فقال : كذلك يبين الله آياته للناس ، ثم أنشد متمثلاً :

صرتُ كَأبى ذبالة نُصِبتَ تضىء للناس وهى تحترق

البيت للعباس بن الأحنف . . . [*] .

ومن بين من اشتهر بتحرير الشروط والوثائق ابن أبى زَمَين وابن العطار (سهل بن إبراهيم الاستجى المتوفى ٣٨٧/٩٩٧) وموسى بن حامد ، لأن عبد الواحد الفهرى المتوفى سنة ٤٦١/١٠٦٩ يقول إنه نظر إلى مؤلفاتهم فى هذا الباب عندما ألف « ديوان » وثائقه الذى أبقى عليه الزمان ووصل إلى أيدينا ، (محفوظ لدى مجلس تشجيع الدراسات فى مدريد) (١٣) (*). وعبد الواحد هذا من البُنت بكورة بلنسية ، وكان فقيهاً ناهياً منحققاً بالشروط عارفاً بطرقها وعلماً ، وكتابه يعرض علينا كل صيغ العقود التى كان يستعملها أصحاب الوثائق والشروط

(*) ابن بشكوال : الصلة ، رقم ١٩ .

ومن الشافعيين الأندلسيين كذلك ابن حزم القرطبي ، الذي ذكرنا فيما سلف (مقالة ٦٨) أنه كان شافعيًا فترة من حياته .

ف ١٢٩ — فقهاء المذهب الظاهري :

كان أول من نشر مبادئ مذهب أهل الظاهر في الأندلس عبد الله بن محمد ابن قاسم بن هلال (المتوفى سنة ٢٧٢/٨٨٥ — ٨٨٦) . وكان من أوائل الظاهر بين عامة ، إذ أن المذهب ظهر في منتصف القرن الثالث الهجري ، وكان مالسكيا ولكنه تلمذ على داود الأصفهاني منشي مذهب الظاهر ونسخ كتبه بخطه وأقبل بها إلى الأندلس . وكان ابن قاسم إلى جانب ذلك من العارفين بمذهب الشافعي ، ولكنه انصرف إلى مذهب داود واجتهد في نشره . ويبدو أنه لم يوفق فيما رى إليه ، لأننا نجد تلميذه ابن أيمن وقاسم بن أصبغ (ف ١١٩) من أهل الحديث لا من الفقهاء (١١) .

أما أول ظاهري منافع في سبيل المذهب من أهل الأندلس فهو منذر بن سعيد بن عبد الله بن عبد الرحمن البلوطي (٢٧٢/٨٨٦ — ٣٥٥/٩٦٦) ، وأصله من فخص البلوط (اليوم : كامبودي كالاترافا Campo de Calatrava = فخص قلعة رباح) . رحل منذر إلى المشرق ودرس على شيوخه : [سمع بمكة محمد ابن المنذر النيسابوري ، سمع عليه كتابه المؤلف في اختلاف العلماء المسمى « بالإشراف » ، وروى بمصر كتاب العين للخليل عن أبي العباس بن ولاد ، وروى عن أبي جعفر النحاس »] (*) ، وعندما عاد إلى بلده أنكر تقليد المالكيين [قال ابن الفرضي : « وكان مذهبه في فقهه مذهب النظر والاحتجاج وترك التقليد ، وكان عالما باختلاف العلماء ، وكان يميل إلى رأى داود بن خلف العباسي ويحتج له »] ، واجتهد في إذاعة مبدأ دراسة الأصول في حرية — وهو

(*) ابن الفرضي : علماء ، رقم ١٤٥٢ ؛ مقرئ : ففح — طعة محي الدين ، ٢ ،

الذي قال به داود — واستطاع رغم ذلك أن يلي قضاء لاردة وطرطوشة (*) . ثم سئمت له فرصة طيبة نهضت بشأنه ، وذلك عندما وفدت على بلاط الناصر سفارة بيزنطة ، فعهد إلى ابنه الحَكَم في اختيار من يقوم بالرد على السفير البيزنطي ، « فتقدم الحَكَم إلى أبي علي البغدادي (القالي) — ضيف الخليفة وأمير الكلام وبحر اللغة — أن يقوم ، فقام وحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ثم انقطع ، وبهت فما وصل ولا قطع ، ووقف ساكتاً مفكراً . فلما رأى ذلك منذر بن سعيد قام قائماً بدرجة من سرقة أبي علي ، ووصل افتتاحه بكلام عجيب بهر العقول جزالةً وملأ الأسماع جلالةً ، ثم ذكر الخطبة كما سبق . وقال (ابن سعيد) بعد إيرادها ما صورته : فصلب العاج وغلب على قلبه ، وقال : هذا كبير القوم ، أو كبش القوم . وخرج والناس يتحدثون عن حسن مقامه وثبات جنانه وبلاغة لسانه . وكان الناصر أشدهم تعجباً منه ، وأقبل على ابنه الحَكَم — ولم يكن يثبت معرفته — فسأله عنه فقال له : هذا منذر بن سعيد البلوطي ، فقال : « والله لقد أحسن ما شاء ، ولئن أخزني الله بعد لأرفعن من ذكره ، فضع يدك يا حَكَم عليه واستخلصه وذكّرني بشأنه ، فما للصنعة مذهب عنه » . ثم ولأه الصلاة والخطابة في المسجد الجامع بالزهراء ، ثم توفي محمد بن عيسى القاضي فولأه قضاء الجماعة بقرطبة وأقره على الصلاة بالزهراء . (**)

[قال المقرئ في النفع : « وكان منذر متفناً في ضروب العلوم ، وغلب عليه التفقه بمذهب أبي سليمان داود بن علي الأصفهاني المعروف بالظاهري ، فكان

(*) كذا في الأصل ، وعند ابن الفرضي : « وولى قضاء مدينة ماردة وما والاها من مدن الجوف ، ثم ولى قضاء الثغور الشرقية » . واستبدال ماردة بلاردة من رأى آسین .

Cf : Asín Palacios, Abenházam.. I, p. 133y nota 1.

(**) ابن سعيد : المغرب ، برواية المقرئ ، نفع ، ج ٢ ، ص ٣٤٩ . والمقرئ يشير في كلامه إلى نس خطاب منذر ، وقد ذكره قبل ذلك (نفس الجزء ، ص ٣٤٥ — ٣٤٨) .

في قرطبة . أما طرق أهل طليطلة في تحرير وثائقهم فنجدها في الكتاب المسمى « الوثائق المستعملة » لأبي جعفر أحمد بن محمد بن مغيث الطليطلي المتوفى سنة ٤٩١ / ١٠٦٩ ، (مخطوط بمكتبة الجمع التاريخي الإسباني ، مجموعة جايانجوس رقم ٤٩) ، بينما كان الناس في الجزيرة الخضراء وما يصاحبها يتبعون نماذج الوثائق والشروط التي أوردوها على بن القاسم الصنهاجي المتوفى سنة ١١٨٩/٥٨٤ في « ديوانه » . وكان على بن القاسم أول أسره فقيها نابها وموثقا ضليعا ، ثم ولي قضاء بلده . ومجموعته بين أيدينا الآن ، مخطوطة في مكتبة مجلس تشجيع الدراسات في مدريد^(١٤) . والقيمة التاريخية لهذه المجموعات من الوثائق عظيمة ، وذلك يتجلى لنا من المعلومات القيمة التي استخرجها منها خايمان ريبيرا في دراسته لأجناس الناس ولغاتهم في الأندلس الإسلامي .

وكان قسم المواريث ناحية من أعقد نواحي التشريع الإسلامي ، وذلك بسبب اختلاف حصص الميراث التي تخص كلا من الورثة ، هذا إلى تقلقل تكوين الأسرة ، مما كان يجعل التقسيم بين ورثة كثيرين أمراً عسيراً . وقد عنى الأندلسيون بوضع مؤلفات في الفرائض (قسم المواريث) تقوم على معرفة بأصول الشريعة والحساب . ومن المؤلفات في هذا الباب كتاب ابن ثابت ومختصر القاضي أبي القاسم الحوفي ثم الجعدي ، ومن بين مؤلفات المستعجمين التي عثرنا عليها رسالة هامة عن « قسم المواريث بين المسلمين على مذهب مالك » ، (وقد نشرها سانشيد بيريد في عام ١٩١٤)^(١٥) .

الرياضيات والفلك

- ف ١٣١ — أصول الدراسات الرياضية والفلكية فى الأندلس .
- ف ١٣٢ — مسأمة المجرى ، إقليدس الأندلس .
- ف ١٣٣ — الزرقالى ، بنو هود أصحاب سرقطة .
- ف ١٣٤ — جابر بن أفنح ، البطروجى ، الرقولى ، القاصادى .

ف ١٣١ - أصول الدراسات الرياضية والفلسفية في الأندلس :

كان تشدد فقهاء الأندلس مانعا كذلك - أول الأمر - من نهوض العلوم الرياضية بما فيها الفلك . وكان الفقهاء يتجاوزون عن الحساب وبيحون الاشغال به فيما يتصل بالعمليات التطبيقية المعقدة المتعلقة بقسم المواريث . وأما الفلك فقد قدر له - كما يقول الأستاذ ريبيرا - « أن يخضع لما كان جاريا من أساليب المنع والتحریم ، التي كانت تصل في بعض الأحيان إلى الاضطهاد الباع القسوة . وقد عَبَرَت بهذا العلم في الأندلس فترات لم يكن يسمح للناس خلالها بأن يعرفوا منه إلا ما لا بد منه لتحديد اتجاه قبلات المساجد ، وتعيين موافيت الليل والنهار على مدار العام لتعرف أوقات الصلوات ، والاستيثاق من مواعيد الأهلة ؛ فإذا تجاوز الإنسان هذه المطالب من هذا العلم فقد غرر بنفسه .

« ونتيجة لهذا كان الناس يرمون بالزندقة كل من تجشم السير في أوطار هذا الطريق ، ومع هذا فقد كان جمهور الناس يتجاوزون عن المنجمين والعرافين ومن يستخرجون الغال والمنتبئين والسحرة وصناع الأحجبة والطلاسم ، وأما الفلك فقد كان محرما مع أنه أقرب إلى العلم والعقل »^(١) . ولهذا السبب فقد ندر اشتغال الناس بالرياضيات في الأندلس - فيما خلا أفراد متفرقين - حتى زمان عبد الرحمن الناصر .

ثم ظهر أحمد بن نصر المتوفى سنة ٩٤٤/٣٣٢ واشتهر أمره بكتابه عن « المساحة المجهولة »^(*) وظهر كذلك مسلمة بن القاسم بن إبراهيم بن عبد الله ابن حاتم (٩٠٤/٢٩٣ - ٩٦٤/٣٥٣) من أهل قرطبة ، وقد انصرف إلى دراسة

(*) ابن حزم : رسالة في فضل الأندلس ، مقرى ، فنج الطيب ، ط يحيى الدين ، ص ٤ ،

الفلك والنجوم والكيمياء وعلوم الغيب فنسبه الناس — لهذا — إلى السحر .
 [وقال فى حقه ابن الفرضى : « سمعت من ينسبه إلى الكذب ، وسألت محمد
 ابن أحمد بن يحيى القاضى عنه فقال لى : لم يكن كذابا ولا كن (كذا) كان
 ضعيف العقل . وكان مسلة صاحب رُقًا ونِيرِ نِجَاتِ »] (*)(٢) .

ف ١٣٢ — مسلة المجريطى ، إقليدس الأندلس :

كان من نتائج سياسة التسامح ورعاية الثقافة التى بدأها الحُكْمُ المسنصر ،
 أن ظهرت المدارس واجتمع المشتغلون بكل علم من العلوم بعضهم إلى بعض .
 وكان الحُكْمُ نفسه من المشغوفين بالدراسة ، وكان يحيط نفسه بالعلماء . وقد جمع
 فى القصر مكتبة عظيمة زاخرة ، واجتهد فى الحصول على كتب علوم الإغريق ،
 وأباح لأهل الرياضة والفلك تعاطى فنونهم وتدريسها لجمهور الناس . ومن ثم
 ظهرت إلى الوجود فيما بعد مدرسةُ الرياضى الفلكى المشهور «مسلة المجريطى»^(٣)
 المتوفى سنة ١٠٠٤/٣٩٤ . ومن بين مآثور كتبه «رسالة الاسطراب»^(٤)
 و «نمار علم العدد»^(٥) وملخص لزيج البتانى سماه «تعديل الكواكب»^(٦) ،
 «رعى بزيج محمد بن موسى الخوارزمى ، وصرف تاريخه الفارسى إلى التاريخ العربى ،
 ووضع أوساط الكواكب فيه لأول تاريخ الهجرة ، وزاد فيه جداول حسنة . على
 أنه اتبعه إلى خطته فيه ، ولم ينتبه إلى مواضع الغلط منه ، وقد نهبت على ذلك
 فى كتابى المؤلف فى «إصلاح حركات الكواكب والتعريف بخطأ الراصدين» .
 وتوفى أبو القاسم مسلة بن أحمد قبيل منبعت الفتنة فى سنة ٣٩٨ وقد أنجب
 تلاميذ جلة ولم ينبج عالم بالأندلس مثلهم»^(٧) . وله ترجمة لكتاب «قبة
 الفلك Planisphaerium لبطليموس ، وقد نشرت ترجمته اللاتينية فى بازل

(*) ابن الفرضى : علماء ، رقم ١٤٢١ .

(**) صاعد الأندلسى : طبقات الأمم ، ط السعادة ، القاهرة ، ص ١٠٧ .

(سويسرا) سنة ١٥٣٦ ، بعنوان :

Sphaerae atque astroium coelestium ratio, natura et motus
 أي « سرعة أملاك السماء وتجومها وطبيعتها وحركتها ». وينسب إليه مؤلف هو أقرب
 إلى كتب الخرافات منه إلى كتب العلم ، يسمى « غاية الحكيم وأحق النتيجين
 بالقديم » ، ويعرف في الترجمات الإسبانية باسم « بكتاريس Pictarix »^(*) .
 ومن تلاميذه المذكورين ابن السمع ، أبو القاسم أصبغ بن محمد التهمري^(٨)
 (٩٨٠/٣٦٩ — ١٠٣٤/٤٢٥) من أهل غرناطة ، وكان نابغة ذا عبقرية رياضية
 أصيلة ، أخذ عن مؤلفاته « ملكنا العالم » (ألفونسو العاشر) . [« كان
 متحققاً بعلم العدد والهندسة ، متقدماً في علم هيئة الأفلاك وحركات النجوم . وكانت
 له مع ذلك عناية بالطب ، وله تواليف حسنة ، منها : « المدخل إلى الهندسة » في
 تفسير كتاب إقليدس ، ومنها كتاب « ثمار العدد » المعروف « بالمعاملات » ،
 ومنها كتاب « طبيعة العدد » تقصى فيه أجزاء من الخط المستقيم والقرص والمنحنى ،
 ومنها كتاباه في الآلة المسماة بالإسطرلاب ، أحدهما في التعريف بصورة صنعتهما وهو
 مرتب على مقلتين ، والآخر في العمل بها والتعريف بجوامع ثمارها ، وهو مقسم
 على مائة وثلاثين باباً . ومنها زيج الذي ألفه على أحد مذاهب الهند المعروف
 « بالسند هند » ، وهو كتاب كبير مقسم على جزئين ، أحدهما في الجداول والآخر في
 رسائل الجداول . وأخبرني عنه تلميذه أبو مروان سليمان بن محمد بن عيسى الناشي
 المهندس أنه توفي بمدينة غرناطة ، قاعدة الأمير حَبُوس بن ماكسن بن مناد
 الصنهاجي ، ليلة الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت لرجب سنة ست وعشرين وأربعمائة
 وهو ابن ست وخمسين سنة شمسية (٢٩ مايو ١٠٣٥) »^{(٩)(١٠)} .

(*) بكتريش تحريف لبقراتيش وهو أبراط :

Cf : Brock G. A. L. Sup. I, p. 431.

(**) مساعد : طبقات الأمم ، ط السعادة ، القاهرة ، س ١٠٧ — ١٠٨ .

R Blachère. Kitab Tabakat al Umam (Paris, 1985) p. 130-131.

(م ٢٩)

ومنهم أحمد بن الصَّغَار ، أبو القاسم أحمد بن عبد الله بن عمر^(١٠) (٩٨٠ / ١٠٣٤)] وكان أيضاً متحققاً بعلم العدد والهندسة والنجوم ، وقعد في قرطبة لتعليم ذلك . وله زيج مختصر على مذهب « السند هند » ، وكتاب في العمل بالإسطرلاب ، موجز حسن العبارة قريب المأخذ . وخرج من قرطبة بعد أن مضى حين من الفتنة ، واستقر بمدينة دانية ، قاعدة الأمير مجاهد العاصري من ساحل البحر الأندلسي الشرقي ، وتوفى بها رحمه الله . وقد أنجب من أهل قرطبة تلاميذ جمة سيأتي ذكرهم بعد إن شاء الله تعالى . وكان له أخ يسمى محمداً ، مشهور بعمل الإسطرلاب ، لم يكن بالأندلس قبله أجل صنفاً لها منه « [*] .

وقد اضطلع المنصور الفيلسوف وأصحابها « تحبباً إلى عوام الأندلس »^(١١) ، ولم يستثن من فروعها إلا الحساب والطب . وقد هاجر من الأندلس — لهذا السبب — نفر من أهل الرياضة ، منهم عبد الرحمن بن إسماعيل بن زيد المعروف بالإقليدسي ، وكان مهندساً ذا شهرة . [وقد قال عنه صاعد : « كان متقدماً في علم الهندسة ، معنياً بصناعة المنطق ، وله تأليف مشهور في اختصار الكتب الثمانية المنطقية . أخبرني عنه ابن أخته أبو العباس أحمد بن أبي حاتم بن عبد . . . بن هرثة بن ذكوان أنه رحل إلى المشرق في أيام الحاجب المنصور بن أبي عامر ، وتوفى هناك . أبوه إسماعيل بن زيد أحد وجوه قرطبة المتقدمين في الشعر والرماية ، وولى أحكام السوق بها في أيام الخليفة الحكم ، رحمه الله » [†] .

ف ١٣٣ — الزرقالي ، بنوهود أصحاب سرفطة :

شملت الأندلس خلال عصر الطوائف — أي خلال القرن الحادي عشر

(*) صاعد : طبقات الأمم ، ص ١٠٨ — ١٠٩ . وقد أورد المؤلف بضع فقرات من كلام صاعد فأتيت به على تواليه .

(**) صاعد : طبقات الأمم ، ص ١٠٣ .

(†) صاعد : طبقات ، ص ١٠٦ . والفراغ الوارد في النص موجود في الأصل ، وقد راجعته على ترجمة ريجيس بلاشير للتأكد .

الميلادى (الخامس الهجرى) - روح تسامح علمى عظيم^(١٢) [قال صاعد :
 «لم تزل الرغبة ترتفع من حين فى طلب العلم القديم شيئاً فشيئاً، وقواعد الطوائف
 نستعصر قايلاً قليلاً، إلى وقتنا هذا . فالحال - محمد الله - أفضل مما كانت بالأندلس
 فى إباحة تلك العلوم والإعراض عن تحجير طلبها ، إلى أن زهد الملوك فى هذه
 العلوم وغيرها »]^(*) . وقد ظهر فى ميدان الفلك ابن برغوث ، محمد بن عمر بن
 محمد (١٠٥٢/٤٤٣) الذى تخرجت على يديه طائفة زاهرة من الرياضيين ، وظهر
 فى طليطلة فيما بين سنتى ١٠٦١/٤٥٢ و ١٠٨٠/٤٧٢ أبو إبراهيم بن يحيى النقاش
 الزرقالى القرطبي^(١٣) ، ويقول فى حقه سانشيد بيريد : « إنه يعتبر أعظم أهل
 الفلك من العرب ، وهو من طبقة أكابر علماء هذا الفن فى العصور القديمة ،
 بسبب طول ممارسته له واستقامة منهجه فيما بيديه من ملاحظات استخراجها من
 تجاربه المباشرة » . وقد وضع جداول فلكية ، وركب اسطرلاباً ، واخترع
 أجهزة دقيقة « كالزرقالية » و « الصفيحة » (وتسمى فى الغرب asafea) ،
 وابتكر فى الفلك نظريات جديدة هامة عن الكواكب السيارة^(**) والحركات
 الدائرية للنجوم . ولكن معاصريه من العلماء تعصبوا عليه بسبب ما جبلوا عليه
 من تعصب فى مسائل العلم ، وأبو أن يقبلوا منه ما قاله معارضة لما ذكره بطليموس

(*) صاعد : طبقات الأمم ، ص ١٠٤ . وقد أضفت هذه الفقرة لأن التهميد لما بعدها

يفتضى ذلك .

(**) فى الأصل :

tratado relativo al movimiento de las estrellas fijas

وقد ضاع الأصل العربى للكتاب ، ولا توجد إلا ترجمة عبرية له . ولكن ملباس
 فاليكروسا وجد قطعاً منه فى بعض المكتبات العربية ، وقد أوردت بيان ذلك فى المادة الخاصة
 بالزرقالى فى التعليقات . وفى إحدى هذه القطع يقول الزرقالى : « ... اعلم أنه لما كان
 الفلك أرفع المحسوسات شأنًا وأوسعها مكانًا ، وأعظمها على الحوادث سلطانًا ، صار من الحق
 الواجب أن يبادر إلى البحث عن أصول الكواكب السيارة ... » ، ولهذا ترجمت *estrellas fijas*
 هنا بالكواكب السيارة .

Cf : Millas Vallicrosa, Estudios sobre Azraqiel (Madrid-Granada, 1943-1950)
 p. 480.

في المجسطى (الكتاب الجليل) . ولكن أفونسو العاشر وعلماء في الفلك استعملوا مؤلفات إزراقيل ، ومن أمثلة ذلك « كتاب الأفق » أو « كتاب أفق الدنيا » (*) و « رسالة في العمل بالصفحة » و « طريقة عمل اسطرلاب لرصد الكواكب السبعة وأفلاكها » (١٤) .

[وإليك نموذجاً من كتابة الزرقالي ، وهو فاتحة رسالته في العمل بالصفحة :
 « . . . أما بعد حمد الله الذي لا يحاط بمعلوماته ، ولا يُدرك كنه ذاته ، فإنّي رأيت الناس ، في القديم والحديث ، قد أعدوا آلات علمية لمعرفة الأوقات ، واختلاف الليل والنهار ، في الطول والقصر ، على كل أفق من الآفاق ، وسائر ما يتصل بهذا : منها ظليّة ومنها شعاعية . والظلية على ضروب : منها ماهي موضوعة للظل المبسوط ، كالأرصاد المسطحة التي لا تمر سطوحها بسمت الرأس ، ومنها أسطوانية أو مخروطية كيفما عمل على وضعها . والشعاعية ما كان فيها أو في أحد عضائدها ثقبان ، يدخل عليهما الشعاع أو يُنظر بهما إلى جرم الكواكب . فنها أرباع الدوائر ، ومنها الكرة ، ومنها الاسطرلاب ، ومنها الحلقة والحاق ، ومنها المضاد ؛ وهذه هي الآلة التي استعملت في القياسات أكثر من غيرها . فأما آلات الظلال فهي ناقصة جداً ، لأن كل واحد منها إنما ينتفع به بالنهار فقط . وأما الحلقة والمضاد وأرباع الدوائر فأكثر ماهي مستعملة في معرفة الارتفاع والظل ، وأما الحلق فقلّ ما تستعمل إلا في معرفة مواضع الكواكب من البروج في الطول والعرض ، وهي صعبة جداً . وأما الكرة فهي نافعة في الوقت على تعيين وضع فلك البروج على الآفاق ، وأحوال المطالع والمغرب ،

(*) العنوان الكامل لهذا الكتاب في ترجمته الإسبانية القديمة هو :

El libro del orizon o de la lamina universal.

وقد ضاع أصله العربي ، وأثبت ملباس فالبيكروسا أن الأصل العربي لعلي بن خلف لا للزرقالي .

Cf : Millas Vallicrosa, op. cit. p. 21

وانظر مادة الزرقالي في تمليقاتنا .

وتوسط السماء ، وأعظم قسي الكواكب التي فوق الأرض وأصغرهما ، وكذلك أجزاء البروج . وأما الاسطرلاب فهو من أحسن الآلات المستعملة ، والأعمال به سهلة [على ا] لجملة ، إلا أنه [] لجميع العروض . وقد جعل فيه عروض السبعة الأقاليم ، فإذا كان العرض الذي يعمل عليه بين إقليمين من السبعة ، ذكر فيه وجه العمل لذلك العرض من أجل التفاضل ، وليس ذلك بصحيح ، بل قد يلزم فيه في بعض المداير والأقاليم تفاوت كثير وبعده عن الصواب ، ولو عمل بوجه يقرب أن يخرج به لطال العمل وفات وقت الحاجة إليه . فلما كان ذلك على ما وصفت ، رأيت أن أرسم صفيحة واحدة رسومها مشتركة ، لمعرفة جميع تلك العروض في كل أفق ، لكي إذا عُدِم واعتاص لإخراج شيء من تلك المطلوبات . علم ذلك المطلوب بهذه الصفيحة وكان ما يخرج بها إلى الفعل صحيحاً . ومن أجل أن رسومها معدة للعمل في أي عرض اتفق ، صار من الاسطرلاب أن لا يوصل إلى علم ما هي معدة له إلا بعد علم مراتب قبله فيها ، إما منها وإما من غيرها . ولذلك قلّ ما يخرج منها مطلوبات كثيرة معاً بعمل واحد ، كما هو ذلك في الاسطرلاب . على أن أكثر وجوه الأعمال بها سهلة ، وربما كان بعضها في العمل أسهل من غيرها من الآلات ، وهي مع ذلك معدة لوجدان الحركات السماوية السريعة والبطيئة ، والأحوال العارضة ، بإضافة بعض مواضع الأرض إلى السماء وإلى حركتها . ونحن نرى أنها قد استوفت جميع ما يحتاج إليه من الأعداد المرسومة والموضوعة ، وهي على ضربين : كاملة حفيظة التخطيط والرسوم ، ومختصرة . والكلام في هذه الرسالة على المختصرة ، وهي تشتمل من أبواب العمل بها على ما لا بد منه ، على ما يأتي ذكره إن شاء الله تعالى » [(*)] .

وظهر في بلاط بني هود في سرقسطة أبو عثمان سعيد بن محمد بن البغونش ، وقد حظى عند يحيى المأمون أميرها بمكان عظيم . وكان ابن البغونش فيلسوفاً

رياضيا ، وكان تلميذاً لمسلمة المجريطى وابن جليجل ، وقد انصرف إلى دراسة الطب في أخريات أيامه ، [وقد قال عنه صاعد الأندلسي : « وقد كان بعد هؤلاء إلى وتتنا هذا جماعة من أشهرهم أبو عثمان سعيد بن محمد بن البغونش ، وكان من أهل طليطلة ثم رحل إلى قرطبة لطلب العلم بها ، فأخذ عن مسلمة بن أحمد علم المدد والهندسة ، وعن محمد بن عبدون الجبلي وسليمان بن جليجل وابن الشناعة ونظراتهم علم الطب ، ثم انصرف إلى طليطلة واتصل بأبيها الظافر إسماعيل بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن عامر بن مطرف بن ذى النون وحظى عنده ، وكان أحد مدبري دولته . ولقيته فيها بعد ذلك صدرَ دولة المأمون ذى الجند بن يحيى ابن الظافر بن إسماعيل بن ذى النون ، وقد ترك قراءة العلم وأقبل على قراءة القرآن ولزوم داره والانتباض عن الناس ، فلقيت منه رجلا عاقلا جميل الذكرو والمذهب حسن السيرة نظيف الثياب ذا كعب جلييلة في أنواع الفلسفة وضروب الحكمة . وتبينت منه أنه قد قرأ الهندسة وفهمها ، والمنطق وضبط كثيراً منه ، ثم أعرض عن ذلك وتشاغل بكتب جالينوس وجمعها وتناولها بتصحيحه ومعاناته ، فحصل [له] بتلك العناية فهم كثير منها . ولم يكن له دربة في علاج المرض ولا طيبة نافذة في فهم الأمراض . وتوفى عند صلاة الصبح يوم الثلاثاء من أول يوم رجب سنة ٤٤٤ (٢٧ أكتوبر ١٠٥٦) وكان إذ توفى سنه خمس وسبعين سنة] (*) (١٥) .

وكان المقنن بالله بن هود (١٠٤٧/٤٣٨ — ١٠٨١/٤٧٣) وابنه يوسف المؤتمن (١٠٨١/٤٧٣ — ١٠٨٥/٤٧٧) أميراً سرقسطة من أكبر المعنيين بالعلوم المشاركين فيها . فأما أولهما — المقنن — فقد تعاطى الفلسفة والرياضيات والفلك ، وألف الثاني — المؤتمن — « كتاب الاستكمال » في الفلك . وقد درسه موسى ابن ميمون ووضع له شرحاً ، وقال إنه جدير بأن يدرس بنفس العناية التي تدرس

(*) صاعد : طبقات الأمم ، ص ١٢٧ — ١٢٨ . وقد نقل هذه الفقرة ابن أبي أصيبعة .

بها كتابات إقليدس وكتاب المجسطى لبطليموس^(١٦) .

وقد أسهم الكرماني ، أبو الحكم عمرو بن عبد الرحمن بن أحمد بن علي (٤٥٨/ ١٠٦٦) بنصيب كبير في ذلك الإزهار الأدبي العلمي الذي اشتهر به بلاط بني هود في سرقسطة . وكان الكرماني تلميذاً لمسلمة الجريطي ، وكان من العاملين على نشر رسائل إخوان الصفاء في الأندلس ، [وقال عنه صاعد : « ... من أهل قرطبة . أحد الراسخين في علم العدد والهندسة . أخبرني عنه تلميذه الحسين بن أحمد بن الحسين بن يحيى المهندس المنجم أنه ما لقي أحداً يجاريه في علم الهندسة ، ولا يشق غباره في فك غامضها وتبيين مشكلها واستيفاء أجزائها . ورحل إلى ديار المشرق وانتهى منها إلى حران من بلاد الجزيرة ، وعنى هناك بعلم الهندسة والطب ثم رجع إلى بلاد الأندلس ، واستوطن مدينة سرقسطة من ثغرها ، وجلب معه الرسائل المعروفة برسائل إخوان الصفاء ، لا نعلم أحداً أدخلها الأندلس قبله ، وله عناية بالطب ومجربيات فاضلة فيه ، ونفوذ مشهور في السكى والقطع والشق والبط^(*) وغير ذلك من أعمال الصناعة الطبية . ولم يكن بصيراً بعلم النجوم التعليمي^(**) ولا بصناعة المنطق . أخبرني عنه بذلك أبو الفضل حسداى بن يوسف بن حسداى الإسرائيلي ، وكان خبيراً به . ومحلّه من العلوم النظرية المحل الذي لا يجارى فيه بالأندلس ، وتوفى أبو الحكم رحمه الله بسرقسطة سنة ٤٨٥ (١٠٩٢) وهو قد بلغ تسعين سنة أو جاوزها بقليل »]^{(+)(١٧)} .

ف ١٣٤ — جابر بن أفلح ، البطروجي ، الرقوطي ، الفلصادي :

وظهر في الأندلس من الرياضيين والفلكيين في القرن الثاني عشر الميلادي

(*) المراد هنا البتر والاستئصال ، وقد ترجمها بلاشير ablation .

(**) ترجم بلاشير هذا الاصطلاح L'astronomie mathematique .

Cf : R. Blachère, op. cit. p. 132

(+) صاعد : طبقات الأمم ، ص ١٠٩ — ١١٠ .

ابن مسعود (١١٣٢/٥٢٦) من أهل إشبيلية وكان فلكياً وله رسالة في حساب المثلثات . وظهر كذلك ابن سهل الضرير ، من أهل غرناطة وكان رياضياً نابهاً وله إلى ذلك عناية بالكيمياء واختصاص في الحيل (١٠٩٦/٤٨٩ — ١٠٧٠/٥٧٠) وكان الكثيرون من نصارى طليطلة ويهودها يفتدون عليه في « بياسة » ليأخذوا عنه الرياضة^(١٨) .

وفي نفس العصر (القرن الثاني عشر الميلادي) ظهر جابر بن أفلح الإشبيلي^(١٩) واشتهر أمره ، وينسب الناس إليه اختراع علم الجبر (بسبب تشابه اسمه واسم هذا العلم) ، وكان متحققاً بكتب مينلاؤس وثيودوسئوس وأتوليكموس وأريستاز كوس وهينسيكليس وهيتاز كوس وغيرهم . وقد أراد أن يتحقق من علامات تغير الفصول ومنازل الشمس ، فقام بتجارب ودراسات خرج منها بملاحظات وآراء شخصية أثبتتها في مؤلفيه « كتاب الفلك » وكتاب في علم النجوم يسمى « كتاب الهيئة » أو « إصلاح المجسطى » ، وقد ترجمه جيراردو الكريموني (ويوجد مخطوطه بمكتبة الإسكريال) . ووضع قبل ذلك رسالة في « حساب المثلثات » عرض فيها صيغه بطريقة مبتكرة^(٢٠) .

ومن علماء الأندلس الذين كان لهم أثر عظيم في الفكر الغربي أبو إسحاق نور الدين البتروجي^(٢١) الذي يسمى في الغرب بألپتراجيئو Alpetragio ، وكان من أهل النصف الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي ، وقد ابتدع نظرية جديدة في حركات النجوم ترجمها إلى العبرية موسى بن طيببون في عام ١٢٥٩/٦٥٧ ، ثم نقلها إلى اللاتينية فالينيموس بن داود سنة ١٥٢٩/٩٣٥ ، وطبع في البندقية بعد ذلك بسنتين . وقد ذهب منندذ إي بلايو إلى أن أجل خدماته للعلم أنه نقض نظرية بطليموس عن العالم من أساسها ، وعارضه في أحص آرائه كقوله بالحركة البيضاوية للكواكب ودورانها حول الشمس وحركات الأفلاك المتقابلة^(٢٢) .

ويعد يحيى بن إسماعيل البياسي (من أهل القرن الثاني عشر الميلادي) من أمهر صنّاع الآلات الجغرافية وكان طبيبياً لصلاح الدين^(٢٣).

ونذكر ممن ظهر في الأندلس خلال القرن الثالث عشر الميلادي — أي في عصر تقلص سلطان الإسلام من الجزيرة تقلصاً سريعاً — ابن البتاء الغرناطي، أبا العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي^(٢٤). وقد ولد في سراكش عام ٦٥٣/١٢٥٦، وكان فيلسوفاً لغويا صوفياً رياضياً، وله في الحساب والجبر الرسالة المسماة «بالتلخيص في أعمال الحساب»، وهو معتمد الطلاب في مدرسة جامع فاس في هذين العامين منذ ألف إلى يومنا هذا^(٢٥).

ومن النابهين في الرياضيات والحساب من أهل القرن الثالث عشر الميلادي أبو بكر محمد بن أحمد الرقوطي من أهل رَقُوطَة (من أعمال مرسية)، وقد رأس أول مدرسة إسلامية أنشأها ألفونسو العاشر في مرسية (سنة ٦٦٧/١٢٦٩)، وتوافد على تلك المدرسة طلاب المسلمين والنصارى واليهود ليدرسوا على يديه. ثم رحل إلى غرناطة ودخل في خدمة سلطانها محمد بن يوسف بن الأحمر، فأنشأ له مدرسة تولى تدريس الرياضيات وغيرها من العلوم فيها حتى وفاته سنة ٧٤٤/١٣٤٤^(٢٦).

ومنهم كذلك ابن الشَّاط السرقسطي (من أهل القرن الثالث عشر) وكان من أجل من ظهر في إقليم أرغون من الرياضيين والفلكيين؛ وابن أب شاكر (من أهل القرن الثالث عشر) وكان مهندساً فلكياً هاجر إلى الشام وأقام فيه، وكان كذلك من أكثر الناس اهتماماً بعلوم اليونان؛ وابن الزَّكَّان الأوسى (سنة ٧١٤/١٣١٥) وقد ولد في مرسية وسكن غرناطة وأدرك شهرة عظيمة إذ لم يكن له ضريب في الرياضيات؛ ومحمد بن سودة، وأصل بيته من المرية وكان رياضياً جليلاً^(٢٧). بل ظهر في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي القلصادي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن علي القرشي، من أهل بَسْطَة، وقد درس في غرناطة ثم رحل في طلب العلم إلى تلمسان وتونس ورحل إلى المشرق ثم عاد إلى الأندلس

وأقام فى غرناطة ولم يبرحها إلا قبيل سقوطها، فضى يتنقل فى بلاد المغرب حتى توفى فى مجاية فى منتصف ذى الحجة سنة ٨٩١/ ديسمبر ١٤٨٦. وهو آخر العظماء من رياضى المسلمين الأندلسيين، ولا زالت كتبه تتدارس إلى اليوم فى جامعة فاس وأهما « كشف الجلباب عن علم الحساب » و « كشف الأسرار — أو الأستار — عن علم وضع حروف الجبار » وغيرها (٢٨).

ولم يصل إلينا من أخبار أعلام الرياضة الأندلسيين الذين ظهوروا فى القرن السادس عشر الميلادى إلا ما يتصل بإبراهيم بن محمد المغربى (توفى فيما بين سنتى ٩٨٨ و ١٠٠٨/١٥٨١ و ١٦٠٠) وله رسالة فى الفلك وأخرى فى الكسوف والخسوف (لا زالت مخطوطة بمكتبة لايدن).

أما الموريسكيون فلم يمارسوا من الرياضيات إلا ما يستعمل فى قسم الموارد، كما تدل على ذلك بضع مخطوطات نشرها سانشيد پيريد، وإنما كانت عنايتهم عظيمة بالطلاسم والتأمم والصيغ ذات الفعل السحرى؛ وقد بقى الكثير مما ألفوه فى هذه الأبواب فى سراش (*) (٢٩).

(*) انظر :

José A. Sánchez Pérez, Partición de Herencias entre los Musulmanes del Rito Malequi (Madrid, 1914)

الفصل الثاني عشر

الطب والنبات

- ف ١٣٥ — أوائل الأطباء .
- ف ١٣٦ — كتاب ديوسقوريدس في الأندلس .
- ف ١٣٧ — أبو القاسم الزهراوى . ابن وافد .
- ف ١٣٨ — ابن رشد . بنو زهر . ابن الموام .
- ف ١٣٩ — أبو جعفر أحمد بن محمد بن السيد العافق .
- ف ١٤٠ — ابن البيطار .

ف ١٣٥ — أوائل الأطباء .

أزهر علم الطب إزهاراً عظيماً بين مسلمي الأندلس . ويحدثنا المؤرخون أن يونس بن أحمد الحراني^(١) وفد على الأندلس من المشرق في إمارة محمد بن عبد الرحمن (٨٥٢/٢٣٧ — ٨٨٦/٢٧٢) واستقر هناك ؛ وأن عمر بن حفص ابن برتق درس في القيروان على ابن الجزار — أبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد القيرواني^(*) — (في النصف الأول من القرن العاشر الميلادي) ، وأخذ عنه كتاب « زاد المسافر » (في علاج الأمراض) ، وهو كتابه الرئيسي ، وهو الذي أدخله إلى الأندلس^(**) . ومن أطباء الأندلس الذين رحلوا إلى المشرق محمد ابن عبّدون الجبلي ، [« رحل إلى المشرق سنة ٩٥٨/٣٤٧ ، ودخل البصرة ومصر ودبر ممارستانيهما ، وتمهر في الطب ونُبِل فيه وأحكم كثيراً من أصوله . وعانى صناعة المنطق عناية صحيحة . وكان شيخه فيها أبا سليمان محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني البغدادي ، ثم رجع إلى الأندلس سنة ٩٧١/٣٦٠ فخدم المستنصر بالله والمؤيد بالله في الطب . وكان — قبل أن يتطبب — مؤدباً في الحساب والهندسة ، وله في التفسير كتاب حسن »]^(†) . ومنهم كذلك الكرمانى ، أبو الحكم عمرو بن عبد الرحمن بن أحمد بن علي .

ومن النباتيين الذين تذكروهم الكتب حديثين بن أبان^(□) ، [« وكان في أيام الأمير محمد بن عبد الرحمن ، وكان طبيباً حاذقاً مجرباً ، وكان صهر بنى خالد ، وله بقرطبة أصول ومكاسب . وكان لا يركب الدواب إلا من نتاجه ، ولا يأكل

(*) ابن أبي أصيبعة : طبقات الأطباء ، ج ٢ ، ص ٣٧ .

(**) « د د د : د د د ، ج ٢ ، ص ٤٥ .

(†) صاعد : طبقات الأمم ، ط . السعادة ، ص ١٢٤ — ١٢٥ .

(□) في الأصل حديثين ، والتصحيح من ابن أبي أصيبعة . انظر : طبقات الأطباء ،

إلا من زرعه ، ولا يلبس إلا من كتان ضيعنه ، ولا يستخدم إلا بنيلاده من
 أبناء عبيده » [(*) (٣) ؛ وحواد الطبيب النصراني (٢٠٧/٨٢٢ - ٢٧٢/
 ٨٨٦) ،] « وكان في أيام الأمير محمد ، وله اللعوق المنسوب إلى جواد ، وله
 « دواء الراهب » والشربات والسفوفات المنسوبة إليه وإلى حمدين وبني حمدين ،
 كلها شجارية » [(**) (٤) ؛ وخالد بن يزيد بن رومان النصراني ،] « كان
 بارعاً في الطب ناهضاً في زمانه فيه . وكان بقرطبة ، وسكنه عند « بيعة سبت
 أبلنج » . وكانت داره المعروفة بدار ابن الشطّجيري الشاعر ، وكسب بالطب
 مبلغاً جليلاً من الأموال والعقار ، وكان صانعاً بيده ، عالماً بالأدوية الشجارية .
 وظهرت منه في البلد منافع . وكتب إليه نسطاس بين جريح الطبيب المصري
 رسالة في البول . وأعقب خالد ابناً سماه يزيد ، ولم يبرع في الطب براعة
 أبيه » [(+) (٥) . وكان سعيد بن عبد ربه — ابن أخي أحمد بن محمد بن عبد ربه
 صاحب « العقد » — طبيباً ذا شهرة ، قال عنه صاعد : « كان طبيباً نبيلاً
 وشاعراً محسناً . وله في الطب رجز جليل محتوي على جملة حسنة منه ، دل به على
 تمكنه في العلم وتحقيقه بمذاهب القدماء . وكان له مع ذلك بصر بحركات
 الكواكب ومهاب الرياح وتغيير الأهوية ... » [(□) (٦) .

ف ١٣٦ — كتاب ديوسقوريدس في الأندلس :

في سنة ٩٤٨/٣٣٧ - ٩٤٩ أرسل إمبراطور بيزنطة قسطنطين السابع
 — المعروف بپورفيروچينيت ، أمي لابس الأرجوان (٧) — سفارة إلى عبد الرحمن
 الناصر . وكان من بين ما حمله الرسل من الهدايا نسخة مكتوبة بالإغريقية من

- (*) ابن أبي أصيبعة : طبقات الأطباء ، ج ٢ ، ص ٤٢ .
 (**) « » : « » ، ج ٢ ، ص ٤١ .
 (+) ابن أبي أصيبعة : طبقات الأطباء ، ج ٢ ، ص ٤١ .
 (□) صاعد : طبقات الأمم ، ص ١٢١ - ١٢٢ .

كتاب ديوسقوريدس في الطب « مصور الحشائش بالصوير الرومي العجيب ، وكان الكتاب مكتوباً بالإغريقي الذي هو اليوناني » (*) . ولما لم يكن في قرطبة من يعرف الإغريقية ، فقد سأل الناصرُ الإمبراطورَ في أن يبعث إليه واحداً من العارفين بها وباللاتينية ، فأرسل إليه عام ٩٥١/٣٤٠ الراهب نيقولا لكي يقوم بتحديد أنواع النبات التي ذكرها ديوسقوريدس — لا بترجمة الكتاب — فنشط في إنجاز ذلك العمل بمعاونة حسداى بن شبروط^(٨) الذائع الصيت ، ومحمد النبأى ، ورجل يسمى البسباسى ، وأبى عثمان الخَزَّاز الملقب باليابسة ، ومحمد بن سعيد ، وعبد الرحمن بن إسحاق بن الهيثم ، وأبى عبد الله الصقلى ، وكان عارفاً باليونانية يتحدث بها ، وكان له إلمام بتركيب العقاقير^(٩) . ويبدو أن أهل الأندلس في ذلك الحين لم يكونوا يعرفون الترجمة العربية لكتاب ديوسقوريدس — التي صنعها اصطنفن بن باسيل على أيام الخليفة العباسى المتوكل — أو الترجمة الأخرى التي قام بها حسان الناطلى أستاذ ابن سينا سنة ٩٨٥/٣٧٤^(١٠) .

وكان لظهور أهل الأندلس على كتاب ديوسقوريدس أثر حاسم في مجرى دراسات الطب والنبات في ذلك البلد ، [ومن دلائل هذا أن عبد الرحمن بن إسحاق بن الهيثم — وكان طبيباً للمنصور بن أبى عامر — ألف كتاباً مختصراً سماه « كتاب الكمال والتمام في الأدوية المسهلة والمقيئة » ، وكتاب « الاكتفاء بالدواء من خواص الأشياء »] (**).

وقد ابتكر سعيد بن عبد ربه — ابن أخى صاحب « العقد » ، ومولى هشام المؤيد — طريقة جديدة في علاج الحميات ، [قال عنها ابن أبى أصيبعة : « كان مذهبه في مداواة الحميات أن يخلط بالمبردات شيئاً من [†] »] ، وله في

(*) ابن أبى أصيبعة : طبقات الأطباء ، ج ٢ ، ص ٤٦ .

(**) « « « : « « « ، ج ٢ ، ص ٤٦ .

(†) يماس بالأصل .

ذلك مذهب جميل ، ولم يخدم بالطب سلطانا . ذكر سليمان بن أيوب الفقيه أنه اعتل بحمى طاولته ، فعالجه ابن عبد ربه محبوب مدورة أوصاه أن يتناول كل يوم منها واحدة ، فلما فعل برئ ^(*) [(١١)] . وكان أحمد وعمر — ابنا يونس بن أحمد الحراني ^(١٢) الآنف الذكر — من الظاهرين في الصناعة الطبيعية ، امتاز أولهما بالخبرة في تحضير الأدوية واشتهر أمر الثاني بالكحالة ، ويُظن أنه هو الذي علم أبا القاسم الزهراوي طريقة استخراج ماء العين (الكنتاراكتا) بواسطة إبرة . [وقد قال في حقهما أبو القاسم صاعد بن أحمد الأندلسي : « رحلا إلى المشرق في دولة الناصر ، وأقاما هناك عشرة أعوام . ودخلا بغداد ، وفرآ فيها على ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة الصابي كتب جالينوس عرضاً . وخدما ابن وصيف في عمل علل العين . وانصرفا إلى الأندلس في دولة المستنصر بالله ، وذلك في سنة ٩٦٢/٣٥١ فألحقهما بخدمته في الطب ، واستخلصهما لنفسه من سائر أطباء وقته . ومات عمر فيها ، وبقي أخوه أحمد أثيراً عند الحكم إلى آخر أيامه . ثم ولاء هشام المؤيد بالله خطة الشرط وخطة السوق . وكان يداوى العين مداواة نفيسة ، وله في ذلك في قرطبة آثار عجيبة ^(*) . وأضاف ابن أبي أصيبعة أن المستنصر « أسكنهما مدينة الزهراء واستخلصهما لنفسه دون غيرها ممن كان في ذلك الوقت من الأطباء . ومات عمر وبقي أحمد مستخلصاً ، وأسكنه المستنصر في قصره بمدينة الزهراء . وكان لطيف المحل عنده ، أميناً ، يُطْلِعُه على العيال والكرائم . وكان عاقلاً عالماً بما شاهد علاجه ورآه عياناً بالمشرق . وتوجّه عند المستنصر ، وكان يصنع له الجوارشقات الحادة العجيبة ، لأن المستنصر كان نهما في الأكل ، فكانت تحدث له تجمّة لذلك . وأفاد مالا عظيماً ، وكان ألكن اللسان رديء الخلق لا يقيم هجاء حروف كتابه . وكان بصيراً بالأدوية وصانعا للأشربة والمعجونات ومعالجا

(*) ابن أبي أصيبعة : طبقات الأطباء ، ج ٢ ، ص ٤٦ .

(:٢) صاعد : طبقات الأمم ، ص ١٢٤ .

لما وقف عليه . وذكر ابن جليل أنه رأى له اثني عشر صديقا صقالبة طباطخين للأشربة صناعين للمعجونات بين يديه . وكان قد استأذن أمير المؤمنين المستنصر أن يعطى منها من احتاج من المساكين والمرضى ، فأباح له ذلك . وكان يداوى العين مداواة نفيسة ، وله بقرطبة آثار في ذلك . وكان يواسى بعلمه الجار والصديق والمسكين والضعيف . وولاه هشام المؤيد خطة الشرطة وخطة السوق ، ومات بحمى الربيع وعلّة الإسهال ، وخلف ما قيمته أزيد من مائة ألف دينار » [(*) (١٣)]
وأعظم نبأى ظهر في عصر الخلافة هو أبو داود سليمان بن حسان بن جليل (١٤)
وكان طبيبا لهشام المؤيد . وقد وضع مؤلفا حسنا « فسر [فيه] أسماء الأدوية المفردة من كتاب ديورسقوريديس العين زربى (١٥) » وأفصح عن مكنونها وأوضح مستغلق مضمونها « (†) » ، وله كذلك مؤلف عن الترياق نبه فيه على أغاليط بعض الأطباء . وألف تاريخا للأطباء في خلافة هشام المؤيد ، مما يدل على أن العلم كان قد بلغ درجة عظيمة من التقدم في الأندلس خلال القرن العاشر الميلادى (الرابع الهجرى) (١٥) . ولعريب بن سعد القرطبى كتاب يسمى « خلق الجنين وتدير الحبالى والمولود » (مخطوط بمكتبة الإسكريال) وهو بحث طيب يتناول كل ما يتصل بالطفل . وجدير بنا أن نذكر كذلك التقويم الذى وضعه ، وهو المسمى بـ « التقويم القرطبى » — وهو بالعربية واللاتينية معا — إذ هو عظيم الفائدة فى كل ما يتصل بالفلاحة (ف ٦٥ ب) .

ف ١٣٧ — أبو القاسم الزهراوى . ابن واقف :

وأعظم أطباء ذلك العصر هو من غير شك أبو القاسم خلف الزهراوى (١٦)
(نسبة إلى مدينة الزهراء ، وهو المعروف عند اللاتين باسم أبونكاسيس)

(*) ابن أبى أصيبعة : طبقات الأطباء ، ج ٢ ، ص ٤١ .

(†) نسبة إلى عين زرب ، ولهذا يسمى Dioscorides Anzarbio .

(†) ابن أبى أصيبعة : طبقات الأطباء ، ج ٢ ، ص ٤١ .

Abulcasis ؛ ٩٣٦/٣٢٤ — ١٠١٣/٤٠٣) وقد طار ذكره بين أهل الشرق والغرب بالبراعة في الجراحة . وكتابه المسمى بـ « التعريف لمن عجز عن التأليف » يعتبر بحق موسوعة طبية ، وقد ترجمه إلى اللاتينية جيراردو الكريوني (*) وسماه ألسَاهَارْ أَفَارَبُوسُ Alsaharavius أو Açaravius (تحريران لاسم الزهراوي) ، ونقله إلى العربية شَمَّ طُبُّ ، وكَثُرَ اعتماد الناس عليه في العصور الوسطى . وقد طُبعت الترجمة اللاتينية لكتاب الزهراوي على مراحل : ففي عام ١٥١٩ طبع منها جزء بعنوان « كتاب النظر والعمل » Liber theoricae et practicae ، وكان جزء آخر قد طبع وكثر استعماله منذ عام ١٤٧١ هو « كتاب الخادمين » Liber servitoris وموضوعه تحضير الأدوية المفردة ، وقد انتفع به الناس كثيراً . أما الجزء الثلاثون من كتاب الزهراوي الذي نشر في اللاتينية باسم « الجراحة » Chirurgia فقد كان أهم وأذيع كتاب في تاريخ الطب كله ، وقد ارتفع به الزهراوي في أعين الناس إلى طبقة أبقراط وجالينوس . وهو يحوى رسوم الآلات الجراحية ، وهو أول من وُلِّف جعل الجراحة علماً قائماً بذاته مستقلاً عن الطب وأقامها على أساس من العلم بالتشريح^(١٧) . وكان يُنسب إليه كتاب في الصحة من تأليف ابن بطلان .

ومن المذكورين من أطباء القرن العاشر الميلادي (الرابع الهجري) أبو عبد الله محمد بن الحسين المعروف بابن السكتاني^(*) ، [قال عنه صاعد : كان أخذ الطب عن عمه محمد بن الحسين وطبقته ، وخدم به المنصور محمد بن أبي عامر وابنه المظفر ، ثم انتقل إلى مرسطة واستوطنها . وكان بصيراً بالطب متقدماً فيه ذا حظ من المنطق والنجوم وكثير من علوم الفلسفة ، أخبرني عنه الوزير أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن عبد الكبير بن وافد اللخمي ، أنه كان دقيق الذهن ذكي

(*) نسبة إلى كريتونا في إيطاليا ، لا إلى قرمونة الأندلس .

(١٧) في طبعة شيخو : اليكساني ، وقد أخذ بهذه القراءة بلاشير في الترجمة الفرنسية لطبقات صاعد . انظر ص ١٤٨ من هذه الترجمة .

الخاطر جيد الفهم حسن النوليد والتتبيح؛ وكان ذا ثروة وغنى واسع، وتوفي قريباً من سنة ٤٢٠ (١٠٢٩)، وقد قارب ثمانين سنة. وقرأت في بعض تأليفه قال: أخذت صناعة المنطق عن محمد بن عبدون الجبلي، وعمر بن يونس بن أحمد الحراني، وأحمد بن حفصون الفيلسوف، وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم العاصمي النحوي، وأبي محمد عبد الله بن مسعود البجاني، ومحمد بن ميمون المعروف بمرّكوش، [و] أبي القاسم فيد^(*) بن نجم، وسعيد بن فتحون السرقسطي المعروف بالحمّار، وأبي الحرث الأسقف تلميذ ربيع بن زيد الأسقف الفيلسوف، وأبي مروان البجاني^(**)، ومسلمة بن أحمد المجرطي^(†). وقد ألف كتاباً عن الأدوية المفردة، ضاع فيما ضاع من الكتب^(١٨).

ومنهم كذلك حامد بن سمجون الذي ألف كتاباً في العقاقير^(١٩).

ولا نلتقي خلال القرن الحادي عشر الميلادي إلا أطباء ونباتيين من طبقة نالية لمن ذكرنا، مثل محمد النيمي الطليطلي الذي ألف كتاباً في الطب (مخطوط بمكتبة الإسكريال) شرح فيه تشخيص الأمراض وأعراضها، وهو عظيم الفائدة شكلاً وموضوعاً، أي بسبب المنحى الذي انتحاه في تأليفه وصيغ مادته نفسها والطريقة التي اتبها في تعليم الطب عن طريق الممارسة؛ وابن وافد، وهو الوزير أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد بن عبد الكبير بن وافد بن مهند اللخمي المسمى عند اللاتين بابن ويفيث Eben Guefith (٩٩٨/٣٨٨—١٠٧٤/٤٦٦)^(٢٠)،

(*) في الطبقات المصرية من طبقات صاعد: فند.

(**) في الطبقات المصرية: التجاني، وهو خطأ.

(†) صاعد: طبقات الأمم، ص ١٢٥—١٢٦. وانظر: ابن أبي أصيبعة: طبقات

الأطباء، ج ٢، ص ٤٥.

وهناك كتان آخر هو أبو الوليد محمد بن الحسين المعروف بابن الكتان. كان طبيباً للناصر والسنصر، وهو عم أبي عبد الله هذا. انظر: صاعد: طبقات الأمم، ص ١٢٣؛ وابن أبي أصيبعة، ج ٢، ص ٤٥. ويرد اسمه اليكتاني أيضاً؛ وقد أخذ بهذه الصيغة للاشير في الترجمة الفرنسية لماعد؛ انظر ص ١٤٦.

وكان وزيراً لابن ذى النون صاحب طليطلة ، وكان متحققاً بعلم الطب والعلاج . وكان من مذهبه أن يستعمل الأغذية ما أمكنه ذلك ، فإذا لم تنجح لجأ إلى الأدوية المفردة قبل أن يلجأ إلى المركبة . وله كتب كثيرة في الأدوية والبجارب الطبية وطب العيون وما إلى ذلك . [قال عنه صاعد : « أحدُ أشراف أهل الأندلس وذوى السلف الصالح منهم والسالفة القديمة فيهم عنى عناية بالغة بقراءة كتب « جالينوس » وتفهمها ، ومطالعة كتب « أرسطاطاليس » وغيره من الفلاسفة . وتآمر فى علوم الأدوية المفردة ، حتى ضبط منها ما لم يضبطه أحد فى عصره ، وألف فيها كتاباً جليلاً لا نظير له ، جمع فيه ما تضمنه كتاب « ديوسقوريدوس » وكتاب « جالينوس » المؤلفين فى الأدوية المفردة ، ورتبه أحسن ترتيب . وهو مشتمل على قريب من خمسمائة ورقة ، وأخبرنى عنه أنه عانى جمعه وحاول ترتيبه وتصحيح ما ضمنه من أسماء الأدوية وصفاتها ، وما أودعه إياه من تفصيل قواها وتحديد درجاتها [قريباً] من عشرين سنة ، حتى كمل موافقاً لغرضه مطابقاً لبيئته . وله فى الطب منزع لطيف ومذهب نبيل : وذلك أنه لا يرى التداوى بالأدوية ما أمكن التداوى بالأغذية أو ما كان قريباً منها ، فإذا دعت الضرورة إلى الأدوية فلا يرى التداوى بمركبها ما وصل إلى التداوى بمفردها ، فإن اضطر إلى المركب لم يُكثر التركيب ، بل اقتصر على أقل ما يمكن منه . وله نوادير محفوظة وغرائب مشهورة فى الإبراء من العلل الصعبة والأمراض المخوفة بأيسر العلاج وأقربه . وهو فى وقتنا هذا حى مستوطن مدينة طليطلة . وأخبرنى أنه ولد فى ذى الحجة سنة ٣٩٨ (أغسطس ١٠٠٨ هـ) (*) .

ومنهم ابن حجاج القرطبي الذى وضع فى الزراعة كتاباً أشار إليه ابن البيطار واستعمله ابن العوام ؛ وأبو عبيد الكرى الجغرافى فقد وضع كتاباً عن أهم نباتات الأندلس وأشجارها .

ونذكر ممن اشتغل بالطب من يهود الأندلس أبو الوليد مروان بن جفاح النحوي الفيلسوف ، فقد كتب كتاباً مختصراً عن العقاقير والموازن والأكيال ؛ ويونس بن إسحاق^(٢١) بن بُكْلَارِش — أو بِكْلَارِش — الذي كتب كتاباً في الطب سماه « الْمُسْتَعِينِي » ، لأنه ألفه للمستعين بن هود صاحب سرقسطة ، وقد أورد فيه أسماء الأدوية بالسريانية والفارسية واليونانية والعربية و « اللطينية » والعجمية العامية التي كان يستعملها أهل الأندلس^(٢٢) .

وفما بين القرنين الحادى عشر والثانى عشر الميلاديين (الخامس والسادس المجرىين) عاش فى الأندلس نباتى واسع العلم نجمل اسمه ، وقد خلف معجماً بأسماء النبات (نشر آسين پلاثيوس مستخرجاً منه على هيئة معجم عنوانه :

Glosario de voces romances registradas por un botánico anónimo hispano-musulmán de los siglos XI y XII) .

وهذا المعجم يمدنا بمعلومات ذات أهمية كبرى عن نبات الأندلس وجغرافيته وما كان لأهله من تقاليد شعبية ؛ هذا إلى ما فيه من الفائدة لدراسة مجمية أهل الأندلس فى أدوارها الأولى^(٢٣) .

ف ١٣٨ — ابن رشد . بنو زهر . ابن العوام :

بلغ الطب العربى أوجه فى إسبانيا خلال القرن الثانى عشر الميلادى ، أى فى ذلك العصر الذى جمع الفلاسفة فيه بين الفلسفة والطب ، كأبى الصلت أمية ابن عبد العزيز الدانى (ف ١٠٤) ، وابن باجة الذى اشتراك مع سفيان الأندلسى فى تأليف « كتاب التجارب » ، وقد استدركا فيه على ابن وافد الطليطلى ما فاته فى كتابه عن الأدوية المفردة^(٢٤) ؛ وكذلك أبو الوليد بن رشد ، الذى تداول الناس كتابه « الكليات » واستعملوه فى خلال العصور الوسطى كلها ، إذ أنه يتناول التشريح ووظائف الأعضاء والأمراض وأعراضها والأدوية والأغذية وحفظ الصحة والعلاج ؛ وكان لأبى الوليد ابن طيب كذلك .

[وإليك فقرة من مقدمة « الكليات » تعرفنا بمنهج ابن رشد فى تأليفه

والموضوعات التي تناولها فيه] :

« إن صناعة الطب هي صناعة فاعلة عن مبادئ صادقة ، يلتمس بها حفظ بدن الإنسان وإبطال المرض ، وذلك بأقصى ما يمكن في واحد واحد من الأبدان ، فإن هذه الصناعة ليس غايتها أن تبرى ولا بد ، بل أن تفعل ما يجب بالمقدار الذي يجب وفي الوقت الذي يجب ، ثم تنظر في حصول غايتها كالحال في صناعة الملاحاة وقود الجيوش .

« ولما كانت الصناعات الفاعلة — بما هي صناعات فاعلة — تشتمل على ثلاثة أشياء : أحدها معرفة موضوعاتها ، والثاني معرفة الغايات المطلوب تحصيلها في تلك الموضوعات ، والثالث معرفة الآلات التي تحصل بها تلك الغايات في تلك الموضوعات ، انقسمت — باضطرارٍ — صناعة الطب أولاً إلى هذه الأقسام الثلاثة : فالقسم الأول ، الذي هو معرفة الموضوعات ، يعرف فيه الأعضاء التي يتركب منها بدن الإنسان البسيطة والمركبة . ولما كانت الغاية المطلوبة هنا صنفين : حفظ السحة وإزالة المرض ، انقسم هذا الجزء إلى قسمين : أحدهما يعرف فيه ما هي الصحة لجميع ما به تتقوم ، وهي الأسباب الأربعة التي هي : العنصر والصورة والفاعل والغاية وجميع لواحقها ، والقسم الثاني يعرف فيه ما هو المرض أيضاً بجميع أسبابه ولواحقه . ولما كان أيضاً ليس في معرفة مائة الصحة والمرض كفاية في حفظ هذه وإزالة هذا ، انقسم هذان الجزءان أيضاً إلى جزئين آخرين : أحدهما يعرف فيه كيف تحفظ الصحة ، والثاني كيف يبطل المرض .

« ولما كانت الصحة أيضاً والمرض ليسا بيدين بأنفسهما من أول الأمر ، احتيج أيضاً إلى تعرف العلامات الصحية والمرضية ، وصار هذا أيضاً أحد أجزاء هذه الصناعة . وإذا كان ذلك كذلك ، فباضطرارٍ ما انقسمت هذه الصناعة إلى سبعة أجزاء عظي :

« الجزء الأول يذكر فيه أعضاء الإنسان التي شوهدت بالحس ، البسيطة والمركبة .

« والثاني تعرف فيه الصحة وأنواعها ولواحقها .

« والثالث المرض وأنواعه وأعراضه .

« والرابع العلامات الصحية والمرضية .

« والخامس الآلات ، وهي الأغذية والأدوية .

« والسادس الوجه في حفظ الصحة .

« والسابع الحيلة في إزالة المرض .

« ونحن نقصد في ترتيبها ها هنا إلى هذه القسمة ، إذ كانت هي القسمة

الذاتية لها » [.

يبد أن زعامة الطب في ذلك العصر عقدت بلواء بنى زهر^(٢٥) : أبى مروان

عبد الملك بن زهر وابنه أبى العلاء بن زهر المتوفى سنة ١١٣١/٥٢٥ ، ثم أعظمهم

جميعاً أبى مروان عبد الملك بن أبى العلاء بن زهر ، الذى توفى فى سراكش سنة

١١٦٢/٥٥٧ ونقل جثمانه بعد ذلك إلى إشبيلية حيث دفن فى مقبرة بنى زهر ،

وكان فى خدمة خلفاء الموحدين وكان يأنف من الفصد والجراحات (على الرغم

من أنه لجأ إلى الجراحة فى بعض الأحيان ونجح فيها) ، وكان يرى كذلك

أنه لا ينبغى للطبيب أن يقوم بتحضير الأدوية ، فسبق بهذا إلى مفهوم الطب

الحديث من فصل الجراحة عن الطب الباطنى وعن الصيدلة . وصرف همه

كله إلى الطب الباطنى ، فألف فيه كتاب « الاقتصاد » وهو دراسة للطب

عامة ، وكتب كتاباً آخر فى الأغذية والأدوية ، وكتاباً ثالثاً يسمى « التيسير »

أهداه إلى ابن رشد ، وهو كتاب تتجلى فيه شخصية ابن زهر بكل وضوح ،

ويعتبر خير ما ألف العرب فى الطب العملى ، فقد تمرر فيه من كل ما كان يقيد

غيره من آراء نظرية ، وهو يأخذ فيه بما تؤدى إليه الملاحظة المباشرة ، مفضلاً

ذلك على متابعة جالينوس وغيره من القدماء^(٢٦) . وقد عهد أبو يعقوب

الموحدى خليفة الموحدين إلى أبى بكر محمد بن أبى مروان هذا (١١١٣/٥٠٦ -

١١٩٩/٥٩٥) فى أن يجمع كتب الفلسفة .

ف ١٣٩ — أبو جعفر أحمد بن محمد بن السيد الغافقي :

(من أهل القرن السادس الهجري ، الثاني عشر الميلادي) (*) . ذكره ابن البيطار أكثر من مائتي مرة في كتبه . ألف الغافقي كتاب « الأدوية المفردة » عن العقاقير والأعشاب ، وقد ضاع أصله ولم يبق لنا إلا مختصر له عمله أبو الفرج ابن العبري (بارهيبرايوس المتوفى سنة ١٢٨٦/٦٨٤) . وقد نشر هذا المختصر ماكس مايرهوف وجورج صبيحي في القاهرة (سنتي ١٩٣٢ و ١٩٣٣) (*) ، ويرى مايرهوف أن الغافقي « أعلم أطباء المسلمين في العصور الوسطى بالأدوية والأعشاب » (٢٧) . وقد قام هذا العالم الألماني بترجمة مؤلف الغافقي البالغ الغرابة المعروف « بالمرشد في الكحل » (٢٨) (+) .

(*) ذهب فستنفلد إلى أنه مات سنة ١١٦٤/٥٥٩ ، وتساءل مايرهوف وصبيحي عن السند الذي اعتمد عليه فستنفلد ليقرر هذا .

Cf : WESTENFELD, *Gesch. der arabischen Aerzte*. (Goettingen, 1840)p. 98.
M. MEYERHOF and G.P. SOBHY, *An abridged version of the Book of Simple Drugs*. (Cairo, 1932) p. 32.

(*) رجعت إلى كتاب الدكتورين مايرهوف وصبيحي المشار إليه هنا وفي الهامش السابق ، فتبينت أن پالنيا قد اختصر كلامهما اختصاراً أضع جزءاً كبيراً من قيمته ، كما ترى في العبارة التي بدأ بها كلامه عن الغافقي . أما ما قاله المؤلفان فهو أن ابن البيطار لم يذكر الغافقي مائتي مرة مجرد ذكر ، بل نقل عنه في أكثر من مائتي موضع ؛ بل تبيننا أن كتاب ابن البيطار إن هو إلا نقل لكتاب الغافقي برمته مع زيادة أشياء قليلة نقلها عن عشائرين آخرين ، مثل الإدريسي وأبي العباس النباتي .

Cf : MEYERHOF and SOBHY, op. cit. pp. 31-33.

MEYERHOF : *Esquisse d'histoire de la Pharmacologie chez les musulmans d'Espagne*. Al-Andalus, vol. III, 1935, fasc. 1, pp. 17-19.

(+) لم أعتز على ما يؤيد هذه العبارة الأخيرة . ويبدو أن الأمر قد أشكل على پالنيا أثناء قراءة البحث الذي أشرنا إليه لمايرهوف وصبيحي ، فهما يقولان بوضوح (ص ٣٢ من الجزء الأول) أن هناك غافقياً آخر ، يسمى أحمد بن قاسم بن أسلم الغافقي ، صاحب كتاب كبير عن طب العيون يسمى « مرشد الكحل » ؛ وأضاف مايرهوف في الهامش رقم ٣ من نفس الصفحة ، أن صديقاله طلب إليه أن يترجم الأجزاء المهمة من هذا الكتاب لتقرأ في المؤتمر الدولي الرمدي في مدريد سنة ١٩٣٣ . وقد أشار مايرهوف إلى أنه قام بهذا العمل ونشره . ومن الطريف أن پالنيا ذكر ابن قاسم الغافقي وكتابه « مرشد الكحل » في الطبعة الأولى من كتابه (ص ٢٦٩) وفرق بينه وبين أبي جعفر الغافقي .

[وإليك مادة من « منتخب كتاب جامع المفردات » للغافقي ، وقد انتخبه أبو الفرج غريغوريوس المعروف بابن العبري (بارهيبرايوس) ، نوردها بشروح ماكس مايرهوف وجورج صبحي عليها ، ليتبين القارئ مكانة الغافقي في علم الأدوية المفردة ، ومدى اطلاعه على أصوله وأسلوبه في التأليف :

« إَشْخِيص : هو شوكة العَلِك (*) ، وهو باليونانية خامالاون *χამαιλέων* أي حرباء . وإنما سمي خامالاون لاختلاف الورق ، فإنها قد توجد خضراء جداً ، وإلى البياض ، وإلى لون السماء ، وإلى حمرة الدم ، على قدر اختلاف الأماكن التي تنبت فيها . خمالاون لوقس (*Khamailéon Leukós*) *Χαμαιλέων λευκός* أي الأبيض ، (*Chamaleon*) *χάμαιλέων* ، وقد يسمى إقسيا (*Ἰξία* (*ixia*) لأنه نبات يوجد عند أصله في بعض المواضع إقسوس (*ἰξός*) وهو الدَبَق (**)) ، فاشتق من إقسوس إقسيا (*Ἰξία*) ومعناه الدَبَق . يشبه ورق الشوكة المسماة بالشام العسكوب (†) والشوك المسمى سقولومس (□) *σκόλυμος* وينبت في أوسطه شوكة كشوك القنفذ البحري أو كشوك القينارا (***) *κινάρα* (*Kinára*) ، وله زهر فُرْفُيرى (***) مثل الشعر وثمر كالتقرطم . وأصله في الأرض التربة غليظ وفي الجبلية دقيق . ولون داخله أبيض ، وفي رانحته شيء من طيب وكرامة ، وهو حلو . إذا شرب أصله أخرج حب القرع والدود ، وإذا عجن بالماء والزيت قتل الكلاب والخنازير والفار ، وشربه ينفع من نهش الهوام .

(*) العلك هو البلوط ، وشوكة العلك بالإنجليزية *pine thistle* وباللاتينية *atractylis echinops* ، وذهب ابن البيطار إلى أن العلك لفظ من جمجمة الأندلس .

(*) ترجمها مايرهوف وصبحي *viscous matter* .

(†) علق مايرهوف وصبحي على هذا اللفظ بعبارة : *Diosc. the globe thistle* ،

. *Echinops*

(□) *Scalymus hisp. golden thistle*.

(***) *Kinara, artichoke*.

(***) أي شديد الاحمرار .

« (دج) (*) : خمالون ماكس^(†) (Khamailéon mélas) χαμαιλίον μέλας
 أى أسود ، ورقه أيضاً كورق الشوك المسمى سقولومس (Skólymos) σκόλυμος
 إلا أنه أصغر وأدق منه ، وفيه حمرة كحمرة الدم ، ساقه في غلظ الأصبع ، طولها
 شبر ، لونها إلى حمرة الدم ، عليها إكليل وزهر مشوك دقاق ، لونه شبيه بزهر
 النبات المسمى أوقينثوس (hyákynthos) υάκινθος — هيا كَنُثُوس ، وفيه
 نقط ، وأصل أسود غليظ كثيف ، إذا مُضغ لذع اللسان . ينبت في الصحارى
 اليابسة والتلال والسواحل » (†) .

وينص ابن البيطار كثيراً على كتاب في الأدوية المفردة للإدريسى الجغرافي
 المعروف (١١٠٠/٤٩٣ — ١١٦٦/٥٦١) ، يسمى « كتاب الجامع لصفات
 النبات » ، وكان يُظن أنه قد ضاع حتى عثر عليه مايرهوف وقام بدراسته في
 سنة ١٩٣٠ (مخطوط رقم ٣٦١٠ مكتبة الفاتح في استامبول) (□) . وهذا
 الكتاب يعتمد اعتماداً تاماً على كتاب ديوسقوريدس الأنف المذكور .

وقد كان الفيلسوف المعروف أبو عمران موسى بن ميمون (مايمونيدس عند
 اللاتين) مبرزاً في صناعة الطب أيضاً . وكتابه المسمى « شرح أسماء العقار »
 ذوفائدة جلية ، وقد نشره مايرهوف في القاهرة سنة ١٩٤٠ [على أساس
 المخطوط رقم ٣٧١١ ، آيا صوفيا] (**).

(*) أى قال ديوسقوريدس وجالينوس .

(†) كذا في الأصل المطبوع ، والأغلب أنها مالت ، لأن كتابتها باليونانية تقرأ
 تخاميليون مِلاَس .

(‡) انظر . منتخب جامع المفردات لأحمد بن محمد بن خلد النافق ، المتوفى سنة ٥٦٠ /
 ١١٦٤ . انتخبه أبو الفرج جريجوريوس المعروف بابن العبري المتوفى سنة ٦٨٤ / ١٢٨٥ .
 نشره مع ترجمته الإنجليزية وشروحات ماكس مايرهوف وجورج صبحي (القاهرة ، بدون
 تاريخ) ص ٣٣ . والترجمة الإنجليزية :

The abridged version of the book of drugs...p.25.

(□) Cf : MEYERHOF and SOBHAY, op. cit. p. 47.

(**) Cf : MEYERHOF, *Esquisse* . . . p. 27.

ومن أعلام النباتيين الأندلسيين أبوزكريا يحيى بن محمد بن العوام صاحب كتاب «الفلاحة» ، (نشره وترجمه إلى الإسبانية بانكوييري J. A. Banqueri في مدريد سنة ١٨٠٢ ، وترجمه إلى الفرنسية كليمان موليه ، ونشره في باريس فيما بين عامي ١٨٦٤ — ١٨٦٧) (*). وهذا الكتاب يعطينا فكرة عن ازدهار الزراعة في الأندلس الإسلامية (وقد كان المؤلف نفسه من المشتغلين بالزراعة في ناحية إشبيلية) ، وهو أشبه بدائرة معارف تاريخية عن الفلاحة . وكان له أثر كبير في كتابات ج . ١٠ . دِهْرِيَّرا G. A. de Herrera .

[وإليك فقرات من مقدمة «كتاب الفلاحة» تدل على أسلوبه ومنهجه العلمي في تأليفه :

« ... قال مؤلفه الشيخ الفاضل أبوزكريا يحيى بن محمد بن أحمد بن العوام ، عفى الله عنه : الحمد لله رب العالمين ؛ وأما بعد ، فإنني لما قرأت كتب فلاحه المسلمين الأندلسيين و[كثيراً] من كتب غيرهم من القدماء المتقدمين في صنعة فلاحه الأرضيين ، المضمّنة كيفية العمل في الزراعة والغراسة ولواحق ذلك ، وما يتعلق به من كتبهم في فلاحه الحيوان ، وما وصل إلىّ منها ، ووقفت على ما نصوه فيه ، نقلت من عيونها إلى هذا التأليف ما إن نظر فيه ، وحفظ أبوابه وفصوله ومعانيه ، من يريد أن يتخذ هذا الفن صنعة يصل بها بحول الله إلى معاشه ، ويستعين بها على قوته وقوت عياله وأطفاله ، وجد فيه حاجته .

»
« اعلم وفقنا الله وإياك أني قسمت هذا التأليف على خمسة وثلاثين باباً ، وضمنت الأبواب من هذا الفن أنواعا تقف عليها إن شاء الله تعالى وبه أستعين وعليه أتوكل .

» واعتمدت على ما تضمنه كتاب الشيخ الفقيه الإمام أبو عمر بن حجاج

(*) Cf : Le Livre de l'agriculture d'Ibn al-Awam, trad. p. J.-CLEMENT-MULLET. Paris, 1864-1867, 3vols.

رحمه الله السمي « بالمقنع » ، وهو الذي ألفه سنة ٤٦٦ — وهو مبنى على آراء
 أجلة الفلاحين والمتكلمين — نقل فيه نصوص أقوالهم وعزاها إليهم وعددهم ثلاثون
 رجلا . والقدمون منهم يونيوس (Junius Moderatus Columela) ، وبارون
 (Varron) ، ولا قطيوس (Lecacio) ، ويوقنصوس (Yucansus) ، وطارطيوس
 (Tartius) ، وبتدون (Betodun) ، وبريمايوس (Bariaius) ، وديمقراطيس
 الرومي (Democritus) ، وكسينوس (Casianus Basus Scolasticus) ،
 والمتأخرون في زمانهم ، منهم الرازي وإسحاق بن سليمان وثابت بن قرة وأبو حنيفة
 الدينوي وغيرهم ممن لم نُسَمَّه .

« واعتمدت أيضا مع ذلك على ما استحسنته مما تضمنته الكتب المذكورة بعد
 هذا ، منها كتاب « الفلاحة النبطية » تأليف قوثامي (*) ، وهو مبنى على أقوال
 أجلة الحكماء وغيرهم ، وذكر فيه أسماء وعددهم ، منهم آدم وصغريت ونغبوشاد
 وأخنوخا وماسي ودونا وطامتري وغيرهم ، وربما اختصرت ذكر هذا الكتاب
 وأثبت له علامة وهي « ط » ؛ وعلى كتاب الشيخ أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن
 البصّال الأندلسي رحمه الله ، وهو المبنى على تجار به ، وعلامته على وجه الاختصار
 هي « ص » ؛ وعلى كتاب الشيخ الحكيم بن الخليل الإشبيلي رحمه الله ، وهو مبنى
 على آراء جماعة من الحكماء والفلاحين وعلى تجار به ، وعلامته « خ » ؛ وكتاب
 الحاج الفرناطى وعلامته « غ » ... [(٥٠)] .

[وإليك فقرة أخرى من الكتاب يتحدث فيها عن الكثرى :

« فصل : وأما صفة العمل في غرسة شجر الكثرى الذي يسميه العامة

(*) كذا في الأصل ، والمعروف أن مؤلف كتاب « الفلاحة النبطية » هو ابن
 وحشيبة .

(٥٠) أبو زكريا يحيى بن محمد بن العوام الإشبيلي : كتاب الفلاحة ، طبعة منكبرى ،
 مدريد ١٨٠٢ ، ج ١ ، ص ٧ — ١١ .

الأجاص ، قال خ : هو نوعان : جبلي وبستاني . وهو أنواع : منه السكري ،
والذكري ، والقرعى ، والسراجي ، وغير ذلك .

« وفي ق : من الكثرى حلو ومنه مر ، ومنه قليل الما [ء] وكثير الما [ء] ،
ومنه كبير ومتوسط وصغير .

« ومن كتاب أبي حجاج ، رحمه الله : قال يוניوس : إن جنس الكثرى
يحب المواضع الباردة والكثيرة المياه المخصصة . وله أنواع كثيرة ، ويفرس على
فنون من فروع تفتزع من الشجر ، ويفرس أيضا أنقال الجلوب ، ويفرس
أيضا وتده ، وقد يمكن غرس حب ثمره .

« قال يוניوس : ومن الناس من يفعل فعلا أجود من هذا كله ، وذلك
أنهم يطعمونه أكثر مما يفرسونه ، فيحولون شجر كثرى برى بأصوله من مواضع
الغابات ، ويفرسونها على ما وصفنا ، حتى إذا استحكت هذه الفروس يطعمونها
بأجناس الذي يردون .

« قال قروراطيقوس : إذا غرست الكثرى في البعل الذي لا سقى له فاغرسه
أول الخريف ، وإن غرسته تحت سقى فاغرسه في ثمانية أيام ماضية من شباط
(فبراير) إلى نصف آذار (مارس) . ويجب شجره الأمكنة الباردة الرطبة
والبرودة ، وليس هو مما يجب الأرض الصلبة .

« ومن غيره : يوافق الكثرى الأرض الطيبة والمودّكة المرتفعة والباردة
الممرّخة برمل يسير . ويصلح في الأرض السهلة غير النزحة ولا السبخة ، ويقاfer
الأرض السودا والخنادق ، وقيل لا توافقه الأرض الحرّشا ؛ وقيل بل توافقه .
وقال ديمقراطيس : تُنقى الحفرة التي تفرسه فيها من الحصى والأشيا الجاسية ،
وتوضع الفرس فيها . ويُبقى عليه تراب قد غرُبل ويُسقى بالما . قالوا : وينخذ من
القضبان البابتة عند أصوله وفي عروقه أيضا مقتلعة بروقها ومكبسة بمواضعها ،
ثم تقلع ؛ ومن حب ثمره أيضا ، ومن أوتاده ، وليكن طول الوتد منها نحو ثلاثة

أشبار ، ومن ملوخه . يغرس ذلك في يَنْبَرٍ وفي فبرير على أمهات السواقي وفي أرض سواها لا تخلو منها رطوبة السقي بالما ولا بد ، ولا يغفل عن سقيها ، وإن استمر جرى الماء عليها دائماً من غير أن يبقى في أرضها فذلك أجود لها . ويزرع حب ثمره في الظروف ، وهو من الزرابع الضعاف . ويغرس نقله في حفرة عمقها نحو أربعة أشبار وأزيد ، على كِبَرٍ قدر النقلة . وقيل : يجعل النقل في الحفرة عند غرسة النقلة خاصة نَدِيَّةً ، ثم تُظمر غراسها بتراب وجه الأرض . ووقتُ غرسة النوع البستاني منه أنه إن غرس من أول فبراير إلى أول يوم من أبريل فإنه يكون أقرب إلى النجاة والعلق ... » [*]

ف ١٤٠ — ابن البيطار :

ونذكر ممن ظهر في عصور تقلص سلطان المسلمين من الجزيرة أبا الحجاج ابن مِرَاطِرٍ (**) (من أهل القرن الثالث عشر) ، وكان يطبب أبا يعقوب يوسف خليفة الموحدين ؛ وابن ليون من أهل القرن الثالث عشر الميلادي (السابع الهجري) ، وهو غرناطي وقد نظم قصيدة في الزراعة وفلاحة البساتين ؛ وأبا العباس أحمد بن محمد الملقب بابن الرومية وقد ولد بعد سنة ١١٦٥/٥٦٠ ، وهو من أهل إشبيلية وكان يلقب بالنباتي ، وقد طاف بنواحي المغرب والمشرق وسجل ملاحظاته ومشاهداته في « رحلته » . وكان أول من درس النبات بطريقة مباشرة ، ولم يقتصر على النظر إليه على أنه مجرد عشب يتداوى به (٢٩) ، وكان ابن البيطار أحد تلاميذه .

(*) نفس المصدر ، س . ٢٦ — ٢٦٢

(†) لم أطلع تحقيق هذا الاسم ، ولم يتعرف عليه أحد ممن سألتهم عنه . وقد وجدت عند ابن أبي أصيبعة أن الذي كان يطبب أبا يعقوب يوسف وأبا يوسف يعقوب المنصور الموحدين هو أبو يحيى بن قاسم الإشبيلي (طبقات الأطباء ، ج ٢ ، س ٩) . وذكر ابن أبي أصيبعة طبيباً ثانياً لهذا الأخير هو أبو جعفر بن غزالي (طبقات الأطباء ، ج ٢ ، س ٨٠) . وأبو يعقوب المنصور ليس من أهل القرن الثالث عشر الميلادي على كل حال ، مما يرجح العنان بأن عبارة المؤلف هنا محتاج إلى تصويب .

وكان ابن البيطار ، ضياء الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد^(٣٠) ، أعظم علماء النبات في المشرق في عصره . وأصله من مالقة (ولد ١١٩٧/٥٩٣) وسكن إشبيلية وتجول في واحة المغرب وآسيا الصغرى والشام ودخل في خدمة الملك الكامل^(*) في مصر ، وتوفي في دمشق سنة ١٢٤٨/٦٤٥ . وكتابه الرئيسي هو « كتاب الجامع لمفردات الأغذية والأدوية » (طبع في بولاق في أربعة مجلدات سنة ١٢٩١ / ١٨٧٤ ، وترجمه إلى الفرنسية لـ كليرك) . وهو معجم أبجدي للأغذية والأدوية ، وهو أكل ما ألف العرب في ذلك الباب وأكثره تفصيلا ، وقد اعتمد في تأليفه على كتب كثيرة لمؤلفين سابقين عليه من أمثال ابن جليل والغازي ، وهو يضم أكثر من ٢٣٣٠ مادة جمع فيها كل ما ذكره سابقوه من اليونان والعرب عن الأدوية ، وزاد عليهم بثلاثمائة دواء لم يشر إليها أحد قبله . ومن كتبه الجليلة الأخرى « المغنى » في الأدوية المفردة ؛ وهو يتحدث فيه عن الأعشاب من وجهة النظر العلاجية فحسب ، لا من ناحية التاريخ الطبيعي .

[هذا ، وابن البيطار أستاذ ابن أبي أصيبعة صاحب « عيون الأنباء في طبقات الأطباء » ، وقد لقيه أول مرة في دمشق ، وقال عنه في سياق ترجمته له : « ... فكنت أجد من غزارة علمه ودرايته شيئا كثيرا . وكان لا يذكر دواء في جوابه لمن يسأله إلا ويعين في أي مكان هو من كتب ديوسقوريدوس وجالينوس ، وفي أي عدد هو في الأدوية المذكورة في تلك المقالة . وكان ثقة فيما ينقله حجة للجميع . سافر ممثلا لبليينوس وغيره من الحكما إلى بلاد الأغرقة والشرق وأقصى بلاد الروم . وأخذ فن النبات عن جماعة حكما مشهورين ، وكان ذكيا فطنا . وكان بمصر رئيسا على الحكما وسائر العشابين . ثم خدم الملك الكامل وجعله عنده مقدا في دمشق ، حيث مات سنة ٦٤٦ (١٢٤٨) . وله « كتاب

(*) في الأصل : العادل ، والتصويب من « طبقات الأطباء » لابن أبي أصيبعة ، ص ٢٠ ،

المغنى في الطب » ، و « كتاب الأفعال الغريبة والخواص العجيبة » ، و « كتاب الأدوية المفردة » وهو جيد لم يصنف مثله قط ... » .

وقد قال ابن البيطار في فاتحة كتابه يتحدث عن منهجه :

« . . . وبعد ، فإنه لما رُسم بالأوامر المطاعة المكية الصالحية النجمية ، بوضع كتاب. في الأدوية المفردة ، تُذكر فيه ماهيتها وقواها ومنافعها ومضارها وإصلاح ضررها ، والمقدار المستعمل من خرجها أو عصارنها أو طبخها والبديل منها عند عدمها ... جمعتُ هذا الكتاب في القول في الأدوية المفردة والأغذية المستعملة على الدوام والاستمرار ، عند الاحتياج إليها في ليل كان أو نهار ، [و] مضاف إلى ذلك أذكر ما ينفع به الناس [من] شعار ودثار . واستوعبت فيه جميع ما في الخمس مقالات من كتاب الأفضل ديستقوريدوس بنصه ، وكذا فعلت أيضا بجميع ما أورده الفاضل جليمنوس في الست مقالات من مفرداته بنصه . ثم ألحقت بقولهما من أقوال المحدثين في الأدوية النباتية والمعدنية ما لم يذكره ، ووصفت عن ثقة المحدثين وعلماء النباتيين ما لم يصفاه ، وأسندت — في جميع ذلك — الأقوال إلى قائلها ، وعرفت طرق النقل فيها بذكر ناقلها . واختصت بما تم لي به الاستبداد ، وتوضح لي القول ووضع عندي الاعتماد .

« الغرض الأول : صحة النقل فيما ذكره عن الأقدمين وأحرره عن المتأخرين ، فما صح عندي بالمشاهدة والنظر ، وثبت لدى بالخبر لا الخبر أدرته كنزاً سرياً ، وعددت نفسي عن الاستعانة بغيري فيه سوى الله غنياً .

« والنرض الثاني : وما كان مخالفاً في القوى والكيفية والمشاهدة الحسية في المنفعة والمهية للصواب والتحقق ، أو أن ناقله أو قائله عدلا فيه عن سوى الطريق نبذته ظهرياً وهجرته ملياً ، وقلت لناقله أو قائله : « لقد جيت شيئاً فرياً » . ولم أحاب في ذلك قديماً لعتمه ، ولا مُحدثاً اعتمد غيري على صدقه .

« الغرض الثالث : ترك التكرار حسب الإمكان ، إلا فيما تمس الحاجة إليه

لزيادة معنى وتبيان .

« الرابع : تقريب مأخذه بحسب ترتيبه على حروف المعجم مُقَفِّي ، ليسهل على الطالب ما طلب من غير مشقة ولا عنا .

« الخامس : التنبيه على كل دواء واقع فيه وهم أو غلط منقدهم أو متأخر ، لاعتماد أكثرهم على الصحف والنقل ، واعتمادى على التجربة والمشاهدة حسب ما ذكرت قبل .

« السادس : فى تسمية الأدوية بسائر اللغات اللتباينة فى السمات ، مع أنى لم أذكر فيه ترجمة دواء إلا وفيه صنعة مذكورة أو تجربة مشهورة . وذكر كثير منها بما يعرف به فى الأماكن التى تنسب إليها الأدوية المسطورة ، كالألفاظ البربرية واللاطينية — وهى أعجمية الأندلس — إذا كانت مشهورة عندنا جارية فى معظم كتبنا .

« وقيدت ما يجب تقييده بالضبط والشكل والنقط تقييداً يؤمن معه من التصحيف ، ويسلم قاريه من التبديل والتحريف . إذ كان أكثر الوهم والغلط الداخلى على الناظرين فى الصحف إنما هو من تصحيفهم لما يقرونه أو سهو الوراقين فيما يكتبونه .

« وسميته « بالجامع » لكونه جمع بين الدوا والغذا ، واحتوى على الغرض المقصود مع الإنجاز والاستقصا . وهذا حين ابتدئ ، وبالله أستعين وأهتدى . . . » [(*) (٣١) .

ولا بد من إشارة خاصة إلى عبد الله بن صالح^(٣٢) ، معاصر أبى العباس بن الرومية وأحد أساندة ابن البيطار ، وكان من أجلاء النباتيين . وأبى جعفر بن خاتمة صاحب كتاب « تحصيل غرض القاصد فى تفصيل المرض الوائد » الذى

(*) كتاب الجامع الكبير فى الأدوية المفردة لابن البيطار ، مخطوط رقم ١٣٣٤ فى فهرس الغزيرى :

Cf : MICHAELIS GASIRI, *Bibliotheca Arabico-Hispana Escorialensis* (Matriti MDCCLX) I, 279-280.

وصف فيه وباء سنة ١٣٤٨/٧٤٨ . ومحمد بن المصراع^(٣٣) (١٢٥٦/٦٥٣ -
 [وقد عاش في غرناطة زمناً ثم هاجر إلى مراکش ، ووضع في
 الطب والأعشاب كتباً كثيرة لم يبق منها شيء] . ولسان الدين بن الخطيب
 الوزير الكاتب المؤرخ (ف ٨١) ، إذ أنه تميز في العلم بالطب كذلك وألف في
 ذلك العلم كتاباً من جزئين (درس فيهما الأمراض من الوجهتين العامة والخاصة
 والحميات والجراحة وما إلى ذلك) ، ويتكشف لنا ابن الخطيب في هذا الكتاب
 عن فهم عظيم وعلم واسع^(٣٤) .

الفصل الثالث عشر

الآثار الأدبية لغير المسلمين

من الأندلسيين

(أ) المستعربون

ف ١٤١ — إشارات آل البربر الطرطبي . القس بن جنيس . ربيع بن زيد الأسقف .

(ب) اليهود

ف ١٤٢ — أبو زكريا حيوج . ابن جبرول . بجيا بن فاقوذا . ابن صديق .

ف ١٤٣ — موسى بن عزرا . يهوذا هلاوى (هاليشى) . أبراهام بن داود .
الجزيري . بنو طيبون .

ف ١٤٤ — موسى بن ميمون . المترجمون .

لا بد لنا من أن نلم بآثار غير المسلمين من الأندلسيين حتى يكتمل لنا الإلمام بالحصول الأدبي للأندلس الإسلامي ، ذلك لأنهم شربوا من مناهل الثقافة العربية ، واستعملوا لغتها .

(١) - المستعربون

ف ١٤١ - إشارات آلبرو القرطبي . الفسى بنجيس . ربيع

ابن زبير الأصفى :

كان الإنتاج الأدبي للمستعربين ضئيلاً ، سواء باللاتينية أو بالعربية . وقد تأثرت حياتهم الاجتماعية بالإسلام ونظمه تأثراً بعيداً ، ومن مصاديق ذلك تلك الحقيقة التي يعرفها كل الناس ، وهي أنهم كانوا يؤثرون استعمال لغة العرب وأسمائهم وأزليتهم ، ويجتهدون في أن يأخذوا الطابع الإسلامي في كل مناحي حياتهم . ولا يجهل أحد حسرات آلبرو القرطبي ، فقد طالما ردها المؤلفون ؛ وهي تتحدث في جلاء عن ولع نصارى الإسبان بالأدب العربي ، فهو يقول : « إن إخواني في الدين يمدون لذة كبرى في قراءة شعر العرب وحكاياتهم ، ويقبلون على دراسة مذاهب أهل الدين والفلاسفة المسلمين ، لا ليردوا عليها وينقضوها ، وإنما لكي يكتسبوا من ذلك أسلوباً عربياً جميلاً صحيحاً . وأين تجد الآن واحداً — من غير رجال الدين — يقرأ الشروح اللاتينية التي كتبت على الأناجيل المقدسة ؟ ومن — سوى رجال الدين — يعكف على دراسة كتابات الحواريين وآثار الأنبياء والرسل ؟ يا للحسرة ! إن الموهوبين من شبان النصارى لا يعرفون اليوم إلا لغة العرب وآدابها ، ويؤمنون بها ويقبلون عليها في نهم . وهم ينفقون أموالاً

طائلة في جمع كتبها ، ويصرحون في كل مكان بأن هذه الآداب حقيقة بالإعجاب . فإذا حدثهم عن الكتب النصرانية أجابوك في ازدراء بأنها غير جديرة بأن يصرفوا إليها انتباههم . يالللأم ! لقد أنسى النصارى حتى لغتهم ، فلا تكاد تجد بين الألف منهم واحداً يستطيع أن يكتب إلى صاحب له كتاباً سليماً من الخطأ . فأما عن الكتابة في لغة العرب فإنك واجد فيهم عدداً عظيماً يجيدونها في أسلوب منمق ، بل هم ينظّمون من الشعر العربي ما يفوق شعر العرب أنفسهم فناً وجمالاً^(١) .

ومن أسف أننا لا نجد بين أيدينا شيئاً من هذا الإنتاج الأدبي الذي يشير إليه آلبرو ، ولكن كل ما ذكره حقيقي تؤيده تلك القوائد التي نجدها في ختام مخطوط محفوظ في المكتبة الأهلية في مدريد ، يضم مجموعة من القوائين الكنسية وقراراتها مرتبة أبواباً على حسب موضوعاتها ، ومترجمة من اللاتينية إلى العربية بقلم قس يسمى بنجنيس^(*) والكتاب كله مهدي إلى الأسقف عبد الملك ، وقد نظمت عبارات الإهداء في أبيات عربية لا تفتقر في شيء عما ينظمه المسلمون في مثل ذلك المقام شكلاً وموضوعاً ؛ وإليك طرفاً منها :

كتابٌ لعبدِ الملكِ الأسقفِ النَّدْبِ جوادِ نبيلِ الرَّفْدِ في الزمنِ الجَدْبِ
هُمامِ ذكيِّ العَدَسِ واحدِ عصرِهِ عليمِ كريمِ ذِي حُلُومِ وذِي لُبِّ
يُجَدِّدُ فضلُ اللهِ فينا بفضلِهِ وعمِّ به كلِّ الأنامِ هدى الربِّ

(*) اسمه في المراجع الإسبانية El Presbitero Vicente ، وقد أخذت هذه الصورة العربية من كلامه هو نفسه ، فقد قال في نهاية الجزء الثامن من ذلك القانون الكنسي المشار إليه هنا : « تمت وأُكملت ، أنا بنجنيس القس الحاطي ، عبد عبيد المسيح ، هذا الجزء الثامن من القانون للقدس ، يوم الأحد ، في الوقت الثامن من ذلك النهار . وهو أول أحد من الصيام الأربعين الذي يُتلى فيه خبر المرأة السامرية التي استسقاها سيدنا المسيح المافي بير يعقوب »

Cf : FRANCISCO JAVIER SIMONET, *Historia de los Mozárabes de Espana* (Madrid, 1903) p. 720.

والصورة العربية للاسم هي نفس صورته اللاتينية Vincencius ، وقد ضبطت الكلمة بناء على ذلك .

فلا زال في عنتر من الله شامل

مدى انهل مزنن في قري الأرض بالسكب (*)

والكثير من الكتب اللاتينية التي كتبها المستعربون تحمل هوامشها شروحا وتعليقات عربية . وبين أيدينا كتاب لاتيني عنوانه « كتاب تفصيل الأزمان ومصالح الأبدان » ، وهو تقويم فلكي مناخي زراعي [« وفيه ذكر منازل القمر ، وما يتعلق بذلك مما يستحسن مقصده وتقريبه »]^(*) ، يُظن أن الذي ترجمه ووضع في هذه الصورة اللاتينية جيراردو الكريموني . ومؤلفه هو الأسقف ريكيمونديو الذي يسميه مؤلفو العرب ربيع بن زيد الأسقف ، وقد كان في خدمة عبد الرحمن الناصر ، وكانت له علاقات موصولة ببوحناسقف جرتز . ولدينا تاريخ حياة الأخير [المسمى :

Vita Joannis [Corgiensis] auctore ut videtur Abbate S. Arnulpho Metis

وصف فيه رحلته إلى قرطبة سفيراً للإمبراطور « هوتو » لدى عبد الرحمن الناصر [، وقد أورد في ثناياها من الملاحظات ما يدل على اتجاه المستعربين نحو الإسلام اتجاهاً شديداً^(†) ، وكان ربيع بن زيد هذا سفيراً للناصر لدى هوتو (Otto I) إمبراطور ألمانيا . وقد وضع عريب بن سعد (ف ٦٥ ب) تقويمياً مماثلاً لتقويم ربيع^(□) (٧)

(*) نفس المصدر ، ص ٧٢١ .

(†) ابن سعيد : ذيل على رسالة ابن حزم في فضل الأندلس ، انظر نفع الطيب للمقرئ

(ط . محي الدين) ج ٤ ، ص ١٧٦ .

(†) انظر سيمونيت : تاريخ مستعربين إسبانيا (المذكور في التعليق التالي) ص ٦١١ ،

(□) عبارة المؤلف هنا فيها خلاف لما أجمع المؤرخون عليه بشأن كتاب الأسقف ربيع

ابن زيد المشار إليه ، وسيرد بيان ذلك بالتفصيل في « صلة تاريخ الفسك الأندلسي » الذي

نجمع فيه التعليقات كلها . ولكني أنه هنا إلى ما ذكره دوزي وأيده فيه سيمونيت بخصوص

هذا الكتاب وعلاقته بتقويم مريب بن سعد القرطبي الكاتب ، وهو يتلخص فيما يلي :

وضع مريب بن سعد تقويمه العروف في سنة ٩٦١/٣٤٩ ، وقد ضاعت نسخة العربية

ولم نعلم إلا على صورة منه مكتوبة بحروف عبرية (وإن كانت عربية اللفظ) ، فقرأها دوزي

واستطاع أن يخرج منها النص العربي للتقويم وسماه تقويم قرطبة لسنة ٩٦١ . وقيل ذلك بقليل =

ولا يشك أحد اليوم فيما ساهم به الإسبان أهل البلاد من نصيب عظيم في تطور الثقافة الإسلامية . وإذا كنا لا نجد بين أيدينا من أدلة تمسكهم من اللغة العربية قدراً أفضل من هذا الذى نراه اليوم ، فإنهم — من غير شك — ليسوا بمسئولين عن هذا . فقد ظلوا يستعملون هذه اللغة زمناً طويلاً بعد زوال سلطان الإسلام من الجزيرة ، وظلوا يكتبون بلغة العرب وقائعهم ويتسمون بأسماء عربية حتى أوائل القرن الرابع عشر ، كما يتضح من الوثائق التى خلفها لنا المستعربو طليطلة . هذا على الرغم من أننا لا نجد فيما بين أيدينا من تراث المستعربين شيئاً ذا قيمة أدبية .

(ب) — اليهود

ف ١٤٢ — أبو زكريا ميروج . ابن جبرول . يحيى بن قافوزا .

ابن صريون :

كانت إسبانيا خلال العصور الوسطى مركز الدراسات العبرية ، وقد نبعت ثقافة يهود إسبانيا من موارد الثقافة الإسلامية بصورة مباشرة^(٣) ، وقد بدأ حركة بحث الدراسات التهودية في قرطبة أبو يوسف حسداى بن إسحاق بن عزرا بن شبروط^(٤) (٩٤٥/٣٣٣ — ٩٧٠/٣٥٩) الوزير المعروف لعبد الرحمن الناصر ،

== وجد جبرئيل ليرى نسخة من الترجمة اللاتينية لتقوم الأسقف ربيع بن زيد ، فنشرها ذيلاً على كتابه السمي : تاريخ العلوم الرياضية في إيطاليا في سنة ١٨٣٥ ، وقارن دوزى بين هذا النص وتقوم مريب بن سعد المذكور آنفاً ، فتبين أن النص اللاتيني المنسوب إلى ربيع بن زيد ترجمة لتقوم مريب مع بعض الزيادات . وقد أيد هذا الاستنتاج إدواردو ساقندرا وخافيير سيمونيت .

Cf : GUILLERMO LIBRI ; *Histoire des sciences mathématiques en Italie*. Paris, 1885.

R. DOZY : *Le Calendrier de Cordoue de l'année 961*. Leyde, 1878.

— : *Die Cordovaner Arib ibn Sa'īd der Sekretar und Rabi' ibn Zaid der Bischof*. ZDMG. vol. XX.

E. SAAVEDRA : *Estudio sobre la invasión de los Arabes...*, p. 15.

J. SIMONET, *Historia de los Mozárabes de España* (Madrid, 1903) pp. 611-614.

بما بسط من العون لموسى بن حانوك^(*) ومدرسته ، فلم تلبث أن أنجبت من أعلام الأدب العبري رجالا مثل مناحيم بن سروق الطرطوشي ودُنَّاش بن لَبْرَاط (أولِ لَبْرَاط)^(٦) ممن افتتحوا عصر الازدهار للشعر العبري الحديث . وقد اقتفى أولئك الشعراء آثار الأدب العربي وتمثلوا صورته ، وإن كان أساس لغتهم ولسانهم عبريين^(٧) .

وقد ألف أول نحوٍ على لغة العبرية يهوذا بن داود^(٨) ، (الذي يسميه بعض كتاب اليهود فيما خلفوه من كتب عربية : أبازكريا بن داود الفارسي الفبوز بختوج) ، وهو تلميذ مناحيم . وقد وضع نحوه هذا باللغة العربية ، ولهذا السبب لم يكن له صدى إلا بين يهود الأندلس . وكذلك ألف ابن جناح^(٩) (٩٩٥/٣٨٤ — ١٠٥٠/٤٤١) أمم كتبه المسمى « بالتفقيح » بلغة العرب . ويعرف ابن جناح بين المسلمين بأبي الوليد مروان بن جَنَاح ، أما النصراني فعرفوه باسم يونا (يونس) ومرينوس Merinos ، وإليه يرجع الفضل في نشوء علم النحو في اللغة العبرية ، وهو المعروف في مصطلح علماء يهود الأندلس « بجمل النحو العبراني »^(*) .

[وهاك فقرات من « كتاب المستلحق » لأبي الوليد مروان بن جناح ، تعطي فكرة عن طريقة تأليف يهود الأندلس في النحو العبري بلغة عربية :

« أما بعد — أيها الأخ الحبيب والحميم القريب — أوضح الله لك المشكلات ، وكشف عنك الخفيات ، فإنه لم تزل نفسى منذ أعوام كثيرة وسنين

(*) هناك تناقض بين ما يقوله المؤلف هنا وما يقوله شتاينفانيدر . ويسدو أن بالنتيـ
اعتمد هنا على ما ذكره يوسف وهارتويج ديرنبورج . انظر :

MORITZ STEINSCHNEIDER : *Die arabische Literatur der Juden. Ein Beitrag zur Literaturgeschichte der Araber, grossenteils aus handschriftlichen Quellen.* (Frankfurt a M. 1902) SS. 119-120.

(**) بهذا العنوان ألف أبوزكريا حيوج كتاباً رئيسياً في النحو ، وهو الذي أكله وعلق عليه أبو الوليد مروان بن جناح برسائله مثل « المستلحق » و « التنبيه » و « التسهيل » . انظر :

JOSEPH et HARTWIG DERENBOURG : *Opuscules et Traités d'Abou'l-Walid Merwan ibn Djanah de Cordoue.* (Paris, 1880).

(كتب ورسائل لأبي الوليد مروان بن جناح القرطبي) .

جدة ، إذ نحن في بيضتنا بعد ، تطالبنى باستحقاق ما أغفله الأستاذ الفاضل والرئيس
 الكامل أبوزكرياء حيوج ، رحمه الله ونصر وجهه ، من استيفاء الأفعال ذوات
 حروف اللين والأفعال ذوات المثلين ، لأنه اشترط في صدر هذين الكتابين
 أن يأتى بكلية هذه الأفعال ، وأن يضم كل نوع منها إلى جنسه وكل شخص إلى
 نوعه ، فأهل كثيراً جداً من الأجناس التي كان يلزمه الإبانة عنها والتدقيق على
 بعد غورها ودقة معانيها ، وأغفل من الأنواع جملةً وضيع من الأشخاص جمهوراً .
 ولست ألحيت في هذا ملاماً ولا أعصبه (*) مذمة ، إذ القوة البشرية ضعيفة ، وإذ
 الكمال والتمام لله وحده لا شريك له . وكنت أيضاً قد شككت عليه (**) مسائل
 كثيرة من كتابيه ، فأردت ذكرها والتبيين لها ، لما في ذلك من عظيم الفائدة
 وجزيل المنفعة ، ولأن هذين القليلين — أعنى حروف اللين وذوات المثلين —
 من أغضٍ شيء في اللغة العبرانية وأعوصه . فضبطني عن ذلك إلى وقتي هذا
 رياسة هذا الرجل في هذا الفن وجلالة قدره فيه واقتداره عليه ، فإنه لم يتقدمه فيه
 متقدم ولا سبقه إليه سابق ؛ وإن له علينا لحماً (†) ، بما أفادنا من هذه الصناعة
 وما أوضحه لنا من مسئلةاتها ، وقربه منا من بعيدها . ومما كسل همتي عن ذلك أيضاً
 ما نحن عليه من الجلاء المقدر علينا ، والحل والترحال الذي نحن بسبيله (‡) . فلما
 ألححت على — أعزك الله — في ذلك ، وألح على فيه معك جماعة من إخواني ممن
 شأنه البحث والطلب ، لم أجد بداً من إسعافكم والصرورة إلى سرغوبكم ، فأستلحق
 في هذا الكتاب كل ما بلغه وسعى واتتهت إليه مقدرتي من أجناس الأفعال

(*) كذا في الأصل المطبوع ، ولعلها : أعطيه .

(**) كذا في الأصل ، ولعل صوابه : وكانت أيضاً قد أشكلت عليه .

(†) في الأصل : لحيقاً .

(‡) الإشارة هنا إلى ما كان يدانيه يهود الأندلس في ذلك الحين من الاضطهاد واضطرار
 الكثيرين منهم إلى الهجرة من ناحية إلى ناحية ، ومعظم هذا الاضطهاد كان يوقمه اليهود
 بعضهم ببعض .

وأنواعها وأشخاصها التي أضربَ عنها ، وسميته بكتاب المستلحق . . . (*) .

ثم يقول بعد قليل : « اعلم أن من الأفعال ما لم يذكرها ذكرًا شافياً ولا أحتمها محلها ، بل أشار إليها وطواها في درج ذكره لغيرها . وربما أشار إلى بعضها في باب من أبواب الكلام الجُملي ولم يذكرها في الكلام المصنّف ، كإشارته إلى الحوكية (= نَفَال) في باب الانفعال الجُملي المقدم ذكره في المقالة الأولى من كتاب حروف اللين على ذكر الأفعال التي فاءاتها ياء ، فإنه ذكر هناك ١٤/٢٤ — وهو كيمتح — نفس السفر والإصحاح ، فقرة ٤٤ — وونوكحت — تكوين ، ١٦/٢٠ — أو هو ويمتح) الذي تفسر الجميع إعداد وإحضار (٧) . أما أوهه حوكية (= هو وكحتا) فهي أنها المرأة التي أعدتها وأحضرتها עזרה (٨) (= لإسحاق) ، وأما פך وونوكحت فتفسيره والكل وأعدت وأحضرت ، أي أنها أعدت وأحضرت جميع ما أمرها به من الكسوة ، وهو انفعال متعد إلى כף (= كؤل) مثل אשר نشكرתי^٩ ا^{١٠} כס هونكه (= نشبرتي — عزرا ، ٩/٤) . وأيضاً העצד ما^{١١} כס فإن نشكرתי واقع على כס لا يجوز في المعنى غير ذلك » [□] .

(*) أبو الوليد مروان بن جناح : كتاب المستلحق ، س ١ — ٢ . انظر : « كتب

ورسائل لأبي الوليد مروان بن جناح القرطبي » .

Opuscles et Traités d'Abou'l-Walid Merwan ibn Djanah de Cordoue.
Texte arabe publié avec une traduction française par JOSEPH DERENBOURG et HARTWIG DERENBOURG, Paris, 1880.

(*) أي أن تفسير هذه الألفاظ .

(+) أي أن معنى هذا أن المرأة هي التي أعدتها وأحضرتها .

(□) نفس المرجع ، س ٤ — ٥ .

[وكانت المناقشات بين علماء اليهود هؤلاء تجري على نفس الأسلوب الذي كان العرب يجرون فيه في مناقشاتهم فيما بينهم ، مما يدل على تأثرهم الشديد بالثقافة العربية ، ومثال ذلك هذه الفقرة لابن جناح يرد فيها على ما أخذه عليه إسماعيل (صويل) بن الفغرة الفاجد في كتابه المسمى « رسائل الرفاق » :

« أول ما ناقضنا فيه في هذه الرسالة السكرية الأولى الواصلة إلينا الآن من جملة ما أبرق به من رسائل الرفاق ، هو ما فسرناه في أول المستلحق وهو [ما قلناه من أن ألفاظ] אשר הזכיה חי כן אדוני אתה הזכיה עכרך זאת כ? ונוכח (هو كَيْخ — سفر التكوين ، ٢٤/٤٤ وهو كَحْتًا — تكوين ٢٤/١٤ — وونوكاَحَت — نفس السفر والإصحاح فقرة ١٦) من أن [معنى] الجميع إعداد وإحضار ، على ما هو أليق وأوفق بالمعنى ، فطلب مناقضتنا بضرور من الكلام المختلط المَمْشوط المتسق (*) المضطرب . وذلك أنه أول شيء زعم أن تفسري في هذه الكلمات [بأن معناها] إعداد وإحضارُ بدءة لم يقل بها أحد ، فأنكره واستقبه غاية الإنكار والاستقباح وقال : ما أقيح قول القائل : « هي المرأة التي أحضرها الله » من غير أن يأتينا بدليل على قبحه بأكثر من قوله إن الشيوخ قد فسروا في هذه الكلمات « التوفيق » . وقد كنا رأينا نحن من تفسير بعض من حشده علينا في هذه الكلمات ما رآه هو ولم نستحسنه ، لأنه اشتقه من נבח ח' (= نوَكْح — سفر القضاة ، ٦/١٨) وهذا عندنا غير جائز في الاشتقاق ، لأن النون في נבח ח' (= نوَكْح ، تكوين ٢/١٤) هي أصلية ، يدل ذلك على ذلك قولهم נבחו חהנו (نِكْحُو) وأيضاً נבחו (نِكَاخُو ، أشعيا ٢/٥٧) والواوات في هذه الألفاظ هي فاءات الأفعال ، وهي منقلبة من ياءات وهي على زنة הוויח חן חוויחי ותרם בני נוחלח (حُوَجيل و حُوَجلني — أيوب ١١/٣٢ ونوحالاه — عزرا ٥/١٩) ، إلا أن هذا الأصل غير متمد ، فقد بطل معنى التوفيق ببطلان استدلال المسندل عليه [(*)] .

(*) كذا في الأصل ولعل صحتها : النسق . (*) نفس المرجع ، المقدمة ، ص ٥١ .

وعن طريق الكتب العربية تعلم أول فيلسوف يهودى وهو سلومون بن يهوذا ابن جبرول (٤١١/١٠٢١ - ٤٦٢/١٠٧٠)^(١٠) ، الذى يسميه المسلمون أبا أيوب سليمان بن يحيى ، والنصارى أفيسبرون Avicbrón ؛ فقد قرأ كتب فلاسفة العرب وصقل ملكته بما فيها من الآراء والأفكار . ويقول مونك : « إن ابن جبرول لتحقيق بأن يسمى الباعث الحقيقي للشعر العبرى بفضل ما نظم من شعر ، وبأن يعتبر صاحب الصدارة بين شعراء اليهود فى العصور الوسطى ، وربما كان أكبر شعراء عصره . نعم إنه صب شعره على قوالب الشعر العربى ، ولكنه فاق شعراء العرب فى مراتب الشاعرية وفى سمو أفكاره وإحساسه الشاعرى » . أما فى باب الفلسفة فقد ألف كتابه المسمى « ينبوع الحياة » باللغة العربية ، وتأثر فى تأليفه بمذهب ابن مسرة القائم على آراء أنبداقليس الزائف ومذهب الأفلاطونية الحديثة . ولم ينتشر هذا الكتاب بين اليهود بسبب لغته العربية وبسبب ما ذهب إليه فيه من القول بوحدة الوجود . أما النصارى فقد عرفوا هذا الكتاب عن طريق ترجمته اللاتينية التى قام بهادومنجو جنزالذ Dominicus Gundissalinus ، وكان لهذا الكتاب الذى عرف فى اللاتينية باسم *Fons Vitae* أثر ظاهر عند دانس سكوتوس Duns Scottus وعند مفكرى المدرسة الأوغسطينية ، بل نجد أثره عند جيوردانو برونو فى القرن السادس عشر الميلادى .

ولا يظهر الأثر العربى فى كبار مؤلفات ابن جبرول فحسب ، بل يتجلى كذلك فى كتاباته الصغيرة ، كما نرى فى « النحو » العبرى الذى نظمها فى قصيدة

(*) ضاع الأصل العربى لهذا الكتاب ولم تبق لنا إلا ترجمته اللاتينية وقطعة من ترجمته العبرية . وكان العلماء يشكون فى نسبتها لى ابن جبرول ، حتى أثبت ذلك سالومون مونك . انظر : SALOMON MUNK, *Mélanges de philosophie juive et arabe* (Paris, 1859) pp. 170. sqq.

عبرية صاغها في بحر الرجز العربي تتألف من أربعمائة بيت ، وهو يتحسر فيها على انصراف إخوانه في الدين من أهل سرقسطة عن لغتهم المقدسة ، ويسميه « الجماعة العمياء » ، إذ كانت بعضهم يتكلم — على حد تعبيره — لغة إيدوم (Edom = عجمية أهل الأندلس) وبعضهم الآخر يستعمل لغة كدار (Kedar = اللغة العربية) (*). ويتجلى ذلك الأثر كذلك في رسالته المسماة « كتاب إصلاح الأخلاق » (١١) ، وهي رسالة في الأخلاق العملية ، وكتابه « مختار اللآلي » وهو مجموعة من حكم فلاسفة اليونان والمسلمين . وكلا هذه الرسائل وذلك الكتاب باللغة العربية .

وكان لآراء الغزالي في الأخلاق والتصوف أثر ظاهر في الكتاب المسمى « الهداية إلى فرائض القلوب » الذي ألفه بالعربية بجيا بن يوسف بن فاقوذا (١١) معاصر ابن جبرول ، وقد سماه الناس « توماس ديكميسن Tomas de Kempis » اليهودي .

[وإليك طرفاً من كلام بجيا في فاتحة « الهداية » :

« . . . فلما عزممت على إثبات أصول فرائض القلوب في كتابي هذا استعملت قياساً في اختيارها ، لتكون جامعة لغيرها وحاوية لساثرها ، فوضعت أصلها الأعلى وأسسها الأكبر إخلاص التوحيد لله .

« ثم نظرت إلى ما يلزمنا من اتباع التوحيد به من الفرائض المذكورة

(*) Cf : MILLAS VALLICROSA, *Selomo ibn Gabirol como poeta y filósofo* (Madrid-Barcelona, 1945) pp. 48-49.

(*) نشر النص العربي مع ترجمة إنجليزية وايز ، انظر :

ST. WISE, *The Improvement of Moral Qualities* (Columbia University Oriental Series) New-York, 1905.

(†) هذه هي الصورة العربية الصحيحة للاسم ، انظر :

GEORGES VAJDA, *La Théologie Ascétique de Bahya ibn Paquda* (Paris, 1947) pp. 7-8.

المشاكلة له منا ، فملت علماً يقيناً أن الخالق تعالى لما كان واحداً حقاً ولا يلحقه اسم جوهر ولا عرض ، ولم يتجاوز فكرنا إلى إدراك ما ليس بجوهر ولا عرض امتنع علينا إدراكه من جهة ذاته ، فلزم تعريفنا به وإدراكنا لوجوده من جهة مخلوقاته ، وهو باب الاعتبار بالمخلوقين ، فوضعت الاعتبار أصلاً ثانياً لجملة من فرائض القلوب .

« ثم تأملت إلى ما يلزم للواحد الحق من الربوبية ، وما يحق على المخلوقين من عبوديته ، فوضعت النزام الطاعة لله أصلاً ثالثاً لجملة من فرائض القلوب .

« ثم تبينت إلى ما يلزم الواحد الحق من انفراده بتدبير الكل ، وأن النفع والضرر ليس في يد غيره ، ولا في مقدور سواء إلا عن إذنه ، لزمنا التوكل عليه والاستسلام إليه ، فوضعت التوكل أصلاً رابعاً لجملة من فرائض القلوب .

« ثم تفكرت في معنى الواحد الحق من اختصاصه بذاته ، ولا يشارك شيئاً ولا يشبه شيئاً ، أتبعْتُ ذلك إفراده بالطاعة والعبادة بإخلاص عملنا لوجهه ، إذ لا يقبل العمل المشترك فيه غيره معه ، فوضعت إخلاص العمل لله أصلاً خامساً لجملة من فرائض القلوب .

« ثم أجلت فكري فيما يلزمنا للواحد الحق من التعظيم والإجلال ، إذ ليس كمثل شيء ، فتبع ذلك التواضع له بحسب ما يستأهله ، فوضعت التواضع أصلاً سادساً لجملة من فرائض القلوب .

« ثم لما تصفحت ما يجري على الناس من الغفلة والتقصير فيما يلزمهم من طاعة الله جل وعز ، وكان وجه استدراك غلظهم وتقصيرهم التوبة والاستغفار ، وضعت التوبة أصلاً سابعاً لجملة من فرائض القلوب .

« ثم لما فحصتُ عن إدراك حقيقة لوازمنا لله عز وجل من الفرائض الظاهرة والباطنة ، وعلمت أنها لا تصح منا^(*) إلا بمحاسبة أنفسنا عن ذلك لله والتقوى عليها ، وضعت المحاسبة للنفس أصلاً تامناً لجملة من فرائض القلوب .

« ثم رددت خاطري في معنى الواحد الحق ، فرأيت أن توحيده بإخلاص لا يصح في نفس المؤمن إذا سكر قلبه من شراب حب الدنيا واسترساله^(**) إلى شهواته البهيمية ، فإذا رام تفرغ ضميره وإخلاء باله من فضول الدنيا بالزهد في لذاتها تمكّن التوحيد التام من قلبه وخلصت له فضيلته ، فوضعت الزهد في الدنيا أصلاً تامماً لجملة من فرائض القلوب .

« ثم بحثت عما يلزمنا للخالق تعالى ، الذي هو غاية كل أمل ونهاية كل رجاء ، إذ منه الابتداء وإليه الانتهاء ، وما يستوجبه منا من المحبة في رضاه والخوف من سخطه الذين هما غايتنا السعادة والشقاوة ، كقول الولي عليه السلام دي رכע כחמר חיים כרצוכו ، فوضعت المحبة في الله تعالى عز وجل أصلاً عاشراً لجملة من فرائض القلوب^(†) .

وأصوله في الكتاب ، كما هو ظاهر ، شديد الشبه بأساليب المسلمين ، مما حدا بسالمون يهودا وجولدنسيهر إلى مقابله ببعض ما كتب المسلمون في هذا الباب ، فتبين للأول منهما أن بجيا ينقل في بعض الأحيان نقلاً حرفياً عن بعض كتب النزالي ، وأورد فقرات من كتاب « الحكمة في مخلوقات الله » لأبي حامد ، وقابلها بما يشبهها من كلام بجيا في « الهداية » . وهالك نموذجاً من هذه المقابلة :

(*) في الأصل المطبوع : لا تصبح منا .

(**) في نسخة أخرى : واسترسل إليها فإذا ، ولعل صحة العبارة : واسترسل إلى .

(†) A. S. YAHUDA, *Al-hidaja 'ila Fara'id al-Qulub*. (Leiden, 1912)

« الهداية » لبجيا

« الحكمة » للغزال

فانظر كيف وكلت هذه القوى في البدن للقيام عليه بما فيه صلاحه ، فصارت بمنزلة دار الملك فيها حشم وقوم موكلون بالدار : فواحد لاقتضاء حوائج الحشم وإيرادها إلى خازن الملك ، وقيم ثان يقبض ما يورده الأول ويخزئه في الدار إلى أن يهبأ ويصلح ، وقيم ثالث لعلاج ما اخترن وإصلاحه وتهيئته وتفرقة في الحشم ، وقيم رابع لكسح مافي الدار من الأذنار والأوساخ ولاخراجها منها . ثم فكر في القوى النفسانية ومواقعها من منافع الإنسان نحو الفكر والحفظ والنسيان والحياء والعقل والنطق .

أفرايت(*) لو نقص الإنسان من هذه الحلال الحفظ وحده كيف كانت تكون حاله وكم من خلل كان سيدخل عليه في أموره ، إذا لم يحفظ ماله وما عليه ، وما أخذ وما أعطى ، وما رأى وما سمع ، وما قال وا قيل له ، ولم يذكر من أحسن إليه ممن أساء أساء إليه ، وما نفعه مما ضره ، ثم لم يمتد إلى طريق ولو سلكه صهاراً كثيرة ، ولا يحفظ علما ولو درسه طول عمره ، ولا ينتفع بتجربة ، ولا يقبس شيئاً بما مضى ، ولا ما يكون بما كان ، بل كان خائفاً أن ينسلخ من الإنسان أصلاً(†) .

انظر كيف رُميت هذه القوى بهذا الترتيب المحكم العجيب ، فصار البدن بما فيه بمنزلة دار لمالك فيها حشم وقوم موكلون بالدار ؛ فواحد لإمضاء حوائج الحشم وإيراد ما لهم ، وآخر لقبض ما يرد وخزئه إلى أن يعالج ويهبأ ، وآخر لإصلاح ذلك وتهيئته وإصلاحه أخص مما قبل ، وآخر لكسح مافي الدار من الأذنار وإخراجه . فالملك في هذا المثل هو الخالق العليم سبحانه ، والدار هي البدن ، والحشم هي الأعضاء . والقوم هي هذه القوى الأربع التي هي النفس ، ومواقعها من الإنسان بمعنى الفكر ، والوهم والعقل والحفظ والغضب وغير ذلك .

أرأيت لو نقص من الإنسان من هذه الصفات الحفظ وحده كيف كان يكون حاله؟ كان لا يحفظ ماله وما عليه(*) ، وما أصدر وما أورد ، وما أعطى وما أخذ ، وما رأى وما سمع ، وما قال وما قيل له . ولم يذكر من أحسن إليه ولا من أساء له ، ولا من نفعه ممن ضره . وكان لا يهتدى لطريق ولو سلكه ، ولا لعلم ولو درسه ، ولا ينتفع بتحريره ، ولا يستطيع أن يعتبر بمن مضى .. فانظر إلى هذه النعم كيف موقع الواحدة منها ، فكيف جميعها ؟

(*) في الأصل : فرأيت .

(*) في الأصل : وكان لا ...

(†) A.S. YAHUDA, op. cit. p. 66-67

من المقدمة الألمانية ، وانظر عن بجيا :

A. S. YAHUDA, *Prolegomena zu einer erstmaligen Herausgabe des Kitab al-Hidāya ilā Fara'id al Qulūb*. Darmstadt, 1904.

ID., *Al-Hidāya ilā Fara'id al Qulūb des Bachja ibn Josef ibn Paquda aus Andalusien im arabischen urtext zum ersten Male nach dem Oxforder und Pariser Handschrift sowie den Petersburger Fragmenten herausgegeben*. Leiden, 1912.

وتعليق جولدتسيهر على هذه الطبعة في :

ZDMG, LXVII, 1913, pp. 529-538.

وقد ألف ديبان (= قاضى) اليهود فى قرطبة — أبو عمر يوسف بن صديق^(١٢) المتوفى سنة ١١٤٩/٥٤٣ — كتاباً فى المنطق وكتاباً فى الفلسفة الدينية يسمى « السكون الأصغر » باللغة العربية ، [وقد ضاع الأصل العربى لهذا الكتاب ، ولم تبق لنا إلا ترجمته العبرية المعروفة باسم سيفر هاعولم هاقطون] . وكان ابن صديق مطلعاً على كتابات أفلاطون وأرسطو و « رسائل إخوان الصفا » . وبالعربية كذلك ألف ليثى بن التبان^(١٣) ، الذى يكنىه اليهود فى كتاباتهم بأبى الفهم ، كتابه المعروف بـ « المفتاح » فى نحو العبرية ؛ وهو من أهل سرقسطة ، وقد رأى قوات الفونسو الأول ملك أرغون المعروف بالمقاتل تدخل سرقسطة وتنزعها من دولة الإسلام نهائياً سنة ١١١٨/٥١١ . وألف سليمان بن زقبيل (أو سقبيل) « مقامة » فكهة على طراز مقامات الحريرى .

ف ١٤٣ — موسى بن عزرا . يهودا هلاوى (هالبقى) . أبراهام

ابن داود . الجزيرى . بنو طبيبوه :

كان موسى بن عزرا (١١٣٨/٥٣٢)^(١٤) شاعراً يهودياً من أهل غرناطة ، وكان شقياً فى حياته مستغرقاً فى هواه ، وهو يتغنى فى « ديوان » شعره بذكر الخمر والهوى والمسرة ولذاذات العيش على طريقة شعراء العرب^(*) . أما كتابه المسمى « المحاوررة والمذاكرة » فقد ضاع أصله العربى ولم تبق لنا إلا ترجمته العبرية ، وهو رسالة فى فن الكتابة وتاريخ شعراء اليهود من أهل الأندلس وآثارهم ، وهو

(*) نشر مختارات منه برودى ، انظر :

H. BRODY, *Selected poems of Moses Ibn Ezra*. Philadelphia, 1934.

ويذهب معظم مؤرخى موسى بن عزرا إلى أن آلام الهوى كانت سبب شقوته ، ولكن ملباس فاليكروسا ينقص هذا رأى ويذهب إلى أن مرجع ذلك هو ما أصاب يهود غرناطة على يد أهلها من البربر واضطراره إلى الهجرة مع من هاجر من البلد . انظر :

JOSÉ Ma MILLAS VALLICROSA, *La Poesía Sagrada Hebraicoespanola* (2a ed. Madrid-Barcelona, 1948) pp. 93-95.

يضم كذلك أطرافاً من الشعر العربى (*) . [وله كذلك كتاب قيم آخر هو « الحديقة فى معنى الحجاز والحقيقة » (**) ، وقد اندثر أصله العربى ولم تبق لنا إلا فقرات من ترجمته العبرية المعروفة باسم « أُرْجَات هابوشيم » ؛ وهو كتاب ذو طابع فلسفى يجمع طائفة من الأمثال والحكم .

وإليك قطعة من شعر موسى بن عزرا صاغها فى قالب التصانيد العربى المعروف ، وهى من شعره الزهدى :

ما الحيبى ، ما له يزرى بى ويخاصمنى ..

مع أن قلبى لن يزال يميل إليه كأنه عشب مياس ؟

أيكون قد نسى ذلك العهد الذى كنت أمضى فيه

فى الأرض المزون . . وكيف أدعوه اليوم . . وهو لا يستجيب ؟

بلى ! وإننى لن أزال فى انتظاره ، ولو كان على يديه حتى . .

وإن أخفى عنى وجهه فلن أنفك أرقب عطفه وأتوجه إليه . .

أجل ، ولن تعدو رحمة الله عبده

إذ كيف يمكن أن يتغير الذهب الخالص ويتحول ؟ [(†) .

أما يهودا بن ليثى الطليطلى (٤٧٧ / ١٠٨٥ - ٥٣٧ / ١١٤٣) (١٥) (أو

يهودا هاليثى) ، الذى يكنىه العرب بأبى الحسن ، فقد نظم أشعاره فى قوالب

وموضوعات عربية ، ويؤكد من ترجموا له أنه كان يكتب العربية فى جمال نادر .

وقد ألف رسالته المسماة « الحجة والدليل فى نصرته الدين الدليل » فى عربية بليغة ،

ولدينا نسخة مخطوطة منها فى مكتبة أ كسفورد ، وقد ترجمها إلى العبرية يهودا بن طيبون

(*) انظر :

MILLAS VALLICROSA, *La Poesia Sagrada Hebraicoespanola* (2a ed. Madrid-Barcelona, 1948) p. 96.

(*) نفس المرجع والمصفاة .

(†) BRODY, op. cit. nu. 41.

وقد ترجمت عن الترجمة الإسبانية التى نشرها ميلاس فاليكروسا فى المرجع الآنف الذكر ،

س ٢٦٠ ؛ وهو يخاطب الله فى هذه القطعة .

باسم «سِفْرُ هَاخُزَر» أي كتاب الخزر، أو الكتاب الخزري وإليه يشار بهذا الاسم الأخير في كثير من المراجع، وعن العبرية نقله يوهان بوكستورف Johannes Buxtorf إلى اللاتينية عام ١٦٦٠، وعنها نقله الحاخام يعقوب بن دانا R. Jacob Abendana إلى الإسبانية بعد ذلك بثلاث سنوات باسم «كوثاري Cuzary». وفي سنة ١٨٨٦ — ١٨٨٧ نشر هارتويج هيرشفيلد في لايبسيك النص العربي للكتاب مع الترجمة العبرية^(*)، وقد استند يهودا في تأليفه إلى حادث تاريخي، وهو اعتناق ملك الخزر لليهودية [بعد أن عُرض عليه الإسلام والنصرانية فلم يجد فيهما حاجته]، ولهذا نراه يشيد بذكر دينه وينتصف له من الإهانات الكثيرة التي كان الناس يلحقونها به. وهذا الكتاب الأصيل يذكرنا «بكتاب الأحوال» Libro de los Estados للدون خوان ماويل، إذ أن موضوعيهما متشابهان؛ وفيه مشابه كذلك من أسطورة «برلام و يوسافات»، ولا بد أنه كان النموذج الذي احتذاه رايغوندوس لوليوس في تأليف كتابه المسمى «كتاب الكافر والعلماء الثلاثة»: Libro del gentil e los tres savis

وكان لمؤلفات الفارابي وابن سينا أثر ظاهر في المؤلفات الفلسفية التي خلفها أبراهام بن داود الطليطلي (١١١٠/٥٠٣ — ١١٨٠/٥٧٥)^(١٦)، الذي حاول أن يوفق بين كتب اليهود المقدسة وفلسفة أرسطو. [وقد كتب بلغة العرب كتبه التي لم يبق لنا منها إلا الترجمات الدبرية لبعضها، وأهمها: إيوانه رماه (= العقيدة السامية) وسِفْرُ هَا تَبَّالَه (= كتاب المأثور). أما «الزنج» الذي وضعه فقد ضاع^(*). وكان أبراهام بن عزرا بن ميّز، الذي يسمى في

(*) انظر :

Cuzary, Diálogo filosófico por YEHUDA HALEVI (siglo XII) traducido del árabe al hebreo por YEHUDA ABENIBBON, y del hebreo al Castellano por R JACOB ABENDANA (Madrid, 1910) p. XII-XVII.

(*) ISAAC HUSIK, *A History of Mediaeval Jewish Philosophy*. (Philadelphia, 1946) pp. 197-198.

الكتابات العربية بأبي إسحاق إبراهيم بن الحفيد (١٠٩٢/٤٨٤ - ٥٦٢/١١٦٧) ^(١٧) الفكر اليهودي القلق الجوّال ، يجيد أساليب الترسيل العربي . أما يهودا الجزيري بن شلومون (سليمان) ^(١٨) فقد أسخطه ما رأى من تفضيل أهل ملته للغة العرب على العبرية ، وحاول في كتاباته أن يثبت أن هذه الأخيرة لا تقل عن العربية ثروة وجمالا ، نأقبل على مقامات الحريري وترجمها إلى العبرية ، وألف قصة ذات طابع مسرحي تسمى تَحْكِيمُونِي قَلَّدَ بِهَا أُسْلُوبَ « المَقَامَاتِ » ونسج فيها على منوال « ابن سقييل » في كتابه الفكاهة الذي يحمل اسما مشابها لاسم قصة الجزيري هذه (*).

وفي أواخر القرن الثاني عشر نشط اليهود في نشر عدد كبير من مؤلفات العرب بين إخوانهم في الدين من أهل إسبانيا وجنوبي فرنسا . ومن أمثلة ذلك ما فعله أبراهام بن صمويل بن ليثي بن حَسَدَايَ صاحب قصة « الأمير والدرويش » (بِنْ هَامِيْلِكِ وَهَاتَزِيرِ ، وهى مقبسة من أسطورة برلعمام ويوسافات) ، فقد ترجم إلى العبرية كتباً عربية كثيرة منها كتاب « ميزان العمل » للغزالي ، ترجمه بعنوان مَزْنِي صِيْدِقِ ، أى ميزان الصدق . وكذلك اجتهد مِشْلَمُ بن يعقوب من أهل لُونِلِ (بجنوبي فرنسا) في النهوض بحركة الترجمة من العربية إلى العبرية ، وحض أهل دينه من اليهود البروفنسيين على الإقبال على العلوم . وكان من أثر جهوده أن تمت ترجمة الكثير مما ألفه اليهود بالعربية إلى العبرية ، ككتاب « الهداية إلى فرائض القلوب » لبهيا ، وكتاب « إصلاح الأخلاق » و « مختار اللآلئ » لابن جبرول ، و « الكتاب الجزري » ليهودا بن ليثي ، ورسائل ابن

(*) هناك خلاف في الطريقة التي يكتب بها اسم هذه القصة في المراجع التي نعتد عليها في تقويم هذا النس ، فبالثنا يكتبه Taquemoni ، وملياس فاليكروسا يكتبه Tahkemoni ومنندز بلايو يكتبه Tachkemoni .

Cf: MENÉNDEZ Y PELAYO, *Estudios y discursos de crítica histórica y literaria* (Madrid, 1941) vol. I p. 206

J. MILLAS VALLICROSA, *La poesía sagrada hebraicoespanola*. p. 135.

STEINSCHNEIDER, *Die hebräische Uebersetzungen...*, p. 428.

جناح في النحو واللغة العبريين . وهذه الترجمات كلها صحيحة ولكنها مملّة ، وقد يمتثل في بعضها سياق اللغة العبرية بسبب الإسراف في التزام حرفية الأصول العربية التي نُقِلت .

ف ١٤٤ — موسى بن ميمون . المترجموه :

ويعتبر موسى بن عبيد الله بن ميمون القرطبي^(١٩) (١١٣٥/٥٢٩ — ١٢٠٠/٦٠٠) أمير مفكرى الأندلس . درس ابن ميمون في مدارس اليهود والعرب في قرطبة ، ومن بين شيوخه تلميذ من تلاميذ ابن باجه . وهو مدين — دون ريب — لما نشره العرب من فلسفة أرسطو بما يمتاز به من ذهن منطقي مرتّب ، وعقل قادر على تصنيف الموضوعات في نظام وعرضها في وضوح ، وتلك هي ميزته الكبرى . وقد ألف بالعربية كتابه المسمى « رسالة في الردة » ، وكان دافعه إلى تصنيفه ما لجأ إليه الموحدون من إرغام يهود سراكش على اعتناق الإسلام ؛ وكتب بالعربية كذلك كتابه المسمى « السراج » وقد ألفه في القاهرة ، وهو شرح واضح منهجي دقيق « لدشنا » ، وقد ظل هذا الكتاب خاملاً لم يلتفت إليه إلا القلائل مع ما له من الأهمية . وكتب بالعربية « رسالة العزاء » إلى يعقوب الفيومي وإلى جماعات اليهود في اليمن ، من اضطرم الفاطميون إلى دخول الإسلام عندما نزلوا تلك البلاد (١١٧٢/٥٦٧) . وبلغت العرب أيضاً ألف « كتاب الفرائض » يدفع به ما وُجه من النقد إلى كتابه « تثنية التوراة » ، أما أشهر كتبه « دلالة الحائرين » فقد كُتِب في الأصل بالعربية ، ومعظم الآراء التي يحويها عربي ، وقد ترجم ذلك الكتاب إلى العبرية واللاتينية وانغلت أوروبا أخرى كثيرة (من بينها الإسبانية ، ترجمه إليها بلرو الطليطلى في القرن الخامس عشر) ؛ وهو يعتبر بحق جُماع ما في اليهودية من لاهوت وفلسفة ، وقد حاول ابن

ميمون أن يوفق فيه بين العقل والدين كما فعل ابن حزم وابن رشد قبله ، وكما سيفعل
القديس توما الأكويني من بعده .

ولم يظهر بين اليهود بعد موسى بن ميمون مفكرون ذوو شأن ، وانصرف
جل اهتمامهم إلى الترجمة ، وخاصة في قطلونية وپروفانس (جنوبی فرنسا)
وكانت الثقافة العبرية قد تركزت فيهما ؛ وقد ترجم اليهود هناك المؤلفات العربية
عن أصولها أو عن ترجماتها اللاتينية التي قام بها مترجمو طليطلة . ونستطيع أن
نضيف إلى أسماء من ذكرنا من نقلة اليهود عدداً آخر عظيمًا من عمل في قطلونية
وپروفانس ، ولكننا نكتفي بذكر بعضهم مثل يعقوب بن أبابا ماري صهر
صمويل بن طيبون ، وكان أول من ترجم ابن رشد إلى العبرية ، ولونيموس بن
ماير ، وكالونيموس بن تندرُس ، وليثي بن جرسون (١٢٨٨/٦٨٦ — ٧٤٤/
١٣٤٤) ، وموسى الأربوني ، وغيرهم من حافظوا على أثر علوم العرب وفلسفتهم
خلال العصر الوسيط الأول^(٢٠) .

أدب المستعجمين^(١) (*)

- ف ١٤٥ — مؤلفات ذات طابع تفريري أو ديني .
- ف ١٤٦ — الشعر الموريسكي : « قصيدة يوسف » . قصائد أخرى في مدح الرسول .
الشرطوسي . إبراهيم البُلُعَادِي . خوان ألونزو . محمد رَبَّصَان .
رباعيات حاج (الميشانتي) بسوى مُنْتُون .
- ف ١٤٧ — القصة الموريسكية : قصص ذات موضوعات دينية أو تاريخية أو خيالية .
قصص الفروسية .

(١) ترجمت بهذا اللفظ اصطلاح Los Aljamiados ، والمراد به في مصطلح التاريخ الإسباني أولئك الذين يتكلمون « العجمية » La Aljama ، وهي التسمية التي أطلقها الأندلسيون على اللغة الغشتالية ، ثم أطلقوا على من يتكلمها صفة « الجيادو » أي المستعجم . ويطلق الاسم عادة على أولئك المسلمين الذين ظلوا في إسبانيا بعد سقوط غرناطة وتكلموا الإسبانية ولكنهم استمروا في كتابتها بحروف عربية ، كما سيرى القارىء فيما يلي . وقد قست هذا اللفظ على اصطلاح « مستعرب » .

ف ١٤٥ — مؤلفات ذات طابع تفرسي أو ديني :

كانت آخر صورة ظهر فيها أدب الأندلسيين المسلمين هي آثارهم التي كتبوها باللغة الإسبانية مستعملين في كتابتها الحروف العربية (التي تسمى في المصطلح الإسباني الخَمَيَادِيَّة أي المستعجمية ، وهو تحريف إسباني للفظ الأعجمية ، فقيل : الْأَجْمِيَّة ، ثم الْأَخَامِيَّة ، أَلْخَامِيَّة aljamia) ؛ وهو أمر يدل على حالة الرعب التي كان الموريسكيون (*) (٢) — أصحاب هذه الكتابات — يعيشون في ظلها بعد سقوط غرناطة في يد النصارى ، وخاصة عندما وجدوا أنفسهم مضطرين إلى التنصر يتعقبهم « ديوان التحقيق » (٣) . وقد انقطعت انقطاعاً يكاد يكون تاماً الأسباب بين معارفهم الضئيلة عن علوم الإسلام وما كان لأجدادهم الأجداد من تقاليد علمية رفيعة ، ولكنهم لم يتخلوا قط عن أحرف الهجاء العربية ، واستمروا يكتبون بها ما لديهم من المعارف للحفاظ على عقيدتهم من ناحية ، ولتعمية مُتَعَقِّبِيهِمْ عن فحوى ما يكتبون من ناحية أخرى . ومن الطبيعي أن نجد موضوعات هذه الكتابات المستعجمية وروحها إسلامية خالصة ، ولم تتوصل إلى الكشف عن سرها وحل رموزها إلا في القرن التاسع عشر .

(*) الموريسكيون Los Moriscos اسم يطلق على جميع من بقى في الأندلس من المسلمين بعد سقوط غرناطة في أيدي فرناندو وإيزابيلا في ٢ يناير سنة ١٤٩٢ . وهو صفة من لفظ Moro الذي يطلق في بعض النصوص الإسبانية على عرب إسبانيا أو مسلميها ، أو مسلمي الأندلس والغرب ، أو على المسلمين عامة . وأصل هذا اللفظ الأخير لا تبنى : Maurus ، Mauri وهم عند اللاتين سكان جبال المغرب ، وبهم سمي الإقليم موريتانيا Mauretania الذي يرمبه العرب إلى مَرطَائِيَّة . ويمكننا على هذا تعريب لفظ Morisco بلفظ المتعرب أو العارب ، ولكني رأيت أن أستعمل الاصطلاح الإسباني في الترجمة العربية ، لأنه أصبح مصطلحاً مقبولاً في كل اللغات ، ثم إنه في الواقع أدل على أولئك المسلمين من أي لفظ آخر ؛ وجدير بالذكر أن اللفظ يستعمل اسماً وصفة ، على الرغم من أنه صفة .

وأكثر هذه الكتب التي كانت تضمها خزائن الموريسكيين ذات موضوعات دينية أو خرافية أو تشريعية . وعندما أخذ الإسبان ينفذون سياسة طرد بقايا المسلمين من البلاد عمد أصحابها إلى إخفائها وسترها عن العيون ، ثم أخذت تظهر بعد ذلك رويداً رويداً ، ولا زلنا نثر على أطراف منها إلى الآن . ومن أجل مؤلفيها الذين وقفنا على أسمائهم عيسى بن جابر ، فقيه مسجد «شقوية» الجامع ، واسمه يُكتب في كتب المستعجمين : عيسى د جابر Iça de Gebir ، وهو صاحب «الكتاب الشقوي» El-Alquiteb Segoviano ، وقد ورد تحت اسمه تعريفاً به بمحروف عربية : بَرِّيْرِيْ سُنِّيْ : breviario sunni ، أي «مختصر في السنة» ؛ وهو مختصر صغير في الأخلاق والشريعة . ولا بد أنه كان كثير التداول بين الموريسكيين ، إذ أننا وجدنا منه نسخاً عديدة^(٤) .

[والاسم الكامل لكتاب ابن جابر هذا كما ورد في نسخته المستعجمة هو :
«إِلِّكْتَبْ شِجْبِيْنُ ، بَرِّيْرِيْ سُنِّيْ ، مِرْمُرِيْل دِ اِسْنِ بَرْنَشِبَلِشْ مَنْدَمِيْنْتَشْ
إِدِيْدَمِيْنْتَشْ دِ نُوْشْتَر شَنْتَ لِيْ اِسْنِ» ، وهو يفهم إذا نحن رسمناه بمحروف
لاتينية هكذا :

El Quitab segobiano. Brebiario sunní. Memorial de los principales mandamientos y debedamientos de nuestra santa ley y sunna.

أي : الكتاب الشقوي . مختصر سنّي ، تذكرة في أهم أوامر وواجبات ديننا المقدس وسنننا . وقد نشره إدواردو سافدرا بمحروف لاتينية وعلق عليه في :

Memorial Histórico Espanol. tomo V, Madrid 1863.

وقائمة الكتاب عربية الروح والسياق ، رغم أنها باللمة القشتالية . وإليك قطعة منها نشرها بنصها كما وردت في الأصل ، ونرسمها بمحروف لاتينية تسهيلاً لقراءتها :

“En el nombre de un solo Criador, sin comienço, ni medio, ni fin, que crió el mundo de nada, y por la su alta providencia

embió sus profetas de grado : en fin de los cuales embió el su escogido, bien todo seguida la palabra aventurado profeta Muhammad, al fin que fuemos criados.

Dixo el onrrado sabidor, mofti ; y alfakí del aljama de los moros de la noble y leal ciudad de Segovia Don Iça Jedih (Gebia) : compendiosas causas me movieron a interpretar la divinal gracia del Alcoran de lengua arabiga en alchamía sobre que algunos cardenales (mozarabes) me escribieron que lo teniamos encogido y escondido como cosa no ossada placear, porque no sin grande causa desamparé mi nación para las partes de Levante : por la cual causa me puse a sacarlo en esta lengua castellana, animado de aquella alta autoridad que nos manda y dize que toda criatura que alguna cossa supiere de la Ley lo debe amostrar a todas las criaturas del mundo en lenguaje que lo entiendan, si es posible ; y esto por evitar las dudas y dificultades en contrario puestas. Plegue a la inmensa piedad de Allah darme gracia con su ayuda, como teniendo el Atafcir del Alcoran delante, lo haga y que sea guía a los que del arabigo son ygnorantes, asi a los propios como a los estranos ; y para mayor declaración haré un traslado de los articulos que ay en nuestro onrrado Alcoran y otras sumas de las sus sentencias, fines y hechos mas importantes debajo de cuya guía y governacion tantos y tan grandes principes y reyes y tan ynumerables gentios biven en libertad y franqueza en las tierras de Promision y Casas santas de Maca y en otras diversas partes del mundo donde se mantiene verdad y justicia..”

ولم أترحم هذه القطعة لأن معناها ظاهر ، ولأن أسلوبها ليس قشتالياً صحيحاً وإنما يضم تعبيرات تعسر على الترجمة الدقيقة الحرفية .

والكتاب يقع في فصول كثيرة عن الإيمان وما هو ، وما ينبغى على المسلم الاعتقاد به ليصح دينه ، والوضوء والطهارة والماء الطاهر وغير الطاهر ، والنييم والصلاة ومواقيتها . وهو يصف طريقة الصلاة ويذكر ما ينبغى أن ينطق به الإنسان في كل حركة من حركاتها . وهو يكتب المصطلحات بالعربية ويرسمها بحروف لاتينية محرفة ولكنها تدلنا على الطريقة التي كان مسلمو الأندلس ينطقون بها العربية ، مثال ذلك :

Allah ua aqbar (الله أكبر)

çubhana rabb! ilhadim (سبحان ربي العظيم)

çemi allahu lîmen hamidehu (سمع الله لمن حمده)

Allahume rabbane qual col hamdu (اللهم ربنا ولاك الحمد)

وهو يستعمل مصطلح العبادات الإسلامية في صورة قشتالية ، فيقول مثلا :

arraquear أى الركوع ، مستعملا لفظة arraqua (الركعة) في صورة يفعل

مضيفاً إليها النهاية ar . ويقول : anefiles أى النوافل ، جامعا لفظة نافلة جمعا

قشتالياً ؛ وكذلك adaheas أى الأضحيان ، وما إلى ذلك .

وهو يذكر في فاتحة الكتاب أنه ألفه استجابة لطلب رجل تونسي يُسمى

سيتي بولجايز Citi Bulgaiz (سيدى أبو الجيش ، أبو القيس ، أبو الغازي ؟) [(٥) .

ووجدنا كذلك كتابا ينسب إلى رجل يستتر تحت اسم « مَنَنْبُ دِ أَرِبَلُهُ »

(Mancebo de Arébalو أى رفيق أريقالو) يسمى « التفسير » أو « التفسير »

نلمح فيه أثر آراء الغزالي .

[والمؤلف يبدأ كتابه بذكر ما دفعه إلى تأليفه ، ويمحكي كيف اجتمع

بفقر من المسلمين فيهم سبعة من العلماء ، وتذاكروا سوء حال المسلمين ، ثم تحدثوا

في أمور الدين ، فطلب إليه الناس أن يؤلف لهم في الدين كتابا ، فكان هذا

الكتاب . وإليك فقرة من فاتحة الكتاب نقلها كما هي في المخطوط وترجمها

إلى العربية :

١ — « إِرَآنُ دِيَا دِلْشَن شِيَتِ دِلْ أُنِيْ — 1 — "Era un día de lox siete del ano

٢ — بِنْتِنْسُكُوِيْنُ دِدُلْقَمْدَةُ ، فُوِيْرُنُ } بنتينسكوين ددلقمدة ، فويرن
أخنتدش }
2 — bentiçinqueno de Dulquiada. }
Fueron ajuntadox

٣ — إِنْ تَرَجُّتْ أَنْ كُنَيْتِيْ دِأَنْرُدُشْ } إن ترجت أن كنييتي دأنردش
مُتْلِشْ }
3 — en çaragoça una conpana de }
onradox muçlimex,

- 4 — adonde se hallaron máx de beinte muçlimex } ۴ — اَدُنْدِ شَالِیْرُنْ مَشْ دِ بَیْمَتِ مُنْهَلِشْ
- 5 — y entre ellox xiete alimex doctox } ۵ — اِنْتَرِ اِلِشْ شَیْتِ اَلِمِشْ دُ كَتَشْ
- 6 — y fadeladox; y despues del adohar } ۶ — اِفْدَلْدَشْ اِدِیْبُوْشْ دِلْ اُدَهْرْ
- 7 — començaron a tratar de nuextrox duelox } ۷ — كِمَنْتَرُنْ اُتْرَتَرْ دِنُوْشْتَرَشْ ذُوْشْ
- 8 — y cada uno dixo xu arenga ; y entre } ۸ — اِ كَدُوْنُ دِشْ شُ اَرَنْجِ ، اِنْتَرِ
- 9 — muchax coxax no faltó quien dixo cómo } ۹ — مُتَشَشْ كُشْشْ نَفَلْتْ كِیْنِ دِشْ كُمْ
- 10 — era grande nuextra pérdida y de cuán poca } ۱۰ — اِرْجِرَنْدِ نُوْشْتَرِ بَرْدِدِ اِدِ كُوْنِ پَكْ
- 11 — exençia era nuestra obra ; y dixo otro } ۱۱ — اِنْتِشَا اِرْ نُوْشْتَرِ اَبْرْ ، اِدِشْ اُتْرْ
- 12 — alim que lox trabajox qué teníamox, y los } ۱۲ — اَلِمِ كَلَشْ تَرَبَخْسْ كِتَنِیْمِشْ ، اُنْشْ
- 13 — que de cada dia se nox apare- } ۱۳ — كِدِ كَدَدِیْ شَنْشْ اَبْرْ خَبَنْ ، كِتْدُ
jaban, que todo xeria } شِرِی
- 14 — para máx meritança ; y repug- } ۱۴ — پَرْمَشْ مَرْتَنْبَا ، اِرْ پُجْرَنْ
naron } اِرْ پُجْرَنْ
- 15 — xu dicho, diçiendo que lox } ۱۵ — شُدْتَشْ دِیْنِدُ كَلَشْ تَرَبَخْسْ
trabajox } اِرْ پُجْرَنْ
- 16 — no cunplían para ningún } ۱۶ — نَكُنْپَلِیْنِ پَرِ نَنْجَنْ مَنَشْكَبْ
menoxcabo de la obra } دِلَا بَرْ
- 17 — preçetada (preceptuada) y que } ۱۷ — پَرِ نِتْدَ اِكْفَلْتَنْدُ لِمِدَلْ پَرِ نِپَالْ
faltando la médula prinçipal, } كِلِشْ
que ex } اِرْ پُجْرَنْ
- 18 — el llamamiento para la açalá, } ۱۸ — اَلَلِیْمِیْنِ پَرِ لَا اَنْلَا كِ لَا بَرْ
que la obra no podía xer } نِدِیَا شِرْ
- 19 — grata." } ۱۹ — جَرَانَا ...

وترجمتها سطرًا بسطر:

- ١ — في يوم من الأيام السبعة السنوية
- ٢ — الخامس والعشرين من ذي القعدة ، اجتمع
- ٣ — في سرقسطة جمع من أشرف المسلمين
- ٤ — حيث وجد أكثر من عشرين مسلم
- ٥ — وكان بينهم سبعة علماء راسخون في العلم
- ٦ — وفاضون ، وبعد الظهر
- ٧ — أخذوا يبجلون آلامًا ،
- ٨ — وقال كل واحد منهم كلامه . ومن بين
- ٩ — أشياء كثيرة [تكلموا فيها] لم يخل [الأمر] من واحد قال : « كيف
- ١٠ — كانت خسارتنا كبيرة ، وما أقل
- ١١ — جدوى عملنا ! » وقال .
- ١٢ — عالم : « إن كل الأعمال التي بين أيدينا والأعمال
- ١٣ — التي تشغلنا كل يوم ، إن كل هذه ستكون
- ١٤ — عظيمة الأجر ، فأنفوا من
- ١٥ — قوله قائلين : « ن الأشغال [اليومية]
- ١٦ — لا تأثير لها على العمل [الفنى]
- ١٧ — المفروض ، ولأنه إذا انعدم الشيء الأساسي — وهو
- ١٨ — استجابة الداعي للصلاة — لا يمكن أن يكون العمل
- ١٩ — مقبولاً »

ثم يذكر المؤلف كيف استمر هذا الحديث ، وكيف أن المجتمعين عندما علموا بأنه ذاهب للحج أكرموه ، وتبرع واحد منهم — هو اللدون مَنزِبِك دِ شِجُوبِيا (= شقوبية ، Manrique de Segovia) — بعشرة دوبات موريسكية وكذلك تبرع له الآخرون ، وطلبوا أن يصلى بهم ، فأقام الخطبة وصلى بهم . ثم طلبوا إليه أن يكتب لهم تفسيراً للقرآن مختصراً وواضحاً ما أمكن ، فألف لهم هذه « التفسيرية » أو « الفسرة » . ثم يلي ذلك الكتاب في فصول كثيرة قصيرة عن الدين والإيمان والقرآن والصلاة والخير وكلام عن الأنبياء والصالحين والزهاد . وهو يسند بعض كلامه إلى نفر من علماء الإسلام يكتب أسماءهم في صيغ قشتالية مثل : أبُدْرَدَائِي (= أبو الدرءاء) وكندادنا (= قتادة)

وكعب الحبار (= كعب الأحبار) وإبسان (ابن سينا) وإبان رويس (ابن رشد) وما إلى ذلك ...] (*) .

وهناك كتاب آخر نجهل اسم مؤلفه ، ولكننا نستدل من كتابه على أنه كان ممن لجأ إلى تونس ، واسم كتابه « دَاكْرِيْنْتِيَا إِلِكِ دِبِ سَبْرِهِ إِلْمُهومتَانُو إْتْرَشْ كُشْشْ كْرِيْشْشْ »^(٦) De la creencia y lo que debe xaber « كتاب في العقيدة وما ينبغي على المسلم أن يعرفه وأشياء أخرى غريبة » ، وهو يتحدث فيه عن الأخلاق والطبوس الدينية حديثاً مرسلًا على النحو الذي نجمده في كتب الأدب ، ويختلط بذلك كله شيء شبيه بقصة عنوانها El arrepentamiento del desdichado أي « كتاب في العقيدة وما (= توبة البأس) ، وقد قال عنها الأستاذ أوليفر آسين إننا نجد فيها « ثقافة وذوقاً أدبياً وأصولاً إسبانية خالصة أخذت عنها » ، وقد وجد نفس الأستاذ في كتابة هذا الموريسكي آثاراً لكتابات لوب ديفيجا Lope de Vega الأديب الإسباني المعروف . ومن كتاب الموريسكيين الذين لا تخلو آثارهم من طرفة خوان پريث Juan Pérez — ويسمى أيضاً إراهيم تيبيلي Ibrahim Taibili — الذي نظم قصيدة ينقض فيها النصرانية ويساجل أصحابها .

ولا نعلم بين هذه الكتب ترجمات لكتب مشرقية ، كما نجد في رسالة الفقه المالكي السماة « كتاب التفريع » (أَلَكِتَبُ دِلَا تَفْرِيْبَهُ) (Alquiteb de la Tafria) لأبي القاسم عبيد الله بن الحسين بن الحسن بن الجلاب البصري المالكي ، ولدينا منه نسخة أخرى مكتوبة بحروف لاتينية^(*) .

(*) J. RIBERA y M. ASIN, *Manuscritos Arabes y Aljamiados de la Biblioteca de la Junta* (Madrid, 1919) pp 217 - 228

(*) هذا الكتاب ترجمة قشتالية لكتاب « التفريع في الفقه » لابن جلاب البصري المشار إليه ، قام بها مترجم لم يذكر اسمه ، وكتب هذا النص القشتالي بحروف عربية نسخا قال بالعربية في نهاية الكتاب : كل التفريع لابن جلاب ... يوم الاثنين لثمانية يوما من =

وان تقف طويلا عند كتب الموريسكيين التي تدور حول موضوعات الدين والقراءات والعبادات والمواعظ وصيغ الطلاسم وما إليها ، إذ أن قيمتها الأدبية ضئيلة ، وهذا لا يمنع من القول بأنها على أعظم جانب من الأهمية في تعرف أحوال المجتمع الموريسكى ؛ ولكننا سنلم بذلك ببعض منظومات الموريسكيين .

ف ١٤٦ — الشعر الموريسكى :

كتبت « قصيدة يوسف » في القرن الثالث عشر أو الرابع عشر الميلاديين ، وهي نسي عادة في كتب الأدب El Poema de José ولكن عنوانها الحقيقي كما كتبه صاحبها هو « حديث يوسف » El-Alhadits de José . وهي منظومة في مقطعات من البحر القشتالي القديم المعروف بالكوادرنو بيا Cuaderno Via ، وهي قصائد تنظم كل أربعة أبيات منها على قافية واحدة ، وصاحبها موريسكى من أهل أرغون نجهل اسمه ، وقد استدلنا على أنه من هذه الناحية بمخضائص الالهجة القشتالية التي يستعملها . والقصيدة تقص علينا قصة سيدنا يوسف بن يعقوب كما تروى في « سورة يوسف » من القرآن الكريم ، مختلطة بالكثير من الأساطير الإسلامية التي تنسب إلى كعب الأحبار خاصة ، وهي أساطير مستقاة من الإسرائيليات^(٧) .

[وفيما يلي قطعتان من هذه القصيدة في لغتها القشتالية تعطى القارئ فكرة عن قالبها ونسبها بحروف لاتينية لتيسير قراءتها] :

“Reutaban à Zallja las duennas del lugar
Porque con su cativo queria voltariar;
Ella de que lo supo arte las fué á buscar
Convidolas á todas é llevolas a yantar

شهر رَس موافق في سبع وعشرين من الملل ربيع الأوّل عام ثلاثة وتسعين وتسعمائة على يد المعترف بتقصيره عن شكر ربه يسى (؟) أشقر بن ... ؛ وقد تركت ألفاظه على حالها . ولا زال لدينا لسختان من الأصل العربي لهذا الكتاب . انظر : بروكلان ، تاريخ ، ج ١ ، ص ١٧٧ . وهو كتاب في الفقه على مذهب مالك .

Diólas ricos comeres é vinos esmerados,
 Que iban hí todas agodas de dictados :
 Diólas sendas toronjas é canniute en las manos
 Tajantes é apuestos é muy bien temperados

وها هي ترجمتها مع فقرات أخرى من القصيدة تظهر فيها متابعة الشاعر للجانب
 القصصى من السورة القرآنية :

ولامت نساء الناحية زليخة
 لأنها أرادت أن تلهو مع أسيرها
 ولما علمت هي بذلك سعت
 إلى أن تدعوهم كاهن إلى الطعام

وقدمت إليهن أطعمة طيبة وخررا منتقى
 وذهبين جميعا إلى هنالك ليستمتعن بهذه الأشياء
 وأعطت لكل منهن برتقالة وسكينا
 قاطعا ومعدًا ومسنوننا سنا طيبيا

وذهبت زليخة إلى الموضع الذى كان فيه يوسف
 وهياته على أجمل صورة بملابس أرجوانية من الحرير
 وزينته زينة بالغة بالجواهر
 وأرسلته إلى النساء ، سوط إغذاب فى يدها

فلما رأيته طار صوابهن
 إذ أنه بلغ من الجمال وحسن الهيئة . .
 بحيث ظفنه ملاكا ، ومسهن الجنون
 وقطنن أيديهن دون أن ينتبهن

وسال الدم على البرتقال . .
 فلما رأت زليخة ذلك سرت سرورا عظيما

وقالت لمن : « أيتها المجنونات ، ماذا أنتن صانعات دون أن تدرين ؟
إن الدم يسيل على أيديكن ! »

فلما رأين الدم أحسن بمدى جنونهن
وقالت لمن زليخة : « أنتن أصابكن الجنون دون أن تدرين
وصرتن إلى هذه الحال من نظرة واحدة
فكيف بحالى وقد طال الوقت بى ؟ »

وقالت النساء : « لا لوم لنا عليك . .

ولقد أخطأنا فيما ظنناه بك
وسنعمل على أن نجعله فى يديك بأسرع ما يُستطاع
حتى يتم بينكما الوصال . . . » (*)

والغالب كذلك أن رباعيات المدحة النبوية المسماة « المدحة دِ أَلْبَنْشَةَ أَلْ
أَلْنَبِيِّ مُحَمَّدِ Almadha de alabandça al annabi Mohammad (= مدحة
مديح النبي محمد) ترجع إلى القرن الرابع عشر، وقد نشرها مَلَرٌ وهي مصوغة فى
قالب الزجل، وقد وردت الخرجة فيها مكتوبة بحروف عربية، وإليك غصنين منها:

Senor, fes tu aççala sobre'el,
y fesnos amar con él,
sacanox en su tropel,
jus la sena de Mohammad.

يا حبيبي يا محمد ، والصلاة على محمد

Quien quiere buena ventura,
y alcanzar grada de altura,
porponga en la noche oscura,
l'aççala sobre Mohammad.

يا حبيبي يا محمد ، والصلاة على محمد

(*) F. GUILLEN ROBLES, *Leyendas de José y de Alejandro el Magno*
(Zaragoza, 1888) p. XXVI.

وترجمتها:

يا ربنا ، صلِّ عليه
 واشملنا بمحبك معه
 وأخرجنا في جماعته
 في رحاب محمد
 يا حبيبي يا محمد ، والصلاة على محمد

ومنَّ يُرِدْ حَسَنَ الْمَالِ
 وبلوغ المقام العالى
 فليكثر في ظلام الليالى
 من الصلاة على محمد
 يا حبيبي يا محمد ، والصلاة على محمد^(٨) .

وإلى ذلك المصر كذلك ترجع « قصيدة مديح محمد » Poema de alabanza de Mohammad التي نشرها جايانجوس (وترجمها تيكنور) وهي في شعر أوروبى
 أَلِكْسَنْدَرِيبِنِي ، ومطلعها يذكّرنا بمطلع « قصيدة يوسف » وهو :

Los loores son ad allah, el alto, el verdadero,
 onrado y cumplido, señor muy derecho
 sennor de todo; uno solo y senero,
 franco, poderoso, ordenador certero.

وترجمتها:

الحمد لله المتعال الحق
 ذى الإجلال والكمال وهو رب عادل
 رب كل شيء ، واحد أحد وذو سيادة
 صريح قوى صاحب الأمر ، لا شك فيه^(٩) .

ويمكننا أن نذكر من أهل القرنين الرابع عشر والخامس عشر محمد السُرطوسى
 Malomat al-Xartosf طيب أمير البحر ذِيْجُوْ أُوْرْتَاوُ دِيْ مِدُوْرَاْ Diego
 Hurtado de Mendoza ، وكان ينظم أغاني « بارعة جدا ذات ألفاظ بالغة
 الجمال » يتعرض فيها لموضوعات عسيرة تتعلق بالقدر والاختيار بحسب ما يقول
 صاحب « ديوان بيَّانه » El cancionero de Baena .

وخلال القرنين السادس عشر والسابع عشر نجد شعراء الموريسكيين
 يستخدمون بحور الشعر الإسباني بمهارة ، وكانوا يستخدمونها بوجه خاص في نشر
 أصول عقيدتهم بين جمهور الناس ، ومنهم إبراهيم البُلْفَادِيْ Ibrahim de Bolafd
 الذى كتب رسالة في الدفاع عن العقيدة الإسلامية ، وقد عثرنا على شرح عليها عنوانه :

Comentación sobre un tratado que compuso Ibrahim de Bolfad, becino de Argel, ciego de la vista corporal y alumbrado de la del corazón y entendimiento

(شرح على الرسالة التى ألفها إبراهيم البُلْفَادِيْ نزيل الجزائر ، وهو أعمى البصر
 منير القلب والذهن) (*) . وقد نظم البُلْفَادِيْ نخسة يشرح فيها عقيدة الإسلام ،
 وإليك فصنين منها يدوران حول وجود الله :

y el testimonio de aber
 Senor Dios forçosamente
 es lo criado; y tener
 color, tiempo, y falleçer;
 como el bibir de la jente.

Pues ya en lo criado bemos
 no ay obras sin causador
 de donde claro entendemos
 que aqueste ser que tenemos
 sin duda tiene obrador.

(*) JAIME OLIVER ASIN, *Un morisco de Tunez.*

وترجمتها:

والدليل على وجود
 ربِّ إلهٍ بالضرورة
 هي المخلوقات نفسها ، وأنا نحمد
 اللون والزمن والموت
 كما نرى الناس يحميون

وحيث أننا نرى في عالم المخلوقات
 أنه لا فعل بدون فاعل
 فمن هذا نفهم بوضوح
 أن هذا الكيان الذى نراه
 له من غير شك صانع

[وفى التعليق الذى وضعه صاحب هذه المنظومة على قصيدته ، يذكر كيف
 كان يتخلل الصلاة تمثيل قطعة مسرحية تدور حول معجزات محمد (صلى الله
 عليه وسلم) يتعرض الشاعر والممثلون لشيء غير يسير من الخطر أثناء تمثيلها] (*) (١٠) .

وكان الموريسكيون يصوغون أشعارهم فى قوالب شعر الأغاني الإسبانية
 المعروفة بالرومانيس (los Romances) التى كانت شائعة فى ذلك العصر ، ومن
 ذلك ما فعله المعلم خوان ألفونسو الذى هاجر إلى تيطوان لسكى يمارس شعائر
 الإسلام من غير حرج ، وهناك كتب قصيدة يحمل فيها على النصرانية حملة شعواء
 يتجلى فيها ما كان لديه من ثقافة كلاسسيّة . وإليك فقرة يحمل فيها على النصراني :

(*) رجع المؤلف هذه الفقرة من الطبعة الثانية من كتابه للاختصار ، فأثبتها هنا لما
 فيها من الفائدة .

cuerbo maldito espanol,
 pestifero canzerbero, (*)
 que estas con tus tres cabezas
 a la puerta del infierno

وترجمتها :

أيها الغراب الإسباني الملعون
 يا ناشر الوباء ، أيها السجان البغيض
 ها أنت واقف برؤوسك الثلاثة
 على أبواب الجحيم . .

ومن أجل شعراء الموريسكيين شأننا محمد رَ بَضَان وأصله من روضة
 (Rueda del jalón). وقد وضع في سنة ١٦٠٣ في شعر إسباني « تاريخ نسب
 محمد » (صلم) Historia Genealógica de Mahoma ضمَّنه ما ورد في
 كتاب للحسن البصرى عن النسب النبوى ، ونظم كذلك « قصة فزع يوم
 الحساب » Historia del espanto del día del juicio ، و « أنشودة
 شهور السنة » Canto de las lunas del ano ، و « قصيدة أسماء الله »
 Los nombres de Allah ، وسنورد من شعره هنا بعض أبيات من « تاريخ
 نسب محمد » يصف فيها عزرائيل ملك الموت عندما بعثه الله لينذر إبراهيم الخليل :

yo soy quien mi nombre temen—	cuantos memoran mi nombre,
desde la mas baxa tierra	— hasta las mas altas torres
yo soy el que nadi esenta	— de mis amaragas pasiones;
a todos los hago iguales	— a los grandes y menores,
desde el labrador mas baxo	— al emperador mas noble
y desde el mas alto rey	— a los mas baxos pastores
yo soy la sola atalaya	— que a mi vista no se asconde
criatura que alma tenga	— ni cosa que vida goce;
el que las copiasas huestes	— acaba, deshace y rompe;
y el que los cuerpos despoja	— de sus amados arrohes

(*) Canzerbero هو بواب الجحيم ، وتصوره الأساطير في صورة كلب ذى ثلاث رؤوس ،
 وهي صورة مقتبسة من الأساطير الإفريقية القديمة .

No quiero tregua con nadi — jamás escucho razones;
 de ninguno soy amigo — a todos trato de un orden.
Azaragel me apellidan — *malac almauti* es mi nombre
 quien nunca temió, y le temen — todas las generaciones.

وترجمتها:

أنا الذى تخشون اسمى — عندما تذكرون اسمى
 من أسفل الأرضين — إلى أعلى الأبراج
 أنا الذى لا يفتل أحد — من رغبتى المريرة
 إننى أجمل الجميع سواء — الكبار منهم والصغار
 من أوضع العمال — إلى أنبل الأباطرة
 ومن أرفع الملوك — إلى أبسط الرعاة
 أنا الطليعة الوحيدة — الذى لا يغيب عن بصرى
 مخلوق فى بدنه روح — أو شىء ينعم بحياة
 أنا الذى أنزل بالجيش الحرارة — الفناء والتشتيت والانكسار
 أنا الذى أجرد الأجساد — من أرواحها العزيرة

لست أريد أن أهادن أحدا — ولا أصنعى أبداً لكلام
 ولست صديقا لأحد — أعامل الكل بناء على نظام
 عزرائيل يسمونى — ملك الموت اسمى
 أنا الذى لم أعرف الخوف قط — جيلا بعد جيل^(١١)

ومن بين أولئك الشعراء الموريكيين من كان يجيد النظم فى محور الشعر الإبطالية، التى شاعت فى إسبانيا فى ذلك الحين وصب على قوالها شعراء الإسبان عامة. وإليك قطعة من أغنية soneto نظمها شاعر موريكى حول موضوع طرد الإسبان لقومه الموريكيين من البلاد:

Dios que a los suyos padeciendo mira
muerte en la vida y en el cuerpo infierno
por pecados de padres sin gobierno,
o por la causa que a su globo admira
alça la ardiente espada de su yra ;

وترجمتها :

يارب يا من ترى ما يعانیه عبادك
وهم أموات في قيد الحياة وأجسادهم تنلظى
يتعذبون بسبب خطايا آبائهم الذين كانوا يعيشون بغير وازع
أو لأنك تنظر إلى خلقك في رضى
ارفع حربة غضبك الحامية

أما الكتاب البالغ الغرابة المسمى « رباقيات حاج پوى منثون »
Las Coplas del Al Hichante de Puey Monçon فيضم وصف رحلة إلى
مكة قام بها صاحبها في القرن السادس عشر ونظمها في شعر قشتالى سهل بسيط
يتكون من مقطعات coplas كل مقطعة منها ثمانية أبيات . وپوى منثون من قرية
على حدود قطلونية (١٢) .

[ورحلة حاج پوى منثون رحلة حقيقية قام بها صاحبها من بلده إلى بلنسية ،
ومنها ركب البحر إلى تونس ، ثم زار مصر ووصف الأراضى المقدسة حيث زار
مكة والمدينة ، ووصف ذلك كله في شعر بسيط سهل يفيض حماسا وخيالا شاعريا
وقد وُجد نصها الإسپانى مكتوبا بحروف عربية عسيرة القراءة . وقد تمكن من
فك رموزها ونشرها بحروف لاتينية مريانو دى بانو إى رواتا Mariano de Pano
y Ruata ، وإليك فقرة منها بحروف العربية نتبعها بنصها بالحروف اللاتينية مع
فقرة أخرى وترجمتها ؛ وهو يصف فيها أهوال يوم الحشر :

إمشن كا ألي إشت ، البل آدنداشا
غن لاء امشن كا ألي تدشن كُن

عَرَنَ مَلَّ جُنْتَمَا نِتَانُشْ
 بَرَامُشْ دُنْدَا تَدُشْ لَرَا
 مَشْ نُوَشْتَرَشْ فَلَنْتَشْ
 إِءَا رَاشْ لُشْ كَا اللّهُ نُسَازْ
 بَرَامُشْ كَاهَرَامُشْ بِا قَدْرَاشْ

LXXVII.

Y más que allí esta el val
 A donde, según leemos,
 Qu' allí todos con gran mal
 Juntamente nos veremos;
 Donde todos lloraremos
 Nuestras faltas y errores,
 Los que Alá no serviremos,
 Qué haremos pecadores.

LXXVIII.

Allí hombres y mujeres
 Todos seremos juntados,
 De las obras que haremos
 Muy bien seremos pagados,
 No nadi perjudicamos;
 Sino por justa razón
 Según haremos las obras
 Así habremos el galardón.

وترجمتها:

ثم إنه هناك يوجد الوادى
 حيث ، بحسب ما نقرأ فى الكتب ،
 سنكون هناك جميعاً فى ضيق عظيم
 وسيرى بعضنا بعضاً متجاورين
 وهناك سنبكي جميعاً

ذونبنا وأخطانا
 ونحن الذين لم نعلم بواجب الله
 ماذا نفعل نحن الخاطئين ؟
 هناك ، رجالا ونساء
 سنحشر معا جميعا
 وعن الأعمال [الصالحة] التي عملناها
 سنجزى جزاء طيبا
 ولن ينال أحد عقابا
 إلا بحساب عادل
 وعلى قدر أعمالنا سيكون الجزاء [*] .

ف ١٤٧ — الفصحة الموريسكية :

والموريسكيين أدب قصصى ، وهو أعظم قيمة من شعرهم من الناحية الأدبية ، وأساطيرهم وقصصهم تعرض علينا في لغة قشتالية روايات ذات أصل عربي في الغالب . وهي حكايات تتخللها وتزيدها طلاوة من حين لآخر من مشاهد من حياة عيسى وموسى ويعقوب عليهم السلام ، ومحمد (صلعم) وصحابته بوجه خاص ، وهي تنقسم جميعها بسمة ظاهرة : هي توارد أحاديث العجائب في ثناياها ، ونذكر مما يدور حول موسى من هذا القصص الحكاية المسماة « حديث موسى مع يعقوب الجزار » : El Alhadiz de Musa con Jacob el carnicero ، ونحن نلاحظ تشابها واضحا بينها وبين قصة « الهالك اهدم ثقته في الله » : El Condenado por desconfiado للكاتب الإسباني تيرسو دي مولينا

(*) MARIANO DE PANO y RUATA, *Las Coplas del Peregrino de Puey Monçon* (Colección de Estudios Arabes, vol I) Zaragoza 1897, pp. 227-228.

Tirso de Molina^(١٣) . وجدير بالذكر من هذه الأساطير ما يتصل بطفولة عيسى عليه السلام إذ هو مستقى مما في الأناجيل الزائفة ، ومثال ذلك الأسطورة المسماة « حديث الجحمة التي سر بها عيسى » Alhadit de la calabera que encontró Aiça إذ هي تظم وصفاً للجحيم .

وعندما تعرض هذه الأساطير لحياة محمد صلى الله عليه وسلم تقص علينا سلسلة الحكايات الخاصة بمولده وشبابه ومغازيه ، وأخبار نفر من صحابته الأولين ، وعلی ان أبی طالب بخاصة ، ومثال ذلك « حديث قصر الذهب وقصة الثعبان » Alhadiz del alcázar de oro y la estoria de la culebra ، و « حديث علي مع الأربعين فتاة » Alhadiz de Ali con las cuarenta doncellas ، و « حديث نعيم المختطف من دينه » وهي قصة تدور حول تميم الدارى (ولهذا تسمى فى بعض الأحيان el Recontamiento de Temim Addar) ، وهي تصف اختطاف الجن له وتقلهم إياه إلى مساكنهم ، وتقص كيف عاد بعد ذلك إلى الدنيا . ويقول عنها منذذ إى پلايو « إنها قصة يشترك فيها الجن — صالحين وغير صالحين — وتصف لنا رحلات مجيية فى البر والبحر وفى بلاد مجهولة ، ومن ثم فإننا نجد هذه الرحلات تدور فى عالم بين الحقيقة والأحلام وما يتخلل ذلك من رؤى صوفية يراها بطل القصة فى نومه ، ذلك كله يجمل من هذه السياحات مجموعاً هو أقرب إلى الغرابة منه إلى الخيال ، ولكنه — آخر الأمر — غنى من ناحية الابتكار »^(*) ، مما يذكرنا بأقاويص ألف ليلة وليلة .

وموضوع إحدى قصص هذه المجموعة من الحكايات التى نناقها للموريسكيون هو « حكاية مدينة النحاس والقهام » :

la Estoria de la ciudad de Alatón y de los alcáncamos

(*) MENÉNDEZ PELAYO, *Orígenes de la Novela* (Madrid, 1953)

نرى فيها سليمان عليه السلام يحبس الشياطين ، وهي حكاية تشبه الأساطير التي نسجت حول فتح العرب الأندلس كما كان المصريون والشاميون يرونها . ولا تخلو هذه الأفاصيص من أساطير أخرى تدور حول الملك سليمان « الذي ينسب إليه الشرقيون العلم بأشياء لا تحصى ، علاوة على ما تصفه به الكتب المقدسة من قوى خارقة ، منها ملك زمام الريح ، فسكان يستطيع الانتقال على جناحها من مكان إلى مكان في لمح البصر ، ومنها إدراكه لغة الطير وهممة الحشرات وصياح الوحوش ، وقدرته على الإبصار على مسافات، منامية ، وطاعة الوحوش له وإتيان النور إليه خافضة جناح الطاعة ، وتحت يده خزائن لا تنفذ ، ويتختم بخاتم يعرف بواسطته كل ما مضى وما سيقبل ، ويصدر أوامره إلى الجن فيقيموا له المعابد والقصور ... الخ » (*). بهذا كله تحدثنا قصة من هذه القصص عنوانها :

Recontamiento de Sulaimán cuando lo reprobó Allah en quitarle la onnra y andó cuarenta dias como pobre demandando limosna.

(= حكاية سليمان عندما عاقبه الله بتجرده من عنزه ففضى يضرب في الأرض أربعين يوماً شحاذاً يتكفف الناس .)

أما « حكاية ما حدث لجماعة من العلماء الصالحين » فعنوانها في الأصل :

Recontamiento de Sulaimán que aconteció a una partida de sabios *zelihs*.

وهي ذات مغزى روحى دينى ، وهي تقص علينا كيف أن ناسكاً مسلماً هوى امرأة نصرانية فارتد عن دينه بسببها ، ثم عاد فقدم على ما فعل وتاب وأدركته المغفرة ودخلت محبوبته في الإسلام . ومثلها حكاية العابد والمرأة السمينة (*Alabid y la mujer encarnes*) ، وكلها تعرض علينا هذا اللون من القوة (الروحية) الذي تحدثنا عنه « حيوات الآباء » *Vitae Patrum* (*). مثل قصة

(*) . MENÉNDEZ PELAYO, op. cit. I. p. 109.

(*) أى آباء الكنيسة ، وهم كبار رجال المسيحية في أجيالها الأولى ، الذين كتبوا فيها ودافعوا عنها وحددوا معالمها ، من أمثال القديسين أوغسطين وأمبروزيوس .

الناسك الذي أرادت المقادير أن يقضى الليل مع امرأة في غرفة واحدة ، فجعل كلما همت بها نفسه يمد أصابعه إلى نار شيمة لتلذذها تذكيراً لنفسه بمذاب جهنم ، فترتد عما تريد . ومن بينها كذلك حكاية يرى الأستاذ آسين أنها مقتبسة من قصة معروفة كثيرة التوارد فيما يُحكى من تراجم الزهاد ، وهي الحكاية اللطيفة التي تدور حوادثها في قرطبة وغتوانها : حديث ذال بنّ ذارزياب (Hadith del Bano de Zariab = حديث حمام زرياب) ، وقد قال عنها مننذذ بلايو إنها « قصة قرطبية من طراز ألف ليلة ، تمتاز ببساطة قالبها الأسطوري وظرفه . وهي تروى قصة الحيلة الساذجة التي لجأت إليها فتاة لتتقذ نفسها من رجل متهتك خادع دخلت بيته خطأ إذ كانت تقصد « حمام زرياب » . بيد أن القيمة الحقيقية لهذه القصة إنما هي في طابعها نصف التاريخي ، وفيما تقدمه إلينا من تفاصيل عن الحياة الخاصة لسلمى الأندلس في أزهى أيام الخلافة ، لأنها تدور في أيام المنصور بن أبي عامر . وزرياب الذي يُنسب إليه حمام القصة إن هو إلا ذلك الموسيق البغدادي المعروف ، فيصّل الأناقة *arbiter elegantiarum* في بلاط عبد الرحمن الأوسط ومبتكر الوتر الخامس في العود . ووصف الحمام نفسه جدير بالذكر ، لا بسبب ما يضفه من تفاصيل معمارية غربية فحسب ، بل لأنه نموذج من اللغة الغريبة التي كتبت بها هذه الكتب » (*) .

وهناك أساطير واسعة المعالم مثل « يوسف وزليخة » José y Zeliya (*) ، فهي سلسلة من الحكايات متميز بعضها عن بعض ، وكذلك قصتنا « حديث

(*) MENÉNDEZ PELAYO, op. cit. I, p. 111-112.

(**) هذا هو الاسم الذي وضعه المؤلف لهذه القصة المعروفة ، وقد سماها ناشرها جين روبياس « أسطورة يوسف بن يعقوب » Leyenda de José hijo de Jacob ، أما العنوان الحقيقي لها فغير معروف ، لأن الورقات الأولى من مخطوطها ضائعة .

Cf : F. GUILLÉN ROBLES : *Leyendas de José hijo de Jacob y de Alejandro el Magno*. (Zaragoza, 1888) p. 3.

Recontamiento del Rey « حديث الملك الإسكندر » و « ذى القرنين » ، فهما ترويان حياة الإسكندر الأكبر كما تصوره الأساطير الشائعة عند المسلمين . [« والإسكندر في هذه الأسطورة السنجمية لا يقنع بأهل من ربط نخيله ببرج الثور وإلقاء سلاحه على الثريا ، وليس له من هدف من غزواته إلا نشر [الإسلام] دين الله وتمزيق الأصنام والقضاء على عبّادها وإلنا انجد في هذه الأسطورة الإسلامية نفس الغرائب التي تحكيها أساطير الإغريق عن الإسكندر : شعوب غريبة يلتاقها في مسيره ، أناس لهم عين واحدة ، وناس لهم رؤوس كلاب وآخرون لهم آذان يستظلون بها ، وصنوف غريبة من الطير والحيوان ، وأسرار وفضائل أودعها الله في المعادن والأحجار ، هذا كله نجد مثيله في هذه الأسطورة الإسلامية العجيبة »] (*) .

أما قصص الفروسية الموريسكية فحقيق بالذكر منها « حكاية المقداد واللياسة التي يبدوها مؤلفها بقوله : هذا هو حديث المقداد السعيد مع اللياسة ابنة عمه الملك جابر أبي ضرار كما رواها ابن عباس » (**) . ولقد نطقت هذه القصص حدود إسبانيا ، نثرى لمحات منها في أقاصيص بروفسية مثل باريس وفيانا Paris y Viana (باريس وفيينوس) . وربما كانت قصة المقداد قد ترجمت إلى البروفنسية عن ترجمة قطلونية لأصلها القشتالي على يد موريسكي أرغوني^(١١) .

ومن القصص الموريسكي ما نجد فيه موضوعات متواردة في القصص الشعبي الماللي ، ومثال ذلك « حكاية الفتاة كارز كايونا بنت الملك نشراب مع اليممة »
Recontamiento de la doncella Carcayona, hija del rey Nachrab

(*) MENÉNDEZ PELAYO, op. cit. I. P. 111.

(**) MARIANO DE PANO, *El recontamiento de Al-Micded y Al-Mayesa* Homenaje a Codera (Zaragoza, 1904) pp. 35-50.

con la paloma (*) ، وفي موضوعها مَسَاهِم من موضوع « كتاب أپولونيوس »
 Libro de Apolonio وأسطورة « القديسة جِنُوفَةُ دِ بَرَانَانْتِ » Santa
 Genoveva de Brabante ، فكلاهما يدور حول حكاية « الفتاة ذات الأبدى
 المنطوعة » ، وهي توضع أبداً على أصل القصة الإسبانية المعروفة « سِيلْقَانَا
 أُورِدِ الْجَادِينَا » Silvana o Delgadina التي كانت دائمة تتوارث في كل مكان في
 إسبانيا (١٥) .

(*) يبدو أن اسم كاركايونه Carcayona تحريف للفظ Circasiana أي الشركسية ،
 لأن عنوانها كما نشره بالموخيل Pablo Gil هو :
 Historia de la doncella Circasiana. Este es el recontamiento de la
 doncella Carcasiana, ficha del rey Nachrib con la paloma.

انظر :

PABLO GIL, *Manuscritos aljamiados de mi Colección in Homenaje a
 Codera* (Zaragoza, 1904) p. 548.

آثار الأدب الأندلسي

ف ١٤٨ — آراء الأب، خوان أندريس في القرن الثامن عشر .

(أ) الفلسفة

ف ١٤٩ — مترجمو طليطلة . الرشديون . اليهود .

ف ١٥٠ — رايغونديو مارتين .

ف ١٥١ — رامن لل .

ف ١٥٢ — دانتي والإسلام .

(ب) العلوم

ف ١٥٣ — ألفونسو العالم والثقافة العربية .

(ج) التربية

ف ١٥٤ — المواعظ السياسية الأخلاقية .

(د) القصص

ف ١٥٥ — كتاب سلك الكتاب .

ف ١٥٦ — كتاب كايطة ودمنة .

ف ١٥٧ — السندباد .

ف ١٥٨ — برلام وروسافات .

ف ١٥٩ — الدون خوان مانويل .

ف ١٦٠ — تورميديا .

ف ١٦١ — ألف ليلة وليلة في الأدب الإسباني ، قبل القرن الثامن عشر .

ف ١٦٢ — قصص الفروسية ، قصة زياد الكناني .

ف ١٦٣ — جراسيان وابن طفيل .

(هـ) الشعر القصصى فى إسبانيا الإسلامية

- ف ١٦٤ — نظرية ريمبرا .
ف ١٦٥ — ما يمكن أن يكون لهذا الشعر القصصى الأندلسى من أثر فى الشعر القصصى
الفرنسى والإسبانى .

(و) الشعر

- ف ١٦٦ — الزجل فى الأدب الأوروبى .
ف ١٦٧ ، (١) — فرنسا .
ف ١٦٨ ، (ب) — إنجلترا .
ف ١٦٩ ، (ج) — ألمانيا .
ف ١٧٠ ، (د) — إيطاليا .
ف ١٧١ ، (هـ) — البرتغال .
ف ١٧٢ ، (و) — إسبانيا ، كنتيجات ألفونسو العاشر .
ف ١٧٣ — نائب الأسقف فى هيتا ، خوان رويث .
ف ١٧٤ — أغنية العربيات الثلاث . الدواوين . آخر مظاهر الزجل .

ف ١٤٨ — آراء الأب خوان أندريس في القرن الثامن عشر :

ألع الأب خوان أندريس — وكان يسوعياً فُصل من هذه الجماعة وطرد من إسبانيا — إلى أثر التقانة الأندلسية في الثقافة الأوردوية المائة قصيرة غير واضحة . وله في ذلك عذره ، إذ لم يكن بين يديه من المراجع إلا الفهرس اللاتيني المخطوطات العربية بمكتبة الإسكريال ، الذي وضعه الماروني اللبناني الأصل ميخائيل الغزيري ونشره في مجلدين بعنوان « المكتبة الإسكوريالية العربية الإسبانية » (1770) Bibliotheca arabico-hispana Escorialensis . وقد صنف هذا الأب اليسوعي خوان أندريس كتاباً غريباً نشره بالإيطالية بين سنتي ١٧٨٢ و ١٧٩٨ وسماه « أصول الأدب عامة وتطوراتها وحالتها الراهنة » (ترجم إلى الإسبانية بين سنتي ١٧٨٤ - ١٨٠٦ باسم : Origen, progresos y estado actual de toda la literatura) قال فيه مؤكداً : « إن الفضل في قيام الدراسات الطيبة في أوروبا يرجع إلى ما كتبه العرب » .

والواقع أنه وجد أمامه شعباً قطع في طريق الحضارة سراحل واسعة المدى وشعوباً حوله متأخرة في ميدانها ، وتراءى له — بطبيعة الحال — أن الأول يمد الثانية من ثروته الأدبية ، وقال : « بينما تصرف المدارس الكنسية جهدها إلى تلقين الناس الأناشيد الدينية ، وتعلمهم القراءة وعد الأرقام ، وبينما نجد الناس في فرنسا كلها يهرعون إلى مِتز و سَواشون بكتب أناشيدهم الكنائسية لكي يقوموها على النحو المتبع في كنائس روما ، نجد العرب يبعثون السفارات لاستجلاب الكتب القيمة ما بين إغريقية ولاتينية ، و يقيمون المرصد لدراسة الفلك ، و يقومون بالرحلات ليستزيدوا من العلم والتاريخ الطبيعي ، و ينشئون المدارس لتدرس فيها العلوم بشقي صنوفها » . ثم يذكر الترجمات التي قام بها العرب عن آثار الفرس

والمنهون: والسريان والمصريين والإغريق خاصة ، مشيراً إلى ما كان له أثر في بعث الحركة الإسكولاستية من الكتب التي نقلت من العربية إلى اللاتينية .

وذهب « أندريس » إلى أن قيام التأليف العلمي في أوروبا (في الطب والرياضيات والعلوم الطبيعية) مرجعه إلى العرب ، وذكر — تأييداً لرأيه — أسماء « جزيروتوس »^(١) و« كومبانودي نوفاارا »^(٢) Compagno di Novara وأدِلَّازد البسائي Adelardus Batense^(٣) ومورلي Morlay^(٤) وألفونسو العالم Alfonso el Sabio^(٥) وقال إنهم أعلام حركة انتقال علوم العرب إلى أوروبا .

وذهب إلى أن روجر بيكون Roger Bacon استقى مادة مؤلفه عن العدسات من الكتاب السابع من « بصريات » الحسن بن الهيثم ، وأن فيتليون Vitellion اختصر النظريات التي أودعها ذلك العالم المسلم في نفس الكتاب وشرحها ، وأن ليوناردو البيزي Leonardo Pisano^(٦) أخذ عن مؤلفات العرب علم الجبر ، ونقل عنهم الأرقام العربية وأدخلها إلى أوروبا وعلم أهلها إياها (وقد درس جزيروتوس « علم الحساب » العربي في إسبانيا وأدخله إلى المدارس الأوروبية) وأن أرنالدو دي فيلانوفا Arnaldo di Villanova « تلقى تعليمه كله في إسبانيا على أيدي العرب ، وعن كتبهم ومدارسهم أخذ المعارف النافعة في الطب والكيمياء التي نشرها في أوروبا » .

وذهب أندريس — كذلك — إلى أن رايغوندو لوليو مدين للأدب العربي في كثير ، وأن أعلام الطب الأوروبي قبل النهضة — من أمثال جليبرتو ويوحنا الجودسديني Johannes von Goddesden وقابرييتسيوس (فبريزي) أكوابندنتي Fabrizio Gerolamo da Aquapendente — إنما نهلوا من كتب العرب ، ومن مؤلفات أبي القاسم الزهراوي على وجه الخصوص ؛ وأن بيير دانييل هوييه Pierre Daniel Huet (١٦٣٠ — ١٧٢١) ذهب إلى أن ديكارت أخذ عن أعلام الفكر والجدل الإسلاميين مبدأه الرئيسي الذي يقول : « إن من

يستطيع أن يفكر فهو موجود « Quid quid potest cogitare, potest esse » وأن « يوحنا كِبَلَر » استوحى اكتشافه الأفلاك الدائرية للكواكب من كتابات البطروجي ؛ وأن بعض آراء القديس توما الأكويني في الإلهيات مستقاة من كتب العرب . ثم يقول : « فإذا لم يكن للعرب من الفضل إلا الاحتفاظ بدخائر العلوم التي أهلتها الشعوب الأوروبية ، ونقلها ، وإيداعها أيدي الناس عن طيب خاطر ، فهم حقيقون من أهل الأدب المحدثين بالشكر والعرفان » (٧) .

أما عن إسبانيا خاصة فقد أشار هذا اليسوعي إلى حقيقة خطيرة [أثبتتها البحث العلمي فيما بعد] ، وهي استعمال الناس في الأندلس للغتين دارجتين : إحداهما عربية والأخرى عجمية إسبانية ، ولم تغب عن ذهنه « حشرات آلبرو القرطبي » التي أشرنا إليها ، ولا خفي عن علمه وجود بضع مئات من الوثائق العربية في كنيسة طليطلة الجامعة ، خلفها النصارى الذين كانوا يستعملون العربية في مكاتبتهم . وذهب إلى أن الشعر الإسباني إنما نشأ — أول أمره — تقليداً لشعر العرب ؛ وقد استنتج ذلك استنتاجاً ، وقال إن اختلاط النصارى والمسلمين كان من الطبيعي أن يدفع الأول إلى تقليد الآخرين . ثم يستطرد مع تفكيره المنطقي ويقول إن صور هذا الشعر العربي وقوابله كانت حرة بأن تنقل إلى بروقنسا عن طريق الصلات المتبادلة بين الفرنسيين والإسبان — نصارى ومسلمين — وتحوال الشعراء المنشدين المعروفين « بالتروبادور » ، فنشأ الشعر البروقنسي على أساس من الشعر العربي . ويقول : « إن هذا الشعر البروقنسي إنما ينتسب إلى العرب أكثر مما ينتسب إلى اليونان واللاتين » ، إذ لم يكن لدى البروقنسيين علم بهذين الأدبيين في حين أن شعر العرب كان أقرب مورداً إليهم .

ويؤكد « خوان أندريس » أن قواعد التقفية التي اتبعها الشعر الشعبي — إسبانياً كان أوبروقنسياً — وأساليب صياغة الشعر الحديث ونظمه إنما هي مأخوذة عن العرب ، ويصدق ذلك خاصة عن الشعر البروقنسي الذي أثر بدوره

في الشعر الإيطالي . وذهب كذلك إلى أن موسيقى التروبادور وآراء ألفونسو العالم في هذا الفن عربية كلها ، وكذلك اللون القصص المعروف بالفابليو (fabliaux = الخرافات) والحكايات والقصص ترجع في مناشئها إلى أصول عربية ، وذكر أن ليبيف Le beuf أثبت أن تاريخ نرمان ورولان المنسوب إلى توربان الزائف Le faux Turpin (*) إنما هو من تأليف رجل إسباني ، وأن هذا الكتاب يعتبر أصلاً لقصص الفروسية الذي ظهر بعده (٨) .

وقد بقيت هذه الإشارات المبهمة التي كتبها ذلك الأب اليسوعي المنفي دون إثبات مؤكد في عصره ، لأن شيئاً من آثار الأندلسيين لم يكن قد نشر إذ ذاك . أما اليوم ، وبعد نيف وثمانين ومائة عام من نشر كتابه ، فإننا نستطيع أن نذكر عن تراث الأندلسيين أكثر مما ذهب إليه . وقد تحصل لدينا الآن من الحقائق التي كشف عنها وأثبتها المستشرقون — من إسبان وغير إسبان — ما يمكننا من أن نعرض موجزاً لآثار المسلمين الأندلسيين في آداب من جاء بعدهم من الشعوب الأوروبية ، وخاصة الإسبان (٩) .

(١) الفلسفة

ف ١٤٩ — مترجمو طليطلة . الرشديون . اليهود :

أصبحت طليطلة — بعد أن استولى عليها ألفونسو السادس عام ١٠٨٥ — للمركز الذي انتشرت منه الثقافة العربية واليهودية إلى باقي نواحي إسبانيا وأوروبا . وخلال حكم ألفونسو السابع (١١٢٦ — ١١٥٧) لجأ إلى هذا البلد نفر غفير من اليهود ، ناجين بأنفسهم من نواحي الأندلس الإسلامي ، بسبب اشتداد عبد المؤمن ابن علي أول خلفاء الموحدون في تعقبهم . ويرجع الفضل في إدخال النصوص

(*) ينسب هذا الكتاب إلى توربان أسقف مدينة رانس بفرنسا المتوفى سنة ٨٠٠ م . وقد أثبت العقاد أنه ليس من تأليفه ، ولذلك يسمى مؤلف ذلك التاريخ : المشبه بتوربان Pseudo Turpin أو توربان الزائف .

العربية في دوائر الدراسة الغربية إلى رايغونديو (١١٢٦ - ١١٥٢) أسقف طليطلة وكبير مستشارى ملوك قشتالة على أيامه ، وكان فعلة هذا حدثاً حاسماً كان له أمد الأثر في مصير أوروبا ، كما يقول إيرنست رينان .

تولى الأسقف رايغونديو رعاية جماعة من المترجمين والكتاب ، تعرف في تاريخ الأدب بمدرسة المترجمين الطليطليين « Colegio de traductores toledanos » ، وحفز أفرادها على المهمة في نقل المؤلفات العربية ، فتمت في هذه المدرسة ترجمة عيونها في الرياضيات والملك والطب والكيمياء والطبيعة والتاريخ الطبيعي وما وراء الطبيعة وتلم النفس والمطق والسياسة ، ومنها « أدرخانون » أرسطو وشروح المسلمين عليه أو مختصراتهم له ، وهي شروح ومختصرات جليلة وضعها فلاسفة مسلمون من أمثال الكندي والفارابي وابن سينا والغزالي وابن رشد . وترجمت عن العربية كذلك مؤلفات إقليدس وبطليموس وجالينوس وأبقراط ، بشروح أعلام الفكر الإسلامي عليها كالحوارزمي والبتاني وابن سينا وابن رشد والبطروجي ومن إليهم . وأكبر من وصلت إلينا أسماؤهم من أولئك المترجمين الإسبان هم دومينييكوس جنديسالتي (Dominicus Gudislavi ، بالإسبانية دُومِنْجُو جُنْدَالِدِ Domingo González) الذى يسمى في بعض النصوص جُنْدَيْسَالِينُوسَ Gundisalpinus ، وكان أسقف شقوبية وواحداً من كبار رجال كنيسة طليطلة الجامعة ، وربما يكون قد عمر إلى ١١٨١ ؛ ويوحنا بن داود الإسباني Johannes Hispanus Abendaud اليهودى الذى اعتنق النصرانية وسكن طليطلة ، ويبدو أنه هو الذى خلف رايغونديو في أسقفية هذا البلد .

وكان جنديسالتي ويوحنا اليهودى هذان يعملان مشتركين في الغالب ، فيملى يوحنا ترجمة النص العربى بالإسبانية الدارجة ويقوم جنديسالتي بنقلها من الإسبانية إلى اللاتينية . ولدينا من إنتاجهما ترجمات لبعض مؤلفات ابن سينا (كتب « النفس » و « الطبيعة » و « ما وراء الطبيعة ») ،

وبعض آثار الفزالي (كتاب « مقاصد الفلاسفة » ويعرف في ترجمته اللاتينية بكتاب « الفلسفة » فحسب) ، وابن جبرول (كتاب « ينبوع الحياة ») ؛ ولدينا من أعمال يوحنا الإشبيلي هذا ترجمات لكتب عربية في الفلك وصفة النجوم . ولم يقف جهد أسقف شقوية عند حد الترجمة ، بل وضع كتباً من بنات أفكاره ككتابه عن خلود النفس *De immortalitate animae* ، وقد بناء على آراء استقاها من ابن سينا وابن جبرول ، وكان له أثر واضح في كتابات جيرسون بن ساومون ؛ وكتابه عن « خلق الدنيا » *De processione mundi* الذي فرر « جوردان » Jourdain « أنه من أقدم وأهم آثار الفلسفة الإسبانية المتأثرة بالفلسفة الإسلامية » ، وقد نشره منذذ إى بلايو وتبع فيه الأثر للشرقي الأفلاطوني الحديث الذي نعرفه عند ابن جبرول ؛ وله كذلك كتاب « في فروع الفلسفة » *De divisione philosophiae* (نشره باور Baur سنة ١٩٠٣) ، وهو تصنيف في العلوم يقف فيه أثر الفارابي في كتاب « إحصاء العلوم » ، ويبدو في ثناياه أنه قرأ كتابات بوثيوس (Boethius وفي الإسبانية Boecio) والقديس إيزيدور الباجي (San Isidoro de Beja) إلى جانب من قرأ له من فلاسفة المسلمين^(١٠) . وكذلك ترجم يوحنا بن داود المعروف بالإسباني « كتاب الملل » *Liber de causis* ، وكتاباً في الطبيعة ، وآخر في المنطق^(*) .

وعند ما ذاعت ترجمات جنديسالمى ويوحنا الإشبيلي في أوروبا ، زادت

(*) يبدو أن يوحنا هذا شخص آخر غير يوحنا الإشبيلي أو الإسباني أو اللواتي الفلكي الأندلسي ، التي ترجم في سنة ١١٣٣/٥٢٧ بمص كتب أبي معشر ، والقرعاني في عام ١١٣٤ ووضع في سنة ١١٤٣ « المختصر الجامع لعلم النجوم » *Epitome totius astrologiae* . وقد تحدث الأب مانويل ألونسو P.M. Alonso عن مترجمين آخرين يحملون نفس الاسم — يوحنا الإسباني — في مقالة السمي « قييدات عن المترجمين الطليطليين دومنجو جنديسالقو ويوحنا الإسباني » في مجلة الأندلس ، سنة ١٩٤٣ ، جلد ٨ ، ص ١٥٥ — ١٨٨ .

P. MANUEL ALONSO, *Notas sobre los traductores toledanos Domingo Gundisalvo y Juan Hispano*; en *Al-Andalus*, 1943, tomo VIII, pp. 155-188.

(المؤلف)

شهرة « مدرسة طليطلة » ، وأهرع إليها نفر كبير من الغرباء المتعطشين إلى مناهل العلوم الإغريقية الشرقية التي عادت إلى الظهور إذ ذاك . ولم يكن هؤلاء الغرباء يعرفون العربية ، وإذا عرفوا فنزراً لا يتفع ، ولهذا كانوا يلجأون إلى مستعرب أو يهودى من أهل طليطلة ، فيترجم لهم حرفاً بحرف مادة الكتب العربية التي يرغبون في الإلمام بما فيها إلى الإسبانية الدارجة ، أو يعبر لهم عنه في لاتينية ركيكة ، ويقومون هم بصوغها في قالب لاتينى فصيح ، وتُنقل من هذه اللاتينية نسخ عديدة في المدارس الأوروبية المتعددة^(١١) .

وقام جيراردو القرمونى Gerardo di Cremona بترجمة طائفة من كتب العرب في الفلك والطب ، بعضها لأبى القاسم الزهراوى . وقام ميكل سكوت Michael Scot الإنجليزى بترجمة بعض كتب أرسطو وان سينا إلى اللاتينية ، بمساعدة أندريا اليهودى الذى كان يعاونه في الترجمة ويفسر له ما يقرأ ؛ ونقل كذلك بعض مؤلفات البطروجى . وكان سكوت - كذلك - أول من ترجم كتب ابن رشد إلى اللاتينية ، (ترجم منها « السماء والعالم » و « رسالة النفس ») وقام « روبرت دى رتينس » Robert de Retines وهرمان الدالاشى Herman di Dalmatia بترجمة القرآن ، إجابة لطلب بطرس الجليل Pedro el Venerable . واشتغل أديلارد البانى Adelard Batense بتأليف كتب في الفلك والرياضيات ، ولاذ به نفر من التلاميذ . وكتب هرمان الألمانى Hermanus Alemannus كتاب « البلاغة والشعر » لأرسطو ، مستعينا في تأليفه بشرح الفارابى « للبلاغة » والتلخيص الذى عمله ابن رشد « للشعر »^(١٢) .

وتكاد ترجمات أوائلك الغرباء جميعاً أن تكون غير منهومة بسبب ركاكة لغتها اللاتينية ، والفرق بعيد بينها وبين الترجمات الواضحة ، البليغة في بعض الأحيان ، التي قام بها جنديسالثو ويوحنا الإشبيلى .

ولا نعرف على وجه التحقيق إن كانت طائفة أخرى من كتب البلدة

العربية وآرائها قد انتقلت إلى أوروبا عن طريق مدرسة طابطة أرو عن طريق آخر ، من «ذالك كتب» شروح ابن باجة «وكتابه» «تدير الترحد» ، ومنها كذلك «رسالة حى بن يقظان» لان طفيل التي سندهت عنها فيما بعد (ف. ١٦٣) ، وكذلك «شروح ابن رشد على مؤلفات أرسطو» (ف. ١٠٨) ، وآراء محي الدين بن عربي الصوفي المرسي (ف. ١١٣) . ومن الحقائق المقررة على أى حال ففرض مؤلفات العرب على المفكرين الإسكولاستيين جملة . فأما من كان منهم على مذهب أرسطو فنجد عنده آثار ابن باجة وابن طفيل وابن رشد خاصة ، وأما من أتبعوا منهم أتباعاً أفلاطونياً حديثاً فندج في تواليهم وآرائهم آثار ابن مسرة وابن جبرول وابن عربي وقد أشرنا (ف. ١١٥) إلى أن «نظرية الحقيقتين» -- مفتاح أسطورة «الرشدية» -- لا أثر لها في تأليف ابن رشد ، وذكرنا ما ذهب إليه «آسين» من أنها أخذت عن بعض آراء الصوفى المرسي ابن عربي .

ولا نفوتنا الإشارة في هذا المقام إلى ما أسهم به المترجمون من اليهود في نشر آراء المسلمين الفلسفية من نصيب وافر ، وقد ألمنا بذلك أعلامهم فيما سلف (ف. ١٤٤) .

(*)
ف ١٥٠ — رايمونديو مرتين Raimundo Martin :

ولم يكن مجرد الإعجاب بالثقافة العربية دافع الناس إلى دراسة كتب

(*) قطلونيه الأصل ، إذ أنه ولد في قرية سوبراتس Subirats في قطلونية Catalunya واسمه الأصل Ramón Martí ، أما رايمونديو مرتين فهو الصيغة الإسبانية للاسم . وعنوان كتابه المذكور في المتن — كما يرد في أول طبعة باريس سنة ١٦٥١ — كما يلي :

Pugio fidei, RAYMUNDO MARTINI, ordinis Praedicatorum, adversus Mauros et Judsaeos; nunc primum in lucem editus impensis ordinis ..

(= خنجر الإيمان لرايمونديو مرتين ، من رهبان « طائفة الوعاظ » ضد المسلمين واليهود . يخرج الآن إلى النور لأول مرة على نفقة الطائفة ... الخ) .

C. I. MENÉNDEZ PELAYO, *Historia de los Heterodoxos Espanoles* (Madrid, 1947) tomo II. p. 319.

المسلمين في كل الحالات ، بل أقبل بعضهم على دراستها التماساً لحجج يقارع بها الإسلام وأهله . ومن البديهي أن خصوم الإسلام لم يكن لهم غنى عن تحميل قدر كافي من العلم به حتى تقسني لهم منزلته ، وأنه لا بد لتحصيل هذا العلم من معرفة اللغة التي تحمل كتبه . ومن أولئك الذين حركهم ذلك الدافع الجدلي إلى دراسة العربية رايموندو مرتين Raimundo Martin (١٢٣٠ - ١٢٨٦ ؟) ، وكان قساً دومينيكيًا قطلوبياً ، فقد اجهد في تعلم لغة العرب حتى أتقنها ، كما يدل على ذلك اتقamos اللاتيني العربي الطريف الذي ينسب إليه عادة (نشره سكيابارلي Schiaparelli ١٨٧٢) . وضع هذا القس القطلوني كتابه المسمى « خنجر الإيمان ضد المسلمين واليهود » *Pugio fidei adversus Mauros et Judaeos* ، وهو مديح النصرانية يمتاز في مادته ومنهجه عن كل ما سبقه — إذا استثنينا كتاب « جامع الحجج في جدال الكافرين » *Summa contra gentes* للقديس توما الأكويني — ويرى منذذ إمى بلايو أنه خير ما ألف الإسبان في العلم الإلهي في القرن الثالث عشر ، ويقول : « ولا ينبغي أن نقف في تقديره عندما نمجده فيه من عرض كامل للحقيقة الكاثوليكية ، والاتصاف لها من اليهودية والإسلام ، بل لا بد أن نقدره ككتاب في اللاهوت نقض مؤامره فيه بمهارة ظاهرة الآراء الفلسفية المتولدة عن دراسة الفلسفة الشرقية ، معتمداً في كثير من الأحيان على حجج النزالي وغيره ممن تصدوا لمجادلة آراء المشائين من فلاسفة الإسلام » (*) .

وقد أشاد الأستاذ آسين بما يتجلى من علم رايموندو مرتين بالعربية والعبرية والإسلام واليهودية في كتابيه « خنجر الإيمان » و « شرح الرمز » *Explanatio Simboli* ، فهو يورد نصوصاً من النزالي (انتخبها من « التفات » و « المقاصد » و « المنقذ » و « الإحياء » وغيرها) ، ومن كتابات الفارابي وابن سينا وابن رشد خاصة (قبسها من شروح ابن رشد على فلسفة أرسطو ، ومن

(*) MENÉNDEZ PELAYO, op. cit. p.319

شرح «أر جوزة ابن سينا» ، ومن كتب «الفلسفة» و «تهافت التهافت»
و «ما وراء الطبيعة» و «رسالة إلى صديق» Epistola ad amicum ، وكلها
لابن رشد (*) ؛ بل أخذ آراء من كتاب للفيلسوف الفارسي فخر الدين الرازي
(١١٤٨/٥٤٣ - ١٢٠٩/٦٠٦) المسمى «الرد على جالينوس» (**)
Contra Galenum ، ومن كتاب آخر له يسمى «المباحث الشرقية»
(أو الشرقية) وهو مجموع فلسفي لاهوتي كتب قبل أن ينتفع به رايموندو مرتين
بثلاثين سنة ، هذا إلى جانب ما يبدو من علمه الواسع بالقرآن وصحیحى مسلم
والبخارى (†) (١٢).

(*) «كتاب الفلسفة» المشار إليه هنا هو «فصل المقال فيها بين الشريعة والحكمة
من الاتصال» ، أما «رسالة إلى صديق» فالمراد به التذييل الذى جمعه ابن رشد على «فصل
المقال» وجعل الناشر عنوانه «ضميمة لمسألة العلم القديم التى ذكرها أبو الوائيد فى فصل
المقال» (انظر «فصل المقال» ، طبعة مطبعة الآداب والمؤيد بـمصر ، سنة ١٣١٧ ،
س ٢٩ - ٣٢ ؛ وطبعة محمود على صبيح ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٣٥ ، س ٣٦ - ٣٩ ؛
وطبعة الطبعة الرحمانية (القاهرة ، بدون تاريخ) س ٢٦ - ٢٩ وقد نقلها رايموندو مرتين
فى كتاب «خنجر الإيمان» . انظر . Pugio . طبعة لايبسك ، ١٦٨٧ ، س ٢٥٠
وما يليها ؛ وقدم لذلك بقوله :

“Nunc denique, ut per philosophum melius retundamus philosophos,
id quod Aben Rost ad amicum Snum in quadam epistola scribit de esta
quaestione, interpretaturus sum...”

(= ... والآن ، ولكى نستطيع - آخر الأمر - أن ندحض [آراء] الفلاسفة [بكلام]
فيلسوف ، نورد ما كتبه ابن رشد إلى صديقه فى الرسالة التالية بخصوص هذه المسألة ، وفيه
تفسيرها ...) . ثم يورد بعد ذلك ترجمة نص «الضميمة» ويختتمها بقوله :

Hucusque Aben Rost in epistola ad amicum

(= إلى هنا [ينتهى] كلام ابن رشد فى «رسالة إلى صديق» .)

ومن هنا جاء هذا العنوان الذى تذكر به الضميمة فى المتن .

Cf : ASIN PALACIOS, *Huellas del Islam* (Madrid, 1941) pp. 66-67.

(*) لم أجد بين مؤلفات فخر الدين الرازي كتابا فى «الرد على جالينوس» ، وهى
الترجمة العربية لاسم الكتاب الذى يقول المؤلف إن رايموندو مرتين نقله عن الرازي :
Contra Galenum . وقد يكون المراد هنا «كتاب الروض المريض فى علاج المريض» الذى
ذكره بروكلمان فى تاريخ الآداب العربية - ملحق ج ١ ، ص ٩٢٤ - أو إحدى رسائل الفخر
الرازي الطبية التى نشرها پول كراوس .

(†) انظر :

MENÉNDEZ PELAYO, op. cit. p. 319.

ASIN PALACIOS, op. cit. pp. 66 sqq.

ف ١٥١ -- رامن لُل (*):

من الثابت الذي ينعقد عليه الإجماع أن فلاسفة النصراني — الذين ابعوا مذاهب أرسطو — يدينون بالكثير لترجميه وشراحه من العرب . و بظهر هذا الأثر الإسلامي عند نفر من سار في اتجاه الأفلاطونية الحديثة من أوائلك الفلاسفة النصراني ، وأظهر مثال لهذا الفريق من بين الإسپان هو ريموندو لوليو (١٢٣٥ / ٦٣٢ — ١٣١٥ / ٧١٤) الذي لا يرق شك إلى تحققه بالعربية وما كتبه أهلها ، وهو نفسه يقرر ذلك صراحة .

وقد بين الأستاذ ريبيرا — والأستاذ آسين من بعده — اعتماد لوليو على كُتّاب المسلمين ، وخاصة ابن عربي (ف ١١٥) ، بصورة لم يعد أحد ليستطيع بعدها أن يؤيد ما كان الناس ينسبونه إلى هذا الصوفي النصراني الميورقي من ابتداع مذهب الإشراق .

وتتجلى في كتابات لوليو ورقة ظاهرة للمسلمين ، تولدت — من غير شك — عن معاناته قراءة الكتب العربية . وكان لوليو يرى إلى أن ينقل إلى النصرانية طائفة مما جرى عليه المسلمون من تقاليد دينية ، فدأب على استهلال رسائله باسم المسيح « لأن المسلمين يستهلون كتبهم باسم محمد (صلى الله عليه وسلم) » ، وقال بفصل الرجال عن النساء في الكنائس ؛ وهو يمتدح في المسلمين إخلاصهم لدينهم وأراد أن تتلى أسماء الله في الكنائس « كما يرتل المسلمون القرآن في المساجد » ؛ وهو يقرر في كتابه « بلانكرنا Blanquerna » أنه ألف « كتاب الصديق والمحبوب » El libro del amigo y del amado « على طريقة الصوفية » ،

(*) هذه هي الصورة الأصلية لاسم هذا الراهب اللاهوتي التصوفي Ramón Lull ، لأنه ميورقي ولد في باننا في ميورقة في ٢٥ يناير ١٢٣٥ . والسورة الإسبانية للاسم رايغوندو لوليو Raymundo Lullo ، وقد جريت على كتابة اسمه في المتن على هذه الصورة الأخيرة . هذا والنطق القطلوني لاسم لوليو هو ليل .

ولا يبعد أن يكون قد ألفه على نهج « ترجمان الأشواق » لأن عربي .

ويسمى ريبيرا لوليو بـ « الصوفي النصراني » ويقول : « وإن ما نجده عنده من ازدراء لكل هيئة رهبانية أو جماعة دينية منظمة ، وتفرده بنفسه تفرد النساك إفريقياً لخدمة « محبوبه » ، وتجواله فقيراً لا يلبس إلا « الخرقه » من بلد لبلد ، يلتقي المواعظ على الناس في بعض الأحيان في العارق والميادين في أسلوب خشن لا يفرق بين صغير وكبير ، وتفكيره في أن يقرع للناس في الليل طبلًا إذا سمعوه أخذوا في محاسبة أنفسهم (متعرضاً لاتهام الناس إياه بالحق أو الجنون) ومضيه في أحيان أخرى مبشراً بالمسيحية في الجبال والأودية متوكلاً على الله ورحمته ، أو اعتكافه في مغارة ليستغرق في تأملاته متفرداً « بمحبوبه » (الله) ، هذا إلى شعوره بالتوحد وهو بين الناس وفي غمار المجتمع ، كل ذلك كانت تفعله على شواطئ إفريقيا — وقد زارها — أعداد لا تحصى من المرابطين المسلمين على أيامه .

وقد عرف لوليو عدداً كبيراً من صوفية المسلمين : كابن سبعين (ف ١١٦) ، وابن هود المتكشف المكفر عن ذنوبه ، والششتري الوادي آثي وكان من كبار الزجالين والشاحين ، يتغنى الصوفية بأشواته في أزجاله وموشحاته ، وأبي مدين ، والمعيف التلساني وغيرهم كثيرين . أما الصوفي الذي تعلق به تعلقاً شديداً فهو محي الدين بن عربي (ف ١١٣ - ١١٥) .

يلتقي لوليو مع محيي الدين في التعاليم الأساسية لمذهبيهما ، فالعلم عند كليهما واحد وهدفه البحث عن « الواحد » ، والعلوم تُدرَك عن طريق الإيمان أو عن طريق العقل . وعندما يعجز التفكير النظري عن الوصول إلى كنهها يكشف الله عن كنوزها لعباده عن طريق الإشراق ، إذ أن كثيراً من الأشياء « إنما توجد في الناحية الأخرى من جبل المعرفة الإنسانية » ، كما قال بروكلس وأفلاطون من قبله .

وفي بعض الأحيان نجد أن التشابه بين كتابات الرجلين حرفي ، ومن ذلك قولهما « بالنورين » ، واستعمالهما مثل « الذوق المريض » ، وكلامهما عن « الفضائل الخفية لأسماء الله » ، وقول لوليو بنظرية « المقامات » Dignitates وهي ليست إلا ترجمة للفظ « الحضرة » الذي يستعمله ابن عربي إلى لغة جارية سهلة الفهم .

والمعروف أن ابن عربي كان يستعمل لفظ « الحضرة » في مصطلحه الصوفي للتعبير به عن « كمال اسم الله » ، ثم إن « لوليو » يتحدث عن أسماء الله المائة Els cent noms de Deus مقلداً في ذلك ما كان يجده في كتب المسلمين ، وكان لرقم « المائة » معنى صوفي ، فهو الرقم الأكبر في عرف النساك وتقاليدهم ؛ ونجد لوليو يشترك مع ابن عربي في ذكر أسماء « حضرات » Dignitates مثل Senoria الربانية ، و Misericordia الرحمت ، و Gloria العزة وغيرها كثير (*) .

ولنر الآن كيف يوجز الأستاذ آسين خصائص مذهب لوليو بقوله : « إنه يتصور البساطة المطلقة للادات الإلهية في صورة مماثلة لتلك التي ينسها المسلمون إلى أنبأذقليس الزائف ، إذ أنه يرى أن الله هو الموجود الفرد ، وأنه الأزلي لا بداية له ، الباقي لا آخر له » ، لا لتحديد لذاته أه طبيعته^(*) أما كتاباته — أو صفاته التي يسميها لوليو مقامات Dignitates (= الحضرات في المصطلح

(*) Cf : MIGUFL ASIN PALACIOS, *Ibn Masarra y su Escuela* ; in Obras Escogidas (Madrid, 1947) I, p. 208.

(*) العبارة الإسبانية :

Dios es el ser uno, infinito y eterno, absolutamente indeterminado en cuanto a su esencia y naturaleza.

وقد رأيت أن أستعين في تعريبها بما يقابلها من كلام أبي حامد الغزالي في « الإحياء » . انظر : الباب الثاني في الاعتقاد ، وفيه فصول : « أصل في ترجمة عبادة أهل السنة » . الرشيد الأمين إلى موعظة أمير المؤمنين من إحياء علوم الدين ، تأليف حجة الإسلام الإمام أبي حامد محمد الغزالي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، بدون تاريخ .

الصوفي لان عربي) — فترتبطه بذاته ارتباطاً وثيقاً ، على نحو لا يمكن معه إطلاقاً تصور كثرة عددية في هذه الذات . وبسبب تزيه التفرد الإلهي على هذا النحو فهو لا تُدرك حقيقته ولا يمكن التعبير عنها ، وكل ما يمكن في شأنه هو تصور ذاته تصوراً جزئياً على وجه القريب ، وذلك عن طريق ما أودع في مخلوقاته من صفات الكمال ، لأن هذه الصفات إنما هي صورة من « الحضرات » الإلهية .

ويرى لوليو أن الرمز إلى الذات الإلهية بشيء لا يصح ، لأن الرموز لا تناسب الذات الإلهية ، ولكن « النور » هو أقل الصور الرمزية المعبرة عن كالات الله في عدم المطابقة للألوهية ، ويرى أن كل ما هو موجود — عدا الله — أساسه « مادة روحية » مشتركة بين الملائكة والأجسام . أما تعدد الصور ، وخاصة فيما يتصل بالبشر ، فيرى لوليو كذلك أنه أمر بديهي ؛ وهو يرد أصل العالم إلى الحب والجود الإلهيين ، وأن الله خلق الكون ليكون مظهراً خارجياً (إضافياً) ad extra « لحضرتة » . ولم يستعمل اصطلاح المقامات dignitates في هذا المعنى (الحضرات) أحد من الإسكولاستيين قبل لوليو ، إذ أن هذا الاستعمال هو في الحقيقة تجريد لأسماء الله يستعمله ابن عربي على نحو اصطلاحى خاص به . ويتفق لوليو وابن عربي في القول بمطابقة « المقامات » بعضها لبعض ، ويريان أنها العلل والمثل الوافية لسائر المخلوقات التي تعد تحقيقاً مشخفاً لها . [ومن الواضح أنهما لا يتفقان على العدد المضبوط لهذه « المقامات » (أو الحضرات) ، ولكن يمكننا أن نؤكد أننا نجد عند ابن عربي أسماء كل « المقامات » التي ترد عند لوليو وغيرها كثيراً جداً .

والخلاصة ، بناء على ذلك ، أن مذهب لوليو يأخذ بنظريات الأفلاطونية الحديثة الشائعة بين مذاهب أخرى ، ولكنه يتميز من بينها ويأخذ شخصية خاصة بسبب ما نجد فيه من النظريات المنسوبة إلى أنبا ذقليس الزائف

وان عربي ، والتي نجدها كذلك مشتركة بين جميع رجال المدرسة الفرنسكية .
ولكنني أستبعد اعتباره مجرد مذهب من مذاهب هذه المدرسة الأخيرة ، بل
أؤيد القول بتبعيته المباشرة للأصول العربية ؛ وتوكيداً لهذا ، وبالإضافة إلى ما أعتدُّ
به من الحجج المتدارلة التي أتى بها أستاذي ريبيرا والتي لا زالت قوة تماسكها
سليمة لم تنزع ، سأكتفي بأن أستلفت النظر إلى حقيقة إيجابية تؤيدها
نصوص من كلام لوليو نفسه : هي أن لوليو لم يكن يعرف اللاتينية ، وأنه
لم يكن يعرف إلا القطلونية والعربية ، ولم يستطع أن يأخذ النظريات
المميزة للمدرسة الفرنسكية عن الكتب اللاتينية التي ألفها علماء الإسكولاستيين
وإنما عن الكتب العربية التي ألفها الصوفية كابن عربي ، والتي نجد فيها هذه
النظريات نفسها بالنص [(*)] .

[وفيما يلي نورد بيان الحضرات الإلهية التي يذكرها ابن عربي في
« الفتوحات » وما يقابل بعضها مما يذكره لوليو من « المقامات » ؛ والأرقام
التي بين أقواس هي صفحات الجزء الرابع من الفتوحات التي يرد فيها ذكر
هذه الحضرات :

الحضرات الإلهية (ابن عربي)	Dignitates Divn (Lulio)	الحضرات الإلهية (ابن عربي)	Dignitates Divinae (Lulio)
(٣٦٢)	القوة	(٢٥٠)	الريانية Senoría
(٣٦٤)	المتانة	(٢٥٥)	الرحمت Misericordia
(٢٧٥)	الفهر	(٢٦٣)	العزة Gloria
(٢٦٦)	الكبرياء Grandeza	(٢٩٣)	الإعزاز
(٣٠٨)	العظمة	(٢٦٥)	الجبروت

(*) نقلت هنا — رغبة في التوضيح — عن الأصل الذي لحصه المؤلف في هذا
الموضع ، انظر :

MIGUEL ASIN PALACIOS, *Ibn Masarra y su Escuela*; in *Obras Escogidas*, (Madrid, 1946) tomo 1, pp. 161-164.

وأحيل القارئ على الموامش الضافية التي علقها آسبن على كلامه في هذه الصفحات .

(٣٤٠)	الإحسان	Bondad	(٢٧٧)	الرهب	Largueza
(٣٣٩)	الطيبة		(٣٢٤)	الإكرام	
(٣٧٦)	التوحيد		(٢٨٣)	العلم	Sabiduria
(٣٥٥)	الإيراد	Simplicidad	(٣٣١)	الحكمة	
(٣٥٩)	الحق	Verdad	(٢٩٥)	الإذلال	Humildad
(٣٧٨)	العمدية	Eternidad	(٣٠١)	الحُكم	Justicia
(٣٧٩)	الاتقار	Poder	(٣٠٢)	العدل	
(٤٠٨) (*)	الصبر	Paciencia	(٣٢٢)	الجلال	Nobleza
			(٣٣٣)	الود	Amor

وعن محيي الدين بن عربي كذلك أخذ لوليو طريقته في الرمز بالحروف
للتعبير عن آراء فيما بعد الطبيعة أو مقولات الوجود ، وهي طريقة ترجع في أصلها
إلى أسرار الصوفية ورموزهم . وأخذ عنه كذلك استعمال الأشكال الهندسية
— كالدوائر ذات التشعع المركزي أو الخارجي ، والمثلثات ، والمربعات ، وما إليها —
لكي يعبر عن حقائق ميتافيزيقية وإلهية بصورة ملموسة ، (كأن يرسم مثلاً مركز
دائرة يرمز بها إلى الله مصدر النور ، ثم يرسم بخطوطاً شعاعية من المركز إلى محيط
الدائرة ، يرمز بها إلى كل الكائنات كناية عن صدورها عن النور الإلهي) .
وأخذ عنه أيضاً طريقته في رسم الأشجار ليفسر بها وحدة العلم ، وتفرع الوجود
كله عن أصل واحد ؛ وجعله الأفكار المجردة — على طريق الكناية —
ذوات مشخصة ، وإجراء المحاورات بينها (مثال ذلك الرحلة الرمزية التي يصف
فيها خروج الصوفي والفيلسوف في طلب الحقيقة ، وهي رحلة مشهورة ولها علاقة
واضحة بالكوميديا الإلهية) . وعن محيي الدين كذلك أخذ لوليو مصطلحه الصوفي

(*) رأيت أن أضيف هذه الزيادة هنا إكمالاً للكلام ، وقد نقلت بيان المحضرات وما
يقابلها عند لوليو من نفس المرجع ص ٢٠٨ ؛ وأضيف هنا بعض تعديلات على هذا البيان :

- Grandeza = العظمة ، لا الكبرياء .
- Justicia = العدل ، لا الحُكم .
- Bondad = الطيبة ، لا الإحسان .

الخاص ، لأن « الآراء الخاصة بعلوم التصوف الإلهية إنما تتحصل عن طريق الذوق الصوفي لا عن طريق العقل » (*).

وقد رحى لوليو من وراء رسالته المسماة بلانكييرنا Blanquerna أن يعيد تنظيم مجمع كرادلة روما ، فجعل لكل كardinال — بما في ذلك البابا — اسماً اشقه من أبيات ترتيلة « المجد في الأعلى » Gloria in excelsis ، وجعل لكل منهم رسالة يؤديها في الدنيا مشتقة من اسمه الذي اختاره له : فهناك كardinال يسمى « نحمدك » Laudamus te ، وآخر يسمى « نباركك » Benedicimus te وهكذا . وفي نظام الصوفيين — كما رآه ابن عربي — نجد أشخاصاً موكلين بالوعظ والتعليم بين المسلمين ، وهم الأقطاب ومفردهم « قُطب » (وهو لفظ معناه المحور ، وهو قريب من معنى لفظ cardo, cardinis اللاتيني = قلب ، ومنه جاء لفظ الكردينال) . وابن عربي كذلك يلقب كل قطب بلقب يقتبسه من لفظ القرآن ، فواحد لقبه « الله محمود » ، وآخر لقبه « الحمد لله دواما » وهكذا ، وكل قطب مكلف بأن يعظ بلقبه ويردده في الخلافتين .

أما كتاب « الصديق والمحبوب » El Libro del Amigo y del Amado فيتنفق في مبدئه الأساسي مع ما ذكره ابن عربي في كتابه « ترجمان الأشواق » ، ويقول لوليو : « إن الغاية التي يؤدي إليها الحب الروحي هي المطابقة^(*) ، وذلك بأن تصير ذات المحبوب نفس ذات المحب ، وأن تكون المطابقة متبادلة فتصير ذات المحب نفس ذات المحبوب كذلك » .

ولنذكر إلى جانب ذلك أن لوليو كان يكتب العربية كما يكتب لغته القطلونية ، وأنه كان يستعملها في مجادلاته مع المسلمين وفي التبشير في المغرب .

(*) Cf : JULIAN RIBERA, *Orígenes de la filosofía de Raimundo Lullo*; in *Disertaciones y Opúsculos* (Madrid, 1928), tomo I, pp. 169-172.

(*) استعملت هنا اللفظ ترجمة لفظ identificación ، والصوفيون يسمون ذلك في مصطلحهم مُنازلة ، ولكي آثرت الترجمة الحرفية لفظ الإسباني .

وقد كتب مؤلفه المسمى « كتاب الكافر والعلماء الثلاثة » : El libro del gentil y los tres savis بالعربية أولاً — وهو كتاب كان واسع الذبوع في المصور الوسطى — ثم ترجمه بنفسه إلى القطلونية ، وعنها نُقل إلى العبرية واللاتينية والفرنسية والإسبانية (تمت الترجمة لأمة الأخيرة في عام ١٣٧٨ على يد القرملي جنزالوستنشد دِ أوثيدا Gonzalo Sánchez de Uceda) وقد ألّفه لوليو على أساس من الكتاب الخزري ليهودا هلاوى (ف ١٤٣) ، وربما يكون قد استوحاه من ترجمة عربية لحكاية « برامام » . أما كتاب لوليو المسمى « كتاب التتري والنصراني » Libro del Tártaro y del Cristiano فهو صياغة أخرى لكتاب « الكافر والعلماء الثلاثة » لوليو نفسه ، وفيه إشارات كثيرة واضحة إلى « كتاب الخزري » .

وعلاوة على هذا الأثر الإسلامي العميق — الذي يبدو بوضوح في كتاب « بلانكيرنا » ، وقد بينه ريبيرا في وضوح — فإننا نجد في تضاعيف كتاب لوليو المسمى « الكتاب السعيد في عجائب الدنيا » : Libre Felix de les meravelles del món (١٢٨٦ م .) « حكاية خرافية طويلة تتخللها قطع من قصيدة تهكية منثورة ونحوى إلى جانب ذلك خرافات أخرى قصيرة كثيرة ، وهذه الحكاية الخرافية الطويلة هي « كتاب العجاوات » Libre de les Bèsties ، وقد ألفه لوليو على مثال الكتاب العربي المعروف « كليلة ودمنة » ، إذ أن لوليو أخذ عنه القالب الخرافي وكثيراً من الحكايات . بيد أننا نجد هذه الاقتباسات في كتب لوليو محرفة عن الأصل العربي للكتاب تحريفاً ظاهراً يمس مادتها نفسها . ولا نحسب أن لوليو تعمد هذا التحريف واعتسفه على هواه ، وإنما سببه أن الأصل لم يكن بين يديه وهو يؤلف ، ولكنه كان يعي في ذاكرته معالنه الرئيسية فحسب » ، كما يقول مفندذ پلايو (*).

(*) MENÉNDEZ PELAYO, *Estudios y discursos de crítica histórica y literaria* (Madrid, 1941) tomo I p. 211.

ف ١٥٢ — دانتى والإسلام (*) :

بعد سنوات طويلة من الجدل والفتايات على صفحات المجلات والدوريات العلمية فى العالم كله ، أتيج للنظرية التى بسطها ودلل على صحتها بالبراهين الأستاذ ميغيل آسين پلايوس — فى كتابه عن « الأصول الإسلامية للكوميديا الإلهية » ، الذى نشره لأول مرة عام ١٩١٩ — أن تسير فى طريقها وتأخذ مكانها من إقرار العلماء^(١٤) . وقد ذهب آسين فى هذا الكتاب إلى أننا نجد فى الأدب الإسلامى « مفتاح جانب كبير مما استطاع الناس — وما لم يستطيعوا — تفسيره من المسائل المتعلقة « بالكوميديا الإلهية » ، أى أننا نجد فى هذه الآداب الإسلامية أصول بعض ما ذهب الدانتيون إلى أنه أخذه عن مفكرين نصارى سابقين عليه فى الزمن ، وبعض ما لم يجدوا له أصلاً فنسبوه إلى عبقرية دانتى وخياله المبدع » .

ذهب آسين إلى أن الأصل الإسلامى الذى يمكن أن يكون قد أوحى بفكرة « الكوميديا الإلهية » هو « إسرائ » الله برسوله (صلى الله عليه وسلم) إلى المسجد الأقصى و « عروجه » به إلى السماء . وقد صاغت أخيلة المسلمين أساطير

(*) تركت هذا الفصل على حاله ، مع أن الوضع فى هذا الموضوع قد تغير تماماً بعد أن عثر العلماء على الترجمتين اللاتينية والپروقتنية للنص العربى لقصة المعراج ، التى تعتبر الأساس الذى بنى عليه دانتى ، مما قد يفتى عن هذه المناقشة الطويلة التى يجدها الفارى هنا . ولكى أبقيتها لأننا لم نجد النص العربى لقصة المعراج بعد ، ولأنى أردت أن يطلع الفارى على هذا التهج العلمى البديع ، الذى سلكه آسين پلايوس لكى يصل إلى إثبات هذه النظرية ، التى تعتبر من أهم الكشوف العلمية فى ميدان الاستشراق خلال هذا القرن . انظر :

La Escala de Mahoma, Traducción del árabe al castellano, latín y francés, ordenada por Alfonso X el Sabio. Edición. por José Muñoz Sendino. Madrid, 1949.

ENRICO CERULLI, *Il Libro della Scala e la questione delle fonti arabe-spagnole della Divina Commedia*. Città del Vaticano, 1949.

كثيرة حولها ذاعت بين جماهيرهم ذيوماً واسعاً ابتداء من القرن التاسع (الميلادى) على الأذل ، ثم زاد عليها أهل الدين والتصوف والأدب من المسلمين ، وأضفوا عليها ثوباً شاعرياً فيما تلا ذلك من العصور . ونحن نجد فى هذه الأساطير أن بطل القصة محمداً (صلى الله عليه وسلم) — أو شخصاً آخر عادياً — يحكى بنفسه قصة صعوده إلى السماء كما فعل دانتى فى قصته الشعرية ، فيقص بلفظه ما وقع له وما شهده أثناءها . وكلتا الرحلتين — الكوميديا الإلهية و « الإسراء » — تبدآن ليلاً فى أعقاب حلم عميق . ونحن نجد فى أساطير المراج الإسلامية ذنباً وأسطفاً يقطعان طريق الخروج من النار على المُسرى به إلى السماء ، ويقابل ذلك ما يحكىه دانتى من أنه وجد فهدة وذنباً وذئبة على مخرج جهنم تحول بينه وبين الدخول . ثم إننا نجد هذا الرحالة المسلم يلقى الخَيْتَمُورَ شاعر الجن فى حديقة كثيفة الشجر بين السماء والنار ، وتوصف هذه الحديقة بأنها مقام الجن (*) ، بالضبط كما يقود فرجيلُ الشاعرُ القديم دانتى إلى بستان الليمبو مقام الأبطال والعباقرة من أهل العصر القديمة . ويذكر دانتى أن « السماء » أمرت فرجيل بأن يعرض على دانتى أن يكون دليله ، وفى « المراج » الإسلامى يقود جبريلُ محمداً فى رحلته .

(*) يتابع المؤلف هنا آسين پلانيوس فيما ذكره فى كتابه :

La Escatología Musulmana en la Divina Comedia (Madrid, 1945)

pp. 93 sqq.

وهذا بدوره يتابع هنا « رسالة النفران » لأبى الملاء . والرسالة لا تذكر هنا « بستانا ملتف الشجر » un frondoso jardin بل « مدائن ليست كمدائن الجنة ، ولا عليها النور الشمسائى ، وهى ذات أوحال وغمامل ، فيقول بعض الملائكة : ما هذه يا عبد الله ؟ فيقول : هذه جنة المفاريت الذين آمنوا بحمد صلى الله عليه وسلم وذكروا فى الأحقاف فى سورة الجن ، وهم عدد كثير ... » ثم تقول بعد قليل : « فيقول : ما اسمك أيها الشيخ ؟ فيقول : أنا الخيتمور أحد بنى الشيطان ، ولسنا من ولد إبليس ، ولسنا من الجن الذين كانوا يسكنون الأرض قبل ولد آدم صلى الله عليه . طبعة كامل كيلانى ، القاهرة ١٩٢٣ ، ص ٨٥ — ٨٦ .
والنمايل جمع غملول وهو الوادى الضيق الكثير الشجر والتبت ، أو الوادى ذو الشجر الطويل القليل العرض الملتف .. الخ .

وصور العذاب متشابهة في جحيم دانتى وفي جهنم التي يصفها القصاص في أساطير الميراج الإسلامية ، ففي القصص الإسلامى نجد ما يقول دانتى من أنه رآه في « جحيمه » من أن عواصف هوجاً من النار تلتفح أهل الزنا^(*) . والطبقة الأولى من دار العذاب تلك توصف في هذه الكتب على نفس النحو الذى توصف به مدينة « ديت » La Citá di Dite في القصيدة الإيطالية : محيط من النار تقوم على شواطئه قبور تشتعل فيها النيران^(**) ، ونجد أكلة الربا يحاولون عبثاً أن يصلوا سباحة إلى شاطئ بحيرة من الدم ، إذ يذودهم عنها حراس جهنميون يدفعونهم إلى الفوص من جديد . وهناك حيات مخيفة في أطباق النار المختلفة

(*) أورد آسين مقابلات بين أوصاف هذه الريح كما أوردها الثعالبي في « كتاب قصص الأنبياء » للسمى بالرائس (طبعة مصطفى الباني الحلبي ، القاهرة ١٣٢٤) وأوصافها كما يوردها دانتى في الأثشودة الخامسة من الكوميديا الإلهية ، والأرقام تشير إلى أبيات الأثشودة :

قصص الأنبياء للثعالبي (س ٤٠)	جحيم دانتى ، الأثشودة الخامسة
السحابة السوداء	(49) briga
	(81) la bufera
	(51) l'aer nero
ريح فيها كسهب النار	(89) l'aer perso
ريح فيها عذاب ألم	(51) l'aer. . sì gastiga
الريح القيم	(86) l'aer maligno
تفصلهم ... وتدمغهم حتى هلكوا	Mena gli spirti con la sua rapina (32)
والرجال تطير بهم بين السماء والأرض	Voltando e percotendo gli molesta (33)
فجعلت الريح تدخل تحت الواحد منهم	Di qua, di là, di giù, di su gli mena (43)
تفصله ثم ترى	Portate alla detta briga (49)

Cf : ASIN PALACIOS, op. cit. p. 151, n.1.

(**) جاء في حديث الميراج المنسوب لابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفة جهنم : « ... فقلت يا مالك (خازن جهنم) اكشف عن أطباق جهنم لأنظر إليها ، فقال : لا تستطيع النظر إليها ! وإذا النداء : يا مالك ، لا تخالف له أمراً ! فعند ذلك فتح باب =

تعذب أهل النهم والأشقياء فى جحيم دانتى ، وكذلك نجد فى الجحيم الإسلامى الطواغيت وأكلة أموال اليتامى والمرابين . أما العطش المجهود الذى يعانىه المزيفون فى الطبقة العاشرة من الحلقة الثامنة من جحيم دانتى فى الكوميديا الإلهية (*) ، فهو عذاب شاربى الحجر فى الأسطورة الإسلامية ، فقد جاء فيها : «... ثم نظرت فرأيت أقواماً يستغيثون من العطش ، فتأتيتهم الزبانية بأقداح من نار ، فإذا تناولوها سقط لحم وجرحهم من حرها ، فإذا شربوها قطعت أمعاءهم وخرجت من أديبارهم ، قلت : من هؤلاء ؟ قال : شراب الحجر ا» (†) . أما ما وصفه دانتى من عذاب صنوف أخرى من المزيفين بانتفاخ بطونهم ، فنجدده من نصيب أكلة الربا فى صورة أخرى للأسطورة الإسلامية ، فهى تقول : « ثم نظرت وإذا يقوم بطونهم كأمثال الجبال تغلى حيات وعقارب ، كلما هم أحدم أن يقوم سقط على وجهه من عظم بطنه ، قلت : من هؤلاء ؟ قال : آكلو الربا ا» (‡) .

جحيم مقدار خرم الإبرة ، تفرج [ورقة ٨٥] منها وهج ودخان لو دام ساعة لأظلمت السماوات والأرض ، فنظرت فيها ، فإذا هى سبع طباق بعضها فوق بعض ، فلم أستطع النظر إليها لشدة عذاب الكفار والمشركين ، فنظرت إلى الطبقة الأولى منها ، وإذا هى طبقة أهل الكبائر ، ورأيت فيها سبعين بجرأ من نار ، وعلى كل ساحل بحر مدينة من نار ، فى كل مدينة سبعون ألف بيت من نار ، فى كل بيت سبعون ألف صندوق من نار ونجد هذه الصورة فى وصف مدينة ديتيه فى جحيم دانتى ، فترى دانتى وفرجيل عندما يقتربان من شواطئ "بحيرة استيجيا Estigia" يتبينان أنها مدينة من نار ، وهى كلها أشبه بمدفن هائل فيه قبور لا يحصى عددها ، يفصل أسدها عن الآخر بحر من الذهب يجعل كل قبر يبدو وكأنه لسان من النار يتلظى فيه أصحاب الضلالت ، وهم مسجونون فى هذه المحابس التى تشبه صناديق من الحديد الملتهب انظر :

ASIN, op. cit. pp. 28-29.

وهو يشير إلى « حديث المعراج » المنسوب إلى ابن عباس ، مخطوط بمكتبة لايدن رقم ٧٨٦ (أورد نصه فى ص ٤٣٢ وما يليها من كتابه الآنف الذكر) ، ولى جحيم دانتى ، أنشودة ٨ ، الأبيات ٦٧ — ٧٥ ، وأنشودة ٩ ، سطر ١٠٩ وما يليه .

(*) انظر : جحيم دانتى ، أنشودة ٣٠ ، سطور ٤٩ — ٥٧ و ٨١ — ٨٤ و ١٠٢

و ١٠٦ — ١٠٧ و ١١٩ و ١٢٣ .

(†) حديث المعراج المنسوب لابن عباس المشار إليه آنفاً ، انظر كتاب آسين ص ٤٣٣ .

(‡) نفس المرجع والصفحة .

ومجد نفرأ من أهل جهنم الخالدين فيها في جحيم دانتى يحكون بأظافرهم البرص الذى يغطى حلودهم ، بالصبط كما يعذب شهود الزور والنمامون في الأسطورة الإسلامية (*) ومعد المشاشين في الخندق الخامس من الدائرة الثامنة من جحيم دانتى غارقين في ركة من القار ، يطعنهم الشياطين بحراب من الحديد كلما طفوا على وجهها (**). ، ويقابل ذلك عذاب العاقين والديهيم في الأسطورة الإسلامية : « ثم رأيت رجالا وساء يعذبون في النار ، قد وكلت بهم زبانية بمقامع من حديد ، كلما استغاثوا يجمعونهم ويطعنونهم رماح من نار في بطونهم ويضربونهم بسياط من نار ، فلم أر أحداً من أهل الكبائر أشد عذاباً منهم ، قلت : من هؤلاء ؟ قال : العاقون والديهيم ا †) . ويعذب أهل البدع والضلالات في جحيم دانتى بمذاب رهيب إذ تطعنهم الشياطين أبدأ ، ثم يبعثون من جديد ويُرَدون إلى الطعن ، وهذا هو عذاب القنلة في جهنم كما تصورهم الأسطورة الإسلامية ، فهي تقول : « ... ثم رأيت أقواماً تذبجهم الزبانية بسكاكين من نار ، كلما ماتوا عادوا كما كانوا ، قلت : من هؤلاء ؟ قال : الذين يقتلون النفس التي حرم الله †) .

أما صور الصفاء الروحي التي يمتاز بها فردوس دانتى فنلقاها في بعض صور الأسطورة الإسلامية : فإن الأحاديث النسوبة إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأناشيد كتاب الفردوس من قصة دانتى لاستعمل في أوصاف دار الديم إلا عناصر ثلاثة ، هي : الألوان والأضواء والموسيقى ؛ وهي تستعملها في تصوير المقام المثالي

(*) نفس المصدر والصفحة . وهذا هو عذاب حرافولينو داريزو Graffolino d' Arezzo وكابوكيو د سينا Capochio di Siena في جحيم دانتى .

انظر : المجيم ، أنشودة ٢٩ ، سطور ٧٩ — ٨٧ . آسين ، نفس المرجع ، ص ٢٩ .

(**) جحيم دانتى في نهاية الأنشودة الحادية والعشرين .

(†) نفس المصدر والصفحة .

(□) نفس المصدر ، ص ٤٣٤ وجحيم دانتى ، أنشودة ٢٨ ، سطور ٢٢ — ٤٢ .

غير المادى الذى تمتاز به الحياة المباركة . وكما انتقل محمد (صلى الله عليه وسلم) في الأسطورة الإسلامية — ودانتي في قصيدته — من طبقة إلى طبقة ، يزداد الضياء شيئاً فشيئاً حتى يعشى بصريهما ويحسبان أنهما فقدوا البصر ، ويرفعان أيديهما إلى أعينهما بحركة غيريزية ليقيا أعينهما من النور الساطع ، فيعهد جبريل في الأسطورة الإسلامية — وبياتريس في القصة الدانتيية — إلى التخفيف عنهما وبعث الطمأنينة في قلوبهما ، ويسألان الله لهما مزيداً من البصر حتى يستطيعا تأمل الضياء الساطع ، فيهبهما الله مزيداً من النور فيتمكنان من الإبصار ولسكنهما لا يستطيعان وصف ما يريان . [قارن مثلاً قول دانتي في الأنشودة الأولى من « الفردوس » ، سطرى ١٢٨ — ١٢٩ :

Par. III, 128-9 :

Ma quella folgorò nello mio sguardo
sì, che da prima il viso nol sofferse(*)

وفي الأنشودة الخامسة والعشرين من « الجنة » ، سطور ١١٨ — ١٢١ :

Par. XXV, 118-121 :

Quale è colui ch'adocchia, e s'argomenta
di veder eclissar lo Sole un poco,
che per veder non vedente diventa ;
tal mi fec'io a quell'ultimo fuoco.(*)

وفي الأنشودة ٢٣ ، سطور ٢٨ — ٣٣ :

Par. XXIII, 28-33 :

Vid'io sopra migliaia di lucerne
un Sol, che tutte quante l'accendea,
come fa'l nostro le viste superne :
e per la viva luce trasparea
la lucente sustanzia tanto chiara,
che lo mio viso non la sostenea.(†)

بما جاء في الحديث الذى أسفده السيوطى إلى ابن حبان في وصف السماء السابعة :
« ... وأنوارهم شتى لا يشبه بعضها بعضاً ، وأجنحتهم شتى لا يشبه بعضها بعضاً ،

(*) Cf. ASIN. op. cit. p. 46.

(x) Cf. ASIN. op. cit. p. 46.

(†) Cf. ASIN. op. cit. p. 46.

تَحَارَ أَبْصَارُ النَّاطِرِينَ دُونَهُمْ ، فَذَبَّتْ عَيْنَايَ دُونَهُمْ لَمَّا رَأَتْ مِنْ مَجَانِبِ خَلْقِهِمْ
 وَشِدَّةَ هَوْلِهِمْ وَتَلَاثُوَ أَوَارِمِهِمْ ، فَخَالَطَنِي مَسْهَمٌ فَزَعٌ شَدِيدٌ حَتَّى اسْتَعْلَتْنِي الرَّعْدَةُ ،
 فَنظَرْتُ إِلَى جَبْرِيلَ فَقَالَ : لَا تَخَفِ يَا مُحَمَّدُ ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَكْرَمَكَ بِكَرَامَةٍ
 لَمْ يَكْرَمْ بِهَا أَحَدًا قَبْلَكَ ... فَلَقَدْ خَيْلَ إِلَيَّ أَنْيَ قَدْ نَسِيتَ مِنْ مَجَانِبِ خَلْقِ اللَّهِ
 الَّذِي دُونَهُمْ ، وَلَمْ يُوْذَنَ لِي أَنْ أَحْدَثْكُمْ عَنْهُمْ ، وَلَوْ كَانَ أُذِنَ لِي لَمْ أُسْتَطِعْ أَنْ
 أَصْفَهُ لَكُمْ ... وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَوَانِي بِذَلِكَ بِرَحْمَتِهِ وَتَمَامِ نِعْمَتِهِ ، وَمَنْ عَلِيَ
 بِالثَّبَاتِ عِنْدَ مَا رَأَيْتَ مِنْ شِعَاعِ نُورِهِمْ وَسَمِعْتَ دَوَى أَصْوَاتِهِمْ بِالتَّسْبِيحِ ، وَحَدَدِ
 بَصَرِي لِرُؤْيَتِهِمْ كَيْ لَا يُخْطَفَ مِنْ نُورِهِمْ ... ثُمَّ جَاوَزْنَا مِمَّا يَأْذَنُ اللَّهُ مُتَّصِعِينَ إِلَى
 عَلِيَيْنَ حَتَّى ارْتَفَعْنَا فَوْقَ ذَلِكَ ، فَاتَّهَيْنَا إِلَى بَحْرِ مِنْ نُورٍ يَتَلَأَلُ لَا يُرَى لَهُ طَرَفٌ
 وَلَا مَتْنَهِي ، فَلَمَّا نَظَرْتُ إِلَيْهِ حَارَ بَصَرِي دُونَهُ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنْ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِ
 رَبِّي قَدْ امْتَلَأَ نُورًا وَالتَّهَبَ نَارًا ، فَكَادَ بَصَرِي يَذْهَبُ مِنْ شِدَّةِ نُورِ ذَلِكَ الْبَحْرِ ،
 وَتَمَاطَمَنِي مَا رَأَيْتَ مِنْ تَلَاثُوِهِ ، وَأَفْظَعَنِي حَتَّى فَزَعَتْ مِنْهُ جِدًا ... » [(*)] .

وكلاهما يصعد إلى السماء طائراً يحمله دليبه في سرعة مارة كأنها سريان
 الريح أو مروق السهم ، والدليل في كلا الحالتين يرشد الزائر ويطمئنه ويحجبه
 عما يتطلع إلى معرفته ، ويعلمه ويرجوه الله ويطلب إليه أن يحمده الله . [قارن
 ما جاء في الحديث الأنف الذكر : « ... ثم جاوزناها متصعين في جو عليين
 أسرع من السهم والريح ... » و « ... فسرت مع جبريل ... من عليين يهوى
 منقضاً أسرع من السهم والريح ... » بقول دانتى في الأنشودة الثانية من
 « الفردوس » ، سطرى ٢٣ — ٢٤ :

Par. II, 23-24 :

E forse in tanto, in quanto un quadrel posa
 e vola e dalla noce si dischiava.

وقوله في الأنشودة الخامسة من « الجنة » ، سطرى ٩١ — ٩٢ :

(*) انظر :

ASIN, op cit. p. 46. n. 1-5.

و « اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعية » لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، طبعة المكتبة
 الحسينية المصرية بالأزهر ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٣٥٢ ، ج ١ ، ص ٦٨ — ٦٩ .

Par. V, 91-92 :

E si come saeta, che nel segno
percuote pria che sia la corda queta [*]

وعندما تبلغ بياتريس بدانتى الدرجات العليا من صعودها نرى القديس
برناردو يحل محلها ، وكذلك جبريل يترك محمداً عندما يقارب العرش فيهبط إليه
رفرف من نور يصعد به . [قارن ما جاء فى حديث ابن حبان المشار إليه :
« فلما أُسرىَ بى إلى العرش وحاذيته دُلِّيَ لى رفرف أخضر لا أطيع صفتة لكم ،
فأهوى بى جبريل ، فأقعدنى عليه ، ثم قصر دونى ، ورد يديه على عينيه مخافة
على بصره أن يلتمع من تلالؤ نور العرش ، وأنشأ يبكي بصوت رفيع ، ويسبح
الله تعالى ويمجده ويثني عليه ، فرفعى ذلك الرفرف بإذن الله ورحمته إياى وتمام
نعمته على » إلى سيد العرش ، إلى أمر عظيم لا تناله الألسن ولا تبلغه الأوهام ... »
(ص ٧٤ من المرجع المذكور) بما يقوله دانتى فى الأنشودة الثالثة والثلاثين من
« القردوس » ، سطور ٧٦ — ٨٤ :

Par. XXXIII, 76-84 :

Io credo, per l'acume ch'io soffersi
del vivo raggio, ch'io sarei smarrito
se gli occhi miei da lui fossero aversi.
E mi ricorda ch'io fu' più ardlto
per questo a sostener tanto, ch'io giunsi
l'aspetto mio col Valore infinito.
O abbondante grazia, ond'io presunsi
ficcar lo viso per la luce eterna
tanto, che la veduta vi consunsi. [*]

ولا يتوافق الصعودان — الدانتى والإسلامى — فى الخطوط العامة فحسب ،
بل هناك حلقات ذات صور ملهوسة يتفق الاثنان فيها : فالنسر الضخم الذى رآه
دانتى فى سماء چو پيتر وقال : إنه — أى النسر — يتكون من حشد يضم آلاف من
الملائكة لم أجنحة ووجوه فحسب ، يشع منها نور باهر ، وهى تخفق بأجنحتها
مرتلة أنغام الترنيمات الإنجيلية ، ثم يسكن النسر رويداً رويداً ويحط ، كل هذا

(*) Cf : ASIN. op. cit. p. 43, n. 1

(*) Cf : ASIN, op. cit. p. 48, n. 1.

ما هو إلا تضمين لصورة الملاك المارد الذى رآه محمد (صلى الله عليه وسلم) ينحول إلى ديك يخفق بجناحيه ، ويفنى ترتيلات دينية ، ثم يحط بعد قليل مع ملائكة تبدوله وكأن كلا منها مجموع لا عدده من الوجوه والأجنحة ، ينبعث منها النور وتنفى في لغاتها التى لا حصر لها . [قارن ما ورد في الحديث الذى سبقت الإشارة إليه عن ابن حبان : حدثنا محمد بن سدوس النسوى ، حدثنا حميد بن زنجويه ... عن ابن عباس مرفوعاً : لما أسرى بى إلى السماء رأيت فيها أعاجيب من عباد الله وخلقه ، ومن ذلك الذى رأى في السماء ديك له زغب أخضر وریش أبيض ، بياض ريشه كأشد بياض رأيت قط ، وزغبه تحت ريشه أخضر كأشد خضرة رأيتها قط ، وإذا رجلاه في تخوم الأرض السابعة السفلى ورأسه تحت عرش الرحمن ، ثانياً عنقه تحت العرش ، له جناحان في منكبیه ، إذا نشرهما جاوز المشرق والمغرب ؛ فإذا كان بعض الليل نشر جناحيه وخفق بهما وصرخ بالتسبيح لله يقول : سبحان الملك القدوس ! سبحان الله الكبير المتعال ! لا إله إلا هو الحى القيوم ! فإذا فعل ذلك سبحت ديكة الأرض كلها وخفقت بأجنحتها ، وأخذت في الصراخ ؛ فإذا سكن ذلك الديك في السماء سكنت الديكة في الأرض (ص ٦٣ وما يليها من اللآلئ) ... وسمرت بملائكة كثيرة لا يحصى عددهم إلا الله الواحد الملك القهار ، منهم من له وجوه كثيرة في صدره ، وفي كل وجه من تلك الوجوه أفواه وألسن ، وهم يحمدون الله ويسبحونه بتلك الألسن كلها .. » (نفس المصدر ص ٦٧) . قارن ذلك بما يذكره دانتى في « الفردوس » ، أنشودة ١٨ ، سطر ١٠٠ :

Par. XVIII, 100 :

Poi, come nel percuoter de' ciocchi arsi
surgono innumerabili faville.

Ibid, 103 :

نفس الأنشودة ، سطر ١٠٣ وما يليه :

Risurger parver quindi più di mille
luci, e salir quali assai e qua' poco,
sì come'l Sol, che l'accende, sortille.

E, quietata ciascuna in suo loco,
la testa e'l collo d'un aquila vidi
rappresentare a quel distinto foco.

Par. XIX, 1 : : سطر ١ وما يليه : الفردوس ، أنشودة ١٩ ،

Parea dinanzi a me coll' ali aperte
la bella image, che nel dolce frui
liete faceva l'anime conserte.

Parea ciascuna rubinetto, in cui
raggio di sole ardesse sì acceso,
che ne' miei occhi rifrangesse lui.

Ibid. 34 : : نفس الأنشودة ، سطر ٣٤ :

Quasi falcon, che, uscendo del cappello,
muove la testa, e con l'ale s'aplaude.

Ibid. 37 : : نفس الأنشودة ، سطر ٣٧ :

Vid' io farsi quel segno, che di laude
della divina grazia era contesto,
con canti, quai si sa chi lassù gaude.

Ibid. 95 : : نفس الأنشودة ، سطر ٩٥ وما يليه :

La benedetta immagine, che l'ali
movea sospinte da tanti concigli,
roteando cantava, e dicea.]*(*)

وكلا الدليلين إذا وصل بزائره إلى سماوات النجوم دعاه إلى تأمل الكون
المخلوق وصغره . وصفة الشهيد الإلهي في كلا الحالين واحدة : فالله مركز أو نقطة
من النور الباهر تحيط به تسع دوائر ذات مركز واحد ، وتتألف هذه الدوائر من
الملائكة محشودين بعضهم إلى جانب بعض في صفوف تنبعث منها أشعة من النور .
وأقرب هذه الصفوف الدائرية من الملائكة إلى مطلع النور هو صف الملائكة
الكروبيين ، وكل صف يحف بالذى يليه ، والصفوف كلها تدور أبداً حول
مطلع الضياء الإلهي ، والزائر يتأمل هذا المشهد الأروع ، مرة عند ما ينتهي من

(*) Cf : ASIN. op. cit. p. 51-52

صعوده ومرة عندما يمثل بين يدي العرش . والصور التي تتمثل في نفس كليهما أثناء الرؤية المباركة واحدة : يظل كلاهما واجماً مشدود البصر غارقاً في بحر النور الإلهي حتى ليظن أنه فقد البصر ، ولكن بصره لا يلبث أن يتبين ما يرى ويمجده ، وينتهي بأن يستقر في مطلع النور ويثبت عينيه فيه متأملاً ، ويشعر أنه عاجز عن أن يصف ما يرى ، وكل ما يذكره هو أنه أحس إشرافاً روحياً أو ظن أنه كان مستوسفاً ، ويسبق ذلك كله شعور بلذة كبرى . [قارن ما يقوله ابن حبان في « الحديث » المذكور : « ... ثم جاوزناهم بإذن الله متصدين في جو عليين أسرع من السهم والريح بإذن الله وقدرته ، حتى وصل بي إلى عرش ذي العزة العزيز الواحد القهار . فلما نظرت إلى العرش فإذا ما رأيته من الخلق كله قد تصاغر ذكره وتهاون أمره واتضع خطره عند العرش ، وإذا السموات السبع ، والأرضون السبع ، وأطباق جهنم ، ودرجات الجنة ، وستور الحجب ، والنار ، والبحار ، والجبال التي في عليين ، وجميع الخلق والخليقة إلى عرش الرحمن كحلقة صغيرة من حلق الدرع ، في أرض خلاء واسعة تباء ، لا يعرف أطرافها من أطرافها ، وهكذا ينبغي لمقام رب العزة ... فخار بصري دونه حتى خفت العسى ، فغمضت عيني ، وكان توفيقاً من الله ، فلما غمضت بصري ردّ إلهي بصري في قلبي ، فجملت أنظر بقلبي نحو ما كنت أنظر بعيني نوراً يتلألأ ، تُهيت أن أصف لكم ما رأيت من جلاله ... ووجدت عند ذلك حلاوته وطيب ريحته وبرذ لذاته وكرامة رؤيته ، فاضمحل كل هول كنت لقيت وتجلت عني روعاتي واطمأن قلبي وامتلات فرحاً وقرت عيناى ، ووقع الاستبشار والطرب علىّ حتى جعلت أميل وأتكفاً يميناً وشمالاً ويأخذنى مثل السبات ، وظننت أن من في الأرض والسموات ماتوا كلهم ، لأنى لا أسمع شيئاً من أصوات اللائكة . ولم أر عند رؤية ربي أجرام ظلمة ، فتركنى إلهي كذلك إلى ما شاء الله ، ثم ردّ إلى ذهني ، فكأنى كنت مستوسفاً ... » (اللآلى ، ج ١ ، ص ٧٣ - ٧٥)

ثم يقول بعد ذلك : « ... ثم قلت : يا جبريل ، من الملائكة الذين رأيتُ في البحور ، وما بين بحر النار إلى بحر الصافين ، والصفوف بعد الصفوف كأنهم بنيان مرصوص ، متضايقين بعضهم في بعض ؟ ثم ما رأيت خلفهم نحوهم مصطفين صفوفًا بعد صفوف وفيما بينهم وبين الآخرين من البعد والأمد والنأي ؟ فقال : يا رسول الله ، أما تسمع ربك يقول في بعض ما نزل عليك : « يوم يقوم الروح والملائكة صفاً » ؟ وأخبرك عن الملائكة أنهم قالوا : « وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبحون » ؟ فالذين رأيت في بحور عليين هم الصافون حول العرش إلى منتهى السماء السادسة ، وما دون ذلك هم المسبحون في السموات ، والروح رئيسهم الأعظم كلهم ، ثم إسرافيل بعد ذلك . فقلت : يا جبريل ، فمن الصف الأعلى الذى فى البحر فوق الصفوف كلها ، الذين أحاطوا بالعرش واستداروا حوله ؟ فقال جبريل : يا رسول الله ، إن الكروبيين هم أشرف الملائكة وعظماؤهم ورؤسائهم وما يجترى أحد من الملائكة أن ينظر إلى ملك من الكروبيين ... » (نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٧٧) . قارن ذلك بما يقوله دانتى فى الفردوس :

الفردوس ، أنشودة ٢٨ ، سطور ١٦ — ١٨ :

Par. XXVIII, 16-18 :

Un punto vidi che raggiava lume
acuto sì, che 'l viso ch' egli affuoca
chiuder conviensi per lo forte acume. (*)

Ibid. 25-34 : نفس الأنشودة ، سطور ٢٥ — ٣٤ :

Distante intorno al punto un cerchio d' igne
si girava sì ratto, ch' avria vinto
quel moto che più tosto il mondo cigne.
E questo era da un altro circuncinto,
e quel dal terzo, e 'l terzo poi dal quarto.
dal quinto 'l quarto, e poi dal sesto il quinto
Sovra seguiva 'l settimo, sì sparto
già di larghezza, che 'l messo di Giuno
intero a contenerlo sarebbe arto.
Così l' ottavo e 'l nono. (**) .

(*) Cf. ASIN. Op. cit. p. 47

(**) Cf. ASIN. Op. cit. p. 55.

نفس الأنشودة ، سطور ٨٩ — ٩٣ :

Ibid. 89-93 :

Non altrimenti ferro disfavilla
che bolle, come i cerchi sfavillaro.
L' incendio lor seguiva ogni scintilla ;
ed eran tante, che 'l numero loro
più che 'l doppiar degli scacchi s' immilla.

الفرديوس ، أنشودة ٣٠ ، سطور ١٠٠ — ١٠٥ :

Par. XXX, 100-105 :

Lume è lassù, che visibile face
lo Creatore a quella creatura,
che solo in lui vedere ha la sua pace ;
e si distende in circolar figura
in tanto che la sua circonferenza
sarebbe al Sol troppo larga cintura.

الفرديوس ، أنشودة ٣٣ ، سطور ٥٧ — ٦٣ :

Par. XXXIII, 57-63 :

E cede la memoria a tanto oltraggio.
Qual è colui che sonnando vede,
e dopo 'l sogno la passione impressa
rimane, e 'l altro alla mente non riede,
cotal son io, che quasi tutta cessa
mia visione, ed ancor mi distilla
nel cuor lo dolce che nacque da essa.

نفس الأنشودة ، سطور ٩٣ — ٩٤ :

Ibid. 93-94 :

Dicendo questo, mi sento ch'io godo
Un punto solo m'è maggior letargo.

نفس الأنشودة ، سطور ٩٧ — ٩٩ :

Ibid. 97-99 :

Così la mente mia tutta sospesa
mirava fissa, inmovile ed attenta
e sempre nel mirar faceasi accesa. (*)

(*) Cf : ASIN, op. cit. pp. 55-56 notas.

بل إن الروح العام لقصة دانتى ليس جديداً ، ولم تبتدع « الكوميديا الإلهية » المعنى الرمزي الأخلاقي الذى تمتاز به ابتداءً ، فقد سبقها إليه الصوفيون المسلمون وخاصة ابن عربى المرسى ، إذ أنهم اتخذوا من رحلة محمد (صلعم) إلى العالم الآخر وعروجه إلى السماء رمزاً على نشور الأرواح عن طريق الإيمان والفضائل اللاهوتية . وكل من دانتى وابن عربى يجعل هذه الرحلة رمزاً لحياة البشر ويريان أن الهدف الأخير للحياة والسعادة الكبرى فى الوجود إنما هى رؤية الله ، ولا تتأتى هذه الرؤية بغير هدى من اللاهوت ، إذ أن العقل العادى لا يصل بالإنسان إلا إلى « المراحل الأولى من هذا الطريق الطويل ، وهذه المراحل ما هى إلا رمز على الفضائل العقلية والأخلاقية ، فأما الوصول إلى مدارج الجنة العليا ، التى هى رمز الفضائل اللاهوتية ، فلا يدرك بغير إشراق إلهى » (*). وفى بعض صور الأسطورة الإسلامية لا نجد المخرج إلى السماء — ذلك الذى يصف الرحلة — محمداً (صلعم) وإنما رجلاً عادياً — كما ذكرنا — إنساناً خاطئاً تشوبه النقائص ، فتجمع القصة الإسلامية — كقصة دانتى — على هذا النحو بين خاصيتين تبدوان وكأنهما متناقضتين فى الظاهر : هما الرمز المثالى من ناحية ، والواقعية الإنسانية فى صميمها .

ثم يقول آسين : « إن قدراً عظيماً من المعالم المكانية وتفاصيلها والمشاهد وأوصاف بعض حلقات « الكوميديا الإلهية » لا نجد له شبيهاً ظاهراً فى شتى الروايات التى وصلتتنا عن قصة « المراج » الحمدي ، ولكننا نجد سوابقها ونماذج ماثلة لها فى بعض الأحيان فى أصول أخرى من الأدب الإسلامى . ونحن نجد هذه النماذج مشابهة لبعض تفاصيل القصة الدانتية حيناً ومطابقة لها حيناً آخر ، نجدها إما فى تفسير الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى تصف الحياة الأخرى ، أو فى الأساطير التى نسجها خيال المسلمين عن يوم الحساب ، وقد نجدها فى مذاهب اللاهوتيين والفلاسفة والصوفية بصورة خاصة ، فقد اجتهد أولئك جميعاً فى ترتيب

(*) Cf : ASIN, op. cit. pp, 66 sqq.

هذه النصوص القرآنية والنبوية وتفسيرها وتعليقها .

ويطيل الأستاذ « آسين » الوفوف عند الصوفى المرسى النابه محيى الدين ابن عربى (١١٦٤/٥٥٩ — ١٣٤٠/٦٣٧) دون غيره من أهل الفكر الإسلامى ، ويذهب إلى أنه من الممكن أن يجد عنده الأصول التى قبس دانتى منها هيئة « جحيمه » ورتبه على مثالها . وإنما لنجد كلا الرجلين — دانتى وابن عربى — يميلان إلى استخدام الهيئة الدائرية أو صورة قبة الفلك : فأطباق الجحيم ومسارى النجوم ودوائر الوردة الصوفية وجماعات الملائكة التى تحف بمطلع النور الإلهى والدوائر الثلاث التى ترمز إلى الثالث (عند دانتى) ، كل هذه وصفها الشاعر الفلورنسى كما وصفها الصوفى المرسى . بل إن ابن عربى رسم هذه الدوائر بيده ؛ وإنه لما يدعو إلى العجب أن الرسوم التى خطتها الدانتيون بعد قرون كثيرة ليملأوا بها أوصاف « الكوميديا الإلهية » تنفق تمام الاتفاق مع ما أودعه ابن عربى فى « فتوحاته » من رسوم .

وتوافق هذه الرسوم يقوم دليلاً على وجود علاقة بين الأصل وما نُقل عنه ، وإنه لمن المستحيل — عقلاً — أن يكون هذا التوافق قد وقع عن طريق المصادفة العارضة . ويقول آسين متعجباً : « ... ثم إن المصادفة العارضة ليست تعليلاً علمياً للوقائع التاريخية . والواقعة التاريخية التى تتجلى لسكل ذى نظر هى : أن محيى الدين بن عربى سجّل فى القرن الثالث عشر ، وقبل ميلاد الشاعر الفلورنسى بخمس وعشرين سنة ، فى صفحات أربع متوالية من « فتوحاته » تخطيطات مواضع العالم الآخر كلها على شكل دائرى أو فلكى ، وهذه الهيئات الدائرية تعتبر فى مذهب ابن مسرة — الذى يتبعه ابن عربى — تصويراً للكون وأصله ؛ ثم أنى دانتى بعد ذلك بثمانين سنة فأودع فى منظومة ضخمة رائعة تقع فى ثلاثة أقسام ، صفها شاعرياً لنفس هذه المواقع من العالم الآخر وقد بلغ من دقة وصف هذه المعالم فى شعر دانتى أن شارحيه فى القرن العشرين تمكّنوا من تمثيلها برسوم على هيئة أشكال

هندسية ، مطابقة في صميمها للملك التي خطتها يد الصوفى المرسى قبل ذلك بسبعة قرون . فإذا لم يكن دانتى قد قلد هذه الأخيرة فإن هذا التطابق الذى قام الدليل عليه لا يكون إلا لغزاً لا تفسير له أو معجزة من معجزات الإصالة (*) .

ويشير آسبن إلى مواضع شبه أخرى بين المواقع التى تحدث عنها دانتى وتلك التى وصفها ابن عربى ، ومثال ذلك « الأعراف » التى ورد ذكرها فى القرآن وعرفها المفسرون الإسلاميون بأنها « تل بين الجنة والنار » (**) ، فقد أخذ دانتى منها فكرة « الليمبو » . و « جهنم » بوصفها الإسلامى المعروف هى « الإنفرونو » . Inferno (= الجحيم) عند دانتى . و « الصراط » الإسلامى هو الأصل الذى أخذ عنه دانتى « البرُّجاتوريو » Purgatorio (= المطهر) الذى نجده فى « الكوميديا الإلهية » (†) . و « المرج » الذى تذكره الأساطير الإسلامية وتصفه بأنه طريق بين الجنة والنار (□) هو « البراديزو تريستر Paradiso terrestre » ، أى « الجنة الأرضية » التى تحدثنا عنها « الكوميديا الإلهية » . والجنات الثمان ذات الهيئة الدائرية التى تضم « شجرة طوبى » أو « الشجرة المؤنسة » والتى يحدثنا عنها ابن عربى ، هى النموذج الذى احتذاه دانتى فى تصوير

(*) Cf : ASIN, op. cit. pp. 267.

(*) انظر : السيد مرتضى ، كتاب « إتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين » ، طبعة أحمد البابى الحلبي ، القاهرة ١٣١١ ، ج ٨ ، ص ٥٦٦ .

(†) يفسر آسبن الصراط هنا بما فسره به بعض المفسرين الإسلاميين من أنه جسر أو قنطرة أو عقبة . انظر تفسير حديث أبي برداء فى « الإتحاف » للسيد مرتضى ، ج ١٠ ، ص ٤٨١ وما جاء فى نفس المرجع (ج ١٠ ، ص ٤٨٢) : « يضرب الصراط بين ظهري جهنم » وما يؤوله ابن عربى فى الفتوحات ، ج ٣ ، ص ٥٧٣ : « يوضع الصراط من الأرض علوا على استقامة إلى سطح الفلك » .

Cf : ASIN, op. cit. pp. 179-185.

(□) انظر قول ابن مخلوف فى « كتاب العلوم الفاخرة فى النظر فى أمور الآخرة » ، طبعة ابن مراد التركى ، القاهرة ١٣١٧ ، ج ٢ ، ص ٦١ : « إن الناس إذا جاوزوا الصراط وقطعوا مسافته وجعلوا بهم خلف أظهرهم أفضوا إلى طريق الجنة » .

ما يسميه شراحه « بالوردة الصوفية » أو « الوردة الدانتية » ، وهى الجنة السماوية عند هذا الشاعر الإيطالى الكبير . [فإن محيى الدين بن عربى يتحدث عن « صورة مجاورة الجنان الثمانية لبعضها بعضاً صورة دواير ثمانية ، جنة فى قلب جنة » (*) ، ودانتى يقول فى الأنشودة الثلاثين من « الفردوس » ، سطر ١٠٣ وما يليه :

E si distende in *circular figura*
in tanto, che la sua *circonferenza*
sarebbe al Sol troppo larga *cintura*.]

وكلا القصاصين الإسلامى والدانتى يصف بيت المقدس بأنه المحور الذى يدور حوله العالم العلوى كله ، [ومن أمثلة ذلك ما يقوله أحد المفسرين فى شرح سبب عروج محمد (صلى الله عليه وسلم) إلى السماء من بيت المقدس : « قيل ليكون عروجاً مستويًا ، لما روى كعب الأحبار أن باب السماء الذى يقال له مصعد الملائكة يقابل بيت المقدس »] (**). وكلا القصاصين يجعل جهنم تحت موقع بيت المقدس . وفى أدنى دركات جهنم نجد « مقام إبليس » فى الأسطورة الإسلامية و « سجن لوسيفر » (أى الشيطان) فى القصيدة الدانتية ، وفوق موقع بيت المقدس فى العلات تماماً توجد « سماء الأوهية » ، « مقام رب العرش » . وفى الجنة من « المنازل » بقدر ما فى النار فى أساطير الميراج الإسلامية وعند دانتى . ثم ينقسم كل من منازلها إلى « منازل » أصغر بحيث لا نجد موضعاً فى الجنة إلا يقابله موضع فى النار ، وذلك كله نجده على صورة واحدة فى الأسطورة الإسلامية والقصيدة الدانتية .

(*) فتوحات ج ١ ، ص ٤١٦ . وانظر أيضاً ج ٣ ، ص ٥٥٢ و ٥٦٧ وكتاب
اليواقيت والجواهر فى بيان عقائد الأكابر للشمرانى ، مطبعة محمد رمضان ، القاهرة ١٣٢١ ،
ج ٢ ، ص ١٩٧ .

(**) أورده آسبن عن المخطوط رقم ١٠٥ ، مجموعة جايانجوس ، الموجود حالياً فى مكتبة
مدرسة الدراسات الإسلامية فى مدريد .

ويعين آسين وجوه تشابه أخرى ، سواء في حلقات القصة أو مشاهدتها ، ويصل هذا التشابه في بعض الأحيان إلى التطابق الحرفي . وأَبَيِّنُ ما يبدو لنا من أوجه هذا التشابه هي : « إن صنوف أهل « الليمبو » — في القصيدة الدانتية — والعذاب الذى يصيب كل فريق منهم — يشبه عذاب من يقابلهم من أهل « الأعراف » في الأساطير الإسلامية . فهذه « المواصف السود » التى يقول دانتى أنها تمصف بأهل الزنا فى جهنم هي « الريح » التى يذهب ببعض الأحاديث الموضوعية إلى أن الله أرسلها على قوم « عاد » ، و « مطر النار » الذى يجعله دانتى عقوبة اللواط فى الأنشودة التاسعة من الجحيم ، سطر ١١٥ وما يليه ، هو « الحميم » الذى ورد ذكره فى القرآن وفسره بعض المفسرين بأنه ماء يغلى وبعضهم الآخر بأنه « ذوب الحديد » أو « شواظ من نار ونحاس » . ويضيف دانتى إلى عذابهم فيجعلهم يسرون فى حركة دائرية أبداً ، وهذا منقول عما يذهب إليه بعض المفسرين المسلمين من أن « فى النار أقواماً ... تدور ... ما لهم راحة ولا فترة » (*)

ويقول دانتى إن عذاب المنتبئين هو سيرهم ورؤوسهم مائلة إلى الخلف ، وفى الأسطورة الإسلامية : « ... أن نجعل وجوههم من قِبَل أفتيتهم ، فيمشون القهقري ، ونجعل لأحدهم عينين فى قفاه » . وفى قصيدة دانتى نجد كايفاس Caifas مثبتاً على صليب ملقى على الأرض والناس تدوسه بأقدامها ، وفى الأسطورة الإسلامية نجد عذاب بعض الناس على هذه الصورة : « فيُسحب وهو على ظهره مصلوب » . أما دعاة البدع الدينية ورؤوس الفرق الضالة فيصورهم دانتى فى الجحيم يُطعنون دون أن يموتوا ، والأساطير الإسلامية تجعل لهم مثل هذا العذاب فى جهنم وتقول : « تدبهم الملائكة بسكاكين ، وكلما ذبحوا واحداً منهم يعود كما كان ، ثم يُذبح » ، ودانتى يجعلهم يسرون وأماؤهم تتدلى من بطونهم ، والأسطورة الإسلامية تقول إنهم يسرون « وهم يسحبون أمعاءهم » . ويصور دانتى عذاب

(*) راجع عن ذلك كله :

بعض المذنبين بأن يسروا مقطوعى الأيدى ، والأسطورة الإسلامية تقول إنهم « يقفون بين يدى ربهم مقطوعى الأيدى » . ومن صور العذاب التى يصفها دانتى أن بعض صنوف المذنبين يسرون فى الجحيم ورؤوسهم مقطوعة تتدلى بأيديهم أمامهم ، والأسطورة الإسلامية تقول : « يحيى المقتول والقاتل يوم القيامة ، ناصيته ورأسه بيده وأوداجه تشخب دماً » . أما المردة والعاقة الذين نلقاهم فى القصيدة الدانتية فأوصافهم تنطبق على أوصاف من نلقاه من أمثالهم فى الأساطير الإسلامية ، وأطوالهم مقدره فى هذه وتلك على نحو متعادل تماماً . وتحدثنا الأساطير الإسلامية بعذاب الزمهرير ، وهى كما جاء فى أحد الأحاديث الموضوعه « جُبُّ يُلقى فيه الكافر ، فيتمزق من شدة بردها بعضه من بعض » ، وهذا يشبه تماماً « التعذيب بالثلج » عند دانتى ، إذ أن قصيدة الشاعر الإيطالى تصور لوسيفر مطموراً فى الثلج عذاباً له ، وذلك شبيه بما يقول ابن عربى فى « الفتوحات » : « فعذاب إبليس فى جهنم بما فيها من الزمهرير ، فإنه يقابل النار فى نشأة إبليس ، فيكون عذابه بالزمهرير » (*) . ثم إننا نجد دانتى يتطهر مرتين فى أنهار الجنة الأرضية ثم يلقى بياتريس بعد ذلك ، وهذه ظاهرة ليست مسيحية أصلاً ، ولكنها تطابق — جملةً وتفصيلاً — ما تحكيه القصص الإسلامية من تطهر الأرواح ووضوء الناس ، بعد خلاصهم من عذاب النار وقبل دخول الجنة ، فى عين من ماء بارد [« فى مثل صفاء القوارير ، أصفى من البلور ، وأبرد من الثلج ، وأشد مياضاً من اللبن ، فيغتسلون فيها اغتسالا تاماً ، وينظفون تظنفاً عاماً ، يذهب به عنهم درن الأجسام وقتر الوهيج والقنام ، وتعود إليهم صحة الاجسام ، حتى تمد فى وجوههم هبة ، وتعرف فى وجوههم بضرة النعيم .. ثم ينشرون من ماء العين شربة تذهب عنهم لهب الحر الذى كابدوه ، والعناء الذى باشروه ، ويرع

(*) ابن عربى ، الفتوحات ، ج ١ ، ص ٣٩١ .

ما فيهم من غل الصدور وحسدها، وكدر الدنيا ونكدها» [*] . وأخيراً ، نجد ذلك ينطبق على الصورة الروحية التي يصور بها دانتى المشاهدة الإلهية ، فهو يمثلها على هيئة شعاع إلهى يفيض منه نور باهر وصفاء ذهنى ومتمعة إثرائية . [وذلك يشبه قول ابن عربى فى « الفتوحات » : « إن الله يتجلى لعباده فى النور العام » ، وقوله بعد ذلك : « ... إذا هم بنور قد بهرهم ، فيخرون سجداً ، فيسرى ذلك

(*) ابن مخلوف : كتاب العلوم الفاخرة فى النظر فى أمور الآخرة ، طبعة ابن مراد التركى القاهرة ١٣٤٧ ، ج ٢ ، ص ٦٢ .

وقارن بذلك قول دانتى فى الأنشودة الثامنة والمشرى من « المطهر » سطر ٢٨

وما يليه :

“Tutte l'acqua, che son di qua piú monde
parrieno avere in sè mistura alcuna
verso di quella, che nulla nasconde”.

وسطر ١٣٣ :

“A tutt' altri sapori esto è di sopra”.

وسطر ١٤٤ :

“Nèttare è questo di che ciascun dice”.

وفى الأنشودة الأولى من « المطهر » ، سطر ٩٥ — ٩٦ :

“... e che gli lavi 'lviso,
si ch' ogni sucidume quindi stinga.”

وسطر ١٢٨ :

“Quivi mi fece tutto scoperto
quel color, che l'Inferno mi nascose”.

وقوله فى الأنشودة الثامنة والمشرى ، سطر ٢٨ :

“Che toglie altrui memoria del peccato ;
dall' altra d'ogni ben fatto la rende”.

وفى الأنشودة الثالثة والثلاثين سطر ١٢٩ :

“La tramortita sua virtu raviva”.

وسطر ١٣٨ :

“Lo dolce ber, che mai non m'avria sazio”.

وسطر ١٤٨ وما يليه :

“Io retornai dalla santissim' onda
rifatto sì, come piante novelle
rinnovellate di novella fronda,
puro e disposto a salire alle stelle”.

النور فى أبصارهم ظاهراً وفى بصائرهم باطناً ، وفى أجزاء أبدانهم كلها ، وفى لطائف نفوسهم ، فيرجع كل شخص منهم عيئاً كله ... فهذا يعطيهم إياه ذلك النور ، فيه يطيقون المشاهدة والرؤية ... فيتجلى الحق تعالى ، فينطق عليهم نور يسرى فى ذواتهم ... «(*) . ومن الوضح جداً أن هذا — وأمثاله — هو الذى أخذ عنه دانتى قوله فى النشيد الثلاثين من المطهر :

Par. XXX, 10 : "Lume è lassù, che visibile face
io Creatore a quella creatura.
Fassi di raggio tutta sua parvenza
reflesso. . .
Sì, soprastando al lume intorno, intorno,
vidi specchiarsi in piú di mille soglie. . .
E se l' infimo grado in sè raccoglie
sì grande lume. . . ,"

وقوله فى الأنشودة الثالثة والثلاثين من « المطهر » أيضاً :

Par. XXXIII, 76: "Io credo, per l'acume ch' io soffersi
del vivo raggio, ch' io sarei smarrito,
se gli occhi miei da lui fossero aversi.
O abbondante grazia, ond'io presunsi
ficcar lo viso per la luce eterna
tanto, che la veduta vi consunsi"(*)

هذا الحشد الحافل من الأفكار والتخييلات والرموز والأوصاف فى القصصين يدل بوضوح على أن دانتى نظر إلى الأصول الإسلامية وحاكاها . ولكن ، هل أتبع لدانتى سبيل الاطلاع على ما كتبه المسلمون عن قيام الساعة وما يتلوه ؟ وجواباً على هذا السؤال نقول : إن مسلمى الأندلس تداولوا فيما بينهم — منذ أول أيامهم فى هذا البلد — أساطير دينية عما بعد الموت ، بل كان المستعربون الأندلسيون ، ومن بينهم القديس يولوج القرطابى San Eulogio de Córdoba

(*) ابن عربى ، الفتوحات ، ج ١ ، ص ١٤٧ .

Cf : ASIN, op. cit. p. 248.

(*) cf : ASIN, op. cit. pp. 199—200

يعرفون سيرة لمحمد (ص) تختلط فيها الحقائق بالأخبار الموضوعية ، ونحن نجد أطرافاً من هذه السيرة في كتاب يولوج المسمى «مدح الشهداء» Apologeticus Martyrum . وقد استعمل الأسقف لنريق الطليطلى (ردريجو خيمينيث دي رادا ١١٧٠ - ١٢٤٧) في كتابه المسمى «تاريخ العرب» Historia arabum أصولاً عربية ، وأورد في هذا التاريخ ذكر «المعراج» ، وعنه أخذ ألفونسو العالم وأدخله في «تاريخه العام» La Crónica General de Espana الذى كتب فيما بين سنتي ١٢٦٠ و ١٢٦٨ . وبعد سنوات قلائل نجده مذكوراً في كتاب «مكافحة طائفة محمد» La Impunación de la secta de Mahoma الذى ألفه أسقف جيان القديس پدرو پسكوال San Pedro Pascual أثناء أسره وحبسه في غرناطة .

وليس من العسير أن تكون هذه الأسطورة الشائعة في إسبانيا قد انتقلت إلى إيطاليا وعرفها دانتى الذى فرغ من كتابه «الجمجم» عام ١٣٠٦ م . ومن الواضح أننا لا نستطيع اليوم تعرف الطريق الذى وصلت هذه الأسطورة به إلى دانتى : لقد ذهب آسين إلى أنه من الممكن أن يكون ذلك قد تم على يد «برونيتو لاتيني» Brunetto Latini أستاذ دانتى ، إذ أن برونيتو هذا زار إسبانيا ، ومن الطبيعى أن يكون ذهنه المثقف وعقله الطلّمة الظامى إلى المعرفة قد اجتذبه بلاط طليطلة الذى غلب عليه الطابع الإسلامى وما حاطه من بهاء ، وقد اتصل برونيتو بالفعل بمتبرجى مدرسة طليطلة وقامت بينه وبينهم الملاقات ، وخالط كذلك أساتذة مدرسة إشبيلية ما بين مسلمين ونصارى ، الذين كانوا عاكفين على أعمالهم العلمية والأدبية ومن بينها ترجمة «تاريخ العرب» للذريق الطليطلى .

ومن ناحية أخرى كان ذهن دانتى - كما يبدو في مؤلفاته - مفتوحاً منقبلاً لشقى التأثيرات العلمية والأدبية ، وهذا أمر يقرره الدانتيون . ولا يخطر على البال أن يكون دانتى قد استبعد الثقافة الإسلامية من محيط تطلعه الواسع ، مع ما كانت

عليه هذه الثقافة من الانتشار والذيعوع في أوروبا في القرن الثالث عشر . وإنما لنجد نقرأ من علماء المسلمين — ما بين فلكيين وفلاسفة ، كالبطروجي والفارابي والغزالي وابن رشد — مذكورين في مؤلفين من آثار دانتى هما Convita والحياة الجديدة Vita Nouva . ولا يمكننا أن نعلل ما أبداه دانتى من رأى جميل في صلاح الدين وابن رشد — وهو رأى يفكره اللاهوت الكاثوليكي — ووضعه إياهما على جبل اليمبو (الأعراف) على رغم أنهما ماتا على غير الكاثوليكية . لا يمكننا تعليل ذلك إلا بعطف ظاهر وميل إلى ما هو إسلامي ، وهذا الميل الدانتى نحو علوم المسلمين — وخاصة نحو ابن رشد — هو الذى يفسر وضعه لسيجر البرابنتى في الفردوس ، وكان سيجر كما نعلم أستاذاً بجامعة باريس ، وقد صبت عليه الكنيسة اللعنة وطردته من رحابها في سنة ١٢٦٦ إذ اعتبر زنديقا رشديا . وقد مات سيجر سنة ١٢٨٤ ، ولم يرض دانتى له موضعاً إلا مقام أهل الدين ، فوضعه إلى جانب القديس توما الأكويني في « الفردوس » (١٥) .

(ب) العلوم

ف ١٥٣ — أفونسو العالم والثقافة العربية :

بلغ الاهتمام بنقل علوم العرب وآدابهم إلى إسبانيا النصرانية ذروته في عصر أفونسو العالم ، إذ أن الاهتمام بهذا النقل بلغ في ذلك العصر مداه . وقد أعان أفونسو على ذلك أن الحظ واتاه بالتفاف نفر من النصارى والمسلمين واليهود المتحقيقين بشقى العلوم حوله ، وقد أشرف بنفسه على توجيه أعمال الترجمة والتحرير أو التلخيص التى كان مساعده يقومون بها ، وأنشأ في مرسية معهداً للدراسات بمعاونة الرقوطى الفيلسوف المسلم ؛ ولم يوفق هذا المعهد المرسى كثيراً ، فنقله إلى

إشبيلية وأنشأ فيها مَدْرَساً^(*) ومدرسة عامة لللاتينية والعربية ، وجعل فيها أساتذة من المسلمين لتدريس الطب والعلوم ، وظلت طليطلة كذلك مركز الثقافة الإسبانية .

أمر أفونسو بأن يترجم الإنجيل إلى الإسبانية ، وبأن ينقل القرآن إليها (وكان قد نقل إلى اللاتينية بأمر بيدرو الجليل Pedro el Venerable في منتصف القرن الثاني عشر) . وترجموا له كذلك « التلود » ، و « القبالة » ، وبأمره تُرجم كتاب « كلية ودمنة » (ف ١٥٦) إلى الإسبانية . ولا بد أن له يدأ فيما أمر به أخوه الدون فادريك Don Fadrique من ترجمة قصة « السندباد » (ف ١٥٧) إلى الإسبانية . ولأفونسو هذا الفضل في ترجمة قصتي « بونيوم » Bonium و « سر الأسرار » إلى الإسبانية باسم Poridat de Poridades ، وقد أدخل في ثنايا تاريخه العام لإسبانيا Crónica General de Espana مواد عربية تاريخية وأسطورية ، ومن بين هذه الأخيرة قصة زليخة ويوسف Zuleija y José ، وحكاية العالمة دولوكا Doluca ، و « الفتاة ترموت » La infanta Termut ، والملكة مونيبي La Reina Munene وقصة تكريزا Tacrisa . وأمر أفونسو كذلك بترجمة كتب في ألعاب شرقية ككتاب الشطرنج Juegos de Ajedrez (نشره آرنالد شتايجر في زيوريخ عام ١٩٤١) واستخدم الموسيقى الأندلسية في وضع « أناشيده » الطائرة الصيت : Las Cantigas (ف ١٧٢) .

أما في ميدان التوالمف العملية فقد كان جهد الملك العالم عظيماً لا يقدر ، فقد جمع في طليطلة نقرأ من أهل العلم ليصنفوا له « كتب علم الفلك » Libros del saber de Astronomía ، وقد تمكن هؤلاء العلماء من النهوض والتقدم بالدراسات

(*) ترجمت لفظ estudio بلفظ مَدْرَس أي مكان الدرس والبحث ؛ وهو يختلف عن

المدرسة ، وهي مكان التدريس .

الفلكية بفضل مشاهداتهم ونقولهم وما قاموا به من أعمال علمية أخرى . وكان الملك كثيراً ما يشرف بنفسه على الأعمال التي كانت تجرى في مدرسته الطليطلية، وكان يأمر بترجمة ما يرى نقله من الكتب — العربية خاصة — ويقوم بترتيبها وتنظيمها بنفسه ، وخاصة ما يقول منها بنظريات جديدة تعدل مذهب بطليموس في الفلك والجغرافية . وأمر ألفونسو كذلك بصنع آلات وأجهزة لم تكن معروفة إلى ذلك الحين ، وكان يراجع ما ينجز من الترجمات ويصلح من أسلوبها ، ويتجلى ذلك بوضوح من مقدمة ما يعرف « بالأوامر الخاصة بكتب النجوم الأربعة » .

Ordenamientos para los cuatro libros de las estrellas ، فقد جاء فيها : « هذا هو كتاب هيئات النجوم الثابتة الكائنة في السماء الثامنة ، مما أمر بترجمته من الكلدانية والعربية إلى الإسبانية الملك دون ألفونسو ... بعد أن رتبها الملك المذكور وأمر بتصنيفها ثم استبعد منها الآراء التي وجد أنه قد تقادم بها العهد أو تكررت في الكتاب ، والعبارة التي لم يكن أسلوبها قسماً قويمًا ووضع محلها عبارات أخرى تفي بالمراد » .

أما كتب علم الفلك هذه (Libros del saber de la Astronomía) فتألف من :

(أ) الكتب الأربعة في نجوم الفلك الثامن Los cuatro libros de las estrellas de la ochava esfera ، وقد أثبت تالجرن Tallgren أنها اقتباس معدل أو ترجمة بتصرف عن كتاب « الصوفي » El Sufi قام بها يهوذا الكوهن Jehudá el Cohen وجين أرْمُونُ دَ أسبا Guillen Arremon de Aspa.

(ب) الكتب الألفنسية في أجهزة علم الفلك وأدواته وكتبه Libros alfonsies de los instrumentos et de las huebras del saber de Astronomía وتتناول تركيب الأجهزة الفلكية وطرق استعمالها ، وتبحث في قبة

السماء وأفلاك الكواكب والاسطرلاب ، وتحوى رسماً للكون ووصفاً للصفحة (التي وضعها الزرقالي) وأوصافاً للساعات وما إلى ذلك .

(ح) كتاب الزيج الألفونسي Libro de las tablas alfonsies وهو دراسة للتقاويم ، وقد ألف بناء على آلاف المشاهدات التي تمت في قلعة سان سيرفانديو^(١٦) .

وقد عمل في تصنيف هذه الكتب علاوة على من ذكرنا : الربان يهوذا ابن موسى بن موسكا R. Yehudá Ben Moseh Ben Mosca ، والربان زاج الطليطلي Rabi Zag de Toledo ، وخوان دِ آسپا Juan de Aspa ، وفرناندو الطليطلي Fernando de Toledo ، وخييل دِ تبلادوس Gil de Teblados وبيدرو دِل رِيال Pedro del Real ، والربان دون أبراهام بن ليثي Rabi Don Abraham Halevi^(*) والمعلم برنالذو العربي Maestre Bernaldo el arábigo وجرثي پيريد Garcí Pérez وهو من رجال الدين . وكثير من الكتب التي استعملت في هذه التأليف كانت نقولا عن الزرقالي ومسلمة الجريطلي وقسطا بن لوقا وعلى بن خلف فلبي المأمون بن ذى النون صاحب طليطلة وغيرهم كثيرين .

وهناك كتابان مما أمر الملك بترجمته يهمان المعني بالتنجيم أكثر من المعنى بالعلم الصحيح ، هما كتاب الأحجار الكريمة Lapidarios الذي نُقل لألفونسو عن كتاب لأبي العيش ، وكتاب Libro de las Cruces الذي ربما كان ترجمة لكتاب لعبيد الله محمد الاستجعي^(١٧) .

(*) كذا في الأصل ، وفي مقال الياس فاليكروسا ورد الاسم هكذا : el alfaqui Don

Abraham = الفقيه دون (السيد) أبراهام .

Cf : J. MILLAS VALLICROSA, *El literalismo de los traductores de la corte de Alfonso el Sabio*. Al-Andalus, vol. I, fasc. 1, 1938, p. 156.

(ح) التريية

ف ١٥٤ — الموعظ السياسية الأخرافية :

المواعظ السياسية الأخلاقية فن أدبي يقتصر ذبوعه والعناية به (في إسبانيا) على أيام فرناندو الثالث وألفونسو العاشر عادة . والغالبية العظمى من آثار هذا الفن مجموعات من الحكم والأمثال عرفها الإسبان عن طريق ما صنفه العرب فيها أو نقلوه عن غيرهم منها . وأم هذه الكتب « كتاب العلماء الاثنى عشر » Libro de los doce sabios أو « كتاب في النبيل والإخلاص » De la nobleza y lealtad وهو مجموعة من الحكم ذات طابع سياسى ، وكتاب زهور الفلسفة Flores de filosofia وهو مجموع من الأقوال المأثورة تنسب إلى سنيكا وفلاسفة آخرين لم تذكر أسماءهم ، وبعض حكماء المشاركة (وهذه المجموعات توجد في ثنايا قصة الفارس السفار El Caballero Cifar) . ومن هذه الكتب أيضاً كتاب « بونيوم أو الأقوال الذهبية » Bonium o Bocados de Oro ، وهو مقتبس من « كتاب الأمثال » لأبى الوفا مباشر بن فاتك ، الذى جمع فيه طائفة من أقوال فلاسفة الهنود واليونان واللاتين والعرب سمعها الملك بونيوم ملك فارس أثناء زيارته لقصر العلماء . وعن العربية أيضاً أفتيس الكتاب المسمى « پوريدات د پوريداس » Poridadat de Poridades أى « سر الأسرار » Secretum secretorum وهى نصائح أخلاقية دينية للملك . وقد كان كتابا « بونيوم » و « سر الأسرار » الأساس الذى أنشأ حوله خايمه الأول ملك أرغون مؤلفه المسمى « كتاب الحكمة » . Libro de la Saviesa

ولنذكر كذلك « كتاب الأمثال الطيبة » - Libro de los buenos prover- bios ، وهو مجموع من الأمثال ترجمت عن « حكم الفلاسفة » لجنين بن إسحاق (*) ، وكتاب « تعاليم الإسكندر ونصائحه » Ensenamientos y castigos de Alixandre ، ونجد في ثنايا هذا الكتاب (كما نجد في « يونيوم ») خطابين موضوعين يقال إن الإسكندر الأكبر وجه بهما إلى أمه .

أما كتاب « واسطة السلوك في سياسة الملوك » الذي ألفه أبو حمو موسى ابن يوسف ملك تلمسان (١٣٥٢/٧٥٣ - ١٣٨٦/٧٨٨) (نشره جسيار ريميرو سنة ١٨٩٣) (*) فهو من طراز كتاب « نصائح الملك سانشو ووثائقه » Castigos y documentos del rey Sancho . وقد ألف أبو حمو موسى بن يوسف هذا الكتاب لابنه ليهدبه ويؤدبه به . ويقول في وصفه جسيار ريميرو إنه « يضم قواعد أخلاقية سياسية تتخللها قطع كثيرة من الفتر أو الفتر السجوع مع نصائح وأمثال تاريخية كثيرة » . ولا شك أنه ألف على منوال « كتابه السلوان المطاع في عدوان الأتباع » لأبي علي - وأبي هاشم أيضاً - محمد بن علي ابن ظفر الملقب بمحبة الدين الصقلي المتوفى ١١٦٩/٥٦٥ . وهو يستخرج من الحكايات والأمثال مغزى أخلاقياً (١٨) .

(*) ورد عنوان هذا الكتاب بالإسبانية هكذا : Sentencias morales ، أى الحكم الأخلاقية . وبمراجعة مؤلفات جنين بن إسحاق عند بروكلمان وجدت له مجموعاً من الحكم ضاع أصله العربي ولم يبق إلا ترجمته العبرية : سيفر موسىرى هايلوسوفيم (= حكم الفلاسفة) وقد نقله من العربية إلى العبرية يهوذا بن شالمو الحرزى ، ثم ترجمه من العبرية إلى الألمانية . لوقتال A. Loewenthal . ونشره في فرانكفورت سنة ١٨٩٦ بعنوان Sinnsprueche der Philosophen ، ويقلب على ظني أن هذا هو المراد هنا .

Cf : BROCKELMANN, G. A. L. I, p. 206.

(**) طبع كتاب « واسطة السلوك في سياسة الملوك » في الجزائر سنة ١٨٧٤ ، وترجمه جسيار ريميرو إلى الإسبانية بعنوان « مقاد الآلى » :

Cf : M. GASPARD REMIRO, El Collar de Perlas (Col. de Est. Ar. IV)

Zaragoza, 1899.

وانظر : بروكلمان ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ٣٣٠ وماحق ج ٢ ، ص ٣٦٣ .

(د) القصص

ف ١٥٥ — كتاب سلك الكتاب *Disciplina clericalis* (*) :

كان أول ما ذاع في بلاد النصرى أثناء العصور الوسطى من القصص المستقى من أصول عربية هو كتاب « تعليم رجال الدين » الذى ألفه يدرى ألفونسو ، وأصله يهودى من أهل وشقة كان اسمه موسى سيفردى *Rabí Moses Sefardi* ، ثم تنصر فى سنة ١١٠٦ وتبناه ألفونسو الأول ملك أرغون الملقب بالمقاتل . وتدل الدلائل كلها على أنه كتب كتابه هذا أول الأمر باللغة العربية ، ثم ترجمه بنفسه إلى اللاتينية . وهو فى هذا الكتاب يورد ثلاثاً وثلاثين (*) أقصوصة شرقية ، ويطبقتها على نحو يناسب تعليم أهل الأدب (على اعتبار أنهم أهل الدرس والعلم) . وقد نقل يدرى ألونزو هذه الحكايات عن حنين بن إسحاق

(*) انتهت إلى ترجمة عنوان هذا الكتاب المعروف بيدرى ألونزو بعد محاولات كثيرة ، وقد رجح عندى اختيار هذا العنوان التفسير الذى عثرت عليه فى تعليقات ياسكوال دى جايمانجوس على ترجمته لتاريخ الأدب الإسباني لچورج تيككنور . وفيما يلى أورد كلام جايمانجوس بنصه ، أضعه تحت يدى العارفين بالإسبانية تأييداً لما ذهبت إليه :

...La obra se intitula *Proverbiorium, seu clericalis disciplinae libri tres*, y no es, como algunos han creído, un tratado de ciencias y de filosofía, sino un libro de entretenimiento, como había tantos en la edad media, lleno de apólogos y de cuentos. La palabra *clericus* no tenía entonces la acepción que se le dió mas tarde; por *clerico*, en castellano antiguo *clergo* y *crego*, en francés *clerq*, se entendía hombre de letras, letrado, en cuyo sentido usa a menudo dicha voz el autor del libro de Alejandro. . .”

Cf : M. G. TICKNOR, *istoria 'de la 'literatura espanola*; traducida por Pascual de Gayangos. (T.H, Madrid, 1851) pp. 556-557.

(*) ورد عدد الأنابيب فى مراجع أخرى أربعة وثلاثين أو تسعة وثلاثين انظر :

G. MENÉNDEZ PIDAL, *La Escuela de traductores de Toledo* ; apud *Historia General de las literaturas hispánicas*. Tomo I (Barcelona, 1949, p.285).

ومباشر وكليلة ودمنة والسندباد . وهو يقرر صراحة أنه صنف كتابه من أمثال فلاسفة العرب وحكمهم ، واستعمل فيه الخرافات والأشعار والأمثال والثل من حكايات الحيوان والطير .

وهذه الحكايات الخرافية يقصها أب على ابنه ، ويضيف إليها طائفة من الأمثال والحكم ، وبعضها ذو مغزى أخلاق كقصة اختبار الأصدقاء (وهي الحكاية الأولى في الكتاب) وهي مذكورة كذلك في كتاب « الكفند لوكانور » للدون خوان مانويل ، وحكاية مستودع دنان الزيت (رقم ١٤) ، وحكاية الطائر الصغير الذي احتال بعبارات عذبة حتى أفلت من يد الفلاح (رقم ٢٠) ، وحكاية العنزات التي قصها سانشو على الدون كيخوته ليلة الطواحين . وفي هذا المجموع قصص أخرى مريحة لاذعة بل جارحة للحشمة كحكاية خدعة غطاء السرير ، التي يرددها ثرفانتز في قصة المعجوز الفيور El viejo celoso ، وحكاية الشاب الغيران الذي يجبس امرأته في برج ويغلق عليها الأبواب ، فتعمد هي إلى تركه في الطريق ، وتأبى أن تفتح له الباب ؛ وهو موضوع سيقردد فيما بعد في الحكايات الخرافية الفرنسية المعروفة بـ « الفابليو » Fabliaux ، وفي « الليالي العشر » (الديكاميرون) لبوكاشيو ، وفي مشهد من مشاهد مسرحية « جورج دندان » Georges Dandin لموليير .

وقد لقي هذا الكتاب من إقبال الناس عليه ومن الذبوع في شتى البلاد ما يحسده عليه غيره من الكتب ، ولقد أعاد مقلدوه كتابة قصصه فيما بعد في صور أجمل من الناحية الأدبية ، وترجم الكتاب كله أو بعضه إلى العبرية والفرنسية والألمانية والإيطالية والإنجليزية والأيسلاندية والقطلونية والبيارنية . أما في الإسبانية فقد أخذ مادته كلها مانشث دِ ثريال Sánchez de Vercial وضمها كتابه المسمى « كتاب الأمثال » Libro de los exemplos من تأليفه

مع تغيير في ترتيب الحكايات ، ونُقل الجانبُ الأكبر منها في كتاب « إيزوبيتِ المؤرخ » Isopete historiado الذي أمر بترجمته الأمير دون إنريك الأغرغوني دوق شقرب El Infante don Enrique de Aragón, duque de Segorbe وكذلك عرف هذا الكتابَ فنسان دِ بوفيه Vincent de Beauvais (وذكره في كتابه المسمى « مرآة التاريخ » Speculum historiale) وانتفع به الدون خوان ما نويل وبوكاشيو ونائب أسقف هيتا وخوان دِ تيمونيدا Juan de Timoneda وغيرهم كثيرون^(١٦) .

ف ١٥٦ — كتاب كليلة ودمنة :

يقرر كل مؤرخي أدبنا (الأدب الإسباني) — مع مننذ إى بلايو — أن أم كتب القصص الشرقى التى ذاعت فى أوروبا المسيحية عن طريق ترجماتها العربية ثلاثة : « كليلة ودمنة » ، و « السندباد » ، و « برلام ويواصف » . أما كتاب كليلة ودمنة فمجموعة من الحكايات الخرافية الهندية جمعها ورواها برزويه طيب أنوشروان أو كسرى الأول ملك فارس (٥٣١ — ٥٧٠ م .) ونقله إلى العربية عام ٧٥٠ م . عبد الله بن المقفع . وعن العربية نُقل الكتاب إلى السريانية واليونانية والفارسية والعبرية والإسبانية . وقد ترجمه من العبرية إلى اللاتينية يوحنا دِ كاپوا وجعل عنوانه « مُرشد الحياة الإنسانية » Directorium vitae humanae . أما الترجمة الإسبانية فقد أمر بعملها ألفونسو العالم عندما كان أميراً عام ١٢٥١ م . على الأرجح . هذا ، والترجمة اللاتينية التى قام بها خوان دِ كاپوا والترجمة الإسبانية التى نشرها أليمانى (Alemany Balufor) عام ١٩١٥ هما أحسن ما يمثل نص عبد الله بن المقفع على الإطلاق .

ومن المعروف أن اسم هذه المجموعة من الحكايات مشتق من الحكاية

الأولى المنقولة عن كتاب پانشاتانرا Panchatantra ، وهى أطول حكايات الكتاب وأمتعها . وهى تدور حول ما وقع لابنى آوى ذكین هما کلیلة ودمنة فى بلاط أسدٍ حظى بالمكان الأرفع عنده ثور یسمى سِنْتِیْبَه Senceba (وهوا سم شترية فى الأصل الهندى وفى الترجمات الأوروبية) . ویضم الكتاب إلى جانب ذلك فصولا أخرى تتصل بعضها ببعض ، ولكنها مستقلة عن قصة کلیلة ودمنة حتى تستتم فصول الكتاب أربعة عشر فصلا . وكل قصص الكتاب مرسله على السنة الحیوان ، وإن كان الكثير من حكاياته یقع لناس من البشر ، وبعض هذا الكثير من أحسن ما فى الكتاب ، ویمكننا لهذا أن نعتبرها قصصاً حقیقیة ، كما نجد فى « حكاية الطفلة التى صارت فأرة » ، و « حكاية الناسك الذى صب العسل والزبد على رأسه » ، وهى الصورة الأولى لأسطورة « اللبانة » La Lechera ویمكننا تقدير ما أدركته قصص کلیلة ودمنة من الذیوع والقبول إذا ذكرنا أنها ترجمت إلى أكثر من أربعین لغة . وقد كان لها فى الأدب الإسبانى أثر بعيد عمیق ، كما یُستدل من ترداد بعضها فى « كتاب المعجائب » Libre de les maravilles لرایموندو لولیو ، وفى كتاب الكُند لوكانور للذوق خوان ما بویل و « كتاب القلط » Libro de los Gatos ، و « كتاب الأمثال » لسانشث دِ فرثیال Sánchez de Vercial^(٢٠)

ف ١٥٧ — السندباد :

وقصة السندباد — ككتاب کلیلة ودمنة — من أصل هندى ، وقد وصلت إلى أوروبا عن طریقین ، أولها غربى عرفت أوروبا بواسطته جزءاً من أفاصیص السندباد بسمیه دومینیكو كومپاریتی Domenico Comparetti بالمجموعة الغربیة ، أى التى وصلت إلى الغرب عن طریق ترجمة یونانیة نُقلت عن السریانیة ، وهذه عن العربیة ؛ وهى التى عرفت من أواخر القرن الحادى عشر المیلادى باسم

السِّينْتِپاس Sintipas . وعن هذا الأصل نقلت « قصة الوزراء العشرة » ، وقصة « الدولوفاتوس » Dolophatos أو « حكاية علماء رومة السبعة » ، ولدينا من هذه الأخيرة ترجمة شعرية قطلونية وترجمات قشتالية نثرية قام بها دييجو دِ كَانِيِيْتَارِس Diego de Canizares في القرن الخامس عشر وماركوس پيريث Marcos Pérez (أنجزها عام ١٥٣٠ م .) وپدرو هورتادو دِلَا فِيرا Pedro Hurtado de la Vera (بعنوان « حكاية الأمير إراسقو » Historia del Principe Erasto ، وقد ظهرت عام ١٥٧٣) .. والطريق الآخر شرقى ، إذ تُرجمت مجموعة أخرى من حكايات الكتاب إلى اللغات الأوروبية عن أصول فهلوية وفارسية وعربية وإسبانية . وقد ضاعت هذه الأصول كلها عدا الإسباني ؛ ولهذا يعتبر هذا الأخير أقرب الترجمات إلى الأصل (*) . وقد كان الذى أمر بنقل هذه القصة من العربية إلى الإسبانية الدوق فادريك أنخو ألفونسو العالم ، فنجزت الترجمة عام ١٢٥٣ وجُعل عنوانها « مكاييد النساء وحيلهن » Libro de los engaños et los esayamientos de las mujeres وقد نشرها بونيليا Bonilla في مجموعة « المكتبة الإسبانية » Biblioteca Hispanica (المجلد الرابع عشر منها) .

والصورة الأصلية العربية الإسبانية لهذا الكتاب تضم ستاً وعشرين حكاية فحسب ، تربطها بعضها إلى بعض حكاية واحدة أساسية كما نرى في « ألف ليلة » ، وملخص هذه الحكاية الأساسية أن أميراً اتهمته زوجته أبيه بأنه أراد أن يغصبها ، فقتل أبوه بموته . ولزم الأمير الصمت ، وأجل تنفيذ الحكم سبعة أيام دارت المناقشات خلالها بين زوج الأب وسبعة من العلماء . ومضى هؤلاء يقصون قصصاً تدور حول مكاييد المرأة وحيلها وشذوذ طبيعتها . وفي اليوم الثامن تنتهى

(*) MENENDEZ PELAYO, *Origenes de la Novela*, tomo I (Madrid, 1943) pp. 42 - 43.

وقد عدلت عبارة المؤلف هنا ، استناداً إلى هذا الأصل الذى أخذ عنه ، زيادة في الإيضاح .

الملة التي كان الطالع قد أندر الأمير بشر مستطير إذا هو تكلم خلالها . و يباح
للأمير الكلام ، فيخرج عن صمته المصطنع و يظهر لأبيه الملك براءته ، فيعفو عنه
و يلقى زوج الأب في النار . وهذه القصة في صميمها سطحية خفيفة لا تصل
إلى الخبث الخشن الذي نجده في « الفابليو » الفرنسية أو إلى توقع أقاصيص
بوكاشيو . ولكنها ذاعت مع ذلك ذيوماً عظيماً ، يصوره لنا ما لقيته قصة منها
يسمها الباحثون في الآداب الشعبية بحكاية « أثر الأسد » ، والتي تسمى في الترجمة
اليونانية لسندباد « بسوار الملك » ، وموضوعها يرجع في أصله البعيد إلى قصة
داود مع بتسايه Betsabé امرأة أوريا (أورياس Urias) (*) ، وقد رواها الجاحظ
ثم اندرجت في قصص ألف ليلة ، ورددتها بعد ذلك الدون خوزان مانويل في
« الكند لوكانور » . وهي تبدو في قصة « ميلو » Milo لماتيو د قندوم Mathieu
de Vendôme ، وفي كتاب « حياة المستهترات » Vies des dames galantes
لبراتوم Brantôme ، وتبدو كذلك فيما وضعه فيترو Viterbo من أدب شعبي ،
وفي كتابات الأبروزيين Los Abruzos وليثورنا Livorna . وهي تظهر أخيراً
عند أليدا جارت Almeida Garret مختلطة بقطع من أغنية رقص برتغالية من
الطراز المعروف بالجاكارا ، وانتهى بها الأمر إلى الاندراج في تيار الحركة
الرومانتيكية ، فضمنت في قصة « حذاء الملك » El Chapín del Rey ،
أو « الكرم الأخضر » Parras Verdes ، التي ترجمها إلى الإسبانية إيزيديرو
خيل Isfiro Gil عام ١٨٤٥ (٢١) .

(*) هذه القصة معروفة رواها بعض المفسرين في تفسير الآيات ٢١ — ٢٣ من
« سورة س » وقد جاء فيها : « إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة ،
قال أ كفلنيها وعزني في الحطاب » فيقولون إن هذه « النعجة الواحدة » كناية عن امرأة
أوريا ، ولم يذكر المفسرون اسمها ، ولكن مفسري العهد القديم يقولون إن اسمها بنشيبا
أو بتسايه ، انظر : تفسير الطبري (بولاق ١٣٢٨) ج ٢٠ ص ٩١ وما يليها . وانظر :
« ديوان المؤيد دامي الدعاء » بتحقيق الدكتور محمد كامل حسين (القاهرة ١٩٤٩) المقدمة ،
ص ١٤٦ — ١٤٧ .

ف ١٥٨ — برلعمام ويواصف (يوسافات) :

لم نصل إلى الآن إلى تعرف الأصول العربية الإسبانية لقصة بوذا التي نشأت عنها فيما بعد « قصة برلعمام ويواصف (يوسافات) ». ويبدو أن واحداً من هذه الأصول هو الذى يظهر فى كتاب الأحوال Libro de los Estados للدون خوان مانويل ، وربما كان هذا الأصل فارسياً . ويتراءى لنا أصل آخر لهذه القصة — مأخوذ عن اليونانية — فى الكتاب المسمى « ابن الملك والدرويش » El Hijo del Rey y el Derviche ، الذى كتبه اليهودى البرشونى أبراهام ابن حسداى فى القرن الثالث عشر^(٢٢) .

ف ١٥٩ — الدروه نوماه مانويل Don Juan Manuel :

لم يكن لمؤرخى أدبنا الإسبانى بد من أن يُقرّوا بدين الدون خوان مانويل للآداب العربية ، فقد قرر منندذ بلايو أن أول أديب صاحب أسلوب نثرى من كتابنا فى المصور الوسطى قد نهل ورّوى من موارد عربية ، ولكنه تناول مواضيع طرقها غيره من الكتاب وعرف كيف يصوغها فى قالب مبتكر . فالكثير من قصص الكند لوكانور El Conde Lucanor مقتبس من أصول عربية ، ومن أمثلة ذلك قصة عميد قسس كنيسة شنت ياقب مع الدون إليان المشهورة ؛ و « حكاية ساحر طليطلة » التى عرفت فيما بعد بقصة تحقيق الوعود La prueba de las promesas ، وهى حكاية نجد أصلها فى القصة العربية المعروفة « أربعون يوماً وأربعون ليلة » ؛ وكذلك قصة « تروهانا » Truhana نجد أصلها فى « خرافة اللبانة » المقتبسة من قصص كليلة ودمنة ؛ و « حكاية صلاح الدين مع السيدة » Saladino y la duena مستقاة من « السندباد » أو من « ألف ليلة » . أما ما يرد فى هذا الكتاب من حديث بطرّ اعتماد زوج المعتمد بن عباد ، ومن ذكر التحسين الذى أدخله الحكم المستنصر على الآلة

الموسيقية المعروفة بالبوق الصغير ، وقصة المرأة المغربية التي كانت تحرق أعناق
الأموات ، فهذا كله مقتبس عن أصول عربية ولا ريب ، ومصداق ذلك دقة
رسم الكلمات العربية الواردة في هذه الحكايات . أما أن الدون خوان مانويل
كان يعرف العربية ويقرأ كتبها ، فيؤيده — زيادة على ما ذكرنا — « كتاب
الأحوال » من تأليفه ، وذلك الكتاب إن هو إلا أسطورة لرعام ويواصف
— أو قصة بوذا — في قالب آخر ، عرفها خوان مانويل عن طريق أصل عربي
نجهله إلى الآن ، لا عن طريق ترجمتها المعروفة التي قام بها يوحنا الدمشقي .
ويقول منذذ بلايو تعقيباً على ذلك : « بيد أن الدون خوان مانويل — كغيره
من كبار القصاص — يضيء على قصصه طابعاً شخصياً خالصاً ، ويتعمق
موضوعاته ، ويأتي دائماً باهتكاكات موقفة فيما يضيفه من التفاصيل ، وهو يصوغ
كلامه في أسلوب يبلغ من حيويته وجماله أن يصبح الموضوع الشائع بينه وبين
غيره شيئاً خاصاً به ، يعبر عنه تعبيراً خاصاً قائماً على فهمه الشخصي لطبائع النفوس
ومعرفته بما يلزم المعاملات من خلق ، وروحه الفكرة المعتدل الذي لا يجرح
الشعور ولا يتبدل » (*). وهذا هو السبب فيما قسم لأقاصيصه من حظ عظيم في
ميدان الأدب العالمي (٢٣) .

ف ١٦٠ — تورميديا Turmeda :

يحتل الفريالي (*) أنسيلمو تورميديا Anselmo de Turmeda في تاريخ
الأدب مكاناً فذاً ، فقد ولد في ميورقة في منتصف القرن الرابع عشر ، ودرس
في لاردة وبولونيا (في إيطاليا) ، ثم انضم إلى طائفة الرهبان المعروفة بالمينوريس
(Los Menores = الصغار) ، ثم رحل إلى تونس حيث ارتد عن المسيحية

(*) MENÉNDEZ PELAYO, op. cit. I, p. 147.

(*) الفريالي من الصيغة العريضة التي توردها النصوص الأندلسية المتأخرة للفظ fraile

الإسباني ، ومعناه الأخ ؛ وهو لقب من ألقاب بعض طوائف رجال الدين مثل الفرير .

واعتنق الإسلام وتسمى «عبد الله على بن علي» وصار يرتزق من عمله كترجمان .
 وولاه السلطان أبو العباس أحمد الحفصي ، ثم ابنه أبو فارس عبد العزيز الحفصي ،
 مكوس توس ؛ وتوفي عام ١٤٢٠ م . وقد جلاله أهل المغرب بهالة من القداسة
 ولقبوه بالترجمان المثيري . وقد ذاع كتابه المسمى « تحفة الأريب في الرد على أهل
 الصليب » (*) بين المسلمين ذيوعا عظيما . وقد اعتمد في تأليفه على ما أورده
 ابن حزم في « الفصل » من الحجج في مناقشته لأراء النصارى ومذاهبهم .
 أما ما ألفه بالقطلوونية مثل كتاب « التعاليم الصالحة » Libre de bons
 ensenyaments وكتاب « رباعيات مملكة ميورقة » Cobles del Regne
 de Mallorca و « كتاب النبوات » Las Profecías فقد طار صيتها في قطلوونية
 كل مطار ، حتى أن الأول من هذه الكتب — وهو مجموع من الأمثال باللغة
 القطلوونية — ظل مستعملا ككتاب تعليمي في مدارس ذلك الصقع إلى زمن
 متأخر من القرن التاسع عشر . وقد تُرجم كتابه المسمى « مجادلة الحمار » Disputa
 del Ase (أنه عام ١٤١٧ م .) ، ونُشر مرة بالقطلوونية وأربعا بالفرنسية
 وواحدة بالألمانية .

وهذا الكتاب — وعنوانه الكامل « مجادلة الحمار للأب أنسيلمو دِ تورميذا »
 Disputa del asno contra fray Anselmo de Turmeda (نشر في المجلة
 الإسبانية Revue Hispanique سنة ١٩١١ مجلد ٢٤) — خرافة شائعة جداً تدور
 حول الحيوانات ، وتوضع فيها مسألة امتياز الإنسان على العجاوات موضع
 المناقشة ، ويجرى الجدل في مجلس يتولى الحمار الكلام فيه نيابة عن أصناف
 الحيوان ، ويدحض الحجج التي يدلي بها تورميذا متحدثاً باسم البشر . ويقول
 تورميذا بامتياز الإنسان على الحيوان ، مستنداً إلى جماله واتساق تركيبه وكال

(*) انظر :

حواصه البدنية وقوة ذاكرته ، وملكات البشر في الفنون والتجارة والحكومة ، وقدرته على الاستمتاع بالألعاب والموسيقى . ويؤيد قوله كذلك بما شرع الله للإنسان من شرائع ، وباغتذاء الإنسان بلحم الحيوان ، وإنشائه الطوائف الدينية وما إلى ذلك . وتندرج في ثنايا هذه الحجج أقاصيص « بوكاشية » يثبت أنسيلمو بها أن الرهبان يقترفون الخطايا السبع الكبرى .

وهذا الكتاب المشهور إن هو إلا ترجمة حرفية — في أحيان كثيرة — لفقرات من مجادلة الحيوانات لبني آدم (*) الواردة في « رسائل إخوان الصفاء » (ف ١٣٢ — ١٣٣) . وإخوان الصفاء جماعة فلسفية سياسية نشأت في البصرة في القرن العاشر للميلادى ، وجمعت بين حرية فكر المعتزلة واتجاه الشيعة نحو الجمع بين شتى الآراء والمذاهب . وقد وضعوا موسوعة حقيقية من واحد وخمسين مجلداً أو رسالة لينشروا آراءهم عن طريقها ، وهذه الرسائل تتناول شتى فروع علوم الدين والدنيا من رياضة ومنطق وطبيعة وما وراء طبيعة وتصوف وما إلى ذلك . وقد صيغت الرسائل في أسلوب وقالب أدبيين قريبين من أفهام العامة . وقد عمد إخوان الصفاء إلى التشبيهات وضرب الأمثلة لكي ييسروا على الناس فهم مصطلح العلوم ، وتتخلل كتاباتهم بين الحين والحين قصص طوال وخرافات وحكايات قصيرة . والرسالة الحادية والعشرون منها دراسة قصيرة في علم الحيوان ،

(*) هذه المجادلة واردة في فصول كثيرة من « الرسالة الثامنة من الجسائيات الطبيعية » الواردة في « رسائل إخوان الصفاء » (مطبعة خير الدين الزركلى ، المكتبة التجارية بالقاهرة ١٩٢٨) ، ج ٢ ، ص ١٦٩ وما يليها) وأولها فصل عنوانه « في ذكر تصانيف أحوال الطيور وأوقات هيجانها وسفادها وكيفية اتخاذها أعفانها وإصلاح أوكارها وكيفية بيضها ومدتها حضانتها وكيفية تربيتها لأولادها ... » وبعض الفصول التالية لا عنوان له . وقد اختار آسين پلايوس لها كلها عنوان : *Disputa o reclamación de los animales contra el hombre* ، وهو عنوان أحد تلك الفصول في الرسائل : « فصل في بيان شكاية الحيوان من جور الإنس » (الرسائل ، ج ٢ ، ص ١٨٢) . انظر :

MIGUEL ASIN PALACIOS, *El original Arabe de La disputa del asno contra fr. Anselmo Turmeda*; apud Huellas del Islam (Madrid, 1941) pp. 115 sqq.

وقد أضيف إلى هذه الرسالة ذيل طويل يقول عنه آسين : « تُعرض فيه أمام يبراست الحكيم — ملك الجن — شكاية تقدمت بها العجارات تشكو فيها استعباد البشر إياها وإذلالهم لها بحجة أنهم ممتازون عليها . وأمام هذا الاتهام تتقدم كل أمة من الناس وكل شعب وكل ملة فتدلى بما تؤيد به امتيازها على الحيوانات . وتقوم أصناف العجارات، بنقض هذه الحجج واحدة فواحدة .] ويفهم من هذا دون أى عناء ، ودون حاجة إلى مزيد من الشرح والبيان ، أن فكرة هذه الخرافة وقالبها تكادان تطابقان ما نجده في « مجادلة » تورميديا . بل إننا نتبين أن الحجج التي يدلى بها تورميديا وينقضها الحمار في سياق هذا الجدل هي بالذات نفس الحجج التي نصادفها في الأسطورة العربية مع خلاف يسير اقتضاه تمويرها لتطابق قالب الجديد » [(*) .

[وإليك بعض فقرات من الرسالة المشار إليها من رسائل إخوان الصفاء وما يقابلها من كلام تورميديا ، نقلها من الدراسة الممتعة التي قام بها آسين بلاثيوس ، وقد سبق أن ذكرناها :

جاء في « فصل بيان علة اختلاف صور الحيوانات » من رسائل إخوان الصفاء (٢٠ ، ص ١٨٠) : « فقال الإنسى لزعيم البهائم : من أين لكم اعتدال القامة واستواء البنية وتناسب الصورة ؟ قد يرى الجمل عظيم الجثة طويل الرقبة صغير الأذنين قصير الذنب ، ويزى الفيل عظيم الخلق طويل النابين واسع الأذنين صغير العينين ، ويزى البقر والجاموس طويل الذنب غليظ القرون ليس له أنياب من فوق ، ويزى الكبش عظيم القرنين كبير الإلية ليس له لحية ، والئيس طويل اللحية ليس له إلية مكشوف العورة ، ويزى الأرنب صغير الجثة كبير الأذنين . وعلى هذا المثال والقياس نجد الحيوانات والسباع والوحوش والطيور والهوام

(*) ASIN PALACIOS, op. cit. p. 124-125.

وقد استطلردت مع كلام آسين زيادة على ما أورد المؤلف استكمالاً للمعنى المقصود ، ووضعت الزيادة بين حاصرتين .

مضطربات البنية غير متناسبات الأعضاء . ويقابل ذلك ما جاء في « مجادلة »
تورميديا ، ص ٣٧٨ :

TEXTO DE TURMEDA (Prueba 1.ª, pág. 378)

L'Elephant, ainsi que pouez veoir clairement, a le corps fort grand, les aureilles grandes et larges, et les yeuls petitz. Le Chameau grand corps, long col, longues iambes, petites oreilles et la queuë courte. Les Boeufz et Thoreaux grand poil, longues queuës : et n'ont point de dents aux machoires deuant. Les Moutons grand poil, longue queuë et sans barbe. Les Connilz, combien qu'ilz soient petitz animaulx, ilz ont les aureilles plus grandes que le Chameau, et ainsi, trouuezerez plusieurs, et quasi infiniz animaulx tous variables, selon (léase sans) la iuste proportion en leurs membres.

وجاء في « الرسائل » ، (٢٠ ، ص ١٨٠) :

« .. ذهب عليك أيها الإنسي أحسنها وخفي عليك أحكمها ، أما علمت أنك لما عبت المصنوع فقد عبت الصانع ، أولا ترى وتعلم بأن هذه كلها مصنوعات الباري الحكيم ؟ .. » . وهذا يقابل في كلام تورميديا ، ص ٣٧٨ :

(Ibídem, línea 4ª infra)

“Frère Anselme, . . . ne sçachiez que qui meprise aucune oeuvre, ou en dict mal, le mesprisement, ou mal, redunde sur le maistre et autheur de l'oeuvre. Vous dictes donc mal du Createur, qui les ha créées?”

وجاء في « الرسائل » ، (٢٠ ، ص ١٨٠) :

« .. ما العلة في طول رقبة الجمل ؟ قال : ليكون مناسباً لطول قوائمه ، لينال الحشيش من الأرض ، ويستعين به على النهوض بحمله ، وليبلغ مشفره إلى سائر أطراف بدنه فيحكها . . . » . وهذا يقابل ما يقوله تورميديا في ص ٣٧٩ من « المجادلة » :

(Pág. 379, línea 8ª.)

Le Chameau pour ce qu'il a longues iambes, et fault qu'il viue des herbes de la terre, Dieu tout puissant luy a créé le col long, affin qu'il le puisse baisser iusques à terre, et qu'il puisse gratter avecq les dents les extremes parties de son corps.”

وجاء في « فصل في بيان شكايه الحيوان من جور الإنس » ، (رسائل ،
٢٠ ، ص ١٨٢) :

« قال الملك للإنسى : قد سمعت الجواب ، فهل عندك شيء غير ما ذكرت ؟
قال : نعم أيها الملك ، هنالك مسائل أخرى ومناقب غير ما ذكرت تدل
على أننا أرباب وهم عبيد لنا : فمن ذلك بيعنا وشرائنا لها ، وإطعامنا وسقيانا
لها إذا مرضت ، ونكسوها ونكفيها من الحر والبرد ، وندفع عنها السباع أن
تفترسها ، ونداويها إذا مرضت ، وننفق عليها إذا اعتلت ، ونعلمها إذا جهلت ،
ونخلعها إذا أعتيت ، ونعرض عنها إذا جنت . كل ذلك إشفاقاً عليها ورحمة
لها ونحننا عليها ، وكل هذا من أفعال الأرباب بعبيدها والموالي بخولها .. وهذا
يقابل قول تورميديا في ص ٤٠٧ من « المجادلة » :

(Prueba 10ª pág. 407.)

“Reverendissime Asne, la raison pour prouuer que nous
sommes de plus grande noblesse et dignité que vous aultres
animaulx, et que par iuste raison nous debuons estre vos
Seigneurs, est que nous vous vendons et achaptons, nous vous
donnons a manger et a boyre, et vous gardons de chault et
de froit, des Lyons, et des loups, et vous faisons de medecines
quand vous estes malades. Faisans tout cela pour la pitié et
misericorde que nous auons de vous. Et nul communement
exerce telles oeuvres de pytié, sinon les Seigneurs a leurs
subiectz et esclaves.”(*)

و « مجادلة » تورميديا هذه تعطينا صورة ناطقة عن معنى « الملكية الأدبية »
في المصور الوسطى ، وعن السهولة التي كان الناس يدركون بها شهرة أدبية في
تلك المصور ، إذ كان يكفي أن يترجموا شيئاً عن العربية ترجمة حرفية^(٢٤) .

(*) انظر الناقبة الكاملة لهذا الموضوع في بحث آسين پلانيوس المشار إليه ، ص ١٤٨

ف ١٦١ - ألف ليلة وليلة في الأدب الإسباني ، قبل القرن

الثامن عشر :

ذكرنا فيما سلف (ف ٥٩) كيف لقيت مقامات الحريري في الأندلس ذيوماً عظيماً ، وكيف انصرف إلى شرحها والتعليق عليها نفر من أهل الأدب الأندلسيين ، وقلنا كذلك باحتمال وجود علاقة بين هذه « المقامات » وقصص الصعاليك *La Novela picaresca* المعروفة في الأدب الإسباني . ونذكر الآن أن الناس تناقلوا فيما بينهم — إلى جانب المقامات التي تصور الميل الأدبي والذوق البلاغي للمثقفين من المسلمين — مجموعة أخرى من أقاصيص كتبت للعوام وغير المتعلمين ، وهي « ألف ليلة وليلة » . ويرجع عهد المسلمين بهذا الكتاب إلى النصف الأول من القرن العاشر الميلادي على الأقل ، فقد ذكره المسعودي في سروج الذهب وقال في سياق الكلام عن هيكل جيرون — وهو هيكل عظيم البنيان في مدينة دمشق ، ويقال إنه إرم ذات العماد المذكورة في القرآن — قال : « وقد تنازع الناس في هذه المدينة ، وأين هي ، ولم يصح عند كثير من الإخباريين ممن وفد على معاوية من أهل الدراية بأخبار الماضين وسير الغابرين من العرب وغيرهم من المتقدمين فيها إلا أخبر عبيد بن شربة ، وإخباره إياه عما سلف من الأيام وما كان فيها من الكوائن والأحداث وتشعب الأنساب ، وكتاب عبيد بن شربة في أيدي الناس مشهور . وقد ذكر كثير من الناس ، ممن له معرفة بأخبارهم ، أن هذه الأخبار موضوعة مزخرفة مصنوعة ، نظمتها من تقرب إلى الملوك روايتها ، وصال (*) على أهل عصره بحفظها والمذاكرة بها ، وأن سبيلها سبيل الكتب المنقولة إلينا والترجمة لنا من الفارسية والهندية والرومية ، [و] سبيل تأليفها ما ذكرنا ، مثل كتاب « هزار افسانه » وتفسير ذلك من

(*) في الأصل الطبوع حال ، والأصح ما أثبتناه نقلا عن الطبعة المصرية .

الفارسية إلى العربية « ألف خرافة » ، والخرافة بالفارسية. يقال لها « افسانه » ، والناس يسمون هذا الكتاب « ألف ليلة وليلة » وهو خبر الملك والوزير وابنته وجاريتها (*) وهما شيرازاد ودينازاد ، ومثل كتاب فرزه وسياس (**). وما فيها من أخبار ملوك الهند والوزراء ، ومثل كتاب السننداد ، وغيرها من الكتب في هذا المعنى †.

ويبدو أن هذه المجموعة من القصص وصلت إلى العرب عن طريق الفرس ، وأخذت صورتها الحالية في أواخر القرن الخامس عشر ، بل بين سنتي ١٤٧٥ و ١٥٢٥ على وجه التحديد كما يقول المستشرق الإنجليزي إدوارد وليام لين .

وقد درج الناس على القول بأن أهل الغرب لم يعرفوا قصص « ألف ليلة » إلا بعد أن ترجمها جالان Galland إلى الفرنسية في أوائل القرن الثامن عشر الميلادي ، وكان كبار الثقات في التاريخ الأدبي يأخذون بهذا الرأي ، وكانوا يقولون بأن ما نجده في الآداب الشعبية الأوروبية من حكايات ألف ليلة قبل ترجمة جالان قد وصل إلى الغرب عن طريق مجموعات أخرى من القصص الشرق تشبه ألف ليلة ، وتضم هذه القصص (مثل ذلك « كليلة ودمنة » وكتاب « سلك الكتاب » و « السننداد ») . وقرر منندذ پلابو أن قصة واحدة من هذه يمكن القول عن يقين بأنها أخذت عن « ألف ليلة » ، وهي حكاية

(*) في الطبعة المصرية : ودايتها .

(**) في الطبعة المصرية : شماس .

(†) السعودى ، مروح الذهب (طبعة باربييه در مينار ، باريس ١٩١٤) ج ٤ ص ٨٩ — ٩٠ . وقد راجعت ذلك النص على طبعة محي الدين عبد الحميد (القاهرة ١٩٣٨ ، ج ٢ ص ١٥٣ . وهذه الطبعة كثيرة الأخطاء والسطط ، وقد نقل بالنيثا ترجمة هذه الفقرة — دون أن يذكر — عن :

MENÉNDEZ Y PELAYO, *Origenes de la Novela*, vol 1, p. 93

وقبل هنا بدوره عن :

PASCUAL DE GAYANGOS, *Antología Española*, núm - 3 (1848).

الفتاة تيودور Doncella Teodor (*) . أما اليوم فلدينا البرهان التاريخي على أن إسبانيا الإسلامية عرفت بعض مجموعات هذه القصص المشهورة ، فالقرى يذكر هذه القصص باسمها الذي نعرفها به (ألف ليلة) . وعلاوة على ذلك فإننا نجد في الأدب الإسباني — قبل نهاية القرن السابع عشر — قصصاً كثيرة لاشك في أن هناك علاقة أ كيدة بينها وبين صورة من الصور التي عني عليها الزمن من صور « ألف ليلة » . قصة « الفتاة تيودور » (**) تذكرنا « بإجابات الفيلسوف سيجنندو » Respuestas del filósofo Segundo التي نجدها في « التاريخ العام » الذي صنفه الملك العالم ، ونجدها كذلك في كتاب « مرآة التاريخ » Speculum Historiale لبوفيه Vicente Beauvais ؛ ولا بد أنهما كتباً في نفس الوقت الذي كتب فيه كتاب « بونيوم » . وقد تواترت هذه القصص في سلسلة من الكتب الشعبية الرخيصة ، وغناها أخذها لوب دقيجاً Lope de Vega وبني عليها كوميديا « الفتاة تيودور » ، وكذلك أخذت كاليرون هيكل تمثيلته « إنما الحياة حلم » La vida es sueño من حكاية « النائم الذي صحا » ، وهي تحكي كيف أن ملكاً سمع شحاذاً يشكو سوء حاله ، فأمر بأن يُعطى مخدراً ، فلما أفاق منه وجد نفسه في حال من الأبهة جعلته يتصور أنه ملك ، ودام له ذلك الحال بضع ساعات ثم غلبه النوم ، فلما استيقظ وجد نفسه شحاذاً كما كان أول الأمر (٢٥) .

وقد أشار مننندز بلايو إلى أوجه الشبه العظيم بين حكاية « الحصان المسحور » وقصة القروسية المعروفة « كلياميس وكلاموندا » Clemades y Claramunda

(*) MENÉNDEZ PELAYO, op. cit. p. 95 sqq.

(**) « الفتاة تيودور » قصة ألفها لوب دقيجاً على أساس « حكاية الجارية تودد » المعروفة في ألف ليلة ، بل هو يسائر الحكاية العربية جزءاً جزءاً ؛ والاسم نفسه هو « تودد » سُحرفاً ، لأن اسم الفتاة تيودور Teodor كان يكتب أولاً هكذا Tudor ، ولو كتبنا هذه الصورة بالعربية لكانت : تودر .

وأظهر كذلك كيف أن قطعا من « حكاية قر الزمان والأميرة بدر البدر » (في الإسبانية Badura) دخلت في تأليف قصة « بئير البروفنسى ومجْلونة الرقيقة » (Pierres de Provenza y la linda Magalona) وكلاهما يدور حول حكاية الحزام المرصع بالماس الذي اختطفه صقر فيؤذن ذلك بفراق طويل بين الحبيبين) .
 بيد أن مننذ بلايو صاحب « أصول القصة » Orígenes de la novela يقرر أن هاتين القصتين قد دخلتا إسبانيا عن طريق السماع والرواية الشفوية أثناء الحروب الصليبية^(*) ، ونضيف نحن اليوم أننا وجدنا في مخطوط عربي يرجع إلى القرن السابع عشر في « معهد بلنسية دِ دون خوان بدمريد » Instituto de Valencia de Don Juan قصة اسمها « حكاية الشاب الذي كان يعيش في قرطبة » تردد « حكاية قر الزمان » على نحو يغيّر المؤلف^(*) ، ووجدنا كذلك « حكاية الشرك والطائر والصيد » في مخطوط عربي من « مجموعة مخطوطات خيل » كُتِب في الأندلس سنة ١٤٤٧ ؛ هذا و « كتاب الحيوانات » لوليو إن هو إلا صياغة لحكاية « المرأة الفضولية والديك »⁽⁺⁾ التي نجدها في مقدمة « ألف ليلة » .
 ثم إننا نجد في الكتابات المستعجمية التي خلفها اللوريسكيون حكايات مثل « قصر الذهب » و « مدينة النحاس » و « تميم الداري » مما نجده أيضاً في « ألف ليلة » وفي ذلك دليل على أن هذه الأقايع كانت متداولة — كلها أو بعضها — بين الناس في إسبانيا بعيد انقضاء عصور المسلمين .

(*) MENÉNDEZ PELAYO, op. cit. I. p. 94-95.

(*) هذه القصة موجودة في مخطوط يضم مجموعة من القصص والأساطير مع بض أوراق في علم الحديث ، وهو محفوظ في مكتبة معهد بلنسية دِ دون خوان في مدريد . والمخطوط لا يحمل عنواناً ، وهو مكتوب بخط مغربي ويتألف من ٢٣٣ ورقة حمرة بقلم الرصاص ، وأصله من تطوان . وقصة « الشاب الذي كان يعيش في قرطبة » قصة قصيرة تقع في ست صفحات من ذلك المخطوط ، أي من ص ١١٨ إلى ١٢٣ .

(+) هذه الحكاية لا عنوان لها في قصص ألف ليلة ، لأنها حكاية فرعية صغيرة . وإذا كان ولا بد أن يكون لها عنوان فهو « صاحب الزرع وامرأته والديك » .
 انظر : « ألف ليلة وليلة » طبعة صبيح ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ج ١ ، ص ٦ .

ومن الميسور — علاوة على ذلك — أن نذكر حكايات أخرى من ذلك الكتاب المشهور يتردد صداها في الأدب الإسباني : ومثال ذلك أن موضوع الماشقين المحرومين اللذين يقتلها الكد ، الذي نجده في « قصة عاشق مدينة ترويل » يتوارد مراراً في ألف ليلة . ومن ذلك أيضاً أن المعجزة الثالثة والعشرين من ديوان « المعجزات » Los Milagros للشاعر جنثالو دي برثيو Gonzalo de Berceo (*) نجدها في حكاية التاجر البغدادي الذي سرقه اللصوص في الهند ، فاستدان من صاحب له ألف مثقال ، وأشهد الله على أن يردّها بعد مهلة معينة ، ثم رحل إلى هرمز حيث رزقه الله واتسع حاله . وحل موعد أداء الدين ، واستحال على التاجر أن يكون في موضع معين كان قد وعد بأن يرد الدين فيه ، فوضع المال في قطعة من الخشب وألقى بها في اتجاه الموضع الذي فيه دائنه ، فعثر عليها هذا الأخير إذ كان في قارب على مقربة من الشاطئ . ثم أقبل التاجر المدين بعد ذلك ، وطرب وهو يرى حسن صنيع الله معه . وتقص علينا « حكاية ملك اليمن وأولاده » قصة رجل يدعي لنفسه أعمالاً لم يقم بها ، وقد اقتبست هذه الشخصية ، فنراها في صورة « الفارس الكذاب » في قصة « لاثوريت والغزال ذي الساق البيضاء » Lanzorete y el ciervo del pie blanco ، وهي قصيدة هولندية نجد صداها في الأنشودة الشعبية المعروفة :

(*) جنثالو دي برثيو شاعر إسباني عاش في النصف الثاني من القرن الثاني عشر ، وأشعاره كلها دينية تتحدث عن حيوات القديسين ومعجزات العذراء وما إلى ذلك . ومن بين أشعاره مجموعة تسمى بمجموعة المعجزات ، يقص في كل قصيدة منها معجزة لواحد من القديسين . والإشارة هنا إلى القصيدة الثالثة والعشرين من ذلك المجموع ، وعنوانها « الدين المؤدّى » La deuda pagada .

Cf. LUIS GONZALEZ SIMON, *Poesía Medieval* (Madrid, 1947) pp.

5-16

MANUEL DE MONTOLIU, *La poesía heroicopular Castellana y el Mester de la Clereria* apud *Historia General de las Literaturas españolas*, t. I (Barcelona, 1949) pp. 379-380.

Tres hijuelos había el rey كان للملك ثلاثة بنين

Tres hijuelos y no más ثلاثة بنين فحسب

وفي قصة العجوز الغيور El viejo celoso يحكى ثرفانيز كيف أن ذلك

العجوز — عندما وصل إلى كانيثارس Canizares — قصد الموضع الذى كانت

زوجه تخونه فيه ، فألقت المرأة وصاحبها فى وجهه ماء من إناء حلاق ؛ وهذا المنظر

بالذات نجده فى « حكاية القاضى و بنت التاجر » . والحيلة الأساسية التى تدور

حولها قصة الدون خوان مانويل المسماة « بيان العجائب » Retablo de las

Maravillas — التى يستعملها ثرفانيز وكنيونيس دى بنافنتى Quinones de

Benavente — نجدها فى حكاية من « ألف ليلة » ، هى « حكاية شجرة التين

المسحورة » وأصلها البعيد فى « قصة السندباد » ؛ وملخصها أن بدوية حفرت

حفرة فى خيمتها لتخفى فيها عاشقها ، ثم طلبت إلى بعلمها أن يصعد شجرة التين

ليأتها بشيء منه ، فلما علا الشجرة بهر بالحبين ، فعاد إلى الخلاء وبحث عن

الرجل فلم يجده ، إذ أن المرأة خبأته فى الحفرة . ثم ذهبت فصعدت شجرة التين

وزعمت أنها ترى زوجها مع امرأة ، فوقع فى ظن الرجل أن تلك الشجرة لا بد

أن تكون مسحورة .

وفى الأسطورة المعروفة التى أوحى إلى ثوريليا Alonso de Zorrilla

Recuerdos (١٥٠٨ — ١٥٧٠) شيئاً كثيراً فى كتابه « ذكريات بلد الوليد »

de Valladolid مشابهة ظاهرة من « حكاية تدل على عدل الله سبحانه وتعالى »

التي نجدها فى ألف ليلة ، وملخصها أن نبياً كان معتكفاً فى جبل يجرى أسفل

نهر ، فبصر بفارس يسقى حصانه ثم يمضى ناسياً كيسه ، فيقبل رجل فيأخذ

الكيس ويمضى به ، فإذا عاد الفارس ليلتمس الكيس وجد فى الموضع خطايا

فيطالبه به ويقتله ، فيقع الشك فى عدالة الله فى قلب النبي — كما نرى عند الراهب

فى كتاب ثوريليا — ولسكن الله يوحى إليه بحقيقة الأمر ، وهى أن أبا الفارس

سرق من أبي اللص نفس المبلغ ، وأن الخطاب كان قد قتل أبا الفارس .
وكذلك لا تخلو قصص ألف ليلة من بعض القصص الإسبانية [الإسلامية] الشعبي
كأسطورة « كنز طليطلة » El tesoro de Toledo التي نجدها في الأساطير التي
ذاعت في المشرق عن فتح العرب للأندلس وما وجدوه في خزائن ملوك القوط
من الكنوز ، وهي أساطير اندرجت فيما بعد في مادة مدوناتنا التاريخية (*) (٣٦) .
وقد أرجأت إلى آخر هذا الكلام « حكاية الملك الذي فقد كل شيء »
El rey que todo lo perdió ، إذ من الممكن أن يكون هيكلها قد قُبِسَ
من الأصل الذي نشأت عنه « قصة الفارس السفار » (**) Historia del caballero

Cifar (حوالي ١٣٠٠ م .) ويقول فراند مرتينيث Ferrand Martinez —
مصنف هذا الكتاب ، وكان أسبقاً ممثلاً لكنيسة مدريد في كنيسة طليطلة
الجامعة (†) — في مقدمته إن هذا الكتاب تُرجم من الكلدانية ، ومن هذه
الأخيرة إلى عجمية أهل الأندلس . وكان الناس في العصور الوسطى يعنون
بالكلدانية العربية . ثم إن الأستاذ س . ف . فاجنر C. F. Wagner أشار ،
في بحثه عن مصادر ذلك الكتاب (□) ، إلى أن الجزء التهذيبي من القصيدة —

(*) انظر : ألف ليلة ، ج ٢ ، ص ١٨٢ ، حكاية تتعلق ببعض مدائن الأندلس التي
فتحتها طارق بن زياد .

(**) ذهب جنرال بالثيا — كما سيرى القارىء فيما بعد — إلى أن الأصل العربي للفظ
Cifar هو سَفَار أي جوال . وقد أخذت برأيه وجعلت اسم هذه القصة على هذا النحو مع
إضافة أداة التعريف التي يقتضها المقام .

(†) لسكل بلد من بلاد إسبانيا الكبيرة كنيسة جامعة « كاتيدرال » ، وفي كل كنيسة
جامعة عدد من كبار الساوسة ينتخبون واحداً منهم يسمى العميد الكبير arcediano يمثل
كنيستهم في مجلس الأساقفة في طليطلة ، العاصمة الدينية لإسبانيا . وكان الأندلسيون يسمونه
في مراتهم الأرجدياقن (راجع معجم سيمونت) ، وكان Ferrand Martinez يتولى هذه
الوظيفة حوالي سنة ١٣٠٢ . ومؤلف الكتاب هنا يقطع بأن مصنف « الفارس سفر »
هو فران مرتينيث ، بينما مننذ يلايو يرجح فقط أن يكون هو المؤلف .

Cf : MENÉNDEZ PELAYO, op. cit. I, pp. 293 sqq.

(□) CHARLES PHILIP WAGNER, *The Sources of el Cavallero Cifar*
(Revue Hispanique, X, 1903).

وهو الذى يدور حول ما يقدمه الملك مِنتون Menton إلى ولديه جَرَفِين وِرْبَوَان Roboán من النصائح والأمثال الأخلاقية — منقول بحذافيره عن « كتاب زهور الفلسفة » (أى عن أصل عربى) . وفى الكتاب ، إلى جانب ذلك ، فصول — كفصل الصياد والقُبْرَة المَوْقَبَة ، و « اختبار الإخوان » — مقتبسة من كتاب « سلك الكتاب » .

وإلى جانب هذا الجزء الثانوى من القصة المُستَقى من أصول عربية ، لا نشك فى أن هيكل القصة مأخوذ من « ألف ليلة » — وأرجو أن آتى بالدلائل على ذلك فى التريب — لا من أسطورة بلاثيداس Placidas أو حكاية القديس يوستاكيو San Eustaquio . وأسماء أبطال القصة نفسها عربية ، فسِفَار Cifar مشتق من اسم عربى هو « السَفَار » ومعناه الرحلة ، والرحلة هى الطابع الغالب على ذلك الفارس . واسم زوجته جَرِيْمَا Grima لا يمكن أن يكون إلا تحريفاً لـ « كَرِيْمَة » ، وهو اسم ذائع للنساء عند المسلمين . وفَلَاك Falac لفظ عربى يدل على موضع . وتكبير جَرِيْمَا فى أن تنشئ فى مِنتون ملجأ لعابرى السبيل من أولاد الناس Fijosdalgo viandantes (*) يبدو وكأنه إشارة إلى الصوفيين الجوالين ، وهى جماعات صوفية إسلامية تشبه جماعات الرهبان المتسولين عند النصارى (٢٢) .

ف ١٦٢ — قصص الفروسية ، قصة زياد الكنانى :

كتب هذه القصة مؤلف أندلسى نجهل اسمه ، ولكننا نستطيع القطع بأنها

(*) « أولاد الناس » مصطلح معروف فى كتب التاريخ الإسلامى ابتداء من العصر الأيوبى . ويبدو أنه اختصار لعبارة مثل : أولاد الناس المحترمين أو ذوى المكانة ، ويراد به أبناء السائير أو من نسيهم نحن « أبناء البيوت » ؛ وهو يقابل فى المصطلح الإسباني لفظ hidalgo لأن أصله hijo de algo أى ابن لسان معروف أو ذى مكانة . وقد أشار إلى هذه العلاقة بين المصطلحين العربى والإسباني أميريكو كاسترو Americo Castro .

كُتبت بعد عصر المرابطين . وقد نشرها فرانسكو فرنانديز إى جنثالث Francisco Fernández y González عام ١٨٨٢ ، اعتماداً على مخطوطها في مكتبة الإسكوريال ، وعنوانه الكامل « كتاب فيه حديث زياد بن عامر الكناني ، وما جرى عليه من العجائب والغرائب بقصر اللوالب وبحيرة العجب » .
وهي قصة فروسية تضاهي قصص ألف ليلة^(*) ، ويقول فيها منندذ بلايو : « إن ميلاد زياد وتربيته ، ورياضات الفروسية التي يمارسها في شبابه ، وولعه بالأميرة الحاربة « سَعْدَة » وفوزه بها بعد غلبه إياها في معركة في الميدان ، ورحلاته وتجوّاله في شتى البقاع ، ووصوله إلى رياض الأميرة التي تسمى « قوس الحسن » ، وعجائب البحيرة المسحورة وقصر اللآلئ ، وإنقاذه الأميرات الثلاث الأسيرات ، ثم الرحلة المليئة بالمخاطرات التي تقوم بها الفرزاة الجميلة (وهي رحلة تذكّرنا بلقاء السيد ديجو لوبيث د هارو Don Diego López de Haro مع السيدة ذات ساق العنزة La dama pie de cabra في « كتاب نبلاء البرتغال » El Nobiliario (portugués) وفتحته مدينة الجوس عباد النار ، ثم اعتناقه الإسلام ، وأعماله الأخرى التي تفوق ذلك كله مبالغة وإغراقاً في الخيال ، وأخيراً عقاب الله إياه لإقدامه على الزواج بأكثر من أربع نساء مخالفاً بذلك شريعة الإسلام ، كل ذلك يكون سلسلة من الحوادث البالغة الغرابة ، التي يجد الإنسان في مطالعتها رياضة ومنتعة ، والتي تمتاز بميزات كثيرة أهمها أن مداها محصور في حدود معقولة جداً ، إذا قورنت بما نجد في قصص « عنتر » و « أماديس د جاولا » Amadis de Gaula من المبالغات المفرطة وانعدام الانسجام^(**) (٢٨) .

(*) المؤلف يأخذ هنا عن منندذ بلايو ، وعبارة هذا الأخير تقول إن قصة زياد الكناني

تضاهي « الجيّد » من قصص ألف ليلة .

Cf : MENÉNDEZ Y PELAYO, op. cit. I. p. 71.

(**) MENÉNDEZ PELAYO, op. cit. I. p. 71

ف ١٦٣ — جرائبان ابن طفيل :

من القصص العربية التي استلقت انتباه دارسي الأدب المقارن « قصة الصنم والملك وابنته » التي نجدتها في مخطوط موريسكي بمكتبة الإسكوريال ، وقد تولى نشرها الأستاذ غرسية غومس ، وقام بدراستها وتحليلها وانتهى إلى أن هذه القصة هي المصدر المشترك الذي قبس منه ابن طفيل القالب القصصي لـ « حي بن يقظان » ، وجرائبان يلتazar الفصول الأولى من « الكرويتيكون » El Criticón .

والواقع أن « قصة الصنم » تتفق مع الرواية الثانية التي يوردها ابن طفيل عن أصل حي بن يقظان ، وهي التي تقول إنه لم يتولد من الطين بل إنه ثمرة علاقة غير مشروعة بين أخت الملك وأحد رجاله ، وهي رواية لا يذكرها الناس كثيراً . ذلك أن قصة الصنم تقول إن الأميرة حُجرت عن الناس في محبس لتنجو من طالع سيء تنبأ لها به العرافون ، فاستسلمت في محبسها لابن الوزير . وكلتا الأميرتين — في « قصة الصنم » وقصة « حي » — تضع وليدها في صندوق من الخشب وتلقى به في اليم دون أن يشعر بها أحد ، فتحمله الأمواج إلى الشاطئ ويستقر على الأرض وقد تصدعت جوانبه ، ويتحرك الطفل فتعطف عليه غزالة وتبناه . وتذهب « قصة الصنم » إلى أن الصبي نما واهتدى ببصيرته إلى بدائع خلق الله . وقد استخدم ابن طفيل هذا القسم من القصة ليحشد فيه مذهبه الفلسفي ، ولكي يدلل فيه على ما بين العقيدة والأفلاطونية الحديثة من انسجام . وتلك هي الغاية التي استهدفها من تأليف قصته ، كما أشرنا إلى ذلك فيما سلف (ف ١٠٧) ؛ فهو يريدنا كيف ينتقل « حي » من مجرد تأمل المظاهر الطبيعية إلى إدراك نشوة الاتصال بالله .

وكذلك تتفق الحكايتان في حلقاتهما الأخيرة : فنجد قصة الصنم تقول إن الفيلسوف المعلم نفسه لقي أباه الذي كان قد خلع عن عرشه ونُفي عن بلاده ، وفي قصة ابن طفيل يلتقي « حي » بـ « أسال » العالم المتدين . وفي كلتا القصتين

نرى الواصل إلى الجزيرة — بعد « حى » (والمعلم نفسه) — يظن أن كلا منهما شخص آخر مثله ، فى حين أن حياً (والمعلم نفسه) يهربان ويروعان الرجلين روعاً شديداً فيعكفان على الصلاة . وفى كلتا القصتين كذلك نجد « حياً » و « المعلم نفسه » يقترب من ذلك الشخص المجهول له فى حذر ، ويتمعجب من الصوت الإنسانى أول سماعه . وفى قصة « حى بن يقظان » نجد « أسال » يلقن « حياً » اللغة ويحدثه عن الناس ، فيرغب فى معرفتهم والذهاب إليهم . وتنتهى القصة بأن يعود مع صاحبه الناسك إلى الجزيرة ، بعد أن يتسا من متابعة الناس لها فى مذهبها الدينى . أما « قصة الصنم » فتنتهى بتعرف الابن وأمه الأميرة أحدهما للآخر .

وقد كان اليسوعى بارتلوميو Bartolome Pou قد أشار فى القرن الثامن عشر إلى هذا التشابه الجلى بين قصة حى بن يقظان والفصول الأولى من الكريتيكون ، ثم قام منندو بلايو بتحليل أوجه الشبه بينهما فى المقدمة التى كتبها لترجمة بونسي بونجيس لقصة « حى » (نشرت عام ١٩٠٠) . ولكن ، لما كانت رسالة حى ابن يقظان قد نشرت للمرة الأولى مع ترجمتها اللاتينية سنة ١٦٧١ على يد بوكوك — أى بعد ظهور الجزء الأول من « الكريتيكون » بعشرين سنة — فقد ظلت مسألة انتقال الفكرة من الكتاب العربى إلى كتاب جراسيان موضع شك ، لأن التشابه بين الكتابين أظهر من أن يُمارى فيه . فلما عثر غرسية غومس على « قصة الصنم » أسفر السر بعض الشيء ، إذ أنه بين فى بحثه أنه من الممكن جداً أن يكون جراثيان قد عرف هذه القصة ، إذ كانت شائعة متواترة بين الموريسكيين ، وأيده فيما ذهب إليه أن التشابه بين « قصة الصنم » و « الكريتيكون » أقوى من تشابه هذا الأخير وقصة ابن طفيل . وإذن ، فهذان الأثران الجليلان من آثار الأدب الإسباني قد نهلا من مورد واحد : قصة واحدة تناولها كل من المؤلفين ، وصاغها فى قالب أدبى بديع ، وحملها ما أراد عرضه من الآراء الفلسفية أو الرمزية (٢٩) .

(٥) الشعر القصصى فى إسبانيا الإسلامية

ف ١٦٤ — نظريّة ريبيرا :

دلل الأستاذ ريبيرا Julián Ribera y Tarrago — فى بحث نشره عام ١٩١٥ — على أننا نجد عند أوائل مؤرخى الأندلس من المسلمين « آثاراً من شعر قصصى لا بد أنه كان مزهراً فى الأندلس خلال القرنين التاسع والعاشر » .

وقد بينا فيما سلف أن أهل الأندلس استعملوا — إلى جانب العربية — لهجة أمجبية دارجة . ولقد قال دوزى إن الشعر العربى الفصيح لم يعرف شعر الملاحم القصصى أو مجرد الشعر القصصى ، إذ الشعر العربى كله كان غنائياً أو صفيياً (*) ، فوعى ريبيرا ذلك [وانصرف عن البحث عن القصص العربى فى الشعر] ، ومضى ياتمس ما فى كتب التاريخ الأندلسى من بقايا أسطورية ذات أصول محلية ؛ إذ غلب على ظنه أن هذه العناصر الأسطورية قد اندرجت فى كتب التاريخ الإسلامى الأندلسى ، بالضبط كما حدث لأشعار الملاحم القشتالية من انتشار نظمها واندراجها فى المدونات النصرانية فى زمن متأخر . ذلك أنه ، علاوة على ما تحدثنا به المراجع من أن نفرا من الأندلسيين وصف أحداث فتح الأندلس وما تلاه من حروب فى قصائد طوال — كيحيى الغزال الذى لا يبعد أن يكون من أصل إسباني ، وتمام بن علقمة الذى تزوج ابنة رومانوس قوس أندلوسيا (جنوب إسبانيا) على أيام القوط — فإننا نجد المؤرخين المسلمين يوردون فى ثنايا أخبارهم حشداً من الأساطير ، بعضها من أصول مشرقية وبعضها الآخر إسباني أصيل ، بعضها رفيع فصيح وبعضها شعبي دارج . ولا يبعد أن هذه الأساطير كانت قد كتبت فى الأصل باللاتينية ، ومنها كذلك ما هو موضوع

(*) DOZY, *Hist. des Musulmans d'Espagne*, vol. I (Leiden, 1861) p. 13.

ابتكره الإسبان المسلمون الذين بقى عرق قوميتهم الأولى ينبض فيهم . ونكاد نقطع بأن هذه الأساطير كانت جارية على ألسن الناس بالعجمية الدارجة . ومن أمثلة تلك الأساطير ذات الطابع القومي ما يدور حول « كرم أرتلباس » القوطى الذى لجأ إليه نفر من رؤوس العرب يطلبون ضياعا ، فخط من شأنهم ثم وهبهم من أراضيه شيئا كثيرا^(*) . ومنها ما يقول إنه كان « أول قومس بالأندلس » وما يحكى كيف غضبه عبد الرحمن الداخل ضياعه ، فذهب إليه وحدته حديث الندد ، فأعجب عبد الرحمن بعقله وسميته ورد إليه جانبا من ضياعه وأقامه « قومسًا »^(**) .

[ويقول خليان ريبيرا تعليقا على هذا الخبر الأخير : « . . وهذه الحكاية تحمل كل الملامح التى تدل على أنها قد بنيت على أساس من أقصوصة شعبية منطلومة : فذلك السبب الذى تورده القصة تعليلا لقبض عبد الرحمن لضياع أرتلباس ، وقولها إن هذا السبب هو أن عبد الرحمن « نظر إلى قبته (قبة أرتلباس) يوما فى بعض غزواته معه ، وحوها من الهدايا غير قليل — إذ كانت الهدايا تتلقاه فى كل محلة من ضياعه — فنفس ذلك عليه ، فقُبضت منه » لا يمكن أن يصدر إلا عن خيال شعبي ، وكذلك تصوير أرتلباس مقبلا إلى القصر « فى هيئة رثة » ، وسياق المحاورة بين الاثنين واعتبارهما متساويين فى الجلالة ؛ هذا كله خيال شعبي خالص . بل إن الأسلوب الذرى العربى الذى صيغت فيه ليبدو شفاقا ينم عن قلبه الشعرى الأول ، فهو فياض بهذه التشبيهات والأفكار والعبارات التى يمتاز الشعر بها . ولا يمكن القول بأن هذه الرواية قد تصورها وكتبها عربى ، ولا بد أن يكون الراوية هنا إسبانيا ومسيحيا أندلسيا من أنصار أشرف القوط ، أنشأ ذلك الخبر ، ورمى من وراء إنشائه أن يفسر واقعة سياسية ذات أهمية عليا للشعب المسيحى

(*) سبق أن أوردنا هذا الخبر بنص ابن القوطية ؛ انظر ص ٢٠٥ من هذا الكتاب .

(**) سبق أن أوردنا هذا الخبر بنصه ، انظر ص ٢٠٤ من هذا الكتاب .

الأندلسي : هي إنشاء قناسة الأندلس ، إذ من الواضح أن هذا هو هدف الأقصوية » [(*)] .

يبد أن الأسطورة التي يرى ريبيرا فيها مشهدا كاملا من مشاهد القروسية ، ودره من الشعر الأندلسي القصصى فى مراحلها الأولى ، فهى هذه التى يرويها ابن القوطية ، ونسوقها بنصها نقلا عنه :

« فلنرجع إلى ما بقى من خبر موسى بن موسى : حشد [زجاله] فأتى إزراق ابن مُنَّيل ، صاحب وادى الحجارة وثرها ، وكان على طاعة موروثه للخلفاء ، وكان من أجل الناس . فلما نازله موسى بن موسى وتحرك إليه إزراق لمحاربتة ، فقال له موسى مشافهة :

— يا إزراق ، لم آت لمحاربتك ، إنما أتيت لمصاهرتك ! نشأت لى ابنة جميلة ، ليس بأندلس أجل منها ، فأردت أن لا أنكحها إلا من أجل أحداث الأندلس ، وأنت هو !

فأجابته إزراق إلى ذلك ، وعقد النكاح ، وتوجه موسى بن موسى راجعا إلى ثغره ، وبعث إليه بزوجته . فلما بلغ الخبر [الأمير] محمداً أقامه وأقدمه ، وعلم أنه سيخسر الثغر الأذنى كما خسر الثغر الأقصى . فوجه إليه أمينا يمتحن طاعته وما هو عليه ، فصرف الأمين وقال :

— سيظهر ما أنا عليه من الطاعة أو [المد] حصية . .

فلما تشفى من زوجته خرج فى نفر يسير من أتباعه ، فلم يسلك محجة ، ولا وقعت عليه عين أحد يعرفه ، حتى وقف على « باب الجنان » ، فقامت فى القصر رجة ، وتبادر الفتيان إلى الأمير محمد يبشرونه ، فأمر بإيصاله ، وعنفه على مصاهرة عدوه . فأعلمه إزراق بالأمس كيف كان ، ثم قال له :

— ما يضرك أن يكون وأئيك يظاً ابنة عدوك ؟ إن أمكننى أن أسأله

بهذه المصاهرة إلى الطاعة فعلت ، وإلا فأنا في جملة من يقاتله في طاعتك ا
 فاستندمه أياماً ، ثم حباه وكساه وصرفه . فلما بلغ ذلك موسى بن موسى
 حشد إليه وحصره بوادي الحجارة . فإن إزرأقا راقد في القصبه المطلبة على نهر
 وادي الحجارة ورأسه في حجر زوجته ، وقد انتشر أهل وادي الحجارة إلى
 كرومهم وبساتينهم ، فدفع عليهم موسى بن موسى من معه ، فألقاهم في الوادي .
 فسُرت الجارية بالولدها ، فنبهت إزرأقا وقالت له :

— انظر ذلك السبع ما يعمل ا

فقال لها :

— وكأنك تفخرين على بآبيك .. أو هو أشجع مني أو لا كرامة له ا . (*)

ثم أخذ درعه فألقاها على نفسه ، ثم خرج فتلاحق بموسى . وكان إزرأق
 من أرمى الناس برمح ، فانتزعه بزرقه لم تعد قدمه ، فأحس منها ما أحس ،
 فقوض (كذا) راجعاً فات قبل أن يبلغ تطيلة . (**)

فهذه الرواية قد سرت في الطريق العادي الذي تمر به الأساطير كلها ، فإن
 الملاحم الشعرية الأسطورية تنشأ حول حقيقة تاريخية ، ثم تُنثر بعد ذلك
 ويدرجها المؤرخون في مدوناتهم بعد أن يجردوها من كثير أو قليل من قلبها
 الشعرى الأول . وفي هذا الخبر الذي سقناه تتجلى معالم الشعر الشعبي والخيال
 الشعري الساذج : فهي تبدو في ذلك الجيش الذي يظهر على حين غرة أمام
 مدينة نام صاحبها وألقى برأسه في حجر زوجته ؛ وفي ما يزعمه قائد هذا الجيش
 من أنه رسول أتى ليعرض زبيجة على صاحب الحصن ؛ و تراها في ذلك الجواب
 الغامض الذي يرد به إزرأق على رسول الملك ، وقد تمعد القصاص أن يجعله
 غامضاً ليحفظ على الرواية طلاوتها ؛ و تراها في رحيل إزرأق سرا إلى قرطبة ؛ وفي

(*) أى : إما أن يثبت أنه أشجع مني أو لا أدع له كرامة .

(**) أبو بكر بن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، طبعة ريبيرا (مدريد ١٨٦٨)

س ٩٨ — ١٠٠ . وقد تركت النص كما أورده الناشر ، إذ ليس لدى الأصل المخطوط .

الرجة التى شملت القصر واضطراب الأمير ومبادرة الفتيان إليه يبشرونه ؛ و نراه فى تلك المحاورة التى دارت بين إزراق والأمير ، وهى محاورة يتحدث فيها إزراق فى أسلوب لا يصدر إلا عن أبسط العوام ؛ وفى سرور زوج موسى وفخرها بما فعله أبوها بزوجها ، وهو فخر يترك فى النفس أثراً بعيداً وإن لم يكن محتمل الوقوع . [فهذه كلها عناصر لا تصدر إلا عن الأهل الجاهل والجاهل والملازم]

وقد اشتج زيبيرا من هذه التماذج أنه كان لأهل الأندلس شعر قصصى شعبي ، وليكنه ضاع ضياعاً يكاد يكون تاماً لسوء الحظ ، ومن الممكن أن تكون هذه الشعر القصصى قد عاش طائفة من طائفة بين ظهري أهل الأندلس جماعة يصرف قلبه أفرادها الحب للغة هذا الشعر وموضوعاته ، ومن الممكن أن تكون هذه الجماعة قد وجدت بين الجالية الأوربية التى عاشت بين مسلمى الأندلس ، بدأ أوليين الصقالة الذين كان لهم أثر عظيم خلال فترة معينة من العصور الإسلامية من تاريخ إسبانيا . ثم يقول زيبيرا : « وما دينا قد أظهرنا اتصال أجيال القنطرة الأوروبى فى الأندلس » ، فليقل بغير ريب بعد ذلك أن تكون هذه الأجيال هى الخيط الذى يصل تطلعات الشعر القصصى الإسباني فى القرن التاسع الميلادى بمدى ظهر منه فيما بعد فى الآداب الأوربية » (٢٠) .

ف ١٦٥ — ما يمكن أنه يكون لهذا الشعر القصصى الأندلسى من أثر

فى الشعر القصصى الفرنسى والإسباني :

و بعد أن أثبت زيبيرا وجود أدب قصصى شعبي فى الأندلس فى القرن التاسع الميلادى ، تضى يتساءل : هل من الممكن أن يكون لهذا الأدب أثر فى الشعر القصصى الإسباني والفرنسى الذى ظهر بعد ذلك ؟ ثم أقبل يقارن أسطورة إزراق بالشعر القصصى الإسباني والفرنسى ، فوجد أن الشعر القصصى الأندلسى البدائي لا يبدو لنا مجرد محاكاة جامدة لأدب أجنبي ، فهو يروى أخباراً

كانت ذكرياتها غضة مائلة فى الأخلاق ، إذا ذكرنا أن المدة بين وقوع الحادث الذى تدور الأسطورة حوله وبين اندراجها فى مدونة تاريخية لا تكاد تعدو قرناً من الزمان تنشأ خلاله الأسطورة التى تندرج فى ثنايا المدونة ، وتلك الأساطير الأندلسية تتفق فى هذا مع الأساطير الإسبانية ، ومن بعض النواحي مع الأساطير الفرنسية ، اللتين ظهرتا فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر . وتتفق تلك الأساطير الأندلسية كذلك مع الإسبانية فى أنها نشأت فى النواحي والأعصر التى حفلت بالصراع والحروب ، وتتفق مع الإسبانية والفرنسية فى أن شخصياتها تاريخية .

ثم إن هناك فكرة سياسية تتخلل هذا القصص الأندلسى ، فكرة نشأت عن شعور من السخط العام على استبداد السادة الإقطاعيين ، وهو يرينا كيف أنه فى غمار القوضى والاضطراب اللذين شملا تلك العصور يعقد النصر الباهر بلواء المخلصين للسلطان المركزى ، وهو — أى القصص الأندلسى — يتفق فى هذا مع الشعر القصصى الإسبانى والفرنسى . ثم إن الوقائع البارزة فى القصة ذات طابع فرُوسِيّ : مبارزات بين أبطال ، بالضبط كما نرى فى القصصين الإسبانى والفرنسى .

وإذا تدخلت المرأة فى سيرالحوادث فإنما لتلهب حمية الفرسان ولتستثير النخوة فى نفوسهم ، أما وشائج القرابة وعواطف الحب فتجىء فى الموضع الثانى . وإذا تحدث هذا القصص الأندلسى عن الحب كان حديثه ساذجاً بعيداً عن تزويقات أهل الظرف أو أهل الخيال والماطفة الجموح ؛ وهو يتفق فى هذا مع القصص الإسبانى وفيه مشابهة من الشعر القصصى الفرنسى الذى سبق إلى الظهور . ومدار الحوادث فى هذا القصص عمل حربى عادة ، والقصص يعمد إلى رواية الوقائع مباشرة فى أسلوب طبيعى صادق ودون مقدمات ، بل يبالغ من صدقه وسذاجته أن يحتفظ بالطابع الحلى . ويحرص القصص على رواية أخبار الرُسل (*) وما يحملون من رسالات بضمير المتكلم ، كما هو الحال فى فقرات المحاورات ، وهو يتفق فى هذا

(*) لا يقصد بالرسل هنا الأنباء ، بل حملة الرسائل والسفراء وما إلى ذلك .

مع القصص الإسبانى تماما ، ومع الفرنسى من بعض الوجوه .

وخلاصة هذا كله أن قصص البطولة الأندلسى إنما هو قصص إنسانى (*) ، لا يلجأ إلى الخوارق أو العناصر غير الطبيعية كالشياطين والجن ، وهو لا يتكلف التعبيرات المعنوية المجردة ، ولا يتصنع التفتيح لسكى يزوق قصته ويشوق القارئ إلى تعقبها بذلك كله . وهو يختار حادثا ذا ممانٍ وسرامٍ سامية ، ثم يصوغ حديثه عنه فى تسلسل طبيعى إنسانى ؛ وهو يتفق فى هذا أيضاً مع القصصين الإسبانى والفرنسى القديم .

وإلى جانب هذه الخصائص العامة ، هناك علامات تدل على وجود هذا الشعر القصصى الأندلسى ، وهى علامات محدودة جدية جداً بأن يشار إليها . « فكثيراً ما ينسب الشعر القصصى الفرنسى إلى شخصية فرنسية أعمالاً قامت بها شخصية أخرى . ومن ذلك أن ينسب إلى شرلمان — وهو الشخصية الرئيسية لشعر الملاحم الفرنسى — القيام بمغامرات ليس من الممكن أن يكون قد قام بها ، ولا بد أنها كانت تُروى منسوبة إلى غيره ، وتعنينا هنا فى مطلبنا هذا مغامرة منها بالذات ، لأن لها مغزى خاصاً هنا : فهى تحكى أن شرلمان خرج من بلاده منفياً ، وقصد بلاط ملك مسلم فى إسبانيا ، وعاش فى هذا البلاط فارساً مجهولاً ، ولكنه بلغ من التقدم والظهور ما جعله آخر الأمر يتزوج الأميرة ابنة هذا الملك .

« وهذه الحلقة من مغامرات شرلمان — كما يرويها القصص الفرنسى — تحمل كل المعالم التى تدل على أنها مقتبسة من حكاية أخرى ألفها رجل فرنسى على علم بما كان يجرى فى إسبانيا من الأمور . إذ الواقع أنه كثيراً ما كان يحدث

(*) « الإنسان » هنا نسبة إلى الإنسان ، لا إلى الإنسانية ، وربما جاز استبداله بلفظ

« بشرى » .

فى إسبانيا المسلمة أن يصل الحاربون المقبولون من أوروبا إلى مراكز اجتماعية ممتازة كما رأينا قبلا^(*).

« ومن بين هذه المعالم اثنان استلفتا من انتباهى أكثر مما استلفتت غيرها : أولهما أن الملك المسلم الذى يتوارد ذكره أكثر من غيره فى الملاحم الفرنسية — كأنشودة « رولان » مثلا — هو ملك سرقسطة بالذات ، أى ذلك الملك الذى يرد ذكره فى حديث إزراق صاحب وادى الحجارة .

« والثانى أن اللقب الذى يطلق فى الروايات العربية على إزراق صاحب وادى الحجارة — ذلك البطل المسلم الجرىء الشهم ، وهو ، كما يورده ابن القوطية هكذا : مُنت Mont (ومُنْتيل Montell فى صورة التصغير) — يُطلق فى الشعر القصصى الفرنسى على فارس عربى شجاع حارب إلى جانب شرلمان فى إسبانيا ، وهو أومنت Omont و Eaumot و Almonte .

[« وخلاصة هذا : أننا نجد فى الشعر القصصى شخصيتين تاريخيتين يذكرهما

القصص الأندلسى القديم .

« وذلك التوافق كله أكثر من أن نستطيع نسبته إلى مجرد المصادفة ، وخاصة إذا ذكرنا أنه لا يقع فى ظواهر ثانوية بل فى ظواهر أصيلة . ذلك أن مقدار الآثار الشرقية فى الأدب الفرنسى كثير لا يمكن الغض من شأنه ، ولقد اعترف جانروا بذلك فقال : « إن القصص الأصلية التى بنيت عليها الأَقاصيص المعروفة بالفابليو (fabliaux = خرافات) يكاد يكون معظمها من أصل مشرقى^(*) .

(*) الإشارة هنا إلى ما ذكره المؤلف فيما تقدم من كلامه عن الصقالة وما كانوا يهتلون إليه من المسكاة فى المجتمع .

Cf : JULIAN RIBERA, *Disertaciones y Opusculos*. I, pp. 133 sqq.

(†) JEANROY, *Les origines de la poésie lyrique en France au moyen-âge*. p. 11.

« أجل ، والأمر الذى سر دون أن ينبه عليه أحد هو أن هذه التأثيرات كلها أقبلت من إسبانيا ؛ والسبب فى عدم التنبيه إلى ذلك هو الرغبة فى نسبة هذه التأثيرات إلى علاقات مباشرة ، أو إلى عوامل أخف على النفس ، كالعلاقات بالإمبراطورية البيزنطية (*) . فكثير من القصص الشرقية أقبلت إلى إسبانيا ، قبل وصولها إلى فرنسا ، ومن إسبانيا انتقلت إلى غيرها من الأم حاملة طواع ظاهرة لا يشك فيها تنبؤ عن مرورها بشبه الجزيرة » [(٣٠)] .

ويضيف ريبيرا أن هناك نقرأ من نقاد الأدب الفرنسيين — مثل بواسوناد فى كتابه « عود على ملحمة رولان » BOISSONADE : *De nouveau sur la Chanson de Roland* — يذهبون إلى أن هذه الملحمة العظيمة أنشئت فى النصف الثانى من القرن الثانى عشر الميلادى ، ويرون أنها صدى لاشتراك نفر من الفرنسيين فى الحروب بين المسلمين والنصارى فى ناحية أرغون (٣١) .

وكان منندذ بيدال قد قال قبل أن تظهر بحوث ريبيرا : « إنه لمن العبث أن نلتبس فى أشعار الملاحم الإسبانية الأولى مؤثرات عربية » ، وذهب إلى أن كل ما نجده هو بعض ألفاظ عربية (مثل *algara* = الغارة و *adalides* = الدليل ، وما إلى ذلك) ، وبعض التقاليد الإسلامية كأداء خمس الغنيمة للملك اتباعاً للشرع الإسلامى ، ولا شئ بعد ذلك . وقال : « إننا لا نجد آثاراً عربية

(*) يشير ريبيرا هنا إلى تعالى الفرنسيين على الإسبان فى العصر الماضى ، وأفتهم من أن يعترفوا بأن لإسبانيا عليهم أى فضل أو سبق . وقد كان أعلام الباحثين فى الأدب الفرنسى الوسيط فى القرن الماضى ، من أمثال جاستون بارى وچانروا وبواسوناد ، لا يقرون أن لإسبانيا شعراً قصصياً على الإطلاق . وقد كان من الحواجز التى دفنته إلى هذا البحث الذى نحن بصدده الرغبة فى الانتصاف لبلده من دعاوى الفرنسيين . وهو هنا يقول إن الفرنسيين يفضلون أن يقولوا إن الآثار الشرقية فى أدهم قد أتتهم عن طريق الاتصال بالدولة البيزنطية ، على أن يعترفوا بأنها أتتهم عن طريق إسبانيا .

(٣٠) لم يورد المؤلف هذه الفقرة التى أوردتها بين حاصرتين ، ولكن رأى ضرورة إيرادها استكمالاً للكلام وتيسيراً على القارىء العربى ، حتى يلم بأطراف هذه النظرية الجليلة التى قال بها حليمان ريبيرا .

ظاهرة إلا فى الأغاني الدارجة المسماة « الأغاني الموريسكية » ، وأنشيد الحدود
 Romances moriscos y fronterizos ؛ فهناك نلقى فى الشعر القصصى
 القشتالى آثاراً يَبِينَةُ لذوق المسلمين الأندلسيين فى العصر النصرى وعاداتهم .

نعم إننا لا نستطيع تجاهل الأثر الإسلامى . وإذا كنا نسلم دون نزاع بأن
 الجرمان كانت لهم أغان ذاعت بين القوط الغربيين ، فينبغى أن نسلم — من باب
 أولى — بوجود شعر قصصى عند الأندلسيين المسلمين . نعم إن خصائص المجتمع
 الذى يصفه الشعر القصصى الإسبانى تتفق مع ما يذكره « تاكيكوس » من
 أوصاف المجتمع الجرمانى القديم ، ولكن هذا الاتفاق لا يمنع من القول بأن
 الكثير من هذه الخصائص عربى فى نفس الوقت ، [إذ أن المجتمع الجرمانى
 البدائى يشبه المجتمع العربى البدوى ، وهما يشتركان معاً فى خصائص كثيرة]
 كالكرم ، وتنظيم الجيوش (نظام الولاء العربى)^(*) ، وروح الثأر ، وأداء دية
 القتل ، وشعور الشرف . . ويضاف إلى ذلك أن السيد القمبيطور قضى ردحا
 طويلاً من عمره فى خدمة ملوك الطوائف المسلمين ، عاملاً فى جيوشهم ، (بل إن
 اسمه تحريف من اللفظ العربى « سَيِّدى ») . ونتيجة لهذا أننا نراه فى « ملحمة
 السيد » يسلك مسلكاً حسناً مع من غلبه من المسلمين ، كما يقرر الأسناذ بيدال
 نفسه . وإذا ذكرنا إلى جانب ذلك أن « الپويما » (أى ملحمة السيد) ذات
 طابع ثغرى (ونحن نكتفى هنا بالإشارة إلى أقدم ما وصلنا من صور هذه
 الملحمة) ، إذا ذكرنا ذلك كله لم ندهش لما نجد فى الشعر الإسبانى من آثار

(*) يشير المؤلف هنا إلى ما قرره كثير من المؤرخين من وجوه التشابه بين نظم الحرب
 عند القبائل الجرمانية وجيوش العرب فى الجاهلية وصدر الإسلام ، فقد كانت جيوش الجرمان
 تتكون من فريق تسمى السكوميتاتوس comitatus ، أى الرُدْفَات ومفرداها الرُدْفَة وهى الجماعة
 من المحاربين تلتف حول زعيم ظاهر ، ويسمى كل فرد من أفرادها كوميس comes نى
 رديف ، وكانت تربط أفراد الردفة بالزعيم صلة ولاء شخصى قريبه الشبه من ولاء العربى ، وهى
 التى يشير إليها المؤلف هنا .

إسلامية واضحة . وهل يعقل أن لا يكون للمسلمين أثر في هذا الشعر حتى القرن الخامس ، مع ما نعرفه من وجود فنّي الشعر الإسباني المعروفين بالثغرى fronterizos والمورييسكي moriscos نتيجة لوجود الثغور والمسلمين إلى جوار الإسبان طوال قرون كثيرة قبل ذلك ؟

ومهما نذهب في بحث هذا الموضوع ، فإننا نجد أنفسنا آخر الأمر أمام أصليين اثنين يحتمل أن يكون الشعر القصصي الإسباني قد صيغ على مثال أحدهما : هما الجرمانى والأندلسى . فأما عن الجرمانى فهو بعيد سميق ، حمله القوط الغربيون إلى إسبانيا بعد أن تغيرت خصائصه بسبب اتصال الجرمان بالإمبراطورية الرومانية قرونا طويلة . وأما الأندلسى الإسلامى فأقرب صلة ، وإن كنا لا نجد حلقة الوصل بينه وبين الشعر القصصي الإسباني . نعم إنه إسلامى الطابع ، ولكنه إسبانى الروح . لأى هذين الأصلين نميل ؟^(٢٢) .

(و) الشعر

ف ١٦٦ — الزجل في الأدب الأوروبى :

يعتبر الفن الشعرى الذى ابتكره مقدم بن معافى القبرى ، والذى نجد أظهر نماذجه في ديوان ابن قزمان (ف ٥١) « المفتاح العجيب الذى يكشف لنا عن سر تكوين القوالب التى صُبّت فيها الطرز الشعرية التى ظهرت في العالم المتحضر أثناء العصر الوسيط » ، كما قال خيلان ريبيرا وأيده بالبراهين . وقد تجلّت الدراسات التى قام بها ذلك الأستاذ حول موسيقى « الكنتيجات » (Las Cantigas أى الأغاني) ودواوين التروبادور (Troubadores أى المغنين الجوالين) والتروفير (Troveros فريق آخر من المغنين المتجولين) والميينيز ينجّر

(die Minnesaenger = منشدو المِنِّ Minne وهي مقطعات الأغاني القصيرة)
 عن إثبات انتقال محور الشعر الأندلسي إلى جانب الموسيقى العربية إلى أوروبا
 « عن نفس الطريق الذي انتقل به الكثير من علوم القدماء وفنونهم — لا ندري
 كيف — من بلاد الإغريق إلى روما ، ومن روما إلى بيزنطة ، ومن هذه إلى
 فارس وبنغداد والأندلس ، ومن ثم إلى بقية أوروبا » .

هذا ولم تنتقل إلى أوروبا أنغام الموسيقى وحدها ، بل صاحبها الأغنيات
 التي تُغنى بها ، وكان من الطبيعي أن يكون لها آثار في الطرز الشعرية التي
 وجدت هناك .

ف ١٦٧ — (١) فرنسا :

أضأت دراسة ديوان ابن قزمان التي قام بها ريبيرا — شيخ المستشرقين
 الإسبان — جوانب مشكلة كبرى ، هي مشكلة أصول الشعر الأوروبي . فقد
 كان الناس يحسبون أن طراز الشعر البروفنسي قديم جداً ، وفي ذلك يقول مننذ
 بلايو : « إن لغة « أوك » La Langue d'Oc قد فرضت طريقها في النظم ،
 وأوزانها وقوالها الشعرية ، وخصائص أساليبها الأدبية ، على فنون الشعر
 الناشئة : الإيطالية والجليقية البرتغالية la galaico-portuguesa والقطلونية
 والإسبانية ، بل على مدرسة « المينسجر » الألمانية » . ويقول في موضع آخر :
 « إن جميع مذاهب الشعر الرفيع المهذب الحواشي ، التي ظهرت قبل القرن
 السادس عشر ، إنما نشأت — مباشرة أو غير مباشرة — عن ذلك الإزهار العابر
 القصير المدى الذي أزهره الشعر الألفجندوكي » (*) . بيد أن هذه السيادة —
 التي أدركها الشعر البروفنسي خلال النصف الثاني من العصور الوسطى ، من غير

(*) Cf : MENÉNDEZ Y PELAYO, *Antología de poe a liricos Castellanos*, tomo I (Madrid, 1944) pp. 103-104.

شك — لا يمكن أن تشمل الطراز الشعري الأندلسي (يقصد الزجل) ، إذ أن هذا الأخير أقدم من ذلك الشعر البروفنسي بزمن طويل .

والواقع أن أوائل التروبادور البروفنسيين استخدموا أقدم القوالب الزجلية الأندلسية ، وتغنوا بفرامياتهم الجارحة للحشمة بنفس الحرية وعدم التحرج اللذين نراها عند ابن قزمان . وفي العصر الذي عاش فيه الشاعر ميركامون Cercamon — أى قبل عصر الكونت دي پواتيه Le Comte de Poitiers — جد على الشعر البروفنسي « تقليد جديد » لم تبق لفا منه نماذج ، ولكن الأغلب أنه هو نفسه الذى سار عليه من أتوا بعده مباشرة . ومن بين المنظومات التى تصح نسبتها إلى « كونت پواتيه » قطعة تاريخها ١١٠١ نظمت على النحو التالى :

Pois de chantar m'es pres talenz
farai un vers don sui dolenz
non serai mais obedienz
de Peitau ni de Lemozi

إن لى شوقاً إلى الغناء
ولهذا سأنظم أنشودة أتغنى فيها بآلامى
ولكننى لن أكون عاشقاً
فى پواتو أو فى ليموزين (*)

والتغيير الذى أدخله « الكونت دي پواتيه » على الطريقة الأندلسية يقلخص فى وضع « المخرجة » فى نهاية الغصن لا فى أوله ، واعتباره إياها « قُفْلاً » أو نهاية finida ، وجعله قافية أول بيت من هذه « القفلة » يرد فى القطعة ، على نفس قافية البيت الذى قبل البيت السابق عليها . خذ مثلاً :

(*) ترجت هذه المقطوعة بحسب ما أورده مننذ بيدال فى المرجع الذى سأذكره هنا . ولا بد أن أشير إلى أن مننذ بيدال يجعل السطر الثالث من هذه القطعة هكذا :

non serai mais obidienz

Cf : R. MENÉNDEZ PIDAL, *Poesia arabe y poesia europea* (coll. Austral, 3 a ed. Buenos Aires, 1946) p. 28.

Toz mos amics prec a la mort
que vengan tut e m'onren fort,
qu' eu ai avut joi e deport
loing e pres et en mon aizi.

Aissi guerpisc joi e deport
e vair e gris e sembeli.

إنني أرجو كل أصدقائي أنهم عند موتي
يقبلون جميعاً ويمتثلون في تكريمي
لأنني كنت دائماً محتفظاً بهبطي ومرحى
سواء أ كنت قريباً أم بعيداً أم في بيتي

وهكذا أترك السرور والمرح
وأترك شارات الفروسية والفرو الأسمر والأبيض (*)

وعلة هذا التعديل الذي أدخله الكونت جيمّ دِ بيتيو (*) واضحة تماماً ، إذا
ذكرنا أنه أخذ قالب الشعر الذي كان يتغنى به الجمهور جماعةً واستعمله في نظم
مقفيّ يُنشد للسادّة والسروات ، وهو شعر لا يحتاج إلى « خرجة » ، ومن هنا
جعلها قفلاً أو نهاية finida . وشعر جيمّ دِ بيتيو هذا لا ينحرف عن الطريقة
الأندلسية إلا قليلاً ، ولا سيما عن الطريقة المحسّنة التي اتبها الشاحون . وأما
من أنى بعد ذلك من الشعراء الپروفنسيين فقد زاد انحرافهم عن الطريقة

(*) أسقط المؤلف هذه القطعة من الطبعة الثانية من الكتاب رغبة في الاختصار ،
فرايت أن آتى بها إذ أنها توضح الفقرة السابقة عليها . وقد راجعت نصها في المرجع الذي
سأذكره واخترت الصورة الثانية ، وأخذت من هذا الكتاب الأخير ترجمة القطعة . انظر :

MARTIN DE RIQUER, *La Lírica de Las Trovadores. Antología comentada*, tomo I (Barcelona, 1948) p. 32.

(*) هكذا كان يكتب اسم هذا الأمير الشاعر في عصره Guilhem de Peitieu (١٠٧١ — ١١٢٧) ، وكان كنداً لپواتيه ودوقاً على أ كويتانيا ؛ واسمه يكتب الآن
بموجب صورة هذا الاسم في الفرنسية الحالية Guillaume وفي الإسبانية Guillermo .

الأندلسية ، وظهرت مخالفتهم لها ظهوراً واضحاً ، حتى وصلوا إلى ما نعرفه عندهم من تشابك القوافي على نحو متعاكس متكلف لا تستلزمه ضرورات موسيقى الشعر أو إيقاعه ، ولكنه نأج عن نسيانهم طريقة الزجل ؛ وقد أدى هذا النسيان إلى أن أصبح اعتسافهم هذا ابتكاراً جاء عفواً . ورغم ذلك كله فإننا نجد قوالب زجلية صرفة في شعر موان د مونتودون (Moine de Montaudon = راهب مونتودون) ، وج . رينولد G. Raynold ، وج . ماجريت G. Magret ؛ ومجد كذلك في سداسيات مَرَكَبُرو Marcabru قوالب تشبه ما نعرفه عند كونت پواتيه .

وقد ظل نظام هذا الطراز الشعري الأندلسي ذي الأغصان (أى الزجل) باقياً في صناعة الألحان الموسيقية خلال العصور الوسطى ، ولا سيما في هذا النوع من الألحان المعروف بالرؤندو (rondó) وهي ترجمة للفظ العربي «نُوبَة» أى نظام تعاقب فريق من العازفين على عزف قطعة موسيقية) ، فيعزف عازف لحناً موسيقياً يقابل الخرجة نرمز له بالحرفين ا ب (ab) ، ثم يلي ذلك غصن موسيقى من ثلاثة ألحان متشابهة ، يليها لحن في نفس نغم الخرجة ، فيصبح وزن الغصن ا ا ا ب aaab ، ويحىء بعد ذلك لحن في وزن الخرجة الأولى ا ب (ab) . وهناك أغان فرنسية شعبية مثل أغنيتي « الشقية في زواجها » (La Mau Marieé) ووردة دنكرك La Reuse de Dunkerk مصوغة في قالب الزجل ، بل إن هناك مقطعات فرنسية قصيرة شاعت بين الناس في القرن السابع عشر سارت كلها على طريقة عرفت بالرؤنديه le rondet أى النوبة ، وهي تذكرنا ببحور الزجل الأندلسي :

“Main se leva bele Aeliz ;
dormez, jalous, je vos en pri;
biau se para, mieus se vesti
desoz le raim.
Mignotement la voi venir
cele que j'aim.”

إن أليس الجميلة تصحو في الصباح
فناموا أيها الحساد ، أرجوكم
وهي تزين زينة حسنة ، وتلبس ملابس أحسن
تحت أغصان الكرم
وإنني لأراها مقبلة في رقة
تلك التي أحبها ...

ف ١٦٨ - (ب) إنجلترا :

وكان الزجل الأندلسي شائعاً في إنجلترا كذلك ، إذ يبدو أنه كان القالب الشعري ذا الأغصان الذي صُبت فيه بعض الأغاني الشعبية القديمة التي كانت تقال في العذراء وبعض أناشيد عيد الميلاد ، كتلك التي نجدها في شعر دوميريل Du Meril ، وهي أزجال أغصانها في اللغة الإنجليزية الدارجة والبيت الرابع من كل غصن باللاتينية . بل لازالت قوالب الأزجال باقية إلى الآن في الأغاني الشعبية الإيرلندية والأسكتلندية (وخاصة في هذه الأخيرة) ، حيث نجد رباعيات من الطراز الذي كان يصوغه مسلعو الأندلس ، ونظامها : اااب (aaab) .

ف ١٦٩ (ج) ألمانيا :

تضم أغاني المينيزنجر Minnesaenger قطعاً نجد نظام القوافي فيها شبيهاً بنظامها في الزجل الأندلسي . ومثال ذلك القطعة التالية للمنشد هرمان دير دامن :
Herman der Damen

Got hat wonders vil gewundert
Manich tusent manich hundert
Eynez han ich uz gesundert
Das ist wunderbere.

إن لله عجائب مُعجَبَ الناس بها كثيراً
وهي آلاف كثيرة وِسْثات كثيرة
وقد تبينت أنا واحدة منها
وهذا أمر عجيب . .

ف ١٧٠ — (٥) إيطاليا :

تأثرت إيطاليا بالثقافة العربية تأثراً بعيداً ، مثلها في ذلك مثل إسبانيا ،
أذ أن المسلمين احتلوا جزءاً من أراضيها ردحا من الزمن . وقد بلغ اتصال صقلية
بالثقافة الإسلامية أوجه في عصور ملوك النورمانيين (رُجَار الثاني وغُلِيُوم
الطيب) ، وملوك دولة الموهنشتاوفن (فردريك الثاني ملك صقلية وإمبراطور
ألمانيا وابنه مانفرد) ؛ وقد أثبت ذلك أماري Michele Amari وشاك
Adolf Frederik von Schack وغيرها .

وأما فيما يتصل بما كان للشعر الغنائي الأندلسي من التأثير في الشعر الإيطالي
فيمكننا أن نذكر على وجه التحديد — مهتدين بالدراسة التي قام بها الأستاذ ملياس
فاليكروسا — أننا نجد في الشعر الإيطالي موضوعات مما يختص به الشعر الشعبي
الأندلسي ، مثل موضوعي « الشقية في زواجها » أو الفَجْرِيَّات (la albada)
وما يشبهها ، وكذلك القالب الشعري للطراز المسمى بالكونتراستو *contrasto*
ومعناه الخلصام — وقد أثبت الأستاذ بيتزي Pizzi أنه يرجع إلى أصول فارسية ،
وكان يصاغ في قالب الزجل الأندلسي — ومن أمثلة ذلك قصائد الكونتراستو
التي نظمها شيولودال كامو *Ciullo dal Camo* .

أما ذلك الضرب من الشعر الديني الإيطالي الوسيط المسمى باللاودس
— (laudes = مدائح) وكان ينظم في اللهجة الدارجة (بخلاف الترتيلات

اللاتينية التي لم يكن الجمهور يفهمها) — فإننا نجد أحسن نماذجه في شعر
 جاكابون دي تودي Jacopone di Todi ؛ وقالب « مدائح » هو الزجل
 الأندلسي ، صافيا أحيانا ومحورا بعض التحوير أحيانا أخرى .

*Dolce amor di povertade
 quanto ti degiamo amare
 Povertade poverella
 umildade é tua sorella
 ben ti basta la scodella
 e al bere e al mangiare*

أيها الحب الرقيق للفقير
 كم ينبغي أن نحبك
 أيها الفقير المسكين
 إن الذلة أختك
 إنه ليكفيك صحن صغير
 للشراب والطعام

وكذلك تبدو أوزان الأزجال والموشحات في الطراز الشعري الإيطالي المعروف
 بالبالاتا la ballata ، أي « المرقيصات » ؛ وهو يمثل الشعر في أحسن صورته ،
 وقد بلغ أقصى درجات تطوره ونموه عند لورنزو دي مديتشي Lorenzo di Medicis
 والپوايزيانو El Poliziano ، وظلت طريقته مستعملة ، فنظمت فيها الأغاني
 الكرنفالية cantos carnavalescos ، وهو طراز شعبي عني بنظمه الأدباء ،
 وإن كانت موضوعاته مما لا يوجه إلا إلى العوام ، مثله في ذلك مثل أزجال
 ابن قزمان . ويظهر طراز الزجل كذلك في « المدائح المقدسة » Laudes sacras
 التي تشبه المنظومات الإسبانية المعروفة باسم « المديح الإلهي » a lo divino ؛
 وكانت تستعمل في تلحين تلك المدائح المقدسة أنغام غير كنائسية ، كما كان الحال

مع « المديح الإلهي » . وكانت أوزان الأزجال تستخدم كذلك في بعض الأغاني الشعبية .

وإليك نموذجاً من شعر لورنزو دي مديتشي :

*Porgete orecchi al canto d'romiti,
oggi per vostro ben dell' ermo usciti.
Moi fummo al mondo giovani galanti,
ricchi de possessione e di contanti,
ma sottoposti agli amorosi pianti
sempre d'amore sbeffati e scherniti*

أرهقوا أسماعكم إلى غناء النساك
الذي ينطلق اليوم لمتعتكم
لقد كنا في عالم الشباب الظرفاء
وكنا أغنياء بما نملك وبالمال
ولكن ، لما كنا تحت رحمة حسرات الهوى
فقد كنا دائماً موضع سخرية الحب وغدره .. (٣٣)

ف ١٧١ — (هـ) البرتغال :

توجد في الأغاني الجليقية — البرتغالية منظومات من طراز الزجل ، شأنها في ذلك شأن الكنتيجات (انظر الفقرة التالية) ، وإن كنا نلاحظ في خرجات تلك المنظومات الزجلية البرتغالية بعض الاختلاف عن المعروف في خرجات الأزجال ؛ ومثال ذلك الأغنية التالية ، وهي من الطراز المعروف « بأغنية الصديق »
La cantiga d'amigo من شعر ديونيس :

Amigo, pois vos non vi
nunca folguei non dormi,
mais ora ja, des aqui

que vos vejo, folgarei
e veerei prazer de mi,
pois vejo quanto ben ei.

يا صديقي ، لأنني لم أراك
لم تطرب نفسي ولم تذق عيني النوم
أما الساعة ... وحيث أنني من الآن فصاعدا
أراك ، فإنني سأطرب
وسأجد في نفسي سرورا
عندما أرى أيّ خير بين يدي

ومن أمثله كذلك أغنية الأفيلايبراس Las Avelaneiras وهي أغنية
تقليدية مرقصة للشاعر جوان زورو Juan Zorro :

Bailemos agora, por Deus, ay velidas,
so aquestas avelaneiras frolidas,
e quem for velida como nos, velidas,
se amigo amar
so aquestas avelaneiras granadas
verrá bailar.

فانرقص الساعة ، بالله عليكم أيتها الأنسات
تحت هذه الأشجار المزهرة
وإن من كن أنسات مثلنا أيتها الفتيات
لني حاجة إلى صديق حبيب
وتحت هذه الأشجار الزاهرات
يرقصن معي . .

ف ١٧٢ — (و) إسبانيا : كنجيات (*) ألفونسو العاشر Las Cantigas

: de Alfonso X

يكشف لنا تركيب الأزجال عن أوزان كثير من المنظومات التي كان مؤرخو الأدب الإسباني في حيرة من أمرها . ومثال ذلك « كنجيات » (= أغاني) ألفونسو العاشر ، فقد أظهر ريبيرا أن معظمها من طراز الأزجال ، وإن كانت الخرجة تُنظم في بعضها على قافية سابقة مثل :

“Omildades con pobreza quer a Virgen coroadá,
mas d'orgullo con riqueza e ela muy despagada
E desta razon vos dierei un miragle muy fremoso
que mostrou Santa Maria Madre do Rey gregorioso
a un creyigo que era de a servir deseioso
e por en gran maravilla le foi per ela mostrada.

إن السيدة العذراء المتوجة لتفضل التواضع مع الفقر
على الثرور والغنى ، لأنها تحقرهما احتقاراً شديداً
ولهذا السبب فإنني سأقص عليكم معجزة بالغة الجمال
صنعتها القديسة مارية أم الرب المجيد
لرجل دين كان راغباً في خدمتها
وقد صنعت العذراء هذه المعجزة لتريه إياها

(*) كنجية Cantiga معناه أغنية ، وهو يطلق بصيغة الجمع Cantigas بصورة خاصة على مجموعة من ٤٢٠ قطعة شعرية في مدح العذراء تنسب إلى ألفونسو العاشر ، الملك العالم . واللفظ يستعمل اصطلاحاً في هذا المقام ، ولهذا رأيت أن أرسمه كما هو بالحروف العربية ، مع إضافة هذا التوضيح .

هذا ، ونحو خمس أغان فقط من هذا الكتاب منظومة على الطريقة الجليقية الشعبية (المشتقة بدورها من الزجل) ، وتوسع أخرى مرسلة على الطريقة البروفنسية ؛ أما الباقي فنظوم في قوالب الأزجال .

ويبدو أن الملك العالم نظم هذه الكنتيجات لتتمشى مع ألحان موسيقية كانت موجودة بالفعل في ذلك الحين . ويتضح هذا إذا لاحظنا أن القالب الذي اتخذ لنظم حديث معجزات العذراء هو قالب الغصن الغنائى *La estrofa lírica* وهو أكثر تعقيداً وأعسر على التأليف من الأغصان التي تُستعمل في الشعر القصصى ، وأن طريقة الإنشاد الجماعى قد اتسع استعمالها ، مما كان يقتضى قطع سياق القصيد بين الحين والحين ليردد المنشدون لحنهم .

ويقول خليان ريبيرا : « إن هذا هو الذى اضطر الشاعر إلى تجزئة أبياته على أساس عروضى يقوم على جعلها أشرطة غير مقفاة ، وذلك حتى يوائم بين ألقاظه وموسيقى ذات تركيب أشد منها تعقيداً . وهذا هو السبب فى أننا نجد فى الكنتيجات أبياتاً يتألف الواحد منها من أربعة وعشرين مقطعاً ، مما لا نجد مثله فى أدب أى لغة أخرى » . ثم يقول ريبيرا بعد ذلك : « وقد تغلب الفونسو العالم على هذه الصعوبة بأحسن ما يمكن عمله فى هذه الحالة ، فإن نظم شعر يأتلف مع ألحان موجودة هو أيسر دائماً من صنع ألحان لشعر موجود » .

وإلى هذه النتيجة نفسها وصل ريبيرا عندما درس تركيب موسيقى « الكنتيجات » ، إذ أنها هى الأخرى قامت على أساس من الموسيقى الأندلسية الإسلامية^(٣٤) .

ف ١٧٣ — نائب الأسقف فى هيتا ، خوان رويث *El Arcipreste*

: de Hita, Juan Ruiz

يتجلى الأثر العربى عند خوان رويث Juan Ruiz — المعروف

بأزثيرست د هيتا ، أى نائب الأسقف بناحية هيتا — على صورة لا يرقى إليها الشك . ونرى ذلك بوضوح في مواضع شتى من كتابه المسمى « كتاب الحب الطيب » El Libro del Buen Amor ، ومن أمثلة ذلك الرسالة التي تحملها تروتا كونفنتوس Trotaconventos إلى المرأة المغربية ، وكلامه عن الآلات الموسيقية التي لا توافق الأغاني العربية . ويتجلى ذلك الأثر العربي كذلك في اعترافه بأنه صنع ألحانا مرقصة للمتبخترات والراقصات الموريسكيات las troteras y las danzadoras Moriscas ، وفي استعماله للألفاظ العربية في مواضعها ، كما أشار إلى ذلك دوزى وإنجلمان Engelmann وإجيلاذ Eguilaz في جوامع مفرداتهم^(*) . ويقرر منفذد بلايو ذلك ، وإن كان يميل إلى القول بأن خوان رويث كان يعرف من العربية ما يصلح للاستعمال الدارج ، لا ما يمكنه من دراسة الفنون الأدبية .

ومهما يكن من الأمر فلا شك في أن كتابه « كتاب الحب الطيب » يضم منظومات من طراز الزجل مثل :

*Santa María, luz del día
tu me guia todavía
Gáname gracia e benedicion
et de Jesus consolacion
que pueda con devoción
cantar de tu alegría.*

أيتها القديسة مارية يا ضوء النهار
أنت ، يا من تهديني أبدا
امفحيني الرحمة والبركة
ولُيُوسَى يسوع
حتى أستطيع ، عن إخلاص وتقى

(*) ترجمت لفظ glosario (glossary, glossaire) بعبارة جامع مفردات ، وهي أصح ما يقابل هذا المصطلح العربي من مصطلح مؤلفي العرب .

أن أتغنى بما تفيضينه في قباي من المسرة

ومثل :

Mis ojos no verán luz
pues perdido he a Cruz
Cruz cruzada panadera
tomé por entendederá ;
tomé senda por carrera
como (taz el) andaluz.

إن عيني لن تريا النور
لأنني لم أعد أرى كروث
كروث ، تلك المذبذبة الخبازة
التي أخذتها حبيبة

[وقد بالنت في تقديري] إذ حسبت الطريق الضيق طريقاً واسعاً

كما يفعل الأندلسيون [إذ يبالغون في تقدير كل شيء] (*) .

ويضم « كتاب الحب الطيب » كذلك حكايات من الممكن أن تكون مستقاة — بطريقة غير مباشرة — عن كتب « سلك الكتاب » ليدرو ألفونسو و « كلية ودمنة » و « السندباد » ، ومن الممكن أن يكون قد أخذ بعضها عن رايمنودو لوليو ، أو عن الدون خوان مانويل (٣٥) .

هذا ، وكان حظ فن الزجل في شتى الآداب عظيماً ، بسبب اقترانه بالموسيقى وما كان لهذه من الذبوع والانتشار .

(*) من السير جدا ترجمة أمثال هذه الأغنية ، لأنها كلام شعبي دارج لا يبدو جماله إلا في لنته ومصحوباً بموسيقاه ، ومن هنا فقدت معظم القطع التي ترجمتها هنا أكبر جانب من قيمتها كشعر موسيقى عذب خفيف . وفي هذه القطعة بالذات لعب بالألفاظ كان من المستحيل أداؤه باللغة العربية ، فالشاعر يتحدث عن امرأة اسمها كروث أي صليب ؛ وهو يدلها بقوله : كروث كروتادا ، كما نجد في أغنية شعبية مصرية تقول : « حجج حجيج بيت الله ... » ؛ وقد اجتهدت في أداؤها على أحسن صورة ممكنة .

Cf : ARCIPRISTE DE HITA, *Libro de Buen Amor* (ed. Cejador y Frauca, Madrid 1951) I p. 53.

ف ١٧٤ — أغنية العريبات الثلاث . الدواوين . آخر مظاهر الزجل :

من المقطعات الغنائية الصغيرة التي استند إليها ببيرا في دراسته للموسيقى في العصور الوسطى « أنشودة العريبات الثلاث » التي نجدها في « ديوان بلاثيو » El cancionero de Palacio (*) (طبعة باربييري) وهذا مطلعها :

Tres morillas me enamoran

en Jaén :

Axa, Fatima y Marién.

Tres morillas tan garridas

iban a coger olivas

y fállabanlas cogidas *en Jaén ;*

Axa, Fatima y Marién.

Tres morillas tan lozanas

iban a coger manzanas

[y cogidas las fallaban] *en Jaén*

Axa, Fatima, y Marién

Dijeles : quien sois, senoras,

de mi vida robadoras ?

—Cristianas, que éramos moras *en Jaén :*

Axa, Fatima y Marién . . . etc.

وترجمتها :

عشقت ثلاث فتيات عريبات

في جيان

عائشة وفاطمة ومريم . .

ثلاث عريبات بالغات الجمال

(*) لم أجد هذه القطعة في ديوان بلاثيو El Cancionero de Palacio طبعة فراتيسكا فندريل دي ملياس Francisca Vendrell de Millas (برشلونة ١٩٤٥) . وقد ذكر منندز بيدال أنها توجد في السكاثيونيرو موسيكال (El Cancionero Musical = الديوان الموسيقي) . انظر :

ذهبن يجمعن الزيتون
فوجدنه قد جمع ، في جيان
عائشة وفاطمة ومريم . .

ثلاث عريبات فياضات بالحويوة
ذهبن يجمعن التفاح
فوجدنه قد جمع ، في جيان
عائشة وفاطمة ومريم ...

قلت لمن : من أنتن أيتها الفتيات
اللائي سلبنني حياتي ؟
[فقان :] مسيحيات ، وكنا عريبات ، في جيان
عائشة وفاطمة ومريم ... الخ (*)

وموضوع هذه الأغنية وموسيقاها يرجعان إلى عصر هارون الرشيد ، ومع
هذا فقد كان يُغنّى بها في إسبانيا في القرن السادس عشر ، ونقلتها إلى البرتغال
في القرن التاسع عشر السيدة ميخائيليس فاسكونثيلوس Michaelis de
Vasconcellos (٢٦) .

ويطول بنا الأمر لو مضينا نعدد شعراء الإسبان الذين استعملوا فن الزجل
في نظمهم ، ويكفي أن نذكر « ديوان باينا » El Cancionero de Baena
و ديوانى الشاعرين ألفاريد جاتو Alvarez Gato وخيمييث دِ أوريا Jiménez
de Urrea و ديوان سْتُونِيْجَا Stúniga ، و « الديوان العام » لهرناندو دِلْ كستيليو

(*) رأيت أن آخذ نص هذه الفقرات من تلك القصيدة كما أورده مندد بيدال في
المرجع المذكور في الخامس السابق ، س ٤٠ و ٤١ .

وغيرها كثير ؛ El Cancionero General de Hernando del Castillo
 وكلها تضم قطعاً منظومة على هذا الطراز . ونذكر من الشعراء الذين نظموا أزجالاً
 أناريذ دِ فيليبا ساندينو Alvarez de Villasandino ، والراهب دِ بيجو البلسي
 Fray Diego de Valencia ، وغرسية فرنند دِ خيرينا Garcia Fernández
 de Jerena ، ومونتورو Montoro ، ومُنْتيسينوس Montesinos ، وكَرَاخالس
 Carvajales ؛ وغيرهم كثيرون . وقد نظم خوان دل إثنينا Juan del Encina
 وخيل فينتِ Gil Vicente أزجالاً كثيرة ، وهناك أزجال إسبانية أخرى في
 « أغاني اليهود » التي تهدهد الأمهات بها أطفالهن ، وفي تربيّلات دينية تنشد في
 أنغام غير كنسية (أي أن موسيقاها مقتبسة من موسيقى الأزجال) . وإليك على
 سبيل المثال هذه القطعة الطائرة الصيت ، أغنية شهر مايو :

*Entra Mayo y sale Abril,
 tan garridico le vi venir,*

*Entra mayo con sus flores,
 Sale Abril con sus amores,
 y los dulces amadores,
 Comienzan a bien servir.*

أقبل مايو وولى أبريل
 لقد رأيتّه مقبلاً بالغ الحسن والظرف

أقبل مايو بزهوره
 وولى أبريل بغرامياته
 وبدأ المحبون ذوو الرقة
 يستمتعون بغرامهم ...

وقد ظلت أوزان الزجل مستعملة في الشعر الإسباني حتى القرن السابع عشر ،

فوجد كالدرون في مأساة « حب بعد الموت » Amor después de la muerte

يرسل على السنة الموريسكيين الأنشودة التالية ذات الطابع الزجلى الخالص :

Aunque en triste cautiverio
de Alá por justo misterio,
llore el africano imperio
Su misera ley esquiva . . .
Su ley viva !
Viva la memoria extrana
de aquella gloriosa hazana
que en la libertad de Espana
a Espana tuvo cautiva.
Su ley viva !

على الرغم من الأسر التمس
الذى أرادته الله لنا بتقدير خفى عادل
فإننا نبكى عز الدولة الإفريقية
وما قُدر عليها من شقاء
وليحى دين الله !
ولتحى الذكرى العجيبة
لذلك العمل المجيد (يريد فتح إسبانيا على يد المسلمين)
التي جعلت إسبانيا
أسيرة حريتها ...
وليحى دين الله ! (٢٧)

مراجع الكتاب

- نورد في الصفحات التالية المراجع التي اعتمد المؤلف عليها في تصنيف كتابه كما وردت في الثبت القائم بأخر الأصل ، دون تعديل إلا في الترتيب .
- المراجع التي رجعنا إليها في الترجمة أشرنا إلى كل منها في موضعه من الكتاب ، وأوردنا معظمها في فهرس الكتب والمؤلفين اللذين سيردان فيما بعد .
- نرجو القارئ أن يرجع إلى ثبت المراجع الأندلسية الذي ذيلنا به كتاب « الشعر الأندلسي » لغرسية غومس ، الذي نشرناه سنة ١٩٥٢ بالقاهرة ، فقد أوردنا هناك الكتب وأصحابها بصورة أوفى مما وردت في ثبت المؤلف هنا .
- نحيل القارئ كذلك على ثبت المراجع الأندلسية الذي أوردناه في كتابنا : *Essai sur la chute du califat umayyade de Cordoue* (القاهرة ١٩٤٨ ، بالفرنسية) .

(١) مراجع عربية

ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله : التكملة لكتاب الصلاة . نشر جزءاً منه كوديرا في المكتبة الأندلسية (ج ٥ - ٦ ، مدريد ١٨٨٧ - ٩٠) ، ونشر قطعة أخرى ألكون وجنثالث بالثيا في كتاب Miscelanea (مدريد ١٩١٥) ، ونشر قطعة أخرى عن مخطوط فاسي ألفريد بل ومحمد بن شنب في الجزائر ١٩٢٠ .

ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، طبعة تورنبرج ، لايدن ١٨٦٧ - ٧٦ .
أحمد الإسكندراني : ابن زيدون ، في مجلة المجمع العربي بدمشق سنة ١٩٣١ ، ٥١٣ .

أخبار مجموعة في تاريخ الأندلس : نشره وترجمه وعلق عليه لافوينتي إي ألكنترا ، مدريد ١٨٦٧ .

الإدريسى ، أبو عبد الله محمد : وصف إفريقية وإسبانيا . نص عربي وترجمة فرنسية ، نشرهما دوزي ودي خويه ، ليدن ١٨٦٦ .

— دراسة لإدواردو سافدرا ، مذيلة بجزء من جغرافية الإدريسي لم ينشره دوزي ودي خويه ، مدريد ١٨٨١ .

— ترجمة إسبانية لبلاسكث ، مدريد ١٩٠١ .

أبو إسحاق الإلبيري : ديوان شعره . نشره غرسية غومس مع ترجمة إسبانية وتعليقات ، مدريد — غرناطة ١٩٤٤ .

ابن بدر ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن محمد : اختصار الجبر والمقابلة ..

- نشره وترجمه إلى الإسبانية خوسيه سانث پيريث ، في مدريد ١٩١٦ .
- الأصبهاني ، أبو الفرج : كتاب الأغاني ، طبعة كوسجارتن . جريفسقالد
سنة ١٨٤٠ .
- ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء . القاهرة ١٢٩٩/١٨٨٢
- ألف ليلة وليلة : طبعة بولاق ١٢٥٩ هـ .
- ترجمة إنجليزية بقلم وليام لين ، لندن ١٩١٩ .
- ابن بسام ، أبو الحسن علي : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة . نشرت
منه كلية الآداب بجامعة القاهرة ثلاثة مجلدات : القسم الأول في مجلدين ، ثم
المجلد الأول من القسم الرابع . القاهرة ١٩٣٩ — ٤٥ .
- ابن بطوطة ، أبو عبد الله محمد : رحلته ، طبعة دِفْرِمَرِي وسانجوينتي ،
باريس ١٨٥٣ .
- البكري ، أبو عبيد عبد العزيز : صفة إفريقية ، مستخرجة من كتاب
المسالك والممالك . نشرها وترجمها للفرنسية البارون دي سلان سنة ١٨٥٧ .
- طبعة الجزائر سنة ١٩١٠ .
- ابن البيطار ، ضياء الدين أبو محمد : جامع مفردات الأدوية والأغذية .
طبعة بولاق سنة ١٢٩١ / ١٨٧٤ .
- ترجمة ألمانية نشرها سودمر ، ستوتجارت سنة ١٨٤٠ .
- ترجمه للفرنسية لوسيان لكلكرك ، باريس ١٨٧٨ — ٨٣ .
- ابن جبير ، أبو الحسين محمد : الرحلة . طبعة رايت ، لايدن ١٨٥٢ .

- الطبعة الثانية نشرها دي خويه ، لايدن ١٩٠٧ .
- حاجي خليفة : كشف الظنون عن أسامي السكتب والفنون . طبعة فلوجل ،
ليبزج ولندن ١٨٣٥ — ٥٨ .
- الحريرى ، أبو محمد القاسم بن على : المقامات . طبعة دي ساسى ، باريس
١٨٤٧ — ٥٣ .
- مقامات الحريرى بشرح الشريشى . بولاق ١٣٠٠ هـ .
- ترجمة إنجليزية بقلم ث . شينيرى . لندن ١٨٧٠ .
- أعيد طبع الترجمة بإشراف Roedger ، ليبزج ١٩٢٦ .
- ابن حزم القرطبي : الأخلاق والسير في مداواة النفوس . القاهرة ١٩٢١ .
- ترجمة إسبانية للأخلاق بقلم آسين . مدريد ١٩١٦ .
- طوق الحمامة . طبعة د . بتروف . لايدن ١٩١٤ .
- ترجمته الإنجليزية ، لنيكل . باريس ١٩٣١ .
- ترجمة روسية بقلم ا . ساليه . لننجراد ١٩٣٣ .
- ترجمة إسبانية بقلم غرسية غومس . مدريد ١٩٥٣ .
- الفصل في الملل والأهواء والنحل . القاهرة ١٣٢١ هـ .
- ترجمة إسبانية لها لآسين . مدريد ١٩٢٨ — ٣٢ .
- نقط العروس . نشره سيكو دي لوئينا في مجلة جامعة غرناطة ١٩٤١ .
- ابن حيان ، حيان بن خلف : المقابس في تاريخ رجال الأندلس . طبعة
أنتونيا ، باريس ١٩٣٧ .
- ابن خاقان ، أبو نصر الفتح : قلائد العقيان . طبعة باريس ١٨٦٠ ،
وبولاق ١٨٦٧ وهي أفضل وأكمل .

— مطمح الأنفس ومسرح التأسف في ملاح أهل الأندلس ، القسطنطينية

١٣٠٢ هـ .

الخشنى ، الحارث بن أسد : تاريخ قضاة قرطبة ، نشر مع ترجمة إسبانية

لريبيرا . مدريد ١٩١٤ .

ابن الخطيب ، لسان الدين : أعمال الأعلام فيمن بويغ قبل الاحتلام

من ملوك الإسلام وما يجر ذلك من شجون الكلام . نشره ليثى بروفنسال ،

رباط ١٩٣٤ .

— الإحاطة في تاريخ غرناطة ، مخطوط رقم ١٦٧٣ بمكتبة الإسكريال

(١٦٦٨ في فهرس الغزيرى) ، و ٢٧٣٣ في المكتبة الأهلية بمدريد ، ورقم ٣٤

بالأكاديمية الملكية للتاريخ بمدريد .

— طبعة القاهرة ١٣١٩ / ١٩٠١ .

ابن خلدون ، عبد الرحمن : المقدمة ، طبعة كاترمير . باريس ١٨٥٨ .

— ترجمة فرنسية بقلم البارون دى سلان . باريس ١٨٦٨ .

— أخبار البربر ومواليهم من زناتة وذكر أوليتهم وأجيالهم ، وما كان

بديار المغرب خاصة من الملوك والدول ، وهو الكتاب الثالث من « العبر وديوان

المبتدا والخبر » وقد نشره دى سلان وطبعه في الجزائر ١٢٦٧ / ١٨٥١ بعنوان

« تاريخ الدول الإسلامية بالمغرب » ثم ترجمه إلى الفرنسية ونشر الترجمة باسم

« تاريخ البربر » سنة ١٨٦٠ ، وأعيد نشره حديثاً بإشراف كازا نوقا .

— كتاب العبر ، بولاق ١٢٨٤ / ١٨٦٧ .

ابن خلكان : وفيات الأعيان . طبعة فستفلا ، جوتنجن ١٨٣٥ - ٤٣ .

— طبعة دى سلان ، باريس ١٨٣٨ - ٤٢ (غير كاملة) .

- ترجمة إنجليزية لها بقلم دى سلان ، باريس — لندن ١٨٤٣ — ٧١ .
- ابن دحية ، أبو الخطاب : المطرب من أشعار أهل المغرب ، مخطوط رقم ٧٧ بالمتحف البريطانى الشرق . [نشره الأستاذ إبراهيم الإبيارى والدكتور حامد عبد المجيد والدكتور أحمد أحمد بدوى بالقاهرة ١٩٥٤] .
- ابن رشد : شروح مؤلفات أرسطو ، ١٢ جزءاً . البندقية ١٥٦٠ .
- ماوراء الطبيعة . نص عربى مع ترجمة إسبانية وتعليق بقلم كارلوس كيروس ، مدريد ١٩١٩ .
- اتصال العقل الفعال بالإنسان ، نشره الأب مورانا مع ترجمة إسبانية ، سنة ١٩٢٣ .
- فصل المقال ، الطبعة الثانية مع ترجمة فرنسية بقلم ل . جوتييه ، الجزائر ١٩٤٢ .
- تهافت التهافت ، نشره الأب بويج . بيروت ١٩٣٠ .
- تلخيص كتاب المقولات ، نشره الأب بويج . بيروت ١٩٣٢ .
- ابن أبى زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس فى ملوك المغرب ومدينة فاس ، طبعة تورنبرج ، أبسالا .
- ترجمة فرنسية بقلم بومييه ، باريس ١٨٦٠ .
- ترجمة إسبانية بقلم هويثى ، بلنسية ١٩١٨ .
- الزرکشى : تاريخ الدولتين . قسطنطينة ١٨٩٥ .
- ابن زهر ، أبو العلا : التذكرة ، طبعة كولان ، باريس ١٩١١ .
- الزهرراوى ، أبو القاسم : التصريف ابن عجز عن التأليف ، الجزء الخاص بالجراحة ، طبعة شاننج . أ كسفورد ١٧٧٨ .

- ابن سبعين ، عبد الحق : الأجوبة على المسائل الصقلية ، باريس ١٨٨٠
 (مستخرجة من المجلة الآسيوية رقم ١٣ سنة ١٨٧٩)
- السبكي: طبقات الشافعية . القاهرة ١٣٢٤ / ١٩٠٦ - ٧ .
- ابن سعيد المغربي ، أبو الحسن علي : رايات المبرزين وشارات الميزين ،
 نشره مع ترجمة إسبانية غرسية غومس في مدريد ١٩٤٢ .
- الشافعي ، محمد : فهارس تحاميلية لكتاب العقد الفريد . كلكتا ١٩٣٥
 و ١٩٣٧ . انظر : مجلة الأندلس ، مجلد ٧ ص ٥٠٠ .
- ابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات ، بولاق ١٢٩٩ .
- الشقندي ، أبو الوليد : رسالة في فضل الأندلس ، في نفع الطيب المقرئ ،
 ج ٢ ص ١٢٦ - ١٥٠ .
- ترجمها غرسية غومس ونشر الترجمة في مدريد ١٩٣٣ .
- الشهرستاني : كتاب الملل والنحل ، طبعة و . كيورتون . لندن ١٨٤٢ .
- ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامة على المستضعفين ، بأن جعلهم الله أئمة
 وجعلهم الوارثين ، وظهور الإمام المهدي وتاريخ الموحدين . مخطوط في أكسفورد
 رقم ٤٣٣ .
- صاعد الطليطلي : طبقات الأمم ، نشره شينغو في بيروت سنة ١٩١٢ وترجمه
 إلى الفرنسية بلاشير سنة ١٩٣٥ .
- صحيح البخاري : طبعة كريل ، لايدن ١٨٦٢ - ٦٨ .
- ترجمة فرنسية بقلم هوداس ومارسياس ١٩٠٣ - ٨ .

- صفوان بن إدريس : زاد المسافر ، نشره ا . محداد . بيروت ١٩٣٩ .
- ابن طفيل ، أبو بكر : رسالة حى بن يقظان ، ترجمها بوكوك إلى الإنجليزية وعلبها في أكسفورد سنة ١٦٧١ و ١٧٠٠ .
- نشرت في القاهرة والقسطنطينية سنة ١٢٩٩ هـ .
- نشرها ليون جوتييه في الجزائر سنة ١٩٠٠ و ١٩٣٧ .
- ترجمه 'ونس بوجيس إلى الإسبانية ونشرها في مرتسطة سنة ١٩٠٠ .
- ترجمها بالثياصرة أخرى ونشر الترجمة في مدريد سنة ١٩٣٤ .
- ابن طملوس الجزرى : المدخل إلى المنطق ، نص عربى وترجمة إسبانية لميجيل آسين ، الجزء الأول ، مدريد ١٩١٦ .
- ابن عبد الحكم : فتح مصر والأندلس ، طبعة ج . هـ . جوز ، لندن ١٨٥٨
- ترجمة إسبانية في الجزء الأول من مجموعة المدونات العربية ، ص ٢٨ وما يليها .
- عبد الله بن عبد الواحد الفهرى : كتاب الوثائق المستعملة ، مخطوط رقم ١١ بمكتبة الدراسات العربية بمدريد .
- ابن عبد ربه : العقد الفريد ، القاهرة ١٣٢١ . فهارس تحليلية لمحمد الشافى ، جزءان ، كلكتا ١٩٣٥ و ١٩٣٧ .
- ابن عذارى المرأكشى ، أبو العباس : البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب ، طبعة دوزى ، لايدن ١٨٤٨ — ٥١ .
- ترجمه إلى الفرنسية فانيان ونشره في الجزائر ١٩٠١ .
- الجزء الثالث طبعة ليثى بروذنسال ١٩٣٠ .

— تصويبات لنص البيان المغرب ، بقلم دوزي ، لايدن ١٨٨٣ .

— ترجمة إسبانية قام بها فرناندو إمى جنثالث ، غرناطة ١٨٦٢ .

أبو علي القالي : كتاب الأمل ، بولاق ١٣٢٤ .

علي بن يحيى بن القاسم : كتاب الوثائق (مخطوط رقم ٥ في مكتبة مدرسة الدراسات العربية بمدريد) .

العافقي ، أبو جعفر أحمد : المرشد في الكحل ، ترجمه ماكس مايرهوف ونشره في برشلونة ١٩٣٣ .

فتح الأندلس : مؤلف مجهول ، نشره مع ترجمة إسبانية خواكيم دجنثالث في الجزائر ١٨٨٩ .

ابن قزمان : ديوانه ، طبعة نيكل (بحروف لاتينية) ، مدريد ١٩٣٣ .

ابن القفطي : تاريخ الحكماء ، طبعة ليرت ، ليبزج ١٩٠٣ .

ابن القوطية ، أبو بكر : تاريخ افتتاح الأندلس ، نشره جاياانجوس ١٨٦٨ — ترجمه إلى الإسبانية ريبيرا مع مقدمة في مدريد ١٩٢٦ .

ابن مغيث : كتاب الوثائق (مخطوط بمدرسة الدراسات العربية في مدريد)

— ترجمة إسبانية جزئية بقلم س . فيلا . مدريد ١٩٣١ في Anuario de

. Historia de Derecho espanol

المقرى ، أبو العباس أحمد : نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب

وذكر وزيرها اسان الدين بن الخطيب ، طبعة دوزي ودوجا وكريل ورايت .

جزءان ، لايدن ١٨٥٥ — ٦١ .

— تاريخ الدول الإسلامية في إسبانيا ، ترجمة إنجليزية جزئية لنفع الطيب

مع تعليقات بقلم ب. دجايانجوس . لندن ١٨٤٠ — ٤٣ .

— خطاب إلى المسيو فليشر عن الطبعة العربية لنفح الطيب بقلم دوزي .

لايدن ١٨٧١ .

المكتبة الأندلسية : نشر كوديرا وريبيرا في مدريد وسرقة من سنة

١٨٨٣ إلى ١٨٩٥ ، عشرة أجزاء هي : ج ١ ، ٢ : الصلة لابن بشكوال ١٨٨٣ ؛

ج ٣ : بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس للضبي ؛ ج ٤ : المعجم لابن الأبار

١٨٨٦ ؛ ج ٥ ، ٦ : التذكرة لكتاب الصلة لابن الأبار ١٨٨٧ — ٩ ؛ ج ٧ ، ٨ :

تاريخ علماء الأندلس ١٨٩١ ؛ ج ٩ ، ١٠ . فهرست ، أبي بكر بن خير ١٨٩٥ .

موسى بن ميمون : دلالة الحائرين . طبعة سلومون مونك ، باريس

١٨٥٠ — ٦٦ .

— ترجمة فرنسية بقلم مونك ، باريس ١٨٥٩ — ٦٦ .

ابن النديم : كتاب الفهرست ، طبعة فلوجل ، ليبزج ١٨٧١ — ٧٢ .

النويري ، شهاب الدين أحمد : نهاية الأرب في فنون الأدب ، الجزء

الثاني والعشرون ، وهو يتناول تاريخ المغرب والأندلس . نشره في مجلدين ماريانو

جسپار ريميرو ، مدريد ١٩١٧ ؛ وكل منهما مذيّل بترجمة إسبانية له .

أبو الوليد الحميري : البديع في وصف الربيع . نشره هنري پيريس ،

رباط ١٩٤٠ .

ياقوت الحموي : معجم الأدياء ، طبعة مارجليوث . ليبزج — لندن ١٩٠٧

(ب) مراجع غير عربية

ALONSO, M., *El "Tawil" y la hermenéutica sacra de Averroes*, en *Al-Andalus*, 1942, VII, 127—151.

— *Averroes, observador de la Naturaleza*, en *Al-Andalus*, 1940, V, 215-230.

ALFONSO X, *Libros del saber de Astronomia*. Ed. Rico y Sinobas. Madrid, 1863.

"*Aljamiado*", *Leyendas moriscas*, por GUILLÉN ROBLES, 3 vols. Madrid, 1886.

— *La literatura aljamiada*, Discurso por E. SAAVEDRA, Mem. Ac. Española, vol. VI.

ALVARO DE CORDOBA, *Opera*, en *Patrología latina de Migne*, vol. 121.

AMADOR DE LOS RIOS, J., *Historia crítica de la Literatura española*. Madrid, 1861-65.

— *Estudios históricos, políticos y literarios sobre los judíos de España*. Madrid, 1848.

AMARI, M., *Bibliotheca Arabo-Sicula*, Leipzig, 1857. Apéndice, 1875.

ANDRÉS, JUAN, *Origen, progresos y estado actual de toda la literatura*. Ed. italiana, 1782-98; trad. castellana, 1784-806. 7 vols.

"*Anónimo de Copenhague y de Madrid*". Ed. Huici, Valencia, 1917.

ANTUNA, P., MELCHOR M., *Ben Hayán de Cordoba y su obra histórica*. Escorial, 1924.

— *El polígrafo granadino Ben al-Játib en la Real Biblioteca del Escorial*, 1926.

— *Una versión árabe compendiada de la "Estoria de España, de Alfonso el Sabio"* en *Al-Andalus*, 1933, 105.

ASIN PALACIOS, M., *El filósofo zaragozano Avempace*, en *Rev. de Aragón*, 1901.

— *El averroísmo teológico de Sto. Tomás de Aquino*, en "Homenaje a Codera". Zaragoza, 1904.

— *El original árabe de la "Disputa del asno contra Fr. Anselmo de Turmeda"*. Madrid, 1914.

— *Aben-Masarra y su escuela*. Madrid, 1914.

— *La escatología musulmana en la Divina Comedia*. Madrid, 1919. 2.^a ed. Madrid, 1943. En ella, Historia y crítica de una polémica, la trad. inglesa de Sunderland. Londres, 1926.

— *El místico murciano Ben Arabí* (monografías y documentos). I, Autobiografía cronológica. Madrid, 1925.

II, Noticias autobiográficas de su "Risalat alcods", 1926.

III, Caracteres generales de su sistema, 1926.

— *Abenházam de Córdoba y su Historia de las ideas religiosas*. Madrid, 1927-1932, 5 vols.

— *El Islam cristianizado*. Madrid, 1931.

— *Huellas del Islam*. (Sto. Tomás de Aquino, Turmeda, Pascal, San Juan de la Cruz), Madrid, 1941.

— *Ibn al-Sid de Badojoz y su "Libro de los cercos"*, en Al-Andalus, 1940, V. 45-154.

— *Avempace botánico*, en Al-Andalus, 1940, V. 255-299.

— *El "Abecedario de Yúsuf Benasaj el Malagueño"*, en Bol. Acad. Historia, Madrid, 1932, C, 195-228.

— *Glosario de voces romances registradas por un botánico anónimo hispanomusulmán* (siglos XI—XII). Madrid, 1943.

BACHER, *Moses ben Maimon*. Herausgegeben von Bacher, Brann, Simonsen und Guttmann, vol. I. Leipzig, 1908; vol. II, 1914

BASSET, RENÉ, *La poésie arabe anteislamique*. Paris, 1880.

BLACHÈRE, R., *La vie et l'oeuvre du poète-épistolier andalou Ibn Darrag al-Kastallí*, en Hesperis, 1933.

BOER, T. J. DE, *The history of Philosophy in Islam*. Trad. inglesa de E.R. Jones. Londres, 1903.

(ترجمه إلى العربية الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريده . الطبعة الثانية ،

القاهرة ١٩٤٨)

BONILLA Y SANMARTIN, A., *Historia de la Filosofía española*. Tomo II : Los judíos. Madrid, 1911.

BROCKELMANN, C., *Geschichte der arabischen Literatur* Weimar, 1898. Suplemento, Leiden, 1937-1938. 4 vols.

CAETANI, L., *Anall dell'Islam*. Milán, 1905.

CANTOR, MORITZ, *Vorlesungen über Geschichte der Mathematiker*, 3.^a ed., 4 vols. Leipzig, 1907-908.

CARRA DE VAUX, BARON, *Les penseurs de l'Islam*. Paris, 1921-26.

CASIRI, M., *Bibliotheca arabico-hispana Escorialensis*. Madrid, 1760.

CHAUVIN, V., *Bibliographie des ouvrages arabes ou relatifs aux Arabes, publiées dans l'Europe chrétienne de 1810 à 1885*, 12 vols. Lieja-Leipzig, 1892-1922.

CODERA Y ZAIDIN, F., *Decadencia y desaparición de los almorávides en España*. Zaragoza, 1899.

COLIN, Dr. GABRIEL, *Avenzoar, sa vie et ses oeuvres*. Paris, 1911.

COUR, A., *Ibn Zaidouñ*. Constantine, 1920.

DERENBOURG, H., *Les manuscrits arabes de l'Escorial*. Paris, 1884.

DOZY, *Histoire des Musulmans d'Espagne*. Leyde, 1861. Ed. Levi-Provençal, Leyde, 1932. Trad. esp. de M. Santiago Fuentes. Madrid, Calpe, 1920.

— *Recherches sur l'histoire et la littérature de l'Espagne pendant le Moyen Age*. 1.^a ed. 1 vol. Leyde, 1849 ; 2.^a ed., 2vols. Leyde, 1881.

— *Scriptorum arabum loci de Abbadidis*. Leyde, 1846-1863.

— *Notice sur quelques manuscrits arabes*. Leyden, 1847.

— *Commentaire historique sur le poème d'Ibn Abdoun, par Ibn-Badrour*. Leyde, 1846.

— *Poème d'Abou-Ishac d'Elvira contre les juifs de Grenade*. Recherches, 2.^a ed. 1, 292.

— *Essai sur l'histoire des Todjibides, les Beni-Hâchim de Saragosse et les Beni-Comaûih d'Almérie*. Recherches, 2.^e ed I, 221.

— *Le calendrier de Cordouc de l'année 961*. Leyde, 1873.

DUBLER, CÉSAR E., *Posibles fuentes árabes de la "Agricultura general"*, de Gabriel Alonso de Herrera, en *Al-Andalus*, 1941, VI, 135-156.

DUGAT, *Histoire des Philosophes et des Théologiens musulmans (de 632 a 1258)*. Paris, 1878.

DUMAS, C., *Le héros des Makâmât de Hariri. Abou-Zêïd de Saroudj*. Alger, 1917.

EGUILAZ, L., *Poesía histórica, lírica y descriptiva de los árabes andaluces*. Tesis doctoral. Madrid, 1864.

Encyclopédie de l'Islam. Dictionnaire géographique, ethnographique et biographique des peuples musulmans, publié avec le concours des principaux orientalistes par M. Th. Houtsma. Leyde, Paris, 1908.

FERNANDEZ Y GONZALEZ, FRANCISCO, *Historia de Zeyad el de Quinena* (Museo Espanol de Antigüedades, tomo XI, 1882)

GARCIA GOMEZ, E. *Quasidas de Andalucía*. Madrid, 1940.

— *Un texto árabe occidental de la leyenda de Alejandro*, Madrid, 1929.

— *Un cuento árabe, fuente común de Ben Tofâil y de Gracián*. Madrid, Rev. Archivos, 1926

— *El "Parangón entre Málaga y Salé"*, de Ibn al-Jâtib En *Al-Andalus*, 1934, II, 183.

— *Ibn Mammatî, compendiador de la "Dajira"* en *Al-Andalus*, 1934, 329.

— *Observaciones sobre la qasida maqsurâ del Qartachanni*, en *Al-Andalus*, 1933, I, 81.

— *Poemas arábigo-andaluces*. Madrid, 1930; 2.^a ed. 1940.

— *Bagdad y los reinos de Taifas*, en *Rev Occidente*, 1934, XII, 1-22.

— *El "Diwan" del Príncipe Amnistiado*, en *Escorial*, 1942.

GAUTHIER, LEON, *Ibn Thofail, sa vie, ses oeuvres*. Paris, 1909.

GAYANGOS, P., *Memoria sobre la autenticidad de la Crónica llamada del Moro Rasis*. (Memorias Acad. Hist. VIII, 1850.)

GOEJE, M. J. DE, *Die arabische Litteratur*, en P. Hinneberg, *Die Kultur der Gegenwart*, 1.^a parte, cap. VII. Berlin-Leipzig, 1906.

GOLDZIHHER, I., *Le dogme et la loi de l'Islam*. Trad. francesa de Arin. Paris, 1920.

GONZALBO, L., *Poetisas musulmanas*. Rev. Archivos. Madrid, 1905.

GONZALEZ PALENCIA, A., *Historia de la Espana musulmana*. 4.^a ed. Editorial Labor, Barcelona, 1945.

GRAETZ, *Les juifs d'Espagne*. Trad. Stenne. Paris, 1872.

GUILLÉN ROBLES, F., *Catálogo de los manuscritos árabes existentes en la Biblioteca Nacional de Madrid*, 1889.

GUNDISALVI, DOMINICUS, *De Divisione philosophiae*. Ed. Baur. Münster, 1903.

"HADIZ", Les traditions islamiques traduits par Houdas, O. et Marçias, W., 4 vols. Paris, 1903-14.

HORTEN, M., *Die philosophischen Systeme der Speculativen Theologen in Islam*. Bonn, 1912.

HUART. CL., *Littérature arabe*, 4.^a ed. Paris, 1923. Trad. inglesa de Lady M. Loyd.

HURTADO, J., Y GONZALEZ PALENCIA, A., *Historia de la Literatura española*, 5.^a ed. Madrid. 1943.

Jewish Encyclopedia, The. Nueva York-Londres, 1906.

JOURDAIN, A., *Recherches sur les traductions latines d'Aristote*. Paris, 1843.

JUYNBOLL, TH. W., *Handbuch des islamischen Gesetzes*. Leyde, 1910.

KAUFMANN, D., *Studien über Salomon ibn Gabirol*. Budapest, 1899.

LAFUENTE ALCANTARA, *Catálogo de los códices adquiridos por el Gobierno de Su Majestad en Tetuán*. Madrid, 1862.

LECLERC, L., *Histoire de la Médecine arabe*. Paris, 1876.

LEVI-PROVENÇAL, E. *La civilisation arabe en Espagne*. Vue générale. El Cairo, 1938.

— *L'Espagne musulmane au x.^e siècle*. Institutions et vie sociale. Paris, Larose, 1932.

— *Les "Mémoires" de Abd Allah*, dernier roi ziride de Grenade, en *Al-Andalus*, 1935, III, 233-344 ; 1936, IV, 29-143.

LEVY, L., *Maïmonides*. Paris, 1911.

LOPEZ ORTIZ, J., *La recepción de la escuela malequí en España*. Madrid, 1931, en *Anuario de Hist. del Derecho Español*.

MEHREN, A. F., *Etudes sur la philosophie d'Averroès*, concernant ses rapports avec celle d'Avicenne et de Gazzâli, en *le Muséon*, vol. VII.

MENÉNDEZ Y PELAYO, M., *Heterodoxos españoles*, vol. I, 1.^a ed. Madrid, 1880. *Orígenes de la Novela I*, Madrid, 1943.

— *De las influencias semíticas en la literatura española*, en *Estudios de crítica literaria*, Madrid, 1941, I, 193.

— *La doncella Teodor*, *íd.*, I, 219.

MENÉNDEZ PIDAL, JUAN, *Leyendas del último rey goda*. Madrid, 1906.

MENÉNDEZ PIDAL, R., *Sobre Aluacaxi y la elegía árabe de Valencia*, en "Homenaje a Codera", 393-409. J. Ribera. *El Archivo*, rev. Denia, I, págs. 380, 388, 393, 1887.

— *Rodrigo, el último goda*. Madrid. La Lectura, 1926.

— *Poesía árabe y poesía europea*, en *Bull. Hisp.*, 1938, y en *Col. Austral*, 1941.

MEYERHOF, M., *Esquisse d'histoire de la Pharmacologie et botanique chez les musulmans d'Espagne*, en *Al-Andalus*, 1935, III, 1-41.

— *Du nouveau sur Ibn Quzmân*, en *Al-Andalus*, 1944, fasc. 2.

— *Ueber die Pharmakologie und Botanik der arabischen Geographen Edrisi*, en *Archiv. f. Gesch. d. Natur. d. Naturwiss. u. d. Technik* (Leipzig, 1930), XII, 45-53 y 226-36.

— y SOBHY, G. P., *The abridged version of "The book of simple drugs"* of Ahmad ibn M. al Ghafiqi, by Gregorius Abu-l-Farag (Barhebraeus), Cairo, 1932. Res. en *Al-Andalus*, 1, 220.

MIELI, A., *La science arabe et son rôle dans l'évolution scientifique mondiale*. Avec quelques additions de H. P. J. Renaud. M. Meyerhof, J., Ruska. Leiden, 1939.

MILLÀS VALLICROSA, J. M., *Assaig d'història de les idees físiques i matemàtiques a la Catalunya medieval*. Vol. 1. Barcelona, 1931.

— *Influencia de la poesia popular hispano-musulmana en la poesia italiana*. Madrid, Revista Archivos, 1921.

— *La poesia sagrada hebraico-espanola*. Madrid, 1940.

— *Sobre el autor del Libro de las Cruces*, en *Al-Andalus*, 1940, V, 230.

MORATA, P. N., *Avempace*, en *Ciudad de Dios*, 1926. .

MORENO NIETO, J., *Estudio crítico sobre los historiadores árabe-espanoles*. Disc. en la Acad. Historia, 1864.

"Moriscos" : انظر : "Aljamiado"

MÜLLER, M. J., *Philosophie und Theologie von Averroès*, texto. Munich, 1859. Trad. Alemana, 1875.

MUNK, S., *Mélanges de philosophie juive et arabe*. Paris, 1857. (Reimpresión en 1927).

— *Essai d'une trad. des Séances de Hariri*, précédé de quelques observations sur la poésie arabe. "Journal Asiatique", II, 540-66, 1834.

MÜNz, J., *Moses ben Maimoun (Maimonides) sein Leben und seine Werke*. Frankfurt a. M., 1912.

NALLINO, C. A., *Intorno al Kitab al-bayàn del giurista Ibn Rushd*, en "Homenaje a Codera", pág. 67. Zaragoza, 1904.

NICHOLSON, *Literary History of the Arabs*. Londres, 1907.

— *Studies in islamic Mysticism*. Cambridge, 1921.

NYKL, A. R., *La poesta de ambos lados del Pirineo hacia el ano 1100*, en *Al-Andalus*, 1933, I, 357.

OLIVER ASÍN, J., *Un morisco de Túnez, admirador de Lope*, en *Al-Andalus*, 1933, I, 409.

PANO, MARIANO DE, *Coplas del Alhichante de Puey Monzón*. Zaragoza, 1897.

— *El recontamiento de Almicded y Almayesa*, en "Homenaje a Codera", 1904, pág. 35.

PÉRÈS, H., *La poésie andalouse en arabe classique au XI^e siècle*. Ses aspects généraux et sa valeur documentaire. Paris, 1937. Resena de E. G. G., en *Al-Andalus*, IV, 283-316.

PIZZI, I., *Litteratura araba*. Milán, Hoepli, 1903.

PONS BOIGUES, F., *Ensayo biobibliográfico sobre los historiadores y geógrafos arábigo-espanoles*. Madrid, 1898.

PRIETO Y VIVES, A., *Los Reyes de Taifas*. Estudio histórico y numismático de los musulmanes espanoles en el siglo v de la hégira (XI de J.C.). Madrid, 1926.

RAZI, AL-, *La crónica del moro Rasis*. Ed. Gayangos, 1850. (Completada por R. Menéndez Pidal, en Catálogo de Crónicas de la Real Biblioteca)

RENAN, E., *Averroès et l'Averroïsme*, 3.^a ed. Paris, 1861.

RENAUD, H.P. J., *La prétendue "Hygiène d'Abulcasis" et sa véritable origine*. Lisboa, 1941 (Extr. de Petrus Nonius, III).

— *Trois études d'histoire de la Médecine arabe en Occident*. Nouveaux manuscrits d'Avenzoar, en *Hespéris*, 1931, XII, 91-105.

REVISTAS : *Al-Andalus*. *Le Journal Asiatique*. *Rev. du Monde Musulman*. *Rev. des études islamiques*. *Der Islam*. *Riv. d. studi orientali*. *Isis*. etc.

RIBERA, J., y ASIN, M., *Manuscritos árabes y aljamiados de la Biblioteca de la Junta para ampliación de estudios*. Madrid, 1912.

RIBERA Y TARRAGÓ, J., *Disertaciones y opusculos*. Madrid, 1928, 2 vols. Contiene : El Cancionero de Ben Guzmán. —

Epica andaluza romanceada. — Orígenes de la filosofía de Raimundo Lulio. — Bibliófilos y bibliotecas en la España musulmana. — La enseñanza entre los musulmanes españoles. — La Crónica de al-Joxani. — Ben al-Qutiyya y su crónica. — Y otros estudios sobre Historia de la Música, historia árabe de Valenica, etc.

— *La música de las Cantigas*. Madrid, Real Acad. Española, 1922.

— *La música andaluza medieval en las canciones de trovadores, troveros y minnesinger*. Madrid, 1923 - 25.

— *La música árabe y su influencia en la española*. Madrid, Edit. Voluntad, 1927.

ROSENTHAL, E., *Ibn Khalduns Gedanken über den Staat*. Munich, 1932.

SAAVEDRA, F., *Discurso sobre la Literatura aljamiada*, en Memorias de la Real Acad. Española, VI, 155 y 304.

SANCHEZ PÉREZ, J. A., *Biografías de matemáticos árabes que florecieron en España*. Madrid, Acad. de Ciencias exactas, 1921.

SARTON, GEORGE, *Introduction to the History of Science*, vol. I. Baltimore, 1927; II, 1931.

SCHACK, A. F. DE, *Poesía y arte de los árabes en España y Sicilia*. Trad. del alemán por Valera, 3 vols., 3.ª ed. Sevilla, 1881.

SIMONET, F., *El siglo de oro de la literatura arabigo-española*. Tesis doctoral. Granada, 1867.

— *Historia de los mozárabes de España*. Madrid, 1897-1903.

SORIANO VIGUERA, JOSÉ, *Contribución al conocimiento de los trabajos astronómicos desarrollados en la escuela de Alfonso X el Sabio*. Madrid, 1916.

SPRENGER, A., MOHÁMED ALA, *A Dictionary of the technical terms used in the sciences of the muslimans*. Bengal, 1854.

STEINSCHNEIDER, *Die arabische Litteratur der Juden*. Frankfurt, 1902.

SUTER, H., *Die Mathematiker und Astronomen der Araber und ihre Werke*. Leipzig, 1900.

TÁLLOREN, O. J., *Los nombres árabes de las estrellas a la transcripción alfonsina*, en "Homenaje a Menéndez Pidal", II, 633. Madrid, 1925.

WULF, M. De, *Histoire de la philosophie Médiévale*. Lovaina, 1912.

WUESTENFELD, F., *Die Geschichtsschreiber der Araber und ihre Werke*. Göttingen, 1882.

— *Geschichte der arabischen Aertze und Naturforscher*. Göttingen, 1840.

— *Die Uebersetzungen arabischer Werke in das Lateinische seit dem XI. Jahrhundert*. Göttingen, 1877.

١ - فهرست الأعلام

١ - أعلام عربية أو وردت بالعربية

أحمد بن بقر القاضي : ٢٧٠
أحمد بن جحاف ، أبو جعفر (قاضي بلنسية) :

١١٧

أحمد بن حنبل : ٤٠٧ ، ٤١٥

أبو أحمد بن حيون : ١٢٩

أحمد بن خالد المعروف بالحباب : ٣٧٧

أحمد بن سعيد الهمداني : ٧١

أحمد بن سعيد بن أبي القياص : ٢١٧

أحمد بن العقار : ٤٥٠

أحمد بن عباس (الوزير الكاتب) : ١٥٠ ،

١٠٩ - ١١٠

أحمد بن عبد الله الحبيبي : ٣٢٥

أحمد بن عبد الوهاب بن يونس = ابن

صلاة الله القرطبي : ١١٠ ، ٤٣٥

أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الأنصاري

المعروف بابن اليأضى : ٢٢٠ ، ١٨٦

أحمد بن فرج بن منقيل : ٢٦٨ ، ٣٢٨

أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس : ٣٣

أحمد بن محمد بن الجسور : ١٧٣ ، ٢١٣

أحمد بن محمد بن موسى الرازي (المؤرخ) :

١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢١٠

أحمد بن معد بن عيسى بن وكيل التجيبي

الزاهد = ابن الأقلبي : ٢٣ ،

١٦٥ ، ١٦٦ ، ٣٩٩

أحمد القريني (الشاعر المعروف بالكساد) :

١٦٥ ، ١٦٦

أحمد بن هارون الفزري : ٢٨٠

أحمد بن وليد بن عبد الحميد بن عوسجة

الأنصاري = ابن أخت عبدون :

٣٣٠

(١)

آرناند شتايمير : ٥٧٤

آسبن بلاتوس : ١٤ ، ٢١٣ ، ٢١٦ ،

٢١٧ ، ٢٢١ ، ٢٢٣ ، ٣٢٥ ،

٣٢٩ ، ٤٣٠ ، ٥٥١

آلبرو القرطبي : ٤٥٠ ، ٤٨٥ ، ٥٣٥

آياصوفيا : ٤٧٤

ابن الأبار : انظر : أبو عبد الله بن محمد

ابن عبد الرحمن بن الأبار القاضي

أبان بن عثمان المبشر : ٣٣٠

أبراهام بن صمويل بن حسداى : ٥٠١

أبراهام بن عزرا بن ميّر : ٢٦ ، ٥٠٠ ،

أبراهام بن لبى : ٥٧٦

أبراهيم بن إدريس الحسنى : ٦٥

أبراهيم البلقادى : ٥١٨

أبراهيم قيبلى = خوان بيرت : ٥١٣

أبراهيم بن داود الطليطلي : ٢٦

أبراهيم بن سهل الإشبيلي (الشاعر) :

١٦٥ ، ١٣٠ ، ٢٢

أبراهيم بن قرقل (أو قرقول) : انظر :

أبولسحاق إبراهيم بن قرقل (أو قرقول)

أبراهيم النظام : ٣٢٥

أبو إبراهيم بن يحيى الزرقالى : ٤٥١ ، ١٦ -

٥٧٦ ، ٤٥٣

إبرمه (نهر) : ٤٤

سال : ٢٥١

أقراط : ٤٦٦

أنير الدين أبو حيان : ٢٤ ، ٢٥ ، ١٦٦ ،

١٨٧ ، ٢٣٨

إسماعيل (صمويل) بن النخلة : ١٥ ،
١٠٧ ، ١٠٨
ابن إسماعيل : انظر : عبد الرحمن بن
إسماعيل بن زيد
إشبان بن يافت : ١٩٨
أشبونة : ٢٨٨
إشيلية : ١٥ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٨ ، ٣٠ ،
٦٣ ، ٨٥ ، ٨٦ — ١٠٧ ،
١٠٩ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٣١ ،
١٣٥ ، ٢٧٣ ، ٤٢٢ ، ٥٧٤
اشترقونة : ١٨١
الاشترقوني : انظر : أبو طاهر محمد بن يوسف
السرقسلي
أصبغ بن خليل : ٤٠٨
أصبغ بن الفرج : ٤١٩ ، ٤٠٥
أبو الأصبغ عبد العزيز بن طلي بن الطحان :
٢٧١
اصطنق بن باسيل : ٤٦٣
الأصفهاني ، أبو الفرج : ١٠ ، ١١
الأصمعي : ١٦٥
ابن أبي أصيبعة : ٣٢٩ ، ٤٧٩
الأصيلي : ٦٥
اعتماد (الريمكية) : ١٦ ، ٩٤ ،
٩٥ — ٩٦ ، ٩٧
أعشى قيس : ٣٢ ، ٣٣
الأعلم الطليوسي : ١٨٦
أغرغنت : ٣٢٩
أغمات : ٩٧ ، ١٠١ ، ١٠٥
بنو الأفطس : ١٦ ، ١١٧ ، ١١٩ ،
١٢٠ ، ١٢١
ابن أفلح : انظر : جابر بن أفلح
أفلوطين : ٣٢٩
ابن الإقليل : ٣٣١
أقريطش : ٣١٨
الأقشطين : انظر : أبو عبد الله محمد بن
موسى بن يزيد

أحد بن نصر : ٨
أخطل بن نمارة : ١٥٩
الأخفش : ١٨٥
إدريس بن يحيى بن علي بن حمود : ١٢٢
ابن إدريس الجزيري : ٦١
الإدريسي : انظر : أبو عبد الله محمد
الإدريسي
أدلارد الباني : ٥٣٤
إدوارد وليام لين : ٤٩٣
الأذفولش : انظر : القونسو
الأراكا ، الأرك (موقعة) : ١٢٦
اريل : ٢٨٤
أرثربست د هيتا : انظر : خوان رويث
أرسططاليس : ٢٢ ، ٢٤ ، ١٦٩ ،
٣٣٤ ، ٥٠٠
أرطباس : ٦٠٤ — ٦٠٧
ابن أرفع رأسه : ١٦ ، ١٥٧
أركش : ١٠٤ ، ١٠٩
أرفالود فيلانوفا : ٥٣٤
إسبانيا : ٢٩ ، ٧٧
استجة : ١٠٩
إسحاق الموصلی : ٥٣
أبو إسحاق الإلبيري (الشاهر) : ١٥ ،
١٠٨
أبو إسحاق إبراهيم بن قرقل (أوترقول) :
٢٣ ، ٣٩٨
أبو إسحاق إبراهيم بن المجيد : ٥٠١
أبو إسحاق بن دهاق : ٣٨٧
أبو إسحاق بن ملكون : ١٨٦
الإسكريال : انظر : مكتبة الإسكريال
الإسكندر : ٥٢٨ ، ٥٧٨
إسكندر الهالي : ٣٦١
الإسكندرية : ١٠ ، ١٢٥
أسلم بن عبد العزيز : ٤٣٣
إسماعيل بن بدر : ٢٠١
إسماعيل بن عبد الله الرعيني : ٣٣١

أوربولة : ٢٨٠
 أوغسطين (القديس) : ٢١٧
 أو كنفورد : انظر : مكتبة أو كنفورد
 إيزودور الإشبيلي : •
 إيزيدور الباجي ، القديس : ٥٣٨
 إيزيدورو خيل : ٥٨٤
 ابن أيمن : انظر : محمد بن عبد الملك بن أيمن
 أبو أيوب سليمان بن يحيى : انظر ابن جبيرول

(ب)

باب الصباغين : ١٠٠
 باب المطارين : ٦٨
 ابن ناحة النجبي ، أبو بكر محمد : ١٧ ،
 ٢٢ ، ١٢٢ ، ١٦٥ ، ٢٩٧ ،
 ٣٣٥ — ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٤٦٩ ،
 ٥٠٣

الباجي ، أبو الوليد : انظر : أبو الوليد
 سليمان الباجي

باديس بن جبوس : ١٠٨ ، ١١٠
 باديس بن زيري : ٢٤٠
 ابن الباذش : انظر : أحمد بن علي بن أحمد
 ابن خلف
 البارون قوث شاك : انظر : شاك ،
 البارون قوث

باسكوال دي جايا نجوس : ٥٧٩
 بانثيا ، جنتالث : ٢٧٩ ، ٣٣٤
 بدشتر (حصن) : ٦ ، ٥٩
 بيثنة بنت المعتد : ٩٧
 البجاني ، أبو مروان : ٤٦٧
 بجانة : ٣٣١
 بجاية : ١١٥

بجنت (البرشبتير) : انظر بنجنسيس
 البحرى : ٤٠
 أبو بجر صفوان بن إدريس : ٤٣ ، ٢٧٩
 أبو بجر عبد الصمد : ١٠٥
 بجيا بن قاقوذا : ٢٦ ، ٤٩٤ — ٤٩٧

إقليدس الأندلس : انظر : عبد الرحمن بن
 إسماعيل بن زيد
 ابن الأقبلي : انظر : أحمد بن محمد بن عيسى
 الأركن (المستشرق) : ١٧٦ ، ٢٧٩
 البيرة : ٥٧ ، ١٩٣
 الفريد بل (المستشرق الفرنسي) : ٢٧٩
 الفونسو الأول ، المقاتل : ٣٣٥ ، ٤٩٨ ،
 ٥٧٩

ألفونسو السابع : ٢٧٦ ، ٥٣٦
 ألفونسو السادس : ١٨ ، ٢٣ ، ٩١ ،
 ٩٤ ، ٢٧٢ ، ٥٣٦
 ألفونسو العاشر : ٢٤ ، ٢٨ ، ٢٥٨ ،
 ٤٤٩ ، ٤٥٢ ، ٤٥٧ ، ٥٣٤ ،
 ٥٣٦ ، ٥٧٢ ، ٥٧٣ — ٥٧٦ ،
 ٤٧٧ ، ٥٨١ ، ٦٢٣

القاريذ جاو : ٦٢٨
 القاريذ د فيليا ساندينو : ١٥١ ، ٦٢٩
 ألمانيا : ٢٩ ، ٤٨٧
 المرية : ١٥ ، ٢٣ ، ١٠٩ — ١١٦ ،
 ١٢٩

الميدا جارث : ٥٨٤
 اليسانة : ٣٥٥
 أماري ، بيكيل (المستشرق) : ٩٨
 ابن الإمام ، محمد بن أحمد الخولاني : ٣٣٠
 أمبروزيو هونثي : ٢٤٩ ، ٢٥١
 امرؤ القيس : ٣١ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٧
 أبو أمية الحجاري : ٩
 بنو أمية : ١١ ، ٥٥ ، ٦٢ ، ٨٦ ،
 ١٦٦ ، ١٩٣
 أنبادليس : ٨ ، ٣٢٧ ، ٣٢٩ ،
 ٤٩٣ ، ٥٤٦

أنجلترا : ٢٩
 أنريك الأروغوني : ٥٨١
 أنس القلوب (جارية) : ٦٩
 أنسيلمو د تورميديا (القديس) : ٢٨ ،
 ٥٨٦ — ٥٩١

أهرة : ٣٤
 أوجست كور (المستشرق) : ٨٦

بطليموس : ١١٧ ، ٨٥ ، ١٨ ، ١٦ ، ٤٥

— ١٢٢ —

ابن بطوطة ، أبو عبد الله محمد بن محمد اللواتي

الطنجي : ٣١٨ — ٣١٩

بنداد : ٤ ، ٥٠ ، ٤٨ ، ١٠ ، ٣٧ ، ٣٨ ،

٥٣ ، ٦٠ ، ٨٧ ، ١٥٥ ، ١٦٦ ،

١٧٢ ، ١٩٧

ابن البيهقي : انظر : أبو عثمان سعيد
ابن محمد

أبو البقاء صالح بن شريف الرندي : ٢٣ ،
١٣١

بقي بن مخلد : ٧ ، ٩ ، ٣٢٤ ، ٤٠٧ ،

٤٣٠ ، ٤٣٣

ابن بقي ، أبو بكر (الشاعر) : ١٢٥ ، ١٥٧ ،

بكر الكنانى : ٥٨

البكرى : انظر : أبو عبيد الله عبد الله بن

عبد العزيز بن محمد البكرى

أبو بكر إبراهيم بن تيفلويت : ٣٣٥

أبو بكر الأبهري : ١١

أبو بكر الأبيض : ١٥٧

أبو بكر بن أحمد الصنوبرى : ٣٩

أبو بكر أحمد بن مالك الشافى : ١٦٥

أبو بكر الحافظ = ابن سيد الناس :

٢٣٨ ، ٢٥

أبو بكر حسن بن مفرج المافرى = القبشى

القرطبي : ٢٧٥

أبو بكر الرازى (الطبيب الفارسى) : ٣٢٥

أبو بكر بن سعيد : ١٢٥

أبو بكر الصابونى : ١٣٣ ، ١٦٥ ،

أبو بكر بن صارم : ١٦٥

أبو بكر بن عبادة بن سه السماء : ١٥٣ ،

١٥٦

أبو بكر عبد العزيز بن القبطونية : ١٢٠

أبو بكر بن المرينى : ٢٢ ، ٢٣٧ ، ٢٧٣ ،

أبو بكر القبشى : انظر : أبو بكر حسن

ابن مفرج المافرى

البخارى : ٩

يدرو بشكوال : ٢٧

يدرو الجليل : ٥٣٩ ، ٥٧٤ ،

يدرو دل ريال : ٥٧٦

يدرو الطليطلى : ٥٠٢

يدرو القاسى : ٢٥٩

ابن براهان ، عبد السلام بن عبد الرحمن :

٣٣٢

البراقى : ١٢٨

ابن البراقى الوادى آتى ، أبو القاسم : ٢٤٢

ابن برتى ، عمر بن حفص : ٤٦١

ابن برد ، بشار : ٣٩ ، ٦١

ابن أبى بردة : انظر : أبو الطيب محمد بن

أحمد بن أبى بردة

البرزالى ، أبو محمد قاسم : ٢٨٤

البرشبر بيجنت : انظر : بنجيسيس

برشلونة : ١٢ ، ٩١ ، ١٣٣ ، ١٧٦ ،

ابن برغوث ، محمد بن عمر : ٤٥١

برقة : ٦٣ ، ٦٤

برلين : انظر : مكتبة برلين

برنالو العربى : ٥٧٦

بروقالس : ٥٠٣

بروقلس : ٣٢٩

برونيتو لانيى : ٥٧٢

بريتو بيس : ٧

ابن بسام : انظر : أبو الحسن على بن بسام

الشنترقى

بستهورن (السنشرق) : ٢٤٩

بسطة : ١٣٢ ، ٢٨٣

ابن بشكوال : انظر : أبو القاسم خلف بن

عبد الملك

البصرة : ٣٧ ، ١٨٠

بطرس الجليل : انظر : يدرو الجليل

البطروجى ، أبو إسحاق نور الدين : ٢٣ ،

٣٤٨ ، ٤٥٦ ، ٥٣٥ ، ٥٣٩

بطليموس : ٤٥٦ ، ٥٧٥

بلنسية : ١٧ ، ١٨ ، ٦٥ ، ٨٥ ، ٩٣ ،
١١٦ ، ١٢٣ ، ١٦٥ ،
٢٧٧ ، ٢٧٣

البلوطي : انظر : منفرد بن سعيد البلوطي
بلى (حصن) : ٤٣٣
البيمار : ١٣٥
ابن بليطة ، الأسعد بن إبراهيم (الشاعر) :
١١٢

البلدنة : انظر : أبو عثمان سعيد
ابن البناء (الرياضي) : انظر : أبو العباس
أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي
پنتو : ١٨٧

بنجنسيس (الأسقف) : ٥ ، ٤٨٦
ابن بهرام الجستانی : ٤٦١
بهبيا بن باقودا : انظر : بهبيا
پو ، بارتلوم : ٣٥١ ، ٦٠٢

البودلية : انظر : للمكتبة البودلية
بوكاشيو : ٥٨١
بوكوك (المستشرق) : ٣٣ ، ٣٥١
بوميه (للمستشرق) : ٢٥١

پونس بومجيس (للمستشرق) : ٥٠ ،
١١٩

بياسة : ٤٥٦
البياسي : انظر : يحيى بن إسماعيل البياسي
ميرس ، الظاهر (سلطان مصر) : ١٣٥
بيرنظة : ٦٠ ، ٤٤٠

ابن البيطار : انظر : ضياء الدين أبو محمد
عبد الله بن أحمد
بيعة سبت أجلخ : انظر : سبت أجلخ
ابن البين ، أبو عبد الله (الشاعر) : ١٢١
بيير دانييل (هويه الفيلسوف) : ٥٣٤

(ت)

تاكييتوس : ٦١٢
التجبي ، محمد بن عبد الرحمن بن علي : ٢٨٠

أبو بكر بن همار (الشاعر الوزير) : ١٥٠ ،
٣٠ ، ٨٥ ، ٨٩ — ٩٤ ، ٩٧ ،
١١٦

أبو بكر بن غازي : ٢٥٦
أبو بكر محمد بن أحمد الرقوتي : ٢٥ ،
٤٥٧ ، ٥٧٣
أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي : ٨ ، ٦١ ،
٦٤ ، ٦٥ ، ١٧٣ ، ١٨٥ ، ٢٨٧ ،
٣٣٠

أبو بكر محمد بن زهر : ١٢٩ ، ١٥٧ ،
أبو بكر محمد بن حاصم : ٢٥ ، ٤٢٩ ،
أبو بكر محمد بن عبد الله بن طفيل : ٢٤ ،
٣٣٧ ، ٤٢٧ ، ٣٤٨ — ٣٥٣ ،
٣٥٤

أبو بكر محمد بن عبد الملك بن قزمان (الأسفر ،
الزجال) : ٢٠ ، ١٢٥ ، ١٤٤ ،
١٥٨ — ١٦٦ ، ٦١٥ ، ٦٢٠

أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن
القوطية : ٣ ، ٨ ، ٩ ، ٨٨ ، ١٨٥ ،
١٩٣ ، ٢٠٢ — ٢٠٦ ، ٢٦٩ ،
٤٢١

أبو بكر محمد بن عيسى بن محمد الغنمي
الداني = ابن البانة : ١٥ ، ٩٧ ،
١٠٠ ، ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١١٥ ،
١٥٧ ، ٢٤٠

أبو بكر محمد بن فتحون الأوربولى : ٣٩٧
أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف
الطرطوشي الملقب بابن أبي رندقة :
١٧ ، ١٢٥ ، ١٧٤

أبو بكر الخزومي : ١٢٥ ، ١٦٥ ،
أبو بكر يحيى بن الصيرى : ١٢٣ ، ٢٤١ ،
أبو بكر يحيى بن يحيى = ابن السمينة :
٣٢٥

پلايو ، منتدذ : ٣٥١ ، ٤٥٦ ، ٥٨٥ ،
بلج بن بشر : ١٩٩
بلش : ٩٢ ، ٢٧٦

جامعة الجزائر : ٣١
 جامعة الدول العربية : ٢٤٥
 جاينجوس : ١٩٧ ، ٢٠٣ ، ٢٢٠ ،
 ٤٤٣ ، ٢٤٠
 جبريل سيونينا : ٣١٣
 جبل قاسيون : انظر : قاسيون (جبل)
 ابن جبير ، أبو الحسين محمد : ٢٣ ، ١٢٩ ،
 ١٣٣ ، ٣١٦ — ٣١٨
 ابن جبيرول ، سلمون بن يهوذا : ٨ ، ١٧ ،
 ٢٦ ، ١٢٢ ، ٣٣٢ ، ٤٩٣ ،
 ٤٩٦
 ابن جعفر ، أبو الحسن علي : ١٦٥
 ابن أبي جرادة : ٢٤٤
 جبريرتوس : ٥٣٤
 جبرتر : ٤٨٧
 جبرئيل بيريز : ٥٧٦
 الجرجاني ، أبو الفتوح : ١٥ ، ١٠٧
 جرسون بن سلومون : ٥٣٨
 ابن الجزائر ، أبو جعفر أحمد : ٤٦١
 جزائر قرطناطش : ٣١١
 الجزيرة الخضراء : ١٠٤ ، ١٠٩ ، ٤٤٣ ،
 جزيرة شقر : ٢٩٦
 ابن جزى ، أبو عبد الله محمد : ٣١٩
 جسيار ريميو : ٢٥١ ، ٢٥٩ ، ٥٧٨
 ابن الجسور : انظر : أحمد بن محمد بن الجسور
 أبو جعفر أحمد الضبي : ٢٢ ، ٢٦٦ ،
 ٢٧٦
 أبو جعفر أحمد بن محمد بن السيد الفائق :
 ٤٧٢ — ٤٧٤
 أبو جعفر بن سعيد : ٢٣
 أبو جعفر عبد الرحمن بن أحمد الأزدي =
 ابن الفصير : ١٨١
 أبو جعفر بن عثمان المصنف : ٤٥ ، ٦١ ،
 ٦٥ ، ٦٢
 أبو جعفر بن الفراز : ١١٢

التربة الصالحة : ٣٧٦
 التطلبي ، الأعمى : ١٢٥ ، ١٥٧
 تطيلة : ٤٢٣ ، ١٣٥
 تمام بن علامة : ٥٦ ، ٥٧ ، ٦٠٣
 أبو تمام : ٤٠
 أبو تمام محمد بن النصور ، المرزفاطمي : ٦٣
 تنس : ٤٢٢
 تود ، الملكة : ٥٥
 توران شاه : ١٣٥
 توربان الزائف : ٣٥٦
 تورميدا : انظر : أنسيامود تورميدا
 تورنورج (المستشرق) : ٢٥١
 توما الأكويني : ٣٦١ ، ٥٣٥ ، ٥٧٣
 تونس : ١٢٥ ، ١٣٣ ، ١٣٥ ، ٢٥٩ ،
 ٢٧٧
 ابن التيباني : انظر : أبو غالب تمام بن غالب
 تيبولوس : ٨٦
 تيرسو دي مولينا : ٥٢٤
 ابن تيفلويت : انظر : أبو بكر إبراهيم بن
 تيفلويت
 تيكنور : انظر : جورج تيكنور
 تيمورلك : ٢٦٠

(ث)

ثرفانتز : ٥٩٧
 ثيوفراست : ٢١٧

(ج)

جابر بن أفلح الإشبيلي : ٢٢ ، ٤٥٦
 ابن جابر ، أبو عبد الله محمد : ٣١٩
 الجاحظ : ٣٢٤ ، ٥٨٤
 الجارية العبادية : ٩٧
 حاقة (كوند برشلونة) : ١٣١ ، ٢٧٧
 چاكايون د تودي : ٦٢٠
 جالان (مترجم أبليلة) : ٥٩٣
 جالينوس : ٤٦٤ ، ٤٦٦
 ابن جامع ، علي : ٣٧٤

جيراردو الكرعوني : ٤٦٦ ، ٤٣٩ ،
 جيرمو الأوقرنى : ٣٦٩
 جيرمو ، كونت پواتيهه : انظر : جيم
 ديتيو
 جيل الرومانى : ٣٦٨
 جيم ديتيو : ٦١٥ ، ٦١٦
 جين أرمون دآسبا : ٥٧٥
 جيوم ، كونت پواتيهه : انظر : جيم
 جيورمانو برونو : ٤٩٣

(ح)

حاتم طي : ٣٤
 ابن الحاج ، أبو عبد الله (مدغليس
 الزوجال) : ١٦٥
 الحارث بن أسد الحشنى : ٨
 الحارث بن حنزة : ٣٢ ، ٣٣
 حارة القناديل (بالقاهرة) : ٣٧٤
 حامد بن سمجون : ٤٦٧
 أبو حامد الفرناطى : ٧٢ ، ٣١٢
 أبو حامد الغزالى : ٢٢ ، ٢٣٧ ، ٤٩٤ ،
 ٥٤١
 ابن حانوك : انظر : موسى بن حانوك
 الحباب : انظر : أحمد بن خالد
 ابن الحباب : أحمد بن عبد العزيز : ٢٠٨
 ابن حبان البستي : ٢٠٨
 حبوس بن ماكسن : ٤٤٩
 ابن أبي حبيب الجزرى : ١٦٥
 حبيب الصقلى : ٧٢
 ابن حبيب ، عبد الملك : انظر : عبد الملك
 ابن حبيب
 ابن حبيب ، أبو الوليد : انظر : أبو الوليد
 ابن حبيب
 ابن حبيش : انظر : أبو القاسم بن حبيش
 ابن الحجاج : انظر : أبو عبد الله بن الحسين
 ابن أحمد بن الحجاج

أبو جعفر النصور : ١٩٧
 أبو جعفر بن هريرة : ١٥٧
 أبو جعفر الوقشى : ٥٥
 جلال الدين السيوطى : ٣٢ ، ٣٣ ، ١٨٠
 ابن جلجل : انظر سليمان بن جلجل
 ابن جماعة الكنائى : ٢٨٢
 جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك :
 ١٨٧ — ١٨٧
 ابن جناح ، أبو الوليد مروان : ٤٨٩
 ٤٩٢ —
 جنتالك ، دومنجو : ٣٣٢
 جنتالو سنشد أوثيدا : ٥٥٠
 جنتالو دبرثيو : ٥٩٦
 جنجرة : ٦١ ، ٦٦ ، ١٢٤
 ابن جنون ، أحمد : ١٦٥
 أبو جنيس : انظر : يوسف بن هارون
 الرامدى
 بنو جهور : ١٢٧
 ابن جهور ، أبو الحزم : انظر : أبو الحزم
 ابن جهور
 ابن جهور ، عبد الملك : انظر عبد الملك
 ابن جهور
 ابن جهور ، أبو الوليد : انظر : أبو الوليد
 ابن جهور
 جوتا : انظر : مكتبة جوتا
 جوجويه : ١٨٧
 جودا بن فيقس : ٣٣٧
 جودى بن عثمان النهوى : ١٨٥
 جورج تيكنور : ٥٧٩
 الجوف (بغرب الأندلس) : ٣٣٢
 جولدتسيهر : ٤٩٦
 ابن الجياب الأنصارى : انظر : أبو الحسن
 على بن محمد بن الجياب
 جيان : ٩١ ، ١٦٦ ، ١٧٧
 الجياني ، ابن فرج : انظر : ابن فرج الجياني
 جييجان (معنية) : ٦ ، ٥٨

أبو الحسن الشترى الوادى آشى : ١٣٣ ،
١٦٥

أبو الحسن بن عصفور الإشبيلي : ١٨٦
أبو الحسن على بن إسماعيل = ابن سيده :
١٩٠ ، ١٨٥ ، ١٧

أبو الحسن على بن بسام الشترى : ٧٧ ،
٣٧ ، ٦٦ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٥ ،
٩٨ ، ١٥٣ ، ١٥٦ ، ٢١٠ ،
٢٥٧ ، ٢٨٨ — ٢٩٦

أبو الحسن طلى بن محمد بن الجياب الأنصارى
القرطابى : ٢٥٢

أبو الحسن على بن محمد الحضرى المعروف
بابن خروف الإشبيلي : ١٨٦
أبو الحسن طلى بن محمد بن محمد بن طلى
القرشى = القفصادى : ٤٥٧

أبو الحسن النباهى : ٢٥٦ ، ٢٥٥
حسين بن حاصم : ٢٤٠

المصرى (الشاعر) : ٩٧ ، ١٠١
ابن حصن : انظر : على بن حصن
حصن بلى : انظر : بلى (حصن)
ابن أبى حفص : انظر : أبو زكريا بن
أبى حفص

حصن واط : انظر : واط (حصن)
الحفرة (وقمة) : ٣

ابن حفصون : انظر : عمر بن حفصون
حفصة الحجازية : ٧٣
حفصة الركونية : ٢٣ ، ١٢٧ — ١٢٨ ،
٢٤٢

الحكم الثانى المنتصر : ٩ ، ١٠ ، ٦٠ ،
٦٢ ، ١٧٢ ، ١٩٨ ، ٢٠٦ ،
٢٠٨ ، ٣٣٠ ، ٣٣٢ ، ٤٣٤ ،
٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨ ،
٤٤١ ، ٤٤٨

الحكم بن هشام (الرضى) : ٣ ، ٤ ،
٥٧ ، ٥٣ ، ٥٢
ابن الحكم ، عبد العزيز بن حكم بن أحمد :
٣٣٠

ابن الحجاج النخبرى : ١٤٢
أبو الحجاج بن الأحمر : انظر يوسف بن
الأحمر

أبو الحجاج اليباسى : ١٣٣
أبو الحجاج الشبربلى : انظر يوسف الشبربلى
أبو الحجاج بن عيسى : انظر : يوسف
ابن عيسى

أبو الحجاج يوسف بن طلوص : ٣٦٢
الحجارى : انظر أبو عبد الله محمد بن
إبراهيم الحجارى

ابن الحجام : انظر : يعيش بن سعيد
ابن حجر : انظر : اسرؤ القيس
ابن الحداد الوادى آشى : انظر . أبو عبد الله
ابن محمد بن الحداد

ابن الحداد : انظر : محمد بن يحيى بن أحمد
الحراقى : انظر : يونس بن أحمد الحراقى
ابن حرب : انظر : محمد بن أحمد بن حرب
حرقوس : انظر : عثمان بن سعيد الكنانى
الحريرى : انظر : أبو محمد القاسم بن على بن
محمد بن عثمان الحريرى

ابن حريق : انظر : على بن حريق
أبو الحزم بن جهور : ١٤ ، ٨٠ ، ٨٢ ،
٨٤

ابن حزم القرطابى : انظر : أبو محمد على
ابن حزم
ابن حزم ، أبو النيرة : انظر : أبو النيرة
ابن حزم

حسانة التيمية : ٥٠ ، ٥٧ ، ٥٨
حسداى بن شبروط : ٩ ، ٢٦ ، ١٢٢ ،
٤٦٣ ، ٤٨٨

الحسن البصرى : ٥٢٠
الحسن بن هانى : ٥

الحسن بن الهيثم : ٥٣٤
أبو الحسن الباجى : ٣٧٤
أبو الحسن بن سراج : ١٢١
أبو الحسن بن سعيد بن القبطورنة : ١٢١

ابن الحرط : انظر : عبد الحق بن عبد الرحمن
ابن الحرط

ابن خروف : انظر : أبو الحسن علي بن
محمد الحضرمي المعروف بابن خروف

الإشبيلي

الحشني : انظر الحارث بن أسد الحشني
ابن أبي الحصال : انظر أبو عبد الله محمد
ابن أبي الحصال

الحضرمي : ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤

أبو الخطاب بن دحية : ٢٨٣

ابن الخطيب : انظر : لسان الدين بن الخطيب
ابن خفاجة الشقري (الشاعر) : ١٧ ،
١٢٣ — ١٢٤ ، ١٢٧ ، ١٤٠

ابن خلدون ، عبد الرحمن : ٢٥ ، ٣٣ ،

١٣٧ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٦٦ ،

٢١١ ، ٢٥٩ — ٢٦٦ ، ٤١٥

خلف الأحمر : ٣٧

خلف بن عبد الله بن بخارق : ٤٣٤

ابن خلصكان : ٦٤ ، ١٣٣

خلوة (جارية) : ٦٩

خليان ربيدا : ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٩ ، ٥٠ ،

٦٥ ، ١١٧ ، ١٤٢ — ١٥٢ ،

١٥٦ ، ١٥٨ ، ١٨٦ ، ١٩٨ ،

١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠٣ ، ٢٦٨ ،

٢٧٤ ، ٢٧٦ ، ٢٨١ ، ٦٠٣

— ٦٠٧

خليل بن عبد الملك القرطبي : ٣٢٨

خليل الغفلة : ٣٢٥ ، ٣٢٦

خوارزم : ٣١٢

خوان ألقونسو : ٥١٩

خوان أندريس : ٥٣٣ — ٥٣٦

خوان بيرث = إبراهيم تيبيلي : ٥١٣

خوان د تيمونيدا : ٥٨١

خوان دل إثنين : ٦٢٩

خوان ، الدون (الملك) : انظر : الدون

خوان (الملك)

أبو الحكم عمرو الكرماني : ١٧ ، ٤٥٥ ،
٤٦١

حامد الراوية : ٣١ ، ٣٤

حمدة بنت زياد : ١٢٨

ابن حمديس الصقلي : ١٥ ، ٩٧

حمدين بن أبان : ٤٦١

ابن حمدين ، محمد بن طلي : ١٦٢ ، ٢٧٧

الحمراء (قصور) : ١٤٠ — ١٤١

ابن حميد : انظر : أبو عبد الله بن حميد

الحميدى : انظر : أبو عبد الله محمد بن فتوح

الأزدي الحميدى

الحميري : انظر : أبو عبد الله محمد بن عبد الله

ابن عبد المصم الحميري

ابن حنبل : انظر : أحمد بن حنبل

حنش بن عبد الله الصبائي : ٤٢٣

أبو حنيفة النعمان : ٤١٣

حيان بن خلف بن حسين بن حيان ،

أبو مروان : ٤ ، ١٤ ، ٥٦ ، ٥٧ ،

٢٠٧ ، ٢٠٨ — ٢١١ ، ٢١٦

حور مؤمل : ٤٤ ، ١٢٧

ابن حوط الله : انظر : عبد الله بن سليمان ...

ابن حوط الله البلنسي

ابن حيان : انظر : حيان بن خلف

ابن حسين

أبو حيان : انظر : أئمة الدين أبو حيان

حيوج : انظر : أبو زكريا بن داود

ابن حيون : انظر : أبو أحمد بن حيون

حي بن عبد الملك : ٣٢٨

(خ)

ابن خافان : انظر : أبو نصر الفتح بن خافان

الخالديان (أبو بكر محمد وأبو عثمان سعيد ،

ابنا هاشم) : ٣٩

ابن الخبازة : انظر : ميمون بن الخبازة

ابن الخراز : انظر : يحيى بن عبد العزيز

ابن الخراز

خوان رويث (نائب الأسقف في ميتا) :

٦٢٤ — ٦٢٦

خوان قالبرا : ١٣٢ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ،

١٧٤

خوان مانويل ، الدون : انظر : الدون

خوان مانويل

خورخه مانريك : ١٣٢

أبو الحيار مسعود بن مفلت : ٢١٥ ، ٤٤١

أبو الحيار ، هارون : انظر : هارون بن

نصر القرطبي

ابن خير ، أبو بكر : انظر : محمد بن خير

ابن خير القيسي : انظر : محمد بن عبد الله

ابن عمر

الحيرالدا : ١٢٦

خيران الصقلي : ١٠٩

ابن خيره : انظر : أبو الفاسم محمد بن إبراهيم

ابن خيرة

خيل پيريذ : ١٩٧ ، ١٩٨

خيل د تيلادوس : ٥٧٦

خيل فيثنت : ٦٢٩

خيمينيث د أوريا : ٦٢٨

(د)

الداخل : انظر : عبد الرحمن بن معاوية

دار الكتب المصرية : ٢١٩ ، ٢٤٤ ،

٢٥١

دارا (ملك الفرس) : ١٢٠

دال كامو : انظر : شيلولو دال كامو

دانتي الجيجيري : ٢٤ ، ٢٧ ، ٧٣ ، ٥٥١

— ٥٧٣ —

الداني : انظر : أبو الصلت أمية الداني

دانية : ١٣٥ ، ٢٨٤

داود الأسفهانى : انظر : أبو سليمان داود

ابن علي

أبو داود : ٢١٥

الدجاج : انظر : رشيد بن محمد بن فتح

الدجاج

ابن دحية : انظر : أبو الخطاب بن دحية

ابن دراج الصقلي : ٦١ ، ٦٥ ، ٢٤٠

ابن دشلون : انظر : عبد الغفار بن دشلون

دمشق : ٤ ، ١٠ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٢٦٥

دماش بن لبراط : ٤٨٩

دلس سكو تونوس : ٤٩٣

دوجا ، جوستاف (المستشرق) : ٣٠٤

دوزي ، راينهارت بيتر آن : ١٠ ، ١٩ ،

٢٠ ، ٥٠ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ،

١٠٨ ، ١١٦ ، ١١٩ ، ١٢٠ ،

١٩٥ ، ١٩٧ ، ٢٠٠ ، ٢٠٧ ،

٢١١ ، ٢٤٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٩ ،

٢٩٣ ، ٢٩٥ ، ٤٨٧

دومنجو جنزالذ : ٤٩٣ ، ٥٣٧

دومينيكو كومباريتي : ٥٨٢

دومينيكوس جنديسالي : انظر : دومنجو

جنزالذ

الدون خوان (الملك) : ٩٩

دون خوان مانويل : ٢٨ ، ٥٨١ ، ٥٨٥ ،

٦٢٦

دوربه (نهر) : ١١

ديار بكر : ١٧٢

ديجو أورنادو دي مندوتا : ٥١٨

دي خويه (المستشرق) : ٣١٧

دي ساسي : انظر : سلفستر دي ساسي

دي سلان (البارون المستشرق) : ٢٦٠ ،

٣١٠

ديكارت : ٥٣٤

ديموقريط : ٢١٧

ديوسقوريديس : ٩ ، ٦٠ ، ٤٦٢

— ٤٦٥ ، ٤٧٤ —

(ذ)

ذيان (قبيلة) : ٣٤

رشيد الدولة بن عبيد الله بن صامح : ١٥١
 رشيد بن محمد بن فتح الدجاج : ٣٣٠
 الرشيد بن المعتمد : ٩١ ، ١٥٧
 الرشيد ، هارون : انظر : هارون الرشيد
 ابن رشيد السبتي : انظر : أبو عبد الله
 محمد بن عمر بن رشيد السبتي
 ابن رشيد القيرواني : ٨٦ ، ٩٢
 الرصافة : ٥١
 الرصافي : انظر : محمد بن غالب الرصافي
 (الشاعر)
 الرعيبي ، إسماعيل : انظر : إسماعيل بن
 عبد الله الرعيبي
 الرعيبي ، شريح : انظر : شريح بن محمد بن
 شريح الرعيبي
 ابن الرقاء (الشاعر) : ١٢٩
 رفيع الدولة بن المعتمد بن صامح : ١١٥
 ابن أبي الرقاق : ١٩٥
 الرقوطي : انظر : أبو بكر محمد بن أحمد
 الرقوطي
 الركونية ، حفصة : انظر : حفصة الركونية
 رمادة (قرية) : ٦٨
 الرمادي : انظر : يوسف بن هارون
 الرمادي
 رمضان ، شهر : ٣٢٦
 رملة بنت عثمان بن عفان : ٤١٩
 رميك (التاجر الإشبيلي) : ١٦ ، ٩٥
 رندة : ٦ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ١٠٩
 الرندي ، أبو البقاء : انظر : أبو البقاء صالح
 ابن شريف الرندي
 الرندي ابن عباد : انظر : ابن عباد
 الرندي
 روبرت دي رينس : ٥٣٩
 روجر يكون : ٥٣٤
 روجر الثاني : انظر : رجار الثاني
 رودريجو : ١٩٨
 ابن الرومية : انظر : أبو العباس أحمد
 ابن الرومية

ابن ذكوان ، أبو العباس القاضي : ٦٥ ،
 ٨٠

(ر)

الرازي (الطبيب الفارسي) : انظر : أبو بكر
 الرازي
 الرازي (الأورخ) : انظر : محمد بن موسى
 وابنه أحمد بن محمد بن موسى وحفيده
 عيسى بن أحمد بن محمد بن موسى
 رأس الأسطبل : انظر : رامن بير
 الثاني
 الراضي بن المعتمد : ٨٩ ، ٩٧
 رامن بيرنجوير الثاني : ٩١
 رامن لل : انظر : رايغونديو لوليو
 رامون متندذ بيدال : ١٥٥ ، ١٩٧
 رايت ، وإيام (المستشرق) : ٣١٧
 رايشكة (المستشرق) : ٣٣
 رايغونديو لوليو (الأستق) : ٢٤ ، ٢٧ ،
 ٢٨ ، ٣٣٢ ، ٣٦٨ ، ٥٣٤ ،
 ٣٥٧ ، ٥٤٣ — ٥٥٠ ، ٦٢٦
 رايغونديو مارتين : ٢٧ ، ٥٤٠ — ٥٤٢
 الربض (هيج) : ٦٩
 ربض قرطبة : ٥٢
 ربيع بن زيد (الأستق) : ٤٨٧
 ابن ربيعة : انظر : لييد بن ربيعة
 أبو الربيع بن سالم : ١٣١
 رجار الثاني (ملك صقلية) : ٣١٣ ،
 ٦١٩
 رذمير الأول : ١٧٦
 رزين بن معاوية العبدري : ٢٥ ، ٣٩٦
 ابن رزين : انظر : عبد الملك بن رزين
 الرشايطي : ٢٢
 ابن رشد ، أبو الوليد محمد : ٢٤ ، ٢٧٣ ،
 ٣٤٧ ، ٣٥٣ — ٣٦٩ ، ٤٢٧ ،
 ٤٦٩ ، ٥٠٣

ابن زهرى ، أبو العلاء : انظر : أبو العلاء
ابن زهرى

ابن زهرى ، أبو مروان عبد الملك : انظر :
أبو مروان عبد الملك بن زهر

الزهراء (مدينة) : ٦٠ ، ٤٤٠

الزهرأوى ، أبو القاسم خلف : انظر :
أبو القاسم خلف الزهرأوى

زهر بن أبى سلمى : ٣١

زياد بن عبد الرحمن المعروف بشبطون : ٤٢١

زيان بن أبى الحلات : ١٣٣

زيان بن مردانيس : ٢٧٧

زيد بن ثابت : ٤١٣

أبو زيد السروجى : ١٨٠

أبو زيد عبد الرحمن السمبلى : ٢٣ ، ٣٩٨

أبو زيد محمد بن على الكرخى : ٣٢

ابن زيدون ، أبو الوليد : انظر : أبو الوليد

أحمد بن زيدون الخزومى

بنو زبرى : ١٠٨

(س)

سابور (مديرة دولة بنى الأنطس) : ١١٧

سارة القوطية : ٢٠٢ ، ٢٠٤

ابن سارة الشنترى : انظر : أبو محمد عبدا لله

ابن سارة الشنترى

ساقدرأ ، إدواردو : ٣١٣ ، ٤٨٨ ،

٥٠٨

سالومون يهوذا : انظر : ابن جبيرول

سان سرفاندو : ٥٧٦

سانشد پيريد : ٤٤٣ ، ٤٥١

سيت أبلخ (بيعة) : ٤٦٢

سيتة : ٢٨٣

ابن سبعين : انظر : أبو محمد عبد الحق

ابن سبعين

سجوتو : ١١٦

سحنون بن سعيد : ١٩٤ ، ٤١٩

رياض بنى مروان : ٦٩

رياض قرطبة : ٧٤

ريبرا ، خليان : انظر : خليان ريبيرا

ريكيونودو (الأسقف) : انظر : ربيع

ابن زيد

(ز)

الزاب : ٦٣

زاج الطليطلى : ٥٧٦

الزاهرة (مدينة) : ٦٧ ، ٦٩

زايبولد (المستشرق) : ٢٢٠

الزيدى : انظر : أبو بكر محمد بن الحسن

الزيدى

الزرقالى : انظر : أبو إبراهيم بن يحيى لزرقالى

ابن زرقون (الفاضل) : انظر : أبو عبدا لله

محمد بن زرقون

ابن زروق : انظر : أبو عبدا لله محمد بن

إبراهيم بن زروقة

زرياب : انظر : على بن نافع

الزقاق : ٧٧

ابن الزقاق : انظر : على بن عطية الزقاق

ابن الزقان الأوسى : ٤٥٧

أبو زكريا بن أبى حفص : ١٣٣ ، ٢٧٧

أبو زكريا بن داود الفارسى المنبوز بمجوج :

٢٦ ، ٤٨٩

أبو زكريا السراج : ٣٩٠

الزلاقة : ١٧ ، ١١٦

الزخمى : ٣٤

ابن زمرك : انظر : أبو عبدا لله محمد بن

يوسف بن زمرك

ابن أبى زنين : انظر : أبو عبدا لله محمد

ابن أبى زنين

بنو زهرى : ٢٣ ، ٤٧١

ابن زهرى ، أبو بكر : انظر : أبو بكر

محمد بن زهرى

سليمان المستعين : ٦٥ ، ٧٣
 ابن سمجون ، حامد : انظر : حامد بن
 سمجون
 ابن السمح : انظر : أبو القاسم أميخ بن
 محمد المهري
 ابن سمرة : ٥٨
 السموأل بن عاديا : ٣٥
 السميسر الإلييري : انظر : أبو القاسم خلف
 ابن أقرج الإلييري
 ابن السعينة : انظر : أبو بكر يحيى بن يحيى
 ابن سناء الملك : ١٥٩ ، ١٦٠
 سنيكا : ٢١٧ ، ٣٢٣
 السهروردي ، شهاب الدين : ٣٧٥
 سهل بن إبراهيم الاستنجي = ابن العطار :
 ٤٤٢
 ابن سهل : انظر : إبراهيم بن سهل الإشبيلي
 (الشاعر)
 ابن سهل الضرير : ٤٥٦
 السهلة : ٣٣٤
 السهيلي : انظر : أبو زيد عبد الرحمن
 السهيلي
 السوس : ١٩
 سوسة : ٢٨٢
 سوق عكاظ : ٣٢
 ابن سيار : انظر : قاسم بن محمد بن سيار
 سيبويه : ١٨٥
 سيجر البرابانتي : ٣٦١ ، ٣٦٩ ، ٥٧٣
 السيد القميطور : انظر : القميطور ، السيد
 ابن السيد البطيوسي : انظر : أبو عبد الله
 ابن محمد بن السيد البطيوسي
 ابن سيد الناس : انظر : أبو بكر الحافظ
 ابن سبته : انظر : أبو الحسن علي بن إسحاق
 سير بن أبي بكر بن تاشفين : ١٢٠
 سيف الدولة بن هود : ٢٣
 سيكو د لوثيا : ٢٢٠

ابن السراج : انظر : محمد بن السراج
 ابن أبي سرح ، عبد الله بن سعد : ٤١٣
 سرقطة : ١٧ ، ٦٥ ، ٩٠ ، ٩٤ ،
 ١٠٧ ، ١١٠ ، ١١٦ ، ١٢٢ ،
 ٤٦٦ ، ٣٣٣ ، ١٦٥
 سرقوسة : ٩٧
 سركامون (الشاعر) : ٦١٥
 ابن سعد الخير ، أبو الحسن علي : ١٣٤
 سعيد بن جودي : ٦ ، ٥٧ — ٥٨ ،
 ٢٠٩
 سعيد بن عبد ربه : ١٥٦ ، ٤٦٣
 أبو سعيد بن الأعرابي : ٣٢٧
 ابن سعيد العنسي ، أبو جعفر أحمد (الشاعر) :
 ١٢٧
 ابن سعيد الفر ناطلي : انظر : علي بن سعيد
 المغربي
 ابن سعيد المغربي : انظر : علي بن سعيد
 المغربي
 بنو سعيد (العنسيون ، أصحاب المغرب) :
 ٢٤٢ — ٢٤٨ ، ٢٧٣
 سفيان الأندلسي : ٢٢
 ابن سقيل : انظر : سليمان بن زقيبيل
 سكن بن إبراهيم : ٢١٠
 سكيلا ياريللي (المستشرق) : ٥٤١
 سلفتردي ساسي : ٣٣ ، ١٨٢ ، ١٨٧
 سلمة بن سعيد : ٤٣٨
 سليم بن منصور (قبيلة) : ١٩٣
 سليمان بن جلجل : ١١ ، ٤٦٥
 سليمان بن داود (وزير بني الأحرار) :
 ٢٥٧
 أبو سليمان داود بن علي الأصفهاني
 الظاهري : ٤١٤ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠
 سلمان بن زقيبيل (أو سقيل) : ٤٩٨ ،
 ٥٠١
 سليمان بن عبد الرحمن (الأمير) : ٥١
 سليمان بن عبد الملك : ٢٠٢

الشمراني ، عبد الوهاب : ٢٣٨
الشقندي : انظر : أبو الوليد إسماعيل بن محمد
الشقندي

شقوية : ٣٣٢ ، ٥٠٨

شقرة : ٩٤ ، ١٧٧

شقيا بن شعيا : ٣ ، ٣٢٣

شلب : ٧٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٣
الشلوبيني : انظر : أبو علي عمر الأزدي
الشلوبيني

ابن السباط السرقسطي : ٤٥٧

ابن الشعر : انظر : عبد الملك بن انشمر

ابن شنب ، محمد : ١٦١ ، ٢٧٩

شنت ياقب : : ١٢ ، ٣١٤

شنترية : ٣٢٣

شنترين : ١٢٠ ، ٢٨٨

شنجول : انظر : عبد الرحمن بن أبي عامر
الشنفرى : ٣٤

شنيل (قصر) : ٤٨ ، ١٤٠

الشمهرستاني : ٣٢٩

الشمهرزورى : ٣٢٩

ابن شهيد : انظر : أبو عامر بن شهيد

شوق ضيف : ٢٢٠ ، ٢٤٥

ابن الشيخ : انظر يوسف بن الشيخ البلوى
المالقي

شبولو دال كامو : ٦١٩

(ص)

الصابوني : انظر : أبو بكر الصابوني

ابن صاحب الصلاة : ٢٤٢

ابن صارم : انظر : أبو بكر بن صارم

ابن صارة الشنتري : انظر : أبو محمد عبداق
ابن سار

صاعد البغدادي : ١٢ ، ٦٠ ، ٦٦

— ٦٨ ، ١٧٣ ، ١٩٠ ، ٢٠٨ ،

سيمونيت ، فرانسكو خافيير : انظر :
فرانسكو خافيير سيمونيت

ابن سينا : ٥٠٠

السيوطي : انظر : جلال الدين السيوطي

(ش)

ابن : انظر : أبو بكر أحمد بن مالك

الشابي

الشابتي : ٣٩

شاد : ٥٨

الشاطبي : انظر : ابن محمد الشاطبي

الشافعي ، محمد بن إدريس : ٢١٥ ،
٣٢٤ ، ٤١٤

شاك ، البارون فون : ٤٦ ، ١٧٤

ابن أبي شاكر (الفلكي الهندس) :
٤٥٧

الشام : ١٠

شبطون بن عبد الله : ٣

شتاينشنايدر ، موريتس : ٤٨٩

ابن شخيص : انظر : محمد بن شخيص

الشرابي (قصر) : ٩٠

الشرطوسي : انظر : محمد الشرطوسي

الشرف (ناحية) : ١٠٢

ابن شرف البرجي : انظر : أبو الفضل
جعفر . . . بن شرف البرجي

شربلان : ٦٠٩

شرح بن محمد بن شرح الرعيفي : ٢٣٧

شريس : ١٠٩

الشريشي : انظر : أبو المباس أحمد الشريشي

الشريف الطليق : انظر : مروان بن

عبد الرحمن بن مروان بن الناصر

الشريف الفرناطي (شارح مقصورة حازم) :
١٣٣

شرين : ٢٧٣

الشستري : انظر : أبو الحسن الشستري

الوادي آشي

(ابن البيطار) : ٢٣ ، ٣٣٧ ،
٤٧٩ — ٤٨١

(ط)

طارق بن زياد : ١٩٩ ، ٥٧
أبو طالب عبد الجبار المتني : ٢٩٦
ابن طاهر : انظر : أبو عبد الرحمن محمد
ابن طاهر
ابن أبي طاهر : ١٩٧
أبو طاهر محمد بن يوسف السرقسطي
الإشترقوني : ١٨١
الطبري محمد بن جرير : ١٩٣ ، ٤٠٨
ابن الطيني ، الطير : أبو عبد الله محمد
ابن الطيني
ابن الطعان : انظر : أبو الأصمغ عبد العزيز
ابن علي بن الطعان
الطراز القرناطي : انظر : أبو عبد الله محمد
ابن سعيد
ابن الطراوة : انظر : عبد العزيز بن الطراوة
طراوشة : ١٣٥ ، ١٧٤
الطرطوشي : انظر : أبو بكر محمد . . .
الطرطوشي
طرفة بن العبد : ٣٢ ، ٣٤
طروب (جارية) : ٤٤ ، ٥٢
طريانة : ١٠٢
طريف الروطي : ٣٣٠
ابن طفيل : انظر : أبو بكر محمد بن عبد الله
ابن طفيل
ابن الطلاع : انظر : محمد بن فرج بن الطلاع
الطلمسكي : انظر : أبو عمر الطلمسكي
طليطلة : ٤ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢٤ ،
٢٧ ، ١١٦ ، ١٣٥ ، ١٩٥ ،
٣١٥ ، ٣٣٢ ، ٤٨٨ ، ٥٠٣ ،
٥٣٥ ، ٥٣٦ ، ٥٣٩ ، ٥٤٠ ،
٥٧٢ ، ٥٧٤ ، ٥٩٨

صاعد الطليطي : انظر : أبو القاسم صاعد
الطليطي
صبح البتكنسية : ٦٥
صخرة الولد : ٢٩٦
ابن صديق : انظر : أبو عمر يوسف بن
صديق
ابن صفر : انظر : محمد بن صفر
ابن الصفار : أبو الوليد يونس بن الصفار
صفوان بن إدريس : انظر : أبو بحر صفوان
ابن إدريس
صفي الدين الهندي : ٣٨٧
صقلية : ٧ ، ٨٩ ، ٩٧ ، ١٣٥ ، ٣١٧ ،
٦١٩
ابن صلاح الله القرطبي : انظر : أحمد
ابن عبد الوهاب بن يونس
صلاح الدين الأيوبي : ١٦٦ ، ٢٤٢
أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الداني : ٢٢ ،
١٢٥ ، ١٦٥ ، ٤٦٩
ابن صمادح ، المعتصم : انظر : المعتصم
ابن صمادح
بنو صمادح : ١٥٧
صمويل بن طيبون : ٥٠٣
صمويل بن النغدة : انظر : إسماعيل
ابن النغدة
الصميل بن حاتم : ١٩٩
الصنماني ، حنش : انظر : حنش بن عبد الله
الصنماني
الصنوبري : انظر : أبو بكر بن أحمد
الصنوبري
ابن الصيرفي : انظر : أبو بكر يحيى
ابن الصيرفي
ابن سيقل : انظر : محمد بن وهب بن سيقل

(ض)

الضبي : انظر : أبو جعفر أحمد الضبي
ضياء الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد

ابن طلوس : انظر : أبو الحجاج يوسف
ابن طلوس
طنجة : ٩٧ ، ١٠٠ ، ١٠١
أبو الطيب محمد بن أحمد بن أبي بركة : ٤٣٦
ابن طيرون ، موسى : ٤٥٦
بنو طيرون : ٢٦
ابن الطليسان : انظر : أبو القاسم قاسم بن
الطليسان

(ع)

ابن عابد : انظر : أبو عبد الله محمد بن عابد
عاصم بن زيد التميمي ، أبو الحنفي : ٣ ،
٥٨ ، ٥١

عاصم بن محمد (الأشتين) : انظر :
أبو عبد الله محمد بن موسى بن زيد

ابن عاصم : انظر : أبو بكر محمد بن عاصم
أبو عاصم بن شهيد : ٧٣ ، ١٩٣ ، ٢٠٧
أبو عاصم بن عبدوس : ٨١ ، ٨٢ ، ٨٤ ،
١١٩

أبو عاصم بن مسلمة : ١١٧ ، ٢١٢
ابن أبي عاصم : انظر : النصور محمد بن
أبي عاصم

عائشة بنت أحمد : ٧٣
بنو عباد : ١٥ ، ١٩ ، ٧٨ ، ٨٨ ، ٩٥ ،
١٠٤

ابن عباد الرندي : ٣٦٩ ، ٣٩٠
ابن عباد القاضي : انظر : أبو القاسم محمد
ابن عباد (القاضي ، صاحب إشييلية)

ابن عبادة القرزاز : انظر : أبو عبد الله محمد
ابن عبادة القرزاز

عباس بن فرناس : ٥٨
عباس بن ناصح : ٥٨

أبو العباس أحمد الشريفي : ٢٣ ، ١٨١
أبو العباس أحمد بن الرومية : ٢٣٨

أبو العباس أحمد بن عيشون : ٢٨٠
أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي

(ابن البناء) : ٢٥ ، ٤٥٧
أبو العباس أحمد بن معد بن عيسى : انظر :

أحمد بن معد بن عيسى
أبو العباس أحمد النبأني : ٤٧٨

أبو العباس الرياني : ٣٧٢
أبو العباس بن العريف : ٢٣ ، ٢٧٣ ،

٢٨٣ ، ٣٣٢ ، ٣٦٩ — ٣٧١
عبد البر بن فرسان : ١٢٩

ابن عبد البر : انظر : يوسف بن عبد البر بن
عاصم النمري القرطبي

عبد الجبار بن المعتمد : ١٠٤
عبد الجليل بن وهبون الرسي : ١٧ ، ٩٧ ،
١١٦

عبد الحق بن عبد الرحمن ، يعرف بابن
الخرائط : ٤٢٨

ابن عبد الحكم المصري : انظر : عبد الرحمن
ابن عبد الحكم المصري

عبد الحميد بن بسيل : ٢٠١
ابن عبد ربه : انظر : أبو عمر أحمد بن محمد
ابن عبد ربه

عبد الرحمن الأزدي : انظر : أبو القاسم
عبد الرحمن بن يزيد الأزدي

عبد الرحمن بن إسماعيل بن زيد للمهندس
(يلقب بإقليدس الأندلس أو الإقليدسي) :

١٢ ، ٣٣١ ، ٤٥٠
عبد الرحمن بن الحكم الأوسط (الأمير) :

٤ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٥ ، ٥٦ ،
٥٧ ، ٢٠٨ ، ٣٢٥ ، ٥٢٧

عبد الرحمن الداخلة : انظر : عبد الرحمن
ابن معاوية

عبد الرحمن السهيلي : انظر : أبو زيد
عبد الرحمن السهيلي

عبد الرحمن بن أبي عاصم (شنجول) :
٦٥ ، ٢١٤

عبد الرحمن بن عبد الحكم المصري : ١٩٦
عبد الرحمن بن محمد (المرتضى) الرابع : ٢١٤

٢٠٣ ، ١٩٥ ، ١١٤ ، ٥٧ ، ١٥
 ٣٧٧ ، ٢٠٨
 عبد الله بن محمد بن تاسم بن هلال : ٤٣٩
 عبد الله بن محمد بن موسى بن يزيد (الأقشيني) :
 ٢٨٢
 عبد الله بن محمد بن يحيى التجيبي : ٤٣٨
 عبد الله بن المقفع : ٥٨١
 عبد الله بن يحيى بن دحون : ٢١٥
 أبو عبد الله بن الحسين بن أحمد بن الحجاج :
 ٣٩
 أبو عبد الله بن حميد (قاضى بلنسية) : ٣٦٢
 أبو عبد الله الذهبي : ٢٠٨
 أبو عبد الله بن عبد الرحمن بن عثمان بن سعيد
 ابن غلبون الحولاني : ٣٩٦
 أبو عبد الله قسوم : ٣٧٢
 أبو عبد الله بن الجهاد : ٣٧٢
 أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الحنجاري : ١٧
 ١٠٤ ، ١٩٠ ، ٢٦٦
 أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن زروقة :
 ٢٧٤
 أبو عبد الله محمد الإدريسي : ٢٢ ،
 ٣١٢ — ٣١٦
 أبو عبد الله محمد بن الحداد الوادي آشي :
 ١١٢ ، ١٥
 أبو عبد الله محمد بن أبي الحصال النافقي :
 ١٧٧ ، ١٢٣ ، ١٢٠ ، ٢٢
 أبو عبد الله محمد بن زرقون (القاضى) :
 ١٨١
 أبو عبد الله محمد بن أبي زمنين : ٩٠ ، ١٢ ،
 ٤٤٢ ، ٧١ ، ٦١
 أبو عبد الله محمد بن سعيد بن علي الأنصاري =
 الطراز الترماطي : ٢٨٠
 أبو عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسى :
 ٣٣٦ ، ٣٣٤ ، ١٨٧ ، ٢٣
 أبو عبد الله محمد بن الطيني : ٢١٣
 أبو عبد الله محمد بن عابد : ٢٧٥

أبو عبد الرحمن محمد بن طاهر : ٧٨ ، ٩١ ،
 ٩٣
 عبد الرحمن محمد بن عيسى بن فطيس ،
 أبو المغلف : ٣٩٥
 عبد الرحمن محمد بن معمر : ٢٤٠
 عبد الرحمن بن مروان الجلبقي : ٥
 عبد الرحمن المستظهر بالله : انظر : عبد الرحمن
 ابن هشام الخامس
 عبد الرحمن بن معاوية الداخل : ٢ ، ٣ ،
 ٥١ ، ٥٢ ، ١٩٩ ، ٣٢٣
 عبد الرحمن بن مقانا الأشيونى : ١٢٢
 عبد الرحمن المهندس : انظر : عبد الرحمن
 ابن إسماعيل بن زيد
 عبد الرحمن الناصر : ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ،
 ٦٣ ، ١٦٩ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ،
 ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٤٦٢ ، ٤٨٧
 عبد الرحمن بن هشام الخامس (المستظهر
 بالله) : ٦١ ، ٧٣ ، ٢١٤
 عبد السلام بن السمح بن ثابل : ٤٣٧
 ابن عبد الشهيد ، عمر : ١١٢
 عبد العزيز المريني (السلطان) : ٢٥٦
 عبد العزيز بن الطراوة : ١٨٧
 ابن عبد العزيز ، أبو بكر (الكاتب) :
 ٩٣ ، ٩٤
 ابن عبد العظيم الوادي آشي : ١٦٦
 عبد الغفار بن دشلون : ١٦٦
 عبد الله بن إبراهيم الأصيلي : ٤٣٨
 عبد الله بن بلسكين : ٢٤٠
 عبد الله بن سليمان بن داود بن عبد الرحمن
 ابن حوط الله البلنسى : ٢٣٨ ، ٢٩٩
 عبد الله بن عبد الرحمن الناصر : ٩ ،
 ٤٣٤ — ٤٣٥
 عبد الله علي بن عبد الله : انظر : انسيلود
 تورميديا
 عبد الله بن محمد الرواني (الأمير) : ٤ ، ٦ ،

ابن عبدوس : انظر : أبو طامر بن عبدوس
ابن عيدون : انظر : أبو محمد عبد الحميد
ابن عيدون الجبلي
ابن أخت عيدون : انظر : أحمد بن وليد
ابن عبد الحميد بن عوسجة الأنصاري
عبس : ٣٤

عبيد الله بن عمر . . . بن جعفر القيسي
الشافعي : ٤٣٧
عبيد الله محمد الاستنجي : ٥٧٦
عبيدليس بن محمود : ٥٨ ، ٦
أبو عبيدة : ٣٢
أبو عبيد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري :
١٥ ، ١١٣ ، ٣٠٩ ، ٣١١

ابن عتاب : انظر : أبو عبد الله محمد بن
عتاب بن محسن
أبو العتاهية : ٣٩
عثمان بن ربيع : ٢٨٥
عثمان بن سعيد الكناني ويصرف بحر قوس :
٤٣٣

عثمان بن عفان : ٤٣٣
عثمان بن محمد بن حماس : ٤٠٩
عثمان بن وكيل : ٤٣٣
أبو عثمان بن سعيد المعروف بالبلينة : ١٥٦
أبو عثمان سعيد بن محمد بن البغوثش : ٤٥٣
ابن العديم : انظر : ابن أبي جرادة
بنو عذرة : ٤٣

العراق : ١٠ ، ١١ ، ٥٣ ، ٥٦
ابن عربي : انظر : محي الدين بن عربي
ابن العربي : انظر : أبو بكر بن العربي
ابن العراء ، أبو علي : ٣٦٢
عريب بن سعد : ١٩٣ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ،
٤٨٧

ابن العريف : انظر : أبو العباس بن العريف
عصا الأعمى : انظر : أبو القاسم الحضرمي
ابن عصفور الإشبيلي : انظر : أبو الحسن
ابن عصفور الإشبيلي

أبو عبد الله محمد بن عبادة الفزاز : ١١٤ ،
١٥٤ ، ١٥٧
أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن الأبار
القضاعي : ٢٣ ، ١٠٥ ،
١٣٣ — ١٣٤ ، ١٩٧ ، ٢٦٦ ،
٢٧٣ ، ٢٧٧ — ٢٨٠

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم
الحميري : ٣١١
أبو عبد الله محمد بن عتاب بن محسن : ٢٧٣ ،
٢٨٣ ، ٤٢٤

أبو عبد الله محمد بن عمر بن محمد بن رشيد
السنيني : ٢٥ ، ٣١٨
أبو عبد الله محمد بن فنوح الأزدي الحميدي :
١٤ ، ٢٠٧ ، ٢١٠ ، ٢٣٧

أبو عبد الله محمد بن الكناني : ٤٦٦
أبو عبد الله محمد بن معمر المالكي = ابن
أخت غانم : ١٥ ، ١١١ ، ١١٢
أبو عبد الله محمد بن ناجية اللورقي : ١٦٥
أبو عبد الله محمد بن يوسف بن زمرك :
٣١ ، ١٣٩ — ١٤٢ ، ١٦٦ ،

٢٥٦
عبد الملك الأسقف : ٤٨٦ ، ٥
عبد الملك بن جهور : ٦٣ ، ٢٠١
عبد الملك بن حبيب : ٥ ، ١٩٣ — ١٩٦ ،
٤١٩

عبد الملك بن رزين : ٧٨ ، ١١٦ ، ٣٣٤
عبد الملك بن سعيد : ٢٤٣
عبد الملك بن الشعر : ٥٢
عبد الملك بن مروان الجزيري : ٢٤٠
عبد المنعم بن عمر : ١٦٦
عبد الواحد المراكشي : ١٩ ، ٩١ ، ١١٨ ،
٢٤٨ — ٢٥١ ، ٣٥٤

عبد المؤمن بن علي : ٢٣ ، ٥٣٦
عبد الوهاب بن الحسين بن جعفر : ٥٥
العبدري : انظر : رزن بن معاوية العبدري

أبو على الصائغ : ٢١٠
 أبو على القائل : ١١ ، ٦٠ ، ١٧٢ ،
 ٤٤٠ ، ١٨٥
 ابن عمار : انظر : أبو بكر بن عمار
 عمر بن حفصون : ٥٥ ، ٦ ، ٧ ، ٥٧ ،
 ٤٦٧ ، ٣٢٧ ، ٢٠٩ ، ٤٥٩ ، ٤٥٨
 عمر بن عبد العزيز : ٢٠٣
 عمر بن نابل : ٢٠٨
 عمر بن نور الدين الأنصاري : ٢٥
 أبو عمر أحمد بن عفيف : ٢٠٨ ، ٤٢٣
 أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه : ٦ ، ٨ ،
 ٥٤ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ١٥٤ ،
 ١٦٩ — ١٧٢ ، ٢٠٩ ، ٢١٠
 أبو عمر الطلمنكي : ١٩٠ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ،
 ٣٣٠
 أبو عمر عبد الله بن رشيد بن النوشريسي :
 ٣١٨
 أبو عمر بن عياد : ٢٧٦
 أبو عمر محمد بن عفيون الشاطبي : ١٦٥ ،
 ٢٨٢
 أبو عمر يوسف بن صديق : ٢٦ ، ٤٩٨ ،
 عمرو بن كلثوم : ٣٢ ، ٣٤
 أبو عمرو بن محمد بن عيشون : ٢٨٢
 عنقرة : ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤
 عياض بن موسى اليعصبي : ٢٢ ، ٢٧٤ ،
 ٢٨٣ ، ٢٩٦ ، ٣٩٧
 عيسى بن أحمد بن محمد بن موسى الرازي :
 ١٩٨
 عيسى بن جابر (عيسى د جابر) : ٥٠٨
 عيسى بن فطيس : ٢٢٠
 ابن أبي عيسى الماضي : ٢٠١
 أبو عيسى بن لبون : ١٧ ، ١١٦
 أبو العيش : ٥٧٦

ابن المطار : انظر : سهل بن إبراهيم
 الاستنجي
 ابن عفيف : انظر : أبو عمر أحمد بن عفيف
 ابن عفيون الشاطبي : انظر : أبو عمر محمد
 ابن عفيون الشاطبي
 عقيل بن عطية : ٢٣
 أبو العلاء بن زهر : ٢٢ ، ٣٣٦
 أبو العلاء المعري : ٤٠ ، ٦١ ، ٦٤ ، ٧٣
 أم العلاء الحجازية : ٧٣
 ابن علاف (الشاعر) : ٣٩
 ابن هلقمة : انظر : محمد بن هلقمة
 علي بن الإمام السرقسطي : ٣٢٨
 علي بن حريق : ١٦٥
 علي بن حصن : ١٥ ، ٤٤ ، ٨٨
 علي بن جود الحسفي : ٦٥
 علي بن خلف (الفلكي) : ٥٧٦
 علي بن سعيد المغربي : ٢٤ ، ١٢٣ ،
 ١٣٥ — ١٣٧ ، ١٦٦ ، ٢١١ ،
 ٢٢١ ، ٣١٨
 علي بن أبي طالب : ٥٢٥
 علي بن عطية ، بن الزقاق (الشاعر) :
 ١٧٣ ، ١٢٤
 علي بن القاسم الصنهاجي : ٤٤٣
 علي بن نافع ، زوياب : ٤ ، ٥٢ — ٥٤ ،
 ٥٢٧
 علي بن يوسف بن تاشفين : ١٩ ، ١٢٠ ،
 ١٧٧ ، ٢٩٧
 أبو علي بن الحسين بن علي القاسمي : ٢١٣
 أبو علي الحسين بن محمد بن فيره بن حيون
 ابن سكره الصدق ، يعرف بابن
 المدراج : ٢٧٤ ، ٢٧٩
 أبو علي بن سكرة الصدق : انظر : أبو علي
 الحسين ... بن سكرة الصدق
 أبو علي عمر الأزدي الثالوثي : ٢٣ ، ١٦٦ ،
 ١٨٦ ، ٢٤٤

(ف)

- الفتح : انظر : مكتبة الفتح باستامبول
قادريك : ٥٧٤
الفارابي : ٥٠٠
فارس : ١٠
فاس : ٢٥
قاليرا ، خوان : انظر : خوان قاليرا
فايان : ١١٩ ، ٢٤٨
فيريزي أكوپندنبي : ٥٣٤
الفتح بن خافان : انظر : أبو نصر الفتح
ابن خافان
ابن فتحون : انظر : أبو بكر محمد بن فتحون
الأورولي
نخس البلوط : ٤٣٩
أبو الفدا : ٢٤٨
فرائشكو خافيرسمونيت : ٣١١ ، ٤٨٨
فرائشكو فرناندز لاي جنثال : ٦٠٠
ابن فرج الإلبيري : انظر : أبو القاسم خلف
ابن فرج الإلبيري = السيسير
ابن فرج الجباني : ٤٣ ، ٦١ ، ٦٢
ابن فرحون : ٢٦٦
فردريك الثاني : ٣٨٨ ، ٦١٩
ابن فرسان : انظر : عبد البر بن فرسان
ابن الفرضي : انظر : أبو الوليد عبدة الله ...
المعروف بابن الفرضي
فرغليط : ١٧٧
فرفوربوس الصوري : ٣٢٩
ابن فرقد : انظر : أبو القاسم إبراهيم
ابن فرقد
فرناندو الثالث : ١٣١ ، ٥٧٧
فرنسا : ٢٩
فستغلد (المستشرق) : ٣١٠
فضل (مغنية) : ٥٤

- ابن عيشون ، أبو العباس أحمد : انظر :
أبو العباس بن عيشون
ابن عيشون ، أبو عمرو محمد : انظر : أبو عمرو
محمد بن عيشون

(غ)

- الغازي بن قيس : ٣ ، ٤١٨
الغافقي ، أبو جعفر أحمد : انظر : أبو جعفر
أحمد بن محمد بن السيد الغافقي
أبو غالب تمام بن غالب التيباني : ١٨٩
ابن أخت فام : انظر : أبو عبدالله محمد
ابن عمر المالكي
ابن غانية : انظر : يحيى بن غانية الميورقي
غريب بن عبدالله : ٤ ، ٥٨
غرسية غومس : ٣٠ ، ٣١ ، ٣٦ ، ٣٨ ،
٤٢ ، ٤٣ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٢ ،
٦٤ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٦ ،
٨٣ ، ٨٩ ، ١٠٢ ، ١٠٥ ، ١٢٣ ،
١٢٤ ، ١٣٣ ، ١٣٥ ، ١٣٧ ،
١٤٠ ، ٢٥٩ ، ٢٤٢ ، ٢٠٨ ،
٣٠٢ ، ٣٥١ ، ٦٦١
غرناطة : ١٥ ، ١٨ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٣٠ ،
٤٤ ، ٩٩ ، ١٠٧ ، ١٠٩ ،
١١٢ ، ١١٤ ، ١٢٤ ، ١٢٨ ،
١٣٢ ، ١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٤٢ ،
١٦٦ ، ١٩٦ ، ٢٥١ ، ٢٦٦ ،
٥٠٧
الغزال : انظر : يحيى بن حكم الغزال
الغزالي : انظر : أبو حامد الغزالي
غزلان (جارية) : ٥٣
ابن غلبون : انظر : أبو عبد الله ...
ابن غلبون الحولاني
غلبوم الطيب : ٦١٩
الغني بالله : انظر : محمد النبي بالله (سلطان
غرناطة)
غيطة : ١٩٣ ، ٢٠٢

أبو القاسم عبد الرحمن بن أبي يزيد الأزدي:
٢١٣

أبو القاسم فيد بن نجم : ٤٦٧

أبو القاسم قاسم بن الطليسان : ٢٨٠

أبو القاسم محمد بن إبراهيم بن خيرة = ابن
المواعيني : ١٦٥ ، ١٧٨

أبو القاسم محمد بن عباد (القاضي ، صاحب
إشيلية) : ٨٦

أبو القاسم محمد بن فيره الرعيبي الشاطبي : ٤٠٦

أبو القاسم بن وضاح : ٣٦٢

قاسيون (جبل) : ٣٧٦

العال : انظر : أبو علي القالي

قالي قلا : ١٧٢

القاهرة : ١٠ ، ٢٥ ، ٢٦٠

القبيسي القرطبي : انظر : أبو بكر حسن بن
مفرج للماقري

ابن القبطورنه : انظر : أبو بكر عبد العزيز
ابن القبطورنه

ابن القبطورنه : انظر : أبو الحسن بن سعيد
ابن القبطورنه

بنو القبطورنه : ١٢٣

ابن قتيبة : ٣٦

ابن القراز : انظر : أبو جعفر بن القراز

قرطاجنة : ١٣٣

قرطبة : ٣ ، ٦ ، ٨ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٨ ،

٥٣ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٦ ،

٦٨ ، ٧٧ ، ٨٠ ، ٨٦ ، ٩٣ ،

٩٥ ، ٩٨ ، ١٢٧ ، ١٣١ ، ١٣٥ ،

١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٩٣ ،

١٩٦ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٤٤٠ ،

٤٨٨

ابن قرقل (أو قرقول) : انظر : أبو إسحق

إبراهيم بن قرقل (أو قرقول)

قرلمان : ٥١ ، ٥٨

قرمونة : ١٠٩

قريش : ٣٢

أبو الفضل جعفر بن أبي عبد الله محمد بن
شرف البرجي : ١٥ ، ١١٠ ، ١١١

ابن فطيس : انظر : عبد الرحمن بن محمد بن
عيسى بن فطيس ، أبو المطرف

الفنجديهي : ١٨١

القولحا : ٣١٢

ابن أبي الفياض : انظر : أحمد بن سعيد بن
أبي الفياض

قيتروبو : ٥٨٤

فيد بن نجم : انظر : أبو القاسم فيد بن نجم
ابن فيره الرعيبي : انظر : أبو القاسم محمد بن

فيره الرعيبي الشاطبي

فيلون الإسكندري : ٣٢٩

(ق)

قاسم بن أصبغ : ٩ ، ١٧٤ ، ٢٠٧ ،
٣٩٤

قاسم بن محمد بن سيار : ٤٣١ — ٤٣٢

أبو القاسم إبراهيم بن فرقد : ١٣١ ، ٢٨٠ ،
أبو القاسم أحمد بن الحسين بن قسي المرتلي :

٢٣ ، ٣٣٢ ، ٣٧١ ، ٣٧٣

أبو القاسم أصبغ بن محمد المهري ، ابن السمح :
٤٤٩

أبو القاسم بن حبيش : ٢٧٦

أبو القاسم الحضرمي (عصا الأعمى) : ١٥٧ ،
أبو القاسم خلف الزهراوي : ١١ ، ٤٦٥ ،

٥٣٤ ، ٥٣٩

أبو القاسم ختاب بن عبد الملك = ابن
بشكوال : ٢٢ ، ١٨١ ، ٢٦٦ ،

٢٧٣ — ٢٧٧

أبو القاسم خلف بن فرج الإلبيري =
السميسر : ١٥ ، ١١٢ — ١١٣

أبو القاسم صاعد بن عبد الرحمن الطليطلي :
١٧ ، ٢٠٧ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ،

٣٢٣ ، ٣٢٩

(ك)

- كازا مونتيفغا = منت لشم : ٢١٦
 كازا نوفا : ٢٦١
 كافور : ٦٨
 كالونيموس بن تدرس : ٥٠٣
 كالونيموس بن ماير : ٥٠٣
 ابن الكتاني : انظر : أبو عبد الله محمد بن
 الكتاني
 الكتندى (الشاعر) : ١٢٥
 الكراز (موقعة) : ١٧٦
 أم الكرام بنت للعصم : ١١٤ ، ١٦٥
 الكرمانى : انظر : أبو الحكم عمرو
 الكرمانى
 الكساد : انظر : أحمد المقرئ
 الكسائى : ١٨٥
 كعب الأحبار : ٥١٤
 الكعبة : ٣٢ ، ٣٣
 الكلاباذى ، أبو نصر : ٣٩٩
 ابن كلثوم : ٥٨
 الكتاني : انظر : ابن جماعة الكتاني
 كوديرا : ١٩ ، ٢٧١ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ،
 ٢٨١ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧
 كولان : ٢٤٩
 كويبانو دى نوفاارا : ٥٣٤
 كونت د پواتيه : انظر جيم د بيتيو
 الكويكرز (طائفة دينية) : ٣٥١
 كيث ، جورج : ٣٥١

(ل)

- لابرويير : ٢١٧
 لافونيتى الكاتنارا : ١٩٨ ، ٢٠٠ ، ٢٥٢
 لايبسيك : ٥٠٠
 لايدن : انظر : مكتبة لايدن
 ابن اللبانة : انظر : أبو بكر محمد بن عيسى
 ابن محمد اللخمي الهاني

- القزاز : انظر : أبو عبد الله محمد بن عبادة
 القزاز
 ابن قزمان (الزحال) : انظر : أبو بكر محمد
 ابن عبد الملك بن قزمان
 القزوينى : ٧٨
 قسطا بن لوقا : ٥٧٦
 قسطلة دراج : ٦٥
 قسطنطين الهابع : ٤٦٢
 القسطنطينية : ٣٤ ، ٣٥ ، ٢٩٨
 قسوم : انظر : أبو عبد الله قسوم
 ابن قسى : انظر : أبو القاسم أحمد بن الحسين
 بن قسى المرتلى
 بنو قسى : ٥
 قشتالة : ٢٣ ، ٢٧ ، ١٣٧ ، ٢٥٩
 القصر الكبير : ٢٣٩
 ابن القصور : انظر : أبو جعفر عبد الرحمن
 ابن أحمد الأزدي
 قطلونية : ٥٠٣
 القفطى : ٣٢٩
 القفصادى : انظر : أبو الحسن على بن محمد
 ابن على القرشى
 قلعة أيوب : ٢٧٧
 قلعة رباح : ٤٣٩
 قلعة يمصب : ٢٩٦
 القفطاط : انظر : محمد بن يحيى القفطاط
 قلم (مثنوية) : ٥٤
 القمبيطور ، السيد : ١٧ ، ٧٧ ، ١١٦ —
 ١١٧ ، ٢٩٣ ، ٣٠٥ ، ٦١٢
 قنتورية : ٣١٩
 القنطرة : ٦٩
 ابن القوطية : انظر : أبو بكر محمد بن
 عمر بن عبد العزيز بن القوطية
 قونكة : ٢٧٥
 القيروان : ٣٢٧

مالقة : ١٠٩ ، ١٢٢ ، ١٢٨
 مالك بن أس : ٣ ، ١٩٣ ، ٤١٤
 ابن مالك : انظر : جمال الدين محمد بن عبادة
 ابن مالك
 المأمون بن ذى النون : ١٥٧ ، ١٧٥ ،
 ٥٧٦ ، ٢١٢
 المتحف البريطاني : ٢٨٤
 مئمة (جارية) : ٥٤
 المتلمس (الشاعر) : ٣٤
 المتنبى ، أبو الطيب : ٤٠ — ٤١ ، ٤٢ ،
 ١٠٥ ، ٨٦ ، ٨١ ، ٦٤
 المتوكل بن الأنطس : ٧٨ ، ١١٧ — ١١٨ ،
 ١٥٨ ، ١٢٠
 أبو المتوكل : ١٦٥
 مجاهد الصقلي : ٩٧ ، ١٠٧
 ابن المجاهد : انظر : أبو عبادة بن المجاهد
 ابن مجيد : انظر : يحيى بن مجيد
 ابن عباس : انظر : عثمان بن محمد بن عباس
 محمد بن أحمد بن حرب : ٢٥ ، ٤٢٩
 محمد التيمي : ١٦
 محمد بن تومرت : ٧٣ ، ٢٣٨ ، ٣٦٢
 محمد بن أبي الخطاب القرشي : ٣٢
 محمد بن خير بن عمر بن خليفة : ٢٢ ،
 ٢٨١
 محمد بن رمضان : ٥٢٠
 محمد بن السراج : ٤٨٢
 محمد بن سليمان الصكي = ابن الموروري :
 ٣٢٨
 محمد بن شخيم (الشاعر) : ٦١
 محمد الشرطوسي : ٥١٨
 محمد بن صقر : ١٢٩
 محمد بن عبد الجبار المهدي : ٦٥
 محمد بن عبد الرحمن (الأمير) : ٥ ، ٦ ، ٧ ،
 ٩ ، ١٠ ، ٣٢٤ ، ٤٠٧ ، ٤٣١ ،
 ٤٦٩
 محمد بن عبد الرحمن النسائي : ١٣١

ابن لبراط : انظر : دناش بن لبراط
 لبلة : ٢٠٩
 ابن لبون : انظر : أبو عيسى بن لبون
 لبيد بن ربيعة : ٣٢
 لحم (قبيلة) : ١٠٦
 لدريق : ١٩٨ ، ١٩٩
 لسان الدين بن الخطيب : ٢٥ ، ٦٤ ، ١٠٥ ،
 ١١٩ ، ١٣٧ — ١٣٩ ، ١٦٦ ،
 ٢١٠ ، ٢٥٢ — ٢٥٩ ، ٣٠٢ ،
 ٣٣١ ، ٤٨٢
 لغت : ٢٨٠
 لنتوة (قبيلة) : ١٩
 لوب دقيجا : ٥١٣ ، ٥٩٤
 لورقة : ١١٦ ، ٢٧٦
 لورزودي مدينتي : ٦٢٠
 لونل : ٢٦ ، ٥٠١
 لويس شيخو : ٢٣٩
 لينتر : ٣٥١
 ليرة : ٢٧٦
 ليفي بروقنسال : ١٥٨ ، ٢٠٨ ، ٢٢٠ ،
 ٢٤٩ ، ٢٥٨ ، ٢٧٦ ، ٢٩٠ ،
 ٣١١
 ليفي بن التبان : ٤٩٨
 ليفي بن جرسون : ٥٠٣
 ليون : ١٢
 ليوناردو اليزي : ٥٣٤
 (م)
 ابن ماء السماء : انظر : أبو بكر عبادة بن
 ماء السماء
 ابن الماجشون : ٥
 ماردة : ٥
 ماركوس بيرث : ٥٨٣
 ماركوس يوسف مولر : ٢٧٩ ، ٣٥٧
 مارية القبطية : ٢٢٨
 ماسينون : ٤٣

أبو محمد عبد الله بن ساره (أو ساره)
الشتري: ٨٦ ، ١٢١

أبو محمد عبد المجيد بن عبدون الجبلي: ١٦ ،
١١٨ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ٤٦١ ،
٤٦٧

أبو محمد علي بن حزم القرطبي: ٩ ، ١٤ ،
٤٣ ، ٥٨ ، ٦١ ، ٦٨ ، ٧٤ —

٧٧ ، ١٧٤ ، ١٨٩ ، ٢٠٧ ،

٢١٣ — ٢٣٩ ، ٣٢٣ ، ٣٢٩ ،

٣٣١ ، ٤٢٦ ، ٥٠٣

أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان
الحريري: ١٨٠

محي الدين بن عربي: ٨ ، ٧٤ ، ١٣٣ ،

١٦٥ ، ١٦٦ ، ٢٣٨ ، ٣٣٢ ،

٣٣٣ ، ٣٥٦ ، ٣٦٩ ، ٣٧١ —

٣٨٦ ، ٥٤٠ ، ٥٤٣ ، ٥٤٥ ،

٥٤٦ ، ٥٤٧ ، ٥٤٨ ، ٥٤٩ ،

٥٦٤

ابن مخارق: انظر: خلف بن عبد الله
ابن مخارق

الخزومي: انظر: أبو بكر الخزومي

أبو الخنسي: انظر: عاصم بن زيد التيمي

مدرسة الحديث الكاملية: ٢٨٤

مدرسة الدراسات العليا بمرسية: ٢٨

مدرسة المترجمين بطليعلة: ٢٧ ، ٣٦٧ ،

٥٧٢

المدرسة المنصورية: ١٨٨

مدريد: ١١ ، ٣٣٤ ، ٥٩٨

مدغليس: انظر: ابن الحاج

المدور: ١٠٩

ابن مدير: ٢٧٥

ابن المدني ، محمد بن حزم بن سكر:

٣٢٧

مدينة سالم: ٧٠ ، ٤٢٣ ،

مرار الفقمسي: ٣٤

محمد بن عبد الله بن عمر بن خير القيسي:
٣٣٠

محمد بن عبد الله بن مسرة: ٨ ، ٢٦٨ ،
٣٢٦ — ٣٣٢ ، ٤٩٣

محمد بن عبد الملك بن أيمن: ٩ ، ٣٩٥

محمد بن عتاب: انظر: أبو عبد الله
محمد بن عتاب بن محسن

محمد بن علقمة: ١١٦

محمد بن علي بن هاني: ٣٠٢

محمد بن عيسى الإلبيري: ٣٣٢

محمد بن غالب الرصافي (الشاعر): ١٣٠

محمد النفي بالله (سلطان غرناطة): ١٣٨ ،

١٤٠ ، ١٤١

محمد بن فرج بن الطلائع: ١٤ ، ٤٢٧

محمد بن مزين: ٥ ، ٢١٢

محمد بن معن: انظر: ابن صامح ، المتصم

محمد بن مفرج المعافري (يعرف بالفني):

٣٣٠

محمد بن للنذر النيسابوري: ٤٣٩

محمد بن موسى الرازي: ٨ ، ١٩٣ ، ١٩٦ ،

٢١٠

محمد بن الحاس: ١٨٨

محمد بن هاني الإلبيري الإشبيلي: ٨ ، ٦١ ،

٦٣ — ٦٤ ، ١٥٧

محمد بن وضاح بن بزيع: ٣٩٤

محمد بن وهب بن صيقل: ٣٢٧

محمد بن يقي: ٣٣٠

محمد بن يحيى بن أحمد بن الحذا: ١٢ ،

٤٢٢

محمد بن يحيى القفطاط: ٦ ، ٥٨

محمد بن يوسف الشلي: ٢٤٠

محمد بن يوسف الوراق: ٣٠٩

ابن محمد الشاطبي: ١٦٥

أبو محمد عبد الحق بن سبعين: ٢٤ ،

٣٨٦ — ٣٩٠

٥٧٦ ، ٤٧٦

ابن مسلمة : انظر : أبو عامر بن مسلمة

مسوفة (قبيلة) : ١٩

مشاق البصرة : ١٨٠

الممراق (مجلة) : ٢٧٩

مشلم بن يعقوب : ٥٠١

مصاييح (جارية) : ٥٤

المصحفي : انظر : أبو جعفر بن عثمان المصحفي

مصر : ٣٣ ، ١٢٥

أبو المطرف عبد الرحمن بن واند اللخمي

الأندلسي : ١٦ ، ٣٣٧ ، ٤٦٦ ،

٤٦٧ — ٤٦٨

المظفر بن الأفلح : ١٦ ، ١١٧ — ١١٨ ،

٣٩٧

ابن المعتز : ٣٩

المعتصم بن صادح : ١٥ ، ١١٠ — ١١٣

١٥٤

آل المعتصم بن صادح (صاحب المرية) :

١١٣ — ١١٦

المعتضد بن عباد : ١٥ ، ٨٥ ، ٨٦ — ٨٩

٩٠ ، ٩٨ ، ١٠٠

المعتضد العباسي : ٨٧

المعتمد بن عباد : ١٥ ، ١٦ ، ١٨ ، ٣٠ ،

٤٦ ، ٨٥ ، ٨٨ — ١٠٧ ، ١٢٠ ،

١٣٩ ، ٢١٦ ، ٣١٢

المعري : انظر : أبو العلاء المعري

المعز القاطمي : انظر : أبو تميم معد بن النصور

أبو معشر : ٥٣٨

ابن العلم الطنجي : انظر : أبو يحيى بن العلم

الطنجي

ابن معمر ، عبد الرحمن : انظر : عبد الرحمن

ابن محمد بن معمر

ابن معمر المالكي : انظر : أبو عبد الله

محمد بن معمر المالكي

صهاكش : ٢٣ ، ٢٤ ، ١٣٥

صريطر : ١٧ ، ١١٦

للرضي : ٦٥

ابن صرتميل : ٤٠٨

ابن صرتمين : ٨٥

ابن صردانيش ، محمد : ١٢٨ ، ١٦٥ ،

٢٤٢

صرسية : ١٧ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ١١٦ ،

١٣٣ ، ١٦٥ ، ٢٧٦ ، ٥٧٣

ابن المرعزي : ١٦٥

صهوان بن عبد الرحمن بن صهوان بن الناصر

(يكنى أبا عبد الملك ويلقب بالشريف

الطليق) : ٧٢ ، ٧٣

أبو مروان حيان بن خلف بن حسين

ابن حيان : انظر : حيان بن خلف

ابن حسين

مريانو دي بانو لمي رواتا : ٥٢٢

مريم بنت أبي يعقوب الفيصولي : ٧٣

المرية : ٣٣٢

أبو صهوان عبد الملك بن زهر : ٢٢ ،

١١٨

ابن مزين ، محمد : انظر : محمد بن مزين

ابن مزين ، يحيى : انظر : يحيى بن إبراهيم

ابن مزين الفرطبي

المستظهر : انظر : عبد الرحمن بن هشام

الخامس

الستمين بن هود : ١٧٦

المستكني بالله : ٨٠

المستنصر : انظر : الحكم الثاني المستنصر

المسجد الجامع بقرطبة : ٦٥ ، ١٩٤

ابن مسرة : انظر : محمد بن عبد الله

ابن مسرة

ابن مسعود (الشاعر) : ٢٢ ، ٧٢

مسلمة بن القاسم : ٨

مسلمة المجريطي : ١١ ، ٣٣٣ ، ٤٤٨ ،

مكرم بن سعيد : ١٥٤
 مكناسة : ١١٧
 مكة : ٢٢ ، ٢
 مكي بن أبي طالب : ٩
 ملشور أنطونيا : ٢٠٨ ، ٢٥٨
 الملك الصالح : ١٣٥
 ابن ممانى : ٢٩٣
 مناحيم بن سروق الطرطوشى : ٤٨٩
 منازجرد : ١٧٢
 منت اسم = كازا مونتيغنا : ٢١٦
 ابن منثيل : انظر : أحمد بن فرج بن منثيل
 منذر بن سعيد البلوطى : ٩ ، ٢٠١ ،
 ٤٤٠ — ٤٣٩ ، ٣٣١
 المنذر بن هود : ١٠٧
 المنصور محمد بن أبي عاصم : ١١ ، ١٢ ،
 ١٣ ، ٦٥ ، ٦٠ ، ٦٥ — ٦٦ ،
 ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٠٧ ،
 ٢٠٨ ، ٢٣٦ ، ٢٤٠ ، ٣٣٢ ،
 ٣٣٣ ، ٤٠٥ ، ٤٥٠ ، ٤٦٣ ،
 ٤٦٦
 أبو منصور بن جبير : ١٨١
 منندذ بيدال : انظر : رامون منندذ بيدال
 للهدية : ٩٨
 ابن المواهب : انظر : أبو القاسم محمد بن
 إبراهيم بن خيره
 موان د موتودون : ٦١٧
 المؤمن بن هود : ١٧ ، ١٢٢
 مورانا ، الأب : ٣٥٧
 مورلى : ٥٣٤
 مورور : ١٠٩ ، ١٣١ ، ٤٣٧
 ابن الورورى : انظر : محمد بن سليمان العكي
 موريس الإسباني : ٣٦٨
 موسى بن جدير الحاجب : ٢٠١
 موسى بن حانوك : ٤٨٩
 موسى سفردى : ٥٧٩
 موسى بن عزرا : ٤٩٨
 موسى بن عمران الميرتلى : ٣٧٢

معهد بلنسية د دون خوان بمدريد : ٥٩٥
 ابن مغيث : ١٧
 أبو المغيرة بن حرم (الوزير) : ١٢ ،
 ٦٩ — ٧١
 المفضل : ٣٢ ، ٣٣
 ابن مقلت ، أبو الحيار مسعود : انظر :
 أبو الحيار مسعود بن سليمان بن مقلت
 ابن مقانا الأشبوني : انظر : عبد الرحمن
 ابن مقانا الأشبوني
 مقبرة باب تافزوت : ٣٥٦
 مقبرة الخير : ٧٤
 مقبرة الربض : ٦٩
 مقبرة موعرة : ٢٧١
 المقندر بن هود : ١٧ ، ٧٨ ،
 مقدم بن معاني القبرى : ٦ ، ٢٩ ،
 ١٥٣ — ١٥٦ ، ٦١٣
 المقرى ، أبو العباس أحمد : ٨٦ ، ٨١ ،
 ١١٨ ، ١٣٢ ، ٣٠٢
 المقرزى ، تقي الدين : ٢٣٨ ، ٣١١
 مكتبة الإسكريال : ٢٠٦ ، ٢٥٧ ، ٢٧٩ ،
 ٢٨٧ ، ٣١٩ ، ٣٣٧ ، ٣٥١ ،
 ٣٥٨ ، ٤٠٢ ، ٤٥٦ ، ٥٣٣ ،
 ٦٠١ ، ٦٠٠
 المكتبة الأهلية بباريس : ٢٨٩ ، ٣١٣
 المكتبة الأهلية بمدريد : ٣٥٧ ، ٣٨٦
 مكتبة أ كسفورد : ٢٨٩ ، ٣٣٧ ، ٤٩٩
 مكتبة برلين : ١٨١ ، ٣٣٧
 المكتبة البودلية : ١٩٤
 مكتبة جوتا : ٢٨٩
 المكتبة العربية الإسبانية : ٢٧١
 مكتبة الفايح باستامبول : ٤٧٤
 مكتبة لايدن : ١٨٨ ، ٤٥٨
 مكتبة المجمع للملكي الإسباني للتاريخ : ٣١ ،
 ١٧٨ ، ٢٤٥ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ،
 ٢٨٩ ، ٤٤٣
 أبو مكتوم عيسى المروى : ٣٩٦

النفزي : انظر : أحمد بن هارون النفزي
تقفور فوكاس : ٢٣٧
الهرجوري : ٣٢٨
أبو نواس : ٥٦ ، ٣٩ ، ٥
ابن النوشريسي : انظر : أبو عمر عبد الله
ابن رشيد
ذو النون للصصري الإخيمى : ٣٢٨
بنوفى النون : ١٦
نونة فاطمة بنت ابن المثنى : ٣٧٢ ، ٣٨٦
النيسابورى : انظر : محمد بن المنذر النيسابورى

(ه)

هارون الرشيد : ٥٦ ، ٤١٣
هارون بن نصر الرطبي ، يكنى أبا الحيار :
٤٣٣

هار تويج هيرشفيد : ٥٠٠

ابن هاني : انظر : محمد بن علي بن هاني
ابن هاني : انظر : محمد بن هاني الإلييري
الإشبيلى

ابن هاني الإشبلى : انظر : محمد بن هاني

الإلييري الإشبلى

ابن هاني الإلييري : انظر : محمد بن هاني

الإلييري الإشبلى

هرمان الألمانى : ٣٦٧

هرمان در دامن : ٦١٨

هرمان الفلانى : ٥٣٩

الهروى : انظر : أبو مكتوم عيسى

هشام بن أحمد الكنانى الوقشى : ١١٦ —

١١٧

هشام بن الحكم المؤيد : ١١ ، ٦٢ ، ٦٤ ،

٦٥ ، ١٨٥ ، ٤٣٦

هشام الرضى بن عبد الرحمن : ٣ ، ٢٠٠

الهمدانى : انظر : أحمد بن سعيد الهمدانى

ابن هند ، عمرو : ٣٤

ابن الهندى القرطبى : ٤٤١

هنرى پيريس : ٣١ ، ٢٨٧

موسى بن ميمون : ١٧ ، ٢٤ ، ٣٦١ ،
٤٥٤ ، ٥٠٢

موسى الزبونى (أو الأربونى) : ٣٣٧ ،
٣٤١ ، ٣٥١ ، ٥٠٣

مولر : انظر ماركوس يوسف مولر
مونك : ٣٢٧

ميخائيليس فاسكوتيلوس : ٦٢٨

ميخائيل الأسكتلندى : انظر : ميكل سكوت
ميخائيل الفزيرى : ٢١٢

ميكل سكوت = ميخائيل الأسكتلندى :
٣٦٧ ، ٥٣٩

ميلياس فاليكروسا : ١٥٥ ، ٤٥١ ،
٤٩٨ ، ٤٩٩

ميمون بن الحجازة : ١٢٩

ابن ميمون : انظر : موسى بن ميمون

(ن)

النابغة الذبياني : ٣٢ ، ٣٣

ابن نابل ، عمر : انظر : عمر بن نابل

ابن ناجية : انظر : أبو عبد الله محمد بن ناجية

الناصر : انظر : عبد الرحمن الناصر

النباتى : انظر أبو العباس أحمد النباتى

النباهى : انظر : أبو الحسن النباهى

نجمدة الحيرى : ٢٠١

النحاس : انظر : أحمد بن محمد بن إسماعيل
النحاس

النحلي (الشاعر) : ١١٢

نزهون بنت الفلامى : ١٢٥ ، ١٦٥

نسطاس بن جريج : ٤٦٢

أبو نصر الفتح بن خافان : ٢٢ ، ٨٤ ،

٩٦ ، ١١٩ ، ٢١١ ، ٢٥٧ ،

٢٨٩ ، ٢٩٦ — ٢٩٩ ، ٣٣٦

بنو نصر (أصحاب غرناطة) : ١٣٧

ابن النفرلة : انظر : إسماعيل (صمويل)

ابن النفرلة ويوسف بن إسماعيل بن

النفرلة

الوليد بن عبد الملك : ١٧٦
 أبو الوليد أحمد بن زيدون الخزومي : ١٤ ،
 ١٥ ، ١٨ ، ٣٠ ، ٨٠ ، ٨٦ ،
 ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٧ ، ١١٩
 أبو الوليد إسماعيل بن محمد الشقندي : ٧٨ ،
 ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٦٦ ، ٢٩٩ —
 ٣٠٢

أبو الوليد بن جهور : ٨٣ ، ٨٤
 أبو الوليد بن حبيب : ٨٨
 أبو الوليد سليمان الباجي : ١٤ ، ١٧٤ ،
 ٢١٥ ، ٤٢٤ — ٤٢٦
 أبو الوليد عبد الله بن نصر الأزدي القرطبي
 المعروف بابن الفرسي : ١٢ ، ٧١ ،
 ٢٠٢ ، ٢١٠ ، ٢٦٦ ، ٢٧٠ —

٢٧٢

أبو الوليد الوقشي الطليطلي : ١٦ ، ١٧ ،
 ١٨٦
 أبو الوليد يونس بن الصغار : ٢١٥
 وهب بن ممرة : ٢٠٧
 أبو وهب عبد العلي بن وهب : ٣٢٥
 ابن وهبون : انظر : عبد الجليل بن وهبون
 المرسي

(٥)

باهرة : ١١٨
 يابسة : ١٣٥
 ياقوت الحموي : ٢٣٧
 يحيى بن إبراهيم بن مزين القرطبي : ٤١٩
 يحيى بن إسماعيل البياسي : ٤٥٧
 يحيى الجزار (الشاعر) : ١٢٢
 يحيى بن عبد العزيز المعروف بابن الخراز :
 ٤٣٤
 يحيى بن غانية البورقي : ١٢٩
 يحيى بن حكم الغزال : ٥٤ ، ٥٥ — ٥٦ ،
 ٢٨٤ ، ٢٩٦ ، ٦٠٣

هنيدة (جارية) : ٥٣
 هوتو : ٤٨٧
 بنو هود : ١٧ ، ٢٣ ، ١١٢ ، ١٢٢ ،
 ٤٥٤
 هوهشتاونن : ٦١٩
 هويه ، پير دانيل : انظر : پير دانيل هويه
 الهيم بن أحمد بن أبي غالب : ١٦٥
 ابن الهيم ، عبد الرحمن بن إسحاق : ٤٦٣

(و)

وادي آش : ٣١٩ ، ٣٤٨ ، ١٤٢
 وادي الحجارة : ٣٠٩
 الوادي الكبير : ٤٤ ، ١٢٥ ، ١٢٩ ،
 ١٣٠
 وادي لك : ١٧٥
 ابن واضح ، محمد : ٩
 واط (حصن) : ١٩٣
 ابن واقد : انظر : أبو المطرف عبد الرحمن
 ابن واقد اللخمي الأندلسي
 الوراق : انظر : محمد بن يوسف الوراق
 وشقة : ٥٧٩
 ابن وضاح : انظر : أبو القاسم بن وضاح
 وقش : ١١٦
 الوقشي ، أبو جعفر : انظر : أبو جعفر
 الوقشي
 الوقشي الطليطلي : انظر : أبو الوليد الوقشي
 الطليطلي
 الوقشي ، هشام : انظر : هشام بن أحمد
 الكنتاني الوقشي
 ابن وكيل الزاهد : انظر : أحمد بن وكيل
 الزاهد
 ابن وكيل ، عثمان : انظر : عثمان بن وكيل
 ولادة بنت المستكفي : ١٤ ، ٨٠ — ٨٤ ،
 ١٢٧
 ولبة : ٨٩

- يوحنا دمشقي : ٥٨٦
 يوحنا الصليبي : ٣٩٠
 يوحنا كيلر : ٥٣٥
 يوحنا هنزرويتنا : ٣١٣
 يوسف بن الأحمر ، أبو الحجاج (صاحب
 غرناطة) : ٣١٩
 يوسف بن تاشفين : ١٨ ، ١١٤ ، ١٢٠ ،
 ١٢٣
 يوسف الشبرلي ، أبو الحجاج : ٣٧٢
 يوسف بن الشيخ الباوي المالتي : ١٧٩
 يوسف بن إساعيل بن النفرلة : ١٠٨
 يوسف بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي :
 ١٦ ، ١١٨ ، ٢١٠ ، ٣٩٦
 يوسف بن عيسى ، أبو الحجاج : ١٨٦
 يوسف القهري : ١٩٩
 يوسف بن محمد الحمداني : ٤٣٧
 يوسف بن هارون الرمادي (أبو عمر) :
 ١٢ ، ٦١ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ١٥٣ ،
 ١٥٦
 يولوجيوس : ٥٧١ ، ٥٩ ، ٥٥
 يونس بن أحمد الحراني : ٩ ، ٤٦١ ،
 ٤٦٧
 يوهان بوكستورف : ٥٠٠

- يحيى بن ذى النون : ٢٣٩
 يحيى بن مجبر : ١٢٩
 أبو يحيى بن المعلم الطنجي : ٢٩٩
 يحيى بن هذيل : ٢٥٢
 يحيى بن يحيى الليثي : ٤
 يعرب : ١٠٦
 يعقوب بن أبا ماري : ٥٠٣
 يعقوب بن دانا : ٥٠٠
 يعقوب الفيومي : ٥٠٢
 يعقوب المصور الواحدي : ٢٣ ، ١٢٦
 يعيش بن سعيد بن محمد بن عبد الله المروف
 بابن الحجاج : ٣٩٥
 ابن يسمور ، أبو الفتح جمال الدين موسى :
 ١٣٥
 يهودا الجزيري بن شامون : ٥٠١
 يهودا بن طليون : ٤٩٩
 يهودا بن ليثي (هاليثي) : ٢٤ ، ٤٩٩
 يهودا بن داود : انظر : أبو زكريا
 ابن داود
 يهوذا الكوهن : ٥٧٥
 يهوذا بن موسى بن موسكا : ٥٧٦
 يوحنا الجودسديني : ٥٣٤
 يوحنا بن داود الإسباني : ٥٣٧ ، ٥٣٨

ب — أعلام إفريقية أو وردت بغير العربية

- Alcántara, Lafuente : ٢٥٢،١٩٨
 Abraham Halevi : ٥٧٦
 Adelardus Batense : ٥٣٤
 Alejándro de Hales : ٣٦١
 Almeida Garret : ٥٨٤
 Alpetragius : ٢٣
 Alvarez Gato : ٦٢٨
 Alvarez de Villasandino : ٦٢٩،١٥١
 Ambrosio Huici : ٢٥١
 Anselmo de Turmeda : ٥٩١-٥٨٦
 Arnaldo de Villanova : ٥٣٤
 Avicbrón : ١٢٢
 Bacon, Roger : ٥٣٤
 Banqueri, J.A. : ٤٧٥
 Bartolome Pon : ٦٠٢
 Baza : ٢٨٣
 Beaumier : ٢٥١
 Bernaldo el arábigo : ٥٧٦
 Brunetto Latini : ٥٧٢
 Bibliotheca Arabico Hispan^a : ٢٧١
 Campo de Calatrava : ٤٣٩
 Capeza de Estopa : ٩١
 Casa Montija : ٢١٦
 Cercamón : ٦١٥
 Compano di Novara : ٥٣٤
 Le comte de Poitiers : ٦١٥
 Ciullo dal Camo : ٦١٩
 Diego de Canizares : ٥٨٣
 Diego Hurtado de Mendoza : ٥١٨
 Domenico Comparetti : ٥٨٢
 Dozy, R. : ٣٠٣
 Dugat, G. : ٣٠٣
 Duns Scottus : ٤٩٣
 Eben Guefet = ابن واند : ١٦
 Estercuel : ١٨١
 Fabrizi Gerolamo da Acquapendente : ٥٣٤
 Fadrique : ٥٧٤
 Faux Turpin : ٥٣٦
 Francisco Fernández y Gonzalez : ٦٠٠
 Fortunatas, Islas : ٣١١
 Gabriel Sioneta : ٣١٣
 Galland : ٥٩٣
 Garcí Pérez : ٥٧٦
 Gerardo di Cremona : ٥٣٩
 Gil de Teblados : ٥٧٦
 Gil Vicente : ٦٢٩
 Giralda, La : ١٢٦
 Goguyer : ١٨٧
 Guillen Arremon de Aspa : ٥٧٥
 Guillermo de Auvernia : ٣٦١
 Gonzalo Sánchez de Uceda : ٥٥٠
 Herman der Damen : ٦١٨
 Herman di Dalmata : ٥٣٩
 Hermannus Alemansⁿ : ٣٦٧

- de Herrera, G.A. : ١٧٥
 Huecas = بلد ، وقش : ١١٦
 Huet, Pierre Daniel : ٥٣٤
 Huector Vega = بلدة ، وبده : ١٩٢
 Instituto de Valencia de don Juan : ٥٩٥
 Isidoro Gil : ٥٨٤
 Jaime el Conquistador : ٢٧٧
 Jacopone di Todì : ٦٢٠
 Jehudá el Cohen : ٥٧٥
 Jil Pérez : ١٩٧
 Jiménez de Urrea : ٦٢٨
 Johannes Buxtorf : ٥٠٠
 Johannes von Goddesden : ٥٣٤
 Johannes Hispanus Abendaud : ٥٣٧
 Jorge Manrique : ١٣٢
 Juan del Encina : ٦٢٩
 Juan Hesronita : ٣١٣
 Juan Pérezy : ٥١٣
 Juan de Timoneda : ٥٨١
 Krehl, L. : ٣٠٣
 Lafuente Alcántara : ٢٥٢، ١٩٨
 Leonardo Pisano : ٥٣٤
 Lope de Vega : ٥٩٤ ، ٥١٣
 Lorenzo di Medicis : ٦٢٠
 Lunel : ٢٦
 Marcos Pérez : ٥٨٣
 Mariano Gaspar Rímero : ٢٥١
 Mariano de Pano y Ruala : ٥٢٢
 Mauríllus Hispanus : ٣٦٨
 Michael Scottus : ٥٣٩ ، ٣٦٧
 Michaelis de Vasconcellos : ٦٢٨
 Millas Vallicrosa : ١٥٥
 Moine de Montaudon : ٦١٧
 Morlay : ٥٣٤
 Moses Sefardi : ٥٧٩
 Otto 1 : ٤٨٧
 Pedro del Real : ٥٧٦
 Pedro el Venerable : ٥٧٤ ، ٥٣٩
 Pierre Daniel Huet : ٥٣٤
 Pinto : ١٨٧
 Poccocke : ٣٣
 de Poitiers, le comte : ٦١٥
 Pou : ٣٥١
 Reiske : ٣٣
 Robert de Retines : ٥٣٩
 Saint Jean de la Croix = San Juan de la Cruz : ٣٩٠
 San Eulogio de Córdoba : ٥٧١
 Schiaparelli : ٥٤١
 Seco de Lucena : ٢٢٠
 Sorrión : ٢٧٣
 Sylvestre de Sacy : ٣٣
 Tirso de Molina : ٢٢٥
 Turmeda, Anselmo de : ٥٩١-٥٨٦
 Vélez = بلد ، بلش : ٩٢
 Véleza : ٢٧٦
 Villasandino, Alvarez de : ٢٢٩، ١٥١
 Viterbo : ٥٨٤
 Wright, W. : ٣٠٤
 Yehudá Ben Moseh : ٥٧٦
 Zag de Toledo : ٥٧٦

٢ - فهرست الكتب

(١) كتب عربية أو وردت بالعربية

أخبار شعراء الأندلس ، لابن ماء السماء :
٢٨٧

أخبار الشعراء بالأندلس ، لمحمد بن هشام
ابن سعيد الخير المرواني : ٢٨٦

أخبار الفتنة الثانية بالأندلس ، لأبي الحسن
السالمي : ٢٤١

أخبار القرطيين ، لابن الطليسان : ٢٨٢

أخبار القرطيين ، لعياض بن موسى : ٢٨٣

أخبار قضاة قرطبة ، لابن بشكوال : ٢٧٤

أخبار القضاة والنقهاء بقرطبة ، لابن عفيف :
٤٢٣

أخبار مكة والمدينة وفضلهما ، للهروي :
٣٩٦

الأخبار المجموعة : ٨ ، ١٩٨ - ٢٠٢

أخبار ملوك الأندلس ، لأحمد بن محمد الرازي :
١٩٧

اختصار المبسوط ، لابن رشد (الجد) :
٤٢٧

اختصار مشكل الآثار ، لابن رشد (الجد) :
٤٢٧

اختلاف الموطآت ، لأبي الوليد الباجي :
٤٢٦

الأخلاق والسير ، لابن حزم : ٢١٦ ،
٢١٧ - ٢١٨

أدب الكتاب ، ليدرو ألفونسو : ٢٨ ،
٦٢٦ . وانظر : سلك الكتاب

الأدوية المفردة ، للإدريسي : ٣١٣

(١)

آداب المعلمين (المعلمين ؟) ، لابن هفيف :
٤٢٣

أبحاث دوزي : ٢٩٣

ابن الملك والبرويش ، لأبراهام بن حسداي :
٥٨٥

الإطال ، لابن حزم : ٢١٨

إتحاف السادة ، للسيد مرتضى : ٥٦٦

اتصال العقل الفعال بالإنسان ، لابن رشد :
٣٥٧

الإحاطة بتاريخ غرناطة ، لابن الخطيب :
١٣١ ، ٢٥٧

الاحتفال في تاريخ أعلام الرجال ، لابن
عفيف : ٢٧٥

إحصاء العلوم ، للقارابي : ٣٦٣ ، ٥٣٨

إحكام الفصول في أحكام الأصول ، لأبي الوليد
الباجي : ٤٢٥

أحكام القرآن ، لابن أمية الحجاري : ٤٣٣

أحكام النبي ، لابن الطلاح : ٤٢٨

الأحكام ، لعبد الحق الإشبيلي : ٣٩٦

الأحوال ، للدون خوان مانويل : ٥٠٠ ،
٥٨٥

أخبار أرتلباس (في تاريخ افتتاح الأندلس
لابن القوطية) : ٢٠٤ - ٢٠٦

أخبار دولة المتونة ، لأبي حامد بن تاشفين :
٢٤١

وضعنا هذه العلامة (*) إلى جانب الكتب غير العربية ، وهي تدل على أن الاسم الأص

للكتاب وارد في فهرست الكتب الإفرنجية .

- السيد البطلوسي : ١٧٧ ، ٣٣٤
 * أقوال كتاب العرب في بني عباد ، لدوزي :
 ٢٩٣
 الاكتفاء ، لابن المهيم : ٤٦٣
 الإكليل المشتغل على ذكر عبد الجليل ،
 لابن بسام : ٢٨٩
 ألف ليلة وليلة : ٢٦ ، ٢٨ ، ٦٠ ، ١٩٥ ،
 ٥٢٥ ، ٥٨٣ ، ٥٩٢ ، ٥٩٩
 الألفية ، لابن مالك : ١٨٧
 الإلماع في أصول علم الحديث ومبادئه ،
 للقاضي عياض : ٣٩٨
 الأمالي ، لأبي علي الغالي : ٦٧ ، ١٧٣ ،
 ٣١١
 الإمامة والخلافة ، لابن حزم : ٢٢٠
 الأمثال ، لأبي الوفا مياهر بن فاتك : ٥٧٧
 * الأمثال ، لسائست دثريال : ٥٨٠ ، ٥٨٢
 الأم ، للشافعي : ١١
 الأمير والدرويش ، لأبراهام بن صمويل :
 ٥٠١
 الإنباه ، لابن الحذا : ٤٢٢
 الإنجيل : ٢١٩
 أسباب مشاهير أهل الأندلس ، لأحمد بن
 محمد الرازي : ١٩٧
 الأنساب ، لسمعان : ٣٩٨
 الأنساب ، لقاسم بن أصبغ : ٣٩٥ ، ٤٢٠
 الإنصاف في التنبه على الأسباب الموجبة
 لاختلاف الأئمة ، لابن السيد البطلوسي :
 ٣٣٤
 الأنوار السنية ، لابن حرب : ٤٢٩
 أنوار الأفكار ، للانصاري الحزرجي :
 ٢٨١
 الأوراق ، لصلوي : ٢٨٦
 الإيصال إلى فهم كتاب الحصال ، لابن حزم :
 ٢١٨
 الإيضاح ، لفارسي : ١٨١
 الإيحاء في الفقه للباجي : ٤٢٥
 الأئمة من المصنفين ، لمارك بن مروان : ٤٠١

- الأدوية المفردة ، لغافق : ٤٧٢
 الأدوية المفردة ، لابن واند : ٤٦٩
 * أراجات هابوشم ، لموسى بن عزرا : ٤٩٩
 أرجوزة ابن سينا : ٥٤٢
 أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ،
 للقرى : ١٣٢ ، ٢٨٣
 الاستذكار ، لابن عبد البر : ٣٩٧
 الاستكمال ، للمؤمن بن هود : ٤٥٤
 الاستيباب في أسماء الأصحاب ، لابن عبد البر :
 ٣٩٧
 الاسم والسمى ، لابن باجة : ٣٣٧
 أسماء رجال الكتب الستة ، لعمر بن
 نور الدين : ٤٠٠
 الأسماء ، لحامد الراوية : ٣٤
 الإشارة في أصول الفقه ، للباجي : ٤٢٦
 إصلاح الأخلاق ، لابن جبرول ، ٤٩٤ ،
 ٥٠١
 * الأصول الإسلامية للكوميديا الإلهية ،
 لميجيل آسين بلانوس : ٥٥١
 * أصول القصة ، لمندذ پلايو : ٥٩٥
 * أصول الكلمات ، لإيزودور الإشبيلي :
 ٣١١
 إعتاب الكتاب ، لابن الأبار : ٢٧٨
 الاعتماد على ما صح من أشعار المعتمد بن
 عباد ، لابن بسام : ٢٨٩
 الإعلام ، للرشاطي : ٣٩٨
 لإعلام الأعلام ، لابن الخطيب : ٢٥٨
 الإعلام المبين في المفاضلة بين أهل صفين ،
 لابن دحية : ٢٨٤
 الأغاني ، للأصفهاني : ١١٨
 اقتراح الأندلس ، لابن القوطية : ٢٩ ،
 ٢٠٢ - ٢٠٦
 الإنصاح ضمن عرف بالأندلس من الإصلاح ،
 لابن الحاج البليقي : ٣٠٦
 أفق الدنيا ، للرمقالي : ٤٥٢
 الاقتضاب في شرح أدب الكتاب ، لابن

- تاريخ الأندلس ، لعيسى بن أحمد بن محمد
الرازي : ١٩٨
- تاريخ المرية وبجاية ، لابن الحاج البلتيق :
٣٠٥
- تاريخ بني أمية في الأندلس ، لماوية بن هشام
الشينسي : ٢١٠
- تاريخ بني نصر ، لابن الفارق : ٢٥٢
- تاريخ دمشق ، لابن عساكر : ٢٨٥
- تاريخ شعراء الأندلس ، لابن القرصى :
٢٧١
- تاريخ شعراء الأندلس ، لابن ماء السماء :
٢١٠
- تاريخ صلحاء الأندلس ، لابن الطليسان :
٢٨٢
- تاريخ الطبري : ٢١٣
- * تاريخ العرب ، للذريق الطليطلي : ٥٧٢
- تاريخ علماء الأندلس ، لابن القرصى :
٢٧٣ ، ٢٧١ ، ٢٠٣
- تاريخ علماء البيرة ، لابن مفرج : ٢٨٥
- تاريخ فقهاء البيرة ، لأبي الاصبح عيسى
ابن محمد : ٢٦٧
- تاريخ فقهاء قرطبة ، لابن حيان : ٢٠٨
- تاريخ قضاء قرطبة ، للخصفي : ٢٦٦ ، ٢٦٧
- تاريخ الكتاب الأندلسيين ، لأبي عمرو
ابن عيشون : ٢٨٢
- تاريخ مالقة ، لابن عسكر : ٣٠٥
- تاريخ مكة ، للزراق : ٣٣
- التاريخ ، لأبي جعفر الخزرجي : ٢٤٠
- التاريخ ، لعبد الملك بن حبيب : ١٩٤
- * التاريخ العربي ، ليدرو دل كرال : ١٩٨
- التبصرة ، لابن مسرة : ٣٢٨ ، ٣٢٩
- التبيان عن الحادثة الكائنة على غرناطة ،
لابن البانة الداني : ٢٤١

(ب)

- الباهر ، لابن الحداد البصرى : ٤٠١
- بد المعارف ، لابن سبعين : ٣٨٨
- بداية المجتهد ، لابن رشد : ٣٥٨
- البديع في وصف الريمع ، لأبي الوليد بن
حبيب الحميري الإشبيلي : ٢٨٧ ، ٢٨
- برلما ورواصف (يوسافات) : ٢٨ ،
٥٠٠ ، ٥٠١
- البشرى في تأويل الرؤيا ، لابن الحذا :
٤٢٢
- بنية المنتس ، للضي : ٢٧٦
- البلاغة والشعر ، لأرسطو : ٥٣٩
- بهجة المجالس وأنس المجالس ، لابن عبد البر :
١٧٧
- * بوريات د پوريداس : ٢٨ . وانظر :
سر الأسرار
- * بونوم : ٢٨
- البيان والتحصيل ، لابن رشد (اجد) :
٤٢٧
- البيان المغرب ، لابن عذارى : ٢٤٩
- البيان الواضح في الملم الفادح ، لابن عقمة :
٣٠٥ ، ١١٦

(ت)

- تاج الفرق في تحلية علماء المشرق ، للبلوى :
٣١٩
- التاج المحلى ، لابن الخطيب : ٢٥٨^١
- * تاريخ إسبانيا العام ، لألفونسو الحكيم :
١١٧ ، ١١٦
- تاريخ الأندلس ، لابن الحكيم الرندي :
٢٥٢

- تفسير الموطأ ، لابن مزين : ٤٢٠
 التفسير ، لابن جابر : ٥١٢
 تقويم الأسقف ريكوندو :
 تقويم الذهب ، لأبي الصلت بن أمية الداني :
 ٣٣٤
 تقويم ربيع بن زيد : ٢٠٧
 التقويم القرطبي ، لمريب بن سعد : ٤٦٥ ،
 ٤٨٧
 تقييد المهمل وتغيير المشكل ، للجبالي : ٤٠٢
 التكملة لكتاب الصلة ، لابن الأبار : ٢٧٤
 التلخيص في أعمال الحساب لابن البناء الفرناطلي :
 ٤٥٧ ، ٢٥
 التلود : ٢٨ ، ٥٧٤
 التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ،
 لابن عبد البر : ٣٩٧
 التنقيح ، لابن جناح : ٤٨٩
 تهافت التهامت ، لابن رشد : ٣٥٧
 تهذيب صحيح مسلم ، لابن حرب : ٤٢٩
 التوراة : ٢١٩
 التوطئة ، للشلوبيني : ١٨٦

(ث)

ثمار علم العدد ، لسلمة المجرطلي : ٤٤٨

(ج)

- جامع بيان العلم ، لابن عبد البر : ٤٣٥
 * جامع الحجيج في جدال الكافرين ، لتوما
 الأكويني : ٥٤١
 الجامع لصفات النبات ، للإدرسي : ٤٧٤
 الجامع لمفردات الأغذية والأدوية ، لابن
 البيطار : ٤٧٩ - ٤٨١
 * جسيم ذاتي : ٥٥٣
 حذوة القنيس ، للحميدي : ٢٧٦
 الجزولية ، لأبي موسى بن عيسى الجزولي :
 ١٨٦

- التبيين لمسائل المهندس ، للجاحي : ٤٢٦
 * التتري والنصراني ، لرايموندو لوليو :
 ٥٥٠
 ثنية التوراة ، لموسى من ميمون : ٥٠٢
 تجويد الصحاح الستة ، للهروي : ٣٩٦
 تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرص الوافد ،
 لابن خاتمة : ٣٠٦ ، ٤٨١
 تحفة الأديب ، لتورميذا : ٥٨٧
 تحفة الأصحاب ونجدة الإعجاب ، لأبي حامد
 الفرناطلي : ٣١٢
 تحفة الحكام : لابن عاصم : ٤٢٩
 تحفة القادم ، لابن الأبار : ٢٧٩
 تحفة الكبار في أسفار البحار ، لأبي حامد
 الفرناطلي : ٣١٢
 * تحكيموني : ليهودا الجزيري : ٥٠١
 التخليص على أسانيد الموطأ ، لابن القرطبي
 الماتقي : ٣٩٩
 تدبير المتوحد ، لابن باجة : ٣٣٧ ، ٣٤١ -
 ٥٤٠ ، ٣٤٧
 ترتيب المدارك في معرفة أصحاب مالك ،
 لعياض بن موسى : ٢٨٣ ، ٣٩٨
 ترجمان الأشواق ، لابن عربي : ٣٧٤ ،
 ٥٤٤ ، ٥٤٩
 التسديد إلى معرفة التوحيد ، للباحي : ٤٢٥
 تسمية الرجال المذكورين في الموطأ ، لابن
 مزين : ٤٢٠
 التعاليم الصالحة ، لتورميذا : ٥٨٧
 تعديل الكواكب ، لسلمة المجرطلي : ٤٤٨
 التعديل والتجريح ، للباحي : ٤٢٥
 التعريف والإعلام ، للسهيلي : ٣٩٩
 التعريف بمن ذكر في موطأ مالك ، لابن
 الحذا : ٤٢٢
 التعريف لمن عجز عن التأليف ، لزهراوي :
 ٤٦٦
 التفريع في الفقه ، لابن الجلاب : ٥١٣
 تفسير الحوفي لكتاب الكسان : ١٨٥

- حياة الحيوان ، للدميري : ٣٩
 * حياة المستهترات ، لبرانتوم : ٥٨٤
 * الحيوانات ، لولويو : ٥٩٥
 حتى بن يقظان ، لابن طفيل : ٢٨ ،
 ٣٤٩ — ٣٥٣ ، ٥٤٠ ، ٦٠١

(خ)

- الحصال الجامعة ، لابن حزم : ١٤ ، ٢١٩
 الخطب وسير الخطباء ، لابن الحذا : ٤٢٢
 خلق الجنين وتغيير الحبال والولود ، لعريب
 ابن سعيد : ٢٠٧ ، ٤٦٥
 * خنجر الإيمان ضد المسلمين واليهود ،
 لرايموندو مريتني : ٣٦٨ ، ٥٤١

(د)

- الدرج ، لابن سبعين : ٣٨٨
 درر النور في شعراء الأندلس ، لرشيد
 الدين محمد بن إبراهيم الطواط : ٢٧٢
 الدررة الفاخرة ، لابن عربي : ٣٧٤
 الدررة المضية ، لابن سبعين : ٣٨٨
 دلالة الحائرين ، لموسى بن ميمون : ٣٦٧ ،
 ٥٠٢
 الديارات ، للشابثي : ٣٩
 الديوان ، لابن عربي : ٣٧٦ و ٣٧٧
 الديوان ، لابن الهندي : ٧١
 * ديوان باينا : ٦٢٨
 * ديوان بلايتيو : ٦٢٧
 ديوان ابن حديس : ٩٨
 * الديوان العام ، لهرفاندو دل كاستيليو : ٦٢٨
 ديوان ابن قزمان : ٢٢ ، ١٥٧ ، ٦١٣ ،
 ٦١٤
 ديوان التنتي : ١٩٠

- الجل ، لقرطبي : ١٨١
 جل النحر العبراني ، لأبي زكريا حيوج :
 ٤٨٩
 جهرة أشعار العرب ، لقرشي : ٣٢ ، ٣٣
 جهرة أنساب العرب ، لابن حزم : ٢٢٠
 * جورج ذندان ، لمولير : ٥٨٠

(ح)

- * الحب العايب ، لحوان رويث : ٦٢٥ — ٦٢٦
 حجاب خلفاء الأندلس ، لميسى بن أحمد
 ابن محمد الرزالي : ١٩٨
 الحجة والدليل في نصرة الدين القليل ،
 ليهودا هاليقي : ٤٩٩ . وانظر :
 الكتاب الحزري
 حدائق (أو حديقة) الأزاهر ، لابن
 طاصم : ٤٣٠
 الحدائق ، لابن السيد البطليوسي : ٣٣٤
 الحدائق ، لابن فرج الجياني : ٦١ ، ٢٨٧ ،
 ٢٩١
 حديقة الارتياح ، لابن مسلمة : ٢١٢
 الحديقة في معنى المجاز والحقيقة ، لموسى بن
 عزرا : ٤٩٩
 الحروف ، لابن مسرة : ٣٢٩
 حساب الثلاثات ، لجلابر بن أملح : ٤٥٦
 الحضارة الإسلامية في القرن الرابع ، لآدم
 ميتز : ٣٩
 * حكاية الأمير إيراستو ، ليدرو هورتادو دلا
 قمبرا : ٥٨٣
 حكم الفلاسفة ، لحنين بن إسحاق : ٥٧٨
 * الحكمة ، لحاييم الأول : ٥٧٧
 * الحكمة الإلهامية ، لابن عربي : ٣٧٦
 الحكمة في مخلوقات الله ، للقرظالي : ٤٩٦
 الحلال المرقومة ، لابن الخطيب : ٢٥٨
 الحلة السراء ، لابن الأبار : ٢٧٨
 الحاسة ، لأبي تمام : ٣٤
 * الحياة الجديدة : لدانتي : ٧٥ ، ٥٧٣

رسائل إخوان الصناء : ١٧ ، ٣٣٣ ،
٤٥٥ ، ٤٩٨ ، ٥٨٨

روح الشعر ودوح الشجر ، لابن الجلاب

الفهرى : ١٢٦

الروص الأتف ، لأبي القاسم السهيلي : ١٨٧ ،
٣٩٨

روض القرطاس ، لابن أبي زرع : ٢٥١
الروص المطار في خبر الأقطار ، لعبد المتعم

الحميري : ٣١١

ريحان الألاب وربعان الشباب ، لابن المواعيني :

١٧٨

ريحانة الكتاب ، لابن الخطيب : ٢٥٩

(ز)

زاد المسافر ، لأبي بحر صفوان بن إدريس :

١٣٠ ، ٢٩٩

زهر البساتين ، لابن الطيلسان : ٢٨٢

الزهرة ، لابن داود الأصفهاني الظاهري :

٤٣ ، ٦١ ، ٢٨٧

زينة المجالس ، لابن عبد البر : ١١٨

(س)

سراج الأدب ، لابن أبي الحصال : ١٧٧

سراج الملوك ، للطرطوشي : ١٧ ، ١٧٤

— ١٧٦ —

السراج ، لموسى بن ميمون : ٥٠٢

السراج في الخلاف ، للبايجي : ٤٢٦

سفرها خزر ، ليهودا هاليقي : ٤٩٩

سلك الجواهر في ترسيل ابن طاهر ، لابن

بسام : ٢٨٩

سلك الكتاب ، لپندرو أوزنو : ٥٧٩

السوان الطاع ، لابن ظفر : ٥٧٨

السماء والعالم ، لابن رشد : ٥٣٩

السماع وإفادة التصحيح ، لابن رشيد السبتي :

٤٠٢

* ديوان المعجرات ، لحشاو د رتيو : ٥٩٦

ديوان المحضات ، لابن عيد ربه : ٦٣

(ذ)

ذخائر الأعلاني ، لابن عربي : ٣٧٥

الذخيرة في محاسن أهل الحزيرة ، لابن بسام :

١٢٥ ، ٢٨٧ ، ٢٨٩

* ذكريات بلد الوليد ، لتوريليا : ٥٩٧

الذيل المذبل ، لابن الجسور : ١٧٤

(ر)

رايات المرزبن وشارات الميزبن ، لابن سميد

المغربي : ٣٠ ، ١٣٥ ، ٢٤٦

* ربايعات مملكة ميورقة ، لتورميديا :

٥٨٧

الرحلة المغربية ، للعبدري : ٣١٨

الرد على جالينوس ، لغض الدين الرازي :

٥٤٢

رسالة الاسطرلاب ، لسلمة الجريطي : ٤٤٨

رسالة الأنوار ، لابن عربي : ٣٧٥

رسالة التابعين ، لابن حيان : ٢٠٨

رسالة التوابع والزوابع ، لابن شهيد : ٧٣

رسالة ابن حزم : ٢٤٧

رسالة السجن والمسجون ، لابن غصن :

٢١٢

رسالة الشقندي : ٣٠ ، ٢٩٩

رسالة الغراء ، لموسى بن ميمون : ٥٠٢

رسالة الفقيران ، لأبي العلاء المعري : ٥٥٢

رسالة في الردة ، لموسى بن ميمون : ٥٠٢

رسالة في العمل بالصفحة ، للزرقالي : ٤٥٢

الرسالة المصرية ، لأبي الصلت أمية الداعي :

١٢٥

رسالة النفس ، لابن رشد : ٥٣٩

رسالة الوداع ، لابن باجة : ٣٣٧ ،

٣٢٨ — ٣٤٩

(ص)

- صحيح البخارى : ٣٩٤
 صحيح مسلم : ٣٩٤
 الصديق والمحبوب ، لرايموندو لوليو :
 ٥٤٣
 صفة قرطبة وخططها ، لأحمد بن محمد
 الرازى : ١٩٧
 الصلاة ، لابن بشكوال : ٧١ ، ٢٧٣
 * الصلاة الإسبانية : ١٩٨
 صلاة الصلاة ، لابن الزبير : ٢٧٦

(ط)

- الطالع السعيد فى تاريخ بنى سعيد ، لعلى بن
 سعيد : ٢٤٧
 الطبقات ، لابن أبى دليم : ٤٢٠
 طبقات الأمم ، لصاعد الطليطلى : ٢٣٩ ،
 ٣٣٢
 طبقات الأولياء ، لعمر بن نور الدين : ٤٠٠
 طبقات أئمة الفقهاء ، لابن فيره : ٤٠٢
 طبقات الشافعية الكبرى ، للسبكي : ٢٣٧
 طبقات كتاب الأندلس ، للأقشطين : ٥٠
 طبقات المحدثين ، لابن فيره : ٤٠٢
 طبقات النحويين واللغويين ، لابن خزرج :
 ٢٧٥
 الطبيعة ، لابن سينا : ٥٣٧
 طبيعة العدد ، لساعة الجريطلى : ٤٤٩
 طرفة مصر فى تاريخ دولة بنى نصر ، لابن
 الخطيب : ٢٥٨
 طريقة عمل الاسطراب ، للزرقالى : ٤٥٢
 طوق الحمامة لابن حزم : ١٤ ، ٧٤ ، ٧٥ ،
 ٢٢٩ ، ٢٢٦ — ٢٣٦

(ح)

- العالم ، لأبى على القالى : ١٧٣

- سطح الجمان وسقيط المرجن ، لابن الإمام :
 ٢٩٩
 سطح الآلى ، للبكرى : ٣١١
 السندباد : ٢٨ ، ٥٧٤ ، ٥٨٠ ،
 ٥٨٢ ، ٦٢٦
 السنن الأبين والمورد الأيمن ، لابن رشيد
 السبكي : ٤٠٢
 السنن وأحكام القرآن ، لقاسم بن أصبغ :
 ٩٣٥
 سنن الصالحين ، للبايجى : ٤٢٦
 سنن المنهاج وترتيب الحاج ، للبايجى :
 ٤٢٥
 سيرة النبي ، لابن هشام : ٣٣

(ش)

- الشجرة ، لابن مفرج : ٢٨٥
 شجرة الحكمة ، لصاعد بن فتحون : ٣٣١
 شرح آية الوصية ، للسهيلى : ٣٩٩
 شرح أسماء العقار ، لابن ميمون : ٤٧٤
 شرح ابن بدرون للقصيدا المبدونية : ١١٩ ،
 ١٧٨
 شرح فى الجمل ، للسهيلى : ٣٩٩
 * شرح الرمز ، لرايموندو صرتين : ٥٤١
 شرح كتاب الحكم ، لابن عباد : ٣٩٠
 شرح لرسالة الحيوان ، لابن رشد : ٣٥٥
 شرح المنهاج ، للبايجى : ٤٢٦
 شرح الموطأ ، للبايجى : ٤٢٥
 شعر الخلفاء من بنى أمية ، لعبد الله بن مغيث
 الأنصارى : ٢٨٦
 الشعر والشعراء ، لابن تقيية : ٣٥
 * شعر عرب إسبانيا وصقلية وفنهم ، للبارون
 دى شاك : ٥٠
 شفاء الأمراض فى انتهاك الأعراض ، لابن
 فرج الإلبيرى : ١١٣
 الشفا بترريف حقوق المصطفى ، للمقرى :
 ٢٨٣

(ف)

- العالم ، لمحمد بن أبان بن سيد القمي :
١٨٩
العبر وديوان المتدا والخبر ، لابن خلدون :
٢٦٠
مخالة المنجز وبتداهة المستوفز ، لصفوان بن
إدریس : ٢٩٩
* المعجائب ، لرايموندو لوليو : ٥٨٢
عدة السننجز وعقلة المستوفز ، لعلي بن
سعید : ٢٤٧
العقد الفريد ، لابن عبد ربه : ٨ ، ١٥٣ ،
١٦٩ — ١٧٢
العلوم الفاخرة ، لابن مخلوف : ٥٦٦ ،
٥٧٠
العمدة ، لابن رشيق : ٣٩
عنوان الرقصات ، لعلي بن سعید : ٢٤٦
* هود على ملحمة رولان ، لبواسوناد :
٦١١
عيون الأثر ، لابن سيد الناس : ٤٠٠
عيون الإمامة ونواظر السياسة ، لأبي طالب
الرواني : ٢٧٥
عيون الأنباء ، لابن أبي أصيبعة : ٤٧٩
العيون (أو الفنون) الستة في أخبار سبعة ،
لعلي بن موسى : ٢٨٣

(غ)

- * غابة الطالمة المتنوعة ، ليروميشيا : ١٦٩
غاية الحكيم ، لسلمة المهرطلي : ٤٤٩
غرائب أخبار السندين ، لابن الطيلسان :
٢٨٢
غرائب حديث مالك ، لعقاسم بن أصبغ :
٤٢٠
الغرة الطالمة في شعراء المائة السابعة ، لعلي
ابن سعید : ٢٤٧
الغوامض والمبهمات ، لابن فيره : ٤٠٢

- فتح مصر والأندلس ، لابن عبد الحكم :
١٩٦
الفتوحات المسكية ، لابن عربي : ٣٧٦ ،
٣٧٧ — ٣٧٩ ، ٥٤٧
الفرائض ، لموسى بن ميمون : ٥٠٢
فرحة الأتقيس ، لابن غالب : ٢٤٠
* فردوس دافقي : ٥٥٥
فصل المقال ، لابن رشد : ٣٥٧
الفصل في الملل والأهواء والنحل ، لابن حزم :
١٤ ، ٢١٩ ، ٢٢١ — ٢٢٩
القصوص ، لصاعد البغدادي : ٦٧
قصوص الحكم ، لابن عربي : ٣٧٦
فضائل أهل المغرب ، لابن حزم الفانقي :
٢٤٢
فضائل بني أمية ، لعقاسم بن أصبغ : ٢٩٥
فضائل قریش ، لعقاسم بن أصبغ : ٣٩٥
فضل النعم ، لأبي حيان الترناطي : ١٨٩
فقهاء قرطبة ، لابن عبد البر النيرى : ٢٦٧
الفلاحة ، لابن العوام : ٤٧٥ — ٤٧٨
فهرست ابن خير : ٢٦٦ ، ٢٨١
* فهرس المدونات في المكتبة المسكية بمدرید :
١٩٧
فوات الوفيات ، لابن شاکر الکتبي :
٣٨٨
الفوائد الفقهية ، لابن حرب : ٤٢٩
الفوائد المنتخبة ، لابن الحكيم الگمی :
٢٨٢
الفوائد المنتخبة والحسكيات المستفربة ، لابن
بشکوال : ٢٧٤

(ق)

- القبالة : ٢٨ ، ٥٧٤

الكتاب المنظري ، آذر بن الأبيص :
١١٨ ، ١٧٨ ، وأبو : المنظري
الكتيبة الكامنة ، لابن الحبيب : ٢٥٨
*الكريتيكون ، لبلتازار حرايتان : ٢٨ ،
٦٠٢ ، ٦٠١

كشف الأسرار (الأستار ٢) عن علم وضع
حروف الجبار ، لقلصادي : ٤٥٨
كشف الحلياب عن علم الحساب ، لقلصادي :
٤٥٨

كشف الظنون ، لحاجي خليفة : ٢١٠
الكشف عن مناهج الأدلة ، لابن رشد :
٣٥٧

كلام في الأسطوانات ، لابن باجة : ٣٣٧
الكليات في الطب ، لابن رشد : ٣٥٣ ،
٤٦٩ — ٤٧١

كليلة ودمنة : ٢٨ ، ٥٥٠ ، ٥٧٤ ،
٥٨٠ ، ٥٨١ — ٥٨٢ ، ٥٩٣ ،
٦٢٦

الكامل والتمام ، لابن الهيثم : ٤٦٣
*الكند لوكانور ، للدون خوان مانويل :
٥٨٠ ، ٥٨٢ ، ٥٨٤ ، ٥٨٥
*الكوميديا الإلهية ، لدانتي : ٢٧ ، ٥٤٨ ،
٥٥١ — ٥٧٣

الكون الأصغر ، لابن صديق : ٤٩٨

(ل)

اللائي ، للبكري : ١٧٧
اللائي المصنوعة في الأحاديث الموسوعة ،
للسيوطي : ٥٥٧
اللحة البدرية في الدولة النصرية ، لابن
الخطيب : ٢٥٨
*الليالي العشر ، لبوكاشيو : ٣٠٦ ، ٥٨٠

(م)

المآثر العاصرية ، لابن حيان : ٢٠٨

المدح المملئي في التاريخ المجلي ، لملي بن سعيد :
٢٤٧
القرآن : ٤٠٢ ، ٤٠٤ ، ٢٨ ، ٣٦ ، ١٧٧ ،
٢١٩ ، ٣٢٥ ، ٥٣٩ ، ٥٤٢ ،
٥٧٤ ، ٥٦٦

قصص الأنبياء ، للشعالي : ٥٥٣

قصة زياد الكناني : ٥٩٩

*قصة العارس السفار ، لفراند مرهينث :
٥٩٨

القصيدة المبدونية ، لابن عبدون : ١١٨

القصيدة المقصورة ، لحازم القرطاجني : ١٣٣

قلائد العيان ومحاسن الأعيان ، لابن خاقان :
١٢٥ ، ٢٩٧ ، ٣٣٦

قول في اتصال العقل بالإنسان ، لابن باجة :
٣٣٨

(ك)

*الكافر والعلماء الثلاثة ، لرايموندو لوليو :
٥٠٠ ، ٥٠٠

الكافية الشافية ، لابن مالك : ١٨٧

الكامل ، لأبي العباس المبرد : ١٨٩

كاثثة ميورقة وتقاليد العدو عليها ، للمخزومي :
٣٠٥

الكتاب الجزري ، لهاليفي : ٢٦ ، ٥٠٠ ،
٥٠١

الكتاب الرجاري ، للإدرسي : ٣١٣

*الكتاب السعيد في عجائب الدنيا ، لرايموندو
لوليو : ٥٥٠

*الكتاب انشقوبي ، لعيسى بن حابر : ٥٠٨

كتاب العين ، للخليل بن أحمد : ١٨٩ ،
١٩٠

كتاب في جمع ما يتضمنه كتاب مسلم والبخاري

والموطأ والسنن والنسائي والترمذي ،

لهروزي : ٣٩٦

- المرشد في السكهل ، للغانقي : ٤٧٢
 مراكز الإحاطة ، لبدر الدين البشتكي المصري :
 ٢٥٧
 صروج الذهب ، للمسعودي : ٥٩٢ ، ٥٩٣
 الزهر في علوم اللغة ، للسيوطي : ٣٣
 المساحة المجهولة ، لأحمد بن نصر : ٤٤٧
 مسالك إفريقية وممالكها ، للوراق : ٣٠٩
 المسالك والممالك ، للبكري : ٣١٠
 الاستجداد من فعاتل الأجواد ، للفتوحى :
 ٢٨٧
 المستقصية ، لابن مزين : ٤٢٠
 للمستلحق ، لابن جناح : ٤٨٩
 مسند ابن أبي شيبه : ٤٠٧
 المسهب في غرائب المغرب ، للحجاري :
 ٢٤٣ ، ٢٧٢
 مشاهد الأسرار ، لابن عربى : ٣٧٥
 المشتمل في الشروط ، لابن أبي زمنين :
 ٤٢١
 المشرق في حلل المشرق ، لعلى بن سعيد :
 ٢٤٥
 المطرب من أشعار أهل المغرب ، لابن
 هجية : ٢٨٤
 مطمح الأنفس ومسرح الناس ، لابن
 خاقان : ٢٩٧
 المظفرية : ١٦
 المعارف ، لابن قتيبة : ٣٢٤
 المعارف في أخبار كورة البيرة ، لابن مطرف
 الفسائي : ٢٨٦
 المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، لعبد الواحد
 المراكشى : ٢٤٨
 معجم الأدباء ، لياقوت : ٣٣
 المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي على الصدقي ،
 لابن الأبار : ٢٧٤ ، ٢٧٩
 معجم ما استعجم ، للبكري : ٣١٠
 العرب في عاसन المغرب ، لابن حزم
 الغانقي : ٢٤٢
- ما بعد الطبيعة ، لابن رشد : ٣٥٩
 ما وراء الطبيعة ، لابن سينا : ٥٣٧
 المباحث المشرقية ، لفخر الدين الرازى :
 ٥٤٢
 المتين ، لابن حيان : ٢٠٩ — ٢١٠
 * محادة الحمار للأب أنسيلمو تورميديا :
 ٥٨٧ — ٥٩١
 مجموع في رجال الأندلس ، لابن سيداله :
 ٢٧٥
 * مجموعة مخطوطات خيل : ٥٩٥
 عاसन المجالس لابن العريف : ٣٩٦
 عاشرات الأبرار ، لابن عربى : ٣٧٩
 الحاورة والمناكرة ، لوسى بن عزرا :
 ٤٩٨
 الحكم والمحيط الأعظم ، لابن سيده : ١٩٠
 الحلى في الخلاف العالى في فروع الشافعية ،
 لابن حزم : ٢١٩
 مختار اللآلى ، لابن جبرول : ٤٩٤ ، ٥٠١
 مختصر ابن عبد الحكم : ١١
 المختصر في لمن العامة ، لابن حرب : ٤٢٩
 مختصر كتاب العين ، للزبيدى : ١٨٩
 مختصر المختصر ، لباجى : ٤٢٦
 المختص في اللغة ، لابن سيده : ١٧ ،
 ١٩٠
 مدارك الحقائق ، لابن المقرئ : ٤٢٨
 المدخل إلى صناعة النطق ، لابن طموس :
 ٣٦٣ — ٣٦٦
 المدخل إلى الهندسة ، لسلمة المجرىطى :
 ٤٤٩
 المدونة ، لسحنون بن سعيد : ٤١٥
 * مدونة برهش : ٧٠
 مدونة ابن أبي زمنين : ٧١
 * المدونة المستعربية : ١٩٨
 * مرشد الحياة الإنسانية ، ليوحنا دكاپوا :
 ٥٨١

بطليطلة ، لابن مظاهر : ٢٧٤
 منح المدح ، لان سبب الناس : ٤٠٠
 المن بالإمامة على المستضعفين ، لابن صاحب
 الصلاة البرجي : ٢٤٢
 منهاج السداد ، لابن المقرئ : ٤٢٨
 مواقع النجوم ، لابن عربي : ٣٧٣
 موطأ مالك : ٣ ، ١٩٤ ، ٢١٥ ، ٢٧٦
 ميران العدل ، لابن رشيق : ٢٨٢
 ميزان العمل ، للغزالي : ٥٠١
 *ميلو ، لمتيود ثندوم : ٥٨٤

(ن)

الناسخ والمنسوخ ، لغاسم بن أصبغ : ٣٩٥
 النبات ، للبكري : ٣١١
 النبراس في ذكر خلفاء بني العباس ، لابن
 دحية : ٢٨٤
 نبع الحياة ، لابن جبيرول : ٢٦ . وانظر :
 ينبوع الحياة
 *النبوات ، لتورميذا : ٥٨٧
 النجم من كلام سيد العرب والعجم ، لابن
 الاقليني : ٣٩٩
 نخبة الاختيار من أشعار ذى الوزارتين
 أبي بكر بن عمار ، لابن بسام : ٢٨٩
 نزهة البصائر والأبصار ، لأبي الحسن
 التباهي : ٢٥٢
 نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، للإدريسي :
 ٣١٣
 نظام المرجان في المسالك والممالك ، لابن
 الدلالي : ٣١٥
 النظر والعمل ، لزهراوى : ٤٦٦
 قحح الطيب ، للمقرئ : ٢٢٠ ، ٣٠٣
 النفحة المسكية في الرحلة المسكية ، لعل بن
 سعيد : ٢٤٧
 النفس ، لابن سينا : ٥٣٧
 النفس ، للإسكندر الأفروديسي : ٣٣٨

معيار الاختيار ، لابن الخطيب : ٢٥٨
 المغرب عن عجائب المغرب ، لأبي حامد
 الفرناطي : ٣١٢
 المغرب في اختصار المدونة ، لابن أبي زمين :
 ٤٢١
 المغرب في حلل المغرب ، لعل بن سعيد
 المغربى : ١٣٥ ، ١٧٧ ، ٢٤٥
 المغنى في الطب ، لابن البيطار : ٤٧٩
 المقاضلة بين مائة وسلا ، لابن الخطيب :
 ٢٥٩
 المفتاح ، لليثى التبان : ٤٩٨
 مقاصد الفلاسفة ، للغزالي : ٥٣٨
 مقال في البرهان ، لابن باجة : ٣٣٧
 *مقالات في الأخلاق والسياسة ، لبيكون :
 ٢١٧
 مقامات الحريري : ١٨٠ ، ٤٩٨ ، ٥٠١ ،
 ٥٩٢
 المقتبس ، لابن حيان : ٢٠٨ — ٢٠٩
 المقتطف من أزهار الطرف ، لعل بن سعيد :
 ٢٤٦
 المقدمات لأوائل كتب المدونة ، لابن رشد
 (الجد) : ٤٢٧
 المقصورة (القصيدة) ، لحازم القرطاجي :
 ١٣٣
 *مكالحة طائفة محمد ، ليدرو بسكال : ٥٧٢
 *المكتبة الإسكوريالية العربية الإسبانية ،
 ليخائيل الغزيري : ٥٣٣
 *ملاحة السيد : ٦١٢
 ملك النحل ، لمحمد بن محمد اللخمي الفرناطي :
 ١٧٩
 ملوك الأندلس ، لابن يتيق : ٢٧٢
 الممالك ، للإدريسي : ٣١٣
 منه الحجاره ، لجودي بن عثمان : ١٨٥
 المنتخب ، لابن لبابة : ٤٠١
 منتخب كتاب جامع المقدرات ، لغنائق :
 ٧٤٣ — ٤٧٤
 المنتخب من تاريخ الرؤساء والفقهاء والقضاة

١٧٧

واسمعة السلوك ، لأبي هو موسى بن يوسف :

٥٧٨

الواصحة ، لعبد الملك بن حبيب : ١٩٤ ،

٤١٦

الروائق المستعملة لابن مقيث : ٤٤٣

(ي)

يلبوع الحياة ، لابن جبيرول : ٢٢٦ ،

٥٣٨ ، ٤٩٣

اليواقيت والجواهر ، للشمراني : ٥٦٧

يقيمة الدهر ، للشعالى : ٣٩ ، ١٢٥

نقط العروس ، لابن حزم : ٢٢٠

النسكت ، لأبي القوث الصنعاني : ٦٦

نهاية الأرب ، للنويرى : ٢٥١

نوادير اللغة ، لأبي علي القالي : ١٨٩ ، ١٨٩

نية ابن زيدون : ٨٣

(هـ)

الهداية إلى فرائض القلوب ، لبجيا بن فاقوذا :

٢٦ ، ٤٩٤ — ٤٩٧ ، ٥٠٦

هنزار افسانة : ٥٩٢

(و)

واجب الأدب ، لموسى بن محمد العنسى :

ب — كتب إفريقية أو وردت بغير العربية

- An abridged version of the Book of Simple Drugs*; M. Meyerhof and G. Sobhy : ٤٧٢
- Antología Española*; Pascual de Gayangos : ٥٩٣
- Antología de poetas líricos Castellanos*; Menéndez Y Pelayo : ٦١٤
- Die arabische Literatur der Juden*; Moritz Steinschneider : ٤٨٩
- Bibliotheca Arabico-Hispana Escorialensis*; Michaelis Casiri : ٥٣٣ ، ٤٨١
- Blanquerna*; Raymundo Lullo : ٥٤٩ ، ٥٤٣
- Le Calendrier de Cordou de l'année 961*; R. Dozy : ٢٨٨
- El Cancionero de Aben Cuzman*; Nykl, A.R. : ١٦٢
- El Cancionero de Baena* : ٦٢٨
- El Cancionero de Palacio* : ٦٢٧
- El Cancionero General de Hernando del Castillo* : ٦٢٩
- Catálogo de Crónicas de la Real Biblioteca* : ١٩٧
- Chronicon Burgeuse* : ٧١
- Cobles del Regne de Mallorca*; Turmeda : ٥٨٧
- El Collar de Perlas*; Gaspar Rímero : ٥٧٨
- Continuatio Hispana* : ١٩٨
- Convita*; Danti : ٥٧٣
- Coplas del Albichante de Puey Monzón* : ٣١٩
- Las Coplas del Peregrino de Puey Monzón*; Mariano de Pano Y Ruata : ٥٢٤
- Die Cordovaner Arib ibn Sa'd der Sekretar und RabFibn Zaid der Bischof*; Dozy : ٤٨٨
- El Criticón*; Gracián : ٦٠١
- La Crónica General de España*; Alfonso X : ٥٧٤ ، ٥٧٢
- Crónica Mozárabe* : ١٩٨
- La Crónica Sarracina*; Pedro del Corral : ١٩٨
- Disciplina Clericalis*; Pedro Alfonso : ٢٨
- Disertaciones y Opúsculos*; Juan Ribera : ٦١٠
- Disputa del asno contra fray Anselmo de Turmeda* : ٥٨٧
- La Escatología Musulmana en la Divina Comedia*; Asín Palacios : ٥٥٢
- La Escuela de traductores de Toledo*; G. Menéndez Pidal : ٥٧٩
- Esquisse d'histoire de la pharmacologie chez les musulmans d'Espagne*; Meyerhof : ٤٧٢
- Estudios sobre Azraqiel*; Millas Vallicrosa : ٤٥١
- Estudio sobre la invasión de los Arabes*; E. Saavedra : ٤٨٨
- Estudios y discursos de crítica histórica y literaria* Menéndez Y Pelayo : ٥٥٠ ، ٥٥١
- Fons Vitae*; Dominicus Gundissalinus : ٤٩٣

- Georges Dandin*; Molière : ٥٨٠
Gesch der arabischen Aerzte; Wuesenfeld : ٤٧٢
- Die hebraische Uebersetzungen. . .*;
 Steinschneider : ٥٠١
- Al-hidaja ila Fara-id al Qulub*;
 A. S. Yahuda : ٤٩٦
- Histoire des sciences mathematiques en Italie*; Guillermo Libri : ٤٨٨
- Historia de la literatura espanola*;
 M. G. Ticknor : ٥٧٩
- Historia del caballero Cifar*; Ferrand Martinez : ٥٩٨
- Historia de los Heterodoxo Espanoles*; Menéndez Pelayo : ٥٤٠
- Historia de los Mozárabes de Espana*;
 Francisco Javier Simonet :
 ٤٨٨, ٤٨٦
- Historia del Principe Erasto*; Pedro Hurtado de la Vera : ٥٨٢
- A History of Medieval Jewish Philosophy*; Isaac Husik : ٥٠٠
- Huellas del Islam*; Asín Palacios :
 ٥٨٧ : ٥٤٢
- Ibn al-Sid de Badajoz y su libro de los cercos*; Asín Palacios : ٣٣٥
- Ibn Masarra y su Escuela*; Asín Palacios : ٥٤٧, ٥٤٥
- The Improvement of Moral Qualities*.
 St. Wise : ٤٩٤
- La Impunación de la secta de Mahoma*; San Pedro Pascual : ٥٧٢
- Kitab Tabakat al Umam*; R. Blanchère : ٤٤٦
- Leyendas de José hijo de Jacob y de Alejandro el Magna*; F. Guillén Robles : ٥٢٧
- Libre de bons ensenyaments*; Turmeda : ٥٨٧
- Libre Felix de les meravelles del món*; Raymundo Lullo : ٥٥
- El Libro de Buen Amor*; El Arcipreste de Hita, Juan Ruiz : ٦٢٥
- El Libro del Amigo y del Amado*;
 Raymundo Lullo : ٥٤٩
- El Libro del Gentil y los Tres Savis*;
 Raymundo Lullo : ٥٥٠
- Il Libro della Scala e la questione delle fonti árabe-espagnole della Divina Commedia*; Enrico Cerulli :
 ٥٥١
- Libro del Tártaro y del Cristiano*;
 Raymundo Lullo : ٥٥٠
- Libro de los Estados*; Don Juan Manuel : ٥٠
- Libro de los Exemplos*; Sánchez de Vercial : ٥٨٠
- La Lfrica de Las Trovadores*;
 Martin de Riquer : ٦١٦
- El literalismo de los traductores de la corte de Alfonso el Sabio*;
 J. Millas Vallicrosa : ٥٧٦
- Le livre de l'agriculture d'Ibn al-Awam*, trad. Clement-Mullet :
 ٤٧٥
- Manuscritos aljamiados de mi Colección*; Pablo Gil : ٥٢٩
- Manuscritos Arabes y Aljamiados de la Biblioteca de la Junta*; J. Ribera y M. Asín : ٥١٣
- Mélanges de philosophie juive et arabe*; Salomon Munk : ٤٩٣
- Memorial Histórico Espanol*; Eduardo Saavedra : ٥٠٨
- Los Milagros*; Gonzalo de Berceo :
 ٥٩٦
- Milo*; Mathieu de Vendome : ٥٨٤
- Notas sobre los traductores toledanos Domingo Gundisalvo y Juan Hispano*; P. Manuel Alonso : ٥٣٨

- De nouveau sur la Chanson de Roland*: Boissonade : ٦١١
- Opuscules et Traités d'Abou'lWalid Merwan ibn Djanah de Coïdoue*; Joseph et Hartwig Derembourg : ٤٩١, ٤٨٩
- Origenes de la novela*; Menéndez Pelayo : ٥٩٣, ٥٨٣, ٥٢٥
- El original Arabe de la disputa del asno contra fr. Anselmo Turmeda*; Miguel Asín Palacios : ٥٨٨
- Les origines de la poesie lyrique en France au moyen-âge*; Jeanroy: ٦١٠
- Patrición de Herencias entre los Musulmanes del Rito Malequi*; José A. Sánchez Pérez : ٤٥٨
- Poemas Arabigo-Andaluces*; Garcia Gomez : ٣٠
- Poesia arabe y poesia europea*; Menéndez Pidal : ٦٢٧, ٦١٥
- La poesia heroicopular Castellana y el Mester de la Clerencia*; Manuel de Montoliu : ٥٩٦
- Poesia Medieval*; Luis Gonzalez Simon : ٥٩٦
- La Poesia Sagrada Hebraicoespanola*; José M. Millas Vallicrosa : ٥٠١, ٤٩٩, ٤٩٨
- Poesia y arte de los Arabes de Espana y Sicilia*; Von Schack : ٥٠
- La poesie Andalouse en Arabe Classique au XI Siècle*; Henri Pérès : ٣١
- La poesie arabe anté-islamique*; René Basset : ٣٠
- Proemio*; El Marqués de Santillana : ٢٩٩
- Las Profecias*; Turmeda : ٥٨٧
- Prolegomena zu einer erstmaligen Herausgabe des Kitab al-Hidāya ilā Fara'id al Qulub*; A. S. Yahuda : ٤٩٧
- Proverbes arabes de l'Algérie et de Maghreb*; Mohammad Ben Cheneb : ١٦١
- Pugio fidei*; Raymundo Martin : ٥٤٠
- Qasidas de Andalucía*; Garcia Gomez : ٣٠
- El recontamiento de Al-Micded y Al-Mayesa*; Marianode Pano: ٥٢٨
- Recuerdos de Valladolid*; Alonso de Zori a : ٥٩٧
- Selected poems of Moses ibn Ezra*; H. Brody : ٤٩٨
- Selomo ibn Gabirol com poeta y filósofo*; Millas Vallicrosa : ٤٩٤
- Silva de varia leccion*; Pero Mexia : ١٦٩
- The Sources of el Cavallero Cifar*; Charles Phillip Wagner : ٥٩٨
- Speculum historiale*; Vincent de euvais : ٥٨١
- La Théologie Ascétique de Bahya bn Paquda*; Georges Vajda : ٤٩٤
- Vies des dames galantes*; Brantôme : ٥٨٤
- Vita Nova*; Dante : ٥٧٣, ٧٥

٣ - فهرست المصطلحات

(١) مصطلحات عربية أو وردت بالعربية

الإمبراطورية البيزنطية : ٦١١
 الإمبراطورية الرومانية : ٦١٣
 الأمويون : ٣٨ ، ٢
 أنشودة رولان : ٦١٠
 الأوزاعية : ١٩٣
 * أوك (لثة) : ٦١٤
 أولاد الناس : ٥٩٩
 * ليدوم : ٤٩٤

(ب)

الباطنية : ٣٣٠ ، ٣٢٧ ، ٣٢٤
 * البالاتا (ضرب من الشعر الأوروبي) :
 ٦٢٠
 * الپزومون (فن شعري عبري) : ١٥٥
 البصريون : ١٧٢

(ت)

التاريخ (في الأندلس) : ٢٢ ، ٢٣ ،
 ١٩٣ - ٣٠٦
 تاريخ الأدب : ٢٨٥ - ٣٠٤
 التاريخ الطبيعي : ٣١٩
 التاسوعات : ٣٢٩
 التأليف العلمي : ١٦
 التأليف الموسوعي : ٨
 التجيبيون (أصحاب سرقسطة والثغر الأعلى) :
 ١١٠

(١)

الأنات الثلاث (موضوع شعري) : ٧٣
 الأباضية (فرقة من فرق الخوارج) : ٣٢٤
 الاتجاه الشعبي الخارج (في الشعر الأندلسي) :
 ١٤٢ - ١٦٦

إخوان الصفاء : ١١ ، ٥٨٨
 الأدب (فرع من فروع الثقافة العربية) :
 ١٥ ، ١٦٧ - ١٨٢

الأدب الحميادي = الأدب المستعجمي : ٢٥
 الأدب العبري : ٤٨٩
 أرجوزة : ٥٦ ، ٥
 الأساطير الإسلامية : ٢٧
 الإسراء : ٥٥١
 الإسكولاستيون : ٣٣٢ ، ٣٣٨ ، ٣٤٧ ،
 ٣٥٣

الأسلوب الحفاجي (في الشعر) : ١٢٤
 الاعتزال : ١١ ، ٣٢٥ ، ٣٢٧
 الأعراف : ٥٦٦
 الأغاني الإسبانية : ٢٨
 * الأغاني الكرشالية : ٦٢٠

الإغريق : ٣٢
 الأغصان : انظر غصن
 الإنطاعيون : ٦٠٨
 * ألباتا : ١٥٥
 الألبادا : ١٦٣
 الألباذا : (موضوع شعري) : ١٥٥

المصطلحات التي بجوارها هذه العلامة (*) موجودة أيضاً في فهرست المصطلحات

الإفريقية .

(خ)

- الخرجة : ١٤٣ ، ١٥٥ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ،
٦١٥ ، ١٦١
المخصوم : ٤٣٠
الخميادة : انظر أيضا : كتابات المستعجمين :
٥٠٧
المخارج : ٣٢٤

(د)

- الدراسات التلودية : ٩ ، ٢٦ ، ١٠٧
الدراسات العبرية : ٩ ، ١٥
الدولة الأموية : ٧
دولة عالمية : ٧
الدولة المبادية : ١٠٦
ديوان التحقيق : ٥٠٧
ديوان الندماء : ٦٥

(ر)

- الرافضة : ٢٨٢
رمضان ، شهر : ١٦٢
روضيات ابن خفاجة : ١٢٤
الرياضيات : ٨ ، ١٧ ، ٢٢

(ز)

- الزجل : ٨ ، ٢٣ ، ٢٩ ، ١٤٣ ، ١٥٥
١٦٦
زجل إسباني : ١٥١
الزجال والزهلون : ١٥٦ — ١٥٧ ،
١٥٨
الزرقالية : ٤٥١
الزندقة : ٢١
الزهريات : ٧٣

(س)

- السمط والسموط : ٣٢ ، ١٤٣

- تحرير العقود : ١٧
التخميس : ٨٦
التراجم : ٢٢

- * التروبادور : ٥٣٥ ، ٥٣٦ ، ٦١٣ ،
٦١٥

- * التروثير : ٦١٣

- * التسيحات اللاتينية : ١٥٥

- التصريح : ٢

- التصريق : ٣٣٠

- التصوف : ٣٧١ — ٣٩٠

- التصغير (في الأزجال والموشحات) : ١٥٦

- التنزل : ١٦٣

- التفسير : ٩

- تواريخ النواحي : ٣٠٤ — ٣٦٠

(ث)

- التيوصوفية : ٤٦

(ج)

- الجاكارا : ٥٨٤

- * جامع مفردات : ٦٢٥

- الجرمات : ٦١٣

- الجغرافية : ٢٢ ، ٢٣ ، ٣٠٩ — ٣١٩

- الجوارى الغلاميات : ٣٩

(ح)

- الحب الأفلاطوني : ٤٣

- الحب العذري : ٤٣

- الحديث : ٩ ، ٢٢ ، ٣٩٣ — ٤٠٢

- * حرب الاسترداد ، (لاريكوتكيستا) : ٢٧

- الحروب الصليبية : ٥٩٥

- الحضرة والحضرات : ٥٤٥ ، ٥٤٦ ، ٥٤٧

- حكومات البلديات : ١٣

- حى الريم : ٤٦٥

(ط)

الطيب : ١٦ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٤٦١
 الطوائف : ٨ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٥ ، ١٧ ،
 ١٨ ، ١٩ ، ٢٢ ، ٨٧ ، ١٠٠ ،
 ١١٧ ، ٢٠٧ — ٢٤١ ، ٣٣٢ ،
 ٤٢٦ ، ٤٥٠
 الطويلة (لباس للرأس) : ٩٢

(ظ)

الظاهرية (مذهب) : ٩ ، ١٤ ، ٢١٥ ،
 ٢٣٧

(ع)

العامية : ١٢
 العباسيون : ٢ ، ٣٨ ، ٥٩ ،
 العجمية : ١٤٢
 عصر الإمارة : ٥٠ — ٥٨ ، ٦١ ،
 عصر الخلافة : ٥٩ — ٧٩ ، ١٩٣ —
 ٢٠٧
 عصر الطوائف : ٧٩ — ١٢٣
 العصر القرطبي : ٣٢٣
 عصر الولاة : ١
 العصور الوسطى : ٢٩ ، ٣١٤ ، ٣٣٦ ،
 ٣٣٨ ، ٣٥١ ، ٤٦٩ ، ٤٨٨ ،
 ٥٥٠ ، ٥٧٩ ، ٥٨٥ ، ٥٩١ ،
 ٥٩٨ ، ٦١٤ ، ٦٢٧
 العلوم الإغريقية : ٢٧
 العلوم الدينية : ٩ ، ٢٢
 عيد القديس يوحنا : ٢١
 عيد بناير : ٢١

(غ)

الغصن والأغصان : ١٤٣ — ١٥٩

السنة : ٢ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨
 سورة يوسف : ٥١٤

(ش)

الشافعيون : ١١
 الشافعية : ٤٣١ — ٤٣٩
 الشامية : ١
 الشرع : ٢٣
 الشروط : ٢٨٢
 الشعر : ٢ ، ١٩ ، ٣٠ — ١٦٦ ،
 ٦١٣ — ٦٣٠
 الشعر البروقنسي : ١٦٣ ، ٥٣٥ ، ٦١٤ ،
 ٦١٥
 الشعر الجاهلي : ٣١ — ٣٧ ، ٦٦
 الشعر العربي : ٢٦
 الشعر العربي الحديث : ٤٨٩
 الشعر الفناني : ١٢ ، ٢٩
 الشعر الفصيح : ٥٠ — ١٤٢
 الشعر القديم الجدد : ١٢٤
 الشعر القصصي : ٤١ ، ٦٠٣ — ٦١٣
 شعر الملاحم : ٢٨ ، ٤١
 الشعراء : ١٢ ، ١٧
 شعراء بلاط : ٦
 الشيعة : ٦

(ص)

الصعاليك ، قصص : ١٨ ، ٥٩٢
 الصقرية : ٣٢٤
 الصغية : ٤٥١ ، ٤٥٢ — ٤٥٣ ،
 ٥٧٦
 الصقالبة : ٧ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣
 الصوفية : ٣٢٧ ، ٣٣٢
 الصيدى (نوع من الفسيح) : ١٩٤

قصص الإسياني : ٢٨

القصص الأندلسي : ٢٩

* قصص الصعاليك : ١٨ ، ٥٩٢

القصة الفلسفية : ٢٨

القضاء في الأندلس : ٢٧٠

قضاة الأندلس : ١٩٥

القفل (في الزجل والموشحة) : ١٥٩

القفلة (في الزجل والموشحة) : ٦١٥

القروط : ٥٩٨

القيسة : ١

(ك)

الكتنا واكتنا : ٤٦٤

* كدار (لغة) : ٤٩٤

* الكنتيجات : ٢٨ ، ٦١٣ ، ٦٢٣

* الكوتراستو : ٦١٩

(ل)

اللغات الرومانية : ٢٩

اللغة الدارجة : ٦

* الالهجات الرومانسية : ٦

اليونيون : ٧

(م)

المالكيون : ٥ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤

المالكية : ٣ ، ٤ ، ٧ ، ١٤ ، ١٩٣

المتصوفة : ٢٣

المدائح المقدسة : ٦٢٠

المدرسة الفرثسكية : ٥٤٧

المدح : ١٢ ، ١٣٦

المذهب الشافعي : ٧

المذاهب : ٣٢ ، ٣٣

المرابطون : ١٣ ، ١٦ ، ١٨ ، ١٩

— ٢١ ، ٢٣ ، ٥٥ ، ٩٧ ، ٩٩

العنوس : ٢٢٠

الفنوصية : ٣٢٩

(ف)

الفايليو : ٥٣٦ ، ٥٨٠ ، ٥٨٤ ، ٦١٠

الفاطيون : ٧

فتح الأندلس : ١٩٥

الفتنة الكبرى : ١٣

فتنة النصارى : ٣

* الفجريات (موضوع شعري) : ١٥٥ ،

٦١٩

* القسرايلي : ٥٨٦

الفروسية العربية : ٦

الفقرات ، في الزجل والموشحة : ١٣٢

الفقه : ٦ ، ٢٢ ، ٢١٨ ، ٤١٣ — ٤٤٣

الفقه الشافعي : ٩

الفقه المالكي : ٩

الفقهاء : ٣ ، ٥ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٢ ،

١٣ ، ١٤ ، ١٨ ، ٥٥ ، ٦٥ ،

٩٥ ، ١٠٠ ، ١٦٦ ، ٢٧٣ ،

٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٩ ، ٣٣١ ،

٤٤٧ ، ٤٣١

فقهاء مالكيون : ١٢

الفلقة : ٨ ، ١٢ ، ١٧ ، ١٧ ، ٢٣ ،

٦٥ ، ٢١٧ ، ٢٢٣ — ٣٩٠ ،

٤٥٠ ، ٥٣٦ — ٥٧٣

الفلك : ٨ ، ١٢ ، ١٦ ، ١٧ ، ٢٣ ،

٣٤٨ ، ٤٤٧

(ق)

القراءات : ٩ ، ٤٥٥ — ٤٠٩

القشتاليون : ٧

قصر الخلافة : ٨

القصائد الوثنية : ٣٣

(ن)

- النبات : ٢٣
 النبريون : ٧
 النحو : ٢٢ ، ٢٣ ، ١٨٥ — ١٨٨
 النحو العبري : ٢٦
 النصارى : ٢٧ ، ٢٨ ، ٥٦ ، ٩١ ،
 ١٠٠ ، ١٢٦ ، ١٣٢ ، ١٨١ ،
 ٢٧٧ ، ٣٣٢ ، ٤٥٧ ، ٤٨٥ ،
 ٥٠٧ ، ٥١٩ ، ٥٣٥ ، ٥٤٣ ،
 ٥٧٣ ، ٥٩٩ ، ٦١١
 نظرية الحقيقتين : ٥٤٠
 النقد الأدبي : ٢٢
 فكاح النعة : ٣٣١
 النهضة الإغريقية : ٢٢
 الثورمان : ٨٩ ، ٩٧ ، ٦١٩

(هـ)

هيج الربض : ٣

(و)

وثائق : ١٦ ، ٤٢٢ ، ٤٤١

(ي)

- اليمنية : ١
 اليهود : ٩ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ١٠٨ ،
 ١٨١ ، ٣٣٢ ، ٤٥٧ ، ٥٤٠ ،
 ٤٨٨ — ٥٠٣ ، ٥٧٣
 اليهودى التامة : ٣٧٢

١٠١ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٧ ،

١١٤ ، ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٢٣ —

١٣٥ ، ١٥٧ ، ١٦٥ ، ٣٣٢

المركز (في الزجل والموشحة) : ١٤٣

المروانيون : ٧٢ — ٧٤

المريدون : ٣٣٢

المستجمعون (كتابات) : ٥٠٥ — ٥٢٩

المستعربون : ٥٠ ، ٦٤ ، ١٩ ، ٢٦ ، ٥٩ ،

١٢٦ ، ١٥٦ ، ٤٨٥ — ٤٨٨

معاجم الرجال : ١٢

معاجم اللغة : ١٨٩ — ١٩٠

المتزلة : ٣٣٠ ، ٤٣٦

المعراج : ٥٥١ ، ٥٧٢

المعلقات : ٣١ — ٣٤

مكتبات قرطبة : ١٣

مكتبة القصر : ١٠ ، ١٢ ، ٦٥

الملسكية : ٣٣١

الملسكية الأدبية : ٥٩١

الملسكية المقارية : ٢١٢

* المن : ٦١٤

* المنزنجير : ٦١٣

المهدى : ٧

الموالي : ٧ ، ٥٥

المواليا : ١٥٧

الموحدون : ١٩ ، ٢٣ ، ٥٥ ، ١١٥ ،

١٢٦ — ١٣٧ ، ١٦٥ ، ٢٧٧ ،

٥٣٦

* الموريسكيون : ٢٥ ، ١٦٦ ، ٣١٩ ،

٥٠٧ ، ٥٩٥

الموسيقى الأندلسية : ٢٨ ، ٢٩

الموسيقى العربية : ٦١٤

الموشحة : ٦ ، ٢٩ ، ٧٨ ، ١٢٩ ، ١٤٣ ،

١٥٣ ، ١٥٥

(ب) مصطلحات إفريقية

1 : ٦١٩ ، ١٥٥

2 : ١٥٥

3 : ٦٢٠

4 : ٦١٣ ، ٥٧٤

5 : ٦٢٠

6 : ٦١٢

7 : ٦١٢

8 : ٦١٩

9 : ١٣٢

10 : ٥٤٧ ، ٥٤٥

11 : ٤٩٤

12 : ٥٧٤

13 : ٦١٠ ، ٥٨٠ ، ٥٣٦

14 : ٥٨٦

15 : ٦٢٥

Kedar : ٤٩٤

Laudes sacras : ٦٢٠

Minne : ٦١٤

Minnesaenger : ٦١٤

Los Moriscos : ٥٠٧

Novela picaresca : ٥٩٢ ، ١٨٠

Oc : ٦١٤

Pizmón : ١٥٥

La Reconquista : ٢٧

Responsorio latino : ١٥٥

Romance : ١٤٢

Romances : ٥١٩

Troubadores : ٦١٣

Troveros : ٦١٣

محتويات الكتاب

الفصل الأول

مقدمة تاريخية

صفحة

ف ١ ١

الفصل الثاني

الشعر

- ف ٢ — الشعر في الجاهلية ٣١
ف ٣ — الشعر العربي بعد الإسلام ٣٨
ف ٤ — الخصائص العامة للشعر الأندلسي ٤٢
ف ٥ — موضوعات الشعر الأندلسي ٤٣

(١) الشعر الفصيح

١ — عصر الإمارة

- ف ٦ — طلائع شعراء عصر الإمارة ٥٠
ف ٧ — زوياب وابشكاراه ٥٢
ف ٨ — يحيى الغزال وتعام بن علقمة ٥٥
ف ٩ — الأمير عبد الله . سعيد بن جردى . شعراء البلاط ٥٧

٢ — عصر الخلافة

- ف ١٠ — طلائع شعراء عصر الخلافة ٥٩
ف ١١ — ابن عبد ربه . سعيد بن منذر البلوطي ٦٢
ف ١٢ — ابن هاني . الزبيدي ٦٣

صفحة	
٦٥	١٣ — شعراء النصور
٦٦	١٤ — مساعد البغدادي
٦٨	١٥ — الرمادي
٦٩	١٦ — الوزير أبو الفيرة بن حزم
٧١	١٧ — ابن أبي زمنين . ابن الهندي . حبيب الصقلي
٧٢	١٨ — شعراء الروائيين
٧٤	١٩ — أبو محمد علي بن حزم القرطبي ، جانبه الشرقي
٧٧	٢٠ — خصائص الشعر الأندلسي في عصر الطوائف

٣ — عصر الطوائف

(١) قرطبة

٨٠	٢١ — أبو الوليد أحمد بن زيدون
----	--------------------------------------

(ب) إشبيلية

٨٦	٢٢ — المعتضد بن عباد
٨٨	٢٣ — المعتمد
٨٩	٢٤ — المعتمد وابن مزار
٩٥	٢٥ — اعتماد
٩٦	٢٦ — شعراء بلاط المعتمد . ابن هديس الصقلي
٩٨	٢٧ — شعر المعتمد في سعوده
٩٩	٢٨ — المرابطون في إشبيلية
١٠١	٢٩ — شعر المعتمد في منفاه
١٠٥	٣٠ — شهرة الملك الشاعر

(ج) غرناطة

١٠٧	٣١ — أبو الفتح الجرجاني ، أبو إسحاق الإليري
-----	--

(د) المرية

١٠٩	٣٢ — الوزير أحمد بن هديس
١١٠	٣٣ — المعتصم بن صامح صاحب المرية وشعراء بلاطه
١١٣	٣٤ — آل المعتصم

(هـ) بلنسية ومرسية

١١٦ ابن وهيب . ابن ليون . الوقتى ٢٥ -

(و) بطليوس

١١٧ المظفر بن الأملس ٣٦ -

١١٨ ابن عبدون ٣٧ -

(ز) سرقسطة

١٢٢ ابن باجة ٣٨ -

٤ - عصر المرابطين

١٢٣ ابن خفاجة . ابن الزقاق . أبو الصلت الداني ٣٩ -

٥ - عصر الموحدين

١٢٦ أبو جعفر بن سعيد وحفصة الركونية . حمدة بنت زياد ٤٠ -

١٢٩ أبو بكر محمد بن زهر ٤١ -

١٣١ أبو اليقظ الرندي ٤٢ -

١٣٣ ابن الأبار ٤٣ -

١٣٥ علي بن سعيد المغربي ٤٤ -

٦ - مملكة غرناطة

١٣٧ ابن الخطيب (كشاعر) ٤٥ -

١٣٩ ابن رزمك ٤٦ -

صفحة

(ب) الاتجاه الشعبي الدارج

- ٤٧ — نظرية ريبيرا الجديدة ١٤٢
 ٤٩ — مقدم بن معاني القبري ، مبتكر الموشحة ١٥٣
 ٥٠ — أوائل الزجاجين ١٥٦
 ٥١ — ابن قزمان وديوانه ١٥٨
 ٥٢ — مدرسة ابن قزمان ١٦٤

الفصل الثالث

الأدب

- ٥٣ — « الأدب » كفن من فنون الفكر العربي في الأندلس ١٦٩
 ٥٤ — ابن عبد ربه وكتابه « العقد الفريد » ١٦٩
 ٥٥ — أبو علي الفاي . ابن الجسور ١٧٢
 ٥٦ — أبو بكر الطرطوشي وكتابه « سراج المنوك » ١٧٤
 ٥٧ — ابن أبي الحصال . ابن عبد البر . ابن الأقطس . ابن المواعيني ١٧٧
 ٥٨ — يوسف بن الشيخ البلوي المالقي ١٧٩
 ٥٩ — المقلدون لمقامات الحريري والمقلدون عليها ١٨٠

الفصل الرابع

النحو ومعاجم اللغة

- ٦٠ — أوائل النحويين الأندلسيين . الزبيدي . أبو علي الشلويني . ابن مالك
 ١٨٥ أبو حيان
 ٦١ — معاجم اللغة ١٨٩

(١) كتب التاريخ العام

١ - عصر الخلافة

- ١٩٣ عبد الملك بن حبيب ف ٦٢ -
 ١٩٦ آل الرازي ف ٦٣ -
 ١٩٨ الأخبار المجموعة ف ٦٤ -
 ٢٠٢ « تاريخ افتتاح الأندلس » لأبي بكر بن القوطية ف ٦٥ (١) -
 ٢٠٦ « عريب بن سعد... » ف ٦٥ (ب) -

٢ - عصر الطوائف

- ٢٠٨ أبو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان ف ٦٦ -
 ٢١٢ محمد بن مزين . ابن مسلة . ابن أبي القياض ... ف ٦٧ -
 ٢١٣ ابن حزم القرطبي ف ٦٨ -
 ٢١٧ آثار ابن حزم في الفلسفة والتربية وعلوم الدين والتاريخ ف ٦٩ -
 ٢١٨ في الفقه والأسول ف ٧٠ -
 ٢١٩ في علوم الدين ... ف ٧١ -
 ٢٢٠ في التاريخ ف ٧٢ -
 ٢٢١ كتاب الفصل ... ف ٧٣ -
 ٢٢٩ « طوق الحمامة في الألفة والألاف » ف ٧٤ -
 ٢٣٧ مدرسة ابن حزم ف ٧٥ -
 ٢٣٩ أبو القاسم صاعد بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن صاعد الطليطالي ف ٧٦ -
 ٢٤٠ تواريخ الدول ... ف ٧٧ -

٣ - عصر المرابطين والموحدين

- ٢٤١ ابن صاحب الصلاة . عبد الملك بن محمد بن علي أبو مروان الباجي ف ٧٨ -
 ٢٤٢ بنو سعيد ف ٧٩ -
 ٢٤٨ عبد الواحد المراكشي ف ٨٠ -

صفحة

٤ - مملكة غرناطة

- ٢٥٢ ابن الخطيب ٨١ -
 ٢٥٩ عبد الرحمن بن خلدون ٨٢ -

(ب) التراجم وفهارس الكتب

- ٢٦٧ ابن عبد البر والحشنى ٨٣ -
 ٢٧٠ ابن الفرضى ، الحجارى ٨٤ -
 ٢٧٣ ابن بشكوال ومصادره ٨٥ -
 ٢٧٧ ابن الأبار (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاى) ٨٦ -
 ٢٨١ ابن خير ٨٧ -
 ٢٨١ معاجم التراجم الخاصة : القاضى عياض ، ابن دحية ٨٨ -

(ج) تاريخ الأدب

- ٢٨٥ طلائع المؤلفات فى تاريخ الأدب ٨٩ -
 ٢٨٨ أبو الحسن على بن إمام الشنترينى ٩٠ -
 ٢٩٦ ابن خالان (أبو نصر الفتح محمد بن عبيد الله القيسى) ٩١ -
 ٢٩٩ الشقندى (أبو الوليد إسماعيل بن محمد) ٩٢ -
 ٣٠٢ ابن الخطيب والمقرى ٩٣ -

(د) تواريخ النواحي

- ٣٠٤ أهم المؤلفات فى هذا الباب ٩٤ -

الفصل السادس

الجغرافية والرحلات

- ٣٠٩ الوراق . البكرى ٩٥ -
 ٣١١ أبو حامد الترناتلى ٩٦ -
 ٣١٢ الإدريسى ٩٧ -
 ٣١٦ ابن جبير ٩٨ -
 ٣١٨ العبدرى ، الجغرافيون فى العصر الترناتلى ٩٩ -

الفصل السابع

الفلسفة واللاهيات

ف ١٠٠ — أصول الفلسفة في الأندلس ٣٣٣

(أ) المدرسة الأفلاطونية الحديثة

ف ١٠١ — محمد بن عبد الله بن مسرة ٣٢٦

ف ١٠٢ — مدرسة ابن مسرة ٣٣٠

(ب) المدرسة المشائية

ف ١٠٣ — عودة الدراسات الفلسفية الى النشاط ٣٣٢

ف ١٠٤ — أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الداني ٣٣٤

ف ١٠٥ — ابن السيد البطليوسي (عبد الله بن محمد بن السيد النحوي) ٣٣٤

ف ١٠٦ — ابن باجة ٣٣٥

ف ١٠٧ — ابن طفيل ٣٤٨

ف ١٠٨ — ابن رشد : حياته ومؤلفاته ٣٥٣

ف ١٠٩ — آراء ابن رشد الفاسقية ٣٥٨

ف ١١٠ — تلاميذ ابن رشد ٣٦٢

ف ١١١ — الرشدية ٣٦٧

ف ١١٢ — ابن العريف (أبو المباس أحمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله بن

العريف الصنهاجي) ٣٦٩

(ج) التصوف

ف ١١٣ — محي الدين بن عربي ٣٧١

ف ١١٤ — مؤلفات ابن عربي ٣٧٦

ف ١١٥ — الخصائص العامة لمذهب ابن عربي الفيلسفي اللاهوتي ٣٧٩

ف ١١٦ — ابن سبئين ٣٦٨

ف ١١٧ — ابن عباد الرندي ٣٩٠

الفصل الثامن

علم الحديث

٣٩٣	١١٨	—	الحديث والسنة
٣٩٤	١١٩	—	كبار المحدثين الأندلسيين
٣٩٦	١٢٠	—	ابن عبد البر
٤٠١	١٢١	—	معاجم رجال الحديث

الفصل التاسع

القراءات وتفسير القرآن

٤٠٥	١٢٢	—	القراءات : أبو عمرو الداني . وابن فيره الشاطبي
٤٠٧	١٢٣	—	تفسير القرآن . بقى بن مخلد

الفصل العاشر

علم أصول الفقه

٤١٣	١٢٤	—	المذاهب الفقهية
٤١٧	١٢٥	—	مذهب مالك ، دخوله الأندلس
٤١٨	١٢٦	—	كبار فقهاء المالكية في الأندلس : أبو الوليد الباجي وأبو الوليد بن رشد
٤٢٧	١٢٧	—	فقهاء مالكيون آخرون : ابن ماسم
٤٣١	١٢٨	—	فقهاء الشافعية
٤٣٩	١٢٩	—	فقهاء المذهب الظاهري
٤٤١	١٣٠	—	تحرير الوثائق والشروط والقرائن (قسم الموارث)

الفصل الحادى عشر

الرياضيات والفلك

٤٤٧	١٣١	—	أصول الدراسات الرياضية والفلكية في الأندلس
٤٤٨	١٣٢	—	مسئلة الهجري ، إقليدس الأندلس

منحة

- ف ١٣٣ — الزرقالي ، نوهود أصحاب سرقطة ٤٥٠
 ف ١٣٤ — حابر بن أفلح . البطروجي الرقوتي القلصادي ٤٥٥

الفصل الثاني عشر

الطب والنبات

- ف ١٣٥ — أوائل الأطباء... .. . ٤٦١
 ف ١٣٦ — كتاب ديوسقوريدس في الأندلس ٤٦٢
 ف ١٣٧ — أبو القاسم الزهراوي . ابن وافد ٤٦٥
 ف ١٣٨ — ابن رشد . بنو زهر . ابن الدوام ٤٦٩
 ف ١٣٩ — أبو جعفر أحمد بن محمد بن السيد الغافقي ٤٧٢
 ف ١٤٠ — ابن البيطار ٤٧٨

الفصل الثالث عشر

الآثار الأدبية لغير المسلمين

من الأندلسيين

(أ) المستعربون

- ف ١٤١ — إشارات آبرو القرطبي . القس بن جنيس . ربيع بن زيد الأسقف ٤٨٥

(ب) اليهود

- ف ١٤٢ — أبو زكريا حيوج . ابن جبرول . سيبا بن فاقودا . ابن صديق ٤٨٨
 ف ١٤٣ — موسى بن عزرا . يهودا هاليتي أبراهام بن داود . الجزيري .
 بنو طيبون ٤٩٨
 ف ١٤٤ — موسى بن ميمون . المترجون ٥٠٢

الفصل الرابع عشر

أدب المستعجمين

- ف ١٤٥ — مؤلفات ذات طابع تشرىسي أو ديني ٥٠٧

صفحة

- ١٤٦ ف — الشعر الموريكي ٥١٤
١٤٧ ف — القصة الموريكية ٥٢٤

الفصل الخامس عشر

آثار الأدب الأندلسي

- ١٤٨ ف — آراء الأب خوان أندريس في القرن الثامن عشر ٥٣٣

(أ) الفلسفة

- ١٤٩ ف — مترجمو طليطلة . الرشديون . اليهود ٥٣٦
١٥٠ ف — رايغوندو مرتين ٥٤٠
١٥١ ف — رابن لل ٥٤٣
١٥٢ ف — دانتي والإسلام ٥٥١

(ب) العلوم

- ١٥٣ ف — ألفونسو العالم والثقافة العربية ٥٧٣

(ج) التربية

- ١٥٤ ف — المواعظ السياسية الأخلاقية ٥٧٧

(د) القصص

- ١٥٥ ف — كتاب سلك الكتاب ٥٧٩
١٥٦ ف — كتاب كليله ودمنة ٥٨١
١٥٧ ف — السندباد ٥٨٢
١٥٨ ف — برلام ورواصف (يوسافات) ٥٨٥
١٥٩ ف — الدون خوان مانويل ٥٨٥
١٦٠ ف — تورميديا ٥٨٦
١٦١ ف — ألب ليلة وليلة في الأدب الإسباني ، قبل القرن الثامن عشر ٥٩٢
١٦٢ ف — قصص الفروسية ، قصة زياد الكعبي ٥٩٩
١٦٣ ف — جرائبان وابن طفيل ٦٠١

(هـ) الشعر القصصى فى إسبانيا الإسلامية

- ١٦٤ هـ — نظرية ريبيرا
 ١٦٥ هـ — ما يمكن أن يكون لهذا الشعر القصصى الأندلسى من أثر فى الشعر
 القصصى الفرنسى والإسبانى
 ٦٠٧

(و) الشعر

- ١٦٦ هـ — الزجل فى الأدب الأوروبى
 ٦١٣
 ١٦٧ هـ — (أ) فرنسا
 ٦١٤
 ١٦٨ هـ — (ب) إنجلترا
 ٦١٨
 ١٦٩ هـ — (ج) ألمانيا
 ٦١٨
 ١٧٠ هـ — (د) إيطاليا
 ٦١٩
 ١٧١ هـ — (هـ) البرتغال
 ٦٢١
 ١٧٢ هـ — (و) إسبانيا : كنتاجات ألفونسو العاشر
 ٦٢٣
 ١٧٣ هـ — نائب الاسقف فى هبنا ، خوان رويت
 ٦٢٤
 ١٧٤ هـ — أغنية المربيات الثلاث . الدواوين . آخر مظاهر الزجل
 ٦٢٧

مراجع الكتاب

- ١ — مراجع عربية
 ٦٣٣
 ب — مراجع غير عربية
 ٦٤٢

فهارس الكتاب

- ١ — فهرست الأعلام
 ٦٥٣
 أ — أعلام عربية أو وردت بالعربية
 ٦٥٣
 ب — أعلام أفرنجية أو وردت بتبر العربية
 ٦٨٢
 ٢ — فهرست الكتب
 ٦٨٤
 أ — كتب عربية أو وردت بالعربية
 ٦٨٤
 ب — كتب أفرنجية أو وردت بتبر العربية
 ٦٩٦
 ٣ — فهرست المصطلحات
 ٦٩٩
 أ — مصطلحات عربية أو وردت بالعربية
 ٦٩٩
 ب — مصطلحات أفرنجية
 ٧٠٤
 محتويات الكتاب
 ٧٠٥
 تصويبات
 ٧١٦

تصويبات

	سطر	صفحة
اقرأ		
يحيى بن حكم النزال	٢١	٤
ابن النفرلة	٥	١٥
أبا نصر الفتح بن خاقان	٧	٢٢
جابر بن أفلاح الإشبيلي	١٤	٢٢
كتاب « سلك السكّاب »	١٢	٢٨
التي قام بها	٣	٥٠
ومتضى	١٢	٥١
يحيى بن حكم البكري المعروف بالنزال	١٨	٥٥
شنجول	٢٠	٦٥
علي بن حمود الحسفي	٢١	٦٥
وقد أجمل ابن بسام	٨	٦٦
« مقبرة الخير » في « رياض قرطبة »	٢	٧٤
(انظر فقرة ٧٤)	١٨	٧٤
وبنّ ابن طاهر	١٠	٧٨
أبو محمد بن صاره	١٤	٨٦
٤ (هامش) حول الناحية الأسطورية من شخصية ابن الأحمر		٩٩
ابن النفرلة	١٦	١٠٧
وكان بائنة عصره	الأخير	١١٢
ابن زيدون في رسالته المزمّية إلى ابن عبدوس	١٨	١١٩

	سطر	صفحة
اقرأ		
ابن الصيرفي	١٤	١٢٣
أما عن الحب فقد عشقت	١٠	١٥٢
أبو عمر يوسف بن هارون الرمادي	١٥	١٥٦
جمع بين الضربين اللذين ذكرناهما	١٦	١٥٨
Verbena (= احتفال شعبي)	١٧	١٦٠
شرط الخلاعة	١١	١٦١
أبي الصلت أمية بن عبد العزيز الداني	٨	١٦٥
الأحاديث التي تُنسب إلى الرسول	٩	١٧٣
مقامات أبي محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري	٢	١٨٠
وكان أبوه خلف	٣	٢٠٨
عمر بن نابل	٥	٢٠٨
معاوية بن هشام الشيبينسي	٦	٢١٠
وأعاد نشره سيكود لوثينا	١٢	٢٢٠
وبين العلل التي ينجم عنها الحب	٨	٢٣٣
وأضمن أن المحل عنكم سيبعد	٤	٢٣٤
ابن الصيرفي المتوفى سنة ١١٧٤/٥٧٠	١٧	٢٤١
وهم بين صاحب في الأخذ عنه راغب	١٦	٢٧٤
ليستصرخ أما زكريا بن أبي حفص	١٥	٢٧٧
محمد بن عتاب	١٠	٢٨٣
عثمان بن ربيع	١٨	٢٨٥
« نخبة الاختيار من أشعار ذى الوزارتين أبي بكر	١٠	٢٨٩
ابن عمار »		

تسوية		٢٦٨
اقرأ	سطر	صفحة
ابن عبد النعم الحيرى	١٢ و ١٠	٣١١
ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد بن محمد اللواتى الطنجى)	١٥	٣١٩
وسمع أبا سعيد بن الأعرابى	٢١	٣٢٧
أبو الحسين محمد بن جبير	٥	٣٥٦
أبو القاسم بن وضاح	٤	٣٦٢
كتاب « إحصاء العلوم »	٩	٣٦٣
فكتب رايونديو مارتين كتابه « خنجر الإيمان « Pugio Fidei	١٥	٣٦٨
المسائل الصقلية	الأخير	٣٨٨
جمع فيه بين شرح الموطأ وتفسير القرآن	»	٤٢١
كتاب « التصريف لمن هجز عن التأليف »	٢	٤٦٦
ونقله إلى العبرية « شم طب »	٥	٤٦٦
وكالونيموس بن ماير	٩	٥٠٣
كتاب « سلك الكتاب » الذى ألفه يدرو أنفونسو	٤	٥٧٩
وفى كتاب الكند لوكانور للدون خوان مانويل	١٤	٥٨٢
الطراز المسمى بالكونتراستو ومعناه « المتقابل »	١٧ و ١٨	٦١٩
التبيان عن الحادثة الكائنة على غرناطة ، للأشير عبد الله الزيرى	الأخير	٦٨٦
١٩ (عمود ١) رسالة التابعين ، لابن حبان البسوى		٦٨٩
٣ (عمود ٢) روح الشعر ودوح السحر		٦٨٩
الشنا بتعريف حقوق المصطفى ، للقاضى عياض	الأخير	٦٩٠

ser reconocidas y valoradas como conviene, y exigen para ello conocimientos suplementarios de nuestra lengua y de nuestra cultura no árabe con mayor desarrollo y perfección.

En todos sentidos estimo, por tanto, como un extraordinario acontecimiento la aparición en su versión árabe de este manual de González Palencia, mi llorado colega. Al felicitar por haberla llevado a cabo a mi amigo el profesor Hussain Monés, me permito hacer votos por que este esqueje que hoy planta con tan buena mano en el surco común sea pronto un gran árbol cuya sombra nos cobije a unos y a otros en la paz de la fraternidad y del trabajo.

Emilio García Gómez.

hace escribir estas líneas. La curiosidad, el interés y hasta la pasión que los orientales de hoy, y particularmente la nueva generación de eruditos egipcios, ponen en el estudio de la cultura arábigoandaluza es un fenómeno novísimo, y quien como yó ha trabajado por esta aproximación desde 1928, cuando las relaciones esran prácticamente nulas — con la excepción de los esfuerzos de Ahmad Zakí Bāsā —, puede medir con exactitud el enorme progreso realizado. Buen jalón en este camino de acercamiento ha sido, entre tantos otros, la fundación en Madrid del Instituto Egipcio de Estudios Islámicos, cuya labor es ya sumamente fecunda y al que auguramos y deseamos un espléndido porvenir. Cabalmente uno de sus mejores directores ha sido mi querido amigo el profesor Hussain Monés, ya hispanista desde hace muchos años y excelente conocedor de la lengua española, que es quien ha tomado a su cargo la benemérita y difícil empresa de traducir el manual de González Palencia, y quien ha tenido la amabilidad de pedirme que escribiera estas líneas de presentación.

Gracias a la labor del profesor Hussain Monés, el libro de mi eminente compatriota guarda en árabe las mismas ventajas que en castellano, acrecidas por el hecho evidente de que los textos citados van en su lengua original, y no en versiones fatalmente deformadoras, por buenas y bien intencionadas que sean. Pero su utilidad en árabe ha de ser mucho mayor. De un lado, informará a los egipcios y al mundo islámico en general de la manera con que enfocamos nuestro pasado árabe medieval y de cómo reivindicamos glorias que estimamos nuestras y pertenecientes a nuestro ancho y universal patrimonio. De otra parte, permitirá a los árabes rectificar esos métodos nuestros, en la amplia medida en que ha de consentírsele el mayor conocimiento de una lengua que no en vano sigue siendo la suya materna. Por último, espero que hará ver a los actuales eruditos del Próximo Oriente musulmán cómo, según dije al comienzo, al-Andalus y su cultura no son simples apéndices de la general civilización árabe, sino un mundo, no diré del todo aparte, pero sí con peculiaridades muy señaladas y reacciones espirituales y raciales muy singulares en muchos aspectos con frecuencia olvidados, que esperan

Es muy de agradecer, por tanto, el esfuerzo de quien se ha preocupado de este gran público y de poner en sus manos un balance, por provisional que sea, de la labor realizada hasta una determinada fecha. Y esto es justamente lo que se propuso hacer, y lo logró con buen éxito, aquel infatigable investigador, aquel trabajador incomparable que se llamó don Angel González Palencia, cuya vida cortó prematuramente la muerte, en octubre de 1949, con una trágica brusquedad de la que aún no nos hemos repuesto. Entre sus innumerables actividades, González Palencia fué profesor de Literatura arábigo-española en la Universidad de Madrid, sucediendo precisamente a don Julián Ribera, que en 1927 abandonó voluntariamente la cátedra para retirarse a Valencia. Como preparación para sus oposiciones, González Palencia hizo un útil resumen de cuanto se sabía hasta ese momento en el campo de la literatura arábigoandaluza; resumen que publicó en 1928 en la acreditada serie de manuales que publica la Editorial Labor con el título de "Biblioteca de iniciación cultural" (núms. 164-165). La obra tuvo el éxito que merecía, y hubo de reeditarse, muy revisada y puesta al día, en 1945. En ella están tratados, de muy cómoda y exhaustiva manera, no sólo todos los aspectos de la literatura arábigo-española, sino incluso la literatura escrita en árabe por los no musulmanes (mozárabes y judíos), la literatura aljamiada, e incluso los influjos — comprobados, discutidos o posibles — de la cultura andaluza medieval sobre la española en particular y la europea en general. No hemos de engañarnos respecto al libro. En primer término, está escrito desde un punto de vista muy personal, reflejo en cierto modo de una escuela, a la sazón batalladora y polémica, e influido por tendencias y gustos individuales, aunque con la claridad, objetividad e imparcialidad que el autor gustaba de hacer resplandecer en toda su producción. Además, ya hemos dicho al principio el panorama en que vino a insertarse y que posteriormente se ha complicado mucho más. Ha de valorarse, pues, en su época y en su momento, con relación a dicho panorama, por lo mucho que da y por la excelente orientación que aporta, y no por lo que en él falta o por lo que desde su tiempo ha cambiado.

Una de estas muchas cosas que han cambiado desde su tiempo se relaciona precisamente con la oportunidad que me

lengua extraña a la nuestra actual, pero por hombres en cuyas venas corría una sangre ibérica que influía fatalmente en su sensibilidad y en sus gustos, dentro de una religión y de una civilización forasteras. Y entre esos eruditos hay que mencionar en primer término al gran don Julián Ribera, precursor clarividente de tantas investigaciones actuales y arquitecto genial de un edificio, por él planeado, aunque todavía no se haya terminado de construir.

En un terreno tan vasto y tan nuevo como son los estudios sobre la cultura árabe en general, y más particularmente sobre la cultura arábigo-andaluza; en un terreno, además, en que los especialistas son por fatales razones muy escasos, no sé si es un mal, pero en todo caso una realidad, que se prefiera lo nuevo a lo sabido, los análisis a las síntesis, conquistar nuevas tierras a administrar las ya conquistadas. Cada investigador se adentra en su mina, y cava su galería, desentendido, o poco menos, de lo que ocurre en la superficie. Un manuscrito nuevo vale, infinitamente más que todas las obras publicadas. Una edición de un texto recién descubierto (¡y los descubrimientos se multiplican!) hace olvidar cualquier intento de censo o crítica. Esta discontinuidad en el espacio se agrava con la anarquía en el tiempo. Cuando excepcionalmente tenemos una síntesis aceptable — como es el caso del *Ensayo* de Pons Boigues —, perdura, aunque anticuada, con una vigencia inverosímil. Cuando, debidos a autores españoles y extranjeros, empezamos a disponer de estudios sobre la poesía arábigo-andaluza, el censacional descubrimiento de las ^Ajáryas romances en ^v*muwassahas* árabes y hebreas vuelve a poner todo en cuestión. ¡ Todo en cuestión ! : ésta sería la fórmula para resumir un estado de cosas, sumamente agradable para los investigadores, cuyo afán de novedad puede saciarse en cualquier momento, pero en extremo desplazante para el gran público.

Presentación

La historia política de la España musulmana ha sido, desde los comienzos del arabismo internacional, objeto de las más variadas curiosidades, hispánicas y forasteras, y la lista de sus cultivadores se honra con nombres ilustres de las más distintas nacionalidades. No así la historia de la literatura arábigo-andaluza, o mejor dicho, la historia de la cultura arábigo-andaluza en general. Cierto es que algunas de las más relevantes figuras de su elenco fueron, y siguen siendo, estudiadas, de modo separado y monográfico, por eruditos españoles y europeos, occidentales y orientales; pero era más bien como apéndices, o, a lo más, como singularidades geográficas, dentro de una historia general del portentoso desarrollo de la cultura árabe medieval, concebida como un todo unitario. Un libro como el del Barón de Schack, *Poesía y arte de los árabes en España y Sicilia*, era excepción en la bibliografía europea del siglo XIX. No se tenía conciencia de que la cultura arábigo-andaluza era, dentro de la cultura árabe general, algo más que una provincia geográfica, remota y extrema, y que constituía, en muchos casos, un orbe propio, con leyes distintas, fenómenos peculiares y singularísimos problemas.

Sobre los antecedentes que se quieran y que puedan buscarse, con las concomitancias de detalle que se puedan añadir, esta conciencia sólo se creó en España, muy a fines del pasado siglo y comienzos de éste, gracias en especial a la escuela de arabistas españoles que fundó Codera, que han realizado los nombres gloriosos de Ribera y Asín y que sigue agrupando a los eruditos hispánicos de la actualidad. Todos ellos estuvieron y están deseosos de reivindicar y de añadir a los anales patrios—a la manera como otros ingenios lo habían hecho desde muy antiguo con la cultura hispanorromana y aún con otras anteriores—estas páginas insignes, escritas, sí, en una

Advertencias

No es ésta una mera versión árabe del texto de D. Ángel González Palencia, sino dicho texto original ampliado con el desarrollo textual de las citas del autor o con el mismo texto a que él se refiere. A veces he reproducido las citas de González Palencia tal como él mismo las presenta; otras, he creído conveniente ampliarlas, a fin de poner más de manifiesto su valor significativo.

Sabido es que el autor español se vió obligado, dadas las exiguas dimensiones concedidas a su libro por una colección de iniciación, a espigar los textos. Libre yo de esta traba, he podido desarrollar las citas en su integridad, creyendo servir con ello el interés del lector. De todos modos, estas ampliaciones van siempre entre paréntesis.

La letra ف , que acompaña los párrafos, es una abreviatura de la palabra árabe قرة .

Los números volados que aparecen en algunas palabras corresponden a las notas que serán publicadas en un libro aparte, éspecie de apéndice del original español.

Agradesco sinceramente a mi amigo D. Emilio García Gómez su amabilidad de prologar, con toda su autoridad y pluma sumamente expresiva y elegante — una de las mejores de la literatura española de hoy —, esta traducción.

El Traductor

A la memoria de mi amigo, el autor de este libro,

D. Ángel González Palencia,

como símbolo de estima de la escuela egipcia de estudios andaluces a la escuela de arabistas españoles.

COLECCION LABOR

ÁNGEL GONZÁLEZ PALENCIA



HISTORIA
DE LA
LITERATURA
ARÁBIGO-ESPAÑOLA

SEGUNDA EDICIÓN

BIBLIOTECA DE
INICIACION CULTURAL